NURUOSMANIYE
2035
2452

٦٥٣٧

شرح مختصر احياء العلوم لعلي القاري [illegible]

ب
٥٧٩

شرح عين
العلم لملا علي
القاري عليه رحمة
الباري
عفي
الله
عنه
م

١

قيد شد

اوراق عدد ٥٧٨

سطر عدد ٢١

هذا كتاب
شرح عين العلم احيا الغزالي
لملا علي قاري عليه وعلى الغزالي
رحمة الباري
امين

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı N: O
Yeni Kayıt No 2035
Eski Kayıt No 2452
Tasnif No.

٤٥٥

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان ابن السلطان السلطان
ابو المحاسن عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وفقه الله في حل
امور الانام وجعل الطافه سايره على العباد
بالسلام وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم
حنيف المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

الحمد لله العلي العظيم العليم علي ما هدانا الي الطريق القويم و
الصلاة والتسليم علي نبيه الكريم وعلي آله واصحابه واتباعه
واحزابه المقيمين المديمين علي الصراط المستقيم اما بعد
فيقول خادم كلام ربه القديم وحديث رسوله العظيم علي بن سلطان
محمد القاري عاملهما الباري بلطفه الخفي وكرمه الوفي ان هذا شرح [illegible]
يحل بحل غير ممل ولا مخل مبنى الكتاب عين العلم وزين الحلم الذي
من غاية الايجاز ونهاية الالغاز وكاد يكون من انواع الاعجاز
وهو في الحقيقة مختصر احيا العلوم لحجة الاسلام وبرهان الانام
رجاء ان استفيض من بركات كلمات علما الاصفيا واستفيد من
نفحات صفايح المشايخ الاوليا وان اذكر في جملتهم واحشر في زمرتهم
وان قصرت في متابعتهم وخدمتهم اغترارا بمحبتهم واكتفا بمودتهم
واقول كما قال القايل من ذوي الفضايل لي سادة من عزهم اقدامهم
فوق الجباه ان لم اكن منهم فلي في حبهم عز وجاه قال المصنف رحمه الله
ونفعنا ببركات علومه وتقواه وهو من فضلا الهند وصلحايهم علي ما
صرح به الشيخ ابن حجر في شرح مقدمته وقيل انه منسوب الي بعض

علما

ح

علما بلخ ومشايخهم والله اعلم بتصحيح نسبته في تحقيق ترجمته ٥٥
بسم الله الرحمن الرحيم قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام
علي مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها
وساير متعلقاتها وبه نستعين اي وثوقي واعتمادي بكرمه وجوده لا
بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها
الحمدلة معنى يا رب اغنني في شرحي وهو حذف يا المتكلم وابقا الكسر
دلالة عليها واشارة اليها وفي الابتدا به في مقام المناجاة والدعا
بالندا اشعار بانه رب العالمين عموما كما يفيد فاتحة الكتاب ورابحة
نافحة تفصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بني آدم خصوصا كما يومي اليه
حديث ادبني ربي فاحسن تاديبي وقول بعضهم حسبي ربي من كل
مري ويدل عليه خبر رضيت بالله ربا ثم زاد في مقام التاكيد وقطام النا
بين لافادة اظهار العبودية في معرض الربوبية بقوله يا رباه بلفظ المندوب
لمد الصوت المطلوب في الندبة والمرغوب في النجاة والمنادي يحتمل تعلقه
بنعتني والاظهر تعلقه بقوله باسمك اي لا بغيره ابتدي كما هو واجب
علي المنتهي والمبتدي وبك اي بحكمك اقتدي وبعونك اهتدي وبنور
قدسك اي المطهر المصون في صدر صدري الذي هو محل ظهور انسك اشارة
الي قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه اهتدي ايما
الي قوله سبحانه ومن يهدي الله فهو المهتدي وقوله قل ان الهدي هدي
الله والمعنى انه يهدي به عبده بالقا نوره في قلبه فيهدي الي طريق
ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله
الله الله اي اتق الله مرة بعد اخرى في امر الدنيا والعقبى واحذر عن

مخالفة المولي فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوي والاعادة هـ
المشيرة الي زيادة الافادة كقوله تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و
لتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اي ظاهرا
وباطنا او التقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجو واخشاه
والجاهل لما اهتدي بنور قدسه ودخل في قلبه بعض انسه وتبين
له الامر بكماله لظهوره وراي نفسه ملوثة بالدنيا معرضة عن العقبي
وغافلة عن المولي حذرها بقوله الله الله اي اتق الله لقوله سبحانه وتعالى
ويحذركم الله نفسه ولقوله عز وعلا واتقوا الله ويعلمكم الله وعلامة
التقوي هي الزهد في الدنيا والميل في العقبي رجاء لمرضات المولي ولما كانت
النفس بطبعها مايلة الي الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق الله من
تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه او معاتبا او خطابا عاما لاسيما
اذا كان له مصاحبا الام اصله الي ما حرف الجارة وما الاستفهامية
وكتب الي بالالف هنا لشدة الاتصال في مرتبة النظامية وحذف الالف
من ما اكتفا بالحركة الفتحية البيانية وافقا برسم المصاحف العثمانية
والمعني الي متي بها المخاطب المعاتب تمد اي تطمح وتتوجه الي زهرة
الحياة الدنيا اي بهجتها وزينتها عينيك وفيه اقتباس من قوله
تعالي ولا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقي وقوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم
روي انه عليه السلام راي باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير
فيها انواع البر والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت

هذه

هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال صلي الله عليه
وسلم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع يعني قراءتها
مع التامل في مبانيها والتعمل بعجايبها خير من تلك القوافل وما
فيها بل لا مناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن هنا قال
الصديق في مقام التحقيق من اوتي القران ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقال ابو القسم القشيري غار بجنه
علي عينه ان يستعملها في النظر الي غيره ويقال اذا لم يسلم له اشباع نظر
ظاهره الي الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الي غير المولي وحتام اي وحتي
متي تنكص اي ترجع عن القيام بالاقدام علي الله والاقبال علي سبيل
رضاه وفيه تلميح الي فعل ابليس وما وقع منه نوع تلبس كما اخبر الله عنه
بقوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الي ان قال نكص علي عقبيه الاية
وتلويح الي قوله سبحانه قد كانت اياتي تتلي عليكم فكنتم علي اعقابكم تنكصون
بعد ايناس من نار اي بعد ابصار نار واستيناس انوار واحساس اسرار
واخبار من ديار ليس بها بعض اغيار علي عقبيك اي متوجها الي دار
كدار فيها انواع حجاب وغبار في الكلام اقتباس من قوله تعالي انس من
جانب الطور نارا اي نار نور دارا والمعني بعد ظهور الحق وطريق الصدق
اثارا وقيل ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالافات الدنيوية
المانعة عن العبادات الاخروية وهذا علي تقدير ان يكون علي عقبيك ظرف
الايناس واما علي تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعني الي متي ترجع علي
عقبيك عن طريق العبادة وسبيل اهل الارادة الذي يسلك بهم الي
مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التي بها

ورای

من نار جهنم يقينا ايجبهك من جبهه بالتخفيف اي رده او بالتشديد
اي نكس راسه اي ابعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول
الشهوات الخسيسة اي المانعة عن المقام النفيسة والحالات
الانيسة والملهوات الفانية الحاجرة عن الدرجات الباقية للاجرام
اي للاعراض عن الدنيا والاقبال علي المولي ام يعوقك من عاق او عوق
اي او يمنعك وتصدك الزخارف المموهة اي الزينات المنوهة الملفقة
عن الاقدام علي عمل الاخرة الفاخرة المحققة ما لك اي ما حالك او اي
شئ حاصل لك في ما لك حال كونك في مقام اقبالك وزمان استقبالك
تسعي في المباهاة اي المفاخرة في غير الحالات الفاخرة التي تنفع في الاخرة
وفي نسخة المماراة اي المجادلة والمخاصمة والمجاراة اي المسابقة والمقاطعة
في المحاورات وجمع الحطام اي من اموال الشبهة والحرام لنشر الصيت
اي لانتشار الجاه عند العوام كالانعام ورفع القدر اي بالقعود في
مقام الصدر عند معرض القدر وصرف وجوه الانام اي بالتردد اليك في
الليالي والايام وتنسي نعيم جنات اي بساتين موعودة للمتقين باقية
ونهر اي وانهار جارية فيها عين عافية من افات سارية في مقعد
صدق اي مكان مرضي ومجلس حق عند مليك مقتدر اي مقربين في
غاية الاعتبار عند من تعالي امره في الملك والاقتدار حيث الهمهم
علي ذي الافهام والاسرار فهي عنديه منزلة ومكانة لا عنديه منزل
ومكان لعلو شانه ورفعة برهانه قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق
فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد
اوليائه بان يبيح لهم النظر الي وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه قال

الواسطي

الواسطي ليس محل من اشتغل لنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن
كان شغله بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الي ربه في مقعد صدق عند
مليك مقتدر وقيل الصادق في عبادته من لا يتعبد علي ملاحظة الاطماع
والاغراض ومطالبة الاعراض والاعواض وما شانك اي وما عذرك
في مقام حذرك ترغب اي تعرض وتبعد عن علم سماه ربك الاعلي بالفقه
حيث قال تعالي لعلهم يفقهون وقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين والحكمة حيث قال عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والنور حيث قال سبحانه قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه
والهدي حيث قال عز وعلا قل ان هدي الله هو الهدي والسلام علي من
اتبع الهدي وهو علم الكتاب والسنة واجماع ايمة بهم يقتدي وهو علم
المعاملة واما ما سبق من قوله بنور قدسك اهتدي هو علم المكاشفة
لان من كوشف بعرف الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة الذي
يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه وترغبه اي تميل وتخوض
فيما احدثه قرون اي طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة والتا
بعين واتباعهم نشأ فيها اي شاع وظهر فيما بينهم الكذب اي في
حكاياتهم والبدعة في اعتقاداتهم والهوي اي هوي ارباب النفوس
ومشتهياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم
المنطق والكلام والهيئة وساير علوم الفلاسفة فما حطاب لصاحبه
كانه تنبيه نفسه ان يكون في سفر يسير مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب
وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا في مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم

وحرارة اشتياقهم وغشية البكا في ميدان البيدا فلم يتمالك في مهالك
الازمنة اذ بنجا وزمسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه
وقال قفا نبك بالاتفاق على حزن الفراق وقيل اصله قف قف فحذف
الثاني وعوض عنه الالف لان الفاعل كالجزء من الفعل وقيل اصله قفن
ابدل نونه الفا والمعنى قفا ايها المخاطب مع الرجل المعاتب نبك على
رسوم علوم الدين اي اثارها المندرسة في ديارها المنقلبة بعد
اقبالها الى ادبارها لقلة علما الشريعة واحبارها واطلال اعمال
اليقين اي وعلى انطماس علامات اهل اليقين حيث اختلط بافعال
ارباب الريا والسمعة وكا نوامي المجتهدين في امر الدين بفقد المشايخ
العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين للاخلاق الواصلين
الى مرتبة الحقيقة ودمن كمالات الاحوال بكسر الدال وفتح الميم اي وعلى
زوال اثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود في
زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة وواردات مشاهدات
الجمال وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضور في مقام
التوحيد واصحاب الخدمة في مرتبة التابيد اي صارت ديار العلوم
وجدار الفهوم عافية اي خربة واهية وظلت الاثار اي وصارت
اثار الاسلام واخبار الاحكام باقية وفيه ايما الى قوله عليه السلام ياتي
على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القران الا رسمه مسا
جدهم عامرة وقلوبهم خربة واصبح الاصحاب اي العلما الكبار الذين
بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
راحلين اي مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى

٣ غدت الديار

افلا

افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي باخذ العلما من اكنافها
واضحى الاعراب اي الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم سبحانه الاعراب
اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله نازلين
اي في مقام العلما العاملين وفيه ايما الى قرب القيامة وعلامات وقوع
الساعة التي تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد في حديث جبريل وان
ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان فيا اسفي اي
تاسفي على منام القلوب وقيام الالسنة اي على غفلة القلوب القاسية
وحدة الالسنة الراسة وفيه اشارة الى ما ورد في ذم علماء اخر الزمان
ان قلوبهم امر من الصبر والسنتهم احلى من العسل ومضا العلوم اي
وعلى مضي العلوم الفاخرة وذهاب علما الاخرة وبقا الاوعية اي علماء
السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب ٢
البالية والجب العالية ويالهفي بمنتحلين اي تعطشي على صيرورة الحال
ابطال وذمي سمائل كتبا ورسائل اي مشحونة بقيل وقال واظهار
فضائل وانقلاب العمل اجوبة ومسائل اي يبحثون ولا يعملون بها يخوضون
مما ليس تحتها طائل وياحسرتي اي تحسري على انطماس المعنى عن الاسم
اي محو المعنى المراد عن المبنى والمواد واندراس الحقيقة عن الرسم
اي رسم الشريعة والطريقة ويا سواتي اي فضيحتي على خلو العش
اي العلوم الالية من الاعراب والاعراب عن اللباب اي لباب العلوم ٣
الماخوذة من الكتاب الذي يذكره لاولي الالباب في جميع الفصول والابواب
واغترار القوم اي اهل الزمان من ارباب الحجاب بلامع السراب اي الاعمال
الظاهرة الخالية عن الاحوال الظاهرة وفيه تلويح الى قوله سبحانه

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ما ولله در القايل من اعلامهم

لا والذي حجت قريش بيته ۝ مستقبلين الركن من بطحايها
مابصرت عيني خيام قبيلة ۝ الا بكيت احبتي بفنايها ٧

اما الخيام جمع خيمة فانها كخبايهم اي في منازل الحي ومقامهم واري
نسا الحي غير نسايها اي الاولى التي كن في نعت الجمال ووصف الكمال
من العفة والحيا والحرمة والسخا والمعنى انه ظهر السفها في صورة الفقها
والجهلا في هيبة المشايخ العرفا فخطر ببالي جواب شرط مقدر اي لما
كان الامر كذلك خطر في خاطري هنالك ان اريح بالي ان ادخل في
الراحة قلبي في ميدان حب ربي وفي نسخة بالزاي اي ازيل حزن قلبي
وتشتت بالي وتفرق حالي بتصفح تلك العلوم اي بتفحص صفحات العلوم
النافعة الزاخرة في الدنيا والاخرة واسرارها اي ودقايقها وخفايا بحورها
الفاخرة وتتبع سير الرجال اي سلوك اصحاب الحال وفي نسخة مسير
وفي اخرى بكسر السين وفتح اليا اي شمايل ارباب التفاصيل واصحاب
الفواضل واثارها اي اللامعة بانوارها تحت اسنادها رجا ان احث
ان احوض واحرص على اتباعهم متشديدا لثنا اي على متابعتهم و
موافقتهم في الدنيا وان ابعث في اشياعهم اي احشر في اتباعهم في
العقبى فامتريت اطبا الطاقة اي حاولت وعالجت صرف الوسع
والقدرة وتحملت اعبا المشقة اي وتحملت اثقال المشاقة في طريق
المحبة وسبيل المعذرة وبالغت في جمعها اي ضبط افرادها وتهذيبها
اي تنقيتها وحذف زوايدها واستقصيت في ضبطها وترتيبها اي
ضبط معانيها وحفظ مبانيها مع ابن سكيت نادي البيان بكسر السين

وتشديد

وتشديد الكاف اي كثير السكوت في مجلس البيان وسكيت حلبة الرهان
بضم السين وتخفيف الكاف المفتوحة وتشديد اي واخر الخيل في ميدان
المسابقة والجولان والحرمان يمتحن فيه الافراس العشرة على عرف
ذلك الزمان ويرهن للسبق مال يأخذه من سبق فرسه ذلك المكان
وفيه الي قول من قال عند الامتحان يكرم المرء او يهان والتجت به اي ٣ بيات او بيان
بتضييفي هذا الفرع العلي اي الرفيع من الاصل العلوي اي المنسوب
الى علي المنيع والغصن السني اي المنسوب الى اهل السنة والجماعة
العزيز الوجود فيما بين السادة او السني بفتح فكسر اي الشريف الجلي
الحسني من الشجر الحسني وفي نسخة الحسيني اي المنسوب الى احد
اولاد فاطمة الزهرا وفيه تنبيه على ان كل علوي ليس بحسيني ولا
حسني كمحمد بن الحنفية وساير اولاد علي ارفع السراة جمع السري
عمادا بكسر العين اي على الاعراف اعتمادا يقال فلان رفيع العماد اي
شريف سني الذكر على الصيت وقيل العماد في الاصل عيدان يرفع
بها البنيان فكني بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل
يراد بها حقيقتها اي مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان
فيقصدونه وذو الحاجات فيطلبونه واطول الكماة جمع الكمي نجادا
بكسر النون بعده جيم وهو حمايل السيف وهو كناية عن طول قامته
وطول شانه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا واكثر الكرام رمادا ٨
كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ في منزله الشهود المستلزم لكثرة
الرماد ولدوام وقود ناره ليلا في تلال البلاد فيهتدي به الضيفان
من العباد واكثر العظام وسادا كناية عن كونه معظما موقرا في قلوب

العباد والزهاد وهو ابن بني بني عدنان فانه عليه السلام محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
بن كعب بن لوي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
والى هنا من النسب الشريف لاخلاف فيه بين الاعيان وانما الخلاف
فيما فوقه يختلف البيان ولذا يروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
بلغ في النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال
كذب النسابون اي في هذا الشان قال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا
قال ابن عباس ولو شا الله ان يعلمه لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلما
والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى
عدنان ولم يتجاوزه وفي مسند الفردوس عن ابن عباس انه عليه
السلام كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول
كذب النسابون وقال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول
ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا
الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا
الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله
علمها عن العباد في الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل
ثلاثون ابا لا يعرفون وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره
ذلك وقال من اخبره بما هنالك وسمى جده خليل الرحمن يعني اسم
الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل ابي ولده الجليل اسمعيل
جد نبينا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ركن الدنيا اي المدار

عليه المشار اليه المشهود له به قطب الشرع النافع في العقبى المدار
عليه كالتفسير بما قبله مشيرا الى علمه ومعرفته والحاصل انه جامع
بين الفضايل الدنيوية والشمايل الاخروية طاهر الذيل عن دنس الهوى
كناية عن صلاحه وديانته عازف القلب اي صارفه عن لذة الدنيا
اشارة الى ورعه وزهده وحسن رعايته راسخ القدم في شريعة
المصطفى ايما الى ثباته في امر الدين واستقامته صارف العنان الى
طريق المرتضى اشعارا بانه على مذهب الصوفي وسلوك طريقته
وايما بانه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاوليا وانه تابع لجده
الاعلى والادنى بلغه بلغه الله الى الكمال الاعلى اي في الدنيا والاخرى
واوصله الى السعادة القصوى اي والسادة العظمى وهي رضا المولى
وادام المجد بين ثوبيه اي العظمة في ذاته واقام الكرام بين بردتيه
السخاوة في صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبيه والكرم
والكرم بين برديه من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف
اراد القايل ان لا يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين
ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان
على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي وانا بحمد الله سبحانه لم اجعل
تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تاليفي باسم احد من الامرا والوزرا وانما
اردت به ابتغا وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيامة لحصول حسن
لطف رحماني وعميم فضل رباني اي بتوفيقه وتسهيله لهذا التاليف
وتحصيله كتاب حجمه صغير لانه في اوراق معدودات يتم بها الكتاب
من غير طريق الاطناب ليسهل الحفظ اي بالجنان والاستصحاب اي مع

نسخه
العظمى

الابدان وعملها اي معلوما نه علي ظني غزير اي كثير لاشتماله علي جميع
ما في الاحيا من اربع مجلدات الحال الاستقصا فهو كاللباب وانما قال
علي ظني هضما لنفسه في هذا الباب ولان صاحب البيت ادري بما فيه
لعدم الحجاب بغني عما عداه في الباب اي باب التصوف وفصل الخطاب
وابوابه عشرون بابا فيها كفاية لارباب الالباب فالباب الاول
في الورد والثاني في الانفاق والثالث في الصوم والرابع في السفر [illegible]
والخامس في التزوج والسادس في الكسب والسابع في المعيشة
والثامن في الصحبة والتاسع في الصمت والعاشر في الاناة الحادي
عشر في العزلة الثاني عشر في التواضع الثالث عشر في الاخلاص
الرابع عشر في التفويض الخامس عشر في نفي الخواطر السادس عشر
في التوبة السابع عشر في الصبر والشكر الثامن عشر في الخوف والرجا
التاسع عشر في الفقر والزهد العشرون في التوحيد والتوكل واليقين
قد صدرت اي ابتديت بمقدمة في العلم والمعرفة هي احري اي اليق واولي
بالتقديم وذيلت اي ختمت واخرت بخاتمة في المحبة حتي اي لحد واحق
ان يقع بها التتميم لئلا يحتاج الي الترميم واسمه المطابق للمسمي عين
العلم الذي يتجه ثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن اسرار الشريعة
والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة واساسها اي مدار بنائه
بدراسة الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم بضم الشين وتشديد
الميم جمع الاشم اي سير الاصحاب الكبار وذوي الافتخار وفيه الا
شعار بان اجماع الصحابة واكثرهم هو الاولي بالاعتبار لانهم من
اولي الايدي والابصار معري اي خال ومجرد عما حدث اي اخترع

وابتدع

وابتدع من وضع غير مشروع كالاراء الفاسدة والاهوا الكاسدة لا يسمن ذلك
الموضوع او غير المشروع ولا يغني من جوع اي لا يفيد الزيادة والاستزادة
ولا ينفع حين الافادة والاستفادة ليس التكحل في العينين كالكحل بتحقيق
اشارة الي ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل صنعة وتقذ ببه
علي ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة
احد ولو تكلف في مشقته وفيه تنبيه نبيه علي ان طريق النجاة للا م
نام هو متابعته عليه السلام واصحابه الكرام في جميع احكام الاسلام
كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ١٠
ويدل عليه حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وخبر
لا تجتمع امتي علي الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه
اعلم فالحمد لله ازلا وابدا لا نشرك به احدا نحمده في كل آن ونشكره
في كل زمان ونستعينه في كل شان ونتوكل عليه في كل مكان ونعوذ
بالله من شرور انفسنا اي من الاخلاق الدنية ومن سيئات اعمالنا
من الاحوال الردية ونشهد ان لا اله موجود ومعبود او مشهود الا
الله اي الذات المستجمع لكمال الصفات فلا نعبد الا اياه ولا نلتفت
الي ما سواه وحده منفردا بالذات لا شريك له في كمال الصفات
ونشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله اعطاه الله تعالى
خيرا ودعا الوسيلة وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة
فقال هي مرتبة لا ينالها الا واحد ارجو ان اكون انا فمن سال لي الوسيلة
من الله تعالى حلت له الشفاعة والفضيلة اي الزيادة في المرتبة
المنيفة والدرجة الرفيعة اي في المنزلة البديعة وبعثه اي حشره

ونشره مقاما محمودا يحمده الاولون والاخرون ويغبطه النبيون والمر
سلون والملايكة المقربون الذي وعده اي بقوله عسي ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر به عنه
بعسى للاشعار بانه لا يجب علي الله سبحانه شي للعباد وان الامر
انما يكون وفق ما قضاه واراده وصلي الله عليه اصالة وعلي اهله
اي اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبابه والداي من يوول اليه
امره من اتباعه واصحابه واحزابه وسلم تسليما اي يقرنه تعظيما
وتكريما **المقدمة في العلم** وقد ورد العلم ثلاثة وما سوي ذلك
فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة والمراد بها اجماع
الامة او اتفاق الايمة رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم في
مستدركه عن ابن عمرو وفي رواية الديلمي عنه العلم ثلاثة كتاب
ناطق وسنة ماضية ولا ادري وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما
الكتاب او السنة والحديث رواه ابو داود وابن ماجة عنه
مرفوعا وقد روي ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة
ما ادري اعزير نبي ام لا وروي احمد وابو يعلي والبزار والحاكم وصحح
اسناده والطبراني من حديث جبير ابن مطعم ولابن حبان والحا
كم وصححه نحوه من حديث ابن عمر انه لما سيل عن خير البقاع وشرها
قال لا ادري حتى نزل جبريل وفيه تنبيه نبيه علي ان العجز
عن درك الادراك ادراك ومنه قول الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا
وقول الرسل يوم القيمة لا علم لنا **بسم الله الرحمن الرحيم** ولا
يحيطون به علما وهو بكل شي عليم العلم علمان اي علم الاخرة او المعتبر

في الاحوال

في الاحوال الفاخرة او النافع في المرتبة الفاخرة او علم التصوف
والاحوال الزاهرة نوعان وقد ورد العلم علمان فعلم في القلب فذلك
العلم النافع وعلم علي اللسان فذلك حجة الله علي ابن ادم رواه
ابن ابي شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر
مرفوعا **علم المكاشفة** وهو ما يطلب منه كشفه المعلوم فقط
المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضا والقبض وا
لبسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفنا والانتفا واللوامع
والطوالع واللوايح والروايح والاستنار والاستتار ومقابلة
المعاملة وهو ما يطلب منه مع الكشف العمل به وهو نور يظهر
في القلب اما بالجذبة الالهية او بالرياضة الشرعية عند تطهير
القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية فيشاهد به
الغيب اي ما غاب عن غيره من علوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته
وشهود صفاته في مكنوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عز وجل
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الاية
وهو متحقق اي ثابت الي يوم القيمة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة
فورد دليلا لقوله فيشاهد به الغيب اذا دخل النور في القلب انشرح
اي انفتح اي عاين الغيب من غير ريب وانفسح اي انبسط واتسع
وانفتح اي احتمل البلا وحفظ السر اي في مقام الولا والابتدا وفي
المعالم عند قوله تعالي فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للا سلام
اي لقبول ما فيه من الاحكام ولما نزلت هذه الاية سيل عليه السلام
عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح له

ويتفسخ قيل فهل لذلك امارة اي علامة قال نعم الانابة الي دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن علي
كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالي عز وجل وحكم
من حكم الله تعالي يقذفه في قلب من يشا من عباده رواه الديلمي
وابو عبد الرحمن السلمي ولا يصرح به اي لا يمكن التعبير عن علم المكا
شفة لفقد الرواية اي تصريحا بل روي احيانا تلويحا لانه من الامور
الوجدانية فلا يمكن ان يروي وينقل الا بالرموز والاشارات الايما
بما بينة الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل ما يفيده
الا صريح العبارة ولذا قيل العلم نقطة كثرها الجاهلون ومع
هذا كل حزب بما لديهم فرحون والمقصود من هذا الكتاب علم
المعاملة دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان
كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين وعلم المعاملة
طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبيا مع الخلق الا في علم
الطريق والارشاد الي الحق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه
الا بالرمز والايما علي سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور
افهام الخلق عن الاحتمال والعلما ورثة الانبيا فما لهم سبيل الي
العدول عن نهج التاسي ومنهاج الاقتدا وورد ان من خفي العلم
اي من جملته علم خفي فيه الفنون كهيئة المكنون من رداء المصون
لا يعلمها الا اهل المعرفة بالله رواه الديلمي في مسند الفردوس عن
ابي هريرة بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلما بالله
فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل وفي هذا المقام

قيل

قيل من عرف ربه كل لسانه لان بيان حقائق الذات والصفات تعظم
شانه وتجل برهانه واما قول من قال عرف ربه طال لسانه فمحمول
علي العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الامور المتعلقة
بالدنيا والاخرة وقيل من عرف الله كل لسانه في بيان الذات وطال
بيانه في شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه
ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه وهو اي علم المكاشفة افضل
اي من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم اشرفية
ما يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات
لانه المقصود الاكمل والمقصود بالذات وكذا يتكفل بانتقاله حال
الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به
في سائر الاوقات ولذا ينتهي بانتقال صاحبه الي دار الاخرة حيث
لا تكليف فيها **وعلم المعاملة** اي النوع الثاني وهو العلم بما يقرب
اليه تعالي من المامورات وما يبعد عنه من المنهيات وينقسم الي قسمين
الي علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والي باطن يتعلق باحوال القلوب
ثم الجاري علي الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد علي القلوب
التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم
وهو اي علم المعاملة مقدم اي علي العمل او علي علم المكاشفة وهو
اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله لانه الشرط فتدبر فانه
قد يتقدم الجذبة علي السلوك في الخدمة اللهم الا ان يقال انه الشرط
الغالبي كما يدل عليه اسشاوه الاتي فوردا اي في كلامه سبحانه والذين
جاهدوا فينا اي اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا لنهدينهم سبلنا

اي طرق معرفتنا ووصلنا او المعني والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ويدل عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اصبت اي وورد اصبت فالزم حين اخبر حارثه رضي الله عنه بانكشاف الغيب اي من احوال العقبى بعد عزوفه اي بعد صرف السالك قلبه واعراضه عن الدنيا والحديث في جامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك وحارثة ابن النعمان الانصاري ففي رواية الطبراني وابو نعيم عن الحارث بن مالك الانصاري قال مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت يا حارث قال اصبحت مومنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة وما حقيقة ايمانك قلت قد عزفت نفسي عن الدنيا واسهرت لذلك ليلي واظمات نهاري وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يتضاغون وفي رواية يتعاوون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم قالها ثلاثا وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام وانت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم وفي رواية العسكري في الامثال عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان في قلبه فقال يا نبي الله ادع لي بالشهادة فدعا له قال فنودي يوما يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفي رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم فقال يا رسول الله ان يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا يا ام الحارث او حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة الا استثنا من قوله مقدم اي لكن قد يوخر علم المعاملة ان جذبته العناية كما في سحرة فرعون فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة في الطريق فانه روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وورد ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والحاصل ان السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب والطريق الثاني سلوك الحكما و اكثر الاوليا والاول مسلك الانبيا وبعض الاصفيا كما تدل عليه قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي تفصيله في الخطاب ومعرض البيان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا اي من اهل العرفان وابلغ منه وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ولا ينفك اي علم المعاملة عنه اي عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما متقدما او موخرا والحاصل ان بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلا بد من الجذبة فانها شرط وجود المكاشفة ابتدا واما لدوامه فلا بد منه انتها كما ان عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم

ايضا لدوام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الا
لهبة الفورية الانية من علم الامر والا فصاحب علم المعاملة ايضا
لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا انها ضعيفة تدريجية من عالم
الخلق وقد قال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ومن هنا قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا انها تختلف
بالاختلاف بحسب الخلائق والعوائق ثم اعلم انه لا يلزم من وجود المعاملة
حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزبدته ان كل من سعى
لم يدرك ما تمنى لكن ما ادرك ما تمنى الا من سعى فلله الاخرة والاولى
فورد اي في الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة
التجافي عن دار الغرور اي التبعد والتزهد عن الدنيا والانابة الى دار الخلود
اي الرجوع الى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى
حين سئل اي النبي عليه السلام عن علامة ذلك النور كما قدمنا هذا
اي العلم المنقسم الى قسمين من المكاشفة والمعاملة ما ورد بفضله اي
وفضل تعلمه وتعليمه الشرع اي المطابق للعقل والطبع من الكتاب
والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فقوله تعالى شهد الله انه لا اله
١٤ الا هو والملائكة واولوا العلم وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات عن ابن عباس للعلماء درجة فوق درجة المومنين
بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقوله قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وقوله

وتلك

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقوله
وقوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ومن السنة فقوله
عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين متفق عليه وزاد
الطبراني ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبيا ابو داود والترمذي
وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابي الدردا ان الحكمة تزيد
الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك ابو نعيم
في الحلية عن انس فقد نبه بهذا على ثمرتها في الدنيا ومعلوم ان الاخرة
خير وابقى وخصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين
الترمذي عن ابي هريرة افضل الناس المومن العالم اذا احتيج اليه نفع
وان استغني عنه اغنى نفسه البيهقي في شعب الايمان موقوفا عن
ابي الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا وثمرته
العلم والعمل الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابي الدرداء اقرب الناس
من درجة النبوة اهل العلم والجهاد واما اهل العلم فدلوا الناس على
ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت
به الرسل ابو نعيم عن ابن عباس لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبراني
وغيره عن ابي الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا متفق عليه عن ابي
هريرة يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهدا فترجح مداد
العلماء ابن عبد البر عن ابي الدردا من حفظ على امتي اربعين حديثا
من السنة حتى يوديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة

ابن عبد البر عن ابن عمر من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة
فقيها عالما ابن عبد البر عن انس من تفقه في دين الله كفاه الله همه
ورزقه من حيث لا يحتسب الخطيب عن جزء اوحى الله تعالى الى ابراهيم
يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا العالم امين الله
في الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس
واذا فسدوا فسد الناس الامرا والفقها ابو نعيم عن ابن عباس اذا
اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس
ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وابن عبد البر
في العلم عن عايشة يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا
ابن ماجة عن عثمان ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين الطبراني
في الاوسط عن ابي هريرة خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه
ابن عبد البر عن انس اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه
قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي على الناس
زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم
فيه خير من العمل الطبراني عن حرام بن حكيم عن عمه والمعنى اظهار العمل
حينئذ خير من اظهار العلم ليقتدي الناس ولا ينافيه ما سبق من
الاحاديث الدالة على افضلية العلم مطلقا قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم
فقال ان قليل العمل ينفع   مع العلم بالله وان كثيرا من
بياضها لاصل
العمل لا ينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد
يوم القيامة ثم يبعث العلما ثم يقول يا معشر العلما اني لم اضع علمي

فيكم

فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم الطبراني
عن ابي موسى فالمراد اي فمراد الشارع المكاشفة فيما ورد والفا للتعليل
اي ولان المراد علم المكاشفة فضل العالم على العابد كفضلي على امتي ولفظ
الترمذي والدارمي عن ابي الدرداء كفضلي على ادناكم وفيه مبالغة
لا تخفى اي في حديث مشهور وروده ورواه احمد والترمذي وابو داود
وابن ماجة والدارمي وابن حبان ولفظه ان فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وان العلما ورثة الانبيا وان الانبيا
لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر
وفي لفظ للترمذي عن ابي امامة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من اصحابي وقال حسن صحيح وورد فضل المومن العالم على المومن
العابد سبعون درجة ابن عدي عن ابي هريرة وابو يعلى عن عبد الرحمن
ابن عوف وروى الاصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر بين
العالم والعابد سبعون درجة وكذا في مسند الفردوس عن ابي هريرة
واما في الاحيا ماية درجة فلا اصل له اذ غيره اي غير علم المكاشفة
وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته اي العلم شرطا له اي العمل فلا عمل
بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعنى انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم
بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم
بعلم المكاشفة والا فلو اريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل
العالم على العالم او على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله
فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا احل كلامه وبيان مرامه
والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة

بل المستجمع بين علم الشريعة وعمل الطريقة المودي الي مرتبة الحقيقة ثم
التحقيق اذ العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا
بد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد بالعالم في الحديث من يعمل
ما يجب عليه الي العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم
ما يجب عليه من العلم وصرف بقية اوقاته الي العمل وانما فضل العالم
علي العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين
واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لا يخفي علي ذوي الفضايل
ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين
خير من واحدة فان العلم ايضا عمل اي عمل وخلاصته ان زيادة العلم خير
من زيادة العمل والمراد هنا العامل كما يشير اليه قوله عليه السلام تعوذوا
١٦ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجة باسناد حسن عن جابر وعن عمر من حدث
بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ويؤيده حديث الدال علي الخير
كفاعله رواه الترمذي من حديث انس عن الحسن لولا العلما لصار
الناس مثل البهايم وقال عطا دخلت علي سعيد بن المسيب وهو يبكي
فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسالني عن شي والمعاملة اي والمراد
علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة علي كل مسلم
رواه ابن ماجة وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما لامتناع ارادة غيرها
اي غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل علي المعني الاعم هو الاتم ليشمل المعاملة
القالبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن علي قضية نادرة الوقوع فحينئذ يمنع
ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما
ما يكون فرضا علي العبد بحكم الاسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح

الباطن

الباطن لازدياد الانوار الغيبية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمايل
الرضية وثانيهما ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة
والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشرا وساير المعاملات
واما العبد اذا اسلم في وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشيا فليس
عليه ان يعلمها بعرض ادراكها الا انه لم يدرك وقتها وما لم يدرك وقتها
لا يكون فرضا علمها اذ لو قدر موته قبل تجددها لم تطالب يوم القيمة
بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل
الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما ان يكون متصفا برذيلة
فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها او لا يكون فيجب تحصيل
علم الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها
ودسايسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه
وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية فلو وجد
فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة القلبية
كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيمة وان لم يتجدد له من تلك
الفروض الظاهرة شي كالصلاة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا بيان
ما اجمل بقوله اما التوحيد اي علمه فليس المراد به فالحصول اي
لحصوله كل مسلم وفيه انه لا بد له من بقايه ودوامه وحفظه من
تخريب نظامه واما الصلاة اي امتناع ارادة الصلاة به فلجواز ان
يتاهلها شخص اي يصير اهل وجودها رجل او امراة وقت الضحي
بالبلوغ والاسلام ومات قبل الظهر يعني فلا يجب علي كل مسلم ويدفع
بان هذا امر نادر علي انه مشروط بشرايط في تعلقها فالحكم بعد

يحققها واما غيرهما اي من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم
المعاملة فاظهر اي في امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله اعلم
وبسط الكلام في مرام هذا المقام ان العلما اختلفوا في العلم الذي
هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة وتعصبوا
وترك كل فريق وجوبه على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو
علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته
وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل
الى العلوم كلها وقال الفقها هو علم الفقه اذ به يعرف العبادات
والحلال والحرام من المعاملات وقال المتصوفة المراد به علم
الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان
هذه العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد
فبعضها مما يجب الرعاية وعلم الاخرة اي والمراد علم ينفع في الاخرة
مطلقا اي مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة فيما ورد اي في
كلامه المجيد قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون لئلا يفضل
علما الزمان على الصحابة وفيه ان الظاهر في معنى الاية عدم استوا
العلما والجهلا واما مراتب العلما من الانبياء والصحابة والتابعين
والفقها والمشايخ الاوليا فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة فمجادلة الكلام
اي علم المنطق والكلام والتعمق في فتاوي ندور وقوعها محدثة اي
بدعة الا ان الاولى مذمومة والثانية في الجملة محمودة وما ورد اي
والمراد علم الاخرة فيما جاء من القران فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا في الدين لاختصاص الانذار والحذر في قوله سبحانه ولينذروا

قومهم

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون به اي يختص بعلم الاخرة فالحدث
مما سبق ذكره يقسي القلب اي لعدم مدخليته في الانذار والحذر وانما
ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب ففي العوارف
لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احيا المنذر بالعلم والاحيا
بالعلم رتبة الفقيه في الدين صار الفقه فيه اكمل رتب المجتهدين و
هو علم الزاهد في الدنيا الراغب في العقبى الطالب للمولى وهو الاعلى
وايضا اي ما يؤيد ما قدمناه وصف الشارع الفقيه بانه يمقت
الناس اي يبغضهم بالمعاصي في ذات الله اي لاجل رضاه ولم يقنطهم
من رحمته لقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقوله لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون ولم يأمنهم من مكر الله لقوله سبحانه افامنوا مكر
الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يجعله نفسه وغيره بين
الخوف والرجا ولو ظهر له مقامات الاوليا لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والانسان لا يخلو من
العصيان ولو بالنسيان ولم يرغب عن القران وما هو مقتبس منه
الى غيره اي الى غير القران من العلوم المحدثة وروي له اي للقران
وجوها كثيرة اي من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتاويلات عبارات
ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال الا انبئكم
بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله
ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من رحمة الله ولم يدع القران
رغبة عنه الى ما سواه ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق ابو بكر بن
السني وابن عبد البر من حديث علي وقال ابن عبد البر اكثرهم

نسخة
من روح الله

يوقفونه علي علي وفي حديث اخر لا يفقه العبد حتي يمقت الناس في
١٠ ذات الله وحتي يري للقران وجوها كثيرة بن عبد البر من حديث شداد
بن اوس وقال لا يصح مرفوعا وروي ايضا موقوفا علي ابي الدرداء مع
قوله ثم يقبل علي نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت وبدا يما الي ما قيل
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه ما يحصل به
الانذار والحذر وهو علم الاخرة فقد سال فرقد السبخي الحسن البصري
عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن ثكلتك فر
قد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب
في الاخرة البصير بذنبه المداوم علي عبادة الله الورع الكاف عن
اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ثم اعلم
انه ورد في فضيلة التعلم والتعليم ايات واخبار كثيرة واثار شهيرة
منها قوله تعالي فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله عليه
السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الي الجنة
رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها
لطالب العلم رضي بما يضع احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث
صفوان بن عسال وقوله لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان
تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث ابي ذر والخبر عند ابن ماجه
بلفظ اخر وقوله باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن
حبان في روضة العقلا وابن عبد البر موقوفا علي الحسن البصري
رجا مرفوعا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الاوسط
من حديث ابي ذر وقوله اطلبوا العلم ولو كان بالصين ابن عدي

والبيهقي

والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور
واسانيده ضعيفة وقوله العلم خزاين الله ومفاتيحها السؤال
فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السايل والعالم والمستمع والمحب
لهم رواه ابو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله
لا ينبغي للجاهل ان يسكت علي جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه
الطبراني في الاوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وابو
نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله من
جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبيا
في الجنة درجة واحدة الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين
من حديث الحسن اي ابن علي او البصري فالحديث مرسل وقول الغزالي
في حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة
الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القران
قال وهل ينفع القران الا بالعلم فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات
من حديث عمر وقال الحافظ العراقي ولم اجده من طريق ابي ذر
قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند ابي ذر
يا ابا ذر لان تغدو فتعلم اية من كتاب الله خير لك من ان تصلي
مائة ركعة وان تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به او لم يعمل به خير من
ان تصلي الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجه والحاكم في تاريخه عنه
٩ واما ما ورد في فضيلة التعليم فمنه قوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا ايجاب للتعليم وقوله
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهذا دليل علي ذم كتمان

الحق والتحريم وقوله ومن احسن قولا ممن دعى الى الله وعمل صالحا وقوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ويعلمهم الكتاب
والحكمة ومنه قوله عليه السلام ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق
ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه ابو نعيم من حديث
ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من
حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي رضي الله عنه وقوله من تعلم
بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا الديلمي من
حديث ابن مسعود وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين
والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلما بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا
فيقول الله انتم عندي كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون
ثم يدخلون الجنة ابو العباس المرهبي من حديث ابن عباس وقوله ان الله
لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يوتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب
العلما فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم
اتخذ الناس روسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون
متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقوله من علم علما فكتمه الجمه الله
يوم القيامة بلجام من نار ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان
والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية
كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها
تعدل عبادة سنة الطبراني من حديث ابن عباس نحوه وقوله الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلم او متعلم الترمذي وابن

[illegible]

ماجة

ماجة من حديث ابي هريرة وقوله ان الله وملايكته واهل السموات
واهل الارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم
الناس الخير الترمذي من حديث ابي امامة وقوله ما افاد المسلم اخاه
فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ابن عبد البر من رواية محمد
بن المنكدر مرسلا نحوه ولابي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ
ما اهدى مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة تزيده هدى او ترده عن ردى
ورواه البيهقي في الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المومن فيعمل
بها ويعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك في الزهد والرقايق من
رواية زيد بن اسلم مرسلا نحوه وقوله على خلفائي رحمة الله قيل ومن
خلفاوك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر
من حديث الحسن فقيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون
مرسلا ولابن السني وابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون
الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هولاء فيسئلون
الله ان شا اعطاهم وان شا منعهم واما هولا فيعلمون الناس وانما بعثت
معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو
ثم حققه اي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها العمل والمعنى لا بد
للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة الثمرة ثم
فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع فكذا
حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل
والتعليم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت

عظيما

وقول نبينا عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القران وعلمه والحاصل
ان العالم العامل في منزلة النبيين اذا انضم اليه التعليم فهو في مرتبة
المرسلين فورد في ذم ترك العمل كبر مقتا عند الله الاية والمقت اشد
الغضب تمامها ان تقولوا ما لا تفعلون وفي معناها اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وانشد ∴

∴ لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم ∴ ∴

ثم اعلم انه كثر في التصانيف الحلاف ذكر الاية والحديث والبيت
قبل تمامها وقد يكون الباعث على ذلك اختصار ما هنالك وقد
يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ
ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها ويشير الى اخرها بقول الاية
ونحوها اما بالنصب على اضمار اقروا وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع
بتقدير مبتدا او خبر كالمود المروي والجر على تقدير الى اخر الاية
وامثالها اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
اي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه
والحديث رواه الطبراني في الصغير وابن عدي في الكامل والبيهقي في
شعب الايمان من حديث ابي هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات والاحتراز اي وحق عالم المعاملة اجتناب صاحبه
عن الفتوى اذا لم يتعين لها لعدم قيامهم اي الصحابة بها الا بضعة
عشر بكسر الموحدة ما بين الثلاث الى التسع وكان قبض عليه السلام
عن مائة الف واربع وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من
كثير من اهل الفتوى وورد لا يفتي الا امير او مامور او متكلف الطبراني

عن عبادة

عن عبادة ابن الصامت وعن عوف بن مالك ايضا فالامير هو الامام
وقد كانوا هم المفتون والمامور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف
تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر
وعن حذيفة انما يفتي احد ثلاثة من عرف الناسخ والمنسوخ او رجل
ولي سلطانا فلا يجد بدا من ذلك او متكلف ابن عساكر قال الحجة وقد
كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى تحيل كل واحد منهم على صاحبه
وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القران وطريق الاخرة وفي بعض
الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين
عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن ابي حصين
قال ان احدهم ليفتي في المسالة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها
اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابي موسى اما بلغني
انك تفتي الناس ولست بامير قال بلى قال فول حارها من تولى
قارها عبد الرزاق والدينوري في المجالسة وابن عبد البر في العلم
وابن عساكر وعن عبد الله بن بشير ان علي بن ابي طالب سئل عن
مسئلة فقال لا علم لي بها ثم قال وابردها على الكبد سئلت عما لا اعلم
فقلت لا اعلم رواه سعد ابن نصر وسئل مالك عن اربعين مسئلة
فقال في ست وثلاثين لا ادري ومن يرد عز وجه الله بعلمه فلا
تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري وعن ابي يوسف سمعت
ابا حنيفة يقول لولا الخوف من الله تعالى ما افتيت احدا لكون الهنا
لهم والوزر علينا وسئل علي عن مسئلة فقال سلوا مولاي الحسن
وذكر الكردري منه وناهيك عن نهي الفتوى قوله عليه السلام

اجروكم على الفتيا اجروكم على النار رواه الدارمي عن ابي عبد الله بن ابي
جعفر مرسلا والاستبصار اي ومن علم المعاملة بعد فنون المتقين
طلب البصيرة بعين الاعتبار ولهذا القول بدليل الخاص من غير
استبدال بالنظر بين اخبار فورد استفت قلبك وان افتاك
المفتون احمد من حديث وابصة ويؤيده حديث دع ما يريبك الى ما لا
يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي
وحديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية
السعدي وحديث الاثم حواز القلوب البيهقي في شعب الايمان
من حديث ابن مسعود وهو بتشديد الزاي جمع حازة وهي الامور التي
تحز فيها اي تؤثر كما يؤثر الحز والحك في الشيء وهو ما يخطر فيها من المعاصي
لفقد الطمانينة اليها ويروى بتشديد الواو اي يحوزها ويملكها ويغلب
عليها ويروى حزاز بزايين بين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد
في العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه
ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله ولان المقلد
وعا العلم عطف على فورد لانه في معنى التعليل والمعنى ان الذي يقبل
قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعا العلم اي ظرفه بمنزلة الرواية
فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية ومن هنا قال ابو حنيفة
وغيره لا يحل لاحد ان يقول بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا والشفقة
في التعليم اي من علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم فورد انا
لكم مثل الوالد لولده ابو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان من

من

حديث

حديث ابي هريرة وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم وفي قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكمل من الوالدين
منهم لكان قصده انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين
ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين
فان الولد سبب وجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق
ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة
الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد
الاخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك
واهلاك نعوذ بالله ثم ان حق ابنا الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على
المقاصد كلها كذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا
الا كذلك ان كان مقصدهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان
كان مقصدهم الدنيا فان العلما وابنا الاخرة مسافرون الى الله سبحانه
وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنوها وشهورها
منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار
سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق
في طريقه الاعلى ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذا لا يكون بين ابنا
الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا ينفك عن ضيق
التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب
قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله سبحانه
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومعزولون عن منصب
قوله عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه

كما

٢٢

فلا يضن بفتح الضاد وكسرها نفيا او نهيا اي فلا يبخل على احد بعلمه لان العلم لا يحل منعه فورد من كتم علما الجم بلجام من نار ابن ماجة وغيره من حديث ابي هريرة الا استثنا من قوله فلا يضن اي فلا يبخل بالعلم الا عن غير اهله والذي هو يريد ان يتوصل الى المال والجاه ونحوه فورد لا تطرحوا الدر في افواه الكلاب رواه ابن النجار عن انس ولفظه لا تطرحوا الدر في افواه الخنازير وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وقال ايضا لا تضيعوا الحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدوا في موضع الدا وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا فان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه وسئل بعض العلما عن شي فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جا من يفقه فكتمته فليلجمني وقوله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم فيه تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطا غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق شعر

فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

والتعريض اي لا التصريح بالمنع ايضا للهيبة وهو المامور به في المنع كما ورد في الحديث الماثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب في القول والفعل حال تقريره ولا يصرح ما امكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك

حجاب

حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جريج مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما عليه السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله اني قد جمعت معكم فقال عليه السلام او لم ارك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطي بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح له مع ما فيه من امالة النفوس الزكية والاذهان البهية الى استنباط المعاني الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة في العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه في الاصرار على القبيح فقد روي لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شي يطلب وقد قيل الانسان حريص على ما منع كما يشير اليه قوله تعالى حكاية ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين والاقتصار على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ابو داود من حديث عائشة بلفظ انزلوا الناس منازلهم وفي رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بما تعرفون ودعوا ما تنكرون البخاري موقوفا على علي ورفعه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابي نعيم ويقويه حديث ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفا وابن السني وابو نعيم في الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وفي رواية ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان

تتنة على بعضهم وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتي من
احاديث الا بما تحمله عقولهم وعن علي قال حدثوا الناس بما تعرفون
اتريدون ان يكذب الله ورسوله البخاري وفي رواية عنه ايها الناس
تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما تعرفون ودعوا ما
تنكرون الخطيب وفي رواية عنه واشار الى صدره ان هاهنا لعلوما
جمة لو وجدت لها حملة ولقد صدق فقلوب الابرار قبور الاسرار
وقطع الطمع اي عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو سكون النفس الى
منفعة مشكوكة فورد اي في ايات كثيرة قل لا اسألكم عليه اجرا تمامها ان
اجري الا على رب العالمين ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين
الورع على ما روي عن الحسن ونية العمل بنفسه والتعليم لغيره في التعلم
اي لا قصد المال والجاه واغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة وهذا
من حقوق تجب على المتعلم فورد من تعلم للمباهاة اي المفاخرة او المماراة
اي المجادلة او لصرف وجوه الناس اي اليه تعظيما وتكريما فهو في النار
ابن ماجة من حديث جابر باسناد صحيح ولفظه لا تعلموا العلم لتباهوا
به العلما ولتماروا به السفها ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل
ذلك فهو في النار وفي رواية لابن ماجة عن ابي هريرة بلفظ من تعلم
العلم ليباهي به العلما او يماري به السفها او تصرف وجوه الناس اليه
ادخله الله جهنم وفي رواية لابي داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبي به
قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفي رواية الترمذي
عن كعب ابن مالك بلفظ من تعلم العلم ليجاري به العلما او ليماري به
السفها او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه

بحيث

بحيث كاد ان يكون متواترا والانقطاع عن ساير الامور التي فيها نوع من النزاع
تشغل العلايق اي العوايق بتعلق الخلايق عن خدمة الخالق ويشير
اليه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع اليه او اعتمد عليه واقصد
الحضور لديه ولقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال
بعضهم العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك
فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر والتملق هو الافراط في التواضع
والتذلل فورد ليس من اخلاق المومن التملق الا في طلب العلم رواه الخطيب
والتسليم اي تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الرباني يربي المتعلم بصغار
العلم قبل كباره ولقوله الهلاك مريض لا يسلم اي امره للطبيب اي
فيما يحميه وفيما يحبيه والحضور للانتفاع اي ومن حق العلم حضور
القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع في مقام الكسب فورد اي في قوله
تعالى ان في ذلك اي فيما سبق من اول سورة ق او في القران لذكرى اي
تذكرة او منفعة وموعظة لمن كان له قلب اي حاضر وتمام الاية او القى
السمع وهو شهيد اي بجميع حواسه وترك الاستنكاف اي الانفة عن الطلب
او المطلوب منه فان العلم يوتى ولا ياتي لانه تكبر اي بغير حق وقد قال
تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا
كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا والقياس اي
ومن حق العلم ترك قياس المبتدي على المنتهي في كثرة الطاعة وقلة اجتناب
الشبهة لا يستبد الراي لاختيار المنتهي الحضور اي مع الله بالنوافل
اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض
فيترااي للناظر انه كسل وبطالة واهمال وغفلة وهيهات فذلك مرابطة

القلب في عين الشهود والحضور مع الرب واحالة البحر اي ولتغيره البحا
مادون الكوز شبه المنتهي بالبحر والمبتدي بالكوز فلا يقاس الملوك
بالحدادين ومن هنا قال بعض المشايخ من رآني في البداية صار صديقا
ومن رآني في النهاية صار زنديقا وتقديم الاهم اي من العلوم تعلما وتعليما
يبدا بفرض العين اي المتعين على كل احد وهو علم ما يجب من اعتقاد
اي اجمالا وتفصيلا تقليدا او تحقيقا كما بينه في شرح الفقه الاكبر تدقيقا
وفعل اي عمل من صلاة وصوم ونحوهما وترك اي من قتل نفسا وشرب
خمر وامثالهما ومحلهما كتب الفقه ظاهرا وهو ظاهر وباطنا كترك ارادة
المعصية ثم علم الاخرة اي معرفة تفاصيل احوالها ومواقفها واهوالها
او علم لا ينفع الا في الاخرة وامالها والمراد به علم التصوف وتحسين الاخلا
الباطنية وتزيين الاحوال السرية فهو المقرب اليه تعالى اي ظاهرا
وباطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من انواع
التقصير واصناف التكدير من الريا والسمعة والعجب والغرور
في التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف
فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما
فقد تحقق وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم
اخاف عليه من سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به والتسليم
لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم
بدعة وكبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد
يتحقق بساير العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيا وانشد

∴ وارض لمن غاب عنك غيبة ∴ فذاك ذنب عقابه فيه ∴

هذا

هذا ومجمل ما يجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد في مقام ه
الاستفادة ان تعلم ان لك الها عالما قادرا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا
احدا فردا صمدا لا شريك له ابدا ولا ضد له ولا ند ولا شبيه ليس
كمثله شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال
جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب
الافضال والانعام منزها عن الحدوث منفردا بالقدم خالقا لكل شيء
من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسا عن كل نقص وافة
لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا
يتضمنه الامكنة والجهات ولا يمر عليه الازمنة والساعات ولاجل له
الحوادث والعاهات وان محمدا عبده ورسوله وخليله ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من
الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امر الاخرة وغرايب شانه ويجب
علينا اعتقاد ما كان عليه السلف من ان الله سبحانه يرى في الاخرة لانه
موجود لكنه غير محدود وان القران كلام الله غير مخلوق ليس بحروف
منقطعة ولا اصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء
بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا ونعتقد ايضا ان لا يقع
في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره و
ارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر
وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره وهو
العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسال
عما يفعل وهم يسالون ويعتقد جميع ما ثبت بالسنة من امور الاخرة

كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والصراط
والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم اجمعين علي اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع
عليها قبل بنوع البدع وبدو الاهوا وقال الحجة علم الاخرة ينقسم الي
المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى
وليست اعني بها المعرفة الاعتقاد الذي تلقفه العامي رواية بل ذلك
نوع يقين من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة
باطنه عن الخبايث حتى ينتهي الي رتبة ايمان ابي بكر الصديق والله تعالى
التوفيق ومن اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والبيات ليجتنبها
اذ كيف تقوم الطاعات لا يعرف ماهي او كيف يفعلها مع وجود الملاهي
فيجب عليكم ان تحكم احكام الشرع من الاصل والفرع فربما انت مقيم
علي كفر وبدعة او علي غفلة مما يفسد عليك طهارتك او صلاتك
او يخرجهما عن كونهما علي وفق السنة ثم مدار هذا الشان ايضا علي
العبادات الباطنة التي هي من فروض الاعيان من التوكل والتفويض
والتسليم والرضا والقضا والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص
في النية ونحوها مما سيجي ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المعاصي الباطنة
من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الامل وخوف الفقر
والريا والكبر مما سياتي بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما
شانها ويكون منحوته بما زانها فان هذه المذكورات كلها قد نص الله سبحانه
علي الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه القديم وعلي لسان رسوله القويم
فقد قال تعالى فتوكلوا ان كنتم مومنين واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
واصبروا ان الله مع الصابرين وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له

الامام الغزالي

الدين

الدين ونحو ذلك من الايات كما نص علي الامر بالصوم والصلوات ثم لو انك
اقبلت علي العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزايدة والامر بها
من رب واحد في كتاب علي رسول واحد بل غفلت عنهما ولا عرفت
شيئا منهما وعلي الجملة فكل ما لا تومن من الهلاك مع جهله فطلب
علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما
وعملا اي فعلا وتركا ساغ ان يشرع في فروض الكفاية كالتفسير
اي وما يتعلق به من علم القراة واسباب النزول ومعرفة الناسخ
والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع
البعض وهو الذي يسمي اصول الفقه ويتناول السنة ايضا وما
يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو والاخبار اي الاحاديث
والاثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر احوالها والفقه
اي فروع الفقه واصوله غير متجاوز الي النوادر اي كما نقل عن السلف
الاكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدي او الجلالين ووسط
المدارك او المعالم ونهايته الدر المنثور في التفسير الماثور ومن
الحديث يكفيك ما في الصحيحين والتوسط منه نحو المشكوة وا
لنهاية تيسير الوصول الي جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ
السيوطي واما الاستغراق في علم واحد طلب الاستقصا فممنوع
فان العلم كثير والعمر قصير ولا مستغرق اي بكليته في فروض الكفاية
وهي كما قال الحجة كل علم لا يستغني عنه في قوام امور الدنيا كالطب
اذ هو ضروري في حاجة بقا الابدان وكالحساب فانه ضروري
في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال ولا يتعجب

بي

من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان اصول الصناعات
كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهي اخس الصنايع
فانه لو خلا بلد عن الحجامين تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم
انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدوا وارشد الي استعماله
واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت واغرب
من هذا ان صنعة الشرابادية ايضا من فروض الكفاية مشتغل عن
المقصود اي الذي هو الحضور بين يدي المعبود والاستغراق في لجة
بحر الشهود فقد قال الطحاوي حدثنا ابن ابي عمران قال حدثنا محمد
بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة يقول
قال محمد بن الحسن كنت اتي عند داود الطايي فاساله عن مسالة فان
وقع في قلبه انه مما احتاج اليه لامر ديني اجابني فيها وان وقع في
قلبي انها علي خلاف ذلك تبسم في وجهي وقال ان لنا شغلا والاقتصا
اي ومن حقوق علم المعاملة الاختصار علي الواقع اي من القضايا و
القريب منه اي من الواقع في البلايا في المناظرة اي بطريق المشاورة
فهو الماثور عن الجمهور فان قلت الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا
الا في مسالة وقعت او قريبة الوقوع غالبا واختيار الخلوة اي للمنا
ظرة لقربها الي جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الريا والعجب
لان في حضور الجمع ما يحرك دواعي الريا ويوجب الحرص علي نصرة
كل واحدة نفسه محقا كان او مبطلا وسبيل التشاور اي واختياره
لقوله عز وجل وامرهم شوري بينهم والحديث ما خاب من استشار و
التعاون لقوله تعالي وتعاونوا علي البر والتقوي فهو الماثور لا علي

بسبيل

سبيل المرا والخصومة والريا فيجيز الانتقال اي فيجوز انتقال خصمه
من معاونة ومشاورة عن دليل واشكال اي الي دليل اخر واشكال
اظهر بان اعتقد اولا انه دليل واشكال قبل المشورة والتعاون
فعلم بعدهما انه غير دليل واشكال فينتقل ولا يدعي علم مجهول
كما اذا قال احد المتناظرين هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو واضح
لما ذكره فيصر المعترض ويقول فيه معان سوي ما ذكرته وقد
عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمني ذكره ولا يبعد هذا المسكين ان قوله
اما كاذب ولا يعرف معني وانما يدعيه لتعجيز الخصم فهو فاسق
كذاب عصي الله سبحانه ويكون دعواه دعوي علم مجهول او قوله صدق
فقد فسق باخفا ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم واظهار
مثل ذلك واجب كما لا يخفي فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما
عدم لزوم الذكر وهو قد وجب عليه وهذا معني قوله ولا يسكت
عن معلوم زاعما اي مدعيا انه عالم بعد اي بعد سوال المناظر
لزوم الذكر كما هو شان المناظرين اذا قاس المستدل علي اصل بعلة
يظنها فيقال له ما الدليل علي ان الحكم في الدليل معلل بهذه
العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو واضح واولي فاذكره
الي اخر ما سبق فهي اي المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعا
والسكوت قواعد محدثة اي اصطلاح مبتدعة مستقبحة جاذبة
الي المهلكات من الحسد والتكبر وكتمان الحق واذي المسلم وغير ذلك
يحرم التمسك بها اي ويجب العمل بخلافها ويشكر اي المناظر المصيب
ويعترف بالخطا فعن محمد بن كعب قال سال رجل عليا عن مسئلة

فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال علي اصبت
واخطأت وفوق كل ذي علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبد البر
وقد ثبت ان امراة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو
وعظيته على ملأ من الناس فقال اصابت امراة واخطأ رجل
واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى
الاشعري لا تسئلوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل
ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان
اما ذاك امير الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعده على الامير فلعله لم
يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب وقال ابن مسعود وانا اقول
ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا
يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الاقل فقيه لانكره واستنكفه
وقال لا يحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك معلوم لكن احد
فانظر الى مناظري زماننا اليوم كيف تسود وجه احدهم
اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاهدته
باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه
نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر في الحق ولا يهتم به اي جبرا
به الخطأ لان هذا شان الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران واذا
اخطأ فله اجر فلا يخلو عن الخير بالكلية فهو المأثور اي المنقول
عن الجمهور فقيل ولا يقدر على هذه الثلاثة الا العالم الرباني والولي الصالح
ولانه دليل آخر لعدم الاهتمام اي ولان المناظر اذا كان طالبا للحق
منشد ضالته فلا فرق بين ظهورها منه ومن غيره كما يشير اليه قوله

عليه

عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق
بها اخرجه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا وتقديم اي المناظر قبل البحث
الجام النفس اي اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها
امارة بالسوء والشيطان وكذا الجام الشيطان لشدة معاداته
قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال عليه السلام
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ومن لا يناظر الشيطان
وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له فلا يزال يدعوه الى الهلاك
ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم
للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين في حزب
الرحمن والله المستعان وهذا وقد ورد من ترك المراء وهو محق مبطل
بنى الله بيتا في الجنة الترمذي وحسنه من حديث انس والتمسك حديث
عطف على اختيار الخلوة اي والاعتصام في الاصول الاعتقاديات
بالكتاب اذا كان مقطوع الدلالة والسنة اي المتواترة مبنى ومعنى
والاجماع اي اجماع الامة واتفاق الائمة والاعراض عن اعتراض خاطر
او ناظر ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض في خاطره او في قول مناظره
اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلاثة المذكورة لاعتصامها
عن الهوى اي هوى النفس والوسوسة اي وسوسة الشيطان دون
غيرها اي بخلاف ما عداها من المقايسات العقلية ونحوها وتاييد
الاعتقاد اي تقويته وتاكيده بالمعاملة والمعنى انه اذا علم واعتقد
شيئا واجبا او سنة او مندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد
بالعمل به وكذا اذا اعتقد منها حراما ومكروها فمن حقه ان يؤيد

اعتقاده ذلك بالترك اي تاييده بها طريق المكاشفة الى الموصل
الى علم المكاشفة والمشاهدة ثم اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق
التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له ابواب الهداية وما يوصله
الى المقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وادلة
القران اى وتاييده بادلة القران خصوصا فانها قطعية لا محالة
ويرجع الاجماع والسنة اليهما فيهما اى بالادلة القرانية كاتى
الى السلف اى يوجد بعد بيانه اى بيان القران وقد قال تعالى
هذا بيان للناس وقال هذا بلاغ للناس اى كفاية لهم فى امر
دينهم ودنياهم واخرتهم وفى الحديث من لم يتغن بالقران فليس منا
اي من لم يستغن عن غيره ويؤيده قوله تعالى اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يؤمنون وصحبة الصالحين اي وتاييدا لاعتقاد بصحبة
الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح ما لم ينكشف
لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين واصغا الوعظ اى وتاييده باستماع
الوعظ اللين اى المؤثر للقلوب اما من الوعاظ او من كتب
الصوفية وترك مجادلة الكلام اى وتاييده بترك مجادلة
علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكما الخارجين عن دايرة
الاسلام فهو صنعة جدل بفتح فكسر اى مجادل وبفتحتين فاد

المجادلة

المجادلة من اثر يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة
اصابة الخصم وارادة خطايه واظهار فضل النفس وهو موضوع
لتحيير العامى الذى يضر بصيغة المجهول ضرره اى يضر الجدل
مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة
بانه يقع فى خاطره ان العلما لما يترددون فى المسئلة كيف
لعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله لتشويشه الحق
ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم فهذا ضرره
بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه
بقوله وتوكيده عطف على لتحييره اى فهو صنعة جدل
لتاكيده الباطل بتاييد الاصرار اى بتقوية الاستمرار على المجادلة
فى الايات والاخبار للتعنت الجدلى اى لطلب ذلة من يجادل
معه ومشقته وحمل الافحام اى ويحمل الالتزام على فطور الطبع
وذلك لان المماراة تصير عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما
الا ويبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على
قلبه فى ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض
ولذا ذم الجدل فقال ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون كما للترمذي
وابن ماجة من حديث ابى امامة قال الترمذي حديث حسن صحيح
وقال عز وجل وكان الانسان اكثر شىء جدلا وفى الحديث فى معنى قوله
تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون الا بتهم اهل الجدل
الذى عنى الله بقوله تعالى فاحذروهم متفق عليه من حديث عايشة
وقال بعض السلف يكون فى اخر الزمان قوم يغلق عنهم باب

العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم
فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقي لم
اجد له اصلا وفي الخبر ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق
عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد
الخصام ومن هنا قيل اعتقاد العامي الذي لم يشتغل بالكلام راسخ
قوي في احكام الاسلام واعتقاد الجدلي الخارج اعتقاده بتقسيمات
الجدل كخيط مرسل في الهوا بل الهبا تفيئه الرياح المختلفة في الصحرا
كما في الاحيا ومن ثمة يكتب بالتا لئلا تشتبه بثم ثم تقرا بفتح المثلثة
من غير تا وصلا وها وقفا وخلاف ذلك عد من غلط العامة كذا
في غاية التحقيق ومن اجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك تزعزع
اي تزلزل عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر اي بالادلة النظرية
العقلية فقط دون العامي المتقي اي المعتمد على الادلة النقلية
والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين
من الايمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من ادلة القران
وربما يرد عليه من شواهد الحديث في ميدان التبيان وبما يسري
اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين الاستثنا من قوله
لتحيير العامي الذي يضره اي الا في عامي اعتقد بدعة مسموعة
اي من جماعة مبتدعة فالجدل حتى لا يفيد سواه والغالب انه
لا يفيده بل لا يزيده الا ضلالا وتبابا كما يشير اليه قوله تعالى وننزل
من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

قال

فان القران كالنيل ما للمحبوبين ودما للمحجوبين كما يومي اليه
قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لمن عمى اي من اجل
انه يرجى ان يفيد في الجملة اولا فلاقامة الحجة صار اي علم المناظرة
مباحا عند بعضهم بل من فروض الكفاية اي عند بعض ارباب
الدراية في زمان البدع اي ظهور انواع البدعة صونا للعقاير
اي عن تزلزلها في القواعد وهو انما يكون مباحا وفرض كفاية
على الذكي اي الفطن الفصيح اي القادر على التقرير والتحرير المتدين
المتجرد له اي لتحصيله في هذا الفن ليقدر على الفهم اي اولا والتقرير
اي التفهيم ثانيا والثبات على الحق اي ثالثا والاستكمال لازالة
الشبهة دون العامة اي لا يباح لعامة الناس ان يخوضوا في هذا
البحر العظيم فان فيه من الخطر الجسيم والمراد بالعامي هنا من لم
يستحكم متابعته بالكتاب والسنة واجماع الامة وساير الادلة
العقلية والحجج النقلية لانه اي علم النظر دوا فيحتاج اليه
عند الحاجة كالادوية والعامي ليس له معرفة بكيفية استعمال
هذا الدوا فلا احتياج اليه بل استعماله وبال عليه بخلاف ما سبق
اي من الادلة الثلاثة التي هي الكتاب والسنة واجماع الامة فهو
غذا اي فانها كالغذا للبدن فلا بد للعامي منها فقد قال
فتح الموصلي اليس المريض اذا امتنع الطعام والشراب والدوا يموت
فقالوا بلى فقال فكذا القلب اذا امتنع عنه الحكمة والعلم ثلاثة
ايام يموت واما دقايق المعتقدات وحقايق المختلفات
فيستغني عنه العامي حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله م

قديم وانه مرئي وانه ليس بعلة للحوادث الى غير ذلك فقد مات على
الاسلام اجماعا بكلام واضح اى هو من فروض الكفاية على الذكي الفصيح
بكلام ظاهر سديد اي مسدد باهر قريب من الشرع ليفرج اي
ذلك الكلام من الفهم ايما الذي يقتضيه الطبع و يبعد عن ورود
الشبهة والهوى اى هوا النفس وهوى البدعة والوسوسة
اى الناشية من النفس و الشيطان دون التعمق للمشوش اي
ولا يباح لمن ينظر في علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه
ما يعينه والتجاوز اى دون التعدي الى هذيانات اي و نزهات
تؤذي بها الطبايع ويمجها الاسماع اخترعها المبتدعة اى من
الخوارج والرافض والمعتزلة ثم اعلم ان المهم في هذا المقام تنقيح
حجة الاسلام في باخذ علم الكلام واقتفاه في تفاصيل ما ذكره من
المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف العظام اتفقوا على ان
علم الكلام من العلوم المذمومة ولو مما تنتصب فيه الادلة
العقلية وتنقل فيه اقوال الفلاسفة والحكما الطبيعية والا
فعلم العقايد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم
الدينية لانه تبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتمة
اللازمة لديه فعن الشافعي لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا
الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام وذكر في غياث
المفتي عن ابي يوسف انه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق
لانه مبتدع ولا يجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال
على سبيل الحق حتى روي عن ابي يوسف انه قال كنا جلوسا عند

ابي

ابي حنيفة اذ دخل جماعة في ايديهم رجلان فقالوا ان احد هذين
يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق فقال لا
تصلوا خلفهما فقلت اما الاول فنعم فانه لا يقول بقدم القرآن
واما الآخر فما باله لا يصلى خلفه فقال انهما يتنازعان في الدين
والمنازعة في الدين بدعة كذا في مفتاح السعادة ومن جملة
العلوم المذمومة علم المنطق الذي هو المسمى بدهليز الكفر
فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة مستقلة
في تحريمه ونقل عن الايمة الاربعة ما يدل على تشنيعه ومن جملتها
علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم
ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ابن مردوية والدار
قطني عن ابن عمر رب معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس له
عند الله خلاق يوم القيامة الطبراني عن ابن عباس من اقتبس علما
من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد احمد وابو داود
وابن ماجة عن ابن عباس مثل الناظر في النجوم كالناظر في عين
الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره الديلمي عن ابي هريرة في
وعن الربيع ابن سبره الجهني قال لما غزا الغزو واراد الخروج الى الشام
خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر في الدبران فاردت
ان اذكر ذلك له فعرفت انه يكره ذكر النجوم فقلت له يا ابا حفص
انظر الى القمر ما احسن استواءه الليلة فنظر فاذا هو في الدبران فقال

قد عرفت ما نريد بن بسره تقول ان القمر في الدبران والله ما اخرج
بشمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر وعن عبد
الله بن عوف الاحمر اني مسافر وعن عبد الله بن عوف الاحمر قال لعلي
ابن ابي طالب حين انصرف من الانبار الى اهل النهروان يا امير
المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين
من النهار فقال علي ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة
اصابك انت واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة
التي امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال علي ما كان لمحمد
صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي
هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول
كذب القران قال الله تعالى ان الله علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام الاية ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعي ما
ادعيت علمه تزعم انك تهدى الى علم الساعة التي يصيب السوء
من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن
الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك ان يولي الحمد لك
الامر دون الله ربه لانك انت تزعم هدايتك الى الساعة التي ينجوا
من السوء من سافر فيها فمن امن بهذا القول لم امن عليه ان يكون كمن
اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك
ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي
تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم
هذه النجوم الا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر انما المنجم

كالكافر

كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل
بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطا ما كان
لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فاتى اهل النهروان
فقتلهم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها فظفرنا وظهرنا
لقال قائل سار في الساعة التي امر بها المنجم ما كان لمحمد صلى
الله عليه وسلم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر
وساير البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ما سواه
الحارث والخطيب وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي لا
تجالس اصحاب النجوم الخرايطي في مساوي الاخلاق والديلمي ومنها علم
الرمل والفال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص
في القران انه من الحرام وعن معاوية ابن الحكم مرفوعا كان نبيا
من الانبيا يخط فمن وافق خطه فذاك احمد ومسلم وابو داود ومنها
علم النسب والتقول في الصرف والنحو ونحوهما فعن ابي هريرة مرفوعا
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من
العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا البيهقي وعن ابي هريرة
مرفوعا علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ابن عبد البر وعن
ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال تعالى وقرونا بين ذلك
كثيرا ابن سعد وابن عساكر وفي رواية الديلمي عن عطا عن ابن عباس
وابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فراى جمعا
من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله رجل علامة قال
وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما

اختلف فيه العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا علم لا ينفع وجهالة
لا تضر الديلمي ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات كالكيميا
والسيميا واما المباح فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ
الاخبار وما يجري مجراه ومنها الشطحيات وهي الدعاوي الطويلة
العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة
حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد من العينية والحلول وغيرهما من
انواع الالحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالروية والمشافهة
بالخطاب فيقولون لنا قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين
ابن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون
بقوله انا الحق وبما حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني وهذا فن
من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة
فلاحتهم واظهروا امثال هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع
اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال
فلا يعجز الاغبيا عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات
مخبطة من حرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار
مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث
لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار
في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله
افضل في دين الله من احيا عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح
عنه ما حكي وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل
في كلام يردده في نفسه   كما لو سمع وهو يقول انني انا الله

بياض بالاصل

لااله

لا اله الا انا فاعبدني فانه كان ينبغي ان يفهم ذلك منه الا على
سبيل الحكاية كذا في الاحيا ومنها قراة كتاب الفصوص المخالف
المنصوص فانه مشتمل على انواع من كفريات صريحة التي ليس لها
تاويلات صحيحة وقد قال ابن المقري في الارشاد ان طايفة
ابن عربي شر من اليهود والنصارى وقد عملت في هذه المسالة
رسالة مستقلة وقد حرم بعض فقهاينا مطالعة تفسير الكشاف
لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغي الاحتراز عن مواضع في البيضاوي
تبع فيه مذاهب الحكما فالله سبحانه وتعالى اعلم بحقايق الاشيا
ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة
الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية
في التاويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا
صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب
الشرع من غير ضرورة تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك
بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى
وكلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم
لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله
على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيمة الضرر
وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مايلة الى الغريب
ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة
بتاويل ظاهرها وتنزيلها على رايهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم
في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال

تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب
الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو
الطاغي على كل انسان وفي قوله وان الق عصاك اي كل ما يتوكل
عليه وما يعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه
السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار
وامثال ذلك حتى يحرفوا القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن
تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلما وبعض هذه التاويلات
يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص
محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابي جهل
وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملايكة
مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك
حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول
الطعام في السحر كما في البخاري ويقول تسحروا وهلموا الى الغذا
المبارك كما رواه ابو داود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر
والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها
الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد الدين على الخلق ولم
ينقل شي من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن
البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله
عليه السلام في الترمذي وسننه من فسر القران برايه فليتبوا
مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه
ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القران عليه ويحمله

عليه

عليه من غير ان يشهد للتنزيل عليه دلالة لفظية ونقلية
او لغوية ولا ينبغي ان يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر القران
بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل عن الصحابة والتابعين
خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعا ان جميعها
غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية
لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر
ولذا قال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
كما رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ومن يستجيز
من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانه غير مراده
بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي
من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة
يرى انها حق حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك
ظلم وضلالة ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام
في الصحيحين من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار بل
الشر في تاويلات هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة
بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية
واما اذا اورده الالفاظ والمباني على مراد الشرع من المعاني
بحسب العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرايرها
بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وفي الفروع عطف على

في الاصول اي من حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى بالفقه بالمجمع عليه اي ان وجد اجماعا او بالمتفق عليه بين الاربعة مثل تعجيل صلاة المغرب ثم الاحوط كمسح كل الراس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره او لمس امراة يتوضا واذا كان شافعيا لا يتوضا من القلتين واذا رعف او افتصد ونحوه يتوضا وهذه الطريقة السنية الصوفية حتى قيل ان هذا مذهب خامس في القواعد الفقهية ثم الاوثق اي اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالاقوى دليلا كالاسفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الادلة بيننا وبين المخالفين معنا في شرح النقاية والله ولي الهداية في البداية والنهاية ثم قول من ظن اي اذا لم يكن مجتهدا ولم يظهر له دليل ولا بد له ان يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه انه افضل وفي مقام الفقه اكمل لان نفسه حينئذ ينقاد الى قوله ويخضع لرايه ويتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن حجر في نسخة اصله قوله والعاقبة اكيد وهذه زيادة فايدة ان صحت لها منفعة عما بعده ثم قال كل من ابي حنيفة ومالك والشافعي امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون فيه اتباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي وكالمغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وما ورا النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى ولا يخفى ان المغرب مختص بالامام مالك واما ما ذكر من اقليم الحجاز

وما

وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في النجد ونواحيه وكذا في البصرة وبغداد والحسا ونواحيها واما شمس علم ابي حنيفة فقد اشرق على الشرق وغلب على فرق اكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام مما يكون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك والشافعي واظن ان الحنفية تكون ثلثي اهل الاسلام كما يكون المومنون ثلثي اهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة اصل معتبر عند العلما الاعلام كما يشير اليه ما روي عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم كابي حنيفة عندنا معشر الحنفية وكغيره من الايمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طايفة مذهبهم نورداي من طريق لكنها كلها واهية ابو حنيفة سراج امتي موضوع كما قال الصغاني وغيره بل قال السيوطي وما يورده في ذكر ابي حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لا اصل له نعم اخرج الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابنا فارس قال السيوطي هذا اصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بابي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة ام لا كما بينته في شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال به على عظم شان ابي حنيفة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة

خمسين ومائة ومن ثمه قال شمس الائمة الكردري ان هذا الحديث
محمول على ابي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي
في الخيرات الحسان في مناقب ابي حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه
ثابت ذهب الى علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وهو صغير
فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته وسمع بصيغة المجهول والمعلوم
في المنام انه عليه السلام قال بعد ما قيل له اين اطلبك يا رسول
الله انا عند علم ابي حنيفة وفي شرح بن حجر وسمع في المنام الباري
تعالى يقول انا عند علم ابي حنيفة اي بالحفظ والقبول وانزال
البركة فيه وفي الاخرين وسلم المخالفون كمالك والشافعي وغيرهما
سبقه في الفقه اي غلبته في هذا الفن اصولا وفروعا فقد قال
الشافعي قيل لمالك هل رايت ابا حنيفة قال نعم رايت رجلا
لو كلمك في هذه السارية اي يجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا
من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة
في بلاغة الامام وبيان المرام في جميع المقام وقال الشافعي الخلق
كلهم عيال لابي حنيفة في الفقه وفي رواية عنه من اراد ان يتبحر في الفقه
فهو عيال على ابي حنيفة وقال ايضا من اراد ان يعرف الفقه فليلزم هم
ابا حنيفة واصحابه ذكره بن حجر وذكر الامام
الاسفرايني باسناده الى علي ابن المديني وهو من اساتذة البخاري
وهو الذي طعن في حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول فقال
معمر ما اعرف احدا بعد الحسن اي البصري يتكلم في الفقه احسن معرفة من
ابي حنيفة ومجمل الكلام في مرام هذا المقام ان تقليد الافضل

احدا

افضل

افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم في الاستنباط
اولى واتم فالامام الاعظم والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه افضل
زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه اذا قدم
برهانا واتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفروعا
فانه صور المسائل واجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها وبين
ما يتفرع عليها فهو الذي اخذ الناس عنه المآخذ وعض عليها بالنواجذ
وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغي ان لا يعتقد
ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم مخطئون جزما فان المجتهد
يخطئ ويصيب والحق عند الله واحد على ما ذكره المصنف وشرح البزدوي
ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا
عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع يجب بان مذهبنا صواب
يحتمل الخطا ومذهب مخالفنا خطا يحتمل الصواب على ما في جواهر
الفقه وغيره وهذا لا ينافي قولنا الاجمالي ان مذاهب الاربعة
حق لاتفاقهم على ماخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم
يجب ان يجيب بما قدمنا فليس في محله انه لم يظهر دليل وجوبه نعم
ينبغي ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم في الاصول يقول نحن على
الحق ومخالفنا على الباطل المعتزلة واشباههم من اهل البدعة
لمنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة وكان يقوم كل الليل بعد ان كان
يحيي نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي الليل
كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله وقال انا استحيي من ان اوصف
بعبادة ليست في يعني احترازا من دخوله في قوله تعالى يحبون ان

يجهدوا بما لم يفعلوا وسمع هاتفا في المنام كما قال ابن حجر او بين النوم
واليقظة كالمنام في الكعبة اي بعد ان ختم القران في ركعتين ايا ابا
حنيفة اخلصت خدمتي واحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك
الى قيام الساعة ذكر في اخر خزانة المفتيين انه حكي ان ابا حنيفة
لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى
حتى قرا نصف القران وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد
وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على
ظهر رجله اليسرى حتى ختم القران فلما سلم بكى وناجى وقال الهي ما عبدك
هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه
نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت
واخلصت المعرفة خدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك
وعلى مذهبك الى قيام الساعة انتهى ولا يخفى ان الصلاة على قدم
واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان يتبين ان هذه المسئلة
والكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبني على التوسعة
والموضيعف لعموم قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وقوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولذا
قيل من تبع عالما لقي الله سالما وتلمذ له كبار من المشايخ مثل ابراهيم وفضيل
ابن عياض وداود الطائي وابن المبارك والليث ابن سعد والامام
مالك على ما ذكره ابن حجر ونحوهم لكن لا يخفى ان تلمذ مالك بابي حنيفة
ظاهر ثم نعم قد يكون لكل منهما اخذ عن صاحبهما والله اعلم بحقيقة منصبهما
واما مشايخه فذكر الكردري ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد ابن علي بن حسين

ابن علي

ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وسمي محمد الباقر لتبقره في العلوم
تبحر وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد ابن اسلم مولى
امير المؤمنين عمر ابن الخطاب وكذا شعبة الراي شيخ الامام مالك
وكذا شعبة ابن الحجاج الذي يقال له امير المؤمنين في الحديث ومنهم
الامام الاوزاعي امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثوري
احدهما يقود حماره والاخر يسوقه ومنهم عطا ابن ابي رباح المكي كان
جعد الشعر اسود افطس اشل اعور ثم عمي بعد ذلك قال ابو حنيفة
ما رايت افقه من حماد ولا اجمع من عطا ومنهم ابو بكر بن عاصم ابن ابي النجود
بفتح النون وضم الجيم الامام في القران ابي جليل القدر ومنهم عامر
ابن شراحيل الشعبي قال ادركت خمسماية من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وكان يحب هذا البيت ليست الاحلام في حال النهى انما الاحلام
في حال الغضب قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام الصبر عند
الصدمة الاولى وفي الجملة بلغ عدد مشايخه اثنا اربعة الاف واما
اصحابه فلا يعد ولا يحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم هذا المعنى
حنيفنا المبنى ٭ مذهب النعمان خير المذاهب كالقمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى فمشربه لا شك خير المشارب ثلاثة الاف
والف شيوخه واصحابه مثل النجوم الثواقب وتحمل التقلد القضا
بان يكون قاضي قضاة جميع الدنيا وكذا التولية مما تنتج خرابة
بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ما تحمل اي من الضرب والحبس والشتم
ايثارا العذاب الدنيا على عقاب الاخرى الحقيقي من كمال التقوى وعن
الامام احمد انه ذكر ابا حنيفة فقال كان زاهدا ورعا ضرب على القضا

احدى وعشرين سوطا وعن بن مزاحم بذلت لهم الدنيا بحذافيرها وضرب
عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها ولا كثيرها وما خالط الظلمة اي
باختياره وما قبل منهم شيا لكمال اقتداره فعن النضر محمد المرفي لقيته
ببغداد وانا اريد الكوفة فقال قل لابي حماد قوتي في الشهر درهمان من
سويق وقد حبسته عني فعجله لي وكان في ذلك اليوم حبسه المنصور
للقضا ببغداد وروي ان المنصور كان يريد ان يقرب الامام فيقول الامام
لا لانك ان قربتني فتنتني وان ابعدتني اخزيتني وليس عندك ما ارجوه
له وليس عندي ما اخافك عليه وان الذي لي اغناك فلن اغشاك فيم يغشيان
ومثله ذكر عن الامام محمد ابن الحسن انه قال لعيسى ابن موسى والي الكوفة
وزاد في اخره مما انشا قائلا لكسرة خبز وقعب ماء وفرد ثوب مع السلامة
خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة ثم ما ذكرنا من افعال المنصور
بالامام فعل يزيد بن هبيرة والي الكوفة مثله ايضا في زمان المراونة
كما رواه العسكري وغيره عن يحيي ابن اكثم عن ابي داود بن هبيرة اراد ان يولي
الامام قضا الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضرب بالسياط
على راسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا يلي منه فقيل له انه حلف على
ان يضربك فقال ضربه في الدنيا اهون من معالجة مقامعة الحديد في العقبى
والله لا افعل ولو قتلني فقيل له انه حلف لا يخليك وانه يريد بنا فمر تود
له عدا للبيت فقال لو سالني ان اعد له ابواب المسجد ما فعلت فذكر للامير
فقال الابلغ قدره ان يعارضني في اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم
يقبل يضرب على راسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدي الله
تعالى فانه اذل من مقامي هذا ولا تهددني فاني اقول لا اله الا الله محمد رسول

الله

رسول الله والله يسالك عني حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاوما ان
امسك وبات في السجن واصبح وقد انتفخ وجهه وراسه من الضرب
وعن ابن المبارك ان الرجال في الاسم سوا حتى يقع في البلوى فقد ضرب
ابو حنيفة على راسه في السجن حتى يدخل في الحكام فصبر على الذل
والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه وعن ابي عبد الله بن حفص
الكبير البخاري ان الفتنة لما ظهر بخراسان دعا ابن هبيرة العلما كابن
ابي ليلا وابن شبرمة وداود ابن هند وولى كل واحد منهم شيا من عمله
وعرض على ابي حنيفة ان يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا الا من تحت امره
فابى فحلف الامير انه لم يله يضربه في كل جمعة سبعة اسواط فقال
الفقها لابي حنيفة انا اخوانك ننا شدك على ان تهلك نفسك
وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو اراد مني ان اعد ابواب
مسجد واسط لم اعد له فكيف وهو يريد مني ان يكتب بحز دم رجل واختم
له والله لا ادخل في ذلك فقال ابن ابي ليلى دعوه فانه مصيب فحبسه
الشرطي جمعتين وضربه اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال
الا ناصح لهذا ان يستمهلني فاستمهله وقال استشار اخواني فخلاه فهرب
الى مكة في سنة ماية وثلاثين الى ان صارت الخلافة للعباسية فاقام
بها فقدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وامر له بجايزة عشرة الف
درهم وجارية فلم يقبلهما وروي انه كان يتمثل كثيرا عطا ذي العرش
خير من عطايكم وسيبه واسع يرجى وينتظر انتم تكدرها تعطون منتكم
والله يعطي فلا من ولا كدر وروي انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور
بعشرة الاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولا يمكنه ردها اوصى ابنه

حمادا انه اذا مات ود في يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك
لقد كان شحيحا على دينه وما اشتغل بالدعوة اي بدعوة الناس الى مذهبه
الا بالاشارة النبوية في المنام الى ليدعوهم الى مذهبه بعدما قصد
الانزواء اي الاستخفاء عن الانام وحكاية رويا الامام مشهورة بانه
ينبش قبره عليه السلام ويولف العظام الكرام بوضع بعضها في
موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين المنام
ان صاحبها رجل يحيي الله سنن الاسلام مما امتنت فيما بين الانام
والاطراف فقوله مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين
العظام فجمعها الامام ورتبها اصولا وفروعا ليتيمن بها الاحكام
على وجه الاحكام وما استظل بحايط المديون حين اتاه متقاضيا
اي طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رايته يوما بفناء دار غريم
له قد قاصر في الشمس فانكرت فقال لي علما لكرما الا خاف ان اجلس
في ظله ومثله عن يحيى بن زايده الا انه قال حلفته بالله العظيم
عن مانع الاستظلال فقال اخاف ان يكون قرضا جر منفعة فاك
وما اراه على الناس لكن على العالم ان ياخذ بعمله اكثر مما يدعوا اليه
والمعنى انه ينبغي له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه
قوله عليه السلام استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب
شمس الايمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال انه من التكلف لا من التزهد
انتهى وهذا جراة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه ومما يرد عليه ما ذكر
في صفات الصالحين ان امراة سالت الامام احمد ان شموع ال طاهر
تعبر من محلتنا ونغزل في ضوئه ونحوه على السطوح طاقة او طاقتين

فهل يحل لنا نحو ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت قالت اخت
بشر الحافي فقال لما ذا الا هذا الورع الصافي يخرج من البشر فعلم بهذا
ان دقايق الورع مما لا نهاية لها ولا غاية فلا يقاس الملوك
بالحدادين وتصدق بجميع ثمن الثوب وكيله اليه لما خلط ثمن ثوب
معيب بيع مخفيا كان حفص ابن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى التجارة
وقال له في ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فغضب وتصدق جميعه
وفاسخه الشركة قال المرغيناني وكان الربح خمسة وثلاثين الف
درهم وعن ابن المبيح انه قال الامام ما ملكت اكثر من اربعة الاف
درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكتها لقول
علي رضي الله عنه اربعة الاف درهم او ما دونها نفقة ولولا اني اخاف
ان الجى الى هولاء ما تركت واحدا منها وترك لحم الغنم اي اكله لما فقدت
شاة في الكوفة فعن ابن المبارك وقعت اغنام من الغارة في الكوفة
فسال عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين فما اكل اللحم سبع سنين
وهذه المذكورات بعض مناقبه ونذره يسيره من جملة مراتبه
منضمة الى مناقب اي كثيرة تعسر تعدادها اي قصدا استيفاء ايرادها
وقد خصصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجليلة وذيلته
بطبقات اتباعه الحنيفة وسميته بالاثمار الجنية في الاسماء الحنفية
واقتصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمصنف اختصارا وقد اوردت
مناقب في شرح المشكوة استكثارا
اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين والماء
المرشح المعد المهيا للورود ومنه قوله سبحانه بئس الورد المورود

ويسمى كل قول وفعل ياتي به الانسان في وقت معين على وجه مبين وردا
وهو المراد هنا واما حديث صاحب الورد ملعون فباطل لا اصل له ورد
اى في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفوني
فيعبدوني او ليعبدوني فيعرفوني كما هو شان المراد والمريد في مسالك
المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك وهي اي العبادة الماخوذة
من يعبدون انواع اي اصناف ستة منها الصلاة وهي افضلها واكملها
واشملها واجلها فورد ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد اي
الايمان بالله ورسوله احب اليه من الصلاة كذا في الاحيا مع زيادة
ولو كان شي احب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم
ساجد وقائم وقاعد وقال العراقي لم اجده هكذا واخر الحديث عند
الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث ابي الدردا باسناد فيه
مقال ذكره العراقي وفي رواية الطبراني عن ابن عباس من ترك صلاة
لقي الله وهو عليه غضبان وفي الاوسط عن انس من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر جهارا اي قارب الكفر لان المعاصي بريد يقال دخل
البلدة لمن قاربها فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف
خلافا للخوارج ومن تبعهم في حمله على الكفر
الحقيقي او معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه او عمل عمل الكفرة
او كفر عاقبة امره او محمول على مستحل الترك او منكر فرضيته وفي
رواية احمد والبيهقي من حديث ام ايمن ورجال اسناده ثقات من
ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم

وفي

وفي رواية الطبراني في الاوسط من حديث انس اول ما يحاسب به العبد
الصلاة فان فسدت فسد ساير عمله والاحاديث في هذا الباب
كثيرة شهيرة وناهيك في شرفها قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وحقها اي حق الصلاة اللايق بها ان يطهر الظاهر اي ظاهره
عن الحدث اي النجس الحكمي من الاصغر والاكبر بدنا والنجس اي الحقيقي
المسمى بالخبث بدنا وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسرة
المتنجس والجوارح عن الجرائم اي واعضايه عن اكتساب الاعمال الظاهرة
الذميمة والقلب عن الذميمة اي الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال
الواردة الردية والسر الذي لا يطلع عليه الا الله عما سواه اي يطهره
عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره في جنب تجلي نوره والغاية
القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة
الله بالحقيقة في السر ما لم تخل عما سوى الله تعالى عنه ولذا قال
عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في
قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب
فالغاية القصوى عمارته بالعقايد السنية وبالشمايل البهية
المرضية ولم يتصف بها ما لم ينتظف عن نقايضها من العقايد
الفاسدة والاخلاق الكاسدة فتطهيرهما احد الشطرين وهو الشطر
الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا
المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهي والملاهي احد الشطرين وعمارتها
بالطاعات الشطر الثاني وخلاصته ان التخلية نصف الايمان
والتحلية نصفه لا يقال بما كمال العرفان فمقدمة من مقامات الايمان

ولكل مقام طبقة من طبقاته والانفاق ولن ينال العبد الطبقة العالية
الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات
المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك ما لم يفرغ
من طهارة الظواهر عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هى وكلما
عز المطلوب وتشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه
وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر تدرك بالمنى وينال
بالهوينا قال الله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب الاية هذا
اي المذكور من الطهارة فى كل رتبة نصف اى نصف حق عمل الصلاة
والاخر اي النصف الثانى هو العمارة بالطاعة اى عمارة الجوارح
والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراة والركوع والسجود
والقعود وساير الاحوال المؤتلفة فورد الطهور بفتح الطا
وضمها بمعنى المصدر او ما يطهر به نصف الايمان احمد ومسلم
والترمذى عن ابى مالك الاشعرى فى حديث طويل والمعنى ان الايمان
تطهر نجاسة الباطن والطهور تطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية
وقيل المراد بالايمان الصلاة كما قال تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها وبعضها
فانه اقوى شرطها والاصل اى فى التطهر الذى عليه مدار العمل
طهارة الباطن لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله لا ينظر الى
صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم ثم اى الصحابة
كانوا يبالغون فيهما اى فى طهارة الباطن ويتساهلون فى الظاهر

بذ

اي بينما يحرث فى الطهارة الظاهرة حتى كانوا احيانا يمشون حفاة
اى بلا نعل فى الطين اى طين الازقة ويجلسون عليها ويأكلون من دقيق
البر وهو يداس بالدواب ويبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيل
والحمير مع كثرة تمرغها فى النجاسات وقد انتهت النوبة الان الى
طايفة يعنى احدهم فى الطهارة الظاهر ويستقصى فى مجاريها ويستوعب
جميع اوقاته فى الاستنجا وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب
المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وجهل العقل
ان الطهارة المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة
الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم
فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة
نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة
بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان ونحوه من
المنخول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة
فى الاستنجا ويصلون معه اى من غير غسله وصلى عليه السلام
متنعلا اى لابسا نعله اى مرة فاخبر اى اخبره جبريل عليه السلام
بتلطخ اى باصابة نجاسة فنزع اى نعله بعمل قليل واتم اى صلاته
من غير استئناف ولا اعادة والحديث رواه ابو داود والحاكم وصححه
من حديث ابى سعيد الخدرى وقد قال بعضهم الصلاة فى النعلين
افضل اذ لما نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه باخبار
جبريل عليه السلام ان عليهما نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قالوا راينا لـ

خلعتك فخلعنا نعالنا وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم
وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال واما اهل
زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا
او صلى على الارض او صلى في بوادي المسجد من غير سجادة مفروشة او
مشى على الفرش من غير غلاف القدم من ادم ونحوه او توضى من انية عجوز
او رجل غير متقشف قاموا عليه بالنكير ولقبوه بالقذير واستنكفوا
عن مواكلته واستكرهوا عن مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان
قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف
منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم
يبق الا اسمه ولكن للظاهر اي للطهارة ايضا اثر في تنوير الباطن
للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان
المجامع في حال جماعها اذا تكرر لها دوام النظر الى بياض مشرق او حمرة قانية
الى ان غلبت تلك الصورة على نفسها مال لون المولود الى ذلك اللون
الذي غلب عليها وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الام مشاهدة
في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة
على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك
الصورة الحسنة التي شاهدتها الام فعلم من هاتين الصورتين ان
للظاهر اثرا في عالم الباطن كما يصادف اي يوجد اثره عند اسباغ
الوضوء بفتح الواو وضمها اي اكماله واسباغه وساير الاعمال
الظاهرة اي حيث تتاثر بها الاحوال الباطنة لارتباط الملك
اي عالم الظاهر السفلي بالملكوت وهو عالم الباطن العلوي كما اذا كان

شخص

شخص يترشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك ان اثر ذلك
الترشح يظهر في الجدار من جانب الطرف الداخلاني وقد ورد مثل
الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم
خمس مرات فما تبقى ذلك من الدرن احمد ومسلم عن جابر وفي الاحياء ان
الانسان اذا اسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهرة وجد في قلبه
صفاء وانشراحا لم يكن يصادفه قلبه وذلك لسر هذه العلاقة
التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من
عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت
لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي
وصفناه فاعلم ان الخبث الذي يستولي على قلبك من كدورات
شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس
باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق فيه قوة الادراك للامور
الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك
اوجب عليك من كل شيء انت فيه ومن ثم اي من اجل ارتباط الملك
بالملكوت تصدق رؤيا من اعتاد الصدق وتكذب رؤيا
من اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه فيداوم تفريع على
قوله لكن للظاهر اثر في تنوير الباطن والمعنى اذا كان كذلك فتواظب
به على الوضوء فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق
بل ينبغي ان يجدد الطهارة لكل صلاة كما كان
يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الاية وانما صلى عليه السلام
عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال

عمرا صنعت يا عمر يعني ليعرفه انه ليس بفرض فتقدير الاية اذا قمتم الى الصلاة
وانتم محدثون لان الاصل في الامر ان يكون للوجوب ولحديث من توضا
على طهر كتب الله له عشر حسنات ابو داود والترمذي وابن ماجة
من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال
اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقي الضعيف حسنا وفاقا واما حديث
الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقي لم اجده اصلا وتبعه
العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده وهو حديث ضعيف
وينبغي ان يستنجي المتغوط بثلاثة احجار فان انقى بها كفى
والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل خامسة لان الانقا واجب
والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر متفق عليه من
حديث ابي هريرة فياخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة
قبيل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة وياخذ
الثانية ويضعها على المؤخر وكذا يمرها الى المقدمة وياخذ
الثالثة فيديرها حول المسربة ارادة ثم ياخذ حجرا كبيرا بيمينه
والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح
ثلاثا في ثلاثة مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاث مواضع
من جدار جاز لذلك الا ان لا يرى الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل
من ذلك الموضع الى موضع اخر ويستنجي بالماء وبان يفيضه على محل
النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له اثر تدركه الكف بحس اللمس
ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك ينبع للوسواس
لاكثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر بسم الله اللهم اني اعوذ بك

من

من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذي اذهب
عني كا ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني واذا فرغ من الاستنجا اللهم
طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش والجمع بين الما والحجر
مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما
هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر
كذا في الاحيا وقال العراقي الحديث في اهل قبا وجمعهم بين الماء والحجر
والبزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجة والحاكم
وصححه من حديث ابي ايوب وجابر وانس في الاستنجا بالما ليس فيه ذكر
الحجر فقول النووي تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الما والحجر في اهل قبا
والله اعلم ويتوضا بعد نحو الغيبة وهي بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه
في الغيبة وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمي في مسند
الفردوس عن ابن عمرو في معناها الكذب والنميمة وسائر الاقوال الذميمة
بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا توضا واذا ذكرت الاخرة اغتسل
يعني ان الدنيا هي الشهوة الصغرى والعقبى هي الكبرى وكل منهما مانع
عن كمال التوجه الى حضرة المولى في شرح السنة والمستحب ان يتوضا لكل صلاة
وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب او غيبة او سيئة بها ياثم
قائله فينبغي ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضا لدفع الحدث الظاهر
فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوي بتيممه رفع الاثم وفي العوارف
تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلي بالوضوء ما تيسر والا فمكروه والقهقهة
وان لم يكن في الصلاة اي فانها اذا كانت في الصلاة فينقض الوضوء عندنا

ولكل صلاة قبل الوقت عملا بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول والغائط ان يتيمم الى ان يبلغ الما فيتوضا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدرة على الماء فقيل مضى ساعة وقال لعلي لا ابلغه وحكي عن ذي النون المصري انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف ان تدركني الموت قبل ان اتوضا في شرح السنة وعلى الاناء للابتداء اي استعدادا للصلاة الاتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا في السراجية ويطيل الغرة والتحجيل اي عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل بياض قوايم الفرس ونحوه وقد ورد ان هذه الامة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء وقال عليه السلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابي هريرة وروى تبلغ الحلية من المومن حيث تبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه ويستقبل القبلة اي حين الوضوء فورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة الطبراني عن ابن عباس ولا يستعين بغيره اي مهما امكن فاذا فضل الاجر على قدر المشقة ولا يتكلم بكلام الدنيا والبشر اي في اثنا الوضوء وفي فتاوى الحجة التكلم في اثناء الوضوء مكروه وفي بعض الاغتسال اشد كراهة وفي العوارف ادب الصوفية في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة وينوي رفع الحدث واستباحة الصلاة والقربة الى الله سبحانه ويبدا بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية في اول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب ان يقدم على

البسملة

البسملة التعوذ ويقول اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده مالك والشافعي واحمد والشيخان والاربعة عن ابي هريرة ويقول عند غسل يده اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيها الا ان يكون صايما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحني رايحة الجنة مع الابرار واعذني بك من روايح اهل النار ويستنثر ثلاثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضا فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه الشيخان عن ابي هريرة ويغسل وجهه ثلاثا ويقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدايك ويفتح العينين اي عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه ثم يدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلام فعل ذلك اخرج ذلك احمد من حديث ابي امامة كان يتعاهد الماقين وروى الدارقطني من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف اشربوا الما اعينكم اي حواليهما لما تقدم والله اعلم ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد خللوا لحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطان يجري بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال

الما الى منابت اللحية الخفيفة اعنى كما يغسل من الوجه واما الكثيفة
فلا بل يفيض الما على ظاهر ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه
السلام اذا توضا خلل لحيته بالما رواه احمد والحاكم عن عايشة وفي
رواية لابي داود والحاكم عن انس كان اذا توضا اخذ كفا من ما فادخله تحت
حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرني ربي وفي رواية ابن ماجة عن ابن
عمر كان اذا توضا عرك عارضيه ببعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه
من تحتها والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا
ثلاثا فقد ورد انه عليه السلام اذا توضا ادار الما على مرفقيه الدارقطني
عن جابر وفي رواية ابن ماجة عن ابي رافع كان اذا توضا حرك خاتمه ويبدا
باليمنى ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند
اليسرى اللهم اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب راسه بالمسح ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من
بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه
ظاهرهما وباطنهما ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ابو منصور الديلمي في مسند
الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف ويقول اللهم فك رقبتي
من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى
ثلاثا ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ويقول
عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل اقدام
المنافقين في النار ويخلل باليد اليسرى من اصابع الرجل اليمنى ويبدا

بالخنصر

بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد خلل اصابع
يديك ورجليك احمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن ابي هريرة
خللوا بين اصابعكم لا تخللها الله يوم القيامة بالنار وفي رواية الطبراني عن
واثلة من لم يخلل اصابعه بالما خللها الله بالنار يوم القيامة ويسمي في كل
عضو وقيل ويسلم ايضا على النبي صلى الله عليه وسلم ويتشهد فيه اى في كل
عضو ففي المحيط من الادب ان يقول كل عضو اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله وبعد الفراغ اي ويتشهد بعد فراغ الوضوء
ايضا فقد ورد من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك
واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني
عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا
يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش
فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة
كذا في الاحياء وقال العراقي حديث من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع
طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب السماء الثمانية
يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند
مسلم دون قوله ثم رفع ويشرب بقية الما اي فضل الوضوء كله او بعضه
قائما مستقبلا لما ورد في اثر علي موقوفا ومرفوعا عن شمس الائمة الحلواني

وان شاء قايما وان شاء قاعدا وذكر شيخ الاسلام المعروف بجواهر زاده انه
لا يشرب ذلك قايما ولا يشرب قايما الا في موضعين احدهما هذا والثاني عند
زمزم والله اعلم ويسرح اللحية بعده اي بعد فراغ الوضوء الترمذي في
الشمايل ايضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابي
داود والترمذي والنسايي من حديث عبد الله ابن مغفل النهي عن الترجل
الا غبا باسناد صحيح وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارق المشط
والمدرى والمراة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا في الاحيا
والمدري القرن يقال له ادرى راسه حكه قال العراقي حديث كان لا
يفارق المشط والمدري في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف
من حديث ابي سعيد كان لا يفارق مصلاه وسواكه ومشطه ورواه الطبراني
في الاوسط من حديث عايشة واسنادهما ضعيف قال الحجة وفي حديث
غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وقال العراقي تقدم حديث
انس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلا
كان يسرح لحيته بالمشط وكان عليه السلام كث اللحية قد ملات ما
بين منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها
وكان علي عريض اللحية قد ملات ما بين منكبيه ذكره في الاحيا وقال
العراقي حديث كان كث اللحية الترمذي في الشمايل من حديث هند ابن ابي هالة
وابو نعيم في دلايل النبوة من حديث علي واصله عند الترمذي قال و في
حديث اغرب منه قالت عايشة رضي الله عنها اجتمع قوم الى باب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه
ولحيته قلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من

عبده

عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقي ابن عدي وقال حديث
منكر هذا وقيل لداود الطايي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ وفي
قوت القلوب قال السري في اللحية شرك ان كان يسرحها لاجل الناس
وتركها لاجل اظهار الزهد ريا وقال لو دخل علي داخل فمسحت لحيتي لاجله
لظننت اني مشرك وتحقيقه ما قال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عليه
السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على اخلاق غيره في الدين وتشبيها
للملايكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه
في قلوبهم كيلا تزدري نفوسهم وفي تحسين صورته في اعينهم كيلا
يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم
وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعي
من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على
النية فانها في نفسها اعمال يكتسبها الاوصاف من المقصود فالتزين
على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد
وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب
ومشكور وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد
بصير والتلبيس غير رايج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور
التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير
فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم
ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى رب العالمين وهذا امر ينكشف
يوم تبلى السراير ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند

ذلك بتمييز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم الاكبر
ويجتنب اناء يسمر بحجر الملايكة كالصفر ومثله النحاس تبع الاحيا لكن
وروايته عليه السلام كان يعجبه ان يتوضا من مخضب من صفر ابن سعد عن
زينب بنت جحش لكن يويد بما شرح السنة من الادب ان يتوضا من انا الخزف
ولا يتوضا من النحاس والصفر لان الوضوء به منهي عنه وفيه ايضا روي عن
ابن عمر انه كره الوضوء في اناء صفر وفي الشرعة لا يتوضا من اناء نحاس وصفر
قالوا الملايكة تنفر من ريحهما والماء بالشمس اي ويجتنبه لانه يورث
البرص اذا كانت في اناء كالصفر في بلاد حارة وهذا في الاواني دون الحياض وفي
الاحيا ويكره ان يتوضا في اناء صفر وان يتوضا بالشمس وذلك من جهة الطبيب
وروي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت الشعبة
ما في اناء صفر فابى ان يتوضا منه ولعل كراهيته ذلك عن ابن عمر انتهى وفي الشرعة
لا يتوضا بالماء المسخن بالشمس وفي درر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن
بالنجاسات وبه قال ابو حنيفة خلافا لمالك واحمد ولا بماء زمزم وبه قال
ابو حنيفة ومالك خلافا لاحمد ولا باس بالشمس في البرك والبحار والانهار
ودفا والاسراف في الماء قال تعالى لا تسرفوا ان الله يحب المسرفين وتوضى
عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واسا ابو داود والنسائي
واللفظ له وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن جده وقال عليه
السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعا والطهور ابو داود وابن
حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل والضرب به ان يجتنب
لطم وجهه بالماء وتنشفه على وجهه اي قوله فهو يورث اي كمية ان العمل دون
وجهه اي قوله الاخر فهو مروي في الاحيا كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء

يوزن قال سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ انه عليه السلام مسح
وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة انه كانت له منشفة ولكن طعن
في هذه الرواية عن عايشة قال العراقي حديث معاذ الترمذي وقال
غريب واسناده ضعيف وحديث عايشة الترمذي وقال ليس بالقايم
قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شي ونفض اليدا
ي يجتنبه في الاحيا ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء ويواظب على السواك
اي استعماله على الاسنان من الاراك خصوصا فهو الافضل الوارد
والا فيجوز من كل شجرة مرة لانه اطيب لنكهة الفم وآكل للبلغم وانقى للصدر
واقوى للمعدة وامضغ للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول
الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها
طولا وعرضا وان اقتصر ففرضا في كل صلاة حتى عند بعض ايمتنا ايضا
ووضوا اي في كل وضوء اتفاقا ومحله ابتدا الوضوء كما في الاحيا او حال
المضمضة لانه من تكميلها وقد قال عليه السلام صلاة على اثر سواك
افضل من خمسين وسبعين صلاة بغير سواك ابو نعيم في كتاب السواك
من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه والبيهقي
وضعفه من حديث عايشة بلفظ من سبعين صلاة وقال لولا ان اشق
على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث ابي هريرة
وفي رواية لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعي والبيهقي
عن ابي هريرة وفي رواية احمد والنسائي عن ابي هريرة لامرتهم عند كل
صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت
عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء وفي رواية الحاكم

والبيهقي عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفي رواية ابي يعلى
عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وفي رواية
ابي نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاسحار وعند قراءة القران فقد
ورد ان افواهكم طرق القران فطيبوها بالسواك ابو نعيم في الحلية من حديث
علي ورواه ابن ماجة موقوفا على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا
واسناده جيد وتغير الفم بنحو الجوع والنوم ونحوهما من طول الصمت
او اكل ما يكره رائحته فورد ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا والقلح
محركة صفرة الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب
واحمد والبغوي من حديث تمام ابن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس
وهو مضطرب وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا مسلم من حديث
ابن عباس وهذا يدل على ان السواك مستقلة غير متعلق بالوضوء والصلاة
وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يامرنا بالسواك حتى ظننا
انه سينزل عليه فيه شي رواه احمد وقال عليه السلام عليكم بالسواك
فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث
عايشة والنسائي وابن خزيمة موصولا وقال علي السواك يزيد في الحفظ
ويذهب البلغم وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون السواك
على اذانهم الخطيب في كتاب اسماء من روى عن مالك وعند ابي داود والترمذي
وصححه ان زيدا ابن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم
من اذن الكاتب وفي شرح السنة اما كيفية الاستياك فينبغي ان يبدا
بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فيما بين ذلك
وبيننا البديا لوتر لان الله وتر يحب الوتر وفي الخلاصة كيفيته ان يعالج

السواك

السواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها ويبدأ للعليا من جانب
الايمن وللسفلى من جانبيها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها
وفي شرح السنة واما النهي فيه فينبغي ان يستاك قائما ولا بين القوم ولا في
الحمام ويكره عند الشافعية بالعشي للصائم وتحقيقه في غير هذا المقام وفي
الخانية عن ابن المبارك لو انكر اهل البلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين
ويحافظ الجماعة عطف اهل البلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين على
تداوم الوضوء ويراعي صلاة الجماعة فورد صلاة الجماعة تفضل صلاة
الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر في اقرب المساجد
الا ان يكون في الابعدية اي صالحة للعدول عن الاقرب لحضور عالم او شيخ
واعظ وكونه اقدم المساجد وعمر بالمال الحلال ونحوه عن الاحوال
ففي الكبرى مسجدان يصلي الرجل في اقدمهما بناء الا ان لم زيادة حرمة
فان كان استوا ففي اقربهما وان استويا فهو مخير لانه لا ترجيح لاحدهما وان
كان قوم احدهما اكثر فان كان هو فقيها يذهب الى الذي قومه اقل ليكثر
الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل في محلته
مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلاة في مسجده افضل قل اهل
مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع
الترجيح بكثرة الجمع وفي الخانية اذا كان امام الحي زانيا او اكل الربوا له
ان يتحول الى مسجد اخر ساعيا اليه اي حال كونه ماشيا الى المسجد
مطلقا لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله بنية اجابة الدعاء اي نداء الداعي
الى عبادة رب السماء قال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية فقد قال
ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا او لم يرد به وقال ابو هريرة

لان يملا اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع الندا ثم لا يجيبه
تماشيا خاضعا متواضعا متذللا في طريقه غير متخطي رقبة اي عند
دخوله ولا مار بين يدي مصلي فقد ورد لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه
لكان ان يقف اربعين خير له من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب
الستة عن ابي جهيم وفي رواية ابن ابي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن
مرسلا لو يعلم المار بين يدي المصلي لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه
والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلي ومسجده سوا كان له سترة
او لا ويحمل عليه ما روي الطحاوي من ان المرور بين يدي المصلي بحضرة
الكعبة يجوز او يحمل على انه في وقت بغير قيام العرض واعتذر الصفة بانه يصلي
في طريق الطائفين وانه لا حرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة
فلا باس لما روي ابو داود والنسائي وابن ماجة عن المطلب بن ابي وداعة
قال رايت النبي عليه السلام يصلي في المسجد الحرام مما يلي باب بني سهم
والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينها
سترة ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا فروي في الاثر او في الخبر الحديث في
المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش كذا في الاحيا وقال العراقي
لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح اذ قد ورد ياتي في اخر الزمان
ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب
الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم
من حديث انس وقال صحيح الاسناد ويؤدي في الصف الاول فانه الافضل
بازا الامام اي بحذائه بنوا الافضل لاخذ الحظ من الجانبين او عن يمينه
وقد يكون بيساره افضل اذا كان هناك اقل وتتم الاركان اي حد الامكان

ويراعي

ويراعي السنن اي الرواتب وسنن الصلوات والاداب اي المستحبات في جميع الابواب
فورد في الكل اي في كل ما ذكر فضايل اي في الصف الاول لقوله عليه السلام لو تعلمون
ما في الصف الاول لكانت الا قرعة مسلم وابن ماجة عن ابي هريرة واما في اتمام
الاركان فلقوله اتموا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء
ظهري اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما في السنن فلقوله
من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا في الجنة
مسلم والنسائي وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ما ورد في حديث اخر
ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشا واربع قبل الظهر ولا يدافع
الامامة فانه من امارة القيامة فقد ورد عن سلامة بنت الحر قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان تتدافع
اهل المسجد لا يجدون اماما يصلي بهم احمد وابو داود وابن ماجة وروى
عبد الرزاق في مسنده حديثا بلفظ تنازع ثلاثة في الامامة فخسف
بهم ومحله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس
وراءه احد هو افضل منه وكان مدافعتهم اي مما تحرز بعض الصحابة
من ذوي التقوى كايثار الاولى اي بذلك المقام الاعلى وخوف السهو اي في
المبنى والتشويش اي تشويش الخاطر في حضور المعنى واحتياجها الى اخلا صح
في تطويل الصلاة وتحسينها لا سيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان
مستحبا في تلك الاقامة وهي اي الامامة افضل من الاذان فهو عليه
السلام وخلفاؤه اي اصحابه الكرام اختاروها اي من بين الانام وما ورد
اي كما رواه البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفا والطبراني في الاوسط
عن ابن عباس باسناد ضعيف ان عليه السلام قال له رجل يا رسول الله دلني

علی عمل ادخل به الجنة فقال لکن موذنا فان لم یستطع فکن اماما وفی روایة فقال له
لا استطیع فقال لکن اماما فقال لا استطیع فقال صل بازاء الامام فلعله
محمول علی ان القوم کانوا لا یرضون اماما منه اذا الاذان الیه والامامة الی
الجماعة وتقدیمهم لغائب بعد ذلک توهم انه ربما یقدر علیهما فورد فیه ان لا
تجاوز الصلاة الراس اصل الحدیث هذا من ام قوما وهم له کارهون فان
صلاته لا تجاوز ترقوته ای حلقه وراسه رواه الطبرانی عن جنادة وفی روایة
العقیلی عن ابن عمر من ام قوما وفیهم من هو اقرأ منه لکتاب الله واعلم لم یزل
فی سفال الی یوم القیامة ویراعی الاعمال الباطنة فانها اهم ونفعها اتم
وهی سنة الحضور ای مع الرب وهو استغراق القلب بما هو فیه ای بالرکن
الذی شرع فیه والافراغ ای تفریغ القلب وتخلیصه عن غیره ای غیر ما هو
بصدده مما یوافقه او ینافیه وهو ای الافراغ انما یکون بصرف الهمة ای
الاهتمام الیه ای الی ذلک الرکن الواجب علیه فهی ای الهمة یستتبع
القلب فی صرفه الی ذکر الرب وهو ای صرف الهمة بذکر منافعهما ای
فوائد الصلاة وشرافتها کقربه تعالی ورضاه ای بالمقام الاعلی
والمکاشفة ای القرب بالمشاهدة التی هی المرتبة الاجلا عاجلا ای ٥٠
فی الدنیا والفوز بالسعادة الابدیة ای والسیادة السرمدیة والنظر الی
وجهه الکریم الذی اعلی مراتب النعیم اجلا ای فی العقبی وخساسة
الدنیا ومهانتها ای ویذکر کثافتها وانقلابها فانها کثیرة العنا
قلیلة الغناء دنیة الشرکاء سریعة الفناء عدیمة البقاء والفهم ای الادراک
لمعنی الکلام وهو امر وراء حضور القلب فربما یکون القلب حاضرا مع اللفظ
والمبنی فاشتمال القلب علی العلم بمعنی اللفظ هو الذی ارید بالفهم وهذا

معنی

معنی قوله وهو اشتماله ای القلب علی المعنی فهو ای اشتماله بتوجیه الذهن
الی الذکر من الثناء والحمد والقراءة والتسبیح والدعاء ونحوها ومداومة الفکر
ای فی لفظ الذکر ومبناه لیفهم معناه ودفع الخواطر ای المانعة عن فهم
مقتضاه وهذا مقام یتفاوت الناس فی ادناه واقصاه فکم من معانی
لطیفة ومعارف شریفة یفهمها المصلی فی اثناء صلاته وذکره ولم
یکن خطر ذلک قبله بباله وفکره ومن هذا الوجه کانت الصلاة ناهیة
عن الفحشاء وماحیة عن المنکر فان تفهم تلک الامور یمنع من الفحشاء
لا محالة فقد ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنکر لم یزدد من الله
الا بعدا الطبرانی وابن حاتم فی تفسیره من حدیث عمران ابن الحصین
وابن جریر فی تفسیره من حدیث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد فی
الزهد عن ابن مسعود مرفوعا والتعظیم ای عرفان المرتبة علی الحیثیة
وهو بذکر عظمته تعالی مع رفعة الجلالة وحقارة النفس مع رداءتها
وکمالها فی الرذالة والسفالة والجهالة وهو امر وراء الحضور والفهم
اذ الرجل یخاطب غیره بکلام هو حاضر القلب فی مبناه ومتفهم
لمعناه ولا یکون معظما له فالتعظیم امر زائد علیهما والهیبة وهی خوف
ینشأ عن التعظیم کما روی انه علیه السلام من راه فجأة هابه ومن خالطه
أحبه وهو ای الخوف المسمی بالهیبة بذکر نفاذ قدرته تعالی ونفوذ مشیئته
وحکمته وقهره مع عدم المبالاة بجمیع من فی ید قبضته کما ورد خلقت
هؤلاء للجنة ولا ابالی وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالی وتخصیصه ان من لا یخاف
لا یسمی هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما یجری مجراه من الاسباب
الحسیة لا یسمی مهابة بل الخوف من السلطان المعظم یسمی مهابة فالهیبة خوف

مصدره الاجلال. والرجا اى الامل وهو الوثوق بذكر عموم رحمته اي
شمول رفقه ورافته وسبقها غضبه كما ورد سبقت رحمتي غضبي
وفي لفظ غلبت وصدق مواعيده اى عدم تخلف اخباره لعباده من وعد
ووعيد لقوله سبحانه ان الله لا يخلف الميعاد ولاشك انه من زايد
فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته
والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره
عقاب الله ومنه قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وادعوه خوفا وطمعا
والحيا وهو انكسار النفس من الجلالة وظهور التقصير وعند بعض الصوفية
استتار من مشاهدة هذه شذرة التنوير وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره
تعالى فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله
عليه السلام سبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وهو زايد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب
ويتصور التعظيم والرجا من غير حيا حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب
صغيرا وكبير فان تعسر المراعاة بانه تتيسر مراعاة الاعمال الباطنة
المذكورة وما تتعلق بها من ظهور الخفايا فيجتهد في قطع العلايق اى التعلقات
ودفع العوايق المشغلات المتعلقة بالخلايق ليتحصل حضور القلب
مع الخالق فظاهرا يشتغل اشيا تضم العين وفي النوافل دون الفرايض
والمكاره في الفرايض دون النوافل مع ان التغميض لدفع الشواغل لان مبنى
النوافل على الرخصة والنشاط والرخصة مظلم فريب الجدار ومنه الخلاوي
الصوفية الايرار حتى لا يتسع مسافة بصر الناظر والاحتراز عن البيت
المنقش اى بالالوان والاشكال وكذا لا يترك بين يديه ما يشتغل حسه

لديه

لديه وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه
ولا كتابا الا محاه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن ابي شيبة اني نسيت
ان اقول لك تخمر القرنين اللذين في البيت فانه لا ينبغي ان في البيت شي
يشغل الناس عن صلاتهم كذا في الاحيا وتعقبه العراقي بان الحديث رواه ابو
داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان ابن طلحة كما في مسند احمد فقوله
لعثمان ابن ابي شيبة وهم وكونه حاقنا اى محبوس البول لحديث ابن ماجة
من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلي الرجل
وهو حاقن ولابي داود من حديث ابي هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم
الاخر ان يصلي وهو حاقن ولابي داود والترمذي وحسنه نحوه من
حديث ثوبان او حاقبا بالموحدة محبوس الغايط والريح لحديث مسلم
عن عايشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان واما حديث
النهي عن صلاة الحاقب ففي الاحيا وقال العراقي لم اجده بهذا اللفظ وحازقا
ضيق الخف في معناه السروال وقد ورد النهي عن صلاة الحازق وعزاه رزين
الى معناه الترمذي لكن قال العراقي لم اجده عنده والذي ذكره صاحب
الغريب حديث لا راى لحازق وهو صاحب الخف الضيق وجايعا لحديث
اذا حضر العشا واقيمت الصلاة فابدوا بالعشا متفق عليه
وفي معناه اذا كان عطشانا والحس منهما ان يكون شبعانا وغضوبا
اى ممتلي الغضب لحديث لا يدخل احدكم الصلاة وهو مغضب ولا
يصلين احدكم وهو غضبان كذا في الاحيا وقال العراقي لم اجده ونحوها
اي من كل فعل خطر للمصلي ان يفعله بعد الصلاة فيفعله قبلها ان امكن
وباطنا بخمسة اشيا بذكر الاخرة وتصور مواقفها واحوالها وشدايد

اهوالها وتتفاوت منازلها في امثالها وموقف المناجاة اي مع قاضي الحاجات
لورد المصلي يناجي ربه وخطر المقام اي بين يدي الملك العلام المذكور بيوم
الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ودفع الخواطر اي المشتغلة للسرائر
والضمائر وصرفا للنفس الى الفهم اي ودفعهما عن خطرات الوهم وبيان ما يبالغ فيه
اي في دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته فكانوا اي السلف يبالغون
اي في تحسين حالاته وتزيين مقاماته حتى لو كان يشغلهم ذكرها عن فكر
حال يتصدقون به تكفيرا وان كان اي المال خطرا اي عظيما كثيرا فروي ان ابا
طلحة الانصاري يصلي في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس
مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة
فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن ابي بكر وعن رجل
اخر اصلي في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم
صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه
عثمان بخمسين الفا فاذا اردت الخلاص من الافات فاقطع شجرة الشهوات
فانها اذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير
الى الاشجار فلا تطمع ان تنقطع لك لذة المناجاة في الصلاة مع تلك
الشهوات فالاصل اي في مراتب العبادة عمل الباطن لانه النافع في مقام
الزيادة للسعادة فورد اقم الصلاة لذكري اي لاجل ذكرك صلاتي وفكرك
صلاتي وفي الاحيا ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل
في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله سبحانه ولا تكن
من الغافلين نهي وظاهره التحريم ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى

اي

اي من حب الدنيا او حيادي في غير ذكر المولى ومن كثرة الهموم في الامر
المقسوم وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الذين كفاه الله هم
الدنيا والاخرة وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو
مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس
لا ينظر الله الى صلاة اي نظر قبول ورحمة او نظر رعاية وعناية لا يحضر
الرجل فيها قلبه مع بدنه اي عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ
قال العراقي ان العبد ليصلي الصلاة وانما يكتب ما عقل منها وفي
الاحيا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقي لم اجده مرفوعا
وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن ابي دهرش
مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور
الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي بن كعب ولابن المبارك في الزهد
موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه والتحقيق فيه
ان المصلي يناجي ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة
البتة فمتى يكون في قوله اهدنا الصراط المستقيم داعيا وسائلا اذا كان
قلبه ساهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب
وما اراد به الا الغافل كذا في الاحيا وقال العراقي رواه النسائي وابن
ماجه من حديث ابي هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولاحمد
رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن هذا اي خذ هذا
او الامر هذا وانما يكون القول كالقراءة ونحوها والفعل كالركوع والسجود
عبادة للمعنى في القول والتعظيم في الفعل دون اللفظ اي غير ملتفت
لاتيانه باللسان والحركة اي التحرك بالجوارح والاركان فقد قال

بعض اهل الشان في معرض هذا البيان ان الكلام لفي الفواد وانما جعل
اللسان على الفواد دليلا فينا لما سمع الجنيد هذا اعاد صلاة ثلاثين
سنة صلاها بلا حضور الجنان وفي الاحيا لو حلف انسان والله لاشكرن
فلانا ولاثنين عليه ولاسالنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على
هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه
في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه ولا يصير
بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن حاضرا
في قلبه ولو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض في قلبه ٣
في بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرقا لهم بفكر من الافكار
ولم يكن له قصد وتوجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه
ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثنا والتضرع
والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه
فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم
العادة وما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل
القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به فهذا مما يدل
من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب فان قلت فعلى
هذا الذي ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم تبطل الصلاة
دون الحضور اي عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطا في صحتها
وهو خلاف الاجماع اي اتفاق الفقهاء لما سيأتي في خرق مخالفة بعض العلما
فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب في صحتها الا عند التكبيرة
الاولى المقرونة بالنية الا على قلت لنا اي ادعا الاجماع ممنوع والاتفاق

مدفوع

مدفوع لبطلانها عند سفيان اي الثوري في رواية اي كما نقل بشر
ابن الحارث فيما روى عنه ابو طالب المكي عن الثوري انه قال من لم يخشع
قلبه في صلاته فسدت صلاته قلت ويؤيده قوله تعالى قد افلح
المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وعن الحسن اي البصري انها
اي الصلاة بلا حضور القلب توجب العقوبة قلت واي عقوبة اقوى
من الغفلة وقد قيل الحجاب اشد العذاب قال تعالى كلا انهم عن ربهم
يؤتون ٢ يومئذ لمحجوبون وفي الاحيا روي عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر
فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفيه ان الصلاة يشترط فيها
النية ولا يحصل النية الا الحضور الطوية واما استيعاب الحضور ففي خبر تغير
مفهوم من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين
قول الجمهور وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
وهو في الصلاة فلا صلاة له اي كاملة وروي ايضا مسندا كذا في الاحيا
وسكت عنه العراقي وقال عليه السلام ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب
له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها
ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمار ابن ياسر بنحوه وان كلامنا
في المنفعة الاخروية هذا جواب اخر وبيانه ان الفقهاء لا يتصرفون في
الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الاخرة
بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال
كاف لسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من
حدود الفقه وعن عبد الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع اي النفع
الا كما قال الحجة فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين

وعن علما الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ذلك الشرع والايات والاخبار والاثار ظاهرة في هذا الشرط وهذا معنى قوله وان اشتراط الشرع اياه اي الحضور ظاهر غير ان مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق بفتح الخاء والسين اى يتقيد بقدره فلو اشترط اى الحضور للجواز اى لصحة الصلاة لوقعوا اى الجمهور في حرج اى عظيم يودي الى المحظور لعجزهم عن كمال الحضور زاد كاي ولافضى اشتراطه الى تركها راسا وهو المحذور وهو التحقيق اى في مقام التدقيق فانه لا يمكن ان يشترط على الناس كلهم احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو كان في لحظة واحدة واولى اللحظات به اول الصلاة فاقتصر على التكليف لذلك ومع ذلك نرجوا ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال تارك الصلاة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسيا فصلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وعلى هذا الرجا فقد يخشى ان يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجا صار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعد في ترك الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع لاحد في مخالفة الفقها فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق من عموم البلوى هذا وروي من احب غير الله فلا تصفو له صلاة عن الخواطر المذمومة فان من احب شيئا اكثر ذكره كما ورد في الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فخذ ما صفا ودع ما كدر

ثم

ثم من امعن اى اشبع النظر واسبغ الفكر فيما ورد ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وانما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع حيث جا بصيغة الحصر رواه الترمذي والنسائي من حديث الفضل بن العباس باسناد مضطرب علم انها اى الصلاة هو الحضور اى بحال الشعور والا فصلاة الغافل لا تمنعه عن الفحشا ولذا نقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه في لحظة عنها بل ربما كان مستوعبا لهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ومن هنا لم يحس مسلمة بن بشار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين وجماعة كان يصفر وجوههم وترتعد فرائصهم هذا اى مضى هذا او خذ هذا والاوليا انما يكاشفون فيها اى في الصلاة مع حضورها ودوام نورها لا سيما في السجود فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود على حسب الصفا اى تكل تفاوت درجات ارباب الوفا ومن هنا قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ثم اعلم ان كلما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم في مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتنى عن صلاتى باعجابيته

ابي جهم متفق عليه من حديث عايشة وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد
شراك نعله ثم نظر اليه في الصلاة اذ كان جديدا فامر ان ينزع عنها
ويرد الشراك الخلق فيهما ابن المبارك في الزهد من حديث ابي النضر مرسلا
باسناد صحيح وكان عليه السلام قد اخذ نعلا فاعجبه حسنها فسجد
فقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سايل لقيه
ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو عبد الله
ابن خفيف في شرف الفقرا من حديث عايشة باسناد ضعيف وكان في يده
خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظره اليه
ونظره اليكم كذا في الاحيا وقال العراقي اخرجه النسايي من حديث ابن عباس
باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق
والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولا يحدثون انفسهم
فيهما بشي من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لامثالنا خلاف ما هنا
لك وليته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها من الوسواس والخواطر المتقلبة
بالواس فيكون فيمن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا
وهمة الاخرة في القلب مثل الما الذي يصب في قدح مملو فيه خل فبقدر ما
يدخل فيه من الما يخرج الخل منه لا محالة فلا يجتمعان والله المستعان
ومنها اي من انواع الورد قراءة القران فورد خيركم من تعلم القران وعلمه البخاري
من حديث عثمان ومن قرا القران ثم راى ان احدا افضل مما اوتي فقد استصغر
ما عظمه الله الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من
قوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد

حاجة

حاجة ولا الى الخلفا فمن دونهم ويويده حديث من لم يتغن بالقران فليس منا
اي من لم يستغن به عن غيره فورد من شغله القران عن ذكري ومسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين الترمذي من حديث ابي سعيد وقال حسن غريب افضل
عبادة امتي قراءة القران ابو نعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القران اهل الله
وخاصته النسايي وابن ماجه والحاكم من حديث انس باسناد حسن وحقها
اي القراءة ان يتوكا بها من وحشة الدنيا اي بذكر العقبى والدرجات الحسنى
وتضاعف الشوق الى المولى لان المناجاة والمكالمة معه تعالى فيه ينتهي به
الى الشوق وزيادة الذوق الى القرب الاعلى وضبط احكام العبودية بحفظ
حقوق مقام الربوبية ويتوضا اي يتطهر ويتطيب باي طيب كان او يتنظف
في جميع الاركان ويتادب بقدر الامكان ويجوز الاضطجاع فورد الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي رضي الله عنه من قرا القران
وهو قايم في الصلاة كان له بكل حرف ماية حسنة ومن قرا وهو جالس
في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قراه في غير الصلاة وهو على
وضوء فخمس وعشرون ومن قرا على غير وضوء فعشر حسنات وعن علي اقروا
القران على كل حال الا الجنابة ابو الحسن بن صخر في فوايده والافضل
في الليل لانه اقرب الى التدبر لفراغ القلب فيه اكثر قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطا واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا اي شغلا
كثيرا او في المصحف افضل فانه يضعف الاجر لاعمال الجوارح اي من اللسان
والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس ولافادة نقص الوسواس
من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشعوره بكلام الرب
وقد قيل الختمة في المصحف بسبع وقد خرق عثمان مصحفين لكثرة قراءته

فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون القران من المصحف ويكرهوا
ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي
في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي
العتمة واضع العتمة بين يديه فلا اطبقه حتى اصبح وقد ورد اعطوا
اعينكم حظها من العبادة النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند
عجائبه الحكيم الترمذي والبيهقي عن ابي سعيد ويستظهره اي وحقها
اي ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبي صلى الله عليه واكثر
اصحابه رعاية لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقد
قيل كن حافظا نقيا لا مصحفيا نقيا فورد فيه اي في الاستظهار تخفيف
العذاب عن الوالدين وان كانا مشركين لا احد وقد روى ابو داود عن
سهل ابن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران وعمل بما فيه
البس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت
الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل فيه وفي رواية البس والداه
حلة لا يقوم بها الدنيا وما فيها وورد اقرؤوا القران فان الله تعالى لا يعذب
قلبا وعى القران لمنام في رواية عن ابي امامة مرفوعا لو كان القران في اهاب
ما مسته النار احمد والدارمي والطبراني ولا ينساه فورد انه يزنيا اي ذنب
كبير فهو خبران وزيدت لبا فيه لان الكلام في قوة الليس بنسيان القران
بذنب ونظيره قوله تعالى اولم يروا ان الله خلق السموات والارض ولم
يعي بخلقهن بقادر وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على
طريقة رجل عدل اي فورد انه مذنب وفي نسخة بزنيا اي بصيغة ذا ذنب
عظيم وروى من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القران ثم ينساه قيل ونزل

قوله تعالى في حقه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرا نظرا وعند
الشافعي ومن تبعه ان ينسى غايبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا ولا يختم في
اقل ثلاث ايام فورد انه يتبع التفقه ولفظ الحديث من قرا القران في اقل
من ثلاث لم يفقهه رواه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه
الترمذي وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما في التنزيل
وقد قالت عايشة لما سمعت رجلا يهذا القران هذا ان هذا ما قرا ولا
سكت وجاء في اربعين وهو يناسب الاربعينات الصوفية الصفية
وقد ورد اقرؤوا القران في اربعين الترمذي عن ابن عمرو ومنهم من يختم في الشهر
مرة تقرا كل يوم جزءا من ثلاثين اجزاء وورد اقرؤوا القران في كل شهر اقراه في عشرين
ليلة اقراه في عشر اقراه في سبع لا تزد على ذلك رواه الشيخان وابو داود
عن ابن عمرو وفي رواية الطبراني عنه اقرؤوا القران في خمس وبعضهم قراه
في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث وفي اسبوع
وفق امر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القران في كل سبع
متفق عليه من حديثه وكان جماعة من الصحابة يختمون القران في كل جمعة
كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في كل شهر والختم في كل يوم وليلة وقد كره جماعة وكانه مبالغة
في الاقتصار كما ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان
اختارهما الابرار احداهما في الاسبوع مرة وهي الاولى والاخرى والثانية

في الاسبوع مرتين فقريبا من الثلاث وهي الرخصة في الكثرة والاحزاب
المروية سبعة اي الاوراد الماثورة سبعة اقسام ثلاث سور وهي بعد
الفاتحة البقرة وآل عمران والنسا ثم خمس وهي المايدة والانعام والاعراف
والانفال والتوبة ثم سبع وهي يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم
والحجر والنحل ثم تسع وهي بني اسرايل والكهف ومريم وطه والانبيا والحج
والمومنون والنور والفرقان ثم احدى عشر وهي الشعرا والنمل والقصص
والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والاحزاب وسبا وفاطر ويس
ثم ثلاث عشر وهي والصافات وص والزمر وحواميم السبع والقتال والفتح
والحجرات ففي كل مرتبة بزيادة سورتين ثم الباقي وهي ق الى الناس وينسب الى علي
كرم الله وجهه انه اشار الى هذا الترتيب

بياض بالاصل

بطريق الرمز والايما حيث قال فمي بشوق فالفا الفاتحة والميم مايدة
واليا يونس والبا بني اسرايل والشين الشعرا والواو والصافات والقاف
ق وقد قال العراقي تحزيب القران على سبعة احزاب رواه ابو داود
وابن ماجه من حديث اوس بن حذيفة قال اوس فسالت اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجزي القران فقالوا كان يجزيه ثلاثا فذكره مرفوعا باسناد حسن وكان
عثمان رضي الله عنه يبدي ليلة الجمعة فانها في الليالي افضل والقراة بالليل
اشار ويختم المايدة اي في ليلته وبقية يوم جمعته ثم هود اي يبتدي به في
ليلة السبت او في نهاره ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقي وهو
يحتمل ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا وهو رواية اخرى
عنه عليه السلام وان كان في الظاهر موقوفا وهذا اي التحزيب بهذا الترتيب

للعامل

للعامل ظاهرا في مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار
واما صاحب الباطن اي المراعي لاحوال القلب وحضوره مع الرب فعلى
حسب حال الراي بما يقتضيه من الكثرة والقلة في قراءته كما يرافعا له فانه
كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين
في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من
المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان فاقد
الفكر في معاني القران ومباني الفرقان فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته
لكثرة الترديد والتامل في الوعد والوعيد ويرتل اي يترسل ويتمهل
لتوقفه للتدبر عليه وقد قال عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
اياته وليتذكر اولوا الالباب وكونه اقرب الى التعظيم والتاثير
اي تعظيم الرب وتاثير القلب قال تعالى ورتل القران ترتيلا وهو المستحب
في قراءته وقال عز وعلا الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
وهو المروي فقد نعتت ام سلمة قراة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قراة مفسرة حرفا حرفا قال ابو داود والنسايي والترمذي وقال
حسن صحيح وقال ابن عباس لان اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما
احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت
والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران تهذرما
ويبكي فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبيا والاصفيا اذا تتلى
عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال ان الذين اوتوا العلم من قبله
اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ومن هنا قال
ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا

فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرا سجدة سريم
فلابد من البكا والتباكي او الحزن على فقدهما فورد اتلوا القران وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا ابن ماجة من حديث سعد بن ابي وقاص فاذا قراتموه
فتحازنوا اصدر الحديث ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ابو يعلى
وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث
ان الله يحب كل حزين الطبراني والقضاعي بسندهما الى ابي الدردا مرفوعا
ويويده قوله سبحانه ان الله لا يحب الفرحين وبعضهم حديثا اقروا القران
بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية والطبراني في
الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلوا هذا
القران يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاوه وقل ضحكه وكثر
نصبه وشغلته وقلت راحته وبطالته وقال عليه السلام لابن مسعود
اقرا علي قال فقرات سورة النسا فلما بلغت فكيف اذا جينا من كل امة
بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا رايت عيناه تذرفان بالدمع فقال
الان وسواي وجه احضار الحزن انما يحصل بالتامل في مواعيد
من التهذيب والوعيد ومواثيقه من العهد الاكيد ثم التقصير فيها اي في
لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن لا محالة ويبكي والا اي فان لم
يحضره حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية
فيبكي على فقدان بكائه اي فليبك على فقد حزنه وبكايه فهو اعظم المصايب
في مقام بلايه ويتعوذ في الافتتاح اي ابتدا القراة مطلقا فقد ورد فاذا
قرات القران اي اردت قراته وقيل بعد فراغه ولا منع كرهه من الجمع فاستعذ
بالله اي منا لشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل

للايجاب

للايجاب ويفتتح اي يبتدي ختمة اخرى عند الختم اي الختمة الاولى رغما
للشيطان اي ورضا للرحمن ولقوله تعالى فاذا فرغت اي من عبادة
فانصب اي فاتعب في اخرى وللاخرة خير لك من الاولى فهو ماثور بل
مروي مشهور فعن زرارة ابن اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
اي الاعمال افضل فقال عليه السلام الحال المرتحل اي عمله فقيل ما الحال
المرتحل فقال الخاتم المفتتح وفي رواية فتح القران وختمه صاحب القران
يضرب من اوله الى اخره ومن اخره الى اوله كلما حل ارتحل ورواه البيهقي
في شعب الايمان بسند مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل ووافقه
الطبراني في مسنده فينبغي انه اذا قرا سورة الناس ان يقرا سورة
الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون ويدعو بما كان يقول
عليه السلام عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران واجعله لي اماما
ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت
وارزقني تلاوته انا الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين
ابو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضايل القران وابو بكر ابن الضحاك
في الشمايل كلاهما من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلا
ويسل امرا مرجوا امر عليه ويتعوذ عن مخوف اي اذا وصل اليه او قرب
لديه ويوافق ذكرا اي فيذكر سنة ذكرا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرا
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فيذكر
ثلاث مرات او اكثر ويسبح كذلك او دعا دعا كما اذا قرا ادعوني استجب
لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان وكذا استغفر في مقام يليق به
كقوله تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا فالكل ماثور بل مروي

مذكور فقال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة
البقرة وكان لا يمر بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية
تنزيه إلا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ ويسر أي يخفي القراءة
إن خاف الريا أي على نفسه أو تشويش مصل في محضره وإلا فيجوز الجهر
به لتلذذ الأذن بسببه وحصول الاستمتاع لغيره فورد بفضل عمل
السر على العلانية سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث عائشة
وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة
العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر
بالقرآن كالمسر بالصدقة أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه
من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي أحمد
وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص وفي الخبر لا يجهر بعضكم
على بعض في القراءة بين المغرب والعشا كذا في الإحيا وقال العراقي
رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشا
وللبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشا وبعدها وفيه الحارث
الأعور وهو ضعيف وسمع سعيد ابن المسيب ذات ليلة في مسجد
٦ النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته
وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا المصلي فقل له يخفض
من صوته فقال الغلام إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد
صوته وقال يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض
صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت
عمر وخفف فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة

وإلا

وإلا أي وإن لم يكن خوف ريا ولا تشويش مصل فيجهر أي جوازا أو
استحبابا فهو ينبه القلب أي يوقظ قلب القاري ويجمع الهمة في ذكر
الرب الباري ويصرف السمع إليه أي فيتلذذ باستماعه ويزيد في النشاط
أي نشاط النفس ليه ويوقظ الراقد أي في أول الليل وآخره فيكون هو
سبب إحيائه وباعث ذكره ودعائه ويرغب في العبادة أي من سمعه
من أهل الطاعة والسعادة فورد أن الملائكة صدر الحديث إذا قام
أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة أي الحفظة
وعمار الدار بضم العين وتشديد الميم جمع عامر أي ساكنوها أي من
مسلمي الجن يستمعون قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة
فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل
وهو حديث منكر ومنقطع والمتعدي أي العمل الذي يتعدى ثوابه
إلى الغير أفضل من العمل اللازم القاصر على صاحبه وتضاعف
النية يضاعف الأجر فمهما حضره شيء من النيات المتقدمة فالجهر
أفضل وإن اجتمعت النيات المتعددة تتضاعف الأجر والمثوبة
وبكثرة النيات في العبادات يزكو عمل الأبرار ويزيد في الدرجات
والأحب في السر والجهر النظر إلى صلاح القلب أي في حضوره مع الرب
فصوب عليه السلام أبا بكر في الإسرار وعمر في الجهر بعد التفحص عن النية
روي أنه عليه السلام مر على ثلاثة نفر من أصحابه مختلفي الأحوال
مر على أبي بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذي أناجيه هو يسمعني
ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر
الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه

السورة فسأله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن
ابو داود من حديث ابي هريرة باسناد صحيح نحوه وفي رواية انه
عليه السلام قال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من
ناجيت وقال لعمر لم رفعت صوتك قال اوقظ الوسنان واطرد
الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا وهو
وهو مناسب دليلا لقوله سبحانه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها وابتغ بين ذلك سبيلا ولعله عليه السلام دعاهما لمقام
جمع الجمع فان الصديق كان في جمع الفرق والفاروق في مقام التفرقة
وقيل لئلا يكون كل منهما عاملا الا بنيته في جميع حالاته ويحسن
الصوت اي بتزيين الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم به اي بالقران
ورد ما اذن لشيء اي ما سمع وقبل واقبل اذنه بفتحتين منصوب بالشيء
اي من المسموعات اي مثل سماعه وقبوله واقباله لحسن الصوت بالقران
متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى
بالقران زاد مسلم لنبي حسن الصوت وفي رواية كاذنه لنبي يتغنى بالقران
وقال عليه السلام زينوا القران باصواتكم ابو داود والنسائي وابن
ماجة والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقران
فليس منا اي من لم يترنم وهو اقرب لغة معنى الا ستغنا و روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عايشة فابطات عليه
فقال لها ما حبسك قالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت
احسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع
فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله

ابن ماجة

ابن ماجة من حديث عايشة ورجال اسناده ثقات واستمع عليه
السلام ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر
فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا كما انزل فليقرا
على قراءة ابن ام عبد احمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر وللترمذي
وابن ماجة من حديث ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشراه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرا القران الحديث قال الترمذي
حسن صحيح وقال عليه السلام لابن مسعود اقرا علي فقال يا رسول الله
اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث
ابن مسعود واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى
فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود متفق عليه من حديث
ابي موسى وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا
امروا احدهم ان يقرا سورة من القران وقال عليه السلام من استمع
الى اية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له
نورا يوم القيامة احمد من حديث ابي هريرة مكتفيا على الترغيب
اي على قدر الرغبة والترهيب للتاثير اي وتاثير النسبة فورد اقرؤوا
القران ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم
فلستم تقرونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه في الاحيا وقال
العراقي متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي باللفظ الثاني
دون قوله ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين

يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وورد ان من احسن
الصوت بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيته انه يخشى الله تعالى
ابن ماجة من حديث جابر بسند ضعيف ولا يسمع القرآن من احد
اشهى منه ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله غير مغير نظمه اي
مبناه بتغيير مخرج حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها
وزيادة في مداتها وكيفياتها واتباع قواعد الموسيقي في نغماتها
المذموم في الشريعة المنسوب الى المبتدعة بل الى الكفرة الفجرة
كما يشير اليه قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون
وانتم سامدون اي معرضون وهامدون وجامدون ولا مشتغل عن التدبر
لآيه والاية وقصص رسله وانبيائه وانواع بلائه لاهل بلائه
ثم اهلاك اعدائه ثم اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل في
احكامه من اوامره وزواجره والتفكر في مبدأ امره ومنتهى عمره
ومواقف القيامة واحوالها ودرجات الجنة وحسن اعمالها
ومنازلها ودركات النار واختلاف اهوالها ويعظمه اي كان عكرمة
ابن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام
ربي وورد لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله تمام الآية فتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون من
قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم
الله اي واستعظم ما صغره الله وقد سبق الكلام على مبناه ومعناه
ويحضر القلب في التلاوة لما سبق في حق الصلاة انه لا صلاة الا بحضوره
الرب وبهم مشيرا ما ورد في التنزيل يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بقوة القلب

واحضاره

واحضاره في مكتب الرب وتدبر فورد في التنزيل ليدبروا آياته
تمامه وليتذكر اولوا الالباب والتدبر سبب التذكر وكان اهتمامهم
بالتفقه اي الدراية دون اللقلقة اي كثرة القراءة والرواية قال
علي لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها وكان بعضهم
يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وقد روي
عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل
له أفي امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك
ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني اذهب وكيف انصرف
قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغلهم
عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا ان يشغله بمهم
دينه ولكنه يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم
صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء الصحابة
بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه حتى لم يستظهره اي لم
يحفظ جميعه الا بضعة عشر صحابيا من اكابر الصحابة واجلائهم
في القراءة كالخلفاء الاربعة وابي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت
وسالم مولى ابي حذيفة وفي الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف
منهم في اثنين قال القرافي قولهم مات عن عشرين الفا لعله اراد بالمدينة
والا فقد روينا عن ابي زرعة الرازي انه قال قبض عن مائة الف
وعشرين الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى واما من حفظ
القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد ابو زيد قلت من ابو زيد قال احد عمومتي ولابن
ابي شيبة في المصاحف رواية الشعبي مرسلا وابي الدردا وسعيد بن عبيد
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقروا القران من اربعة
من عبد الله ابن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابي بن
كعب بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة كالبقرة او سورتين كالزهراوين
وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمايهم وروى ابن الانباري
بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صدر هذه الامة من يحفظ من القران السورة او نحوها
الحديث وسنده ضعيف والترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد
فاستقراهم فاستقرا كل رجل ما معه من القران فاتى على رجل
من احدثهم سنا فقال له ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا
وسورة البقرة فقال له معك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم
الحديث ويردده مرارا اي حق القران ان يكرر المقرو ومن ثمه فقد
قام عليه السلام الليلة باية واحدة يرددها وهي ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم النسائي وابن ماجة
بسند صحيح عن ابي ذر وقرا عليه السلام اية بسم الله الرحمن الرحيم
يرددها عشرين مرة ابو ذر الهروي في معجمه عن ابي هريرة بسند ضعيف
وقام تميم الداري بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقام سعيد ابن جبير ليلة

يردد هذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وتتفهم بان تتكلف
ضبط مبانيه وفهم معانيه وتستوضح من كل اية ما يليق بها ان القران
يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال
انبيايه واوليايه وبيان ما للاعدايه وذكر اوامره وزواجره وبيان
درجات جنته ودركات ناره وهو يتفاوت بحسب صفا الباطن وانواره
وظهور المكاشفة للقلب واسراره فورد ان للقران ظهرا وبطنا
تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود وروى
عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القران انزل على سبعة احرف
لكل اية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة
المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ما ينكشف
من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائي من رواية ابي جحيفة قال
سالنا عليا رضي الله عنه فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم شي سوى القران فقال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة
الا ان يعطي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه الحديث وهو عند
البخاري بلفظ هل عندكم شي ما ليس في القران وقال مرة ما ليس عند
الناس لا يفقه العبد اي كل الفقه حتى يرى للقران وجوها كثيرة
قاله ابو الدردا لا يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وعن الامام جعفر
الصادق قال كتاب الله على اربعة اشيا العبارة والاشارة واللطايف
والحقايق فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطايف للاوليا
والحقايق للانبيا اقول وفي الحقيقة لا يعرف حقايق كلامه ودقايق
مرامه غيره سبحانه بتمامه لان كلامه ازلي من نعته العلي وكما

لا نهاية لذاته ولا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحارا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله اي لطايف مبانيهما ولطايف معانيهما ومن هنا قال علي لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كلما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومباني القران من جملة الحديث رواه احمد عن ابي هريرة اقروا القران والتمسوا غرايبه ابن ابي شيبة في مصنفه وابو يعلى الموصلي والبيهقي في شعبه من حديث ابي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف وعن ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكر في العلم فقال تذكرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر عن ورا الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوي الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران كذا في الاحيا وقال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الصفا ان هذا القران رسايل اتتنا من قبل

ربنا

ربنا بعهود لنتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ماذا زرع القران في قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المومن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس هذا القران احد الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله عز وجل ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي اذ لم تتب الي ومما يدل على ان مدار القران على فهمه والعمل بامره ونهيه ما رواه ابو داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله فاقراه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام افلح الرويجل ولاحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق صاحب القضية وقال حسبي لا ابالي ان لا اسمع غيرها هذه وعن جعفر الصادق والله لقد تجلى الله سبحانه لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وكان رضي الله عنه يتصور ان الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام والنودي في شانه كما صدر من الكلام في ذلك المقام وفق المرام ومن هنا قال بعض الحكما كنت اقرا القران فلم اجد له حلاوة

حتى تتلوه كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه
على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه جبرئيل
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان
اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر
عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم يشبع من قراءة القران
وعن ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين
سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا
لقوله سبحانه ففروا الى الله قيل ليوسف ابن اسباط اذا قرأت
القران بما تدعوا قال بما اذا ادعوا استغفر الله عز وجل من تقصيري
سبعين مرة فنستغفر الله مما سواه ولا يفيد الا اياه ولا نقصد
في الدارين ما عداه اما ما ورد من فسر القران برأيه فليتبوأ مقعده
من النار اي فليهيئ مكانه من نار جهنم رواه الترمذي من حديث
ابن عباس وحسنه وهو عند ابي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي
في الكبرى نحوه اي وعيد على القطع على مراده تعالى اي اذا لم يعلم
انه مراده كما في الايات المتشابهات والالفاظ المشتركة في اللغات
والاخر المعلوم ان قوله تعالى اقيموا الصلاة واتوا الزكاة اراد الله
بهما العبادتين احداهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة
من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلاة وصل الصلاة وبالزكاة
طهارة القلب عن الكائنات والاحتجاج لاثبات القوي بانه يكون له
في الشي راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القران على مقتضاه
ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان

لايلوح

لا يلوح له من القران ذلك المعنى دون الاستنباط اي لا يجمل على استنباط
المعاني من مدارك المباني المحتملات لفقد السماع اي لعدم سماع جميع
المعاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير السبع المعاني الا في
بعض ايات نعد نادرات في واقعات واختلافهم اي ولاختلاف الصحابة
والمفسرين على اقوال اي مختلفة لمتنع التوفيق بينهما اي لا يمكن الجمع
بينهما للتناقض مبانيهما وتعارض معانيهما فنعلم على القطع ان كل مفسر
قال في المعنى ما ظهر له باستنباط في المبنى حتى قالوا في الحروف التي هي اوائل السور
سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير موقفة وورد لعلمه الذين
يستنبطونه منهم الاية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاثبت لاهل
العلم استنباطها ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط
من القران بقدر فهمه وحد عقله بشروط يذكر في محله الاتية ومن
ذلك استخراج ابي بكر رضي الله عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم من قوله
سبحانه اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الكمال يشير
الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السما فهو استخراج المعنى لا يفهم
من ظاهر المبنى اللهم فقهه في الدين اي ابن عباس وعلمه التأويل البخاري
من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه
بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا فينبغي ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس
وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر فهمهم ويقال هو تفسير
بالراي لانهم لم يسمعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك
فافهم فان اكثر القران ما تبين الا بقوله عليه السلام ثم تبين الا بقوله
باقوال الصحابة الكرام واتباعهم العظام من العلماء الاعلام ويتخلى عن

الموانع اي ويجتنب عن موانع الفهم كتحقيق المخارج اي لمخارج الحروف
وترقيق صفاتها واداء اللفظ من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد
وقصر وفق مراعاتها بالمبالغة في تحسين حالاتها والا فانها من الواجبات
وقواعدها
المتعلقة بالقراءة الموسيقي اي ويتخلى عنها بان لا يلحن في القراءة لحنا
جليا كما لا ينبغي ان يلحن فيها لحنا خفيا ففي المقدمة الجزرية والاخذ بالتجويد
حتم لازم من لم يجود القران اثم فانه به الاله انزلا وهكذا منه الينا
وصلا والاصرار على الذنب اي ويتخلى عن الاصرار على الكباير والصغاير
فانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون والاتصاف
بالذميمة اي من الاخلاق الردية والاحوال الدنية فوردا اي في نعت
القران تبصرة وذكرى اي تذكرة لكل عبد منيب والانابة هي الرجوع
من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة
فهي والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء في وصف الانبيا والاوليا انه
اواب فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ويقدر اي يفرض القارئ ويقرر انه
المراد في كل خطاب من الامر والنهي وغيرهما كالوعد والوعيد في كلام الباري
فورد في التنزيل واوحي الي هذا القران لانذركم به وقد سبق في الكلام عليه
وما اتينا سببه المرام لديه اقرا القران ما نهاك اي ما دام نهاك عن الكسل والغفلة
ونحوهما من المنهيات وتمام الحديث فاذا لم ينهك فلست تقراه الطبراني من
حديث عبد الله عمرو بسند ضعيف وقصته اي ويقدر انه المراد في كل قصة
مشتملة على صحة ونعمة او محنة وعصمة فهي للتنبيه فورد في التنزيل

وكلا

وكلا اي وكل ما يحتاج اليه ويصفه بقوله نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فوادك بدل كل من كل واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت
فغيره اولى وورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويتاثر
اي القارئ باختلاف حال القلب اي تقلبه بحسب المعنى اي يتفاوت
معنى كلام ربه فيفرح فيشتاق ويخاف كلها لف ونشرها المرتب
عناية ورحمة وجنة وعذاب ونحوها من التوبيخ والتهديد والوعد
والوعيد والانذار والايثار ويترقى فيه اي في مراتب التاثير من المقام
الادنى الى المقام الاعلى فالادنى اي في مقام الترقي تقريبا الذي يتصور
بين يديه تعالى كما يقرا بين يدي معلمه قال تعالى الرحمن علم القران
فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبديه ولديه ويجري عليه
فيفيد هذا الحال التملق والسوال والتضرع والابتهال ثم انه تعالى
اي يقدر انه سبحانه يخاطبه اي من وراء حجاب فيورثه المهيبة
والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلما بكتابه او مستمعا لخطابه
او واقفا لجنابه ومتعلقا ببابه فيفيد التادب بادابه ثم رويته
المتكلم بان قرا اسم الذي كاسم الله والحق وصفاته كاسم الحي
والعليم والسميع والبصير والقدير وافعاله اي كاسما افعاله مما اثره
محسوسة مخلوقاته كالمحيي والخالق والرازق والمصور والوهاب والاولان
اي من الاحوال لاصحاب اليمين اي من المطيعين من المسلمين وغيرها اي من
المراتب المذكورة من انواع الحالات الترقي للغافلين وقد تقدم تحقيقه
حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين ويرى اي وينبغي ان يرى
السالك ولو كان في اعلا المسالك دخوله فيما ورد في العاصين والمقصرين

دون المقربين وذوي اليقين اي المعتبرين في امر الدين ومنها اي من انواع
الورد الصلاة عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم فيفيد وعد صحبته
اي رفقته في منزلته وشفاعته لاهل محبته اما دليل الاول فقوله
عليه السلام اولى الناس بي اي بقربي في العقبى اكثرهم علي صلاة كان اقربهم
مني منزلة واما الثاني فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي ثم اسالوا الله لي الوسيلة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وورد شفاعتي لاهل الكباير من امتي الترمذي وحسنه والبيهقي وصححه
وورد ايضا صدقة رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة بلفظ اكثروا الصلاة
علي فانها زكاة لكم اي بمنزلة زكاة وصدقة لفقرايكم ومن صلى علي في
كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني
في الاوسط وابو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث
ابي هريرة بسند ضعيف وفي رواية ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا صلوا
علي فان الصلاة كفارة لكم فمن صلى علي واحدا صلى الله عليه عشرا
وفي رواية ايضا عن ابي كاهل من صلى علي كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة
ثلاث مرات حبا لي وشوقا الي كان حقا على الله ان يغفر له ذنوبه تلك الليلة
وذلك اليوم وحقها ان تقرن اي الصلاة بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا
تسليما وظاهر الجمع بينهما في كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووي
اولا والمطلوب الجميع فاذا صلى في وقت وسلم في اخر فقد خرج عن
عهدة الامرين كما في قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وقد
جعلت في المسئلة رسالة مستقلة والصلاة بالخفض اي ويقرن
بالصلاة على ساير الانبيا او بالرفع اي من حق الصلاة على النبي الصلاة

اي في الدنيا الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود
وفي رواية البيهقي باسناد حسن عن ابي
امامة فمن كان اكثرهم علي صلاة صح

بجمع

على

على ساير الانبيا وكذا الملايكة المقربين اصالة واهل البيت والصحابة
اي تبعا فهو الماثور وعليه الجمهور وقيل الجمع بين الصلاة والسلام
لنبينا ونقتصر على السلام في الانبيا والملايكة ولا تذكر عند العطسة
فيه خلاف والذبح ولو مكروه قال صاحب المحيط لان فيه ايهام الاهلال
له والتعجب اي روية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوى قاضي خان
رجل يقرا القران وسمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناطفي انه لا
يجب عليه الصلاة لان قراءة القران على النظم والتاليف افضل من
الصلاة ولو فيهما من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه
كان حسنا وان لم يصل عليه لم ياثم والله سبحانه اعلم والظاهر انه
يستثنى ما اذا قرا او سمع اية يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فانه يجب عليه الصلاة والسلام حينيذ ولو في الصلاة
كما صرحوا بذلك في حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل علي
النساي والطبراني في الاوسط وابو يعلى وابن السني ورواه احمد
وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرني فليصل علي ابو يعلى عن انس والظاهر
ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوي انه تتداخل في المجلس كسجدة
التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي اي ذل في الباب ولصق بالتراب وابتلي بالحجاب رواه الترمذي
وابن حبان والبزار والطبراني من حديث ابي هريرة وحسنه الترمذي
البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي الترمذي والنساي عن علي وابن حبان
والحاكم عن حسين بن علي رضي الله عنهما والاخبار في هذا كثيرة والاثار
شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة في شرح الصلوات المحمدية والصلاة

الاحدية ومنهما اي من جملة الاوراد اجل ورد للعباد والعباد في جميع
البلاد الاذكار ككلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح
والتحميد المروية في الاخبار المرضية الوارد فيهما الفضائل اي الكثيرة
المشهورة في الكتاب والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله تعالى
فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي سبحانه
وتعالى ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرني وقوله
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله وقعودا
وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر
والحضر والغنا والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقوله في ذم المنافقين
ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين ولذكر
الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم
اياه والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله عليه
السلام ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين رواه البزار
والطبراني في الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدي
ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ابن ماجة وابن حبان من حديث ابي هريرة
والحاكم من حديث ابي الدرداء وقال صحيح الاسناد وقوله من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابي شيبة في مصنفه والطبراني
من حديث معاذ وقوله لما سئل اي الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك

رطب من ذكر الله ابن حبان والطبراني في الدعاء والبيهقي في الشعب
من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته
في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه واذا تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا
واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة لديه
والحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة وقوله عز وعلا من شغله
ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين البخاري في
التاريخ والبزار في المسند والبيهقي في الشعب الايمان من حديث
عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها
واخر يذكر الله كان الذاكر لله افضل الطبراني في الكبير عن ابي موسى
وقوله مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت رواه الشيخان
عن ابي موسى الاشعري وقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذي
والبيهقي عن انس واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة مرفوعا اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت
وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وقوله ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله
تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ وقوله اكثروا ذكر الله
حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابو يعلى وابن السني والحاكم والبيهقي
من حديث ابي سعيد الخدري ومنهما اي من اصناف الورد الدعاء فورد
الدعاء مخ العبادة والترمذي من حديث انس والدعاء هو العبادة اصحاب السنن

الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال الترمذي حسن صحيح ليس شي
اكرم عند الله من الدعا الترمذي وقال غريب وابن ماجة وابن حبان
والحاكم وقال صحيح الاسناد ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسئلة الا
اعطاها اياه الا ان يعجلها واما ان يدخرها له احمد عن ابي هريرة الدعا
سلاح المومن ابو يعلى والحاكم عن علي من سره ان يستجيب الله له
عند الشدايد والكرب فليكثر الدعا في الرخا الترمذي والحاكم عن ابي
هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع الله غضب عليه ابن ابي شيبة
في مصنفه من حديث ابي هريرة ونعم ما قيل الله يغضب ان تركت سواله
وابنا ادم حين يسئل يغضب واختلفوا هل الافضل هو الدعا والسكوت
تحت جريان القضا مع ان الدعا اينما في الرضا فقيل الاول لحديث
الدعا مخ العبادة وقيل الثاني لكمال القوله عليه السلام من شغله
ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين ويوييده قول الخليل
علمه بحالي يغني عن سوالي وقيل يختلف باختلاف الاوقات من البسط
والقبض والخوف والرجا ونحوها من الحالات وقيل ما كان لنفسه فالسكوت
اولى وما كان لغيره فالدعا احرى وحقه اي الدعا ان يترصد اي ينتظر
شرايف الاوقات لما ورد في فضيلة من يوم كيوم عرفة ويوم الجمعة
وليلة كليلة الجمعة وليلة القدر وسحر وهو قبيل الصبح على ما ذكره
الجوهري والسدس الاخير على ما قاله الزمخشري والثلث الاخير
على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سما
الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له
من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه

بيان هل الافضل الا

السلام انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربي ليدعوا في وقت السحر
فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يومنون خلفه فاوحى الله
عز وجل اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبيا وعن عايشة ما الفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم السحر الاعلى في بيتي وعندي الا قايما متفق
عليه ولم يقل البخاري الاعلى وجوف الليل اي وسطه واثنايه كله
او نصفه وعند الزوال اي الاستوا فانه بمنزلة نصف الليل ولانه غالبا
وقت الغفلة او بعد الزوال الاخير لما ورد من فتح ابواب السما وصعود
الاعمال يوم الجمعة وفي جلسة الخطيب اي على المنبر وغروب الشمس فيهما
اي وعندي في الجمعة اقوال في ساعة الجمعة وتعيينها من الاقوال
وما ورد فيها سبق من اوقات الدعا في شرح الحصن الحصين وبين الاذان
والاقامة يوم الجمعة او مطلقا فان الدعا بين الاذان والاقامة لا
يرد وقد جعله صاحب الحصن في الاحوال والحديث رواه ابو داود
والترمذي والنساي وابن حبان عن انس وزاد الترمذي قالوا فما نقول
يا رسول الله قال اسئلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وبين الظهر
والعصر يوم الاربعا لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان في الاوقات
الاجابة فروى البزار والطبراني عن عبادة ابن الصامت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وحضر رمضان اتاكم رمضان شهر
بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعا
الحديث والاحوال اي وان يترصد شرايف الاحوال كالغزو ونزول
المطر رواه الطبراني الشافعي في الام مرسلا وقال قد حفظت عن غير
واحد طلب الاجابة عنده واما الفرض ظاهره بعد ادايه ويحتمل وقوعه

في اثنايه قال ابو هريرة ان ابواب السما تفتح عند زحف الصفوف في
سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة وروى
ابو داود والحاكم عن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنهما انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لا تردان
قلما تردان الدعا عند الندا وعند الباس حين يلحم بعضهم بعضا
وفي رواية عنه ايضا مرفوعا قال ووقت المطر او تحت المطر
وختم القران خصوصا من القارى فعن العرباض مرفوعا من صلى صلاة
فريضة فله دعوة مستجابة الطبراني في الكبير وعن الحكم ابن عتيبة
قال مجاهد وعبدة ابن ابي لبابة والناس يعرضون المصاحف فلما كان
اليوم الذي ارادوا ان يختموا ارسلوا الي والى سلمة ابن كهيل فقالوا انا
كنا نعرض المصاحف فاردنا ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا
انه كان يقال اذا ختم القران نزلت الرحمة عند خاتمته رواه ابن ابي شيبة
في مصنفه وابو بكر بن ابي داود في كتاب المصاحف بسند صحيح والمشي
الى المسجد فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلاة قال اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن
شمالي نورا وخلفي نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفي رواية
كان يقول اللهم اني اسئلك بحق السايلين عليك وبحق ممشاي اليك
فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا ريا واني خرجت ابتغا مرضاتك واتقا
سخطك ان تنقذني من النار وان تدخلني في الجنة مع الابرار والصوم
اي حاله فورد الصايم لا ترد دعوته الترمذي وحسنه وابن ماجة من
حديث ابي هريرة والافطار اي وقته فورد ان للصايم عند فطره

لدعوة

لدعوة ما ترد ابن ماجة والحاكم عن ابن عمرو والسجدة اي حال السجود
فورد اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا
رواه مسلم والرقة اي رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب والتيقظ
لجلاله تعالى فانهما من علامات الاجابة والمرض فقد ورد اذا مرض
العبد ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ابو الفتح عن انس
وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاه كدعا
الملايكة كذا في المشكوة والغربة فقد روى البزار عن ابي هريرة ثلاث
حق على الله ان لا يرد لهم دعوة الصايم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر
والمسافر حتى يرجع وقراءة الاخلاص لم اجده والكون في الجماعة يبلغ
مائة ذكره الحصين في احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة
عن ام عطية الانصارية والوقوف بعرفات فورد خير الدعا دعا يوم
عرفة الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده والملتزم وكذا رؤية
الكعبة وعند زمزم وعند قبره صلى الله عليه وسلم وكذا في مساجده
ومشاهده والكل ما تورده البعض مشهور وفي الحصن زيادات عليه
وقد شرحنا لديه من بيان اماكن الاجابة والذين يرجى لهم الاجابة
وقد خلط المص بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة ويستقبل
القبلة ويرفع يديه لما روى عن جابر انه عليه السلام اتى الموقف
بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وللنسائي
من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو
ورجاله ثقات حتى يرى ما تحت ابطيه ضاما كفيه جاعلا بطنهما نحو
السما فهو مروي اي عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى

بياض ابطيه في الدعا متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقا وكان ابن
عباس عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني
في الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عليه السلام اذا مد يديه في الدعا
لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرك
وسكت عليه فورد ان الله تعالى ليستحي ان يردهما صفرا بكسر الصاد اي
خاليا فعن سلمان ان ربكم حيي كريم فيستحي من عبده اذا رفع يديه
ان يردهما صفرا ابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم
وقال الاسناد صحيح على شرطهما دون العين اي لا يرفعهما الى السما
حال الدعا فهو منهي عنه فعن ابي هريرة مرفوعا لينتهين اقوام
عن رفع ابصارهم الى السما عند الدعا او ليخطفن ابصارهم رواه مسلم
ولا يبالغ في رفع صوته لما روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا
اصواتهم فقال يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غايب ان
الذين تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا في الاحيا وقال العراقي
حديث ابي موسى يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم
ولا غايب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف
لابي داود وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في
الدعا وفي رواية والطهور ابو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم
ويؤيده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
وورد اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه وفي لفظ صوته
ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسن فالاخفا

٧٧

في الدعا افضل لثلاث الاية ولقوله تعالى ثنا على زكريا اذ نادى ربه
ندا خفيا اي يبتدئ الدعا بالتحميد كما في سورة الفاتحة ووقع الثنا
قبل الدعا وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى
الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والصلاة اي على النبي عليه
السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال
اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد ربه والثنا ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يدعو بما شا رواه الجماعة وورد اذا سالتم الله
حاجة فابدوا بالصلاة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين
فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي كذا في الاحيا
وقال العراقي لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابي الدردا ويختم
اي الدعا بهما اي بالحمد لقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين وبالصلاة لكونهما يكونان مقبولين فلا ترد حاجته في
البين قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجته فليبدا
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم
بالصلاة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع
ما بينهما وتقدم على دعائه ربنا اي يا ربنا خمسا فورد فيه اي في حق
تقديم ربنا خمسا وهو قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك الى قوله
فاستجاب لهم ربهم وحاجة الاخرة اي وتقدمها على حاجة الدنيا لقوله

عليه السلام اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا لفنا درج النجاح اي الفوز
والفلاح ويجتنب الجهر والمخافتة اي بل يجعل دعاه وسط الحالة
فورد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعايك كما قالت عايشة
وهو متفق عليه وتمام الاية وابتغ بين ذلك سبيلا لكن الظاهر
ان المراد بصلاتك بقراتك فيهما كما تقدم ومعناه اما في التهجد او
المعنى لا تجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها في تمام الايام
وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح
والعشايين والجمعة والتراويح وبعضها سرية كالظهر والعصر
وساير النوافل وكان عليه السلام اذا قرا من الليل رفع طورا وخفض
طورا ابو نصر عن ابي هريرة ولا يتكلف بالسجع في الدعا فان حال
الداعي ينبغي ان يكون حال المتضرع والمتكلف لا يناسبه فورد اياكم
والسجع في الدعا وغايته بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس
وانظر السجع من الدعا فاجتنبه فاني عهدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه لا يفعلون الا ذلك اي عدم تكلف
السجع ثم المنع انما هو التكلف في السجع بخلاف ما اذا ورد على
مقتضى الطبع والا ففي الادعية الماثورة على لسان صاحب الشرع
جاءت كلمات متوازنة موتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه
السلام اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون

بالعهود

بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد الترمذي من حديث ابن عباس
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته
فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب وكقوله اللهم
اني اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعا لا يسمع احمد
وابن حبان والحاكم عن انس وزيد في رواية ومن هولا الاربع وكقوله
اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا احمد في مسنده عن ابي سعيد
مرفوعا والاولى ان يقتصر على الماثور ليلا يسال ما لا صلاح عنده
فانه اذا جاوزه قد يعتدي فيسال ما لا يقتضيه مصلحته فما
كل واحد يحسن في دعوته ولذى روي عن معاذ ان العلما يحتاج
اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون
حتى يتعلموا الدعا من العلما ولانه عليه السلام تعليما للامة
الكرام ما ترك شيا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا ٧٨
الا سال الله وتعوذه وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع
الدعوات القرانية وسميته بالحزب الافخم والورد الاعظم ويتضرع
بالاستكانة والتذلل عنده ويخفي الدعا عن غيره فورد ادعوا
ربكم تضرعا وخفية والقياس على الذكر اولى لاحد انواعه وقد ورد واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول وفي الحديث
خير الذكر الخفي ويحقق الرجا في اجابة الدعا لحديث لا يقل احدكم
اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ليعزم المسالة فانه لا مكره
له متفق عليه من حديث ابي هريرة ولحديث اذا دعا احدكم فليعظم
الرغبة فان الله لا يتعاظمه شي رواه مسلم من حديث ابي هريرة فورد ادعوا الله

وانتم موقنون بالاجابة لما مر واعلموا ان الله لا يستجيب دعا من قلب
غافل الترمذي من حديث ابي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم
الاسناد وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعا ما يعلم
من نفسه فان الله اجاب دعا شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى
يوم يبعثون قال انك من المنظرين وما احسن من قال من اهل الحال
لو كان فيه خير لما لا انظر الى مكانه انظرني ويلح اي يكرر الدعا فان
الله يحب الملحين في الدعا الحكيم وابن عدي والبيهقي عن عايشة
اما ما ورد من حديث ان الله يبغض السايل الملحف فمحمول على
ساير الخلق لمخالفته كلام الحق في مدح الصحابة لا يسالون الناس
الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا
دعا ثلاثا واذا سال سال ثلاثا رواه مسلم واصله متفق عليه
ولا يستعجل بان يستبطي الاجابة فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل بما هو
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث ابي هريرة وقال بعضهم
اني اسال الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو ا
الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقد ورد اذا سال احدكم
ربه مسالة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
ومن ابطا عنه من ذلك شي فليقل الحمد لله على كل حال البيهقي في الدعوات
من حديث ابي هريرة والحاكم نحوه من حديث عايشة مختصرا باسناد ضعيف
وللبيهقي في كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابي ثابت قال حدثنا
شيخ لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه شي يكرهه
قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شي يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل

الذي

الذي بنعمته تتم الصالحات ولا يذكر الصالحات اي طاعته السابقة عند
الدعوة فهو يورثنا العجب اي والمقام يقتضي المذلة وفيه نظر اذ جعله
صاحب الحصن من ادب الدعا تقديم عمل صالح كما في حديث ابي بكر رضي الله
عنه في صلاة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة
ويدل على حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلاثة نفر
يتماشون اخذهم المطر فالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة
من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها
لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث الطويل
ولا المعصية اي ولا يذكرها فهو ينفي الاليق اي بالاجابة وان كان في
خبر للامكان والاولى ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون
ادعى الى الاجابة كما سياتي البيان الاشارة وقد تقدم ايضا في طي العبارة
وجا النذر اي في الكتاب والسنة لجواز ان يقول مثلا ان استجاب
الله دعاي فلله علي ان اصلي كذا او صوم كذا ونحوهما لقصة
مريم رضي الله عنها حيث قالت امها حنة امرات عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم الايات وحيث
قالت مريم اني نذرت لله خمسين صوما ولقوله تعالى في وصف
الابرار يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الايات والاضطرار عطف
على الرجا اي وتحقق الاضطرار ومواظبة كمال الاحتياج والافتقار فورد
امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو يعم الكفار والاضطرار عطف على
الرجا اي وتحقق الاضطرار ومواظبة كمال الاحتياج والافتقار

فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه ومنه يمل الكفار والاصل اي في قبول
الاجابة التوبة اي حصولها بان يجتنب الحرام في مأكله ومشربه
وملبسه ومكسبه لما رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة يرفعه
انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب
يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب له
ورد المظالم فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثوري بلغني ان بني
اسرايل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال
وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل
الى انبيايهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم
عنان السما وتكل السنتكم عن الدعا فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم
باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وتوجيه الهمة
اليه تعالى اي تخليص القلب قصدا لجانب الرب وعدم الالتفات
الى ما سواه في المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من اركان
الدعا قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين وقال واذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فالنافع اي من الدعا ولو من
الماثور هو الحضور اي مع الله في مجلس الانس والسرور واما المقصود
الاتي به تعالى الموجب للنور في الصدور واما الحور والقصور وساير
انواع الحبور فالالتفات اليهما نوع من التقصير والقصور وبه اي
بالانس في حضرة القدس يرجى خير الخاتمة لا الاحوال التي مدارها على العناية
السابقة كما يشير اليه قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ويلازمه
اي يلازم سلطنة الدعا في الرخا اي في حال النعما والا لا يندفع البلا اي

في السرا

في السرا والضرا فورد من سره ان يستجيب الله له عند الشدايد والكرب
فليكثر الدعا في الرخا الترمذي عن ابي هريرة والحاكم عن سلمان وقال
صحيح الاسناد وروى البيهقي والخطيب عن جابر مرفوعا لقد بارك الله
في حاجة اكثر الدعا فيها اعطيها او منعها ويرغب في دعاء ذي فضيلة
دينية اي من العلما الاعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام
فورد ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصايم حتى يفطر ودعوة
المظلوم وللبيهقي عن ابي هريرة ثلاثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله
كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عليه السلام قال لعمر
حين اعتمر اشركنا في دعايك يا اخي وروى مسلم من حديث عمر انه
قال لاويس القرني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن
كان به برص فبرى منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله
لابره فلو استطعت ان يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر
له ويتقي دعا المظلوم فورد اتقوا دعوة المظلوم فانما تحمل على الغمام
يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين الطبراني في الكبير
والضيا عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم
فانها تصعد الى السما كانها شرارة احمد والطبراني من حديث ابي
هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه
واسناده صحيح حسن والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان
يكون المراد به الكافر لما في رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى
والضيا عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها

مجاب ولابن حبان من حديث ابي ذر الغفاري قلت يا رسول الله ما
كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور
اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة
المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر ولا يدعوا على احد لئلا يهلك
بسبب دعائه احد ولو كان ظالما لقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره
على الله فالكل اما نور اي وعامل في كله ماجور ومنها اي من جملتها اولا
التفكر نورد ويتفكرون في خلق السموات والارض اي في مخلوقاتهما
او في كيفية ايجادهما او بقائهما بامدادهما وعنه عليه السلام
ويل لمن قرا هذه الاية ولم يتفكر تفكر ساعة خير من
عبادة سنة ذكره الفاكهاني من كلام السري السقطي وقال قال ابن عباس
وابو الدردا فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى واخرجه الديلمي عن انس
وفي الجامع الصغير للسيوطي فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة
ابو الشيخ في العظمة عن ابي هريرة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى
المحاب ومن الرهب والرغبة الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث
مشاهدة فانها نتيجة المراقبة وسواي التفكر طلب المعرفة بنظر
الفكرة اولى التذكر اي والحاصل التفكر تذكر ما نسي من جهة الغفلة
وسواي التذكر احضار القلب من اضافة المصدر الى فاعله المعارف اي
معرفة نعمة الظاهرة والباطنة واعلم المواظبة على الاوراد هو الطريق
الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين بنور البصيرة
علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت
العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام

ذكر

اولى

[illegible]

ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء
منها قدر البلغة وضروريتها وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات
الليل وساعات النهار في وظايف الاذكار ولطايف الافكار والنفس
لما جبلت عليه من السامة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب
المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال
اظهرت الملال والثقل والاستثقال وقد ورد ان الله تعالى لا يمل حتى تملوا
فمن ضرورة اللطف ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع
بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة
رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ولله در القايل من ذوي
الفضايل النفس اذا كانت مدبرة الا التنقل وهذا طبع البشر
فاصله اصلا لا يتغير واما الملايكة فهم لا يسأمون يسبحون فكل جمع
منهم على طاعة مستمرون ولذا ينقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها
والذكر والفكر ينبغي ان يستغرق جميع الاوقات او اكثر الحالات فان
النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد
شطرا وقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الاخر
الى العبادات ويخشى كما لا نعادل رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها
في الطبع والهوي اذا لو فرضا متساويان فاني يتقاومان فالطبع
لاحد منهما مرجح لا محالة لان الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا
ويتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير المحاسبة فيستغرق
اوقاته في الطاعة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما
قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وورد حاسبوا انفسكم

قبل ان تحاسبوا وقال عز وعلا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن اراد ان يترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ومقطع ولكن الرجا غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه وجدواه العلم اي ثمرة الفكر وفايدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهي العلم والحال والعمل هذا معنى قوله ومنه اي العلم حصول المعرفة المثمر للحال ومنه اي الحال تاثر القلب المثمر للعمل ومنه اي العمل خدمة الجوارح اي الاعضا في الطاعة وتوضيحه اي ثمرة الفكر ثلاثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هي العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبتدا والمفتاح للخيرات وهو يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان ومجراه اي مجرى التفكر ومسراه شيئان اما المعاملة وهو مبتدى السلوك في طريق المعاملة وحقه اي حق التفكر في المعاملة الظاهرة ان يبتدا اي يبتدي بالنظر والتامل في معاصيه الظاهرة واحدا بعد واحد ويتفكر في كل هذا محظور اي حرام او مكروه ثم هل يوجد فيه اي المحذور المذكور ثم ما التدبير في دفعه بالسعي المشكور ثم في طاعته اي وبعد ذلك يتفكر في انواع طاعته الظاهرة ويتامل في كل فرد منها هل هذا مندوب اي مستحب وسنة موكدة او واجب او فرض محتم ثم هل هذا مقدور اي مقدور له بان هو مستطيع في تحصيله من الزكاة والحج ونحوهما المستغني

سان
في كل هذا محظور

عن

عن تفضيله ثم في الباطن كذلك اي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنة من الاخلاق الرديئة والاحوال الدنية هل شي منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع المقصود ويتنافيه وكذا في الطاعات الباطنية من الشمايل الرضية والفضايل البهية نفيا واثباتا واما المكاشفة عطف على المعاملة اي ومجراه الاعلى لامور المكاشفة بالمولى فهو اي التفكر الموجب للمكاشفة اما هو في اسمايه الحسنى وصفاته العليا الواردة في الكتاب والسنة وملكوت السموات والارض اي وبواطنهما المملوة من العجايب والغرايب في الطول والعرض اما الذات المقدس فلا سبيل اليه الا بالذكر لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وقال علي كلما خطر ببالك فالله وراء ذلك وقال عز وعلا ليس كمثله شي وقال بعضهم كل اسم للتخلق الا اسم الله فانه للتجرد والتعلق فورد لا تتفكروا في ذات الله ابن ابي شيبة في كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابو نعيم في الحلية عنه مرفوعا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله ذكره الزركشي وفي رواية تفكروا في شي ولا تفكروا في ذات الله وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع الصغير للسيوطي تفكروا في شي ولا تتفكروا في ذات الله فان بين السما السابعة الى كرسيه سبعة الاف نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ في العظمة عن ابن عباس تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره ايما الى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته وفي رواية تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله ابو الشيخ والطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وابو نعيم في الحلية

كشي

عنه مرفوعا بلفظ تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وعند ابن عباس
تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله والعقل يعجز عنه اي عن ادراك ذاته
سبحانه عجز الخفاش عن ضوء النهار اي لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس
فهو عز وجل من غاية نوره يخفى عن ظهوره ومن هنا قيل العجز عن درك الادراك ادراك
وحقائق الصفات كذلك اي لا يدرك كنهها هنالك فلا يطيقه الا الخواص
من الانبياء وكمل الاولياء احيانا في اعلى مراتب مقاماتهم ولا يذكرون للعوام
الا على قدر افهامهم لتقييدهم بمحسوسات اشكالهم وامثالهم في عقولهم
واوهامهم فعلى العبد السالك طريق الارادة ان يديم العبادة بالصلاة
والتلاوة ظاهرا وباطنا بالذكر والفكر ويترك المالوف والعادة ليحصل
محبته تعالى الذي اهم من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايات وعن عائشة
من عود الله عبادة فتركها ملالا مقته الله رواه ابن السني في رياضة
المتعبدين موقوفا عليها قال العراقي وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركه
ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة في النهار
تشتغل بالاذكار والافكار بعد الفجر اي ظهور الصبح والاسفار اي حين
الاشراق اي طلوع الشمس وضوء النهار لقوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق
لانهما مكانه وملازمة شانه الا ان يخاف الريا في عبادة ربه سبحانه
والتشويش اي تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك
فيرجع ويلزم زاوية اي خلوة لذلك فكانوا اي السلف يبالغون في رعايته
اي مراعاة هذا الوقت ويعيبون المتكلم فيه اي بكلام الدنيا ويخوفونه
بالمقت وورد انه اي الشان من احيا او احيى من عتق اربع رقاب من ولد اسماعيل
حبا

معرنه

بفتح

بفتح الواو واللام وبضم فسكون اي اولاده واحفاده من العرب
بعد العصر الى المغرب كذلك اي او يشتغل بعد اداء العصر الى غروب الشمس كما ذكر
هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة
حتى تطلع الشمس احب الي من ان اعتق اربعة من ولد اسماعيل ولان اقعد
مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر الى ان تغرب الشمس احب الي من ان اعتق
اربعة ابو داود بسند حسن عن انس وفي رواية لان اقعد في مجلس
ذكر الله من صلاة الغدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربعة
رقاب وروى احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جابر بن
سمرة انه عليه السلام كان اذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع
الشمس وفي رواية للترمذي عن انس من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر
الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كاجر حجة وعمرة تامة
تامة تامة وكان تعظيمهم اي السلف اياه بعد العصر اكثر من تعظيم
ما بعد الفجر اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية ولحديث الاعمال
بالخواتيم فينبغي قيامه بالاستغفار ورده وامده بالاذكار والافكار
ومحاسبته ما جرى له من اعمال النهار وعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي
منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا
واخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه وبقا بقية من عمره فليشتغل
بتدارك تقصيره في امره وليحضر في قلبه ان نهار العمر انتهى وتغرب فيه
شمس الحياة ولا يكون لها بعدها طلوع وابتدا وعند ذلك تغلق باب
التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة
جملتها بانقضا احادها المحدودة وورد في تخصيص تفضيل هذين

الوقتين واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صبحا وعشيا وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار اي طرفا النهار يا ابن ادم اذكرني من بعد صلاة الفجر
ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك مؤنة ما بينهما ك ابن المبارك في الزهد
هكذا مرسلا عن الحسن ويقرأ المسبعات العشر فانه مستغفات للعشرة في الوقتين
المذكورين فقيه فضل كثير كما ذكر في الاحيا لكن قال العراقي في حديث كرز
ابن وبرة عن اهل الشام عن ابراهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات العشرة
وقال في اخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا
حياته ولا مماته انتهى والعشرة هي الفاتحة الكتاب والكافرون والاخلا ص
والمعوذتين واية الكرسي والصلاة على النبي عليه السلام واللهم اغفر
لي ولوالدي وللمومنين والمومنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واللهم افعل
لي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل
بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحد
من العشرة يقرأها سبع مرات وكذلك اي يشتغل بالعبادة ما بين الاشراق
وهو اول طلوع الشمس والضحى وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين
الاخر يميز فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة ان كان تجرد لها اي للعبادة
ويشتغل بما سبق من العبادات يعني التلاوة والذكر والفكر والصلاة
ونحوها من الطاعات بتنقل حالا او بدلا شيئا او بينا انتقالا من نوع
عبادة الى اخرى على حسب صلاح قلبه فيما يراه حينئذ اولى واحرى
في الدنيا والاخرى وانما ينتقل في تلك الحالة قطعا للملالة ودفعا

للكسالة

للكسالة ودفعا للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما تطيقون فان
الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين فقد كان في الصحابة من
ورده في اليوم اثنى وعشرين الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون
الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة
واقل ما نقل في اورادهم في الصلوات مائة ركعة في اليوم والليلة وكان
بعضهم اكثر ورده القران فيختم في اليوم مرتين او مرة وكان بعضهم يقضي
اليوم والليلة في التفكر في اية واحدة وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة
يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع
ذلك يختم القران في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة
فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة
وختمتان والافضل قراءة القران في قيام الصلاة اي ليلا او نهارا
لتيسرها اي في جمعها يحصل الصلاة والتلاوة والتعلم اي تفهم المبنى وتصور
المعنى والحضور اي مع الملوك والذكرى وانواع الذكر واصناف الفكر
في الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة وهذا في حق المنتهي واما المبتدي
ففي حقه دوام الذكر المجرد افضل وبالقراءة بالنسبة للمتوسط امثل على
ما قاله العارف السهروردي في العوارف وبغيره اي ويشتغل بغير ما سبق
ايضا من الحسنات كعيادة المريض لا سيما الفقير والغريب وتشييع الجنائز
خصوصا للعلماء والاولياء واغاثة المسلم واعانته في الامر المهم وحضور مجالس
العلم فهي عبادات اي عظيمة وفيها مثوبات جسيمة وكان يفعلون هذا
ما بين الاشراق والضحى اي في غالب احيانهم وعرفا اهل زمانهم وان لم يكن السالك
متجردا للعبادة فالعالم والمتعلم بالعلم ان يشتغلان بتعليمه وتعلمه

فزرد الله اي الاشتغال بالعلم افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة
وعيادة الف مريض وقراءة القران وتقدم ان هذا الحديث لا يصح فالاولى ان
يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قراءة القران انما
يعد من العبادة اذا كانت بمجرد التلاوة اما تعلمه وما يتعلق به من انواع
القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم غير ان المراد
اي المقصود هنا بالعلم علم الاخرة اي علم ينفع في الاخرة كالكتاب والسنة
الفاخرة لما سبق في المقدمة من تقسيم علما الدنيا وعلما الاخرة وان علم
علم الاخرة يقسي القلب فضلا عن حصوله الثواب ووصوله القرب
فيتفكر اي كل من العالم والمتعلم في حل المشكل بعد الاشراق وقبله
بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق فالقلب فيه اي في صدر النهار
اصفى اي ابعد من الاكدار لكونه بعد الذكر اي بعد وقوعه الصلاة والاذكار
وقيل عمل الدنيا وما يتعلق بهذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد
ورد اللهم بارك لامتي في بكورها والمشتغل بامور الناس عموم المسلمين
كالقاضي والوالي وهو الامام والمتولي وكذا المدرس والمفتي وامور اي
امور نفسه كالكاسب ونحوه يشتغل بتلك الامور مراعيا شروطها كما هو
المشهور وقد قيل لا ينبغي ان يوجد المؤمن الا في ثلاثة في مواطن مسجد
يعمره او بيت يستره او كسب لا بد منه فيحضره ذاكرا في اثنائها لقوله
تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية محضرا قلبه مراعيا
ربه قاصرا كسبه على الحاجة اي قدر الضرورة له في امر المعيشة من النفقة
الا اي لكنه يجوز الزيادة للصدقة اي لاجل ان يتصدق على ذي الحاجة
فقيل هو اي الكسب للتصدق احب من الذكر لانه اي نفقة التصدق متعد

للغير

للغير والذكر قاصر ثوابه على الذاكر وقيل الذكر هو الافضل من التصدق
وهذا هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم واخر يذكر لكان الذاكر
لله افضل ولقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا
ابر وقد اتفق المشايخ على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر والاولى
النظر الى صلاح القلب اي والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق
فيكون اولى في حقه من الذكر وقد يضيع الذكر للاخر فيكون اولى في حقه
من الذكر الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وحديث ان من
عبادي من لا يصلحه الا الغنا ولو افقرته لفسد حاله وان من عبادي من
لا يصلح له الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ومن هنا قال عمر الفقر
والغنا مطيتان لا ابالي ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله اعلم ويديم الورد
فزرد احب الاعمال ادومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة بل يزيد
اي المزيد في الورد ان كان من اهل المزيد كمية او كيفية فزرد لا بورك
لي في يوم لا ازداد فيه خيرا اي علما او عملا والحديث كذا في الاحيا وقال
العراقي علما بدل خيرا وقلت واصل الحديث على ما في الجامع الصغير
اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله تعالى فلا بورك
لي في طلوع الشمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابن عدي وابو نعيم
في الحلية عن عائشة ويجمع في يوم واحد بين الصوم والصدقة والعيادة
والتشييع فزرد من جمعها في يوم غفر او دخل الجنة شك من الراوي قال
العراقي حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة
غفر له وفي رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابي هريرة ما اجتمعن في امرء

الا دخل الجنة انتهى وفي الجامع الكبير للسيوطي عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم من اصبح اليوم منكم صايما قال ابو بكر انا
قال وجبت لك الجنة رواه البخاري وليس فيه ذكر الصدقة ولعله في
رواية اخرى وسقط من الكتاب وفي الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة
صايما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب للبيهقي
عن ابي هريرة وفي رواية له ولابن عدي والبخاري في تاريخه عن جابر
من اصبح يوم الجمعة صايما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم
يتبعه ذنب اربعين سنة اما في الليل اي وحده فالاحوط ان يوتر اي
يصلي الوتر قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ اذ النوم اخو الموت ويستيقظ
ويكره القيام لاستثقال المنام فيتركه ولو ادركه الموت لذهب به اي
فيكون اثما في الفوت وفيه اي وفي تقديم العمل قصر الامل وفي التاخير
افات لاحتمال قرب الاجل قال ابو هريرة اوصاني خليلي ان اوتر قبل ان
انام متفق عليه والاقوى اي الافضل والاولى ان يوخر الوتر لمن يالف
اي يعتاد ويثق بالقيام بعد المنام وقد قالت عايشة اوتر عليه السلام
اول الليل واوسطه واخره وانتهى في وتره الى السحر متفق عليه ويقرا
يس في كل ليلة والافضل في التهجد فلابن حبان من حديث جندب من قرا
يس في ليلة ابتغا وجه الله غفر له ولابي منصور الغزنوي من حديث
علي يا علي اكثر من قراءة يس الحديث وسجدة الاولى والسجدة فللترمذي من
حديث جابر كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك
ولقمان لم اجده وكذا في الاحيا لم يذكره والدخان فللترمذي من حديث ابي
هريرة من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك

والملك

والملك وتبسبق ولابي الشيخ في الثواب من حديث عايشة من قرا في ليلة
الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نور الحديث
والزمر فللترمذي من حديث عايشة كان لا ينام حتى يقرا بني اسرايل
والزمر قال حسن غريب والواقعة فللحارث بن ابي اسامة من حديث
من حديث ابن مسعود من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم يصبه فاقة
ابدا **والمسبحات الست** اي السور المصدرة بالتسبيح وهي الحديد والحشر
والصف والجمعة والتغابن والاعلى فللترمذي وقال حسن وابو داود
والنسائي في الكبرى من حديث عرباض بن سارية كان يقرا المسبحات
في كل ليلة ويقول فيهن اية افضل من الف اية وينام اي بعد القيام **عند
الغلبة** اي غلبة النوم فنوم المأثور فقد روى ابو داود والنسائي من حديث
عايشة ما من امري يكون له صلوات بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب
الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وفي رواية للنسائي وابن ماجة
من حديث ابي الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي
من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتبت له ما نوى وكان نومه صدقة
عليه من الله وورد كانوا قليلا من الليل اي من زمان ما يهجعون
اي الذي يرقدون فيه وكانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر رعاية
للفواصل وكانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل اي بعضه
او كله وقيل ما زايدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف اي ينامون في يسير
زمن من الليل ويقومون اكثره الايات والاخبار والاثار في احيا الليل كثيرة
شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الايات
وفي الحديث عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم الترمذي من حديث

بلال والطبراني والبيهقي من حديث ابي امامة بسند حسن وعن المغيرة ابن شعبة
قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله قد
غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
الترمذي في الشمايل واصله في الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى اصبح
فقال ذاك بال الشيطان في اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود ولا
يصلي بعدها اي بعد غلبة النوم فورد حين قيل ان فلانة تصلي من
الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل **ليصل احدكم** من الليل ما تيسر
فاذا غلبه النوم رقد الى النوم فيكون له في الليل نومتان كذا في الاحيا
قال العراقي رواه ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجة من حديث ام
سلمة كان يصلي وينام قدر ما يصلي ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما
صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جا فصلى اربع
ركعات ثم نام ثم قام انتهى وفي الشمايل عن عايشة كان اذا لم يصل
بالليل منعه من ذلك النوم او غلبته عيناه صلى من النهار ثنتي عشرة
ركعة وفي مسلم عنها انه عليه السلام كان اذا نام من الليل من وجع او غيره
فلم يقم من الليل صلى ثنتي عشرة ركعة تداركا لما فاته من التهجد لقوله
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من نام عن حزبه من الليل او عن شيء منه فقراه ما بين صلاة الفجر وصلوة
الظهر كان كمن قراه من الليل لا يكابدوا الليل اي لا تغالبوه فورد ان الدين
يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة البخاري والنسائي عن ابي هريرة

عليكم

عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقي
وفيه اي في التهجد بعد غلبة النوم التعبد على ملال وجا اي في ذمه انه اكبر
من نفعه اذ ربما يجري على لسانه موجب ذمه واثمه وتحمل ما لا
يطاق اي وفيه تكليف ما لا يستطيع وقد قال تعالى ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد تكلفوا من الدين
اي الاعمال ما تطيقون فعن عمران بن حصين عليكم من الاعمال ما تطيقون فان
الله لا يمل حتى تملوا الطبراني وتبغيض العبادة اي وفيه ابغاضها الى النفس
وابغاضها وفي نسخة بالنون والصاد المهملة اي تغييرها اليها في شدة
تكريرها وورد **لا تبغض** بالوجهين **اليك عبادة الله** لم اجد مبني يوافقه
ما سبق معنى **وتجديد القيام** اي بعد المنام فورد في نعت عباد الرحمن والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولو قدر حلب شاة رواه ابو
يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه
فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولابي الوليد بن المغيث من رواية
اياس بن معاوية مرسلا لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة او حلبة
شاة قال ولكن ان يقوم كل الليل ان قدر عليه وفيه انه يظاهره خلاف
الكتاب والسنة اني انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه عليه
السلام انه سهر ليلة كاملة في جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم
سباتا اي راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال ومن رحمته
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
وهو اي احيا الليل كله لمن تجرد له لقيامه ومنع النفس عن منامه او جعل
المنام في نهاره بدلا عن قيامه في مراصده وقوي يقينه اي وصلب دينه

فيلتذ به ويتغذى اي روحه بسببه فيهون عليه شدة امره ويحلو عليه
مرارة صبره ومن الاسباب للعبيد على سهره خوف يغلب على قلبه
مع قصر امله يحثه على تكثير عمله ورجا يحمله على تكلفه وتحمله كما قال
طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وبقيا بلهان ذكر الجنة طير نوم
الراغبين كما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة
اشتد شوقي ولذا النون المصري منع القران بوعده ووعيده مقل العيون
بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت له
خضعا ومن اشرف البواعث الحب لله فانه في قيامه لا يتكلم حرف
من كلامه الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة
ما خطر بقلبه فاذا كمل في محبته ربه احب لا محالة الخلوة به وتلذذ به
المناجاة بسببه فبجملة تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام وقال
بعض الاعلام ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده
اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال اخر لذة المناجاة
ليست من الدنيا وانما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم
وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شي سوى طلوع الفجر
وقال الفضيل اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي
بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل
في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقا في الدنيا
وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء
العشا ومنهم ابو حنيفة امام الفقها وهو اي قيام الليل كله محكي
عن اربعين منهم اي من التابعين قال ابو طالب المكي ان ذلك حكي

عن

عن سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم
من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وفضيل وطاوس
ووهب بن منبه والربيع بن خثيم وابو سليمان الداراني والخواص
ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي ويحيى البكا ومحمد
ابن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم القران في الشهر تسعين ختمة
وما لم يفهمه رجع وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة من طي اللسان
او بسط الزمان والله المستعان ثم النصف اي يقوم نصف الليل وواظب
عليه اي قيام النصف من لا يحصى من السلف ثم الثلث ثم السدس فعن عايشة
كان يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه
والحديث متفق عليه وفي الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف
الليل وثلثه او سدسه ففي الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده
بقليل استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه قم الليل الا
قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه والموافق لقوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فما
ثبت انه قام الثلثين ولابي داود نام حتى اذا ذهب ثلث الليل
او نصفه استيقظ الحديث والحديث لمسلم من حديث عايشة فيبعثه
الله ما شا ان يبعثه من الليل والاحب ان يجعل اي سهره في الجوف
اي اوساط الليل فورد ركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها
لولا ان اشق على امتي لفرضتهما ادم بن ابي اياس في الثواب ومحمد بن نصر
المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله

ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقي ولا يصح
قلت والضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا ثم اي بعد الست ركعتان
او اربع ركعات الاولى ان يقول اربع ركعات وركعتان ولو قعودا فقد ثبت
انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته من النوافل جلوسا ثم احيا
ما بين العشائين فقيل نزل فيه قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشا فانها صلاة
الاوابين وعن ابي هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما
بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة الترمذي وابن ماجه
وفي مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب
قبل ان يتكلم احدا رفعت له في عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر في
المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع يراد به المستحب بعد
الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشا بني
له قصر في الجنة فقال له عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال عليه
السلام الله اكثر رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم ابن الحارث
مرسلا وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا رايته
يصلي فسالته فقال نعم هي صلاة الغفلة وقال احمد ابن ابي الحواري
قلت لابي سليمان لا ازال اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشا
احب اليك او افطر النهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم
تيسر فقال افطر وصل ما بينهما والقيام قبل الصبح اي ليدرك احيا
بعض الليل من اوله واخره فقد ورد من صلى العشا في جماعة فكانما قام
نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن

عثمان

عثمان وروي اي في الحديث المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ
وهو افضل مما ذكر من التقديرات لانه اشق والحديث فيه قد سبق والمعين
عليه اي على القيام ستة اشيا ان لا يكثر الاكل **فهو سبب كثرة**
الشرب المفضي الى كثرة النوم وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة
كل ليلة لزيادة العناية في امر الدين ويقول يا معشر المريدين لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا ولا يتكلف
بالنهار في امور تعني بالنون من العنا او بالياء من الاعيا اي يتعب
الاعضا ويضعف الاعصاب بالاحرا ويقيل بفتح اوله من القيلولة
فانها من السنن المنقولة والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم
يكن منها نوم ثم ورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل الطبراني في الاوسط
وابو نعيم في الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم
ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هولا ليل سو فانهم لا يقيلون
ولا يذنب اي في النهار فهو اي الذنب والعصيان سبب الحرمان فينبغي
ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار وقال رجل
للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري
فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك وقال الثوري حرمت قيام الليل
خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي
فقلت هذا مراء وقال ابو سليمان الداراني لا يفوت احد صلاة جماعة الا
بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت
قراة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل
من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر فكذلك

الفحشا تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب
الظاهرة التي بها يتيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله ويفرغ
القلب من هموم الدنيا اى المستغرق لهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام بامر
العقبى وان قام في بعض اوقاته فلا يتفكر في صلاته الا في تفاريق مهماته
وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنايم بخلاف العالم فان
نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ويلازم
الخوف منه تعالى اى من مناقشة حسابه ومن اليم عقابه وحجابه من
بابه ويقصر الامل بان ينتظر الاجل ليكثر العمل ويذكر ما ورد في فضله
اى فضيلة القيام من الايات والاخبار عنه عليه السلام وما وعد عليه
اي الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه والاصل اي الذي عليه مدار
الاسباب محبته تعالى والاقبال على المولى والزهد في الدنيا والاستعداد
للعقبى واستحكام الايمان اي بالعرفان والانفاق ليكون مستعذبا به
في جميع الازمان وكما ان للاشباح غذا وعشا فكذا للارواح غذا ودواء
لمن ايقن نزول رحمته وحصول معرفته في وقت السحر ونحوه لا يفوته قيام
الليل ولا في سفره حتى روى النسائى عن حميد بن عبد الرحمن ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد زمانا ثم استيقظ
فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد
وفي رواية الى اخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضا وصلى حتى قلت صلى
مثل ما نام الحديث وفي رواية اخذ سواكا من موخر الرحل وهذا صريح فانه كان في
سفر ويراعي فواضل الليالي كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان اذ فيها يطلب

ليلة

ليلة القدر كما في الاخبار الكثيرة والاثار الشهيرة لا سيما السبع والعشرين
فان عليه اكثر الصحابة والتابعين والسابعة عشر منه فعن ابن الزبير انها ليلة
القدر وهي صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والاولى من المحرم فانه الشهر
المكرم ومبدا العام المفخم فاسرار البداية تدل على انوار النهاية والعاشرة
منه اى من المحرم وهي ليلة عاشورا والاولى من رجب وقد كان عليه السلام اذا
راى هلال رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغني
انه شهر القران ويقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من
جميع الذنوب والاثام ثم رايت المنوفي قال وقد افاد صاحب ترغيب
الطالب في اشرف المطالب انه راى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميري
عن ابن عباس مرفوعا من قال في شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك
لنفسه موتا ولا حياتا ولا نشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين
الموكلين ان حرقا صحيفته ذنوبه ويكفينا في ثبوت وروده اعتنا الحافظ
الدميري بنقله بخطه ساكتا عليه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام
في هذا الفن فاقل مراتبه ان يكون ضعيفا والضعيف يعمل به في فضايل
به في فضايل الاعمال اتفاقا والخامسة عشر وهي ليلة النصف منه
والسابعة عشر والعشرين منه وفي الاحيا وليلة سبع وعشرين منه
قال وهي ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة فورد للعامل في هذه الليلة
حسنات مائة سنة لمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة بفاتحة
الكتاب وسورة من القران ويتشهد في كل ركعتين ويستغفر الله مائة مرة
ويصلي على النبي مائة مرة ويدعو لنفسه بما شا من امر دنياه واخرته

ويصبح صايما فان الله سبحانه يستجيب دعاه كله الا ان يدعوا في معصية
قال العراقي ذكر ابو موسى المديني في كتاب فضايل الليالي والايام ان ابا
محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم ابي عبد الله من رواية محمد بن الفضل
عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد بن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث
منكر ومن جملتها حديث ابي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب
كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل
على محمد صلى الله عليه وسلم ابو موسى المديني من رواية شهر بن حوشب
عنه والخامسة عشر من شعبان وفي الاحيا واما ليلة النصف من شعبان
فيصلي فيها ماية ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة
الكتاب كانوا لا يتركونها قال العراقي حديث باطل نعم لابن ماجة من حديث
علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها
في الاثر عن عمر انه كان يقول في ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت
كتبتني من السعدا فاثبتني وان كتبت كتبتني من الاشقيا فامح واكتب
في السعدا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وليلة عرفة
لم اجد له اصلا والعيدان وليلتي العيد فقد روي من احيا ليلتي العيد لم
يمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجة باسناد ضعيف من حديث ابي امامة
والايام اي ويراعي فضايل الايام كالعيد اي يومي العيدين والتشريق
اي ايامها ولو لم يكن في منى وما يجي في اخر الباب الثالث من الصوم
ان شاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته وهو سيد الايام عند
الملايكة كما ورد ويوم المزيد في الاخرة لزيادة حصول التقا فيه لاهل الولا
وورد خير يوم طلعت فيها الشمس يوم الجمعة مسلم عن ابي هريرة وان الله

كتبت

تعالى

تعالى في كل جمعة ستماية الف عتيق من النار ابن عدي وابن حبان في
الضعفا والبيهقي في الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل يوم
الجمعة افضل من ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد
من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب له اجر شهيد ووقي فتنة القبر
ابو نعيم في الحلية من حديث جابر والترمذي نحوه من حديث عبد الله بن
عمرو والحكيم في النوادر وعن عايشة مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة
سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان في الضعفا
وابو نعيم وهو ضعيف فلا يعطل اي من الطاعة عصر الخميس فهو متبرك
اي يتقرب به الليلة الجمعة وكذا اوله متبرك فلابن ماجة عن ابي هريرة
والطبراني في الاوسط عن عايشة مرفوعا اللهم بارك لامتي في بكورها
يوم الخميس وفي رواية قال عليه السلام اغدوا في طلب العلم فاني سالت
ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس واما ما اشتهر في هذا اللهم
بارك لامتي في بكورها يوم الخميس واما ما اشتهر اللهم بارك لامتي في
سبتها وخميسها فباطل ولا اصل له ويستعد لصلاة الجمعة بغسل
الثياب اي في اول ليلتها او في يوم الخميس وهو الاولى ليقدر على التبكير
الاعلى والاغتسال وهو سنة موكدة للصلاة على الاصح ويتاكد له
ما ورد من شهد الجمعة من الرجال والنسا فليغتسلوا ابن حبان والبيهقي
من حديث ابن عمر وقيل لوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على
كل محتلم متفق عليه من حديث ابي سعيد وعن نافع عن ابن عمر اذا اتى
الجمعة فليغتسل الشيخان وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب
هذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت

الاذان على ان توضات وخرجت فقال الوضو فقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يامر بالغسل متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد علم جواز ترك الغسل
بما ورد من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابو داود
والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة وكان عليه السلام ربما اغتسل
يوم الجمعة وربما ترك احيانا الطبراني عن ابن عباس وورد رحم الله من غسل
يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذي
وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس ابن اوس والتطيب اي استعمال
الطيب المناسب لما ورد طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب
النسا ما ظهر لونه وخفي ريحها ابو داود والترمذي وحسنه والنسائي
من حديث ابي هريرة وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه ومن طاب
ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس
احدهم من طيب اهله فان لم يجد فالما له طيب الترمذي عن البرا وتفريغ
القلب عن الشواغل كما يشير اليه قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا
وباطنا ومن ثم جا اي من اجل تفريغ القلب وورد ان ياتي اهله
اي يجامع قاصد الجمعة امراته او امته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد
اي حمل اهله على الغسل قال العراقي ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الما
على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل
له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في الجنابة انتهى ولا يخفى
ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة بعيد من الاسراف فالاولى ان يغتسل
واحدا وينويهما في الاحيا ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم يبطل غسله

والاحي

والاحيا ان يحترز عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم
لا للصلاة وتقليم الاظفار اي في اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم
اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه دا وعن ابي هريرة انه عليه
السلام كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح
الى الصلاة البيهقي في الشعب وله ايضا من مرسل ابي جعفر الباقر
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان ياخذ من اظفاره
وشاربه يوم الجمعة او يوم الخميس اذا اراد التبكير وسئل احمد عنه
فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قاله
العسقلاني وهذا هو المعتمد لانه يستحب كيف ما احتاج اليه وورد قصوا
اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع
باسناد ضعيف من حديث جابر وقد جاء الامر بتنظيف ما تحت الاظفار
في روايتا الطبراني من حديث وابصة ابن معبد سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن كل شي حتى سالته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسنده ضعيف وورد انه عليه السلام استبطا
الوحي فقيل له يا رسول الله لقد ابطا عنك جبريل فقال ولم لا يتبطى
وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون
رواجبكم ولا تغسلون براجمكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس
الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم معاطف ظهور الانامل
قال الغزالي ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن
سمعت انه روي عنه عليه السلام انه بدا بالسبحة اليمنى وابتدا
باليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه العراقي بقوله لم اجد له اصلا

وقد انكره ابو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت
لا تشنيع عليه حيث انه بنى على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤيته رواية خبر
مسند اليه والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فهو غير من قص شاربه
ونتف الابط وحلق العانة تقدم على الغسل وتبعهم فحق الى الدرجات
الله وملايكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعة الطبراني وابن عدي
وعن ابن عمر مرفوعا صلاة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل
سبعين جمعة وعن انس مرفوعا الصلاة في العمامة بعشرة الاف حسنة
الديلمي وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن في الجامع الصغير
للسيوطي وقد التزم فيه ان لا يورده موضوعا عن ابن عمر برواية ابن عساكر
صلاة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة
وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة ولا يركب لانه اقرب الى حسن
الادب والتواضع مع الرب والظاهر قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولانه
اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة ويبالغ في التبكير
ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء فهو للمالكي والاول اصح فضل
البكور فقد ورد من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح
في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما
قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة
الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت
الاقلام واجتمعت الملايكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك
فكانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شي متفق عليه من حديث ابي هريرة
الا ان قوله ورفعت الاقلام عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه

عن جده

عن جده وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف
اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا
ساير الملايكة الى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب
وصحفا من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم ووردان الملايكة
تتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا
عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره
فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه
لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقي من
رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن ومن فوايد البكور
عدم تخطي رقاب اهل الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة
اتخذ جسرا الى جهنم الترمذي وابن ماجة من حديث معاذ ابن انس
وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم
الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي
صلى الله عليه وسلم عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك
ان تجمع معنا اليوم فقال يا نبي الله قد جمعت قال اولم ارك تخطى رقاب
الناس ابن المبارك في الرقايق وفيه اشارة الى ان الله تعالى احبط عمله
ونقص امله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني
قال رايتك انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور والحديث
رواه ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا
وقيل لبشر ابن الحارث نراك تبكر وتصلي في اخر الصفوف فقال انما يراد
قرب القلوب لا قرب الاجساد فاشار الى ان ذلك اسلم لقلبه وقيل

لسفيان الثوري ليس في الخبر اذن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء
الراشدين فاما سوا فكلما بعدت عنهم ولم تنتظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى
وروي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم
يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه
وزران وورد حديث ابي هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت
والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابي داود من حديث علي من قال
صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذي
يقول له انصت ليس له جمعة وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي
صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى انزلت هذه السورة فاومى
اليه ان اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا
جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي عليه السلام فقال صدق ابي واطع
ابيا البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ولابن ماجة من حديث
جابر ان السائل ابو الدردا وابو ذر ولاحمد من حديث ابي الدردا انه سال
ابيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله ابن مسعود ولابي
يعلى من حديث جابر فقال قال سعد بن ابي وقاص لرجل لا جمعة لك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يا سعد قال لانه كان يتكلم وانت
تخطب فقال صدق سعد ويصلي قبل الجلوس في الجامع اربعا بالاخلاص
اي منضمة بقراءة الاخلاص خمسين مرة بعد الفاتحة في كل ركعة
فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى
يرى مقعده من الجنة او يرى له كذا في الاحيا وقال العراقي حديث من
دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرا فيهما قل هو الله احد

مايتي

مايتي من الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمرو
قال غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال
لا يصح ففي الكل جميع ما سبق من الغسل الى هنا فضايل لارباب التمايل
واذا فرغ من الجمعة قرا الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو
الله احد سبعا والمعوذتين سبعا وروي عن بعض السلف ان من فعله
عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول
بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود
اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك كذا في الاحيا وسكت عنه
العراقي وقد رايت الحديث في الجامع الصغير مستندا الى ابن السني عن عايشة
بلفظ من قرا بعد صلاة الجمعة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى الجمعة
الاخرى فقال من داوم على ذلك هذا الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه
من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي
الله عنهما انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين متفق عليه
وروى ابو هريرة اربعا رواه مسلم وروي عن علي وعبد الله ستا البيهقي
موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث
ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح في احوال
مختلفة والاكثر افضل ويشتغل بعد الاقامة اي بعد فراغ صلاة الجمعة
بصلاة جنازة او تعلم العلوم الشرعية او زيارة اخ فيه اي في حبه تعالى
شانه فيهما اي بمثلها فسر ما ورد وابتغوا من فضل الله فقد قال انس
في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا

من فضل الله اما الذي ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض
او شهود جنازة او تعلم علم او زيادة اخ في الله لا باستماع القصص
اي من الاخباريين في التواريخ فهو بدعة وكانوا اي الصحابة يخرجون القصاص
من المسجد فقد حضر ابن عمر في المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص في موضعه
فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك فارسل ابن عمر
الى صاحب الشرطة فاقامه عن مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل
اقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين لا يقيمن اخاه احدكم
من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من
مجلسه لم يجلس فيه يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفنا حجرة عايشة
فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه
ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها
اي في تلك الساعة الاجابة اي غالبا ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة
لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه الترمذي
وحسنه وابن ماجة من حديث عمرو بن عوف المزني وفي خبر اخر لا يصادفها
عبد يصلي متفق عليه من حديث ابي هريرة واختلف فيها اي في تعيين
تلك الساعة على طلوع الشمس اي على اقوال قيل عند طلوع الشمس والزوال
اي عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول وصعود الامام اي على المنبر
وقعوده والقيام للصلاة اي صلاة الجمعة كما بينا ادلتها في شرح الحصين
ومنتهى الاستجابة في العصر اي اوله او اخره والغروب اي وقته فقيل هي
اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الى الغروب وروي فيه اي في
حين الغروب وفيما ذكر مما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله

رعاية

رعاية فاطمة رضي الله عنها وكانت تروي عن ابيها عليه السلام وكانت
توكل الخادم لتفقد هذا الوقت لتقوم في طلب المرام وفي رواية تامر خادمها
ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى حاجبها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة
رضي الله عنها في الدعاء والاستغفار الى غروبها قال العراقي حديث فاطمة
في ساعة الجمعة رواه الدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب وعليه
الاختلاف وروايتها اي رواية رعايتها تؤيد ما روي لا يوافقها اي
الساعة وفي رواية لا يصادفها عبد اي مسلم يصلي اي يدعو بقرينة
قوله الا استجيب وقد قال كعب الاحبار انها في اخر ساعة في الجمعة
وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف يكون اخر ساعة وقد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين
صلاة قال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد
ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
ابو هريرة وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين
بحق اليوم وان سببها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا في الاحيا وتعقبه
العراقي بان كعبا هو القايل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام
واما كعب فانما قال انها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابو
داود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابي هريرة لابن ماجة
نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقي في الشعب
عن فاطمة مرفوعا ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله
تعالى خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب هكذا
في هامش النسخة والله اعلم والمبهمة كليلة القدر وما الصلاة الوسطى

والاسم الاعظم فيستغفر في اليوم لو ما يبتى اى لمراعاة ادراكهما وهو
اى الابهام اصوب وفى الاحيا قيل انما يتنفل فى ساعات الجمعة
كتنفل ليلة القدر وهو الاشبه ولهذا لا يليق بعلم المعاملة
ذكره لكن ينبغي ان تتعرف بما قال عليه السلام ان لربكم فى ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من تلك الايام فينبغى
ان العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة ذكر
الرب والنزوع من وساوس الدنيا وهواجس النفس والهوى فعساه
ان يحظى بشى من تلك النفحات انتهى والحديث رواه الترمذي الحكيم فى
النوادر والطبرانى فى الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر
فى التمهيد نحوه من حديث انس ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج
من حديث ابى هريرة ويكثر الصلاة عليه السلام اي فى يوم الجمعة
وليلتها فقد ورد اكثروا الصلاة على فى الليلة الغرا واليوم الازهر
فان صلاتكم تعرض علي البيهقى عن ابى هريرة وابن عدى عن انس وفى رواية
البيهقى عن انس اكثروا من الصلاة علي فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل
ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة وفى رواية ابن ماجة عن ابى
الدرداء اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده
الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها
وفى رواية للبيهقى عن ابى امامة اكثروا من الصلاة علي فى كل جمعة
فان صلاة امتى تعرض علي فى كل جمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان
اقربهم منى منزلة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم
الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر

الفمرة

الف مرة وروى من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين
سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال يقول اللهم صل على
عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وتعقد واحدة الدارقطنى من رواية
ابن المسيب قال اظنه عن ابى هريرة وقال حديث غريب قال ابن النعمان
حديث حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود
الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته
وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين
يقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع فى جمعة سبع مرات
وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد اتى بالصلاة المأثورة فيقول
اللهم اجعل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورافتك
ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة
ونبى الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه
يغبطه به الاولون والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف
والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيعة اللهم اعط محمدا
سوله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل
ميزانه وابلج حجته وارفع فى اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا
فى زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا وتوفنا على ملته واوردنا حوضه
واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين
ولا مفتونين امين يا رب العالمين ابن ابى عاصم فى كتاب الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ووقفه ابن ماجة
على ابن مسعود وقراءة القرآن اى يكثرها فيه فيقرا سورة الكهف خاصة
فعن ابي سعيد من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا
من حيث يقرا الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلاثة ايام وصلى
عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الدا والدبيلة وذات
الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال رواه البيهقي ويتصدق اى يوم الجمعة
في غير الجامع ولغير السايل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد
فقد استحق ان لا يعطى بشيئين مختلفين كدرهم ودينار وثوب وقرص او خبز
او ادام او فاكهتين مختلفتين وعن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف
فتصدق بشيئين مختلفتين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما
وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله
الرحمن الرحيم • وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
لم يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وفي رواية ابن حبان عن ابي هريرة
مرفوعا من انفق زوجين من شي من الاشيا في سبيل الله دعي من ابواب الجنة
هذا خير وللجنة ابواب الحديث ورواه الخطيب عن انس بلفظ ما من
مسلم ينفق زوجين في سبيل الله عز وجل الا دعته الجنة هلم هلم
ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكونا شيئين متفقين لا مختلفين
كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة
ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم
الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له
استجيب له ويصلي اي يوم الجمعة صلاة التسابيح وقد بسطنا الكلام

عليه

عليه في شرح الحصين رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمه عليه السلام لعمه
العباس وقال صلها في كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجة وابن خزيمة
والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة
بعد الزوال وفي الكلال اي جميع ما تقدم فضايل اي واردة عن اصحاب الشمايل
وجا قراءة يس والسجدة والدخان والملك اي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها
وبرهانها والمسبحات الست اي المتقدم شانها والاكثار بالاخلاص اي بقراءة سورة
الاخلاص فقراءتها الف مرة في عشر ركعات او عشرين افضل من الختم اي ختم
القرآن بدونها او في غير الصلاة وهذا لم اجده مرويا لكن ورد من قرا قل هو
الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه من الله الحيارجي في فوايده عن حذيفة ٥
واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخاري
وابو داود والنسائي عن ابي سعيد وجماعة عن جماعة كادان يكون متواترا
وفي الاحياء الاحسن ان يجعل وقته للصلاة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر
لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وساير
الاذكار وينبغي ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب
فهو افضل ويقال من صلى العصر في المسجد الجامع كان له ثواب حجة ومن
صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الافات عليه
من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى
بيته ذاكرا لله تعالى متفكرا في الايه شاكرا لله على نعمايه من جملتها توفيقه
للطاعة خايفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى
لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغي للجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا فانه عليه السلام قال ياتي على الناس زمان يكون حديثهم

في مساجدهم بامور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم
البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا واسنده الحاكم من حديث انس
وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود ونحوه ولا يخصه بالصوم
وقيام الليل فهو اي التخصيص منهي عنه روى مسلم عن ابي هريرة
لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة
بصيام من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه احدكم وفي رواية احمد
عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم ويحافظ
الرواتب اي السنن المؤكدة بعد الفرايض وقبلها وساير السنن اي المستحبة
كالتهجد في الليل والضحى في النهار ركعتين او اربعا او ستا او ثمانيا او اثني عشر
فورد انه عليه السلام كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين
واذا انبسط وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى اربعا الترمذي
والنسائي وابن ماجة من حديث علي واحيا ما بين العشايين اي بالعبادة
او بعشرين ركعة او ست ركعات مطلقا فان لكل فضايل وبعضها تقدم
والعيد اي ويراعي فطرا او اضحى بالتكبير ونحوه ويستعد له كالجمعة
من الغسل والتزين والطيب ويرجع عن المصلى اي مصلى العيد حالة الاياب
في غير طريق الذهاب فهو مروي عن فعله عليه السلام رواه مسلم والتراويح
اي ويراعيها وهي عشرين ركعة واداوها سنة موكدة ويجمع فيه
فهو ما تواتر عن الصحابة ويختار الانفراد عن الجماعة ان خاف الرياء والجماعة
اي ويختارها ان خاف الكسل وقيل الانفراد افضل لقوله عليه السلام
فضل صلاة المتطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة
في المسجد على صلاته في البيت ادم ابن اياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة

ابن حبيب

ابن حبيب مرسلا ورواه ابن ابي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة
ابن حبيب عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا وفي سنن
ابي داود باسناد صحيح من حديث زيد ابن ثابت صلاة المرء في بيته افضل
من صلاته في مسجدي هذا الا المكتوبة وعن انس صلاة في مسجدي تعدل
بعشرة الاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بماية الف صلاة والصلاة
بارض الرباط تعدل بالفي الف صلاة واكثر من ذلك كله الركعتان
يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما الا ما عند الله عز وجل ابو الشيخ
في الثواب وذكر ابو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الاوزاعي
قال دخلت على يحيى فاسند لي حديثا وهو صلاة في مسجدي هذا افضل من الف
صلاة في مسجدي وافضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته
لا يعلمهما الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه فانه عليه السلام
قد خرج فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان يفرض
عليكم متفق عليه من حديث عايشة وجمع عمر الناس عليها في الجماعة
حيث امن الوجوب بانقطاع الوحي ويختار اي في صلاة التراويح منفردا او
مع جماعة ان امنهما اي الرياء والكسل وانما يختار لتضمن الجماعة البركة
المشتملة على السرور والانفراد قوة الحضور المتضمن لكثرة النور والحاصل
ان هذه السنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية
المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة
ثم تركها خشية ان يكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات
مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال نعمت البدعة اي الحسنة وهي الجماعة
المجتمعة الميسرة الى الغفلة الامة والكسوف اي ويراعي صلاة الكسوف

وكذا الخسوف وتفصيلهما في كتب الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا
الى ذكر الله تعالى والى الصلاة قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام فخسفت
الشمس وقال الناس انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن
شعبة وكلما ورد اي ويراعي جميع ما ورد من السنة فيه فضيلة كصلاة
الرغائب وهي في اول ليلة جمعة من رجب يصلي اثنتي عشر ركعة بست
تسليمات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص
اثنتي عشرة وبعد الفراغ يصلي على النبي عليه السلام سبعين مرة ويدعو
بما شاء وهي بدعة منكرة كما صرح به النووي وغيره كذا حديث ما من
احد يصوم اول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب ورده رزين في كتابه
وهو موضوع كما قاله العراقي وليلة النصف من شعبان وهي اي صلاتها
مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا اي بعض السلف يواظبون عليها
قال العراقي حديث باطل ولابن ماجه من حديث علي اذا كانت ليلة النصف
من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف والاستخارة
اي ويراعي صلاة الاستخارة او دعاها بعدها وكان عليه السلام يعلمها
تعليم سورة من القرآن البخاري من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح
الحصن وركعتا الدخول في المنزل والخروج اي وركعتيه منه من المنزل
فعن ابي هريرة قال عليه السلام اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين
يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك
مدخل السوء البيهقي في الشعب والخرائطي في مكارم الاخلاق وابن عدي
في الكامل وفي الحديث ايماء الى قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني

مخرج

مخرج صدق الآية وركعتي دفع النفاق في السر اي بالخفية بان يصلي ركعتين
يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد
ثم يقول اللهم اني اعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجد مرويا
وتحية الوضوء اي المسمى بشكر الوضوء وهي قبل جفاف اعضائه والمسجد
اي اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة
مقصودها الصلاة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرأ الحدث
قبل الصلاة فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات
وليصنع السعي قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت
الجنة فرايت بلالا فيها فقلت بلال سبقتني فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني
لا احدث وضوءا الا صليت عقيبه ركعتين او كما قال متفق عليه من حديث
ابي هريرة وتحية المسجد سنة موكدة حتى انها لا تسقط في مذهب الشافعي
وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى
الخطيب وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين
ابن عدي والبيهقي عن ابي هريرة لا ينبغي لما التطوع لحصول المقصود
في غيره اي غير التطوع وهو اي المقصود صون الوضوء والدخول عن التعطل
اي انما طلب عن الطاعة بل الفرض افضل من النافلة فان نوى بدلها لا ينوي
الصلاة للوضوء اي لا يقول نويت ان اصلي ركعتين للوضوء بل يطلق
اي ينوي صلاة مطلقة لان الوضوء للصلاة دون العكس اذ ليست
الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد ويحترز
عن النافلة في الاوقات المكروهة اي مطلقا عندنا خلافا للشافعي حيث
يجيز ان صلاة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكر وضوء واستثنى الحرم

ايضا فقيمها يعبد الاوثان اى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وساير النيران
وينتشر الشيطان اي ويكثر الوسواس للانسان وقد ورد ان الشمس تطلع
ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا
استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها واذا
غربت فارقها النساي من حديث عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك
هو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير
النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكفاء اى لامتناع عن الصلاة في
الاوقات المكروهة وهي بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلاة
العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اذا المغرب واما الاوقات المحرمة يتجدد
الشوق الى العبادة ويرتفع عنه نوع من الملالة وتذكره دخول المسجد على
غير وضو دائم وتيمم وان دخل لغير ضرورة او جلس في اوقات مكروهة فليقل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقولها نها
عدل ركعتين في الفضل ولم ماخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
وفسروا الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه اعلم
ثم هذه الاوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد فاستعداد زاد المعاد
واما العارف المستغرق همه فيداي في ورد محبته وورد الحضور فحضرته فورد الحضور
اي حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب بعد الفرايض والرواتب ويعرف
اى هذا العارف في علو المناقب بانه لا يهم بمعصية اى لا يقصدها ولا يغتر
بطاعة اى لا يكسلها ولا ينزعج بمصيبة اى لا يتزلزل ولا يجزع ولا
يفزع بموت الاولاد والاحفاد وساير الاقارب من الاخوان والخلان وذهاب
الاموال وتغيير الاحوال من الامراض وساير شدايد الاهوال

ولا ينقلب

ولا ينقلب عن حاله ومقامه بامر عظيم كالقحط وفتنة البلاد وساير
البلايا العامة للبلاد وهو الكريم الرحيم

الباب الثاني في الانفاق والقناعة

بسم الله الرحمن الرحيم انفق في الطاعة واقنع بالقناعة
فيما قسم الحي القيام الساعة اي ورد في التنزيل ومن يوق شح نفسه اي يحفظ
ويصان بخلها فيما يجب عليها الاية وهي فاولئك هم المفلحون اى الناجون
من النار والفايزون بالجنة اذ مانعون الزكاة هم الظالمون اى الواضعون
الاشيا في غير موضعها والذين يكنزون الذهب والفضة اى يجمعونها
ولا ينفقونها في سبيل الله اي وزكاتها لا يخرجونها الاية اى فبشرهم
بعذاب اليم وفيه تهكم عظيم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم لتعبسهم على الفقرا وجنوبهم لتكبرهم على الضعفا وظهورهم لاعراضهم
عن العلما والصلحا ويقال لهم بلسان المقال او بيان الحال هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر بنا ابو ذر
فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفايهم يخرج
من جباههم وعن ابي ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال
الاكثرون اموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليها السخي قريب من الله تعالى
والبخيل بعيد من الله تعالى وروى الترمذي عن ابي هريرة والبيهقي عن جابر
والطبراني في الاوسط عن عايشه بلفظ السخي قريب من الناس بعيد من الجنة

قريب من النار وتعس عبد الدنيا وعبد الدرهم اى هلك والحديث كذا فى صحيح
البخاري وفى رواية الترمذي عن ابى هريرة بلفظ لعن والقصد اى الحكمة والسر
فى تشريع الانفاق الابتلاء فى دعوى حبه تعالى وترك الدنيا اى محبتها
فانها لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لا تقبل الشركة ولا بعد الجنة وانما يمتحن
درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم
بالدنيا وشهواتها وبسببها يانسون بهذا العالم الدنيوي ولشهواتها وينفرون
عن الموت مع لقاء المحبوب فى الجنة وسائر لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم
واستنزلوا عن المال الذى هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة
بالمهجة شوقا الى لقاء المولى والمسامحة بالمال اهون فبذل الاولى وظهور
المراتب فيها اى دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى
فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا اى لا درهما ولا دينارا وتبعه جماعة
من اهل التوفيق فى ابائهم ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع
ما لديهم لئلا ينسب حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من
الزكاة فى مائتى درهم فقال اما على العوام فى حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم
واما نحن فيجب علينا بذل الجميع والمقتصد كالفاروق حيث ابقى النصف
اى واعطى النصف واصل الحديث ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال
عليه السلام ما ذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابى بكر ما ذا ابقيت
لاهلك فقال الله ورسوله رواه ابو داود والترمذي والحاكم وصححاه من
حديث عمر وفى رواية يونس عن الحسن انه قال لهما ما بين صدقتكما كما بين
كلاميكما والقاصر المقتصر على الواجب اى على اعطاء قدره من غير زيادة فى اجر

وفى كلام

وفى كلام المص تلويح الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك
هو الفضل الكبير فيحتمل ان يقال القاصر المقتصر انه الظالم على نفسه وغيره
اذ الظالم هو مانع الزكاة ونحوه والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم
بالمال وجهلهم بالمال وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا
قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ومعنى يحفكم
يستقصى عليكم فكم بين عبد اشترى منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد
يستقصى عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين
وهم الممسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون الاوقات الحاجات
ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة
دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر وطريق
المسنون وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان فى المال حقوقا سوى الزكاة م
كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل فى المال
حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه الاية
تمامها ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى
الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة حيث عطف اى الزكاة على آتى المال
واستدلوا بقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم
وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة بل داخل فى حق المسلم على المسلم
ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن
مال الزكاة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوى الرحم
المحرم والله سبحانه اعلم وتنقية الباطن اى ومن جملة الحكمة فى الانفاق

تنقية القلب وتخليته عن البخل فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه الطبراني في الاوسط عن انس وتحليته اى تزيين الباطن
وتحسينه بالشكر اى الشكر للنعمة وقد قال تعالى لين شكرتم لازيدنكم وما
انفقتم من شئ فهو يخلفه وسواي ما ذكرنا التنقية والتحلية والانفاق
انما يحصل بقلع اسباب الحرص كحب عين المال لا الغرض يحصل منه وهو اى حب
عين المال مرض مزمن اي لا دواء له في الزمن حيث لا ينفعه ولو فاته اغراض
واعراض من الميل والشهوات وكحب ساير الشهوات كما اشار اليه قوله
تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحياة الدنيا والله عنده حسن الماب وطول الامل عطف على حب
اى وكطول الامل اى توهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل
قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وخوف
الفقر قال عز وعلا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقلة الوثوق بمجي الرزق
وقد قال تعالى سبحانه وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم وقد ورد لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذي وابن ماجة
والحاكم عن عمر وحب الولد فورد الولد مبخلة مجهلة مجبنة ابو يعلى في
مسنده عن ابي سعيد وابن ماجة من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه
ومعنى مبخلة انه يحمل ابويه على البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لاجله
ومعنى مجبنة انه يحمل اباه على ان يجبن عن الحروب استبقاء لنفسه عن اجله

وطريقه

وطريقه اي طريق المحمود في الانفاق احد عشر اوطريق قلع
اسباب الحرص التوسط في النفقات قال تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالقصد اي الاقتصاد
والتوسط واعتدال الحالات في الفقر والغنا عد من المنجيات وورد ما عال
من اقتصد الديلمي عن ابي امامة مرفوعا وللبيهقي في الشعب
الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة وتقليل الشهوات اي الموجب
لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات
والوثوق باصابة الرزق المقدر فقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
وورد في حديث مشهور واعلم ما اخطاك لم يكن ليصيبك
وما اصابك لم يكن ليخطيك ومعرفة عز القناعة فورد القناعة
كنز لا ينفد وفي رواية مال لا ينفد وفي اخرى كنز لا يفنى القضاعي
عن انس والطبراني في الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة
مال لا ينفد وكنز لا يفنى وفي القناعة احاديث لا تحصى وقد قيل
من قنع شبع منها قوله عليه السلام ابن ادم عندك ما يكفيك
وانت ما يطغيك ابن ادم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن ادم
اذا اصبحت معافى في سربك امنا في بدنك عندك قوت يومك
فعلى الدنيا العفا اي التراب ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وفي رواية
لهما عن ابي هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة
من ما القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار وروى ابن المبارك
عن الاوزاعي معضلا ما ابالي ما رددت به عن الجوع وما احسن ما قال

بعض اهل الحال وما بي الا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبي
واحد وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا بالقوت فان القوت
لمن يموت كثير العسكري ولله در الناظم

عزيز النفس من لزم القناعة • ولم يكشف لمخلوق قناعة •

وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وفسر قوله
فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد
افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه احمد ومسلم والترمذي
وابن ماجة عن ابن عمرو وقوله ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضيا
عن ابي سعيد وقوله خيار امتي القانع وشرار امتي الطامع القضاعي
وذل الطمع اي ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد
لا يحل للمؤمن ان يذل نفسه قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وهو ينشا من عدم القناعة وروي عن عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان
الياس غنى وان المرء اذا ايس من شي استغنى عنه احمد في الزهد
وابن ابي الدنيا في القناعة والعسكري في المواعظ وروي ان رجلا
من الانصار قال يا رسول الله اوصني واوجز قال عليك بالياس
مما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ابو نعيم والثامن
في ذم البخيل ومدح السخي اذ هما في جبلة كل احد من العالي والدني وما
ورد فيهما اي من احاديث النبي كقوله عليه السلام السخا شجرة
من اشجار الجنة اغصانها متدليات في الدنيا فمن اخذ بغصن
منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار
اغصانها متدليات في الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك

الغصن الى النار الدارقطني في الافراد والبيهقي عن علي والاربعة
عن ابي هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما
الله فاما اللذان يحبهما الله فالسماحة **واما اللذان**
يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقي عن ابن عمرو وكقوله
ما من العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا واحوال
الانبيا والاوليا في احوالهم واخلاق سائر البخلا والاسخيا والاقتدا
التشبه بهم اي بالاصفيا فمن تشبه بقوم فهو منهم لا **بالمتشبهين**
من الكفار والحمقا اي من الجهلة والفجار وقد قال تعالى لهم كانوا قبل
ذلك مترفين اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وورد اشبعكم في
الدنيا اجوعكم في العقبى والتسخي اي تكلف السخاوة والتشبه
بجنس السخي وخداع النفس بالصيت اي بحسن الثنا عند الناس والجاه
والوجاهة في مقام الابتلا والمكافاة اي وبتصور المكافاة
فورد تهادوا تحابوا ثم ازالة الريا بعد الاعتياد اي بعد تعوده
بالسخا فان الريا في الابتدا قنطرة الاخلاص في الانتها كما ان المجاز
قنطرة الحقيقة حكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في
ايديهم شي مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا
فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من الغبار وصلوا
عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهايم وقد قيض في ذلك
معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له
اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي حاجة اليه فاقبل اليه ذو القرنين

فقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا جيت فقال لو كان لي اليك
حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة لم ار احدا
من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شي من الدنيا
ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما
لان احدا لم يعط شيئا منهما الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل
منه فقال ما لكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها
وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا
قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض فلا
اتخذتم البهايم من الانعام فاحلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا
ان نجعل بطوننا قبورا لها ورايتنا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي
ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانما جاوز الحنك لم يجد له طعاما
لا بينا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة
فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال فذلك ملك
من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم وعتى فلما
راى الله ذلك منه فحسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه
عمله حتى يجزيه به في الاخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا
القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا الملك ملك بعده
قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع
لله وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما يرى قد احصى الله عمله
في دنياه حتى يجزيه في اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال
هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع

فقال

فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي ما تجد لك اخا ووزيرا وشريكا
ومشيرا فقال ما اصلح انا وانت في مكان قال ولم قال من اجل ان
الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال
يعادونك على ما في يدك من الملك والمال ولا احد يعاديني لما عندي
من الحاجة وقلة الشي والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين مستحيا
ومتعظا وكثرة ذكر الموت فانه يميت الشهوات قبل الموت
والاعتبار بالسالفين اي الايقاظ بالسابقين من حديث اهل
الاموال الذين تركوا الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال
تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله **وزيارة**
القبور فانها تذكر العقبى وتزهد في الدنيا وفيها عبرة لارباب
الصدور وروي اذا تحيرتم بالامور فاستعينوا باهل القبور
والاصل فيه اي في طريق الاتفاق من توسطه المحمود بالانفاق
الصبر اي من المستلذات الفانية **وقصر الامل** اي باستعداد
زاد الدار الباقية وورد عن علي قال انما اخشى عليكم باثنتين
طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الاخرة
ومن اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة
والاخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة
ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل ابن المبارك واحمد في الزهد والعلم بافات المال اي وتغيراته
في المال وانه لا بانه في اسوء الحال فقد روي عن جرير عن ليث قال

صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة
فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر
فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال
لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية معها خشفان لها
فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسالك بالذي اراك
هذه الاية من اخذ الرغيف فقال ما ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ
عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء ثم جاوزا فقال اسالك
بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانتهيا الى
مفازة فجلسا فاخذ عليه السلام ترابا وقال كن ذهبا باذن الله
فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث
لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه
عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا
ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال بيننا ثلاثا قال فابعثوا احدكم
الى القرية حتى يشتري طعاما فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي
شيء اقاسم هولاء في هذا المال لكن اصنع في هذا الطعام سما هم
فاقتلهما قال ففعل ذلك وقال هولاء لاي شيء نجعل لهذا ثلث
المال ولكن اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع
اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك
الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام في تلك الحالة فقال

لاصحابه

لاصحابه هذه الدنيا وهذا المال فاحذروها والا فيفتنكم
في المال ومنها اي افات المال من البليات الافضا الى المهلكات اي
ايصاله الى المهلكات الاخلاق كالكبر فانه يغلب على ارباب
الاموال والكذب اي في معاملتهم وساير الاحوال والعداوة
اي الناشئة من كثرة القيل والقال وحب الدنيا هو راس كل
خطيئة كما رواه البيهقي في الشعب باسناد حسن الى الحسن
البصري رفعه مرسلا **واقتحام الشهوة** وفي نسخة الشبهة
اي ودخولها من غير ملاحظة لحصوله في الامور المفضية من غير وصول
المسرة والحاجة الى الناس لحفظ ورقة الغنى من معاشرة الخلق
في مباشرة امره بخلاف الفقير فانه غني بربه عن غيره والشغل
عن الطاعة بالكسب اي وبالاشتغال عن العبادة بسبب الكسب
كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة والحفظ
اي وبسبب حفظ الاموال فانه يضيع به ضبط الاحوال ودفع
الحساد اي ويدفعهم لما فيهم من انواع الفساد مع احتمال المشاق
في جمعه وسعيه بالانفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها
فيه العقاب بل الحجاب الذي هو اشد العذاب **وفايده**
اي والعلم لفوايد المال **وهو** اي الانفاق على النفس للقيام
بالطاعة فيها لابد له منه على طريق القناعة **كالمطعم** وكذا المشرب
والملبس وكذا المسكن وما يحتاج اليه اي الانفاق الزايد عليه
كالحج وكذا العمرة والغزو وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة
وعلى الغير من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارب

فورد افضل الدينار دينار ينفقه على عياله رواه مسلم
وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابو داود وعند مسلم معناه
وهو اي الانفاق صدقة للفقير اي باي طريقة مع حصول النية
ومروة اي فتوة للغني في بعض الاحوال المرضية كما بينه بقوله
في ضيافة فانهما من الشمايل السنية فورد الضيافة على اهل
الوبر وليست على اهل المدر القضاعي عن ابن عمر الضيافة ثلاثة
ايام فما زاد فهو صدقة احمد وابو يعلى عن ابي سعيد الضيف
ياتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم الطبراني عن طارق بن اشيم
ضاف ضيف رجلا من بني اسرايل في داره كلبة مجح بالحا المهملة
المشددة بعد الجيم اي قريبة الولادة فقالت الكلبة والله
لا انبح ضيف اهلي فعوى جراوها في بطنها قيل ما هذا فاوحى الله
الى رجل منهم هذا مثل امة يكون من بعدكم تقهر سفهاها و
علماها والهدية فانها من الفضايل البهية وقد ورد الهدية
تذهب بالقلب والسمع والبصر الطبراني عن عصمة ابن مالك
المدينة بعو رهين الحكيم الديلمي عن ابن عباس هدية الله الى
المومن السايل على بابه الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر والاعانة
اي وكذا الاعانة قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
وفي الخبر المشهور من كان في عون اخيه المومن كان الله في عونه
وورد من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة
واحدة فيها صلاح امره كله وثنتان وسبعون له درجات
يوم القيامة البخاري في تاريخه والبيهقي عن انس ونحو اي المروة

تحصيل

تحصيل الاخوة اي في الدين والدنيا وورد المرء كثير باخيه ابن ابي
الدنيا عن سهل ابن سعيد والمرء مع من احب وله ما اكتسب
الترمذي عن انس والمرء على دين خليله فلينظر من يخالل
والسخا لارباب الصفا واصحاب الوفا والفتوة وهي كمال
الرجولية وجمال الانسانية وورد فيهما اي في المروة وما
يتعلق بها الاخبار كما انها من اعمال الابرار فورد من المروة ان
ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف
الاخ لاخيه اذا انقطع شسع نعله الخطيب عن انس المروة اصلاح
المال الديلمي عن ابن ابان عن انس ليس من المروة الربح على الاخوان
ابن عساكر عن ابن عمرو ووقاية عطف على صدقة اي محافظة
الشر اي من اهل الشر فهو اي الانفاق على الغير لدفع الشر
يشمل الغيبة باللسان والعداوة في الجنان فورد انما وقايته
صدقة قال عليه السلام ما وقى به المرء عرضه فهو له
صدقة العسكري والقضاعي من حديث جابر واستخدام اي
اخذ خادم بالشرا او الكرا لتدبير المعاش فهو اي الخادم
يفرغ للعبادة التي هي زاد المعاد وفي نحو المسجد اي والانفاق
في نحو عمارة المسجد وترميمها وتنويرها والجسر اي معبر
العامة والخاصة فوق البحر والنهر والرباط اي الخانات
في البعد عن العمارات او القلاع دفعا للكفرة وارباب
الغارات والحوض والبير في البلدان والفلوات والكل من
الخيرات والمبرات فهو اي الانفاق في نحو المسجد يبقى للذكر اي

اى الثنا الحسن بعد فنا العمر ويحصل بركة الدعا اى دعوة
العامة ولكل منهما اى من فوايد المال عبادة مستقلة
لا سيما عمارة المساجد فقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله
من امن بالله واليوم الاخر الاية وورد من بنى لله مسجدا
بنى الله له بيتا فى الجنة ابن ماجة عن على زاد الطبرانى
عن ابى امامة اوسع منه وفى رواية احمد عن ابن عباس من بنى
لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا
فى الجنة وفى معنى المسجد المدارس للعلما والزوايا للصلحا
وعن ابى هريرة من بنى لله بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى
الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت الطبرانى فى الاوسط
ثم السخى فى عرف العلما من لا يمنع ما يجب شرعا ومروة اى
طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما ومانع الشرع
اى موجبه اكثر من مانع المودة والسخاوة يفارق **الايثار**
وهو اختيار الغير بالبر بانه اى الايثار بذل مع الاحتياج اى
مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا وهو اى الايثار
الافضل اى افضل السخا فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان والخصلة
الثانية ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه والثالثة ان يامن جاره بوايقه
وورد فى مدح الانصار ويوثرون على انفسهم تمامه ولو كان بهم خصاصة
اى شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة اليها يوثرون وفى البخارى
عن ابى هريرة ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث
الى نسائه فقلنا ما معنا الا الما فقال عليه السلام من يضيف هذا

فقال

فقال رجل من الانصار انا فانطلق به الى امراته فقال اكرمي ضيف
رسول الله فقالت ما عندنا الا قوت للصبيان فقال هيئي طعامك
واصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيات طعامها
واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كانها تصلح السراج
فاطفاته فجعلا يريانه انهما ياكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما
فانزل الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة
فقال ان فلانا اخي وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه فلم يزل
يبعث به واحد الى اخر حتى تناول سبعة ابيات حتى رجع الى الاول
فنزلت الاية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن بلال
وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله عن مسالة فاشاروا
الى حبان فقالت ما السخا عندكم قالوا العطا والبذل والايثار فقالت
هو السخا فى الدنيا فما السخا فى الدين قال ان نعبد الله سبحانه متبرعة
سخية بها انفسنا غير مكرهة قال اتريدون على ذلك اجرا قال
نعم قالت لم قال لان الله وعدنا بالحسنة عشرة امثالها قالت سبحان
الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شي تسخيتم عليه قال
فما معنى السخا عندك يرحمك الله قالت السخا عند الله ان تعبد الله متنعمين
متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا
حتى يكون مولاكم يفعل ما يشا بكم فى اولاكم واخراكم الا تستحيون من
الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيا بشي ان هذا فى الدنيا

لقبيح وقال المحاسبي السخاوة في الدين ان تسخو انفسك في محبة
ربك ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون
كراهة ابتغا لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا اجلا
وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك مالا يحسن ان
يختار لنفسك في دنياك واخرتك وفيه تلميح الي قوله سبحانه ان
الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والتبذير
اي السخاوة تفارق التبذير بانه حيث يجب الامساك اي المنع من
بذله لكونه اسرافا او في غير محله اللائق به وهو حرام لقوله وات
ذي القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين اي اولياوهم وكان الشيطان لربه كفورا اي
جحودا نفورا والمعني لا تنفق مالك في المعصية قال مجاهد لو انفق
انسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في الباطل كان
تبذيرا ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف وقال شعبة كنت
امشي مع ابي اسحاق في طريق الكوفة فاتي على جدار بني بجصاد
لعل عص واجر فقال هذا التبذير لكن البخل افحش من التبذير
لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم والتسخي اي ويفارق
السخاوة التسخي بانه مع الكراهة اي بالطبع والحيلة بخلاف
السخاوة فانها لا يكون الا مع طيبة النفس والمحبة والمروة اي
يفارقها السخاوة بترك المضايقة وكان حقه ان يقال بالمضايقة
ليكون على منوال المضايقة وفي نسخة والمروة بالرفع وخيره ترك ٥
المضايقة بالمحقرات فيختلف المضايقة باختلاف الاشخاص اي الذوات

الذين

الذين يصدر منهم المضايقة او معهم المضايقة وايضا يختلف
باختلاف ما به المضايقة وتفاوة الازمنة والحالات كالغني والفقر
فان ترك المروة في الغني اقبح من تركها في الفقر والقريب والاجنبي
فان ترك المروة في حق الاقارب اقبح من تركها في حق الاجانب والجار
والاهل من الزوجة والخادم والضيف والميت في امر تكفينه وتجهيزه
وتدفينه وكذا في حال الغلا والرخا والسرا والضرا وكذا يختلف باختلاف
الشيخ والصبي والشاب والمراة والرجل والعاقل والجاهل فما يستقبح
احدهما اي الشخصين او الحالين لا يستقبح من الاخر لتفاوت الامرين
والاولي في الانفاق التوسط المحمود في جميع الاخلاق بان يكون متوسطا
بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطا
وانما كان ذلك اولي لان التفريط الذي هو البخل مذموم كالافراط
الذي هو التبذير والايثار وان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما
يودي الي الحرج فكان الاولي وهو التوسط فورد لا تجعل يدك مغلولة
الي عنقك اي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر
علي مدها ولا تبسطها اي بالعطا كل البسط فتعطي جميع ما عندك
فتقعد ملوما محسورا والملوم الذي اتي بما يلوم نفسه وما يلوم غيره
١١٤ ومحسورا اي منقطعا بك لا شي عندك وفي المعالم قال جابر اتي صبي
فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الي ساعة
تظهر فعد وقتا اخر فعاد الي امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه

اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل
قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فانزل الله الاية
وحق العطا لا سيما اذا كان فرضا ان يعجل قبل الوجوب وهو حولان
الحول في الزكاة ودخول عيد رمضان في صدقة الفطر مبادرة الي
الايتمار اي قبول الامر لقوله تعالي وسارعوا الي مغفرة من ربكم واسرار
للمومن فقد قيل ادخال السرور علي قلب المومن افضل من عبادة الثقلين
وعن جابر افضل الاعمال سرور تدخله علي مسلم ابن عدي وعن ابن عمر
ما من شي احب الي الله من ادخالك السرور علي قلب اخيك
المسلم ابن النجار تحاميا اي تحافظا عن طروق الافات اي حدوث
طروق الافات الدنيويه الانسانيه والوساوس الشيطانيه وتعيين
له وقتا فاضلا او زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لمافي زينته وتضاعف
حسنة فيه كشهر رمضان فعن انس افضل الصدقة في رمضان
الدارمي في جزيه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق واجود ما يكون
في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيا كما في الصحيحين عن ابن
عباس وذي الحجة فانه شهر حرام وفي الحج وموسم الخيرات والبركات
والايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام
التشريق وقد قالوا افضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل
ايام ذي الحجة العشر الاول وبسر اي ويخفي العطا ان خاف الريا
فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان اظهر لغيره بعد سره
نقل الي العلانية اي ديوانها فان تحدث به اي ثالثا نقل به
الي الريا الخطيب في التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف

والديلمي

والديلمي عن ابي الدردا ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه
الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتي يتكلم به فيمحي من السر
ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محي من السر والعلانية
وكتب ريا وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفا الصدقة ابو نعيم
من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفي غضب الرب الطبراني
من حديث ابي امامة وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله
احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما يعلم يمينه متفق
عليه من حديث ابي هريرة وكانوا اي السلف يبالغون فيه اي في اخفا
الاعطا بحيث لا يعرفهم القابض تحاميا عن السمعة والريا وتحافظا
من المن والاذي فكان بعضهم ياتيه في يد الاعمي وبعضهم كان يصر
في ثوب الفقير وهو نايم وبعضهم كان يوصل الي يد الفقير علي يد
غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط ويوصيه
بان لا يفشيه في زمانه ويظهر اي الاعطا ان سيل فيه ملا معتصما
عنه اي محفوظا عن الريا او امنه اي وان امن من السمعة والريا
لاختصاصه بمقام الخواص في الاخلاص وقصد الترغيب لغيره
في باب الاعطا من الاقتدا فورد ان تبدوا الصدقات اي ان
تظهروها فنعما هي اي فنعمت الخصلة ابدوها اي اظهار اعطايها
وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم اي من الابدا بالاعطا وانفقوا
بصيغة الماضي مما رزقناهم سرا وعلانية اي باختلاف الاحوال
من الترتيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية اوالسر
مختص بالنوافل والاعلان بالفرايض وتارة وتارة بحسب ما يليق

بالاشخاص والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالي الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون روي مجاهد عن ابن عباس قال
نزلت هذه الاية في علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كان عنده
اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ولم يبشر القابض اي لم يكتم
ما اخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعو لصاحبه فادعوا له حتي
ترون انكم كافاتموه ابو داود والنسايي من حديث ابن عمر باسناد
صحيح ومن صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا
فقد ابلغ في الثنا الترمذي وابن حبان والنسايي عن اسامة
ومن صنع الي احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها يوم القيامة
ابن عساكر عن علي تحاميا عن الهتك احترازا عن انتهاك حرمة
شكر النعمة فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله الترمذي وحسنه
في رواية عبد الله بن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله
شكر وتركها كفر ويجتنب المن اي الامتنان في الاعطا والاحسان
والاذي باليد او باللسان فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي
اي بكل منهما وبهما اي المن والاذي علي طريق اللف والنشر المرتب
الذكر بالقلب اي ذكر الصدقة بقلبه والاظهار لها باللسان
في غيبته او وجهه والاستخدام للفقير بالعطا والتقريع بالفقر
اي وتعييره بانه من الفقرا والتكبر بالعطا اي لانه من الاغنيا

والتشديد

والتشديد بالقول اي بان ينهره ويوبخه بانه من الفقرا والاقرب
اي الي الصواب من بين الاقوال ان يقال المن اي حد المن ان يراه
اي المعطي محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يري الفقير محسنا لديه
بقبول حق الله تعالي منه الذي هو طهرته وبه عن النار نجاته وانه
لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير في قبضه
واخذه بيده لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي
الفقير ويمتثل قايما عنده يسال له قبولها حتي يكون هو في صورة السايلين
وهو يستشعر مع ذلك كراهته لورده وكان بعضهم يبسط
كفه لياخذ الفقير فيكون يد الفقير هي العليا ويعرف اي المن بقوة
استبعاد جناية القابض بعد العطا اي بترك الخدمة وعدم التعظيم
والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة في المجالس والمناهل فلو جني
القابض علي المعطي فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شايبة
لانه توقع بسببها هنالك ما لم يكن توقعه قبل ذلك والمحسن
اي في الحقيقة هو القابض اي للصدقة لايصاله اي المحسن
الي الثواب والانجا اي اخلاصه عن العقاب وكونه اي ولكونه
نايبا عنه تعالي فيه اي في القبض فورد انها تقع اولا بيده تعالي
ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله تعالي قبل ان تقع في يد
السايل الدارقطني في الافراد من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب
وكونه اي ولكون الصدقة حقا له تعالي اي خاصة اذ ليس له شريك
في ملكه احال عليه الفقير علي سبيل الرزق انجازا لما وعده من الرزق
اي وقدره علي ان يكون علي يد الخلق فليتحقق الغني انه مسلم الي الله

سبحانه حقه والفقير اخذ من الله عز وجل رزقه بعد صبر ورفته
مسلما الي الله ولو كان عليه دين الانسان فاحال به عليه صاحب
الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودي
الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه
المتكفل برزقه فاما هو فقايم بقضا الدين الذي لزمه فسرا ما احبه
فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به علي غيره **والاذي** اي والاقرب
ان حد الاذي التعيير والتوبيخ عطف تفسيرا واحدهما مختص بالغيبة
والاخر بالمشاهدة والقول الشي كالذم والشتم وتخشين الكلام
والقطوب وهو عبوسة الوجه وهتك الستر اي ببيان اعطابه
له في الملا حوله والاستحقاق اي بقوله والاستحقار بفعله والسبب
اي الباعث علي المن والاذي استكثار العطا واستثقاله وهو حمق
لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الجهل
ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضي المولي وللثواب في دار العقبي
فلا وجه لكراهيته اصلا والتكبر علي القابض الناشان من الجهل
الحاصلان الحادثان من جهله باستشعار رضايه تعالي علي حسن
فان اي في اصل بنايه كما تقدم ونسيان فضل الفقير اي ومن نسيان
فضله لانه لو عرف فضل الفقر علي الغنا وعرف خطر الاغنيا وخطر
الفقرا لما استحقر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمني ان يكون في درجته
فصلحا الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقير بخمسماية عام فقد ورد
فقرا المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيايهم بخمسماية عام الترمذي
عن ابي سعيد والمراد اي بالبطلان في قوله تعالي لا تبطلوا صدقاتكم

عدم كون ذلك الاعطا صدقة اي مقبولة نافعة كل المنفعة
او صدقة مضاعفة بكونها تحمل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة ماية حبة لا الابطال اي الحقيقي فلا يكون له ثواب
الصدقة بالكلية كما يقوله المعتزلة وعلي التنزل فيكون له
ثواب الاحسان لانه احسن الي احد من الاخوان فهو اي الابطال
من جميع الاحوال ممتنع في صحيح الاقوال ويستصغر اي من حق
المعطي ان يستحقر الاعطا ليعظم عنده تعالي فيصير حبه مثل جبل
احد ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكلما استعظمت
صغرت وهو اي استصغاره انما يحصل بذكر التوفيق بان يتامل
بعين التحقيق انه من اين له المال والي ماذا يصرفه في المال فالمال
لله وله المنة اذ اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخله
فلم يستعظم في حق الله تعالي ما هو عين بعض حقه وهو ان ارتقي
الي الدرجة العليا بان يكون بذله في محبة المولي والثواب اي وبالاجر
والتوبة ان كان مقامه يقتضي ان ينظر الي الاخرة ومثوبة العقبي
فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه بخيل باعطاء
بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل في اعماله من نقصان كماله باعتبار ماله
وهذا معني قوله ويودي مستحييا منه تعالي فهو عطف بالمعني علي تذكر
التوفيق فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يودي مستحييا منه سبحانه
في مقام التحقيق للبخل الحامل علي الحفظ اي علي امساك بقية ماله عن
مرضاة مالكه اجود المال مفعول يودي ان يعطي احسن المال وابعده
من الشبهة اي واقربه الي الحلال فورد انفقوا من طيبات ما كسبتم

تمامه ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي مالا تاخذونه الا مع كراهة وجا وفي الخبر
سبق درهم ماية درهم النساي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابي
هريرة وذلك بان يخرجه من اجل ماله وبعوده فيتصدق ذلك عن الرضا
والفرح ببذله وقد يخرج ماية الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك
على انه ليس يوثر الله عز وجل بشي مما يحبه كذا في الاحيا ويحتمل ان يكون
معناه ان لاحد درهمين فاخرج درهما والاخر سبعماية الف درهم
فاخرج ماية الف درهم فيتصدق عليه انه غلب درهم ماية الف درهم
بحسب الرتبة في مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رايته في رواية
النساي عن ابي ذر سبق درهم ماية الف درهم فتصدق بهما وفي
رواية الطبراني عن ابي مالك الاشجعي ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة
دنانير فتصدق بدينار وكان لاحد عشرة اواق فتصدق منها باوقية
وكان لاخر ماية اوقية فتصدق منها بعشرة اواق هم في الاجر سوا
كل قد تصدق بعشر ماله حتي تنفقوا مما تحبون في قوله تعالي لن تنالوا
البر حتي تنفقوا مما تحبون فينبغي ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله
واطيبه فورد ان الله طيب لا يقبل الا طيبا اخرجه مسلم عن ابي هريرة
وطوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية ابن عدي والبزار
ولانه تعالي ياخذها فورد باخذ الصدقات اي في قوله تعالي وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات فلا يدخل تقريع لقوله يودي
اجود المال حتي لا تدخل في المال فيما ورد من ذم الكفار ويجعلون لله
ما يكرهون اي من البنات حيث قالوا الملايكة بنات الله وتمامه وتصف

السنتهم

السنتهم الكذب ان لهم الحسني ومني الصبيان لمن يكثر متعلق سودي
اي يخص اعطاوه لمن يكثر اعطاوه الاجر بكونه متقيا والاتقيا هم المعرضون
عن الدنيا المتجرون التجارة العقبي فقد قال تعالي ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وورد لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ابو داود والترمذي
من حديث ابي سعيد واطعموا طعامكم الاتقيا ابن المبارك في البر والصلة
من حديث ابي سعيد الخدري وهذا لان التقي يستعين به على التقوي
فيكون شريكا له في طاعة المولي وعالما فان ذلك اعانة له على المعلم
والعلم اشرف العبادات فورد تعاونوا على البر والتقوي وورد احب
بطعامك من يحبه الله وفي لفظ من تحبه في الله ابن المبارك ابا جويبر
عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم
فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من
مقام العلما فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر
على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يوثر فقرا الصوفية
بالعطا دون غيرهم فقيل لو عممت بمعروفك جميع الفقرا كان افضل
فقال هولا قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت
همهم او هم احدهم فلان ارد هم واحد منهم الي الله احب الي من اعطا
الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال
هذا ولي من اوليا الله ما سمعت مذ زمان كلاما احسن من هذا
وهذا معني قول المصنف صادقا اي في تقواه وعلمه بتوحيد
مولاه حال كونه يري النعمة منه تعالي اي ولم ينظر الي واسطته ويكون
همته الله لا ما سواه ففي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين

الله منعما واعد د نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه
فكانه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير
الله اياه اذ سلطه الله عليه د واعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطي وهو
مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القي الله عز وجل في قلبه بان صلاح
دينه ودنياه في فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الي مسبب الاسباب
ويتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثنا غيره وشكره فذلك حركة
في اللسان يقل جداوه في اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا يضيع
ولا يقع في مقام النقصان واما الذي يمدح بالعطا ويدعو ابالخير فسيذم
بالمنع ويدعو بالشر عند الاياس من الاعطا فاحواله متفاوتة في السرا والضرا
وفي هذا المقام قال عليه السلام لرجل تب فقال اتوب الي الله ولا اتوب
الي محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله احمد والطبراني من حديث
الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عايشة رضي الله عنها
في قصة الافك قال ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال
عليه السلام دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك
ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحي
وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحيا وقال
العراقي رواه ابو داود من حديث عايشة بلفظ قال ابواي قومي فقبلي
راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت احمد الله لا اياكما وللبخاري
تعليقا فقال ابواي قومي فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا
احمدكما ولكن احمد الله وله ولمسلم فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله

لا اقوم

لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبراني فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك
وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث
عمر فقال ابو بكر قومي فاحتضني رسول الله فقالت لا والله لا ادنوا
منه الحديث وفيه انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك
ثم اعلم ان روية الاشيا من غير الله تعالي وصف للكافرين قال تعالي
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ولم يصف باطنه عن
روية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن الشرك
الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده في مراتبه عن
كدورات الشرك الخفي وشوايبه ومع هذا من لا يري الواسطة
واسطة فقد جهل وانما المنكر من يري الواسطة اصلا وهذا مرتبة
جمع الجمع في التحقيق والله ولي التوفيق وسايل الحاجة اي ومخفيا
لفاقته لا يكثر البث والشكوي في حضرة خالقه فورد يحسبهم الجاهل
اغنيا من التعفف تمامه تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا
اي الحاحا تصريحا بل تعريضا وتلويحا ولا يسالون اصلا فالنفي منصب
على القيد والمقيد كقوله سبحانه ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع
حيث لا شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك لانهم اغنيا بيقينهم واعزة
بصبرهم وتمكينهم فورد ليس الغني عن كثرة العرض انما الغني غني النفس
متفق عليه من حديث ابي هريرة ومعيلا بضم الميم اي عاجزا عن نفقة
اهله ومريضا اي محبوسا لمرض مانع له من كسبه فورد للفقرا اي خصوصا
صدقاتكم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة
لعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب في قلب وعبادة تمامه لا يستطيعون

ضربا في الارض اي سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي العطا على قدر العيلة كذا في الاحيا قال العراقي لم اجد له اصلا لكن لابي داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتي الفي قسمه في يومه ويعطي الاهل حظين ويعطي العزب حظا وقال احمد حديث حسن اقول لكن الغزالي نقل معناه لعدم استحضار مبناه او اطلع على ما لم يجده غيره بعده وورد ان المعونة تاتي من الله للعبد على قدر المونة وان الصبر تاتي من الله على قدر المصيبة الحكيم والحاكم والبزار والبيهقي عن ابن عمر وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلا فقال كثرة العيال وقلة المال وضعف الحال والاقارب اب الكمال ولو كان الخلق كلهم عيالا له ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة يجيا له ما يبالي فان خالقهم رازقهم او مميتهم وصادقهم وذا رحم فان الصلة اي صلة الرحم بدرهم احب من التصدق بعشرين الي الاحسي فعن علي لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الي من ان اعتق رقبة واما الاصدقا واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطي في خماسيته ثواب الصدقة خمسة انواع واحد بعشرة وهي على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهي على الاعمى والمبتلي وواحدة بتسعماية الف على ذي قرابة محتاج وواحدة بماية الف على الابوين

وواحدة بتسعماية الف على عالم او فقيه والاولى طلب الجامع اياها اي طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات المسطورة او اكثرها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وبقدر ما ينفعه يحصل له ما يتمنى فان وجد من جمع هذه المراتب في اعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ويتصدق كل يوم اي ليكتب في المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلا لا يتخطى الصدقة الطبراني في الاوسط عن علي والبيهقي عن انس ولا يرد سايلا فورد ردوا السايل ولو بظلف محرق مالك واحمد والبخاري في تاريخه والنساي عن حوا بنت السكن وفي رواية العقيلي عن عايشة ردوا مذمة السايل اي بغيته وشهوته ولو بمثل راس الذباب العقيلي عن عايشة ولعله مقتبس من قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فيسكت ان لم يقدر على العطا وهو الماثور فعن محمد ابن الحنفية مرسلا انه عليه السلام كان لا يكاد يقول لشي لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم ولم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس كان عليه السلام لا يسال شيا الا اعطاه او سكت الا بلطف وهو المشهور عن الجمهور فورد قول معروف اي كلام حسن ورد على السايل مستحسن وقيل عدة حسنة وقيل دعوة صالحة ومغفرة اي ستر خلته او فاقته او دفع حاجته خير من صدقة يدفعها اليه حال كونه يتبعها اذى اي يعقبها به لديه او من عليه والاولى ان يستند له بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي ذا يسر ولين وهي العدة اي فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعا جزيلا نحو رزقنا الله واياك واعطانا الله

واعطائك ولا ينهر اي ومن حق العطا انه لا يزجره ولا يقهره وبه فسر قوله
تعالي واما السايل فلا تنهر اي انه اذا سالك فاما ان تطعمه طعاما لينا
واما ان ترده ردا هينا فاوعد فيه العذاب الف عام في النار لم اعرق له
اصلا ويغتنم السوال بالمصدر اي سوال الفقير علي بابه فانه هدية
من الله اليه جابه كما ورد فيما تقدم ويحتمل ان يكون السوال علي وزن الجهال
جمع سايل فعن ابراهيم ابن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الي الاخرة
وعن ابن عمر مرفوعا هدية الله الي المومن السايل علي بابه رواه الخطيب
ويسي الظن بنفسه عند فقده اي عند عدم وجدان السايل في باب
انشه ولا يتوقع اي لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطا ان يجازيه جزا
ودعا وشكرا وثنا قال تعالي حكاية عن الابرار ويطعمون الطعام علي
حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزا ولا
شكورا ويكافي بالجزا اي يجازي المعطي بمثله بنظير دعا الفقير ان دعا
له بالخير ونحوه من الجزا واثني عليه بان مدح في مقابلة العطا وكانت
عايشة ام المومنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة ابن الزبير لقد
تصدقت بخمسين الفا وان درعها المرقع وكانت هي وام سلمة اذا
ارسلتا معروفا الي فقير قالتا للرسول احفظ مما يدعو به ثم كانتا
تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتي تخلص لنا صدقتنا
فكانوا لا يتوقعون الدعا لانه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه رضي
الله عنهما ويجعلهما اي ثواب صدقته لوالديه الماضيين اي المتوفيين
فانهما ينتظران دعوة تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ما علي احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها لوالديه

اذا كانا

اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان
ينتقص من اجورهما بشي ابن عساكر فالكل ماثور وفي كتب الحديث مسطور ويقدم
نفقة النفس والعيال فهو اي تقديمهما فرض وقد ورد ابدأ بمن تعول
منفق عليه ابدا بنفسك فتصدق عليها فان فضل شي فلاهلك فان فضل
عن اهلك شي فلذا قرابتك وان فضل من ذي قرابتك شي فهكذا النسايي
وفي الطبراني من حديث جابر ابن سمرة اذا انعم الله علي عبده نعمة فليبدا
بنفسه واهل بيته وقدم رسول الله صلي الله عليه وسلم نفقة الولد
علي الزوجة ونفقتها علي نفقة الخادم ابو داود من حديث ابي هريرة
بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه رواه النسايي وابن حبان ايضا
فتقديم الزوجة علي الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير في الاول
وكبير في الثاني وقال صلي الله عليه وسلم يوما لاصحابه فقال رجل عندي
دينار فقال انفقه علي نفسك قال ان عندي اخر قال انفقه علي زوجتك
قال ان عندي اخر قال انفقه علي ولدك قال عندي اخر قال انفقه
علي خادمك قال عندي اخر قال انت ابصر به ابو داود والنسايي
واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابي هريرة ويباكر اي يخرج
الصدقة اول النهار ليدخل في قوله ويسارعون في الخيرات ليبادر بها
اي بالصدقة البلا اي دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن
بالعاهات الديلمي عن انس وفي رواية البيهقي عنه والطبراني في الاوسط
عن علي باكروا بالصدقة فان البلا لا يتخطي الصدقة وورد الصدقة
تمنع سبعين نوعا من البلا اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس
الصدقة تمنع ميتة السو القضاعي عن ابي هريرة ويغتنم الصدقة

علي من رق له القلب لانه من علامته انه رحمة الرب فهو اي رقة القلب
علامة صدق السايل وقد ورد لو صدق السايل ما افلح من رده العقيلي
في الضعفا وابن عبد البر في التمهيد من حديث عايشة وللطبراني نحوه
من حديث ابي امامة وللبيهقي عن عايشة لولا ان السوال يكذبون
ما قدس من ردهم لا تردوا السايل ولو بشق تمرة ولا يحتقر ما عنده
لقوله تعالي ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويوت من لدنه اجرا عظيما ولقوله تعالي حكاية عن لقمان يا بني انها
ان تك مثقال حبة من خردل الاية قال يحيي بن معاذ ما اعرف
حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه
ما عندكم ينفد وما عند الله باق فربما يكون خبره عنده حقيرا ويصير
عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة
من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله ياخذه بيمينه فيربيها
كما يربي احدكم فصيله او فلوه حتي تبلغ التمرة مثل احد البخاري تعليقا
ومسلم والترمذي والنساي في الكبري واللفظ له وابن ماجة من حديث
ابي هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة متفق
عليه من حديث عدي بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع
وتطفي الخطيية كما تطفي الما النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة
مرسلا ولاحمد من حديث عايشة بسند حسن اشتري نفسك من النار
ولو بشق تمرة فانها تسد من الجايع مسدها من الشبعان وللبزار
وابو يعلي من حديث ابي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج
وتدفع ميتة السوء وتقع من الجايع موقعها من الشبعان وقال

عليه

عليه السلام لابي ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماها ثم انظر الي اهل
بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف رواه مسلم وفي رواية العقيلي
ردوا مذمة السايل ولو بمثل راس ذباب ويقال ان الحسن مر به
نخاس ومعه جارية فقال اترضي في ثمنها الدرهم والدرهمين قال
لا قال فاذهب فان الله رضي في الحور العين بالفلس والفلسين
واللقمة واللقمتين وعن علي كم من حورا ما كان مهرها الا قبضة من
حنطة او مثلها من تمر العقيلي عن ابن عمر وكان عليه السلام لا يكل خصلتين
الي غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده
الدارقطني من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك في البر
مرسلا ويحصل انواعها اي ويجتهد في تحصيل انواع الصدقة
حقيقة وهو ظاهر وحكما كارشاد الضال اي دلالته علي صاحبه
اورده الي بابه فروي الترمذي وغيره عن ابي ذر مرفوعا تبسمك في وجه
اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة
وارشادك الرجل في ارض الضلال صدقة الحديث او هدايته الي رفاقه
فلاحمد والترمذي وصححه من حديث البرا من منح منحة ورق او سقي
لبنا او هدي زقاقا فهو كعتاق نسمة او دلالته عن جهله وضلالته
فورد ان يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم اي من صدقتها وفي بان
المراة اي جامعها للنفقة اي من اجله او من اطها فروي ابو داود
عن ابي ذر يصبح علي كل سلامي من ابن ادم صدقة تسليمه علي من لقي
صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذي عن الطريق صدقة
وبضع اهله صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان من الضحي قالوا يا رسول

الله احدنا يقضي شهوته ويكون له صدقة قال ارايت لو وضعها في غير حلها الم يكن ياثم وفي رواية النساي وابن حبان وغيرهما عن ابي ذر ايبنا ولك في جماع زوجتك اجر ارايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال فانت خلقته وانت هديته فانت رزقته قال لا قال فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شا احياه وان شا اماته ولك اجر والعدل بين الاثنين من الزوجين وغيرهما فعن ابي هريرة كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل علي دابته فتحمله عليها او ترفع عليها متاعه الحديث احمد والشيخان والحمل علي الدابة لما سبق من الحديث والمعني حمل الغير او متاعه علي دابته او دابة نفسه وطيب الكلام فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبراني وفي رواية مسلم والنساي عن ابي ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة والخطوة الي الصلاة فعن ابي هريرة برواية احمد والشيخان وكل خطوة تخطوها الي الصلاة صدقة والانفاق على العيال فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة علي نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم في مستدركه عن انس ان نفقتك علي اهلك وخادمك صدقة وفي رواية للخطيب عنه كل معروف صنعته الي غني وفقير فهو صدقة وفي رواية احمد وغيره عن ابي امامة ما اطعمت زوجتك فهو صدقة وما اطعمت

ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو لك صدقة والتبسم في وجه اخيه وقد تقدم حديث تبسمك في وجه اخيك صدقة وفي رواية احمد وغيره عن جابر كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقي اخاك ووجهك اليه منبسط وفي رواية له عن ابي ذر لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تلقي اخاك بوجه طلق واطراق الفحل اي من الابل والخيل يعني اعارته للضراب وهو نزوه علي الانثي ففي مسند احمد والترمذي عن ابي امامة افضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل او منيحة خادم في سبيل الله عز وجل واعارة الدلو اي نحوها الداخلة في ذم منعها حيث قال تعالي ويمنعون الماعون وروي البخاري في تاريخه عن ابي ذر وافراغك من دلوك في دلو اخيك صدقة وفي رواية ولو ان تفرغ من دلوك في انا المستسقي والنفع بعلم اي شرعي فعن ابي هريرة افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجه وغرس فعن ابي الدردا من غرس غرسا لم ياكل منه ادمي ولا خلق من خلق الله الا كان له صدقة احد احمد وزرع فعن خلاد ابن السايب من زرع زرعا فاكل منه طير او عافية كان له صدقة احمد والعافية السبع ونهر وبير ومصحف وتخليف ولي يستغفر له فعن ابي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع او ولد صالح يدعو له مسلم وغيره

• وافضلها اي افضل الصدقات ان يكون في الصحة اي حال العافية ففي الصحيحين عن ابي هريرة افضل الصدقة وانت صحيح شحيح

تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان
كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان كذا وللمحتاج قد رهم منه اي
من اجله مثل سبعين اي درهما من اجل غيرا المحتاج ويتفرع عليه
قوله والقرض افضل منها اي من الصدقة فهو اي القرض بثمانية عشر
اي درجة زايدة على الصدقة التي درجتها عشرة لوقوعه في كف
المحتاج كما ورد دخلت الجنة فرايت على بابها الصدقة بعشرة
والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل كيف صارت الصدقة
بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لان الصدقة تقع في يد الغني
والفقير والقرض لا يقع الا في يد من يحتاج اليه الطبراني عن ابي امامة
ولا ينذر اي الولي ان لا ينذر فيجب عليه فلعله لا يفي بنذره ويفي
ولكن مع كرهه ونهي عنه ففي الصحيحين عن ابن عمر انه عليه السلام
نهي عن النذر ومحمله علي انه من فعل البخلا اذ السخي اذا اراد ان
يتقرب الي الله تعالي استعجل فيه واتى به في الحال ولم يتركه الي الاستقبال
في مسلم والترمذي والنساي عن ابي هريرة مرفوعا لا تنذروا فان
النذر لا يغني عن القدر شيا وانما يستخرج من البخيل وورد قال الله
تعالي لا تاتي ابن ادم النذر بشي لم اكن قد قدرته ولكن لا يلقيه النذر
الي القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل فيوسي عليه ما لم يكن
يوسي عليه من قبل احمد والبخاري والنساي عن ابي هريرة واما
ما مر فمن اداب الدعا من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا
كان في الاعمال الصالحة والنهي عن النذر وها هنا محمول على النذر
في المال لمظنة عدم الوفا في المال بخلاف النذر في الاعمال فالغالب

فيه الوفا

الوفا في الاستقبال • ثم اعلم انه ينبغي للقابض امور منها
ان يفهم ان الله سبحانه اوجب صرف الزكاة ونحوها الي الفقير
ليكفي همومه ويجعلها هما واحدا اهم دينه وقد اكثر الله عز وجل
الاموال ووضعها في ايدي عباده من العمال والبطال ليكون الة
لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الي طاعاتهم فمنهم من ابتلاه
بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فاقحمه في متن الخطر ومنهم من احبه
فحماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمي الشفيق مريضه ما في اكله
من الضرر فزوي عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه
قدر حاجته على يد الاغنيا ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع
والحفظ عليهم مع غاية من العنا وفايدته منصبة الي الفقرا
مع نهاية من الهنا ليتجردوا لعبادة المولي والاستعداد لزاد
المعاد الي العقبي فلا يصرف عنهم فضول فحق الفقير ان يعرف قدر
نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما رواه اكثر مما اعطاه فلياخذ
ما ياخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان
به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة ومنها ان
ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فلا ياخذ من اموال من اكثر
كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا
معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقى مواضع الريبة والشبهة
في مقدار ما ياخذه ولا ياخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة
الاستحقاق وح ياخذ ما يتم به كفايته من وقت اخذه في السنة

فهذا اقصي ما يرخص فيه من حديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من حديث عمر كان يعزل نفقة
اهله سنة وللطبراني في الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله
قوت سنة تصدق بما بقي فاذا اقتصر علي حاجة شهر او يوم فهو
اقرب للتقوي في حق الاقويا ومذاهب العلما في قدر الماخوذ بحكم
الزكاة والصدقة مختلفة فمن منافع في التغليل الي احد اوجب
الاقتصار علي قوت يومه وليلته تمسك بما روي سهل الحنظلية
انه عليه السلام نهي عن السوال مع الغني فقال غداوة وعشاوة
ابو داود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور علي السوال لا في جميع الاحوال
لان لفظ الحديث من سال وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم
وقال اخرون ياخذ الي حد الغني وحد الغنا نصاب الزكاة اذ لم يوجب
الله عز وجل الزكاة الا علي الاغنيا فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل
واحد من عياله نصاب زكاة وبالغ اخرون في التوسع فقالوا له ان
ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيي
بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان هذا هو الغني حتي ذهب قوم الي ان
من افتقر فله ان ياخذ ما يعود به الي مثل حاله ولو عشرة الاف درهم
الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما
المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ابن حبان
والطبراني من حديث انس ومنها انه ياخذ ما يعطي له حال الخلا ولا
ياخذ في الملا فقد دفع رجل الي بعض العلما شيا ظاهرا فرده اليه ودفع
اليه اخر شيا سرا فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب

فقبلته

فقبلته وذلك اسا ادبه في عمله فرددته واعطي رجل بعض الصوفية
شيا في الملا فرده فقال له لم ترد علي الله تعالي ما اعطاك فقال انك
اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك فقبل صح
بعض العارفين في السر شيا كان رده في العلانية فقيل له في السر
شيا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك قال عصيت الله في الجهر
فلم اكن لك عونا علي المعصية واطعته بالاخفا فاعنتك علي برك فقال
الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها
وايضا في اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمومن ان يذل نفسه
وايضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد من اهدي اليه هدية
وعنده قوم فهم شركاوه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفا والطبراني
في الاوسط والبيهقي من حديث ابن عباس قال الفضيلي لا يصح في هذا
المتن حديث واما العارف فلا نظر له الا الله عز وجل والسر والعلانية
في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه
والتاييد

الباب الثاني في الصوم وكسر الشهوة

بسم الله الرحمن الرحيم اي الذي هو مراد القوم وورد الصوم
اي فرضه ونفله لي اي مختص لاجلي لا يتصور كونه لغيري وانا اجزي به بصيغة
الفاعل وقيل بالمفعول ففي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال الله تعالي كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا
اجزي به وفي رواية لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الي سبعماية ضعف
الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وانما قال وانا اجزي به مع ان جزا كل العبادات
منه تعالي اشارة الي عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولي بنفسه اقتضي ذلك

سعة الجزا وكانه لم يذكر ما يجزي لكثرته ويومي اليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذي وحسنه والصبر نصف الايمان ابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن اي جزاوه لقاي يعني رويتي في العقبى ومعرفتي اي في الدنيا ولا منع من الجمع وانما خص الصوم بالاضافة اي اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه لانه من بين العبادات خلق صمدي فان الاستغنا من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان الصايم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله وروي تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمايه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله فانما قال انا اجزي به مع ان جزا كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيا بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكانه لم يذكر ما تجزي به لكثرته ونفاسته كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون من اخفا الاعمال وحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **او عمل سري** فانه قصد قلبي مع ترك المفطر الصوري والملايكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره **او قهر النفس والشيطان الذي هو اي قهرهما اصل المعاملة** فان مدار المعاملة على مخالفتهما او موافقة الله ورسوله في حكمهما وايضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين ايضا في قبضة الصايم فصار الصايم حينيذ متخلقا

بخلق الحق في الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصايم عبادة ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلي فالصيام لي وانا اجزي به متفق عليه من حديث ابي هريرة وهو موعود بلقايه سبحانه في اجزا صومه اذ ورد للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقا ربه متفق عليه ايضا وفي الاحيا ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما يقوي الشهوات بالاكل والشرب وساير اللذات ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وادنى رتبة مراتب الصيام وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لا ناقصا او كاملا وهي مقام العوام الكف عن الشهوتين اي الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة في محله وهو مناط الجواز اي متعلق جواز الفتوي في ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم ثم كف الجوارح اي منع الاعضا من العين والاذن واللسان وساير الاعضاء والاركان عن الاثم اي مطلق العصيان وهو مناط القبول لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وهو صوم الخصوص فورد خمس اي خصال يفطرن الصايم بتشديد الطاء اي يجعلنه مفطرا حكميا لا حقيقيا الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الازدي في الضعفا من رواية جابر عن انس وقول الحجة في الاحيا جابر تضعيف وقال ابو حاتم الرازي هذا كذب اقول لكن يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن انس ثم

اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت او شغله بالذكر و
تلاوة القران هو كمال صوم الانسان عند الاعيان وقد روي ليث
عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان
الغيبة تفسد الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما فلا
يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صايم متفق عليه
من حديث ابي هريرة وجا في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش في اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا
فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الافطار فارسل اليهما قدحا
وقال عليه السلام قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احدهما نصفه دما
عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملاتاه فعجب الناس من
ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم
الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما
اكلتا من لحومهم احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسند فيه مجهول وكذا الحكم غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر
الى كل ما يعرف وينكر والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الرب فورد
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عز وجل اتاه
الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته في قلبه الحاكم وصحح اسناده من حديث
حذيفة وكذا الحكم كف السمع عن الاصغاء الى كل ما يكره من لغو ولهو فقد ورد
والذين هم عن اللغو معرضون والمغتاب والمستمع شريكان في الاثم كذا في
الاحيا وهو غريب نعم للطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة كم من صايم ليس

له

له الا الجوع والعطش النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وهو المفطر
بالحرام وقيل المرتكب للاثم كالكذب والغيبة وساير الاثام ثم كف القلب
عما سواه تعالى اي عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به وهو اي هذا النوع من
الصوم للانبيا والاوليا وهم خصوص الخصوص ونصوص النصوص و
توضيحه ان يصوم قلبه ويبعد عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عن ما
سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في غير صفات الله
واياته ومصنوعاته واليوم الاخر ومقاماته وبالفكر في امر الدنيا و
مصنوعاته واليوم الاخر ومقاماته وبالفكر في امر الدنيا وشهواتها ولذاته
الا دنيا تراد للدين وضرورياته فان ذلك زاد الاخرة ومقدماته حتى قال
ارباب القلوب من تحركت همته بالتصوف في نهاره بتدبير ما يستعمله
في افطاره كتب عليه خطيئة من اوزاره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله
وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغي ان يكون بحال يتصدق ان ينال
في حقه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وختمه اي الصوم على الصايم
ان يخاف الرد ويرجو القبول فيكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين
الخوف والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد فهو
من المقربين او يرد فهو من الممقوتين وليكن كذلك في اخر كل عبادة يفرغ
منها وروي عن الحسن ابن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم
يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمار الخلقة يستبقون فيه
لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب
للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب
فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن بطاعته

واحسانه والمسيء باسائته وعصيانه اي لكان سرور المقبول بشغله
عن اللعب وحسرة المردود نسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس
انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسير طويل
والصبر عن طاعة الله سبحانه وفي بابه اهون من الصبر على عذاب الله و
حجابه فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الاخرة يعنون
بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمامول ومن هنا قال ابو الدرداء
يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من
عبادة ذوي التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين
ولذا قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم
هو الذي حفظ جوارحه عن الاثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام
والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش في الايام ويطلق جوارحه في الاثام
ويقول اي في جنانه او بلسانه لمن قاتل اي جادل او ضارب او خاصم او
شاتم اني صائم اي فانا ممسك عما يليق به من الاحكام وفيه تنبيه على
ان الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام ان لا يتعرض له من كلام الخصام
ويشير اليه قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فهو ماثور كما تقدم وقد ورد انما الصوم
امانة فليحفظ احدكم امانته الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن
مسعود وحديث الامانة في الصوم واسناده حسن ولما تلى عليه السلام
قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه
وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة كذا في الاحياء قال العراقي اخرجه
ابو داود من حديث ابي هريرة دون قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم

امانة

امانة كذا في الاحياء لما قال عليه السلام فليقل اني صائم اي اني اودعت
لساني لاحفظه عن الاشتغال بك فكيف اطلقه بجوابك ولا يسال بصيغة
المجهول عنه اي عن صومه او عن حاله بان يقال انك صائم ام لا فانه
يوجب على كل تقدير اشكالا لان المسؤول ان اقر اظهر وربما يتفرع
عليه الريا وان انكر كذب وهو اعظم البلاء وان سكت استحقر اي
المسؤول للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء وان احتال
لمدافعة تعب اي فيما تفكر وتدبر ووقع في العناء وورد لا يكذب الكاذب
الا من مهانة نفسه عليه الديلمي عن ابي هريرة مرفوعا ولا يكثر الاكل
اي حال الافطار حيث يمتلي بما وعاء ابغض الى الله من بطن يملا من
الحلال فقد ورد ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن ادم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدي كرب
واكلات بضم ففتح لقيمات كما في رواية تحاميا عن الكسل اي في الطاعة وقد
ورد اعوذ بك من الكسل لا سيما في التهجد لما تقدم من انه اذا كثر الاكل
كثر الشرب واذا كثر الشرب كثر النوم واذا كثر النوم ضيع عمره وفسد امره
وينبغي ان لا يكثر النوم في النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش والا فيقل
نتيجته وعزته لا سيما عن وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء
ابتلي الناس بها وكان هلاكهم فيها اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب
والثاني حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس
والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل في المال والخامس البنا وفيه
ذهاب الثواب وابطال الاعمال وبطلان سره اي وتحاميا عن بطلان

فايدة الصوم ومنفعته امره وهو قهر النفس اي اذلالها للانقياد فيما خلقت
لاجله فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة
واذا تدارك الصايم عند افطاره ما فاته في نهاره ومن جعل بين قلبه
وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام
وطريقه اي طريق تحصيل الصوم في مذهب القوم معرفة فوايد الجوع
فقد قيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وورد صمت الصايم تسبيح ونومه
عبادة ودعاوه مستجاب وعمله مضاعف الديلمي عن ابن عمر وقال بعضهم
اخترت صوم الدهر لما سالت ستة نفر عن ستة اشيا فاجابوا بجواب
واحد سالت الاطبا عن اشفي الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسالت
العباد عن انفع الاشياء في العبادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت الزهاد
عن اقوي الاشيا علي الزهادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت العلما عن
افضل الاشياء علي حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت
الملوك عن اطيب الادام والذ الطعام فقالوا الجوع وقلة الاكل وهي اي
فورد من جاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه اي وكبرت همته وقلت
شهوته وعزمت همته والحديث لم اجده مرفوعا واقوال لقمان لابنه
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا
عن العبادة وقد ورد ان من السرف ان تاكل كلما اشتهيت ابن ماجة
عن انس وفي رواية البيهقي عن عايشة اكثر من اكلة كل يوم سرف وعن
سلمان ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجة
والحاكم ومن حديث ابن عباس ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع في
الاخرة الطبراني وعن يحيى بن معاذ يا معشر الصديقين جوعوا

انفسكم

انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام علي قدر الجوع ورقته اي ورقة
القلب وتاثيره بذكر الرب فورد من شبع ونام قسي قلبه لم اعرفه
بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه
فتقسي قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم يوخذ بالمفهوم فيستفاد من جاع وسهر
رق قلبه والاستلذاذ بالطاعة اي التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل
الارادة والانكسار اي الذل الحاصل من مقام الافتقار فالبطر سبب
المعصية والغفلة والفقر باعث للعبودية والرجوع الي الحضرة وقد ورد
عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم في الطب
عن شداد بن اوس وذكر عطش العرصات اي موقف القيمة بحيث
يكون الشمس قريب راسه قدر القامة وفي الخبر يوضع للصايمين
مايدة يوم القيمة بحيث يكون الشمس قريبا من مقدار القامة وهي
من ذهب ياكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمي عن ابن عباس
وجوع الجحيم كما قال تعالي ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني
من جوع وقد ورد الصوم يبرد من حر السعير الطبراني عن انس وكسرة
شهوة الفرج فان سبيلها وهابا لشبع ولذا ورد من استطاع منكم ان
يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجا متفق
عليه من حديث ابن مسعود ودفع النوم اي في الجملة فهو اي النوم الكبير
يكل الطبع اي يجعله كلا في فهم الكلام ويضيع العمر بقدر المنام ويفوت
القيام بمقاصد المرام ومراصد المقام والتهجد وهو القيام والناس نيام
وتيسر المواظبة علي الطاعة عند خفة البدن المستلزمة للمواظبة علي العبادة
كما يعرفه ارباب السعادة والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل اي تحصيل الكبير

فاما امر التقليل فيسير والاعداد اي تهيئة ما يحتاج للاكل من نحو الطبخ والنفخ
والاكل اي نفسه من الشغل والفراغ بالجراي والفراغ من قضاء الحاجة الا
نسانية ودفع الامراض الشاغلة عنها اي عن العبادة الكاملة فورد
المعدة بفتح فكسر فسكون بيت كل داء اخرجه الخلال من حديث عايشة مرفوعا
بلفظ الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطي
والازم الحمية واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن وهب بن منبه
قال اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية قلت واجمعت الحكما على ان
راس الحكمة الصمت وخفة المؤنة فانها مطلوبة في مقام المعونة والاكتفا
بالقليل فان الكثير قل ان يكون حلالا وفي الحديث قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك فطلب الزيادة يورث المذلة اي في كسبها وتحصيل الحرام
بسببها والشبهة اي بلا شبهة في جمعها وامكان الايثار بالفاضل اي
الزائد عن قدر كفايته ووقف قناعة ليكون في ظله اي ظل ما ينفقه في
سبيل الله يوم القيمة فروي ان الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين
الناس القضاعي عن عقبة بن عامر ان ظل المومن يوم القيمة صدقته
ابن زنجويه عن بعض الصحابة ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام
وهو طريق رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان ما يعين على الجوع
ياصمد من غير شبيه ولا شي كمثله ثلاث مائة وستين مرة وهو
عجيب مجرب غريب وان لم يطق اي التقليل وهو الانسب او ما
يحصل به القوام وهو الاقرب فالاكل بعد صدق الشهوة اي تحقيق الزعة مطلب
ويعرف الصدق بان لا ينظر الادام بعد حضور الخبز في المقام او لا يقع
الذباب على البزاق فانه علامة عدم بقا مادة الطعام في معدته

بالاتفاق

بالاتفاق واما اذا كان يشتهي جزا مخصوصا او مع الادام فهو كاذب
في جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة ومعد للخيالات المفكرة
والترك بالرفع اي وترك الاكل مع بقائه اي بقا الميل في اثنايه والاصوب
اي الاقرب الى الصواب في هذا الباب الاكتفا بما يقوي على العبادة فانها
هي المقصودة من اولي الالباب فهو الماثور عن الجمهور وهو اي ما يقوي
يختلف بحسب الاحوال وكذا يتفاوت امزجة الرجال اما الوقت اي تقدير
زمن الجوع التقليل فكانوا اي بعض السلف يطوون يومين فصاعدا اي
ثلاثة الى خمسين يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد والاقتصاد في
الاكل الوقت كل الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد والعباد هو الا كلة
في اليوم اذ لم يكن صايما والليلة بحين افطاره وهو الوسط المروي عنه
عليه السلام اي في بعض المقام وفي الخبر اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم
يتغد ابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد فورد ان اكلتين في يوم من السرف
ونحوه تقدم ما اخرجه البيهقي وضعفه عن عايشة قالت راني النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اكلت في اليوم مرتين فقال يا عايشة اما تحبين ان
يكون لك شغل الا في جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله
لا يحب المسرفين الا ان المعروف في شمايله انه عليه السلام كان غالبا
ياكل مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء وفي الصوم الفطور والسحور
المسمى بالغداء المبارك في الحديث المشهور وهو المذكور في قوله سبحانه في
حق اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهو الطريقة الحنيفية
السمحة فالحديث محمول على اكلتين مشبعتين او على اكلتين في نهار واكلة
في ليلة والاحب السحر بها اي بتلك الاكلة ان كان يكتفي بها فهو

اولى من اول الليلة للتهجد على فراغ المعدة ويقوى على الصوم وهو
المروي اي مع انضمام الاكلة اول الليلة ففي الخبر تسحروا فان في السحور
بركة متفق عليه واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة
على قيام الليل ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس وقيل المروي هو ما ورد
في حديث عايشة كان عليه السلام يواصل السحر وفي حديث عاصم
بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة وقال ما واصل عليه السلام وصالكم هذا
قط غير انه اخر الاكل الى السحر وان منع اي الجوع الحضور بالطاعة من
التهجد وغيره يفطر بنصف اي من قرصة او من قدر عادته في حالة
شبعه ويتسحر باخر استعانة على الطاعتين اي طاعة الباطن وهو
الحضور في مقام السرور وطاعته الظاهر وهي الطاعة بالجوارح فيبقى
نور على نور فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم كما ان الشبع الشاغل عنه
سبحانه مشوم وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله فرب
مخمصة شر من التخم واما الجنس اي جنس الماكول فالاعلى من الخبز البر
المنخول وفيه سعة ثم الشعير المنخول وفيه رخصة والبر الغير المنخول
فهو توسط ثم الشعير الغير المنخول فهو سنة وعن ابن عباس انه عليه
السلام كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء
وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذي وابن ماجة وفي الشمايل
عن عايشة انها قالت ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير
يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي شمايل
الترمذي عن سهل بن سعد انه قيل له اكل عليه السلام النقي يعني الحواري
فقال سهل انه قيل له اكل عليه السلام النقي يعني الحواري فقال سهل

ما رأى

ما رأى عليه السلام النقي حتى لقي الله تعالى فقيل هل كانت لكم مناخل على
عهده عليه السلام قال ما كانت مناخل فقال كيف تصنعون بالشعير
قال ننفخه فيطير ما طار ثم نعجنه لا يقال المنخل بدعة حدثت بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانا نقول كلما ابتدع ليس منهيا عنه بل المنهي عنه ابتداع بدعة
مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد يكون واجبة مبيحة واجبة
مبيحة ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم
ينته الى التنعم المفرط قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق اي المستلذات للخلق ومن الادام اي والاعلى من
الادام اللحم وقد ورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن ما
جة وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا به وسنده ضعيف
لكن له شواهد منها عن علي رفعه بلفظ سيد طعام الدنيا اللحم ثم الا
رز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي وعن صهيب بلفظ سيد الطعام
في الدنيا والاخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمي من جهة الحاكم وعن بريدة
ايضا مرفوعا سيد الطعام في الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا
والاخرة الما وسيد الرياحين في الدنيا والاخرة الفاغية رواه الطبراني وكذا
ابو نعيم لكن بلفظ اخر ومما يقويه حديث فضل عايشة على ساير النساء
كفضل الثريد على ساير الطعام اخرجه الترمذي وغيره وفي الشمايل
انه عليه السلام اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشويا وكان يحب الحكوا
الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفي الاحياء عن علي كرم الله وجهه
من ترك اللحم اربعين يوما قسا قلبه والحلوا من التمر وغيره وعن عايشة
كان عليه السلام يحب الحلوا والعسل رواه اصحاب الكتب الستة وكان

بحبه الحلو البارد كما في الشمايل واما حديث المومن حلوي والكافر خمري
فقال ابن حجر العسقلاني باطل لا اصل له وكان يحب الدبا كما في شمايل
وغيره عن انس وكان يحب القثا كما رواه الطبراني عن الربيع بنت معوذ ثم
الدهن وفي معناه السمن فقد قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة
مباركة وفي لفظ فانه مبارك احمد والترمذي وابن ماجة عن عمر وصححه
الحاكم علي شرطهما ثم الملح فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجة وابو
يعلي والطبراني والخل فعن عايشة انه عليه السلام قال نعم الادام الخل
الترمذي ورواه مسلم عن جابر ابن عبد الله ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم سال اهله الادام فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل ياكل و
هو يقول نعم الادام الخل وعن ام سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم
بارك في الخل وفي رواية كان ادام الانبيا من قبلي وفي حديث لم يفتقر
بيت فيه خل رواه ابن ماجة واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه
البيهقي في المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بقوي والحمود الو
فالطرفان اي الاعلي والادني شاغلان من العبادة للمتجرد الزاهد
واما العارف فكل حلال له طيب قال تعالي يا ايها الرسل كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وورد الذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا اي لم يبخلوا وكان بين ذلك قواما ولا شك ان قوام
كل قوم بحسب ما يقوم عندهم خير الامور اوسطها رواه البيهقي عن عمر
بن الحارث بلاغا ولعله ماخوذ من قوله تعالي وكذلك جعلناكم امة
رواه البيهقي عن عمر بن الحارث بلاغا ولعله ماخوذ من قوله تعالي
وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله كنتم خير امة والاولي ان لا يواظب

عليه

عليه اي علي الادام في جميع الايام والليالي ويترك المشتهي اي ويترك ما
تشتهيه النفس قطعا للانس بالدنيا وطمعا لمجلس القدس في العقبي وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وورد اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فان
عيشها عيشة راضية فاخرة وورد في توبيخ الكفار اذهبتم طيباتكم
اي مستلذاتكم في حياتكم الدنيا والظاهر انها محمولة علي الحرمة اذ لا تبعد
في المباحات او مختصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه في المعصية دون
الابرار فانهم استعانوا بنعمة الله علي الطاعة شرار امتي الذين غذو بصيغة
المجهول من الغذاء بالمجتنين اي تربوا بالنعيم من غير فرق بين الحلال
والحرام ونبتت عليه اجسامهم وكل جسد نبت من اكل الحرام فالنار اولي به
كما في رواية وانما همتهم انواع الطعام واللباس اي من غير تفرقة بين الجواز
وعدمه فان محط نظرهم ما يرون من نفعا منه الناس والحديث رواه ابن
عدي في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الايمان من حديث فاطمة
بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ورضي عنها وروي من حديث فاطمة
بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني في العلل هو اشبه بالصواب ورواه
ابو نعيم في الحلية من حديث عايشة باسناد لا باس به ولا يجمع بين الشهوتين
اي المشتهيين كاللحم والفاكهتين قضا اي ادا لشهوة النفس ومرادها
فيجوز ان يجمع بينهما لتدارك خاطر الضيف وغيره وقد ثبت في الشمايل
انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب وفي
رواية بين الخربز والرطب وفي اخري بين القثا والرطب وقال برد هذا
بحر هذا ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان وفي كثرتهما حسرتان وخسار

ثان

نورد اذيبوا طعامكم اي اهضموه بالصلاة والذكر واعلاه التلاوة ولا تناموا
عليه اي على الشبع من غير طاعة ربكم فتقسو قلوبكم ابو نعيم وغيره عن
انس ويكتفي بالتمر تحرزا عن التفكه اي التنعم فعن النعمان ابن بشير رايته
صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه الترمذي في شمائله
وقيل معنى الاكتفا بالتمر عن التفكه انه ياكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفي
بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فياكلها بدلا عنه ليكون قوتا
ولا يكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة
اما اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون
قوتا يقتضي قوة ولا يناسبه ما حكي عن بعضهم انه نظر الى رجل ياكل خبزا
وتمرا فقال له ابتد بالتمر فان قامت به كفايتك والا اخذت من الخبز
بعدد حاجتك ويلوم النفس اي يوبخها ويهذبها في ابتدا الرياضة قال تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكان عليه السلام يحب العسل اي والحلواء
ونحوهما ويستعملهما لانه كان في مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدي به جميع
افراد الانسان وعمر رضي الله عنه يجتنبه اي العسل والادام تركا للذة
واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شان الاكمل ويامر ابنه اي عبد
الله على ما هو الظاهر ياكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن اي يوما ثم الدهن
اي دهن الزيت ونحوه او السمن ويؤيده قوله ثم الزيت اللهم الا ان يقال
به الزيتون مجازا وفيه لان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا في المدينة
ثم الملح ثم وحده اي الخبز من غير ادام معه ولا ياكل في الخلا ما يتركه
اي شيئا لو قدرا يتركه في الملا فانه من باب السمعة والريا وكذا لا يعبد
في الملا ما يتركه في الخلا فانه من اخلاق اهل النفاق فهو شرك خفي وقد

قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وفي الحديث القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة ولا يريد اي
وينبغي ان لا يريد ان يعرف بين الناس بالتقليل اي بتقليل الاكل وكذا
بتكثير الصوم والعمل فهو اي التقليل رياء افحش اي اقبح من الاكثار
مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام وهو بفتح
السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو الاكل في السحر وهو السدس
الاخير من الليل ويعجل الافطار في كل منهما ورد الاثار فعن ام حكيم عجلوا
الافطار واخروا السحور الطبراني وعن انس بكروا بالافطار واخروا السحور
ابن عدي وعن ابن عباس انا معاشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونوخر
سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا في الصلاة الطيالسي وعن ابي ذر لا تزال
امتي بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور رواه احمد ويبتدا بالتمر والرطب
افضل او الماء عند عدمهما او زمزم افضل ولا منع من الجمع وعن انس كان عليه
السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم تكن رطبات فتمرات وان لم تكن
تمرات حسا حسوات من ماء ويفطر صائما واقله واحد وورد من فطر صائما
كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذي
وابن حبان عن زيد بن خالد فالكل ماثور وفي ضمن الشرع مسطور ويتعهد
في شعبان لاستقبال رمضان بالتوبة اي الاستغفار والندامة ورد المظالم
اي مظالم العباد وكذا حقوق الله وترك الشواغل اي الموانع عن الصيام و
القيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد عن الحاجة ويخص ر
مضان بالصدقة اي بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران والتلاوة

اي قراتها او مدارستها فانه شهر نزل فيه القران والاعتكاف اي في المسجد
قال تعالى وانتم عاكفون في المساجد لاسيما العشر الاواخر فالاعتكاف
فيه سنة موكدة وفي غيرها مستحبة فهو عليه السلام واظب عليه اي على
الاعتكاف في العشر الاخير ففي الصحيحين عن عايشة كان اذا دخل العشر
الاواخر احيى الليل وايقظ اهله وشد المئزر وكان لا يخرج الا لحاجته
وفي رواية ابي داود بزيادة ولا يسال عن المريض الا مارا وامرنا بالتماس
ليلة القدر فيها اي في العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها
ليلة السابع والعشرين وبراي ساير الايام الفاضلة اي بالصوم فيها
قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته كالاشهر الحرم وهي رجب وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم اما المحرم فورد فيه ان كنت صايما بعد شهر
رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسايي عن علي ولانه
ابتدا السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام البركة وفي المعجم للطبراني
من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون
حسنة وعن انس من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت
كتب الله له عز وجل عبادة تسعمائة سنة الازدي في الضعفاء وفي رواية
ابن شاهين في ترغيبه وابن عساكر عن انس كتب له عز وجل عبادة سبعمائة
سنة وفي رواية الطبراني في الاوسط عن انس عبادة سنتين واما رجب
فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثاني كفارة
ثلاث والثاني كفارة ثلاث سنين والثاني كفارة سنتين والثالث كفارة
سنة ثم ان كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس لاسيما عرفة
اي يوم عرفة فورد من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه

وسنة

وسنة خلفه ابن ماجة بسند حسن عن قتادة ابن النعمان واذا كان بعرفات
ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل فالافطار
وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكانه تفويت
على الامة منشاه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام نهى عن صوم
يوم عرفة بعرفة احمد وابو داود وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة وعاشورا
والافضل ضم تاسوعا والعشر اي العشر الاول من ذي الحجة ومن المحرم
فورد ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة
ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر
الترمذي وابن ماجة من حديث ابي هريرة وعند البخاري من حديث
ابن عباس ما العمل في ايام افضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد
الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء وشعبان كله او اكثره
فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان متفق
عليه من حديث عايشة والايام البيض اي التي لياليه البيض وهي الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر على الاشهر من الاقوال او الايام
التي تبيض جسم ادم بصومه لما خرج من الجنة وقد كان اسود من
جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عليه السلام لا يدع صوم ايام
البيض في سفر ولا حضر الطبراني والجمعة والافضل ان لا يصوم فيها مفرد
الماورد عن جنادة الازدي لا تصوموا يوم الجمعة مفردا احمد والنساي
والحاكم وفي رواية لاحمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة مفردا احمد
والنساي والحاكم وفي رواية لاحمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم
الجمعة الا وقبله يوما وبعده يوم والخميس والاثنين لانهما يومان متبركان

كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين
وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابي
هريرة ويفطر في اخر شعبان استعانة على صوم رمضان واستبعادا
عن التقدم في الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى
رمضان من حديث ابي هريرة وصححه الترمذي وفي رواية اذا انتصف
شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمي والاربعة وصححه وابن
حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان فجائز
كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث
ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان
ولابي داود والنساي نحوه من حديث عايشة وفعل مرارا كثيرة كما روا
ابو داود من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين
يوما ثم صام واخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والحاكم وقال
صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة
الحديث على المدعى ثم السر فيما ورد من حديث عبد الله بن عمرو في
الصحيحين افضل الصيام صيام اخي داود فانه كان يصوم يوما و
يفطر يوما شدة انكسار النفس وما لها من الارادة بنقض العادة فانه
لب العبادة ومن ذلك ما ورد في الصحيحين ايضا من منازلته عليه السلام
لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول اريد افضل من ذلك عليه السلام
لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها اقوى
ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام عرضت

على

على مفاتيح خزاين الدنيا وكنوز الارض فابيت وقلت اجوع يوما واشبع
يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذي من حديث
ابي امامة وحسنه وفيه تنبيه على ان الكمال هو التربية بين تجلي صفتي ط
الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفه صبر ونصفه شكر وقال
عز وعلا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور بخلاف صوم الدهر فانه يصير
العبادة له كالعادة على انه شامل للكل مع الزيادة وللسالكين طرق
هنالك فمنهم من كره ذلك اذا وردت فيه اخبار كثيرة تدل على كراهيته
منها من صام الدهر اي الابد فلا صام ولا افطر احمد والنساي والحاكم
وابن ماجة عن عبد الله ابن عمرو لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث
ابي قتادة قيل يا رسول الله كيف من صام الدهر قال لا صام ولا افطر
وللنساي من حديث عبد الله بن عمرو وعمران بن الحصين وفي الاحيا الصحيح
انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق
وهو الدهر كله وثانيهما ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم
حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه وتعالى يحب ان يوتى عزايمه فاذا لم يكن
شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله
جماعة من الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما رواه ابو موسى
الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه
ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنساي في الكبرى وابن حبان
وحسنه ابو علي الطوسي قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة وهو صيام
داود ويمكن ان يكون عشره او ثلثها فاذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر سحم
وثلاثة من وسطه وثلاثة من اخره فهو ثلث بانفراده واما رعاية

الايام الفاضلة بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف
وقيل لا يفطر الا اربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق
وفي الاحيا كره بعض العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام
تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد
ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات قال والحري هو كذلك في حق
اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم مرتين والاصل العمل بحسب صلاح
الباطن اي اذا اصلح باطنه بالصوم صام واذا اصلح بالفطر افطر لان
المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة يقتضي دوام
الصوم الفطر ولحري مزاجه وهو الانسب فكان عليه السلام يصوم
اي النفل اي متتابعا حتى يقال وفي رواية حتى نقول بالنون المعنية و
الخطاب لا يفطر اي ابدا وكذا يفطر اي مواظبا حتى يقال لا يصوم بعد
هذا اصلا ويقوم اي في الليل متواليا حتى يقال لا ينام وينام اي كثيرا
حتى يقال لا يقوم كذا في الاحيا قال العراقي حديث كان يصوم حتى يقال
لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عايشة وابن عباس دون ذكر
القيام والنوم وللبخاري من حديث انس كان يفطر من الشهر حتى
يظن انه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن انه لا يفطر منه شيا وكان لا
تشا تراه من الليل الا رايته ولا نايما الا رايته قلت والحديث ايضا
في شمايل الترمذي وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام
بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات
ولاختلاف الحالات

الباب الرابع في السفر والحج والغزو

تخصيص بعد التعميم للتتميم بسم الله الرحمن الرحيم المعين للمسافر والمقيم

السفر

السفر اعم من الشرعي واللغوي اما ديني وهو على قصد التعلم من علما الشريعة
او من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة فورد اي برواية
الترمذي والضيا عن انس من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله
اي الجهاد مع اعداء مولاه او في طريق مرضاه حتى يرجع اي من سفره
الى حضره اي من سفره الى حضره قال المظهري وجه مشابهة طلب العلم بالمجا
هدة في سبيل الله ان احيا الدين وفيه ارضا الرحمن واذلال الشيطان وعن انس
طلب العلم افضل عند الله من المجاهد في سبيل الله انتط الديلمي وعن جابر بن عبد
الله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث
به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في تفسير قوله تعالى السايحون
انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابي هارون قال كنا ناتي ابا سعيد
فيقول مرحبا بوصيته عليه السلام كان يقول ان الناس لكم تبع
وان الرجال ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا
بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدرداء في مسجد
دمشق فجاءه رجل فقال يا ابا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما جئت لحاجة اي غير ان اسمع منك الحديث قال فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب
فيه علما سلك به طريقا من طرق الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها
رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض
والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
على ساير الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا

دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد
والترمذي وابو داود وابن ماجة والدارمي والحديث في المشكوة وشرحه
في المرقاة والتجارب اي وقصد التجربة في اماكن الشرة لاصلاح الاخلاق
اي المستحسنة في حكم الخلاف فهو مهم والسالك بسيره منهم ومنه قوله
عليه السلام اخبر تقله ابن عدي من حديث ابي الدرداء مرفوعا وفي رواية
له وجدت الناس اخبر تقله ابن عدي من حديث انس اخرجه الطبراني وابو
يعلي وابو نعيم وفي النهاية اي جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم
وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اي
من جربهم واخبرهم ابغضهم والها في تقله للسكت ومعنى نظم الحديث
وجدت الناس مقول فيهم هذا القول قيل ويضرب هذا مثلا في قلة
توقع الخير عند الناس والسفر وسمي به لانه يسفر عنها اي يكشف
عن الاخلاق المرضية والدنية في اختلاف الحالات للبعد عن المالوفات
وعدم وجود المعروفات والتفكر في لطائف افعاله تعالى في مصنوعاته
وعظيم صفاته اي الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم فهو اما بسير الباطن
او بانضمام سير الظاهر وقوله عز وعلا سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من
شيء واختلف احوال الصوفية في سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر في
بدايته واقام في نهايته وهو الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر
ومنهم من استدام على السفر والحج فورد ولله على الناس حج البيت الاية
اي من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين من حج البيت

ولم يرفث اي لم يجامع في الاحرام ولم يذكر النساء في مجامعهن ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه احمد والبخاري والنسائي وابن ماجة عن
ابي هريرة بلفظ من حج لله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن عدي من حديث ابي هريرة والترمذي
من حديث علي وقال غريب وفي اسناده مقال ومن خرج من بيته حاجا
او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيمة البيهقي
في الشعب والجهاد مع الكفار فورد لغدوة في سبيل الله او روحة خير من
الدنيا وما فيها احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن انس وزيارة ا
لمدينة ففي الخبر من زار قبري وجبت له شفاعتي ابن عدي والبيهقي وابن
ابي الدنيا والطبراني والدارقطني عن ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة وللطيالسي
عن عمر مرفوعا من زار قبري كنت له شفيعا او شهيدا قال الذهبي طرقها كلها
لينة لكن يتقوى بعضها لان من في رواتهم قال ومن اجودها اسنادا حديث
حاطب من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي رواه ابن عدي والطبراني
والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر ومن جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي
كان حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه
ابن السكن ومن وجد سعة ولم يغز الي فقد جفاني ابن عدي والدارقطني
وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفي رواية من حج ولم يزرني فقد
جفاني وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث انس ما من احد من
امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر وبيت المقدس فعن ابن عمر
ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل
خلالا ثلثة سال الله حكما يصادف حكمه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد

من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد ينهزه
الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد
اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطي الثالثة رواه احمد والنسائي وابن ماجة
وابن حبان والحاكم وقد صح انه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه
ودخل عليه وصلى ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يأت بيت المقدس
يصلي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقي قوله اي في الصحيحين
وغيرهما من حديث ابي هريرة وابي سعيد لا تشد الرحال اي لا تطلب
بركة البقاع بالسفر اليها الا الى مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى
ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبياء والاولياء لاجنس الحصر في حق المساجد
دون سائر المشاهد ومسجد قبى ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل
في جنس مسجده عليه السلام ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند
المحدثين الاعلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت
المساجد في فضله مضاعفة الصلاة فيها فعن جابر صلاة في المسجد
الحرام مائة الف صلاة وصلاة في مسجدي الف صلاة وفي بيت المقدس
خمسمائة صلاة البيهقي وملاقاة الكبراء من المشايخ والعلماء وهم
احياء للاستفادة من مشاهدة الاحوال ومعاينة الاقوال فلسان
الحال افصح من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة وقد ورد اولياء الله
الذين اذا حضروا ذكر الله الحكيم عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال
ما لا ينفعه لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك
لفظه وهذا القول له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الناس

بلسانه

بلسانه بفعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه
في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر
اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم يكن افعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع
لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية
القلب بحسب الاستقامة في طاعة الرب المعبر عنها بالشريعة في الاعمال
الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباطنة وبالحقيقة في الاحوال الزاخرة
المستمرة حتى في الدار الآخرة والثاني ان نظر العلماء الراسخين والرجال
البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستشف
بنفوذ بصيرته حسب استعداد الصادق واستمالة المواهب
لله تعالى الخاصة الموافقة فيقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر
اليه نظرة محبة عن بصيرة فيكتسب بنظره احوالا سنية ويرى
آثارا واضحة وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه ان يجعل هذه الخاصية
في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا
نظر الى انسان يهلكه ومما يدل عليه على تاثير الصحبة والكثير نظر الاثير
ما حصل لاجلاف العرب حيث كان احدهم ممن يبول على عقبيه فينظر
صلى الله عليه وسلم عليه وآمن به فصار في لحظة واحدة من كمل الاولياء
والاصفياء حيث لم يبلغه احد من المشايخ والعلماء وابلغ من هذا قضية
كلب اصحاب الكهف حتى وصل مرتبة الا ان ذكره الله في كتابه القديم
مرات بنعت التعظيم والتكريم وقد وقع تاثير نظر الشيخ شهاب
نجم الدين الكبرى الى كلب كان حوله الفقراء وذكر صاحب العوارف العارف
الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب

اداب المريدين انه كان يطوف في مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه
الناس ههنا فقيل له في ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى الشخص
اكسبوه السعادة فانا اطلب تلك السعادة وحكاية النجيبي مع
السيد عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة وزيارة قبورهم
اي الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء
دار البقاء وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها
تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة ابن ماجة عن ابن مسعود وفي رواية
الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها ترق
القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة والفرار عما يشوب العبادة
او ينقصها او يمنعها كالجاه اي الوسيع والمال اي الكثير وعن سفيان
الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين
هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ومن
افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة
ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففي الصحيح من كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص
الطوية في جميع الاعمال الدينية والدنيوية ليصير وسائل في رفعة
الدرجات الاخروية واما دنيوي كالفرار من الفتنة اي الدنيوية والقحط
ونحوه من الغلاء وسائر البلية ولا حرج فيه اي في هذا النوع بل هو مباح
او مستحب فقد قال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه
على كتفه وقلب بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال الى بلد املأ

فيها

فيها رخص قيم فيها فقلت تفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت
برخص في بلدة فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك فالاولى للمريد
اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شانه مما شانه اذا لم
يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم
فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين واقرب للقلب وايسر
بعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع
رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبراني من حديث الزبير بسند
ضعيف وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ابن ماجة من حديث انس بسند
حسن واذا سبب الله لكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر
له ابن ماجة من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن الا عن
الطاعون فهو اي الفرار منه منهي عنه بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض
فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها فرارا منه احمد
والشيخان والنسائي عن اسامة بن زيد او طلب المال اي وطلبه ونحوه
من النكاح وغيره من المباحات فينوي فيه اي الخيرات والمبرات نحو التعفف
عن السؤال في طلب المال والتعطف على العيال في النكاح ليصير عبادة لان
تصحيح النيات تجعل العادات عبادات كما تحقق في شرح حديث انما الاعمال
بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله ثم ان كان اي السفر واجبا
اي فرض عين كالحج وطلب العلم فيتعين اي فعله والا اي وان لم يكن
واجبا فالاستفتاء من القلب متعين في فعله وتركه بحسب صلاح الحال
وتزايد في الحضور مع الرب فالفوائد اي المنافع والافات اي المضار

منها وصف في احوال السفر من الحالات والمقصود اي الاعلى هو المرفق
والانس به تعالى في جميع المقامات والمعين في البداية السفر للتعلم ان
لم يوجد العلماء في بلده او لم يقدر على تحصيله لشغله باهله وفي النهاية
الاقامة لاسيما مع الكبر فانه لا يتحمل السفر ففيه اي السفر شواغل
عن الذكر والفكر من النظر الى المالوفات وحفظ النفس والمتاع من الافات
واحتمال الشدايد والهموم باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين
المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه
وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهه اي حاجته من جهته فليعجل
الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجه عن ابي هريرة وحمته
اي المسافر ان يتوب عن الذنوب من الصغاير والكباير في الظواهر والضماير
ويودي حقوق الله من فوات صوم وصلوة ونحوها ويرد المظالم اي حقوق
العباد او يتحلل من اصحابها ويقضي الديون ويدفع الامانات الى اربابها
في القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم
احيا ام ميت لا يجب عليه طلبه في البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس
لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء
بنية الخصما ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر وفي فتاوي قاضيخان
رجل له خصم مات ولا وارث له تصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون
وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيمة ويودي النفقات اي كل ما
يلزمه الى حين رجعته ويأخذ الزاد من المال الحلال لذهابه وايابه من غير
تقتير وتعيين في بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد مع الرفقاء
والرفق بالضعفا والفقراء قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله

عز وجل

عز وجل الدرهم بسبعماية قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره
وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد
الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام
واطعام الطعام وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرا
عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعد في ذلك
ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ومنها يكلف الناس ان يقوموا
بقوته وسقيه وربما آل امره الى الموت وهو الغالب فتجدهم في اثناء الطريق
مرضى مرميين او طرحى ميتين بعد ان خالفوا امر الله في حفظ انفسهم واوقعوا
اخوانهم ممن علم بحالهم من اهل الركب في اثمهم وكذلك ياثم كل من عاينهم ينبغي لا
يكفيهم في اول امرهم او يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا ان يعلم ان غيره
يغنيهم بشيء يتم به كفايتهم في الذهاب والاياب فلا باس فان لم يعلم بذلك
حرم عليه الاعطا لهم لان ذلك سبب في دخولهم فيما لا قدرة لهم عليه من
العطش وغيره والافضا الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا
بخلاف ما اذا كانوا في الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم
من اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والترتيب واللقمة والتمرة
ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله ويطلب
الرفيق المعين على الخير المجرب في الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق
ثم الطريق والله ولي التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسي الخير ذكره اعانه
وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب
اولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقيعة الموجبة
للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال ويتصدق قبل الخروج ولو بشيء

قبيل فان الصدقة تدفع البلا ويصلي ركعتين للوادعة اوللاستخارة ويتخير
في غير الواجب في السفر وغيره والتحقيق انه يتخير في الواجب ايضا الا انه
لا في فعله وتركه بل يستشير ويتخير في متعلقاته من خروجه في هذا
الوقت اوغيره او في شرا الدابة وكرايها ونحوه ويودع الاخوان ويقول
لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابوداود والترمذي
والنسائي من حديث عمرو يرغب في دعائهم ويستحب لهم ان يقولوا له في
حضرته زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت
كما رواه الطبراني في الدعا من حديث انس وهو عند الترمذي وحسنه وفي
غيبته اللهم اطو له البعيد وهون عليه السفر وفي الخبر اذا اراد احدكم
سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خبر الطبراني
في الاوسط عن ابي هريرة ويعرض الاشيا اي جميعها على المكري بضم
الميم اي المكاري ولوكان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك
احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استامر الجمال فاني قد
اكتريت منه قال الحجة فانظر كيف تورع من استصحابه كتابا لا وزن
له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا انفتح بابه اليسير انجر الى الكثير
اولا ولا يبعد ان يراد بالكتاب ما له وزن فيجب التوقف على اذن
ويرضيه بجملة ان كان زيادة على معتاده ويخرج في بكور الخميس فورد انه عليه
السلام كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني عن ام سلمة والسبت
فورد دعاوه عليه السلام فيهما اي في الخميس والسبت اما في مطلق البكور
بقوله عليه السلام اللهم بارك لامتي في بكورها اخرجه الاربعة وحسنه
الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر ابن وداعة الغامدي مرفوعا

واما

واما في خصوص الخميس فلابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط
عن عايشة مرفوعا اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس وفي رواية قال
اغدوا في طلب العلم فاني سالت الله ربي ان يبارك لامتي في بكورها
يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني واما
ما اشتهر في هذا اللهم بارك لامتي في سبتها وخميسها او اللهم بارك لامتي
في بكورها واجعل ذلك في سبتها وخميسها فباطل لا اصل له كما افاده
الحافظ ابن الملقن في ادلة التنبيه والاثنين اي ويخرج في الاثنين وهو
ايضا مأثور فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات
يوم الاثنين ويكثر السير يوم بالليل اي ينبغي ان يكون اكثر سيره بالليل
فورد عليكم بالدلجة بضم فسكون ويستحب السير اخر الليل ذكره بعضهم
سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد والعباد
فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ابوداود والحاكم والبيهقي
عن انس بدون ما لا يطوى بالنهار وهذه الزيادة في الموطا من حديث
خالد بن معدان مرسلا ولا ينزل اي في المنزل ما لم يصير اليوم حارا فان
السير في البرد ايسر ويصلي استحبابا عند الكرب من المنزل والنزول فيه
قياسا على الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبراني
عن فضالة ابن عبيد انه عليه السلام كان اذا نزل منزلا في سفر او دخل
بيته لم يجلس حتى يصلي ركعتين وللبيهقي عن انس كان عليه السلام اذا نزل
منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين ويقول عند نزوله رب انزلني منزلا مباركا
وانت خير المنزلين وعند سيره بسم الله اتكلت على الله لا حول ولا قوة الا

بالله كما رواه ابن ماجة والحاكم وابن السني عن ابي هريرة وفي رواية الطبراني
عن ابي سعيد توكلت علي الله الحديث ويكبر في كل صعود يصعد عليه من شرف
اظهارا الكبريا وعلو مكانه وارتفاع شانه ويسبح في كل هبوط اي حدر
يهبط اليه بان نزل من علو الي سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فقد
ورد اذا علا ثنية كبروا واذا هبط سبح البخاري والنسائي عن جابر وابي
داود وابن عمر وفي رواية لاصحاب الكتب الستة عن ابي موسي اذا اشرف
علي واد هلل وكبر اي لا اله الا الله والله اكبر وفي رواية لاحمد وابي يعلي
وابن السني عن انس اذا اشرف علي مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف علي كل
شرف ولك الحمد علي كل حال اي لك العلو علي كل عال كما قال تعالي وهو
القاهر فوق عباده وله الكبريا في السموات والارض وحدوث وحشة
اي ويسبح عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم اره ماثورا وانما ورد
١٤ اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابي موسي الاشعري وفي
الفردوس للديلمي عن شداد بن اوس مرفوعا حسبي الله ونعم الوكيل
امان لكل خائف ويؤمر احدا اي يجعل اميرا اذا كان المسافر متعددا
لانتظام الراي وعدم التنازع في الامر ويكون الامير احسنهم خلقا بضمتين
اي اكثرهم علما واظهرهم حلما ومواساة اي اوسعهم موافقة ومداراة وهو
بان يكون ازهدهم في الدنيا واشكرهم في المعني واتمهم مروة واعمهم شفقة
واقواهم حرمة فقد نقل عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال
عبد الله علي ان تكون انت الامير او انا فقال ابو علي بل انت فيحمل الزاد
لنفسه ولابي علي علي ظهره وامطرت السما ذات ليلة فبات عبد الله طول

الليل

الليل علي راس رفيقه يظله بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست
الامير وعليك الانقياد والمطاوعة وورد اذا كنتم ثلاثة في السفر فامروا
احدكم عن ابي سعيد اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم احدهم واحقهم بالامامة
اقرؤهم احمد ومسلم والنسائي قيد الثلاث للاشعار بانه اقل الكمال
في الجماعة والرفقة ويعين اي الامير الرفقة بضم فسكون اي رفقاه بما
يقدر عليه من اللطف والرفق ويواسي عليهم بزيادة الاحسان وسعة
الرزق ويوافق الراحلة اي الدابة بان لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضي بان
صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها في عرفها وعادتها قال ابو الدرداء لبعير
له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني عند ربك فاني لم اكن احملك
وعلي الجملة في كل كبد حرا اجر فيراعي حق الدابة وحق المكاري جميعا وينزل
احيانا فيه اقامة للسنة اذا كان عليه السلام ينزل احيانا عن الدابة
ففي الاوسط للطبراني من حديث انس باسناد جيد انه عليه السلام كان
اذا صلي الفجر في السفر ورواه البيهقي في الادب وقال مشي قليلا وناقته
تقاد قال علماؤنا ويستحب ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشيا وعند
عقبة اذا اضاق وقال الطرابلسي يجب اذا كانت الدابة مستاجرة في
المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول فيها الا ان يرضي صاحبها وكانت
الدابة مطيقة ولا يحل له ان يستلقي علي ظهر الدابة ولا يتكي عليها بل يكون
راكبا علي العرف والعادة في مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج وترفيه
الدابة اي تهوين لها عن دوام المشقة واسرار المكاري حيث يخرج بها
لخفة ورياضة للنفس اي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة وتحرز عن ضعف
الاعصاب وما يترتب علي الدوام للركوب من اليبوسة ولا ينام عليها

الا نومة خفيفة اذا حصلت ضرورة اذ النوم عليها يوذيها ويثقل عليها
وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود ولا يتوقف
راكبا عليها زمانا طويلا فورد لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي وللحديث
رواه احمد من حديث سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية
معاذ بن انس عن ابيه مثل كراسي في دوام القعود عليها ولعله يحمل على
حمولة متنقلة بخلاف الخيل والناقة التي هي غير متنقلة وعلى تقديره
فيستثني عشية عرفة في الوقفة فانه يستحب الوقوف على الدابة ولا
ينفرد عن الرفقة اي لا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال
او ينقطع وكذا لا ينفرد عنهم في المنزل ويحرس اي متاعه وامتعة اصحابه
بالنوبة فاذا نام احدهم حرس الاخر فهو السنة اخرج البيهقي من
طريق ابن اسحاق من حديث جابر في حديث فيه فقال الانصاري للمها
جري اي الليل احب اليك ان اكفيكه اوله واخره فقال لا بل اكفني
اوله فاضطجع المهاجري والحديث عند ابي داود ايضا لكن ليس له
قول الانصاري للمهاجري بل فيه تناوب الرفيقين في الحراسة فاذا نام احدهما
حرس الاخر وينام اول الليل علجلا راسه على العضد بان افترش ذراعه
وفي اخره اي الليل على الكف ويقيم العضد بان نصب ذراعه نصبا وجعل
راسه في كفه لئلا يشتد النوم فيفوت صلاة الصبح فهو ماثور رواه احمد
والترمذي في الشمائل من حديث ابي قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان
والحاكم عنه بلفظ كان اذا اعرس وعليه ليل توسد يمينه فاذا عرس
قبيل الصبح وضع راسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس النزول
في الليل قال العراقي وعزاه ابو مسعود الدمشقي والحميدي الى مسلم ولم

اره فيه ولا يصحب جرسا لقوله عليه السلام لا تصحب الملائكة رفقة فيها
كلب ولا جرس احمد ومسلم وابو داود والترمذي عن ابي هريرة ولقوله عليه السلام
الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابو داود عن ابي هريرة وفي رواية لابي
داود عنه لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس ولا شاعرا اي من شعراء
الجاهلية الذين قال تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم
في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصا لحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون ؞ والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوي
فيه السفر والحضر ولا ساحر فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا ولا كاهنا وهو
من يدعي علم الغيب بواسطة الجن او غيره فقد ورد من اتى كاهنا فصدقه
بما يقول فقد بري مما انزل على محمد احمد والاربعة عن ابي هريرة وفي
رواية الطبراني عن واثلة من اتى كاهنا فساله عن شيء حجبت عنه التوبة
اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن اتى عرافا فساله عن شيء فصدقه
لم تقبل له صلاة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المومنين
وللحاكم ولاحمد عن ابي هريرة من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول
فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وفسر العراف بمن يدعي
معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن وفي معناه المنجم والرمال
وساير اصحاب الفال ولا جلالة وهي دابة تاكل النجاسة فان الملائكة يتنفرون
من رايحتها واخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساكر
عن ابي رابطة بن كرامة المذحجي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال للقوم سفر لا يصحبنكم جلال من هذه النعم ولا يقتمن احدكم ضالة ولا

ولا يكون سايلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث ولا حطبا لما تقدم ويؤذن ان ضل الطريق او غاب عن الرفيق وراى شيئا منكرا او تخلت له خيالات مستنكرة او تلونت له اجسام مكروهة متصورة فقد ورد اذا تغولت الغيلان نادي بالاذان رواه بالاذان رواه مسلم عن ابي هريرة فان الجن والشياطين يفرون من الاذان ويحضره الملائكة والابدال من الاعيان واذا انفلتت دابته فليناد اعينوني يا عباد الله رواه ابن ابي شيبة من قول ابن عباس مرفوعا وان اراد عونا فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني فان لله عبادا لا نراهم وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين اي يمينا وتخاميا فان عليها ملكا يسمى هاديا لم اعرف له راويا ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان او خليفة او نايبه من امير او قاض ولا سايس اي شحنة وحاكم سياسة لانه عند عدمهما يكثر الفتنة وتعدي الظلمة وفي الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها انما السلطان ظل الله ورمحه في الارض البيهقي عن انس وما فيها اي ولا يدخل بلدة فيها طاعون لما تقدم وروى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال

ان الناقة

ان الناقة تقحمت بي اي رمحت بي او هزت بي والحديث رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف ويصاحب المراة بكسر الميم وهمزة الممدودة الآلة المروية وكان عليه السلام اذا نظر الى وجهه في المراة قال اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وحرم وجهي على النار البزار عن عايشة والمكحلة محل الكحل ومروده فانه كان يكتحل ليلة ثلاثا في كل عين كما في شمايل الترمذي وغيره والسواك للوضوء والصلاة وقد تقدم والمشط اي لتسريح شعر اللحية والراس والمقلم وهو المقص والسكين فانه يقلم الظفر ويقص الشارب والموسى لحلق العانة والركوة اي الدلو ونحوها من المطهرة والحبل فانهما من ضرورة الشرب والطهارة والابرة وخيطها لترقيع ثوب يستر العورة ويجتنب الغرة بكسر المعجمة وتشديد الراء اي يحترس من ان يغتر احدا ويغره احدا بالمكر والحيلة فهو يذهب البركة او المعنى لا يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا لا يعرفه ولا يترك التسلح مواضع المخافة اغترارا على شجاعته ولا ياكل من ثمار البراري التي ما عهد اكله في عادته ويتبرك بزيارة الاحيا من العلماء والاولياء والاموات من الانبيا والاصفيا ويعجل الاوبة اي الرجعة بعد قضا الحاجة اسرارا لا يقلب اهله واظهارا لطيب محله وفي نسخة زيارة وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله لم اجده لكن تقدم ما يدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقي عن عايشة ويأتي بالتحفة اي بالهدية لاهل البيت والاقارب حقيقة وحكما تقدم وورد اذا قدم احدكم من سفر فليقدم معه بهدية ولو يلقي في مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابي الدرداء قيل اراد حجر الزناد وفي رواية البيهقي عن عايشة اذا قدم احدكم على

اهله من سفر نبههم لاهله فليطرقهم ولو كان بتجارة ولا يقدم من سفره
على اهله بغتة اي فجاة ففي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال
امهلوا حتى ندخل ليلا اي عشاء لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول
المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فراى
كل واحد في بيته ما يكره ولا ليلا لانه وقت الوحشة فقد ورد اذا طال
احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا احمد والشيخان والاحب وقت الضحى
لكمال الظهور وجمال النور ومحال السرور ويدخل المسجد اي مسجد بلده اولا
ويصلي ركعتين تحية المسجد شكرا لله سبحانه فعن ابي ثعلبة كان عليه
السلام اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم ياتي
ازواجه فالكل ماثور وفي كتب الحديث مسطور ويقدم اي سائر الانعام
له تقدمة وهذا الضيفي بفتح فكسر فتشديد اي الطعام الضيفي ولو شاة او طبخ لحم
او مرقة فكان عليه السلام اذا قدم ينحر جزورا اي بعيرا او بقرة لم
يحضر في الآن بحرجه وحق الحج اداؤه كماله ان يخلص في النية ويحسن الطوية
بان يتبرا من الرياء والسمعة ولا يقصد التجارة والنزهة فقد روي في خبر
عن اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الحج اصناف اربعة سلاطينهم للنزهة
واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث
انس قال علماؤنا من اتى بعبادة لغرض دنيوي بحيث لو فقد تركها فليست
بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين والدنيا فان كانت باعث
الدنيا او هما متساويان فهي باطلة وان كان باعثا للدين فذهب بعضهم

الى انها

الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهو الاظهر بقوله تعالى ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم ان تبتغوا عطاء ورزقا يريد بالتجارة على ما ذكره
البيضاوي وغيره ثم من حقه ان يعجله بعد الاستطاعة ففي التاخير آفات
ما تعوق عن الطاعة على ان المسالة خلافية فان الفرضية على التراخي او فورية
ففي الفورية اذا اخره عن اولى سني الامكان سقطت عدالته وعد من
الفساق الى ان يحج لو حج في آخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان
مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك حج وكان الحج في ذمته عندنا فيجب
عليه وصيته وعند الشافعي في تركه فيحج عنه وان لم يوص به كسائر
ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفي حقه ورد وعيد كبير
منه قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين حيث وضع من كفر
موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه و
استغنائه عن من ترك الحج وادائه لان منفعته راجعة الى عباده وامائه
وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا رواه الترمذي
وغيره عن ابي هريرة مرفوعا وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك
المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها
قال عمر رضي الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب الى
الولاة في الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن
سعيد بن جبير وابرهيم النخعي وطاووس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب
عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات
ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا
وقرا قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكذا ورد ايضا

عنه

في قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع احدكم الموت
الاية ويحتال في دفع تسليم الضريبة اي الاموال المعينة لقطاع الطريق
اي من الاعراب وغيرهم ويرجع عن طريق الحج ان لم يقدر على الاحتيال في
النفل اي لا في الفرض فالاعانة على العدوان اي الظلم والعصيان افحش
من الرجوع عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما في الفرض
فلا يرجع اذ الاثم في مثله على الاخذ لا المعطي على ما عرف من تقسيم الرشوة
في كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص
وهذا التفصيل حسن خلافا لمن اطلق جواز اعطايه للضرورة ولمن اسقط
الحج ووجوبه اذا كان في الطريق يوخذ من ماله ظلما وفي الاحياء ولا تعاون
اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة
والاعراب المترصدين في الطرق والابواب فان في تسليم المال اليهم تيسير
الاسباب الظلم عليهم ويمشي راجلا اي ويذهب في طريق الحج ماشيا
ان قدر على المشي فانه افضل قال تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا اي
مشاة فقدمهم سبحانه على قوله وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق
اي وركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا
قدموا مكة تلقتهم الملايكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر
واعتنقوا المشاة اعتناقا واوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته
فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعماية
حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بماية الف
والا اي وان لم يقدر على المشي او بسبب خلقة به او لم يبق له حضور الذكر
بسببه فالركوب في حقه افضل بل هو متعين فتامل وقيل هو الافضل

اي مطلقا

اي مطلقا لفعله عليه السلام واصحابه الكرام ويجاب عن اختيارهم
الركوب الشفقة على ضعفاء الامة فذهبوا مذهب اضعف القوم
في الهمة كما هو شان الايمة فيه مؤنة الانفاق اي زيادة وفيه انه
يمكن للماشي ان ينفقه في سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض
العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا فقال ان كان
وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي اشد
عليه كالاغنياء فالمشي افضل وكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة
النفس وله وجه ولكن ما قررناه اولى في مقام الجمع كما لا يخفى والبعد
عن تشويش الهموم اي غموم الخواطر الردية الناشية من اتعاب الاقدام
البدنية والقرب من السلامة من غير الملامة والاتمام لخطر الماشي
اي يمنعه مانع اي تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون
وتقاد دوابهم مع الخدام ويمشي شعث اغبر اي ويذهب حال كونه
اشعث الشعر اغبر البدن لكنهما مختصان بحال الاحرام لما ورد انه
عليه السلام سئل اي الحج افضل فقال الشعث التفل مع ان المسافر
لا يخلو عن نوع شعث شعر غبار بدن خصوصا اذا كان من الفقرا
فورد اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لابره غير
متزين في نفسه ولا في دابته ولا مايل الى التكاثر اي في نفقته والتفاخر
في حشمه لخدمته فهو عليه فعل كذلك اي ترك الزينة فانه عليه
السلام حج على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها
اربعة دراهم وكان عليه السلام في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت
الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت

عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى تشرد بعضها لا بل ابو داود
من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم واخبر اي النبي صلى الله
عليه وسلم عن مباهاته تعالى به اي بالحاج الشعث الاغبر ففي الحديث
انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني
شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر ويتقرب
باراقة دم وان لم يجب اي وان لم يكن واجبا عليه فورد من يعظم شعائر
الله اي الهدايا التي تذبح في الحرم وهو جمع شعيرة وهي ما يشعر به تعظيم
بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله الايات اي فانها من تقوى القلوب
وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها وسئل عليه السلام ما بر الحج
قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن الترمذي
واستغربه وابن ماجة والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث ابي بكر
وقال الباقون اي الحج افضل وعن عايشة انه عليه السلام قال ما عمل ابن
ادم يوم النحر احب الى الله سبحانه من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها
واظلافها فان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع في الارض ه
فطيبوا بها نفسا الترمذي وحسنه وابن ماجة وابن حبان وابن خزيمة
وفي الخبر لكم بكل من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع
في الميزان فابشروا ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقي من حديث زيد بن
ارقم وروى ابو الشيخ في كتاب الضحايا عن علي اما انها يجاء بها يوم القيامة
بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقوله عليه السلام لفاطمة
وفي رواية له من حديث ابي سعيد فان لك باول قطرة تقطر من دمها ان
يغفر لك ما سلف من ذنوبك يقوله لفاطمة ولا يماكس اي لا يضايق

بل اليه مجهدا لنية فقد كان السلف لا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس
فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه
عند الله يمينا وروى ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاث
مائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري
بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه ابو داود وقال
انحرها وذلك ان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار
قيمة لاثني عشر بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد فالمقصود الاصلي
من الذبح هو تزكية النفس اي تطهيرها وتخليتها عن رذيلة البخل وتحليتها
بالحاء المهملة وتجمل الجسم اي تصفيتها وتزيينها بتعظيمه تعالى فانه الفضل
في مقام الفضل فورد لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الاية اي ولكن يناله
التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة لا بكثرة العدد فلت
فتامل وينوي في الذبح اذا كان تطوعا من نفسه اقتداء بالذبيح عليه
السلام وهو اسمعيل او اسحق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى
وفديناه بذبح عظيم وينفق في طريق اي طريق الحج ومكة اي وفي مكة مدة
الاقامة ما استطاع ويكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وبما اصابه
من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فانه من باب الضيافة من الله لعبده
حال الزيارة وان ذلك من دلايل قبول حجه هنا لك فمن علامات القبول
اي قبول الحج وبره طيب الكلام اي واطعام الطعام وكتمان طاعته عن الانام
وعدم الاغتنام اي بالانفاق في ذلك المرام وبما اصيب من ضياع وسرقة
في المال وكذا المصيبة في البدن وباقي الحال فدرهم منه اي من مال المصاب
او من الانفاق في الحج لا للاحتساب يعدل سبعماية ينفق في سبيل الله سبحانه

يضاعف لمن يشا من فضله ونترك معاصي كان يرتكبها قبل حجه ونبدل اخا
الفساق اي مواخاة السفها والجهلاء بالصلحاء من العلماء والاوليا ومجالس
الهوا اي ونبدلها بالذكر اي بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر وبلازم
الخشوع وهو غاية الخضوع في ادا المناسك فانه من ادب السالك فهو
الاصل اي المدار عليه في جميع المسالك لاسيما في الطواف فانه بمنزلة الصلاة
هنالك والوقوف بعرفات فانه بمنزلة الوقوف بين يدي رب العالمين يوم
اجتماع خلق الاولين والاخرين فهما ركنان اي الحج باتفاق المجتهدين
ويشرب من ما زمزم فقد ورد ما زمزم لما شرب له ابن ماجة باسناد جيد
من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه في فضايل
الشاعر الحرام وكذا في الحرز الثمين شرح الحصن الحصين مستشفيا به
اي طالبا شفا ظاهرا وباطنا قايلا اللهم اني اسالك رزقا واسعا
وعلما نافعا وشفا من كل داء ويتضلع منه فورد اية ما بيننا وبين
المنافقين انهم لا يتضلعون من ما زمزم البخاري في تاريخه وابن
ماجة والحاكم عن ابن عباس ويستقي بيده ويشرب من ماية فقد قال
عليه السلام لولا ان تغلبوا لنزعت معكم ويصبه على راسه وجسده
متبركا به وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام ومستنجيا وطاره اي
قاضيا حاجاته ويغتنم الموت فيكتب له اجره اي ثواب الحج على تلك الطاعة
الي قيام الساعة قال تعالي ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وورد من خرج من بيته حاجا
او معتمرا اجري له اجر الحاج المعتمر الي يوم القيمة البيهقي في الشعب
من حديث ابي هريرة ومن مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن

عباس

عباس ومن مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيمة
من الامنين الطبراني والبيهقي عن سلمان وفي رواية لهما من حديث عايشة
من مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة ويتلقى
الحاج بالترحيب اي بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون بقوله مرحبا
بمن جا الزيارة بيت الله العظيم ونبيه الكريم ويصافحهم متبركا اي
بايديهم التي اصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الاسود
الذي في حقه ورد انه يمين الله في ارضه يصافح بها عباده فهذه
المصافحة الثابتة واما المصافحة التي يذكرها بعض عن مشايخهم
بطريق التسلسل اليه صلى الله عليه وسلم عليه فلا اصل له ولا في الكعبة
التي ذكرها بعض الصوفية نعم ورد في فضل المصافحة عند الملاقاة
اخبار كثيرة واثار شهيرة ليس هذا المقام بسط الكلام ويروح الي المدينة
اي الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة او بعد وصولها وكان حصولها
مكثرا اي في طريقه الصلاة عليه عليه السلام فانه كلما كان اليه كان
بالاجابة انسب لديه ويزور قبره عليه السلام فانه من شعاير الاسلام
بل من واجبات الاحكام وقد تقدم في فضله بعض الكلام وقد ورد عنه
انه عليه السلام ان الله تعالي وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه
من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع
البوادي شوقا الي لقايه والتمني بمشاهدة الكريمة اذا فاته مشاهدة
طلعته العظيمة وقد قال تعالي ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وروي ان من توضا واتي
الروضة وصلي واتي القبر الشريف وقال اللهم اني اسالك واتوجه اليك

بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللهم
فشفعه فيّ وسال حاجته فقضيت باذن الله كذا في الحصن وقبور الصحابة
لاسيما الشيخين الضجيعين واهل البيت كفاطمة وعايشة وساير ازواجه
امهات المومنين وصفية عمته واولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه
العباس والحسن بن علي وعلي ابن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر
بن محمد الصادق في القبة الشريفة والمنزلة المنيفة وساير مشاهدها
من ساير اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان رضي الله عنهم اجمعين ويزور
سيد الشهداء حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا ونحبه البخاري عن انس
وغيره عن جماعة وفي رواية زيادة فاذا اجتمتموه فكلوا من شجره ولو من
عضاهه ويصلي في مساجدها واجلها المسجد النبوي مع ما فيه
من الروضة والمنبر واسطواناتهما ثم ورد ما بين قبري ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث ابي
هريرة وعبد الله بن زيد ثم مسجد قبا ومسجد الجمعة وذي القبلتين
والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد انه عليه السلام كان ياتي مسجد
قبا ويصلي فيه كان كعدل عمرة النسائي وابن ماجة من حديث سهل بن
حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا اداب الزيارة في رسالة مستقلة و
سايرها فيما من اسباب الفضيلة ويتبرك بابارها اي التي كان عليه السلام
يتوضا ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار مشهورة بير اريس وبير
حا وبير رومة وبير غرس وبير بضاعة وبير البصة وبير السقيا او العهن
او بير جمل ولله دره ناظمها في قوله **شعر**

اذا رمت ابار النبي بطيبة • فعدتها سبعا مقالا بلا وهن

اريس وغرس ورومة • وبضاعة كذا بصة قل بير حا مع العهن
ومواضعها معروفة وعند اهل المدينة مكشوفة فحديث بير اريس بفتح فكسر
رواه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري في حديثه منه حتى دخل بيرار بيس
قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاجته وتوضا منها وحديث بيرحا متفق عليه من حديث
انس قال ابو طلحة اكثر انصار بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه بيرحاء
وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب
من ماء فيها طيب الحديث وحديث بير رومة بضم الراء رواه الترمذي والنسا ي
من حديث عثمان انه قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير
رومة فقال من يشتري بير رومة يجعل دلوه مع دلا المسلمين الحديث
قال الترمذي حديث حسن وفي رواية لها هل تعلمون ان رومة لم يكن
يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل
الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير
الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل
من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث
قيل انه اشتراها جاهلية بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثاني على صاحبه
فباعه ايضا من عثمان بثمن يسير لانه كان يبيع ماءها فاستغنى الناس
بوقف عثمان وهي قديمة قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبعماية وخمسين
وحديث بير غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث انس انه
قال ائتوني بماء من بير غرس فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشرب منها ويتوضا ولابن ماجة باسناد جيد من حديث علي مرفوعا اذا
انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بير غرس وفي تاريخ المدينة لابن النجار
انه عليه السلام توضا منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي وفي رواية
شرب منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي وفي رواية شرب منها
وتوضا وكب فيها بقية الدلو واهدي له عسل فصبه فيها وقال اني رايت
الليلة اني رايت اصبحت على بير من الجنة فاصبح عليها وقال يا علي اذا
انا مت فاغسلني من بير غرس بسبع قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل كذلك
جدده سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه
اصحاب السنن من حديث ابي سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اتتوضا من بير بضاعة وفي رواية انه يستقى لك من بير بضاعة
فقال خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غير طعمه او لونه او ريحه الحديث
قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث
ابي اسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وفي رواية شرب
منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بمائها
فكانما نشط من عقال وحديث بير البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه
ابن عدي من حديث ابي الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
يوما فقال هل عندكم من سدر اغسل به راسي فقال اليوم الجمعة قال نعم
فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصب غسالة راسه ومراقة شعره في البصة وحديث بير السقيا رواه
ابو نعيم داود من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب
السقيا زاد البزار في مسنده من بير السقيا واحمد من حديث علي خرجنا مع

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن
ابي وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوني بوضوء فلما توضا
قام الحديث واما بير جمل ففي الصحيحين من حديث ابي الجهم اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير جمل الحديث ووصله البخاري
وعلقه مسلم قيل وهي بير العهن بالعالية وروي انها اليسيرة
سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضا منها وبصق
فيها ودعا وبرك ودعي لها والمشهور ان ابار المدينة سبعة وقيل عشرون
وقد روى الدارمي من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
في مرضه صبوا علي من سبع قرب من ابار شتى الحديث ويتصدق بالمدينة
على سكانها ويعظم جيرانها ويستحب الاقامة بمكة حال كونها مراعيا
حقوقها من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة
وعدم الملالة والسامة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والاقامة
بها حرام ومكروه فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة
اي من رحمته الخاصة ستين للطائفين لزيادة طوافهم على المصلين والناظر ين
واربعين للمصلين لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين وعشرون للناظرين
اي المكتفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين في مقام الشهود
وقد قال تعالى وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ففي تقديم
الطائفين ايما الى ما تقدم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد الحرم
والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان في الضعفا والبيهقي في
الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد وانك
يا مكة الخير ارض الله لكونها منشا حبيبه وفيها قبلة خليله في تربته

وبعيدة واحب بلاده الي لكونها مهبط وحيه ومربط وصله واما حديث
حب الوطن من الايمان فلا اصل له ولولا اني اخرجت منك اي امرت
بالخروج والهجرة عنك لما خرجت باختياري فان الخروج منها شقاوة
والدخول فيها سعادة حيث يضاعف فيها العبادة ويضعف فيها
للنفس الشهوة والارادة والحديث رواه الترمذي وصححه في الكبري
وابن ماجة من حديث عبد الله بن عدي بن الحمرا بلفظ انك لخير ارض
الله واحب بلاد الله الي الله ولولا اني اخرجت منك لما خرجت وقد
ورد من صبر علي حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم ماتي سنة اخرجه
العقيلي في الضعفاء وعن ابن عباس وبالمدينة اي ويستحب ايضا
الاقامة بها مع القيام بادابها فورد في الصبر علي لاوايها اي شدة
عنايها وشقة بلايها وفي الموت بها شفاعته عليه السلام اي بانه من
اهل الاكرام فورد لا يصبر علي لاوايها وشدتها احد الا كنت له شفيعا
يوم القيمة مسلم من حديث ابي هريرة وابن عمر وابي سعيد ومن استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فانه لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا
او شهيدا يوم القيمة الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر وقال
الترمذي حسن صحيح وما نقل من ارجاع عمر رضي الله عنه اي رده م
وامره بالرجوع الحجيج بعد الفراغ في الحج والزيارة الي المساكن اي
مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم يا اهل يمنكم ويا اهل الشام
شامكم ويا اهل العراق عراقكم تحاميا اي للاحتراز والاحتراس عن
السامة اي الملالة في الاقامة وارتكاب الذنب لمن لم يكن من اهل
الاستقامة فالاثم فيه اي في حرم مكة متضاعف اي في العقاب كيفية

لاكمية

لاكمية لئلا ينافي اطلاق قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا
مثلها تضاعف الثواب اي كتضاعفه في الكمية والكيفية للمتفضل في
هذا الباب والعدل عليهما في الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب
حيث علق العذاب بمجرد القصد الي الذنب في ذلك الجناب فيما ورد في بعض
الكتب ومن يرد فيه بالحاد اي بميل عن الجادة في العصيان والباطل في تمام
البيان الاية تمامها بظلم اي عدوان بدل تفسير وبيان نذقه من عذاب
اليم اي مولم في مقام الهجران حتى قيل منه الاحتكار اي قصد حبس
الطعام ليغلو فيبيع غاليا او يتضرر به الانام وقيل الكذب اي قصده الحال
ايضا وقيل شتم الخادم والحاصل انما يكون صغيرة في غيره تصير كبيرة
في حرمه لكمال تقصير المجاور وجرمه وعدم العمل بعلمه وتشديد الاشتياق
عطف علي تحاميا اي ولتحصيل حدة الشوق وشدة الذوق الي وصال
الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق والاولي الاستغنا من القلب في اقامته
ورحلته والتوطن في موضع اقرب الخمول فانه انسب لحصول الوصول
وفيه الراحة من مصاحبة اهل الفضول والبعد من الشهوة فان فيها الافات
بكثرة وسلامة الدين لانها لم توجد مع مسالمة اهل الدنيا فقيل كن وسطا
وامش جانبا وفراغ القلب اي للذكر والحضور مع تيسير العبادة اي
اي سهولته لاهل الارادة قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون فورد البلاد بلاد الله والخلق خلق الله فاي موضع رايت فيه
رفقا اي مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة فاقم به اي فالزم
الاقامة فيها واحمد الله تعالي علي تيسيرك عليها والحديث رواه احمد والطبراني
من حديث ابن الزبير وحق الجهاد اي القتال ان ينوي نصرة الدين ومعاونة

الابرار قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وبذل النفس
في رضايه تعالى قال عز وعلا ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله الاية فورد الجهاد ان يعقر جوادك
اي يقتل فرسك او يهلك ويهراق دمك اي يصب ويجرح روحك الطبراني
واحمد وجماعة عن جابر والطبراني عن ابي امامة افضل الشهداء من سفك
دمه وعقر جواده وهو فرض عين ان هجم الكفار فتخرج المراة والعبد بلا
اذن سيده وفرض كفاية ابتداء ويخرج له اي للجهاد يوم الخميس ففي كعب
بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد
والبخاري ولا يغتم بما يصيبه اي في طريق الجهاد من نقص في ماله او جرح
في جسده او فزع في قلبه وتشويش في حاله ففي الكل اجر عظيم وثواب جسيم
وقد قال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات الاية وورد اذا رجف قلب المومن في سبيل الله تحاتت خطاياه كما
تحاتت عذق النخلة الطبراني وابو نعيم في الحلية عن سلمان ومن راح روحة
في سبيل الله كان له بمثل ما اصابه من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجة
والضيا عن انس وما من مجروح يجرح في سبيل الله يوم القيمة وجرحه كهيئة
يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك ابن ماجة عن ابي هريرة ويحب
يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته في ميزان حسناته ففي
مسند احمد وصحيح البخاري وسنن النسائي عن ابي هريرة مرفوعا من احتبس
فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه
وبوله حسنات في ميزانه وفي رواية لابن ماجة وابن حبان عن تميم الداري
من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة [illegible]

فرسا يخالف لاحد قوائمه الثلاثة من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم
والاربعة عن ابي هريرة انه عليه السلام كان يكره الشكال قال ابو داود وا
لترمذي اي يحجل اليد اليمنى او الرجل اليسرى او العكس وقال النسائي يحجل
ثلاثة قوائم ويطلق واحدة وبالعكس وليس الشكال الا في الرجل ويؤيده
ما رواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو فا
شتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفي رواية احمد
والترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابي قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم
المحجل ثلاث مطلق اليمين فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفي النهاية
ان الادهم الاسود والاقرح الارثم المحجل ثلاث مطلق اليمين فان لم
يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفي النهاية ان الادهم الاسود والاقرح
بالقاف الذي في جبهته بياض يسير دون الغرة والارثم الذي انفه
ابيض وشفته العليا والمحجل الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد
ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال وهي الخلاخيل
والقيود والكميت بضم الكاف فهو الذي لونه بين السواد والحمرة يستوي
فيه الذكر والانثى ولا يتمناه اي الجهاد فالعافية اوسع لاكثر العباد ويسال له
الثبات عنده اي عند وجوبه او وجوده فورد لا تتمنوا لقاء العدو وفي رواية
زيادة وسلوا الله العافية وفي اخرى فانكم لا تدرون ما تبتلون به وقال
عز وعلا في مقام التوبيخ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد
رايتموه وانتم تنظرون فان لقيتموه فاثبتوا وفي رواية زيادة واكثروا
ذكر الله وفي اخرى زيادة فان اجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت النساي
والحاكم والطبراني عن ابن عمرو وفي رواية للحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم

يقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغلبهم انت
ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ويكثر ذكره تعالى
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون وقال في الحديث القدسي ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق
قرنه ويكف عن ذكر النساء اي ويمتنع عن تذكرهن والاولاد والاموال والا
وطان وسائر تدبرهن وتذكرهن فهو يغيره اي يعيبه ويضعف همته عما
هو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة ويتمنى الشهادة في سبيل الله لانه
من اكبر السعادة عند مولاه فورد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا الاية اي بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من
فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين ان ارواح الشهداء في حواصل طير اي اجواف طيور خضر تسرح
اي تسير وتاكل من الجنة حيث تشاء من غير منع لها وتاوي الى قناديل
معلقة من العرش ومع هذا لها تعلق بجسدها في القبر وامور الاخرة
كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي ان يستغرب هنا اهل الارادة و
الحديث رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم
اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة
حيث شئنا فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا اي يسالوا
قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل
في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا معنى قوله
ويودون الرجوع اي يتمنون العود الى الدنيا للاستشهاد اي مرة بعد

اخرى

اخرى وورد ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد
فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفي رواية له عنه فانه
يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ويتمنى
اي يتمنى السالك الشهادة ولو كان في موطن العبادة فهو سبب
نيل منزلتهم اي حصول مرتبتهم وان مات اي المتمني على الفراش لان نية
المؤمن خير من عمله فعن معاذ من سال الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر
شهيد وان مات على فراشه ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل اي العيال
لاشتغال البال فلا يحصل الكمال في الحال ولضرورة معيشة الاهل من
تحصيل المال وقد ورد اذا حرم احدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد الطبراني
عن محمد بن حاطب عن ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو وتعلمون
عملا افضل مما نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل
متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين
فيسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه وخدمة الابوين فهو مقدم
اي على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب
احدكم فلا يخرج الا باذن ابويه رواه ابن عدي ويخدم الغزاة اي يطبخ طعامهم
ويغسل ثيابهم وخدمة دوابهم ولو كلبهم وهذا صادق على من يخدم مهمهم
وهو معهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجة عن ابي قتادة والخطيب
عن ابن عباس وروى الحاكم في تاريخه والبيهقي عن سهل بن سعد ولفظه
سيد القوم خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وفي
رواية الطبراني عن ابي هريرة افضل الغزاة في سبيل الله خادمهم الذي
ياتيهم بالاخبار واخصهم عند الله منزلة الصائم او يخلفهم ويخدم اهلهم

نفي صحيح مسلم وابي داود عن ابي سعيد ايكم خلف الخارج في اهله وماله
بخير كان له مثل نصف اجر الخارج ويجهزهم اي يهيئ اسباب سفرهم فورد
من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع ابن ماجه
عن عمر ويعظم افراسهم جمع فرس فقد ورد الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيمة الاجر والغنم احمد والشيخان وغيرهما كاد ان يكون متواترا
وفي رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها
وادعوا لها بالبركة وقلدوها الاوتار ويعدها بضم فكسر فتشديد اي يربطها
ليوم اللقا اي لوقت ملاقات الاعداء قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية ففي الكل فضائل
لارباب الشمايل ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم اي الطبع
المكرم في المجاهدة والملاحقة فقد ورد احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل
والرمي ابن عدي عن ابن عمرو قيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون
كريم الطرفين اركبوا وانتضلوا وان تنتضلوا احب الي الحديث الطبراني
في الاوسط عن ابي هريرة لا سبق الا في خف او حافر او نصل احمد والاربعة
عن ابي هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل
الرمي وفي رواية كانت المسابقة بين الصحابة في الخيل
والابل والرجل والرمي اي ويتعلمه فهو سنة فعن عقبة بن عامر مرفوعا
الا ان الرمي الا ان القوة الرمي احمد ومسلم وابو داود
وابن ماجه ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
يحتسب به في صنعته الخير والرامي به ومنبله احمد والثلاثة عن
عقبة بن عامر من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن اعتق رقبة ابن حبان

عن كعب

عن كعب بن مرة وفي رواية النسائي عنه من بلغ العدو بسهم رفعه الله بها
درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن ما بين الدرجتين مائة ولا يترك
اي الرمي بل لا ينسى فورد من ترك الرمي بعد ما علمه اي رغبة عنه كما في رواية
فانما هي نعمة كفرها الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر وفي رواية ابن
ماجه عنه فقد عصاني وفي رواية مسلم عنه فليس منا وفي رواية احمد
والترمذي والبيهقي عنه فقد كفر الذي علمه وعن ابي هريرة من تعلم
الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها ابن النجار • **الباب الخامس في التزوج**
والتخلي اي التجرد عنه والتبري منه اختيارا للتخلي واستبشارا للتجلي
اعلم ان العلما اختلفوا في النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل
من التخلي لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال اخرون الافضل
تركه في زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام
الكافر والتزوج موجب ايجاد المومن وهذا كله اذا لم يكن هنالك
توقان للنفس بتشوش الحال واما اذا كان يتعين تحمل العيال والتوكل
على الله المتعال في الاستقبال بسم الله الرحمن الرحيم الذي رحمته
شاملة للتخصيص والتعميم في النكاح فوايد كثيرة ومنافع شهيرة ذكر
منها احدى عشر فحفظ النفس من الشيطان اي صيانتها عن وسوسته
واغوائه فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه تمامه فليتق الله في الشطر
الثاني وفي رواية في الشطر الاخر ابن الجوزي في العلل من حديث انس
بسند ضعيف وهو عند الطبراني بلفظ استكمل نصف الايمان وفي المستدرك
وصح اسناده بلفظ من رزقه الله امراة صالحة فقد اعانه على شطر
دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق نصفه بتقنا شهوة البطن

بيان الباب الخامس في التزوج والتخلي

ونصفه بعضا شهوة الفرج وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وعن ابي هريرة مرفوعا شراركم عزابكم وركعتان من متاهل خير من سبعين ركعة من غير متاهل ابن عدي ورواه احمد عن ابي ذر شراركم عزابكم واراذل موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى عليه السلام ولم يجامع قيل انما فعل لنيل الفضيلة من اقامة السنة وقيل لغض البصر وخوف الحنث واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا في الاحياء والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان ذلك هو الغلمة وهي غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في معنى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى وان تصبروا خير لكم ان الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وفي دعائه عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي البيهقي في الدعوات من حديث ام سلمة وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها

نفسه

نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابي كبشة الانصاري حين مرت به امراة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال وكذلك فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد وروى جابر انه عليه السلام راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت في صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها رواه مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح وروي انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسال عن مسالة فاستحييت من الناس وانا الان اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الاب فما افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا ويزيد النساء الى الاربع ان لم يعفهم بواحدة وكان الاولى ان يقول ان لم يعفه بالاقل وهذا لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والواو بمعنى او اي اثنتين اثنتين او ثلاثة ثلا ثة او اربعا اربعا وعن ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقال سفيان ابن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال ويحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة

وعلما بهمر انه ينظر من الصوم علي الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي
المغرب ثم يغتسل ويصلي وروي انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشا
في رمضان قبل العشا الاخرة ويبرد باخري ان تنقوا الطبخ فان المقصود
هو الاعتصام بالشرع ويقال ان الحسن ابن علي كان منكاحا نكح زيادة على
ما تي امراة وكان ربما عقد علي اربع في عقد وربما طلق اربعًا في وقت واحد
واستبدل بهن وزيادة الرغبة في لذات الجنة فلذة الدنيا انموذج بفتح
الهمزة والميم معرب نمونه اي عينه تدل علي صفة بينة وقد ذكر الله
سبحانه في كتابه مرح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك المكان الامن
وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة وذلك بترويح النفس وايناسها
بالمجالسة والنظر والملاعبة والموانسة ولذا قال تعالى ليسكن اليها اذا
كلفت المداومة بالاكراه علي المخالفة جمحت ونابت وان اروحت باللذات
في بعض الاوقات قويت ونشطت ومنه كلميني يا حميرا وعن علي روحوا القلوب
عن الذكر فانها اذا اكرهت عميت فيفي الاستيناس بالنساء من بين الناس
من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويروح القلب وينشط لذكر
الرب فينبغي ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الي المباحات
وفي الخبر علي العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة
يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها المطعمة ومشربه اي وما يقتضي انسه
والحديث رواه ابن حبان من حديث ابي ذر في حديث طويل ان ذلك في صحف
ابراهيم وفي لفظ اخر لا يكون العاقل العامل طاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد
او مرمة لمعاش ولذة في غير محرم رواه ابن حبان في حديث ابي ذر الطويل
ان ذلك في صحف ابراهيم فورد لكل شره بكسر معجمة وتشديد اي كد وجد في

طاعة

طاعة ونشاط ورغبة في حاجة فترة اي كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة
للاستراحة فمن كان فترته من العرض الي سنتي فقد اهتدي احمد والطبراني
من حديث عبد الله ابن عمرو رواه البيهقي ومن كانت الي غير ذلك فقد
هلك وللترمذي نحوه من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح ولفظ الكل
عامل شره ولكل شره فترة الحديث وللترمذي عن ابي هريرة ان لكل شيء
شرة ولكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشير اليه
بالاصابع فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط في العبادة ابتدا يكون كسلا
فيها انتهاء او اثناء فينبغي للسالك ان يصرف تلك الفترة الي عبادة اخرى
او شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ولذا قال وهو اي قطع
الملالة بمصاحبة النساء لا يعم جميع السالكين لانقطاعها اي الملالة للبعض
اي بعض العاملين بالماء اي الجاري والبستان اي المشتمل علي الخضرة فعن
ابن عمر مرفوعا ثلاث يجلين البصر النظر الي الخضرة والي الما الجاري والي الوجه
الحسن اخرجه الديلمي وعن علي ايضا بمعناه وعن ابن عباس انه عليه السلام
كان يعجبه النظر الي الخضرة والما الجاري ابو نعيم وابن السني وفي روايتهما
عن علي كان يعجبه النظر الي الاترج والي الحمام الاحمر وللترمذي عن معاذ
انه عليه السلام كان يستحب الصلاة في الحيطان اي البساتين المسيرة الي
الجنان وفراغ القلب اي لذكر الرب من تدبير البيت للعبادة كما هو جار
في العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للمباني وتنظيف الاواني وتهيئة
اسباب المعيشة للمعاني وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ وقد فسر قوله تعالى اتنا في الدنيا حسنة بالمراة الصالحة وفي
الاخرة حسنة بالحور العين وقنا عذاب النار بالمراة السليطة وقيل في

تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة ان تزوجه صالحة وعنه عليه
السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة صالحة تعينه
على آخرته الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ثوبان فورد زوجاتي
اعواني على الطاعة الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت
على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان لي على
الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير وهواي الفراغ
المذكور ويختص لمن يدبر فيه اي في البيت بنفسه لعجزه ولا يشوشه حق
الزوجية في امره وكثرة العشيرة ليدفع بهم الشر اي ضرر اهل الفساد ومنا
زعة اهل العناد فيسلم اي فارغ القلب في طلب الخير ولذا قيل ذل من لا ناصر
له واحتمال جفائهن من اذايهن وبلايهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعي
في اصلاح احوالهن وارشادهن الى طريق الدين واكلهن والقيام بتربية
الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفي كل هذه الاحوال فضايل عظيمة وشمايل
وسيمة فانها عبادة وولاية وحماية وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين
سنة الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس فورد فيمن احتملها كان معي
في الجنة لم اره بحرفه وفي بعض الحواشي من تحمل كلما تجفا اهله فله ثواب سبعين
شهيدا وفي رواية من تحمل من امراته كلمة واحدة اعطاه الله ثواب الف شهيد
ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر في الاحياء ان في اخبار الانبيا ان قوما دخلوا
على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج فتوذيه امراته وتستطيل
عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله فقلت
ما انت معاقبي في الاخرة فعجله في الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان

تزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وهواي الارتياض يختص بالمبتدي
لاحتياجه الى الرياضة اي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وبظاهر
العمل اي ويختص ايضا بالذي من اهل العمل الظاهر فالانفاق اولى له اي
في حقه لانه متعد اي متعد والعمل الظاهر نفعه قاصر ومن هنا قال
عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود
ان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته الشيخان عن سعد بن ابي
وقاص بخلاف صاحب الباطن فحمله اشرف لانه علم ومعرفة وحال
وحضور مع الرب وهو مقام عال ولكنه نادر بين الرجال ولذا ورد اكثر
الاحاديث في مدح الاعمال منها قوله عليه السلام ان الله يحب الفقير
المتعفف ابا العيال ابن ماجة من حديث عمران بن حصين وقوله اذا
كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها احمد من حديث عايشة
وقوله من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبراني
في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة وقال بعض العلما
عمل الابدان كسب الحلال والنفقة على العيال والولد وهو المقصود
الاصلي من هذا الحكم الفرعي ففيه اي ففي تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور
محبته تعالى اي اثر محبته بتحصيل حكمته تعالى وهي بقا جنس الانس في
مملكته وفق ارادته والتحرز عن تعطيل الاعضا من المقاصد التي خلقت
لتلك الاشياء فكل عضو من بني ادم صنع الطاعة فاللسان للذكر والقلب
للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعي
وفي الاحياء هذا ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند
ذوي البصاير النافذة في عجايب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه

ان السيد اذا سلم الي عبده البذر والات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة
وكان العبد قادرا علي الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد
وعطل الة الحرث وترك البذر ضايعا حتي فسد ودفع الموكل عن نفسه
بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعتاب عن سيده فالله سبحانه
وتعالي خلق الزوجين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا
ومجاري وخلق الرحم قرارا ومودعا للنطفة وسلط تقاضي الشهوة علي كل
واحد من الذكر والانثي فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق
في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت
له هذه الاسباب هذا ان لم يصرح الخالق علي لسان رسوله عليه السلام
بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة
مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الالات المعدة وجان علي مقصود
الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة علي هذه الاعضا
بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقروه كل من له بصيرة ربانية نافذة
في ادراك دقايق الحكمة الازلية انتهي ما ورد من امر الشارع حيث قال
تعالي وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم وامايكم وورد من استطاع
منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم
فان الصوم له وجا متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول
فليتزوج ابن ماجة من حديث عايشة من ترك التزويج مخافة العيلة
فليس منا الديلمي من حديث ابي سعيد وللدارمي في مسنده والبغوي
في معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالي ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله
والله واسع عليم وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمي وغيره عن ابن

عباس

عباس مرفوعا وللثعلبي عن ابن عجلان ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه
وسلم فشكي اليه الحاجة والفقر فقال له عليك بالباءة اي النكاح والله
تعالي يقول في كتابه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله واما الذي
يدور علي السنة العوام تزوجوا فقرا يغنيكم الله فانما هو معناه وروي
الديلمي والبزار والدارقطني في العلل والحاكم وابن مردويه من حديث
عايشة تزوجوا النسا فانهن ياتين بالمال وعن الحسن بن علي رايت الغني
في النكاح والطلاق اما النكاح فقوله سبحانه ان يكونوا فقرا يغنهم الله واما
الطلاق فقوله تعالي وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقد قيل في حق
بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة
اخري فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالي ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف ومحمد عليه الصلاة والسلام بالاستنان اي بالعمل للسنة
فورد النكاح سنتي تمامه فمن احب فطرتي فليستن بسنتي ابو يعلي من
حديث ابن عباس بسند حسن وفي رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن
سنتي فليس مني وتكثير الامة اي التي يكثر فيهم الايمة فورد تناكحوا تكثروا
اباهي بكم الامم اي في الكثرة يوم القيمة ابن مردويه في تفسيره من حديث
ابن عمرو عبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن ابي بلال مرسلا وفي رواية تناكحوا
تناسلوا اباهي بكم يوم القيمة وفي رواية ابي داود والنساي والبيهقي
وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فاني
مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقي وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يامر بالباه وينهي عن التبتل نهيا شديدا ويقول
تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط وهو

١٦٥

الولد الذي خلق بعضه وقد ذكر البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي انه بلغه وبركة الدعا ان بقي الولد اي بعد والده فعده عليه السلام من العمل الباقي بعد الموت اي حيث قال كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعو له رواه مسلم من حديث ابي هريرة والشفاعة اي وبركة الشفاعة ان مات الولد قبله اي قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع فورد ان الطفل يجر ابويه الي الجنة ابن ماجة من حديث علي وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل يجر امه بسرره الي الجنة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة باخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك وورد ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف علي باب الجنة فيظل محبنطئا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان في الضعفا من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وللنسائي من حديث ابي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتي يدخل اباونا الجنة فيقال ادخلوا الجنة انتم واباوكم واسناده جيد وقد قيل في تفسير قوله تعالي نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال للاخرة وافات اي كثيرة ذكر منها ثلاث الحرام فالمعيل يضطره اي الي كسبه اي اكله للتوسع في الطعام وورد فيه اي في خوف من كسب الحرام لعياله انه هو الذي اكل عياله حسناته قال في الاحياء في الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتي يستغرق تلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل

كسب ح

عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال العراقي لم يقف له علي اصل وقال بعض اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وفوات الحقوق اي الزوجية بالعضو وعن القيام بحقوقهن وعدم الصبر علي اخلاقهن وعدم احتمال الاذي عنهن كفي بالمرء اثما ان يضيع من يقول ابو داود والنسائي بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ اخر وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق لا يقبل الله له صلاة ولا صياما حتي يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالي قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخري والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالبا وبذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلي بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخري لم ينسج الفارة في حجرها علقت المكنس في دبرها وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيها ولا صياح والشغل عنه تعالي بتدبير المعيشة ومنه قوله تعالي شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا وكلما شغل عن الله فهو مذموم في الحال والمال ومن هنا قال بعض الفضلا متاع العلم في افخاذ النساء وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجي منه شي اي من مقامات الاولياء وقال ابو سليمان من تزوج ركن الي الدنيا اي واشتغل عن المولي وعن زاد العقبي والاستغراق بالتمتع اي الانتفاع بالنساء والموانسة اي بالاجتماع معهن في المكالمة و المجالسة اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوايد والافات هنالك فان تحققت الفايدة بجميع افرادها وانتفت الافة بتمام موادها تعين

نوردم

لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين بان لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الي تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الي تدبير المنزل والمعيشة وان العكس بان انتفت الفائدة وتحققت الافة بتعين التجرد فلا يميل اليه وان تقابلا او الجنسان من الفوائد والافات فيأخذ بالراجح من الحالات ففوات المشتغل به تعالى وطيب اللقمة افحش من فوات الولد بترك النكاح وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته التشغل بالمولي ويقع في لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه في العقبى فالراجح عدم التزوج لانه اي وجود الولد علي الغرض والتقدير لا يجبرهما اي لا يفي بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة ولانه اي الولد موهوم وجوده وهما اي ناجزان اي نافذ كل واحد في مرتبة شهوة وكذا الزنا اي وقوعه افحش من كسب الحرام وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في الزنا فالراجح التزوج لانه اي الزنا قتل حكمي بتحصيل ولد ليس من يقوم بحقه لان ولد الزنا كل احد مكرهه ولا اعتبار لنسبه و حسبه ولانه اي الزنا حرام لعينه اي لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته والكسب اي لان كسب مال الحرام حرام لغيره اي لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين في هذا المقام بخلاف النظر والهم اي القصد بفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في النظر والهم فالراجح عدم التزوج فيهما ليسا بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما لدوام الكسب اي وندوره النظر والهم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة

وشرائه شره

وشرائه شره اي شر كسب الحرام الي الغير من الزوجة والولد ونحوهما وايضا النظرة زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الي العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الي معصية الفرج فيرجع ذلك الي خوف العنت بخلاف النظر والهم من حيث لا يتعدى شرهما الي الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهي ان يقوي علي غض البصر لكن لا يقوي علي دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولي ترك النكاح لان عمل القلب الي العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه في العادة وعند الامن من الافات فالاولي الجمع بينهما اي بين التزوج وبين العبادة فانه اكمل الحالات وافضل المقامات وهو اي الجمع عند عظم التوفق في الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الي حضرته كما كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم وصحابته وان لم يقدر اي علي الجمع بينهما فالنكاح لصاحب الظاهر اي لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولي ومنهم ارباب العبادة والعزوبة لصاحب الباطن اي عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوي كالمسيح عليه السلام وتحقيقه ما قاله حجة الاسلام ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتجليا لتجلي الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه عليه السلام غير مانع له من المرام كما لا يكون قضاء الحاجة في حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى انهم يشتغلون في الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهمهم غير غافلة عن همهم فكان عليه السلام لعلو ماله من الدرجة في المقام لا يمنعه

امر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان نزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره في حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم في طاعته لا بالقوة في حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر فيهم طلب الحلال او لا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلي للعبادة في عموم الاحوال وهو اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في مطالب انوارهم وسبحان من اقام العباد فيما اراد ثم اعلم اي عليه مدار العمل في النكاح والعزوبة ونحوهما ترك الشاغل عنه تعالى نعم قال عز وعلا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فينظر اي ويتامل ويختار ما هو الاولى من النكاح وتركه بحسب الباطن اي صفائه وصلاح القلب اي وصفائه ويجتهد المتخلي اي المتجرد للعبادة باختيار تحرك الشهوة اي تحريكها تقويها من هريسة ونحوها وقطعها بالصوم الدائم فانه لها وجا اي دوا كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين والاقتصاد اي بالاختصار عند الافطار على التوسط في الاكل وغض البصر عن المحرمات وهو بالاعتزال يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر في جميع الاحوال وورد قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم تمامه ويحفظوا فروجهم وفي عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاولى في المحافظة وجعل عليه السلام لكل عضو زنا فعن ابن مسعود العينان يزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني احمد والطبراني هذا اي خذ

هذا

هذا وهذا امضى والنظر يهيج الوسواس اي يبعثها ويحرك الهواجس وربما يتعلق القلب بالمنظور اليه ويتعذر الوصول بما لديه فيفضي ذلك التعلق الى التعب الشديد بما يستولي في القلب من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب عن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من اهل الفضائل حيث قال

وانت اذا ارسلت طرفك رائدا ۔ اي قاصد القلب يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ۔ عليه ولا عن بعضه انت صابر

وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها فالعين للقاء الله تعالى فحقيق ان تصان اي تحفظ عما ليس في رضائه ولله در القائل حيث قال

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ۔ سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالكلام وقد جرى ۔ حديث سواها في خروق المسامع

ثم الصواب اي الطريق العدل للمتخلي في الكف اي كف النظر وامتناع البصر ان قدر على ذلك والا فالنجا اي الفرار عما هنالك ولا اثم ان فقد القصد في النظر فورد اي انه عليه السلام قال لعلي لك الاولى وعليك الثانية اي لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد والضرر اي ضرر النظر في الامرد اشد اي اقوى من المراة لامتناع الوصول في الشرع وزيادة القبح في العرف والطبع ويراعي المتزوج الاعتدال في الوقاع اي الجماع وهو في كل اربع من الايام والليالي كما سياتي فالافراط يتهر العقل اي يغلبه بصرف الهمة اي تمامها الى التمتع بالشهوة

ونظامها

ويجرم عن المقصود الذي هو القيام بالعبادة ويفضي الى تناول الاشيا المقوية
للشهوة من المعاجين والادوية والمركبة والمفردة وهو اي تناولها
كتنبيه السبع الضاري اي الصايل على من يقربه والراحة في البعد عنه
او القرب اليه مع نومه والعشق اي ويفضي اليه وهو اي العشق المجر
عنه بفرط المحبة يجعله اضل من الانعام حيث لا يفرق بين الحلال والحرام
وربما يصير مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها تقضي نقضا
شهوتها في اي محل كان من جنسها وهذا الضعيف عقله لا يرضى لا في غير
محله ويحصر موضع قصده ولا يميل ابدا الى غيره ويبلغ عطف على يراعي
اي ويوصل الخطبة بالكسر اي الرسالة باظهار الرغبة لكن لا في حال عدة
المراة ولا في حال سبق غيره في الخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ففي الصحيحين
من حديث عن ابن عمر ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله او ياذن
له وان كان تزويجها للولي بان كانت صغيرة وينظرها اي ويرى وجه
المخطوبة قبله اي قبل العقد تقريبا للالفة فيستحب النظر اليها فانه احرى
ان يؤلف بينهما ففي الخبر اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها
ابن ماجة بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة وللترمذي وحسنه والنسائي
وابن ماجة من حديث المغيرة ابن شعبة انه خطب امراة فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يودم بينكما وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان تزوج منهن
فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صفرا وصغر وكان من الورعين
من لا ينكح كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر وقال
الاعمش كل تزوج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ولعل وجه الاكتفا بالنظر لان

الغالب اجتماع حسن الخلق فان الظاهر عنوان الباطن وللنسائي من حديث
ابي هريرة بسند صحيح خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها
اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسه وماله وفي رواية ولا تخالفه في
نفسها ولا مالها ويعقد في المسجد مع احضار جمع من اهل الصلاح في المشهد
فورد اجعلوه اي عقد النكاح في المساجد رواه ابن ماجة عن عايشة مرفوعا
بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمري بلفظ اعلنوا النكاح
واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف وفي شوال قد يتبادر قوله في شوال
انه عطف على في المساجد فيكون الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف
على في المسجد اي ويعقد في شوال ردا على من كره العقد بين العيدين ففيه
اي في شوال كان نكاح عايشة رضي الله عنها اي عقدها وزفافها اي وصولها
ففي صحيح مسلم عن عايشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال
وبنى بي في شوال ويقدم الخطبة بالضم يعني المعروفة في السنة وهي الحمد لله نحمده
ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذي تسالون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم
ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما رواه الاربعة والحاكم
وابو عوانة عن ابن مسعود والتحميد والصلاة اي على النبي عليه السلام

في كل منا الايجاب والقبول فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زو
ابنتي فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله
قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق ولا يتزوج اي امراة لعزها اي جاهها
ومالها وجمالها فورد تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات
الدين متفق عليه من حديث ابي هريرة فقيه وعيد وهو من نكح المراة لمالها
وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها كذا
في الاحياء ورواه الطبراني في الاوسط من حديث انس من تزوج امراة لعزها
لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها
لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امراة لم يرد بها الا ان يغض بصره
ويحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه رواه ابن حبان
في الضعفاء لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجه من حديث
عبد الله ابن عمر وسنده ضعيف ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين على
زوجها فورد عليك بذات الدين كما تقدم والحسنة الخلق بالضم اي السيرة
فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة ليحصل الفراغ اي فراغ
وهذا اصل مهم في الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر والجميلة اي الحسنة
الصورة فالصيانة فيه اي في هذا النوع اكثر والقناعة فيه اظهر وقد
اخرج الحكيم الترمذي في نوادره ان زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة
رابعة قد استرق لها البيت حسنا فقيل له في ذلك فقال اكف بها بصري
واحفظ بها فرجي والممنوع على ما تقدم هو الاكتفاء بالجمال مع قطع النظر
عن صلاح الدين والكمال الا ان يكون استثناء من قوله ويختار الجميلة زاهدا
اي غير راغب في لذات الدنيا فيعرض عنه لانه من الدنيا بل اكبر لهوانها واعظم

شهواتها

شهواتها ولانه يقل مونة غير الجميلة واقاتها وكان مالك ابن دينار يقول
يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها وتكون
خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء
الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا وقال ابو سليمان
الداراني الزهد في كل شيء حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد
في الدنيا واختيار احمد ابن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة
فسال عن اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها وقليلة المهر
فورد خير النساء ارخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه
خيرهن ايسرهن صداقا يمن المراة تخفيف مهرها ويسر نكاحها ابن حبان
من حديث عايشة من يمن المراة تسهيل امرها وقلة صداقها اي مهرها
وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهي افضل النساء من جهة الحسب
والنسا اجماعا وحسن خلقها يحتمل الضم والفتح وهو اظهر لما روى ابو عمر النوقاني
ان اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحياء ارخصهن
مهورا واحسنهن وجوها ولاحمد والبيهقي ان اعظم النساء بركة ايسرهن
صداقا واسناده جيد وفي لفظ لهما من حديث عايشة من يمن المراة ان يتيسر
خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة واسناده
جيد وورد انه عليه السلام تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث
بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف كذا في الاحياء
وقال العراقي رواه ابو داود الطيالسي والبزار من حديث انس تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على متاع قيمته عشرة دراهم قال البزار ورواه
في موضع اخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون درهما ورواه

الطبراني في الاوسط ولاحمد من حديث علي لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف ورحيين وسقا وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله ابن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها فالولود لان الولد هو المقصود اي الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم وورد عليكم بالولود ابو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح وللبيهقي باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمران حصين في ناحية البيت خير من امراة لم تلد والبكر لحديث هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا وفيهما شدة المحبة والالفة لما فيهما من عدم الخلطة والكلفة والثيب تبغض صفات في الزوج الثاني تخالف ما الفتها وتباين ما كانت تلقى في ازواجها من معروفاتها ويميل طبعها الى الاول كما قيل ما الحب الا للحبيب الاول وقيل مع الثاني وقيل مع احسنهما خلقا وهو الاظهر ويتنفر الزوج الثاني لو ذكرته اي ه الزوج الاول ببعض محاسنه كما في العكس والنسيبة الكاينة من اهل الدين كبنات العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والامراء وسائر

الاغنيا

الاغنيا لتسري الصلاح الى الولد فان الولد سر ابيه فورد اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء الدارقطني في الافراد من حديث ابي سعيد الخدري فقوله اي الحسناء من منبت السوء من اصل الحديث لا من تفسير المصنف وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهي البعر شبهت المراة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقد ورد تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عايشة مختصرا وللديلمي في مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس وغير القرابة فهي تنقص الشهوة لان ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية الجديدة فضعف الشهوة يستلزم الهزال في الولد وهذا معنى قوله فيجيء منه محللا بان الولد يخلق ضاويا فعن عمر انه قال لال السائب قد اضويتم فانكحوا في النزائع رواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب وقال اغتربوا لا تضووا وللطبراني من طلحة ابن عبيد الله الناكح في قومه كالمعشب في داره وفي اسناده سليمان الطلحي قال ابن عدي عامة احاديثه لا يتابع عليه احد ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده وقال احاديثه عندي صحاح ورجحها الضياء المقدسي في المختارة وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة الذميمة بالمهملة اي القبيحة وبالمعجمة اي المذمومة والمسنة اي العجوز

الكبيرة والمكثارة اي الكثيرة الكلام وذات ولد اي من غيره ففي مسند الاما
ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال اخبرني شيخ من اهل المدينة عن زيد ابن
ثابت انه جاء الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال له هل تزوجت يا زيد قال لا قال
تزوج تستعف مع عفتك ولا تتزوجن خمسا قال ما هن قال لا تتزوجن شهبرة
ولا نهبرة ولا لهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا قال زيد يا رسول الله لا اعرف
شيئا مما قلت قال بلي اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما النهبرة فالطويلة
المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المدبرة واما اللفوت فذات الولد من غيرك
قال الشيباني ضحك ابو حنيفة من هذا الحديث طويلا قلت الحديث
رواه الديلمي عن ابي هريرة وقال بعض العرب لا تنكح من النساء ستا
انانة ولا منانة ولا حنانة ولا براقة ولا حداقة ولا شداقة فالانانة
التي تكثر الانين والمنانة التي تمن علي زوجها بخدمتها او مالها والحنانة
التي تحن الي زوج اخر او لها ولد من زوج اخر والحداقة التي ترمي كل شي
بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه بما لا طاقة له به والبراقة
التي يكون طول نهارها في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة
المتشدقة الكثيرة الكلام ويحكي ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام
في سياحة فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح اربعا المختلعة
والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة التي تطلب الخلع كل ساعة
من غير سبب وعلة والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة بما لها والعاهرة
الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها علي زوجها والمخالفة في امرها ثم
رعاية تلك الاوصاف في الزوج اولي فان الطلاق بيد من له الساق فالوقوع
في تصرفه اقوي كما لا يخفي وعن عائشة واسماء بنتي الصديق النكاح رق

فلينظر

فلينظر احدكم اين يضع كريمته وقال البيهقي روي ذلك مرفوعا والموقوف
اصح وورد من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء
من حديث انس ورواه الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح وروي ان
بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما
فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين
فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا
فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت
مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اسكت فقد
صدقت فانكحك الصدق وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة يكره سؤال
الرجل اياها عن مالها قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمراة فاعلم
انه لص وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها قال
ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وعن علي شر
خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت
بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم
كل احد بكلام لين مريب في حفظها وان كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم
تخرج من بيتها قيل واذا كانت المراة حسنا اللون محبة لزوجها قاصرة
الطرف عليه فهي علي صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء
الجنة بهذه الصفات في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الاخلاق
وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها
المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض
العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين هذا

وفي الحديث لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم الطبراني والحاكم
عن عياض بن غنم وللشيرازي عليكم بشواب النسا فانهن اطيب افواها
وانتق بطونا اي ارحاما واسخن اقبالا ويهادي اي كل منهما صاحبه وقبل
الزوج او الرجل لانه اولى ان يكون في هذا الفعل هو البادي فورد تهادوا
تحابوا البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث ابي هريرة بسند
جيد واذا اهدي شيئا فلا ينبغي ان يهدي لينظرهم الي المقابلة باكثر منه
وكذا اذا اهدوا اليه فنيته طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى
ولا تمنن تستكثر اي لا تعطي الطلب اكثر ويولم اي يصنع الوليمة وهي طعام
العرس للمراة الكريمة فهو مروي عنه عليه السلام قولا وهو قوله عليه السلام
لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخاري عن ابن عوف
وفعلا ففي البخاري من حديث عايشة اولم علي بعض نسايه بمدين من شعير
وفي السنن الاربعة من حديث اولم علي صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل
يجي بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والاقط والسمن ويجيب
بها فيجي في اليوم الاول سنة اي موكدة تقرب الي الواجب وفي الثاني متعارف
استحبابه وفي الثالثة ريا اي وسمعة في بابه فعن ابن مسعود مرفوعا طعام
اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة الترمذي والمعنى اذا
احدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك في الثاني
جبر لما يقع من النقصان في اليوم فان السنة مكملة للواجب واما اليوم
الثالث فليس الا ريا وسمعة ومن هنا قالوا تجب الاجابة على المدعو في الاول
ويستحب في الثاني خبر لما يقع من النقصان في اليوم فان السنة مكملة للواجب
واما اليوم الثالث فليس الا ريا وسمعة ومن هنا قالوا تجب الاجابة على

المدعو

المدعو في الاول ويستحب في الثاني ويحرم في الثالث ثم يستحب التهنئة له بان
يقال بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير كما رواه ابو داود والترمذي
وصححه وابن ماجة عن ابي هريرة ولا يخطب على خطبة اخيه وقد تقدم
ما ورد من نهيه عليه السلام فهو ايذا اي للمومن وهو حرام قال تعالى والذين
يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا
وورد من اذى مسلما فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله الطبراني في الاوسط
عن انس ويعلن اي خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها فورد اعلنوا
النكاح تمامه واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث
عايشة وحسنه وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت معوذ جا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة ليلة بني بي فجلس على فراشي وجويريات
لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا
نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذا وقولي ما كنت تقولين
قبلها وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة من حديث محمد بن
حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت اي فرق ما بينهما
حسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون
في التسار مع الخافتة وقال الفقهاء المراد بالدف ما لا جلاجل له اذ ما
وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذ لم يكن في دف زمانه عليه
السلام جلاجل وايضا فهي زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها
وينثر السكر واللوز على راسيهما ويتنهب القوم فهو سنة فقد اخرج ابو
جعفر الطحاوي بسنده وكذا البيهقي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حضر املاك رجل من الانصار فجات الجواري معهن الاطباق

مطلب نثر السكر

عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لم لا تنتهبون
فقالوا انك نهيت عن النهبة قال انما العرسان فلا قال فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار
غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وخصّ به على الاحاديث التي فيها
النهي عن النهبة ويغسل الزوج رجليها ويرش الماء في زوايا البيت ليدخله
البركة لم اجد له اصلا وانما اخرج احمد في المناقب من حديث ابي يزيد المدني
فقال فارسل النبي الى علي اي بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى اتيك فجا النبي
صلى الله عليه وسلم فدعا بما فقال ما شاء الله ان يقول ثم نضح منه على وجهه
ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر في ثوبها ودرعا قال في مرطها من الحيا فنضح عليها
ايضا وفي رواية ابن حبان عن انس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل
البيت فقال لفاطمة ايتيني بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بما
فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها
وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري
فادبرت فصب بين كتفيها وقال ما قال اولا ثم قال لعلي ايتني بماء فاتى به
فنضح بين ثدييه ثم قال ادبر فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له
ادخل باهلك بسم الله والبركة وينوي في المباشرة اي المجامعة تحصين
الفرج وكذا العين لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
وتفريغ القلب اي عما يشغل عن ذكر الرب ويسمي في ابتدا الوقاع اي قبيل
الجماع ويقرا الاخلاص لم اجده الا في الاحيا من غير بيان الانبا ويسال الله
تعالى الذرية الطيبة اقتداء بزكريا عليه السلام حيث قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ويجتنب الشيطان فهو مامور

به

به تروي الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه لو قضي بينهما ولد لم يضره
وفي رواية للبخاري لم يضره شيطان ابدا ولابن ابي شيبة عن ابن مسعود
موقوفا قال واذا انزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتني سبيلا ومن
ادابه ان ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي نفسه واهله بثوب فقد
قال عليه السلام اذا جامع احدكم امراته فلا يتجرد تجرد العيرين ابن ماجة
من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف وتقديم المكالمة والملاعبة
والقبلة فللديلمي في مسند الفردوس من حديث انس لا يقعن احدكم
على امراته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول
الله قال القبلة والكلام ويجتنب الليل الاول من الشهر والاخر والوسط
فهو وفي نسخة فهي اوقات حضور الشيطان ويقال ان الشياطين يحضرون
الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهية
ذلك عن علي ومعاوية وابي هريرة كذا في الاحيا واول الليلة اي ويجتنب
اول كل ليلة ليكون النوم على طهارة لانه اولى من ان يكون نومه على جنابة
وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل او يتوضا او يتيمم ثم يرقد ففي
حديث عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال
نعم اذا توضا متفق عليه وعن عايشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو
داود والترمذي وابن ماجة ويلبث بعد الفراغ اي ويمكث الرجل بعد
فراغ منيه لتفرغ اي المراة من انزالها فان انزالها ربما يتاخر فتهيج شهوتها
ثم القعود عنها تكون ايذا لها ويباشر كل اربع ليال فهو الاعدل اذ عدد لا
باباحة الاربع فقد روي ان امراة جات الى عمر رضي الله عنه وعنده كعب

بن سور فقالت يا امير المومنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا
اكره ان اشكوه فقال لنعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لا يزيد هاعلي
ذلك فقال كعب يا امير المومنين انما تشكو زوجها فقال لها كعب ما
تقولين فقالت يا ايها القاضي الحكيم ارشده الهى خليلي عن فراشي مسجده

زهده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست في امر النسا احمده فقال لزوجها ما تقول فقال
زهدني فخر اشهاد في الكلل اني امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النجم وفي السبع الطول فقال له كعب ان لها عليك حق يا رجل
نصيبها في اربع لمن عقل فاعطها ذاك ودع عنك العلل

فقال له عمر من اين لك هذا قال لان الله اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة
يوم وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضي البصرة كذا في الشمني شرح النقاية
مختصر الوقاية وهو ولي الهداية في البداية والنهاية ويزيد لحاجتها
وكذا الحاجة تحصينها واجب وكذا تحصينه بل اوجب في مقام دينه
وحال يقينه وياخذ كل منهما خرقة اي نظيفة لازالة الاذي وهو المني
لانه نجس عندنا وعلي القول بطهارته كما هو في مذهب الشافعي فلا
يخلوا عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء
الشريعة ويضاجع الحائض ولا يجتنب عن ان يعانقها ويواكلها ويشاربها
مخالفة للمجوس واخوانهم من الروافض النحوس ولا ياتيها جانب الدبر
فهو وفي نسخة فهي لواطة الصغري ولو جانب لفظ الجانب لكان
احسن في تعيين المراتب فانه تعالى قال نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم
اني شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات وللترمذي عن ابن عباس

وقال

وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله هلكت قال وما الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيء
واوحي اليه نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم يقول اقبل وادبر واتق الدبر
والحيضة كذا في المعالم وفي الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث لكم الاية نزلت
ردا لليهود كانت تقول في الذي ياتي المراة في دبرها في قبلها ان يكون احول
ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث
والفرث وانما قال لواطة الصغرى فان الكبرى انما هي مع الرجال ولا خلاف
بين السلف والخلف ان غشيان المراة والجارية في دبرها ملعون فاعله
ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افترا ليس فيه امترا كيف وغشيان
الحايض حرام لكونه اذي واذى الدبر اشد واقوي وقد ورد عن احمد في المسند
وابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ملعون من اتى امراة في دبرها وفي رواية لاحمد
واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا فصدقه بما يقول
او اتى امراة حايضا او اتى امراة في دبرها فقد بري مما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم ولا يداوم على ترك الوطي فهو يضعف القوة اي على
قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الي كبير الشهوة ولا يباشر بعدهما
مرة الا ان يغسل نفسه اي ذكره او يبول فانهما يقطعان المني فاذا
خرج بعدهما شيء يكون مذيا ولا يعزل والمعتمد انه يستامر الحرة في العزل
دون الامة وكره جماعة العزل مطلقا وردوا بقوله عليه السلام هو الواد
الخفي كما في مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الخفي فهو
اي العزل كالجلوس في المسجد بلا عبادة لانه طاعة في موضع ليس فيه
اثر فايدة سعادة والاقامة بمكة بلا حج اي في كل وكذا بلا طواف في كل يوم

وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة وبها بر العزل الواد الخفي بان
الثاني جناية على موجود او مشهور ولذا قال علي كرم الله وجهه لا يكون
موؤدة الا بعد سبع اي سبعة اطوار وتلك الاية الواردة في اطوار الخلقة
وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه ولا يأثم به اي
بالعزل ان نوى استبقا الملك في الجارية بترك الاعتاق فاذا قطع اسبابه
ليس بمنهي عنه والحسن والسمانة للتمتع واستبقا جمال المراة وسمنها
لدوام التمتع بها والحياة اي واستبقاء الحياة بالتحرز عن المخاض وهو وجع
النفاس حال الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه والخوف وان نوى المخافة
من الافضا الى كسب الحرام بسبب كثرة الاولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج
في البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومبا
الزهاد والعباد وهذا ايضا ليس منهيا عنه فكانوا اي الصحابة يعزلون وما
نهوا عنه ففي الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقران ينزل زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا وفي رواية
لمسلم من حديث ابي سعيد انهم سالوه عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا
ورواه النسائي من حديث ابي صرمة وفي صحيح مسلم عن جابر ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية وهي خادمنا وسانيتنا في
النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها
ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم
انه سياتيها ما قدر لها وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد ما من نسمة
قدر كونها الا وهي كائنة وان كان فيه اي ولو في العزل خوفا من الافضا الى

كسب

كسب الحرام ترك الفضيلة وهو التوكل والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فورد من ترك النكاح مخافة العيلة
فليس منا اي من اخلافنا وقد سبق الكلام عليه ويأثم ان خاف ولادة البنت
اي لما في تربية من المعرة فهو اي لخوفها عادة الجاهلية في قتلهم البنات
ووادهن في حال الحياة كما اخبر الله سبحانه عنهم في الكتاب واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
ايمسكه على هون ام يدسه في التراب او اراد به المبالغة في النظافة بتحرز ها
وكما لتحرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذا
نواها فهو اي العزل بهذا القصد بدعة لانها عادة الخوارج لمبالغتهن في
استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخلن الخلا الا عراة
فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة وقد استاذنت واحدة
منهن على عايشة لما قدمت البصرة علمنا اذن لها ويفرح بالمولود فانه المفقود
في ميدان الوجود وابواب الشهود فورد انه نور اي للعين في الدنيا وسرور
اي للقلب في الاخرة اي عند شفاعته في العقبى ولم تجد له اصلا وقد
قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمرة القلب
وانه مجبنة مبخلة محزنة ابو يعلى الموصلي عن ابي سعيد وفي رواية
الحكيم عن خولة بنت حكيم الولد من ريحان الجنة وفي الجملة هو هبة من
الله كما يشير اليه قوله سبحانه يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
ولا يغتم بالبنت لان الصلاح مستور اذ قد يكون الابن صالحا والبنت
بخلافه وقد يكون الامر بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو
ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا

ويزداد فرحا اي لولادة البنت بالتكلف فيه باظهاره مخالفا للجاهلية حيث
قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو
كظيم وورد من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى
بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه
الخرائطي بسند ضعيف وفي رواية له فيبدا بالاناث قبل الذكور وورد
بركة المراة تبكيرها اي اول ولادتها بالبنات الديلمي عن عايشة وواثلة
كلاهما مرفوعا بلفظ من بركة المراة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن
الثعلبي موقوفا على واثلة بلفظ من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر
لان الله تعالى بدا بالاناث يعني في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا وعن
ابن عباس ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تدع فان البركة في البنات من ابتلي منهن اي بالبنات بشي قليلا او
كثيرا فاحسن اليهن بالتربية كن له سترا من النار اي حجابا احمد والبخاري
والترمذي عن عايشة بلفظ من ابتلي من هذه البنات الحديث وعن ابن
عباس ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه
الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن انس من كان له ابنتان
او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين
الخرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف رواه الترمذي بلفظ من
عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له
ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من
النعم التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة الطبراني
في الكبير والخرائطي في مكارم الاخلاق وعن ابي هريرة من كانت له ثلاث

بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته
اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او وا حدة
فقال او واحدة الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل او اخوات وقال
صحيح الاسناد ويوذن في اذنه اليمنى اي في اول ما يولد ليكون
اول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعي الى طاعته وعبادته
ويقيم في اليسرى فيكون سببا لحضوره في المسجد واداء الصلاة بجماعته
وعن ابي رافع رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين
حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذي وصححه
الا انهما قالوا الحسن مكبرا فورد فيه اي فيما ذكر من الاذان والاقامة
اي في جميعهما دفعت عنه ام الصبيان فانها من جنس الشيطان وهم
يبعدون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن علي من ولد له مولود
فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان
ابو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب
الايمان ويقطع سرته ويميط الاذى اي يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه
لما سياتي وترضعه الام اي ولو مرة لانه اول تربية يختص باستحقاق الناس
وارحمها وليصدق على امه ما قال تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا ولتخرج عن عهدة ظاهر الامر في قوله سبحانه والوالدات
يرضعن اولادهن الاية وقوله فهو سنة لم اجدها اصلا ولا تسام اي لا تمل
الام وفي نسخة ولا يتسام بصيغة المعلوم للمونث والمجهول للمذكر ولا
يتبرم ولا يتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما ورد عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبي
الى شهرين شهادة ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر الثقة بالله والى ثمانية اشهر

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولسنتين استغفار الوالديه اخرجه الديلمي
بسند ضعيف وفي لفظ لغيره بكا الصبي في المهد اربعة اشهر توحيد واربعة
اشهر صلاة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوي في
القول البديع وجا الختان في اليوم السابع فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع
يسيرا وقد روى الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه
الحاكم وصحح اسناده والبيهقي من حديث عايشة وقيل يوخر عنه اي
حتى يصير كبيرا مخالفة لليهود فانهم يتعجلون في هذا الامر وتحاميا عن الخطر
اي خطر المولود عن الموت فان الخطر في حال الصغر اكثر من زمان الكبر ووقته
اي ووقت غاية تاخيره سبع سنين اي عشر سنين او ما يطاق الم فيه
وقد اختتن ابرهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه من حينئذ فهو اول
من اختتن و ينزل لو ولد شيهما وختن الانثى اي البنت فورد انه مكرمة
اي سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس الختان سنة للرجال ومكرمة
للنساء الطبراني وهو اي ختان الانثى ينضر الوجه اي يحسنه ويفتر
الشهوة اي يسكنها ويلذ الوقاع اي الجماع ويحبب الى الزوج وهو
سبب محبة الزوجة ولا يبالغ بصيغة المجهول فيه اي في الختان او
في ختانها بالخصوص وحسن الاسم اي اسم ولده فانه من جملة حقوقه
على والده فورد حسنوا اسما اولادكم ابو داود من حديث ابي الدرداء
قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل ولفظه انكم تدعون
يوم القيامة باسمايكم واسما ابايكم فاحسنوا اسماكم وورد حق الولد
على والده ان يحسن اسمه ويزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتابة

ابو نعيم

ابو نعيم والديلمي عن ابي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرماية
والتعبيد اي اضافة العبد الى اسما الرب احب اي افضل فورد اذا
سميتم اي اردتم ان تسموا اولادكم فعبدوا والطبراني من حديث عبد الملك
بن زهير عن ابيه واحب الاسما الى الله عبد الرحمن وعبد الله مسلم
من حديث ابن عمر ولا يجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته اي الجمع بينهما
منهي عنه لحديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي متفق عليه من حديث
جابر وفي لفظ تسمي فقيل النهي عن التكنية وحدها وكان هذا المنع
في عصره اذا كان ينادي يا ابا القاسم فلا باس بعده نعم لا يجمع بين
اسمه وكنيته لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابي هريرة ولابي
داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمي باسمي فلا
يكتني بكنيتي ومن تكنى بكنيته فلا يتسمى باسمي وقيل كان ذلك اي
النهي عن الجمع بينهما في عهده عليه السلام اي في زمانه لعلة الالتباس
واما اليوم فلا ويبدل الاسم الشنيع اي بغيره من الاسم الحسن فبدل
عليه السلام اسم العاص بعبد الله وبرة وبفتح الموحدة بزينب وقال
باشتغالهم معتذرا انكارا لها تزكي نفسها فان برة مبالغة بارة وهي عاملة
البر بالكسر رواه الشيخان عن ابي هريرة نحوه ونهى اي عليه السلام عن
افلح اي عن التسمية بافلح ونافع وبركة رواه مسلم من حديث سمرة بن
جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا كانها مباحا قيل اي يقال ليس
في الدار بركة يعني او نافع او افلح وامثال ذلك ويسمى السقط وان جهل
صفته من الذكور اي من الذكورة والانوثة فيما اي فيسمى باسم يصلح
للذكر والانثى بان يكون في اخره تا كحمزة وطلحة فعن عبد الرحمن ابن يزيد

ابن معاوية قال بلغني ان السقط يوم القيامة ورا والديه يقول انت
ضيعتني انت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز من الاسما ما يجمعها
كحمزة وعمارة وطلحة وعنبة وعنبسة ولا يكنى بابي عيسى اذ لا اب له اي
لعيسى عليه السلام ونهي عنه اي عن التكني المذكور لما يوهم من خلاف المرام
في سمع العوام وفي الاحيا سمي رجلا ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى
لا اب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه ويعق عن الابن بشاتين
وعن البنت بشاة ولا باس بالشاة ذكرا كان او انثى في اليوم السابع
من الولادة فهو مامور به روت عايشة انه عليه السلام امر في الغلام
بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه وعق عن
الحسن بشاة واحدة وهذا رخصة في الاقتصار على شاة واحدة والحديث
رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم
وصححه الا انه قال حسين ورواه ابو داود من حديث ابن عباس الا انه
قال كبشا وللبخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي مع الغلام عقيقته
فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى وعن عايشة لا يكسر للعقيقة
عظم كذا في الاحياء ولعل وجهه تفاولا بصحة الاعضا وقال قتادة اذا
ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم
توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل راسه
ويحلق بعده كذا في الاحيا ويحلق راسه في السابع لما سياتي او في
الاربعين كما عليه عمل اهل الحرمين ويتصدق على وزن شعره ذهبا او
فضة وهي المعروف كما سياتي فامرت به فاطمة في الحسين في اليوم السابع
قال العراقي في حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق

بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي د
منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابي رافع ويطلي اسكوا اي
بلطخه ان يتشرا او العسل او التمر الممضوغ في لهاته بفتح اللام اي اقصى
حلقه من حنكه فعله عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين جاءت
به امه اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهم ففي الصحيحين عن اسما ولدت
عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه
في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شي دخل جوفه ريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان
اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان
اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم وبقية حقوق الولد ذكرت في باب الصحبة

الباب السادس في الكسب والورع

اي المترتب عليه قطع الطمع ولبعض الاكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب
فمن رفضهما وقال ابتغي الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع في الجهل
والطمع كذا في ربيع الابرار للزمخشري بسم الله الرحمن الرحيم
وبه استعين في كل امر كريم قال تعالى وجعلنا النهار معاشا وابتغوا من
فضل الله اي رزقه وانفقوا من طيبات ما كسبتم الاية وورد من طلب الدنيا
حلالا اي حال كون المطلوب حلالا تعففا عن المسالة اي لاجل عفة
نفسه عن سؤال مخلوق مثله وسعيا على عياله من زوجته واطفاله و
تعطفا اي ترحما وتلطفا على جاره من الفقراء في تحسين حاله وتزيين باله
لقي الله اي يوم القيامة في ماله ووجهه كالقمر ليلة البدر من حسن جماله
وكان مناله مكاثرا على اقرانه وامثاله لقي الله وهو عليه غضبان والله المستعان

والحديث رواه ابو الشيخ في كتاب الثواب وابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابي هريرة ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وكان عمر يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السما لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن سلمة يغرس في ارضه فقال عمر استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبكم احيحة

فلن ازال على الزوراء اعمرها • ان الكريم على الاخوان ذو مال

فالكسب سنة الانبيا منهم داود لقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم واول من زرع ادم عليه السلام واول من نجر نوح عليه السلام وقيل اول من خط ادريس عليه السلام والاوليا ومنهم اكثر الصلحاء ونبه اي في الكسب ستر الحال اي بما فيه من العلم والاعمال فيكون من الاتقيا بالاصفيا وممن قال عز وجل فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية وهو اي الكسب اولى لظاهر العمل اي للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه احرى من الاخذ بالسوال وبغيره كالطمع في اموال الرجال فالفارغ من الكسب لتحصيل الحلال سايل بلسان الحال ان لم يكن سايلا بلسان المقال وربما لسان الحال اكشف في تحصيل المال ومن هنا ورد ان الله يحب ان يرى عبده تعبا في طلب الحلال الديلمي عن علي وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر ان الله يحب المومن المحترف

وَوَرَدَ

وورد من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وجاءت ريح عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم ابن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عليه السلام ان الله جعل رزقي تحت رمحي وفي مسند احمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده صحيح واما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ثم قال احمد والقدوة والحديث الثاني رواه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح واما صاحب الباطن وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه والمعلم النافع للناس افتاء وتصنيفا وتدريسا والمشتغل بمصالحهم كالقاضي وفي معناه الخليفة والمؤذن والامام ونحوه الايتام فان اعطوا الكفاية من بيت المال اي من وجه الحلال او من ايدي الناس من الصدقات اخذوها واشتغلوا بما هو افضل في حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال والا اي وان لم يعطوا شيئا بل كل منهم فضائل الكسب والحكومة ومنافع الرجال بمعنا اي حال كونه مبالغا في تمييز ما فيه الفلاح ويعمل بحسب الصلاح فان فيه النجاح وقد اشار الصحابة على ابي بكر بترك التجارة لما ولي الخلافة اذا كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك

اولى نعم لما توفي اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح في
الكسب اختاره وترك ما هو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الامر
المهم اشتغل به وتوكل على الله في امور رزقه وحثه اي حث الكسب على ما
ذكره ثلاثون اي بنوع التعفف اي عفة نفسه عن المسالة والتعطف
اي الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روي ان عيسى عليه السلام
راى رجلا فقال له ما تصنع فقال اتعبد فقال من يعولك قال اخي قال اخوك
اعبد منك واقامة فرض الكفاية اي بنوعها في صناعات يتوقف عليها
العيش اي المعيشة فالزراعة والتجارة والخياطة والنجارة ففي الخبر
تسعة اعشار الرزق في التجارة الحربي في الغريب من حديث نعيم بن عبد
الرحمن وتقدم نفع الزراعة وروى احمد من حديث ابي هريرة خير الكسب
كسب العامل اذا نصح واسناده حسن وباكرا اي وليسعى في اول
النهار فورد ان في الغدو بركة ونجاحا اي فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد
وصلاحا والحديث رواه الطبراني في الاوسط وابن عدي عن عائشة باكروا
في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتي في
بكورها وروى الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه
السلام كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة
وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله فقال عليه السلام لا
تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسالة ويغنيها
عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية
ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا
فهو في سبيل الشيطان وتجنب اي من الصنايع ما يضر الناس كالاحتكار

فبايع الطعام يدخره ينتظر اغلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا
وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون الحاكم في صحيحه وابن ماجة في
سننه عن ابن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته
كفارة لاحتكاره ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب
في التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث
ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه
وعن علي انه احرق طعام محتكر بالنار وكذا في الاحياء وفي حديث مسلم لا يحتكر
الا خاطئ ولابن ماجة الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وقيل ومدته اربعون
لما رواه ابن عساكر عن معاذ من احتكر طعاما على امتي اربعين يوما وتصدق
به لم يقبل الله منه وفي رواية لاحمد وابن ماجة عن عمر من احتكر على المسلمين
طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفي رواية له وللحاكم عن ابي هريرة
من احتكر حكرة يريد ان يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة
الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمز وفي رواية فهو ملعون واستدل به مالك
بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام في المطعوم وغيره وهو رواية عن ابي
يوسف والجمهور على ان الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها
والله اعلم وروى ابن مردويه في تفسير من حديث ابن مسعود ما من
جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا
كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا
يستحب ولذا اوصى بعض ائمتنا بعض رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين
ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس
واما الصنعتان فانه يكون جزارا لانها صنعة تقسي القلب وصواغا فانه

فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله ويلوث الباطن اي
ويجتنب مما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره كالجزار وهو صفة الجزار ويقال
القصاب فهو يقسي القلب والصياغة فهو يزين الدنيا وهي مبغوضة الرب
وايضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك في جودته او حال ضرورته
نقد قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في
الصياغة وانا اكره ان يكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم
ذهبا ويصوغه اي خروجا عن الربا وحديث النهي عن كسر الدينار والدرهم
رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله
عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكسر سكة المسلمين الجائزة
بينهم الا من باس اراد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل
ذهبا وضعفه ابن حبان والظاهر اي ويجتنب ما يلوث ظاهره ولو لم
يلوث باطنه كالحجامة والدباغة وفي معناها الكناسة وان تلوث الظاهر
يودي الى تلوث الباطن كما ان الطهارة الظاهر تورث طهارة البدن وقد
نهى عنه عليه السلام عن كسب الحجام رواه ابن ماجة بسند حسن عن ابي
مسعود وحمل على نهي التنزيه لانه عليه السلام احتجم واعطى الحجام اجرته
ولو كان حراما لما اعطاه وكيف لا والحجامة من الصنايع التي عدت من فروض
الكفاية فلا بد من قيام بعض هذه الصناعة لئلا يقع الناس في ضياعة
اذ لو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعايش وضاعت الحالات
فانتظام الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم
على صنعة لتعطلت البواقي بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام ه
اختلاف امتي رحمة اي اختلافهم هممهم في الصناعات وسبحان من اقام العباد

فيما اراد

فيما اراد وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ورحمة ربك خير مما يجمعون ولله در القائل

رضينا قسمة الجبار فينا ۰ لنا علم وللاعدا مال
فان المال يفنى عن قريب ۰ وان العلم يبقى لا يزال

وما يعسر اي ويجتنب ما يصعب فيه رعاية الاحتياط كالصرف لان الاحتراز
فيه عن دقايق الربا عسير علما وعملا ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لا
يقصد من اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد
جهالة معامليه بدقايق النقد فقل ما يسلم الصيرفي من الربا وان راعى
غاية الاحتياط وفي الجملة يجب على الصيرفي ان يجتنب من الفضل في
المتجانسين ومن النسية مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو
اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف الديلمي من حديث ابي سعيد وابو يعلى
الشطر الاول من حديث ابي بكر والدلالة بالفتح ويكسر وقد كره ابن سيرين
الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغنا الدلال
عن الكذب فقد قيل راس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة
لترويجها ولان العمل لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة
الى العمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر
الى قدر التعب فان الاجر على قدر المشقة كذا في الاحياء وما يكره اي ويجتنب
ما يكره فيه قضاء الله تعالى كبيع الحيوان اي العبيد ونحوه لاجل التجارة فان
المشتري يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذي بصدده ولا محالة تخلق
لاجل وسلامة الناس اي ويجتنب فيه ما يكره فيه بما فيه الناس كبيع الكفن

على ما تقدم وفي معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع الفقراء
واعلامهم واذكارهم من غير اذكارهم وما يحرم اي ويجتنب ما يحرم استعماله
كثياب الابريسم اي الحرير وهو ثوب الرجال دون النسا وفي الخبر من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس وفي رواية
احمد عن جويرية من لبس الحرير في الدنيا البسه يوم القيمة ثوبا من نار
وانية الذهب والفضة فانهما تحرم مطلقا وفي الخبر ان الذي ياكل او يشرب
في انية الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم رواه مسلم عن ام سلمة زاد الطبراني
الا ان يتوب والمزمار فانه حرام باتفاق الاربعة كسائر الاوتار واما خالف
الرافعي من الشافعية في القصب ورفع البناء اي زيادة على قدر الحاجة فانه
يقال له الى اين يا افسق الفاسقين وذلك لانه عمل شداد في بنا قصره وعمل
فرعون في بناء صرحه وتزيينه بالجص وكذا بالنورة والطين فانهما مكروهان
او حرامان لاسراف المال وتضييع الحال وروى الدارقطني عن ابي الدرداء
انه عليه السلام سئل ان يكحل المسجد اي بالنورة وغيرها فقال لا عرش كعرش
موسى ويعامل عطف على يجتنب متدينا لا يستر حاله اي في الدين بكونه
ظاهر الديانة اعانة على اكبر لا فاسقا وكذا لا ظالما ولا احدا من اعوانه لئلا
يعين على الاثم فقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان وقد دخل سفيان الثوري على المهدي وبيده درج ابيض
فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني اي شي تكتب فان كان حقا
اعطيتك ولا يبالغ في مدح المبيع اي ان كان بايعا وذم المشتري اي
المشتري ان كان مشتريا وان صدق اي ولو كان صادقا في مدحه وذمه
فالمبالغة فيهما مذموم لانه مما لا يعنيه فهو به ملوم ومذموم وقد قال

تعالى

قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال عز وعلا والذين هم
عن اللغو معرضون وورد من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يحلف ولو كان
صادقا بيمينه من غير ضرورة في امر دينه فهو جعله تعالى اي جعل الحالف اسمه
سبحانه في هذا الحلف عرضة للايمان اي كالعرضة التي اعدها المصاب
لازالة ما يتلوث به يديه او كالهدف الذي يرمي الرامي في كل ساعة
سهمه اليه لترويج الدنيا الخسيسة باسمه الذي من الاشيا النفيسة
واما قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
بين الناس فمعناه لا تجعلوا الحلف بالله سببا لمنعكم من البر والتقوى
بان يدعى احدكم الى بر فيقول حلفت ان لا افعله بل ينبغي ان يفعله ويكفر
عن يمينه وورد كما في صحيح مسلم لا ينظر الله الى منفق بتشديد الفاء
المكسورة سلعته اي مروجها بيمينه اي بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد
جا باليمين الغموس وهي من الكباير التي يترك الديار بلاقع وان كان
كان صادقا فقد اسا فيه ان الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر
اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله و
ويل للصانع من بعد وغد كذا في الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس
من حديث انس بغير اسناد ونحوه وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة
للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه ويظهر عيب المبيع اي في نفسه
خفية وجلية وقدره اي ويظهر مقداره من الطول والعرض وسعر
الوقت اي قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقي الركبان متفق عليه
من حديث ابن عباس وابي هريرة وفي رواية عن تلقي البيوع كما في الترمذي
وابن ماجة عن ابن مسعود وفي رواية ابن ماجة عن ابن عمر نهى عن تلقي

الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب في سعر الازمنة
وقد ورد لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق
وما سومح به اي ويظهر ما سامح بايعه الاول مع الثاني في الصفقة الاولى
وهي تكون في بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ما
سومح به البيع معه من تاجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان في قدره
ووصفه فاخفاها خيانة كما ان الابداء امانة ولذا لا يحل لاحد
ان يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه البيهقي والحاكم
وقال صحيح الاسناد وورد من غشنا فليس منا الترمذي عن ابي هريرة
بسند صحيح وزاد الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود والمكر
والخداع في النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب في موضع الظلمة
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة انه عليه السلام مر برجل يبيع
طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فراى بللا فقال ما هذا فقال اصابته
السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا
ويل للمطففين اي الهلاك لاهل التطفيف في الكيل والوزن وهو النقصان
الخفيف في الميزان والمكيال فكيف الحال في اخذ الاحمال في امور النساء
والرجال الاية وهي الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم
يقوم الناس لرب العالمين وفيه وعيد في غاية تهديد ولقد
كان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص
نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها
السموات ويروى انه عليه السلام اشترى شيئا وقال للوزان زن

وارجح

وارجح كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح وقد
قيل كل مكلف فهو صاحب السنة الا ان يحنو وقال الترمذي حسن
صحيح وقد قيل كل مكلف هو موازين في افعاله واقواله وخطرات احواله
فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة في مقام الفصل ولا
يروج الزيف وهو ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه عملا او ما لا ذهب
فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو
نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه قال الغزالي وقد
راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم
يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان
في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله
وان لا يعامل به من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس
فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة
عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة
على الشر بل ولعله في الضرر فقد قال بعضهم انفاق درهم زائف اشد
من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت
وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من
بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة وما يبقى سنة
الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال
الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل
لمن يموت ويبقى ذنوبه في صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا
من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من

عمل بها

لا ينقص من اوزارهم شيء وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام
دينهم في الاحوال وقد قال لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق
كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه فلذي الدرهم
فانظر غيه او ورعه ولا يخلط التراب اي ونحوه من التبن وغير الجنس بالطعام
اي الحبوبات ولا يفتاد اي يخلطه بالعصب كالدم والغدة والجلد الرقيق
وكذا لحم الماعز بالضان والضعيف بالسمين فهو اي ما ذكر وامثاله كخلط
الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل حرام لانه ظلم في حق الانام
ولا يقدم على شيء اي سوم شيء لا يريده اي لا يقصد شراءه بما فوق
ثمنه ترغيبا للمشتري فانه النجش المنهي عنه في المتفق عليه عن ابن عمر
والاصل ان لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه كما ورد لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفي رواية وحتى
يكره لاخيه ما يكره لنفسه وهو اي حصول هذا المقام انما يكون باعتبار
ان الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة اي الموجبة للامانة لا تنقص
اي في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة
عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم
يصدق بهذا الحديث وهو في غاية من الخسران ومن عرف ان الدرهم
الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سبب السعادة مالكها في الدنيا والاخرى
صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص في المال
ولقد قال تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات وورد الامانة تجر
الرزق والخيانة تجر الفقر القضاعي عن علي وان الاخرة اي وباعتقاد
ان العقبى اولى من الدنيا كما قال تعالى والاخرة خير لمن اتقى فيختار نفع وابقى م

الدنيا

الدنيا ايثار الماء يبقى على ما يفنى ورد لا يزال لا اله الا الله يدفع عن الخلق
سخط الله اي ايثار غضبه ما لم يؤثروا اي مدة لم يختاروا صفقة دنياهم
على اخرتهم اي عقد ايوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث
رواه ابو يعلى والبيهقي في الشعب عن انس وفي رواية الحكيم الترمذي
في النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت
لهم دنياهم وللطبراني في الاوسط ونحوه من حديث عائشة والكل ضعيف
الا انه يقوى بعضها ببعض ويؤيده حديث من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبراني من حديث
زيد بن ارقم باسناد حسن ويحسن اي البايع في المعاملة ويعني بالا حسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه يفضل منه فان
الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى ان الله يأمر
بالعدل والاحسان فالعدل سبب النجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات
ويدرك الاحسان الكامل بستة امور بان لا يغبن اي المشتري غبنا غير
معتاد سواء يكون غشا ام لا وان اعطى المشتري اي ولو دفع ثمنه مع
زيادة لرغبة اي زائدة او حاجة اي ملحة لقوله تعالى واحسن كما احسن
الله اليك وفي الاحياء قد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث
يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفي
الخبر غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث ابي امامة بسند ضعيف
والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير
ابن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من احد يحسن يشتري لحما
بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو

من ترك احسان وتحمله اي وبان يحتمل الغبن من ضعيف بايع او مشتر بان
يكون مريضا او عن الكسب عاجزا او فقيرا اي ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب
نصاب فيكون به محسنا واما ما ورد من ان الكامل لا يغبن ولا يغبن فهو
محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان
يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من
عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يخدعني ولا يغبن ابن سيرين
ولكن يغبن الحسن ويغبن ابو يعلي يحيى معاوية ابن قرة قلت ومقام الحسن
ايضا حسن لقوله عليه السلام المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابو داود و
الترمذي والحاكم عن ابي هريرة وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة
يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي
في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب يهب فضله وان
المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصيرتي فلا امكن
الغابن منه واذا وهبت فاعطي الله ولا استكثر له شيئا فورد في البخاري
عن جابر مرفوعا رحم الله امرا سهل البيع وسهل الشرا وتمامه سهل
القضا سهل الاقتضا لا من غبن اي لا يحتمل الغبن من غبن تاجر بطلب
الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن منه ليس في محله لانه تضييع للمال
وتاسف في المال اذ لا اجر في الغبن ولا حمد في الدنيا فقد ورد في حديث
من طريق اهل البيت ان المغبون لا محمود ولا ماجور الترمذي الحكيم
في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى
من حديث الحسين بن علي يرفعه ويسامح في قبض الثمن والدين اي
وفي قبضه بنقص بعضه من الثمن والدين وترك طلب نقدا احسن وامهال

وقبول

وقبول الحوالة فورد رحم الله امرا سهل القضا وسهل الاقتضا وهو تتمة الحديث
المتقدم فلتغتنم دعاءه عليه السلام وقد ورد ايضا في هذا المقام اسمح تسمح
لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات من انظر معسرا اي
امهله او ترك له اي اسقط عنه كلا او بعضه ولو حقيرا حاسبه اي الله
يوم القيمة حسابا يسيرا وفي لفظ اخر اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله
احمد ومسلم باللفظ الثاني من حديث ابي اليسر وهو كعب ابن عمرو وفي
رواية الطبراني عن ابن عباس انظره الله بذنبه الى توبته وفي رواية لاحمد
وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة من انظر
معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره
فله بكل يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة
الى ميسرة وان تصدقوا اي بكله او بعضه خير لكم ان كنتم تعلمون
والتصدق سنة هنا افضل من الانظار الذي هو فرض وذكر عليه السلام
رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا
قط فقال لا الا اني كنت رجلا داين الناس واقول لفتياني سامحوا
الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله
تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوزوا عنه وغفر له رواه مسلم من حديث
ابي مسعود الانصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة
ويبادر في اعطا الاجرة ففي الخبر اعطوا الاجير قبل ان يجف عرقه ابن ماجة
عن ابن عمر وقضا الدين قبل الاجل اي قبل حلوله فانه يعد من احسان
العمل وبطلان الامل باحسن مما شرط اي في العقد الاول بان يؤدي
الجيد وكان الشرط زيوفا فانه يوجب معروفا ويقتضي كون صاحبه

مالوفا فورد خيركم احسنكم قضا متفق عليه من حديث ابي هريرة وينوي
القضا كذلك اي باحسن ما شرط اذ عجز مهما قدر فورد ان الملايكة يدعون
له اي لمن ينوي القضا بان يقدره الله والله تعالى له حتى يقضيه وا
لحديث في الاحيا بلفظ من ادى دينا وهو ينوي قضاه وكل به ملايكة يحفظونه
ويدعون له حتى يقضيه ورواه احمد عن عايشة ما من عبد كانت له نية
في ادا دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه
من الله حارس وفي رواية للطبراني في الاوسط الا معه عون من الله
عليه حتى يقضيه وفي الاحيا كان جماعة من السلف يستقرضون من
غير حاجة لهذا الخبر قلت وفي جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه
من نوع الغرور وصنف الخطر اللهم الا ان يحمل على شرا شي الى الاجل
المعين فتدبر ويستدين اي يستقرض ويتدين في ضعف قوة في
سبيله تعالى بان يكون في حج او غزوة وفي زاده او ما نتقوى به وتكفين
ميت مثل اي فقير فقيرا كان او غنيا او نكاح يتعفف اي يطلب عفة
نفسه عن الزنا بسببه عليه تعالى اي متوكلا عليه ومستندا اليه تحسينا
للظن لهديه ليرزقه ما يقضيه فهو يقضيها اي جميع ما عليه من الديون
الثلاثة يكرمه اما في الدنيا واما يرضي صاحبه في العقبى ويقيل من
الاقالة اي يريد البيعة ان ندم البايع على شرايها وكذا حكم المشتري
وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما في الاحيا ويقيل من يستقيل فانه
لا يستقيل الا متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي ان يرضى لنفسه
ان يكون سبب استضرار غيره فوعد عليه اي على اقالته النادم اقاله الله
تعالى اي عفوه يوم القيمة عثرته اي ذنوبه وزلته وكان الاولى ان يقول

فورد

فورد من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة ابو داود والحاكم
من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم ويمهل المعسر بسببه اي
صبرا عليه على عزم الترك اي ترك المطالبة والاخذ اذ لو يظهر غناه بان
يتحقق فقره اليه فيكون في هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر ان يشغله
معاشه عن زاد معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته
من الربح في العقبى لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا
بالاخرى بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه
بحفظ راس ماله وصلاح شانه وحاله وراس ماله حفظ دينه وتجارته
فيه صدق نيته قال بعض السلف اولى الاشيا بالعاقل احوجه اليه في
العاجل واحوج شي اليه في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقد قال تعالى
ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك نصيبك منها للعقبى
فان الدنيا مزرعة الاخرة والاخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة ويكتل
الطعام اي الحبوب اخذا واعطاء اي حال اخذ وحال اعطاء ففيه البركة
وفي الخبر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه احمد والبخاري عن المقدام وفي رواية
ابن النجار عن علي كيلوا طعامكم فان البركة في الطعام الكيل وروى البزار
عن ابي هريرة انه عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه صاعان
صاع البايع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان
وتحقيق هذه المسالة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية فيكون
لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسالة وما فيها
من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولي الهداية و
يجتنب حرف السلف وكان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع

الخرز والنجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة كالحرث وهي الزراعة وهي صنعة آدم أولا وقد قال عليه السلام التمسوا الرزق في خبايا الارض والمراد الزرع وانشدوا ❊ تتبع خبايا الارض وادع مليكها ❊ لعلك يوما ان تجاب وترزقا ❊ ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ولا يبعد ان يراد بالاية والحديث المعنى الاعم الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم والحمل اي حمل الاثقال من محل الى محل باجرة معينة وبنات الجمال كان من اهل الكمال والتجار اي التجارة وفي مسند احمد وصحيح مسلم عن ابي هريرة كان زكريا نجارا والخياطة قيل انه من صنعة ادريس والقصر وهو غسل الثياب ومنه الحواريون والخصف اي خرز النعل والقربة ونحوهما وصح انه عليه السلام كان يخصف نعله والرعي اي رعي الغنم والابل ونحوها وهو من صنعة الانبياء والاوليا والكتابة فهي حرفة العلما والمشايخ الاصفيا لا سيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقا الدين القويم وللنهج المستقيم قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب لو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة او صنعة الورق يعني الكاغد الذي يتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه الة الكتابة وقد ورد يوزن مداد العلما بدما الشهداء فيرجح مداد العلماء وورد خير تجارتكم البز وخير صناعاتكم الخرز الديلمي عن علي تعليقا ويقال اربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الراي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون

ولعل ذلك

ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفا العقول يضعف العقل كما في مخالطة العقلا يزيد في العقل فان الصحبة تؤثر وورد المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والاقامة وتعليم القران والفقه وان حكم المتاخرون بجواز ذلك اذ لم يرو من يقوم بهذه الامور احتسابا هنالك ويلزم ما رزق فيه اي من انواع الصناعة او اصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ففي الخبر من رزق في شيء فليلزمه البيهقي عن انس وفي رواية ابن ماجه من حديث انس وعايشة من بورك له في شيء فليلزمه وفي رواية له عن انس بلفظ من اصاب من شيء فليلزمه ويترك ما اتجر فيه ثلاثا اي ثلاث مرات فلم يرزق اي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الامور وتعسيرها وفي الخبر اليسر يمن والعسر شوم الديلمي عن جابر وينتقل الى غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفي الخبر لن يغلب عسر يسرين وفيه تخفيف وتدقيق ليس هذا محله الذي ذكره يليق ويتخذ الغنم ففي مسند الفردوس للديلمي عن ابي هريرة الغنم اموال الانبياء وفي رواية الخطيب عن ابي هريرة الغنم بركة والدجاج ونحوها كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام للدر اي اللبن والنسل اي النتاج ففيهما عشر الرزق اي وبر الرفق وروي وفي التجارة تسعة اعشار الرزق وفي

سنن ابن ماجة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر الاغنيا باتخاذ الغنم وامر
الفقرا باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنيا الدجاج باذن الله بهلاك
القرى وقد بيّنا وجهه في بهجة الانسان في مهجة الحيوان فكان له
عليه السلام بعد ان لضم اوله جمع بعير وغنم من لبنهما قوت اهله وفي
المواهب اللدنية كانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن
عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز منايح ترعاها ام ايمن
وورد خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقر من
البقر ابو داود وابن ماجة والحاكم عن معاذ فيختار اي من الغنم صنفا
اي نوعا مجتمعا فيه السود والبيض كما حكى في غنم شعيب عليه السلام ورعي
الكليم في ذلك المقام ولا يحرص على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى على تحصيل
الدنيا وتعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها فورد شر البقاع السوق
لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطا والنسيان وموضع رايات الشيطان
وجنوده اعدا الانسان وشر وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا
رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ ابغض ابغض البقاع الى الله
الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغي ان لا يمنعه سوق الدنيا
عن سوق العقبى واسواق الاخرة المساجد ونحوها من المدارس
والمعابد والمشاهد وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم
لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول
النهار واخره للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة
والروس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد
بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار

واخره

واخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيء الاعمال ابو يعلى من حديث
انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
ويؤيده حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر
وعند صلاة العصر فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون
تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله اشهدكم
اني قد غفرت لهم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد جاء في تفسير
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين
وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفار فسمع الاذان
لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى
الصلاة وقد قيل من احب الاخرة عاش ومن احب الدنيا طاش و
الاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل في دينه فتاش ولا يركب البحر الا لحج
او عمرة او غزو رواه ابو داود من حديث عبد الله بن عمر فكان نحققه
اذ يقول ورد ونقاد من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق
والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في امره فكان من السلف
من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر
ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين ويتو ع
اي عدة الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات وقد حمل الى رسول
صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال
ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال
انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني
من حديث ام عبد الله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف ويقويه قوله

تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ويؤيده قوله عليه
السلام ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن ابي هريرة كان اذا اتي
بطعام من غير اهله سال عنه الحديث رواه احمد من حديث ابي هريرة
باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مروا بامراة فذبح لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه شاة ذبحت
بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه عليه السلام
كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه الا اذا ظهر له ما يدل على ريبة لديه
وفي البخاري من حديث عائشة كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج
وكان يأكل ابو بكر من خراجه فجاء يوما بشيء فاكل منه ابو بكر فقال الغلام
اتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية
فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يتقيأ وفي بعض الاخبار انه عليه
السلام لما قاء اي اخبر بذلك قال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه
الا طيبا ويتورع اي يطلب الورع من نفسه ويبالغ في ترك حظه
فان الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده في مقام المجتهدين فورد اما
الورعون فاني استحيي ان احاسبهم اي فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان
يحاسبوا والحديث لم اعرفه وادنى رتبة اي مراتب التورع الاحتراز عن
الحرام وهو الورع المخصوص به في عرف الاعلام ثم عن الشهوة اي شهوة
النفس وهواها وكان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو في
النسخة وهو التقوى اي كمالها وجمالها فورد دع ما يريبك اي ما يوقعك

في الريبة

في الريبة والشبهة الى ما لا يريبك النسائي والترمذي والحاكم وصححاه
من حديث الحسن بن علي وهو اي المريب كلما او في نسخة كما اختلف فيه
عند العلما آبالحل والحرمة والكراهة والخلو عنها كاكل الضب ونحوها و
الاخذ بالرفع او الخفض اي ثم الورع عن الاخذ المريب كالاخذ ممن علم
اي ظن ظنا غالبا ان في ماله حراما بان يكون اكثره حراما او عليه اي او
ان على نفسه علامة عدم المبالاة في المعاملات فكل منسوب الى ظلم او
خيانة او سرقة او ربا فلا يبالي ماله وكذا الاجناد والظلمة من الامراء
والوزراء واصحابهم واعوانهم من العلماء وفي الخبر من لم يبال
من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار الديلمي
عن انس وصلة السلطان اي ثم الورع عن اخذها او كصلته واعطائه ان
اشتبه بيت المال اي التبس مال الحرام بالحلال في استحقاق الاخذ اي
اخذه عن تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله او قدره
اي من جملة المال والاولى في مثله اي في مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه السؤال
عن الغير اي من اهل الاشتباه فان راي العليل عليل والنفس بالطبع الى
هوسها وهواها عمل والتعلل اي والاولى في مثله حال الامتناع اظهار
الاعتذار كيلا يتاذى اي صاحبه في الاسرار فاسرار المؤمن اي ادخال
السرور في قلبه بقبول ماله ولو بشبهة في حاله اهم من الورع في اظهار فعاله
نعم ابن عمر ما من شيء احب الى الله من ادخال السرور على اخيك المسلم
ابن النجار اما الوهم الغير الناشي عن دليل اي عما يشعر بعلة شبهة
وريبة كالاحتراز عن الصيد اي مطلقا لاحتمال كونه ملكا للغير
اي مسيبا ولا اثر عليه اي على الصيد من علامة دالة على انه للغير

فوسوسة ويسمى شبهة الشبهة ويبني اي امر الورع فيه على ظاهر الحال
اي حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو اعلم بالضمائر
تحسينا للظن اي باخيه المؤمن فورد ان بعض الظن اثم وهو الذي لا علامة
فيه مما يوافقه وينافيه واما ما ورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على
ما يوجد فيه امارة وفي الاية ايضا الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان
اذا كان لك صديق عامل او تاجر تعارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه
او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليك الوزر فان اثبت هذا
في المرابي فالظالم في معناه ثم اي ثم الورع عما لا باس به مخافة به باس
ففي سنن ابن ماجة لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة
به باس وهو الصدق في التقوى اي المسمى به ومنه انه عليه السلام
ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله فقال اجل وجدت
تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة لاحمد من رواية عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده باسناد حسن كترك العزب الشبع اي المفطر والعطر
اي الطيب الكثير وهما مما لا باس بهما لتحريكهما الشهوة التي بها باس
فتكون باعثة له على الريبة والشبهة ثم اي ثم الورع عما ليس له تعالى
اي خالصا لوجهه وان كان مباحا في اصل امره وهو الصدق المطلق وصاحبه
الصديق المحقق كترك خطوة او لقمة وكذا ترك نظرة وخطرة وسكون وحركة
ليس فيهما او في امثالهما نية عبادة وقصد سعادة فهم اي اهل هذا المقام
وهم الصديقون كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة ابدانهم
وروي عن عمر انه كان ياكل سبع لقم او تسع وقد اشير اليه بقوله لقيمات
فانه اقل جمع القلة وهو ما دون العشرة وفي هذا بيان الكمية وفي

تصغيرها

تصغيرها ايماء الى تقليلها في الكيفية والتخفيف انه كلما يتشدد في الاحتياط
يكون يكون سببا للتخفيف اي لتخفيف الحساب وتقليل العذاب والاصل
الاستفتاء من القلب والاستخارة في كل امر من الرب فورد استفت قلبك
وان افتاك المفتون وما خاب من استخار ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين
حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز في الديار وقد
اختلف الناس في هذا فقال قوم كلما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه و
قال اخرون لا يحل ان ياخذ ما لا يتيقن انه حلال فلا يحل شبهته اصلا
والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا لا ينبغي
بحله وحكم الورع بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات
لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ولقد احتج من جوز اخذ اموال السلاطين
اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي
عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال
منهم كابي هريرة وابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابي ايوب
الانصاري وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ
ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر
وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم
والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشعبي من هارون الرشيد الف دينار في
دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ
ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذه من الحلال اكثر
وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا الا ترى الى قول ابي ذر للاحنف بن
قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة

اذا اعطينا قبلنا واذا امنعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وروي نافع انه بعث
ابن عمر الي عمر ستين الفا فقسمها علي الناس ثم جا سايل فاستقرض من
بعض ما اعطاه واعطي لسايل ولما قدم الحسن بن علي علي معاوية فقال لا
اجيزك بجايزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا بعدك من العرب
قال فاعطاه اربعمائة مائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن و
الحسين كانا يقبلان جوايز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا علي سعيد بن
جبير وقد جعل عاشرا علي اسفل الفرات فارسل الي العشارين اطعمونا مما
عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة انما
نقل من امتناع جماعة من السلف من العطا لا يدل علي التحريم بل علي الورع
كالخلفا الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال
المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاوه الي محذور ورعا وما
نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاوه في بيت المال حتي اجتمع
نيفا وثلاثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لا اتوضا من ماء صير في
وان ضاق وقت الصلاة لاني لا ادري اصل ماله كله ذلك ورع لا
ينكر ومن هذا القبيل ان ابا بكر حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال
فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وان عمر كان يقسم بيت المال
فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتي سقطت
الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الي بيت اهلها تبكي وجعلت
الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرج من فيها وطرحه علي الخراج
وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين بينهم وبعدهم

وكتب

وكتب موسى الاشعري ببيت المال فوجد درهما فمر بني عمر فاعطاه اياه فراه
عمر في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل
المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله
عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الي بيت المال وقال عمر اني لم
اجد نفسي في مال بيت المال الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت
من الطعام منذ انتهبت الدار الي يومي هذا وروي عن علي كرم الله وجهه
انه كان له سويق في انا مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق
مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا فيه ولكن اكره ان يجعل فيه
ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب وعن ابن المبارك ان الذين ياخذون
الجوايز اليوم ويحتجون بابن عمر وعايشة ما يقتدون بهما لان كلا منهما
كان يفرق ما ياخذه في مجلسه وكذا جابر ابن زيد قيل ويتصدق به وكان
يقول رايت ان آخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا
فعل الشافعي بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه علي قرب حتي لم يمسك
لنفسه حبة واحدة فمن استجرى علي اموالهم وشبه نفسه بالصحابة
والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين ثم اعلم ان
الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح
وان كان العلما قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل علي ان لكل مسلم حقا في
مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا لجمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم
المال علي المسلمين كافة بل علي مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من
يتولى امرا يقوم به ويتعدى مصلحته الي المسلمين ولو اشتغل بالكسب

تتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلما كلهم
اعني العلوم التي يتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير
والقراة حتى يدخل فيه المعلمون والموذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون
ويدخل فيه العمال وهم الذين يرتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة
الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام عن اعداد الاسلام ويدخل
فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال وليس يشترط في هولاء الحاجة
بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفا الراشدين كانوا يعطون المهاجرين
والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو
الى اجتهاد الامام في الاختيار فله ان يوسع بالعناية ويقتصر على الكفاية م
بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضي الله عنه يعطي الجماعة
لكل واحد اثني عشر الف نقرة في السنة واثبت لعايشة وجماعة في هذه الجريدة
لكل واحد عشرة الاف وللجماعة ستة الاف وهكذا واعطى عايشة في جريدة اخرى
اثني عشر الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف وكذا صفية وسوى
ابو بكر رضي الله عنه في زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا
بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطا كل مستحق كما في زماننا فهل يجوز للواجد
ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلما فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كلما
ياخذه فالمسلمون فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه درهم او دانق او حبة
فليترك الكل وقيل له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته
على المسلمين وقيل له ان ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم وهو ذو حق
في هذا المال فكيف يتركه وقيل انه ياخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم وهو
ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقيل انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون هذا

هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين والا كالمير اث
بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات
هولاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين
وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من
الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف
لمنع حقهم وقد وقع الاطناب في هذا الباب لانه مهم لذوي الالباب
في معرفة الخطا والصواب **الباب السابع في الاتباع**
والمعيشة اي لاجل المعاش في مراد الدنيا واخذ زاد المعاد في العقبى
وهذا الباب مشتمل على انواع من الاداب كالاكل والشرب واللبس و
المنام والكلام وما لا يستغنى عنه الانام بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح
كل كتاب كريم ورد ان كنتم تحبون الله اي وتبتغون رضاه فاتبعوني
في كلما قدره وقضاه وامره ونهاه قوله يحببكم الله اي يثيبكم
فيما خلقه من دنياه واخراه ويغفر لكم ذنوبكم في عقباه والله غفور
رحيم لمن عصاه ثم اتقاه وما اتاكم الرسول فخذوه اي من اوامره
تماما ونهاكم عنه فانتهوا من زواجره فالاصل اي الذي عليه نظام
الاحكام اتباعه عليه السلام في جميع الامور من احوال الانام لانه اي
اتباعه يصير العادة عبادة وينور الباطن ونوره يوجب سعادة
ويذكر العبودية اي التي هي القيام بحقوق الربوبية ويقرب
الارتياض اي تهذيب الاخلاق عن الاوصاف الذمايم فالمسترسل
في اتباع الهوى يشبه البهايم كما اشار اليه قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل لانها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تاكل الانعام حيث

مطلب

لم يفرق بين الحلال والحرام هذا اي خذ هذا الكلام وانما عدل عليه الام
من مباح الى اخر لاطلاعه بنور النبوة على فايدة فيه دون الاخر انتفا لا
وفق انتفاع الهدى لا استرسالا في اتباع الهوى فتركه اي ترك
الاتباع دالتكذيب كفر بالاجماع ودونه اي وتركه بدون التكذيب
حمق اي جهالة وضلالة من غير النزاع **وحقه** اي وحق اتباعه عليه
السلام في انتفاعه بالطعام الذي هو اصل معاش الانام ان يغسل اليدين
الى الرسغين فغسل اليد الواحدة او الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما
هو مصرح في العوارف والعتبية قبل الاكل وبعده فيما سنتان كما في
السراجية ولو غسل يديه للطعام او عنه يصير الما مستعملا لاقامة
السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما في الجامع الصغير الخاني
تنظيفا اي تطهيرا عن التلوث نظرا الى الثاني وتعظيما للنعمة نظرا
الى الاول ففي الكلام لف ونشر مشوش وورد الوضوء المراد به اللغوي
وقيل الشرعي قبل الطعام ينفي الفقر لاستقبال النعمة والطهارة والنظافة
وبعده ينفي اللمم اي اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغمر او اصابة
لحس ذوات السم وقيل صغاير الذنوب ومنه قوله تعالى الا اللمم وقوله
عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما وفي نسخة من
الاحيا ينفي الهم قال وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده قال مخرجه
رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن ابايه متصلا
باللفظ الاول وللطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل
الطعام وبعده مما ينفي الفقر وهو من سنن المرسلين ولابي داود والترمذي
من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه

احمد

احمد والحاكم في مستدركه وفي رواية الحاكم في تاريخه عن عايشة الوضوء قبل
الطعام حسنة وبعده حسنتان واغرب سفيان الثوري في قوله يكره
غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة
ولذا قيل بل المصلي طاهر فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد ان يكون ماخذه
ما رواه الترمذي في الشمايل عن ابن عباس انه عليه السلام خرج من
الخلا فقرب اليه الطعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت
بالوضوء اذا قمت الى الصلاة وروي ايضا فيهما انه عليه السلام خرج
من الغايط فاتي بطعام فقيل له الا تتوضا فقال عليه السلام خرج من
الغايط فاتي بطعام فقيل له الا تتوضا فقال عليه السلام اصلي فاتوضا
فاخذ بظاهره مالك وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعي
استحب تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفي هو الوضوء الشرعي
فلا ينافي الوضوء اللغوي عن غسل اليدين مع انه عليه السلام اراد
بيان جواز تركه والمصرح بعدم وجوبه كما في الترمذي عن سلمان قال
قرات في التورية ان بركة الطعام الوضوء بعده والوضوء قبله انتهى فهو
عليه السلام بعث لاتمام مكارم اخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد
الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه
حتى يجف ليكون اثر الغسل قايما عند الاكل كذا في الخانية ويفتتح اي
يبتدي بعد التسمية بالملح اي الخالص ويختتم به فيفيد اي فيما ذكر من
الافتتاح والاختتام به مغفرة الذنوب اي الصغاير ورد فيه سبعين بلا
اي عن الظواهر والضماير وهذا لم اجد له اصلا وياكل على السفرة اي من
الجلد والخرقة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى ادبه عليه السلام و

تواضعه

لمقام الانعام فورد كان اذا اتي بطعام وضعه على الارض احمد في كتاب
الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابي هريرة نحوه وفي البخاري
عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل
ماذا كنتم تاكلون فقال على السفر وهي جمع السفرة الدالة على السفر
المذكر لسفر الاخرة وزاد متاعها الفاخرة فالخوان اي استعمال الموائد
والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم يكن اي ولو لم يكن هذه البدع
الاربع مذمومات غير الشبع فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكما
ثلاثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الداراني
من شبع دخل عليه ستة افات فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة
وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل
الطاعة وان يدور المومنون حول المساجد والمحافل وهو يدور حول
المطاهر والمزابل ويقال في قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح
جسما واجود حفظا وازكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا
والطف حسنا وفي كثرة الاكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم ويتولد
منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الاكل صلحت
بمونة قليلة وان كانت من كثرة الاكل يحتاج الى مونة كثيرة يدفعها
ثم ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة تضار
سنة قال الحجة وليس في المايدة الا رفع الطعام عن الارض ليتيسر
الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اقول وانما الكراهة من حيث
انه مخالف للسنة وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة
قال والاربع التي ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل

الاشنان

الاشنان حسن لما فيه من النظافة مستحب والاشنان اتم في التنظيف
وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم ولا يتيسر وكانوا
مشغولين بامور هي اهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون
الايدي ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون
الغسل مستحبا قلت ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافي ما فعلوه احيانا
في حال الاضطرار وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل
السلف الاخيار وفي الخانية عن ابي حنيفة وابي يوسف لا باس بغسل
اليد بعد الاكل بالعجين والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول
محمد فالغسول والصابون ونحوهما اولى فان النظافة بهما اتم وفي
الازهار في شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه عليه السلام انه
غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل في الحالين وورد مسح اليدين
بالمنديل والحصا الا ان يريد اكل شيء رطب وقد انتقض طهارته
فيكره ومن هنا قيل يد المصلي طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت
الاطعمة والحالات واكثر احواله الغسل قبل الطعام وبعده والاكتفا
بالغسل في اخره والله اعلم قال واما المنخل فالمقصود منه تطييب
الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعيم المفرط واما الشبع الا
دوا في الاعضاء متادبا اي بكل حال كونه متادبا في هيئة جلوسه
فورد لا اكل متكئا اي متمكنا في مقعده سوا يكون مستندا في هيئة
او متكئا على احد شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخاري
من حديث ابي جحيفة وفي السراجية لا باس بالاكل متكئا اذا لم يكن
عن تكبر وكذا في الاختيار رشحه انما انا عبد اكل كما ياكل العبد البزار من حديث

ابن عمر زاد احمد في الزهد من حديث عطا ابن ابي رباح ومن حديث الحسن
مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عليه السلام زجر ان
يعتمد الرجل اليسرى عند الاكل الا انها كمذا استثنا من قوله لا اكل متكئا
على سبيل التفكه اي التنقل من الحبوب ويجوز متكئا ومضطجعا ويجلس
على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون وروى ابو الحسن المقري
في الشمايل من حديث انس لانه اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى
واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد اكل كما تاكل العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه
تنبيه بنبيه على ان الاكل على المايدة كريه وربما جثا للاكل على ركبته
وجلس على ظهر قدميه فقد روى ابو داود من حديث عبد الله بن بسر في
انه حديث اتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث وله من حديث انس رايته يأكل وهو مقع من الجوع وفي
القاموس اقعى في جلوسه تساند الى ما وراه وروى عن علي انه اكل كعكا
على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم
يكن مانع هنالك واما ما ورد من نهيه عليه السلام عن اكل الرجل وهو منبطح
على بطنه كما رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره
الاكل قايما وينوى به اي بالاكل القوة على الطاعة دون التلذذ وقصد
الشهوة ومن دعا السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله
عونا على معصيتك ومن ضرورة هذه النية تقليل الاكل في المغبة وفي الخبر
ما ملا ابن ادم من بطنه حسب ابن ادم لقيمات تقيم صلبه فان لم يفعل
فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذي وقال حسن والنسائي
وابن ماجة من حديث المقدام بن معديكرب ويقدمه اي الاكل على الصلاة

ان

ان امن من فوتها اي بخروج وقتها وانما يقدمه لئلا يبرد اذا قعد لديه
ولا يشتغل القلب وورد اذا حضر العشا بفتح العين اي طعام الليل والعشا
بكسرها اي صلاته فابدوا بالعشاء وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق
وقت العصر وهكذا الحكم الغدا عند الظهر نظرا الى العلة وهي التشاغل
والحديث كذا في الاحيا قال العراقي في شرح الترمذي لا اصل له في كتب
الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث في المتفق عليه بلفظ اذا وضع
العشا واقيمت الصلاة فابدوا بالعشاء والجمهور على ان الامر للندب
فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل وهو المشهور وقيل على اطلاقه
واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراة الامام فلا يقوم من عشايه
وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابدوا به قبل ان تصلوا المغرب
ولرواية اذا وضع العشا واحدكم صايم وقيل وهو الاظهر ينبغي حمله
على العموم نظرا الى العلة وهي التشوف المفضي الى ترك الخشوع وذكر
المغرب لا يقتضي الحصر فيها لان الجايع غير الصايم قد يكون اشوق الى الاكل
من الصايم ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجايع
بالصايم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا في فتح الباري شرح البخاري ويكثر
الايدي اي على الطعام ولو من اهله وولده والخدام فورد اجتمعوا على
طعامكم يبارك لكم فيه بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجة من حديث وحشي
بن حرب باسناد حسن قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده
والاكل مع الغير افضل من الاكل مع العيال وكان عليه السلام لا ياكل وحده
الخرايطي في مكارم الاخلاق عن انس وفيه تقليل الاكل اي غالبا والانفاق
الى الايثار المحمود بالانفاق والجمع في القصعة الواحدة احب الى الله تعالى

١ اليه فالاكل المخلوط بالصلاة
خير من الصلاة المخلوطة
بالطعام صح

فنهيه عليه السلام خير الطعام ما كثرت عليه الايدي كذا في الاحيا وسكت
عنه مخرجه وعن الطعام ما كثرت عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة
مع الجماعة ابن ماجة ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها لعدم اتساع
الايدي ونحو الصفر والنحاس اي ويجتنب الاكل فيهما فالمسنون الخشب
والخزف واما القيشاني فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف ويسمي في الابتدا
فهو سنة موكدة فعن عايشة اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسي
ان يذكر الله في اوله فليقل بسم الله على اوله واخره ابو داود والنسايي والحاكم
وقيل التسمية واجب ويحمد في الانتها فانه مستحب والاحب في كل لقمة ان
يسمي في اولها ويحمد في اخرها وفي الاحيا يقول مع اللقمة الاولى بسم الله
ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم تعالى
هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية رب العالمين ومع الثالثة
زيادة الرحمن الرحيم ويجهر اي بالتسمية تذكيرا للغير وتحريضا له على الخير
ولا يعيب ماكولا من المباح فهو الماثور اي المتفق عليه من حديث ابي هريرة
انه عليه السلام كان لا يعيب ماكولا اي اعجبه اكله والا تركه فذهب
بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة
الصنعة فلا يكره وقال العسقلاني والذي يظهر التعميم فان فيه كسر
طلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ومن الادب
ان ياكل بيمينه ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك متفق عليه من حديث
عمر بن ابي سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له ادن وسم الله وكل
بيمينك مما يليك الا في الثمار اي الفواكه فهو اي استثناوه مروي معللا
بانه ليس نوعا واحدا ان يوجد فيه ما هو ني ومنضوج ويني ذلك وايضا

اذا كان

اذا كان في الطبق انواع من الثمار ففي كل نوع له حق فلا يكره ان ياكل من غير
ما يليه والحديث رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان من حديث عكراش
بن ذويب وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش
كل من حيث شئت فانه من غير لون واحد ولا ياكل من ذروة القصعة اي
اعلاها ولا من وسطها اي ولو لم يكن مرتفعا من جانبيها فعن ابن عباس كلوا
في القصعة من جوانبها ولا تاكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها
احمد والبيهقي وفي رواية ابي داود وابن ماجة عن عبد الله ابن بسر كلوا
من جوانبها وذروا ذروتها يبارك فيها وفي رواية لابن ماجة عن واثلة
كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا راسها فان البركة تاتيها من فوقها
ووسط الخبز اي ولا من وسط الخبز بل ياكل من استدارة الرغيف قياسا
على القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا باصبعين اي الا اذا كان يحتاج
الى ثالثة فهو تكبر وكذا باصبع لان الاكل بها مع انه فعل المتكبرين لا يستلذ
به ولا يستمري به لضعف ما يليه منه كل مرة فهو كمن اخذ حقه حبة حبة
ولا باربع فهو شره اي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه
السلام ربما كان يستعين في الاكل برابع اصابعه وكان لا ياكل باصبعين
وقال الشيطان ياكل بهما والسنة اي المعروفة والعادة المالوفة له عليه
السلام بثلاث ففي الشمايل للترمذي عن كعب بن مالك انه عليه السلام ياكل
باصابعه الثلاث فقد قال العلما يستحب الاكل بثلاثة اصابع ولا يضم
اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما اخرجه سعيد بن منصور من مرسل
ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فمحمول على القليل
النادر لبيان الجواز وعلى المايع ولا بالشمال اي ولا ياكل بها فان الشيطان

ياكل به

اي بهذا المصنو فنحن جابر لانا كلوا بالشمال فان الشيطان ياكل بالشمال ابن
ماجة وعند الضرورات تبيح المحظورات ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين
فهو منهي عنه للتشبه بالعجم في الترفع اي التكبر والتنعم في ازمنة جاهليتهم
اما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث
ابي هريرة وابن حبان من حديث ام سلمة وهو ايضا مناف للاكرامه
كما سياتي بيانه في تمامه واما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فانه
من صنيع الاعاجم والحشوة فانه اهنا وامرا والترمذي واحمد والحاكم
من حديث صفوان بن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى واهنا
وامرا وفيه ايماء الى جواز القطع ففي الشمائل عن المغيرة ابن شعبة قال
ضفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتي بجنب مشوي
ثم اخذ الشفرة فجز لي بها منه وفي الصحيحين انه عليه السلام احتز
من كتف شاة فدعي الى الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام
فصلى ولم يتوضا وفي البيهقي ان النهي عن قطع اللحم بالسكين في لحم
تكامل نضجه وهذا وقد ورد اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة
جميلة رواه الحاكم عن انس وفي رواية له ولغيره فانه ارفع لاقدامكم و
يحضر البقل اي يجعله حاضرا في السفرة فهو يحضر الملائكة اي اذا لم يكن له
رائحة خبيثة ويطرد الشياطين لانهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل
واحد لكن لم اعرف له اصلا وفي الاحياء نقلا ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان
عليها بقل وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول
الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة
كل رغيف زيتون وحب رمان وعن علي رضي الله عنه من ابتدا غذاءه بالملح

اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة
قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احد وعشرين زبيبة حمرا
لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب
والسفارجات السكوبات او المهضمات من المعجونات تعظم البطن و
ترخي الاليتين ولحم البقر ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله
من الداء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفي النفساء بشيء
افضل من الرطب والسمك يذيب شحم الجسد وقراءة القران والسواك
يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليقل من العشاء
وليلبس الحذاء اي النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين
اي من الغرماء ولو كانوا من الكرماء والخل اي وعصره فهو ينفي الفقر فقد ورد
ما افتقر من بيت فيه خل الطبراني وابو نعيم عن عائشة ويغطي الحار اي
يستره لئلا يقع فيه شيء ولا يلتفت اليه نظر حتى يبرد اي يسهل اكله
فهو اعظم بركة وهو السنة اي ثابت بها لقوله عليه السلام ابردوا
بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ في الطعام
الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن
عباس وهو عند ابي داود والترمذي وصححه وابن ماجة الا انهم قالوا
في الاناء والترمذي وصحح من حديث ابي سعيد نهى عن النفخ في الشراب
اي لئلا ينفصل من ريقه شيء ويقع فيه فيتنفر الطبع منه ويكرم الخبز
فقد ورد اكرموا الخبز اخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة وفي رواية
فان الله انزله من بركات السماء اخرجه البغوي في معجم الصحابة بكماله
من حديث عبد الله بن زيد مرفوعا والطبراني من حديث ابي سكينة

وفي رواية زيادة واخرجه من بركات السما وانبت من الارض رواه الحكيم
فلا يمسح به اليد ولا السكين لانه نوع اهانة ولا يضع عليه القصعة ولا المملحة
لانه قلب الموضوع ولا ينتظر الادام لان العيش به تمام في مقام النظام
فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام ولله در القايل من الكرام

• وما هي الا جوعة قد سددتها • وكل طعام بين جنبي واحد •

ويكسر باليدين لا بيد واحد كالمتكبرين ويقدم المكسور على الصحيح
اي في اكله ولا يلتفت يمينا وشمالا لانه يوجب اختبالا ويصغر اللقمة
ايما الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفي ابن آدم لقيمات بصيغة
التصغير ويجود المضغ فانه يعين على سرعة الهضم وما لم يبلعها
فلا يمد يده الى غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واحتمال قرب
الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال النووي
لا يصح ذكره الزركشي وكذا حديث صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك
لكم فيه ضعفه ابن حبان رواه الديلمي بسند عن عايشة مرفوعا ويستعين
باليسرى اي من اليدين عند الحاجة اي الملجئة اليها ففي الطبراني عن عبد الله
بن جعفر قال رايت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثا وفي شماله رطبا
وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة ولا يجمع بين الادامين فانه نوع من
الترفه فالنهي للتنزيه وكذا ما في تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام
اي ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقد ورد انه جمع التمر
والقثا كما رواه النسائي واخرج ابو داود وابن ماجة قدم علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر فالاكل ماثور

وعند اهل الاثر مشهور والعامل به ماجور ويلعق الاصابع اي الثلاث ويبتدي
بالوسطى فلا يكره في اي جزء منه البركة ففي صحيح مسلم من حديث انس و
جابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه
بركة والقصعة اي ويلحسها فهو كعتق رقبة في الطبراني عن العرباض من
لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله في الدنيا والاخرة وياكل السواقط
جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة فهو ماثور ففي صحيح مسلم
اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها
للشيطان وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السما والارض ومن اكل ما سقط
في السفرة غفر له الطبراني وورد فهو مهور الحور ففي الاحيا التقاط الفتات
مهور الحور العين وسبب سعة العيش اي الرزق في الدنيا حيث عظم
نعمة المولى والعافية في الولد اي ذريته من الفقر والبلا ففي الاحيا من اكل ما
يسقط من المايدة عاش في سعة وعوفي في ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ
في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف
عن ولده الحمق وفي رواية اعطي سعة من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد
ولده ويخلل الاسنان اي تنظيفا ويخرج اي بالخلال ما بقي منه ولا يبلعه الا
اذا تخلل بلسانه ويمضمض اي بعد التخلل مبالغة في النظافة واللطافة
فالكل ماثور وبعضه فيما قدمناه مذكور وفي الاحيا فيه اثر من اهل البيت
ويحمد الله تعالى بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
والحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين والحمد لله الذي اطعمني هذا
الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة وامثال هذا مما ورد في السنة ان
عري اي خلي الطعام عن الشبهة اي التوبة والا يستغفر ويندم ويغتم

وعند اهل الاثر مشهور والعامل به ماجور ويلعق الاصابع اي الثلاث ويبتدئ
بالوسطى فلا يكره في اي جزء منه البركة ففي صحيح مسلم من حديث انس و
جابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه
بركة والقصعة اي ويلحسها فهو كعتق رقبة في الطبراني عن العرباض من
لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله في الدنيا والاخرة ويأكل السواقط
جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة فهو ماثور ففي صحيح مسلم
اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها
للشيطان وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السما والارض ومن اكل ما يسقط
في السفرة غفر له الطبراني وورد فهو مهور للحور ففي الاحيا التقاط الفتات
مهور الحور العين وسبب سعة العيش اي الرزق في الدنيا حيث عظم
نعمة المولى والعافية في الولد اي ذريته من الفقر والبلا ففي الاحيا من اكل ما
يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ
في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف
عن ولده الحمق وفي رواية اعطي سعة من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد
ولده ويخلل الاسنان اي تنظيفا ويخرج اي بالخلال ما بقي منه ولا يبلعه الا
اذا تخلل بلسانه ويمضمض اي بعد التخلل مبالغة في النظافة والنظافة
فالكل ماثور وبعضه فيما قدمناه مذكور ففي الاحيا ففيه اثر من اهل البيت
ويحمد الله تعالى بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
والحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين والحمد لله الذي اطعمني هذا
الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة وامثال هذا مما ورد في السنة ان
عري اي خلي الطعام عن الشبهة اي التوبة والاستغفار ويندم ويغتم

بقدر الطاقة البشرية يعنى انه علم بجميع
الحقايق الخارجية على وجه تكون تلك الحقايق علي
بحيث لا يتصور فيه التغير بتبدل الاديان والاوضاع
الانسانية وبالجملة ان ذلك العلم لا يلزم ان يكون
الاعيان على وجه يطابق الواقع حتى يلزم انتفا
بل يجب ان يكون العلم بالجميع على هذا الوجه
ولما كان العلم ينقسم بانقسام المعلوم والوجو
الى ما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا والى ما لا يك
الحكمة ايضا الى قسمين احدهما العلم باحوا
واختيارنا تأثير في وجودها تسمى حكمة عملية
التى لا يكون لقدرتنا ٣ تأثير ٤ فيها وتس
اقسام لان ما يتعلق بقدرتنا اما ان ٧
او تكون وحينئذ اما ان لا تكون تلا
هو العلم الالهى وهو العلم الا
والثالث هو الطبيعي وهو

٢ واختيارنا
رتنا نسخه
٤ رتنا نسخه
٤ وجودنا

حزنا علي ما اكل منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولي به البيهقي البيهقي
في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة ويبكي فليس من ياكل ويبكي كما ياكل
ويلهي ويقول الحمد لله علي كل حال ويقرا الاخلاص اي سورة قل هو الله احد والقريش
صوابه قريش اي سورة لئلاف قريش كذا في الاحيا ولعل الاولي للايما الي توحيد
الذات تفريدا الصفات لاسيما النعت الصمدي بالوصف الاحدي الابدي
والثانية الاشعار الي تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان
حيث قال فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف
واقول وقراة سورة الفاتحة المشتمل علي الحمد والدعا بالاستقامة الفاتحة كما هو
المتعارف بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه ولا يقوم اي عن السفرة
قبل الرفع اي للطعام الا اذا كان عادة ذلك المقام ويدعو لصاحبه ان اكل
طعام الغير فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر
عند قوم قال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة
ويقدم الافضل اي في السن والرتبة كالعالم والسيد في الغسل اي في غسل
اليد اخرا ويوخره اولا مراعاة لحشمته فيهما ففي السراجية ان من السنة
ان يبدا بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس والاكل و
الشرب اي ويقدمه فيهما مطلقا لقوله عليه السلام اذا وضع الطعام فليبدا
باميرالقوم وصاحب الطعام او خير القوم ابن عساكر عن ابي ادريس الخولاني
مرسلا ويقبل اي الضيف لاكرام كتقديم الطست من المضيف او غيره واصله
الطس ابدل من احدي السينين تا وحكي بالشين المعجمة كذا في القاموس
والظاهر انه عجمه فالكرامة لا ترد بل تقبل وقد اجتمع انس ابن مالك وثابت
البناني وهو تلميذه التابعي فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال

له انس

له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل
وروي ان هارون الرشيد دعا ابو معاوية الضرير فصب الرشيد علي يده
في الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية اتدري من صب علي يدك الما فقال
لا فقال صبه امير المومنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك
كما اجللت العلم واهله ولا يطيل انتظار الجمع اي اذا كان هو المتبوع والمقتدى
به فحينئذ ينبغي له ان لا يطول عليهم اذا اجتمعوا للاكل وتهيئوا له فورد فما
لبث ان جا بعجل حنيذ اي مشوي وفيه انه لم يكن هناك من ينتظر فالاستدلال
به فيه نظر ولا يسكت اي حين الاكل فهو سيرة العجم من المجوس لكن لا يتكلم كثيرا
ايضا فانه يوجب الهم وهو سيرة العجم وفي القاموس عجم يعجم عجما وعجوما
سكت من عي او قر او هيبة وابطي فانقبض بل يتكلم بالمعروف ويتكلم
بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها مما يناسب
المقام ويوافق الرفيق بان يوثره احسن الاطعمة ولا يقصد ان ياكل
زيادة علي ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لمرضي رفيقه مهما كان
الطعام مشتركا ويتعهده اي يتفقده في الجملة غير ملح اي في عزمه علي
الاكل فيقول له كل ولا يزيد علي ثلاث اي ثلاث مرات فهو مروي
فقد كان عليه السلام اذا خوطب في شي ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث
رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفي البخاري من حديث
انس كان يعيد الكلمة ثلاثا ولا يحلف اي بتشديد اللام معلوما
او مجهولا فيه اي عن الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه لان
القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه ولا يحوجه اي رفيقه
او مضيفه الي التعهد قال بعض الادبا احسن الاكلين اكلا مع الرفقا

من لا يحوج صاحبه الى تفقده في كل وحمل بعمل عن اخيه مؤنته فقولهم كان
ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته
بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده
دراهم وذلك لزيادة النشاط في بساط الانبساط وقال جعفر بن
محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني
الى تعاهده في الاكل وجمع ما اكل في طست ما امكن اي مهما وسع
نورد اجمعوا وضوءكم بالفتح اي ما الوضوء وهو يشمل اللغوي واللغوي و
الشرعي جمع الله شملكم اي تفرقكم والحديث رواه القضاعي من حديث
ابي هريرة باسناده لا باس به وكان حق المصنف ان ياتي بهذه الجملة قريبا
مما سبق متعلق غسل اليد على طبق النسق والحاصل ان الاجتماع على غسل
الايدي في الطست الكبير لا باس به اذا كان في حالة واحدة بل هو
اقرب الى التواضع والانكسار وابعد عن طول الانتظار فان لم
تفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين من
الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود اجتمعوا على غسل الايدي في طست
واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ولا يرفع
طست من بين ايدي القوم الا مملوة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما
اخرجه البيهقي والخطيب والديلمي عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوت
وخالفوا المجوس وهو بالسافل الراي اي املوها والخادم الذي يصب
الماء على الايدي كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا اي
باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه واحب قيامه
واحب وفي الطست دان يدار بيمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجتمع

الماء

الماء فيه وان يكون الخادم قائما ما بدا وان يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق
حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء
على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يرعك
مني ما رايته مني فخدمة الضيف فرض قلت ولعله ماخوذ من قوله
تعالى وهل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقوله عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقوله اذا اتاكم الزائر
فاكرموه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث انس ويحترز عما يكره
الرفيق قولا اي مما لا يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره وفعلا كالنفخ
اي في الطعام او الشراب لما تقدم وكذا الاشمام الطعام فانه من عمل الانعام
ولا ياكل في الظلمة كما هي منهي عنه وقائما او ماشيا لان فيه دناءة اذا جعله
عادة والنظر الى اكله اي يستحي من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع
اهله ونفض اليد اي في القصعة وتقريب الراس اي وتقديمه عند وضع
اللقمة في فمه واخراج شيء من الفم متوجها اي الى رفيقه او طعامه
واخذه باليمين فينبغي ان يخرج الشيء من الفم صارفا وجهه واخذ بيساره
وجعل اللقمة المصبوغة في القصعة فانه سبب لنفر الطبيعة والدهن
في الخل اي ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن ونحوه في الخل والعكس اي ولا
الخل في الدسم فقد يكره غيره وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها
في المرقة والخل ونحوهما والتكلم بالقاذورات اي الخبيثة والمعنوية والاهوال
اي الاحوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر الاموات والاستئذان اي طلب
الاذن في التقديم اي تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير اليه
قوله تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب اليهم خفية قال الثوري اذا ادرك

فلا تقل انا اكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكلوا والا فادفع والامتناع اي امتناع المضيف والرفيق عن الاكل قبل امتناعه اي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغي ان يمد يده ويقبضها ويبتدي وان قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتدا وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم والرفع اي رفع الطعام قبل استيفايه اي استيفا الضيف غرضه في ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام والاحباب العظام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على الموايد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يساله عن ذلك ويويده حديث جابر عند الازدي في الضعفا ثلاثة لا يسالون عن النعيم الصايم والمتسحر والرجل ياكل مع ضيفه ورواه الديلمي نحوه من حديث ابي هريرة وقد ورد لا تزال الملايكة تصلي على احدكم ما دامت مايدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبراني في الاوسط من حديث عايشة وفي الاحيا روي عن بعض علما خراسان انه كان تقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لناخذ فضله لذلك قال العراقي لم اقف للحديث على اصل وعن علي لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وقبل

مطلب

اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذي من حديث علي وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسماية عام الطبراني من حديث ابن عمرو والتكلف اي تكلف الضيف للضيف كالاستقراض ففي البخاري عن عمر نهينا عن التكلف وفي رواية البيهقي عن سلمان مرفوعا لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه والمعنى انه تقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شي ولم يملك شيا فلا يستقرض لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني لا اتكلف له وانما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت صحبته وملالته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجي فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك وتقديم شي يحتاج اليه العيال اي بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويوذي قلوبهم في ماله وروي ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلاث شرايط لا تدخل من السوق شيا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال اولانساح النفس فانه من جملة التكلف فهو يورث الانقطاع اي انقطاع الصحبة والالفة

والاطعام والصبا فقد قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله
فلا تحدثهم به ولا يرونه منك وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله
فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت
لكم رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان
استزيرت فلا تبقي ولا تذر وعن سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وروى
ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث سلمان لا يتكلفن احد لضيفه
ما لا يقدر عليه وعن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر
من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي
يحتقر ما تقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدم ويقدم اي المضيف
ما يشتهي اي ما يحبه لنفسه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ويشتهيه الضيف اذا علم من حاله ففي الشمائل انه عليه السلام زار بعض
اصحابه فذبح له شاة فقال علموا انا نحب اللحم ويستحسن اذ يشتهي
المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل
ما يقترح قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واحد فجعل
نصفه في القدح فقلت اي شيء تعمل انا اشربه كله في مرة واحدة فضحك
فقال هذا افضل من حجة فورد من صادف اي وافق كما في رواية من اخيه شهوة
اي علمها وقدر عليها فقضاها اي فاطعمها اياه غفر له البزار والطبراني من
ابي الدرداء ومما ينبغي للزائر ان لا يقترح بشيء بعينه فربما يشق على المزور
فروى الاعمش عن ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم
الينا شعيرا وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في الملح سعتر لكان اطيب

فخرج

فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله
الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة
هذا او نحيره اخوه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه ففي الخبر ما خير
عليه السلام بين شيئين الا اختار ايسرهما متفق عليه وتيسيره لديه فلا
باس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي
مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب
في
كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي
الرقعة في بعض الايام والحق فيها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني
ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي
ملحقا في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية
سرورا باقتراح الشافعي عليه وذلك لانه يدل على صداقته كما
يشير اليه قوله تعالى او صديقكم وقد قصد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابي بكر وعمر منزل ابي الهيثم ابن التيهان كما في الشمائل
للترمذي وقال حسن صحيح ومنزل ابي الهيثم ايوب الانصاري
كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف
لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا فالدخول على مثل هذه الحالة
اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف وكان
عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور
عليهم في السنة ولاخر ثلاثين يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة
يدور عليهم في الجمعة ثم اذا دخل ولم يجد صاحب الدار وكان
واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن ماله اذا اكل من ماله فله ان

يأكل بغير إذنه إذ مدار الإذن على الرضى لا سيما في الأطعمة فأمرها على السعة
فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب
غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام دار بريرة
وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة
محلها وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون
ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا
كنا وروي عن الحسن أنه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجرة
تينة ومن هذه عنبة فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل
متاع الرجل بغير إذنه فقال يا لكع اتل علي آية الأكل فتلا إلى قوله أو
صديقكم فقال فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت إليه النفس
واطمأن إليه القلب وجاء قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا
الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني
أخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين فدخل فنظر
إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغيره ذلك فحمله كله وقدمه إلى أصحابه
فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قد أخذه فلان فقال
قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد وهذا من الخصال
الذميمة أن تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت أكلهم لرايهم
فإن ذلك من الهجمة حال الحاجة فقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا
تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه أي
منتظرين حينه ومترصدين نضجه وفي الخبر من مشى إلى طعام لم
يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما البيهقي من حديث عائشة ولأبي

داود

داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا
ويضيف أي بما قدر عليه وحضر لديه فورد لا خير فيمن لا يضيف أحد
من حديث عقبة بن عامر وقال أنس كل بيت لا يدخله ضيف لا يدخله الملا يكرٌ
ومر عليه السلام برجل له إبل كثيرة وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها
شويهات فقال عليه السلام انظروا إليهما إنما الأخلاق بيد الله تعالى
لمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق
من رواية أبي المنهال مرسلا وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي
ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله لا سلفه
إلا برهان فأخبرته فقال عليه السلام والله إني لأمين في السماء أمين
في الأرض ولو أسلفني لأديته اذهب بدرعي إليه ارهنها عنده رواه
ابن مردويه في تفسيره وإسحاق بن راهويه في مسنده فإن قلت
قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع قلت فعله إذا لم يكن له
ما يستغرقه ويخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمد هذا وكان إبراهيم
الخليل إذا أراد أن يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغدى معه وكان
يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته
في مشهده إلى يومنا هذا في بلده فلا ينقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة
من ثلاثة إلى عشرة إلى مائة ويقصد به أي بإطعامه إلا تقربا من الفقرا
إعانة على البر وزيادة الطاعة فقد ورد في دعائه عليه السلام أكل
طعامكم الأبرار وفي قوله لا يأكل طعامك إلا تقي وقد تقدما دون
الأغنيا ولو كانوا من الصلحا فورد أنه أي عكسه شر الطعام يدعى به

حديث شر الطعام الوليمة تدعى اليه الاغنيا دون الفقراء متفق عليه من حديث
ابي هريرة ولا يهمل الاقربا اي لا يتركهم في الطلب لضيافة الغربا و
الاخوان اي الاحباب من الصلحا لقوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين فلا يخص بعضهم بل يعمهم تحاميا عن الوحشة اي النفرة
عن القبيحة وقطع الرحم لا سيما اذا كان المدعو ابعد في النسبة وينوي اي
بالضيافة استمالة القلوب اي ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة
الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوي اكرام اخيه المومن اتباعا لقوله عليه
السلام من اكرم اخاه المومن فكانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه
امتثالا لقوله عليه السلام من سر مومنا فقد سر الله عز وجل ابن حبان والعقيلي
في الضعفا من حديث ابي بكر الصديق واقامة السنة اي الطريقة الحسنة
دون المباهاة اي لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الريا والسمعة ولا
ارادة العوض وحمل المنة ولا يدعو من يستثقل الحضور اي حضور مجلس
الضيافة او محفل الجماعة لان الثقيل مثل كالعليل ولا من يتاذى به
الحاضرون كالمبروص وصاحب الجذام او من يكثر الضحك والكلام ويبحث
بالشدة مع العلماء الاعلام ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم بل على
الاثام وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان ويجيب اي دعوة الداعي الى وليمة ونحوها اذا قدر ناويا اكرام
المومن فورد من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله لان المومن مراة المومن و
الحديث رواه الاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلي
من حديث ابي بكر واسراره اي تفريحه فورد من ستر مومنا فقد ستر الله
وقد تقدم والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله

ورسوله

ورسوله كما في المتفق عليه من حديث ابي هريرة واقامة السنة فهي موكدة
اي قريبة للوجوب او الاول دليل قولي والاخر دليل فعلي فلا يميز الغني با
لاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن
اصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة مذلة وقال اخر اذا وضعت
يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان
محله اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض
الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك فانه يسلم اليك
الوديعة ويرى لك في قبولها الفضل والمنة وقال سري السقطي اه على
لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا للمخلوق فيها ويتعلل اي ويتعذر ويابى
بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك لا لاستثقال الداعي الاطعام و
انما هو حيا من بعض لا لانه قصده المباهاة اي ولا دابه المفاخرة فليس
من السنة اجابة من يطعم مباهاة او تكلفا فروى ابو داود من حديث ابن
عباس من انه عليه السلام نهى عن طعام المتباريين اي المتباهيين كما في رواية
العقيلي والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والريا كما قاله ابو موسى
المديني والنخامي اي ويتعلل ايضا للاحتراز والاحتراس عن ارتكاب معصية
او مما يوجد عند الداعي ككون الشبهة اي النوبة في الطعام والمنكر في المجلس
اي من مناكر الايام من فرش ديباج او انية فضة او تصوير حيوانات
على حايط او سماع شيء من المزامير والملاهي او تشاغل بنوع من اللهو و
الهزء واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها
او كراهتها وكذلك اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او
شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والريا والسمعة فلا يجاب له الدعوة فا

لبنية

اي تصحيحها او تحسينها انما تؤثر في المباح فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في تغييرها النية فلا يصح لمن اراد سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب الخمر او سماع المزامير ونحوها اي لا يتعلل بنقصان الجاه اي في المدعو ولا لفقر الداعي فهو اي كل منهما تكبر وكان عليه الصلاة والسلام مع كمال عزه وجمال جاهه يجيب دعوة العبد والفقير وفي الاحيا المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس في اصل الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجة من حديث انس وضعفه الترمذي و صححه الحاكم وفي ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة خياط كما في الشمائل ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض وهم ياكلون وكان راكبا على بغلة فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغدا يا ابن بنت رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم ولا اي لا يتعلل لبعد المسافة اذا اعتيدت اي الدعوة اليه والاجابة لديه فورد اي في البخاري من حديث ابي هريرة لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وتمامه ولو اهدي الي ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن في المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما في الاحيا وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور اليها في الاجابة او اريد بذكره غاية المبالغة لان العراقي قال ذكر الغميم ولا يعرف ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذي

من حديث

من حديث انس لو اهدي الي كراع لقبلت ولا الصوم ولا يتعلل لاجل صومه فيفطر ان كان نفلا اذا الح اي قبل الزوال فاسرار المؤمن اي فرحه بفطره يعدل الصوم مع ان الصوم له قضا بخلاف كسر خاطر من له وفا فانه جفا وورد تكلف لك اخوك اي بطبخ الطعام وتقول اني صائم قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاتاني هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم اني صائم فقال عليه السلام دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطني نحوه من حديث جابر والا اي وان لم يفطر فضيافته بالفطر اي طيب المقام وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوها من اصناف الاكرام ويجلس حيث يجلس فانه قد يكون رتب في مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لديه تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يترفع فهو تواضع فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الاخلاق وابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد ثم يخص من يجيبه بالسلام والكلام ولا ينظر الى الجانب ياتي منه الطعام فهو شره اي دال على حرص في الاكل ولا يطيل اي الضيف انتظار المضيف اي اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت ولا يعجل اي الضيف في المجي قبل الاستعداد اي استعداد المضيف الطعام وتهيئة المقام ويغير منكرا ادى ان قدر اي على تغييره بيده والا اي وان لم يقدر تغييره باليد ينكر باللسان ويرجع اي ولا يقتنع بانكار الجنان فان ذلك من اضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل اذا راى مكحلة راسها

منقش فينبغي ان يخرج وكذا اذا راى على حيطان البيت ستورا من الديباج
كما تستر الكعبة ويبتدي المضيف بالغسل اي بغسل الايدي تحاميا عن
تنفر الشامة قبل الاكل فانه داع فيكون كالمؤذن يتوضا قبل اذانه تقلد
غسل مالك يده قبل الطعام وقبل النوم وقال الغسل قبل الطعام لرب
البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ولا يخفى ان هذا عيب
في عرف زماننا ان كان في المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس
له او في اخره تواضعا ويتاخر اي في غسل اليد بعده اي بعد فراغ الاكل
انتظارا للداخل اي من ياكل معه وتعظيما للضيف اي بالتاخر لانه تواضع
القوم من التمام على ركبتيه ومد يده الى الطعام بين يديه واكل وقال
بسم الله ما عدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه
ويقدم ما يكفي اي من الطعام فالنقص عن قدر الكفاية ترك المروة اي
مع وجود القدرة والزيادة على قدر الحاجة ربا الا ان يجيز الزهاب به
اي بطيب نفسه باخذ ما فضل من الطعام او نوى ان يتبرك بفضلتهم
وقد احضر ابراهيم ابن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفيان يا ابا اسحق
اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابراهيم ليس في الطعام اسراف ولعل
ذلك لانه ليس في تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لا خير في سرف ولا سرف
في خير فهو من قبيل المباحات والمذموم بنية المباهات فان لم يكن بنية
صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من
يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك
وكان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط
لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع بل حد الكفاية

والقناعة

والقناعة وجيزا ولا اي يعوز من الطعام ابتدا انصبة العيال تحاميا عن
اهتمامهم اي لئلا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فيضيق
صدورهم ويطلقون في الضيفان السنتهم ويقوم شرورهم فيكون قد
اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك خيانة في حقهم ولا يرفعه اي
ما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة
لما فيه نوع من المزلة الا ان يعلم اي الضيف بقرينة الحال بسروره اي بفرح
المضيف اذا اخذه بفرحه حينئذ وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغي
ان يوخذ شيء هنالك الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب
راض به واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي
ان ياكل واحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء لا من كراهة
وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير المضيف بينهما لانه عليه السلام
كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على المضيف الا
اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعي في بيت الزعفراني واذا بات
اي اقام عنده في الليل يريه القبلة اي يعلمه المضيف اي جهة الكعبة والمتوضا
اي محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعي وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد
ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة في وقته ويكرمه اي المضيف الضيف بما امكن
من انواع الاكرام فورد اي عنه عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر
اي بجميع ما يجب الايمان به واكتفى بطرفي المومن به فليكرم ضيفه متفق
عليه من حديث ابي شريح وهو اي اكرامه اولا باظهار الانبساط والسرور
اي الفرح في مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وساير اوقات
الصحبة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث

وقال زيد ابن ابي زياد مادخلنا على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا
حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه بعد السلام قبل
الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد المعنيين في قوله تعالى ضيف ابراهيم
المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي
ذهب بسرعة او بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجل
كذا في الاحياء والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويوخذ منه العجلة
اشارة وقد ورد الاناة من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذي
من حديث سهل ابن سعد الا ان ابا داود روى من حديث سعد بن ابي
وقاص التؤدة في كل شيء الا في عمل الاخرة قال الاعمش لا اعلم الا انه رفعه
وصب الماء اي ويكبه المضيف على اليد اي يد الضيف وهو احد المعنيين
في الاية السابقة وقد وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام
يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا
لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم والتشييع الى الباب اي باب
الدار قال عليه السلام من السنة المضيف ان يشيع الى باب الدار كذا في
وسكت عنه مخرجه واخذ الركاب اي ركاب الضيف للركوب فالكل ماثور
والاخير مروي عن فعل ابن عباس بزيد ابن ثابت ويرجع الى الضيف فرحا
اي في نفسه وان قصر في حقه اي ولو قصر المضيف في حق الضيف برضا المضيف
متعلق يرجع فهو حسن الخلق اي في عشرة الخلق ورد حديث حسن واسناده
حسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن ولا يكون
اي لا يبيت الضيف ولا يقيم اكثر من ثلاثة ايام تحرزا عن الشامة الموجبة
للملام وورد في الصحيحين من حديث ابي شريح الخزاعي الضيافة ثلاثة

ايام

ايام وما زاد صدقة يعني ان شاء فعل وان شاء ترك الا ان يلح اي يبالغ المضيف
على الضيف بالقعود عنده زيادة على الثلاثة ويعرف انه من صميم قلبه وطيب
نفسه ويعد فراش الضيف اي يهيئه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان مسلم من حديث
جابر ويستاذن كل اي من الضيف والمضيف صاحبه في صوم النفل فهو ما ثور
ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء او نذر وعن عايشة في رواية الترمذي من
نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم ويرسل الطعام لاصحاب المصيبة
اي بموت بعض الاقارب فامر عليه السلام به اي بارسال الطعام المسمى
بالوفة في لسان العوام لال حمزة اي عمه وجعفر اي ابن عمه وهو اخو
علي ابن ابي طالب من ابيه وامه في وقت شهادتهما الا ان يكون اي
هناك منكرا كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة تحرزا
عن الاعانة على الاثم اي المعصية وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والحديث معروف في جعفر دون حمزة فروى
ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن
انه لما جاء نعي جعفر ابن ابي طالب قال صلى الله عليه وسلم ان ال جعفر
شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون ويجتنب طعام السلطان
اي اكله فانه لا بد فيه نصيب من الشيطان ويقبل اي طعامه لو اكره على
قبوله او اكله فقد ورد رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس واذا ابتلي به فليقلل
من اكله ولا يقصد الاجود اي الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة
الهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لا سيما اذا كان الطعام فيه نوع من

الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام السلطان فقال كنت
مكرهًا فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقم وما كنت مكرها على ذلك واجبر
السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل واخلي التزكية او ازكي ولا اكل فلم
يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما
في السجن وكانت له اخت في الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يدي السجان
فامتنع من اكله فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءني على
طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع ونحو الثوم اي ويجتنبه
والبصل والكراث اي وسائر البقول التي لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان
يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة لا سيما يوم الجمعة لكثرة الجماعة
فهو منهي عنه لتنفر الملائكة والناس من ريحه ولذا يستحب التطيب في
حضوره والاكل اي ويجتنبه في السوق وفي معناه محضر جماعة من المسجد
وغيره فهو دناءة اي دالة على قلة المبالاة وعدم ديانة فقد حكي عن ابراهيم
النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة وفي الاحياء واسند الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبراني من حديث ابي امامة
وهو ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث ابي هريرة انتهى
وتعدد طرقه مما يرتقيه الى حسنه كما لا يخفى واما قوله في الاحيا فقد نقل
ضده عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام رواه الترمذي وصححه فلا يظهر وجه التضاد
اذ يمكن المشي والقيام ان يكونا في غير السوق واما قوله تعالى ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فانكارهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما
فمعنى قولهم ياكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشي في الاسواق لاحتياجه

الي

الى المبايعة لا ينبغي التواضع وهضم النفس وفيه ان الكراهة لما فيه من
الدلالة على الدناءة باكله في نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة الغيبة بهذه
النية وقد صرح الائمة بقدح ذلك في الشهادة والاحتما اي ويجتنبه في الصحة
فهو يضر اي في الصحة كتركه في المرض فان وجود الدوا من كل الادوا وقيل
من احتمى فهو يتقي من المكروه وعلى شك من العوافي ومن اللطايف انه راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال
اتاكل التمر وانت ارمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني
الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجة من حديث
صهيب باسناد جيد ويمقل الغاف اي يغمس الذباب الواقع في الشراب
ثم ينقل اي يخرج الذباب ففي احد جناحيه دا والاخر دوا رواه البخاري وابن
ماجة عن ابي هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه
ثم لينزعه فان في احد جناحيه داء وفي الاخرى شفاء ويذكر الجايع حال اكله
وقت شبعه ويقول اللهم لا تواخذني بحق الجايعين وحساب يوم القيمة
فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة
ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم بل ولا يصاحبهم ولا يجاورهم بل الاتقيا
من الابرار والعلماء من الاخيار فهو يورث الحكمة اي وانواعا من الاسرار
المنضمة الى الانوار الجمة ولا يواظب على البر اي اكل عيش الحنطة ثلاثة ايام
فهو المروي اي في الصحيحين عن ابي هريرة ما شبع ال محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا
حتى قبض ويأكل الشعير فهو اكثر طعام الانبيا عليهم السلام وعن ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت المتتابعة واهله طاويا لا يجدون
عشاء وكان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه ويخلط البر اي بالشعير

الليالي صح

في اكله فهو سبب البركة ويأكل من التمر الاوتار اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا فورد من يصبح بتمرات عجوة هو جنس من تمر المدينة او غيرها لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر احمد والشيخان وابو داود عن سعد ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق اي مشترك بينه وبين رفيقه وكف اي ولا كف لتعذر صاحبه بكل يجعله اي النوى من الفم في ظهر اليد اي لا في بطن الكف واصابعه فيلقي اي في مكان يليق وكذلك نحوه اي نحو التمر او نواة من الخوخ والعنب وكذا فضلات التين والرطب في رواية عبدان وابي موسى عن اسحق انه عليه السلام نهى عن فتح التمرة وقشر الرطب ويقدم الثمار اي اكل الفاكهة الرطبة فورد اي في وصف ما في الجنة وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون والاستدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان يقع في اسفل المعدة وفيه ايضا الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى يستوفي منه من يريده ولا يكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستانف حركة الشهوات المصادفة للطيف بعده وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار الاكل والوسعة ثم الافضل بعدما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه في مقام المرام قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضى عن الله عز وجل من جميع الجهات وتتم هذه الطيبات بشرب الما البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد في الدعا النبوي اجعل حبك الي من الما البارد وقال بعضهم اذا كان

جزك جيدا او خلك حامضا وماوك باردا فهو كفاية وقال اخر الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان ويأكل ما اصاب اي من الثمار في مواسمها فهو المروي لانه سبحانه ما خلقها في تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها وفي الاحيا ويأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شوا اكله وان وجد خبزا برا او شعيرا اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد رطبا اكله ويجوع النفس اي يروضها ويهذبها بتقليل الاكل لوليمة الفردوس وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين في الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضا للمولى ولله در القايل • ويلهيك عن دار الخلود مطاعم • ولذة نفس غبها غير نافع • فقد ورد اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى فكان عليه السلام يعقد الحجر اي يربطه على البطن اي بطنه من الجوع اي من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه في جمع الوسايل بشرح الشمايل ويجتنب الشرب في اثنا الاكل اي لمنع ارباب الحكمة الا لتعلق لقمة او صدق عطش اي لكثرة حرارة فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى كلوا واشربوا وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكري قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى ان الصفا والمروة وقوله عليه السلام ابدوا بما بدا الله سبحانه ولا يكثر اي من الشرب بعده فهو يقلل الهضم لانه يبرد المعدة ويمسكها بل يصبر قدر ساعة ونحوها ويأخذ الكوز باليمين لما ورد من ان الشيطان يشرب بشماله كما في مسلم وغيره ويشرب في ثلاث انفاس لما في

وغيره عن انس انه عليه السلام كان اذا شرب تنفس ثلاثا ويقول هو اهنا
وامرا وابرا وفي رواية الترمذي وابن ماجة عن ابن عباس كان اذا شرب
تنفس مرتين فتحمل القضيتان على مرتين والاولى اكثر واظهر واشهر مفتتحا
بالتسمية وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه عليه السلام كان اذا
شرب يتنفس في الاناء ثلاثا يسمي عند كل نفس ويشكر في اخرهن ابن السني
والطبراني ويقول الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا
اجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسلا من رواية ابي جعفر محمد بن علي
بن الحسين ومختتما بالتحميد في كل اي كل نفس وهو السنة اي كمالها
والا فالسنة المعروفة هو التسمية في اول الشرب والتحميد في اخره
وورد عن انس برواية الديلمي مرفوعا مصوا الماء مصا اي اشربوه قليلا
قليلا يشبه مصا وفي رواية ابي داود عن عطاء ابن ابي رباح اذا شربتم
فاشربوا مصا ولا تعبوه عبا اي ولا تشربوه كثيرا يشبه عبا فان الكباد
بالضم وهو وجع الكبد من العب اي من هذا النوع في الشرب وفي رواية
البيهقي عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام نهى عن العب نفسا واحدا
وقال ذلك شرب الشيطان من انية الخزف متعلق بيشرب اي من الكوز الفخار
ومن الخشب وهو القدح وهو الانسب والى شرب العرب اقرب ثم بيده اي
ثم الافضل اي يشرب بيده فهو افضل من الكرع اي من الشرب بفمه وغيره
اي وغير ما ذكر كما يشرب من انية النحاس والصفر واما من انية الذهب
والفضة فبالاجماع حرام على الذكور والنساء لا قايما كما في حديث مسلم عن انس
وغيره وروى عنه انه شرب قايما كما في الصحيحين عن ابن عباس وحمل على
عذر او بيان جواز او اختصاص بماء زمزم ولا مضطجعا لانه خلاف السنة

والحكمة

والحكمة الا للضرورة وينظر فيه اي في الماء والكوز قبل الشرب منه حتى
اذا كان فيه اذى دفعه عنه ولا يتنفس فيه اي في داخل الاناء بل يتنفس
خارجه في الاثناء كما سبق به الايماء وورد في الشمايل وغيره ويحفظ اسفله
اي اسفل الكوز عن الترشح عليه اي على بدنه وثوبه وغيره مما يكون مكروها
لديه فالكل ماثور ويترك اي تطلب البركة بسور المسلمين فورد سور المؤمن
شفاء هكذا اشتهر على الالسنة ويستانس له بقوله عليه السلام من التواضع ٢٢١
ان يشرب الرجل من سور اخيه رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عباس وقال
القاضي عياض في شرح حديث ام زرع ويروى عن جرير ابن عبد الله انه قال
لبنيه اذا شربتم فاسروا اي اتركوا في الاناء سورا وهو بقية الشراب في حديث
اخر فانه اجمل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا خير في
طعام ولا شراب ليس له سور وفي الحلية عن ابن عمر انه عليه السلام كان يبعث
الى المطاهر اي السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة ايدي المسلمين
ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله اعلم ولا يرد الماء اي ماء زمزم
او مطلقا تعظيما للنعمة ولا يعرض اي الماء على غيره تكثيرا للمنة ويدار الكوز
وكذا القدح والملعقة في الاكل والشرب والطست في وقت غسل اليد بالايمن
فقد شرب عليه السلام لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية
فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن مالك واحمد والجماعة
عن انس ويختار الثوب الابيض اي للبسه يوم الجمعة ويوم العيد فيهما ربما
فيه الغنيمة اكثر والزينة اظهر فهو اي البياض احب الالوان اليه صلى الله عليه
وسلم كما في شمايل الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البياض
فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم وعن ابن عباس رفعه عليكم بالبياض من

الثياب ليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وكان يلبس الثوب الاخضر اي احيانا كما في الشمائل والمراد به البحت لانه من ثياب اهل الجنة او البرد الذي فيه خطوط خضر واما ما ورد انه لبس الاحمر فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلبسه الحبرة وهو بوزن العنبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر او خضر او زرق والصوف اي في بعض الاحيان باي لون كان من الالوان وينوي فيه اي في اللبس ستر العورة اي بالازار والتزين لتودد المسلمين اي بلبس الردا ونحوه من العمامة والقبا والعبا وقد قال تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ويبدا بالايمن في لبس كل شي من نحو القميص والخف والنعل وغيرها وبالايسر في النزع اي نزع كل شي كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شانه كله رواه احمد والجماعة عن عايشة وفي الترمذي عن ابي هريرة كان اذا لبس قميصا بدا بميامنه ويفتتح اللبس بالتسمية ويختم اللبس بالتحميد كما هو معروف من شمائله عليه السلام ففي الشمائل عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اي بعد التسمية والبسملة اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسالك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وفي رواية ابي داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ويلبس السراويل قاعدا اي كالخف كيلا تصيبه افة اي من جهة وقوعه على جانب او دابة ولا يسبله اي لا يسدل ثوبه من القميص والسراويل والازار

ونحوها

ونحوها الى ما تحت الكعب فانه اي فان اسباله اليه الوعيد بالنار فقد ورد الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة ابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابن عمر بل يرفع الى نصف الساق فهو افضل بالاتفاق وفي رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق او الى الكعبين لا خير في اسفل من ذلك وفي رواية ابن سعد عن يزيد ابن ابي حبيب مرسلا كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورايه وفي رواية الترمذي في الشمائل ويقول انه اتقى وانقى وابقى ويبدا بلبس القميص قبل كل شي لانه استوجب يقوم مقام الازار والردا فعن ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه الترمذي في الشمائل وفيه ايضا ان كمه عليه السلام كان الى الرسغ ويلبس الخشن اي الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة اي فعلا وقولا وفي رواية الترمذي والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها فورد اي عن بعض السلف من رق ثوبه اي لطف رق دينه اي ضعف فكانهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب اخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيامة رواه احمد وابو داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا وفي رواية البيهقي عن ابي هريرة وزيد ابن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد ولا ينزع اي

ثوبه حتى يرقعه فهو السنة لانه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف
النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس
مني رواه ابن عساكر عن ابي ايوب ويكسو المنزوع فقيرا ليكون في حرزه تعالى
ففي رواية احمد عن عمر من استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته الحمد
لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب
الذي اخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا
وميتا ولا يتخذ ثوبين اي من جنس واحد كازارين ورداين وقميصين زهدا
في الدنيا ويتصدق باحدهما ان اجتمعا ميلا الى ثوابه المعنوي واما حديث
صاحب القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا اصل له ويتعمم فالعمايم
تيجان العرب اي انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمايم فيهم وفيه اي في
لبس العمامة الوقار اي ظهور العظمة منهم ففي الفردوس للديلمي عن ابن
عباس العمايم تيجان العرب فاذا وضعوا العمايم وضعوا عزهم وفي رواية
الماوردي عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين
يعطي يوم القيمة بكل كورة يدورها على راسه نورا ويرسل الذيل اي ذيل
العمامة المسمي بالعذبة بين الكتفين وجوز في احدى الشقين مما يلي
الاذنين الى قدر الشبر او موضع القعود او نصف الظهر وهو وسط مرضي
اي عند المص والاول اشهر واكثر واظهر والكل مروي وقد جمعته في
رسالة مستقلة ويستجد اي يلبس الجديد ليلة الجمعة او يومها وهو
المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن
حبان ويلبس ما اصابه اي وجده من جديد او غيره من غير تعلق بنوع
منه او تقيد بصنف منه ما لم يرد نهي عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر

ما لم يكن من احد الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الاخرة متفق عليه وفي رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة
الشيطان وفي رواية ابن ماجة عن ابي ذر من لبس ثوب شهرة اعرض الله
عنه حتى يضعه متى وضعه وفي رواية ابي داود وابن ماجه بسند حسن عن
ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب
فيه النار ونهى عليه السلام عن لبستين المشهورة في حسنها والمشهورة
في قبحها الطبراني عن ابن عمر وينفض الخف قبل اللبس اي ندبا فقد ان يكون
فيه ما يوذيه من دابة او غيرها ويقعد في لبسه ونزعه خوفا من وقوعه
ويحتفي احيانا تواضعا اي لله سبحانه لقوله والله جعل لكم الارض
بساطا وقوله الم نجعل الارض مهادا افهو الاحتفا ماثور اي عن
الصحابة وسلف الصالحين ومنهم بشر الحافي ومن كراماته ان الدواب
في سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيهما استنزل
على هاماته ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور لانه اخذ من قوله
تعالى صفرا فاقع لونها تسر الناظرين وورد من لبس نعلا اصفر اقل همه
ذكره الكشاف عن علي ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل في سرور
ما دام لابسها بدل اقل همه ويتطيب اي ويستعمل الطيب وافضله المسك
وماء الورد والعود ولا يرد الطيب كذا رواه احمد والبخاري والترمذي و
النسائي عن انس وفي صحيح مسلم وابي داود وغيرهم من عرض عليه طيب
فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرايحة والترمذي عن ابن عمر مرفوعا
ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب فهو اي كل من التطيب وعدم رد
الطيب المروي اي عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا

انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا اقبل يعني سواء تطيب او لم
يتطيب كما قرر في محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته في الطيب كما يدل
عليه حديث حبب الي من دنياكم الطيب والنسا ولا حب من الطيب للرجل
ما خفي لونه وظهر ريحه كالورد والمسك وللمراة ما ينعكس اي ما ظهر لونه
وخفي ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد الخروج والا فلا
حرج عليهما في داخل بيتهما والحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة والطبراني
والضيا عن انس مرفوعا بلفظ طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب
النسا ما ظهر لونه وخفي ريحه ويجتنب الحنا اي الخضاب به في يده ورجله
فهو تشبه بالنسا لانه سنتهن اي عادتهن او لانه سنة في حقهن فقط
وورد كان يكره ان يرى المراة ليس في يدها اثر حنا او خضاب البيهقي عن
عايشة وفي رواية احمد وابي داود والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس لعن
الله المتشبهات من النسا بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنسا والنمص
وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير والانتماص قلعه من وجه نفسه او طلبه
من غيره وفي النهاية النامصة التي ينتف الشعر من الجبين والمتنمصة
التي تامر من يفعل ذلك فهو اي ما ذكر من الفعلين منهي عنهما فورد لعن
الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
الله احمد والستة عن ابن مسعود ولا يبني اكثر من سبعة اذرع في الارتفاع
لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف الزيادة وفي الخبر من بنى فوق ما يكفيه
كلف يوم القيامة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقي في الشعب
وابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد فورد فيه
اي في حق من فعله نودي الى اين يا فاسق وفي رواية يا افسق الفاسقين لانه

بنا القصور والصرح تبت عن شداد وفرعون ذي الاوتاد وورد رواية ابي
داود عن انس مرفوعا من بنى فوق عشرة اذرع ناداه مناد من السما يا عدو
الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف ويبنى فيه اي في بنايه التعبد
اي الموضع الذي يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره ودفع الحر والبرد
ففي الخبر ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد
بها صلبه وثوب يواري بها عورته احمد في الزهد والبيهقي عن الحسن
مرسلا لا يبالغ فيه اي في استحكام بنايه بالجص والنورة فاول من بنى
بالاجر فرعون وهامان وقد قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة اي محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق
الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في
هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني به قول فرعون فاوقد لي
يا هامان على الطين اراد به الاجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقي
في الشعب عن ابي هريرة والزبير مرفوعا وابو نعيم في الحلية عن ابي ذر
موقوفا واحمد في الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره
فلم يضع عليه السلام لبنة بكسر لام فسكون موحدة على لبنة ولا قصبة
على قصبة اي وانما بنى الحجرات من الحجارات ولكن في السير ذكر انه اشتغل
اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات ويبدا يوم الاحد
لانه سبحانه بدا فيه بخلق الارض والسموات كما حقق في تفسير قوله تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ويتخذ موضعا
للوضوء والغسل اي على حدة وموضعا للبول والغايط اي منفردا وكان

مقتضي الترتيب ان يعكس الموضعين لان المقصد بهما قضا الحاجة واراد
النظافة وموضعا للضيافة فورد انه اي بنا موضع الضيافة فذكاة م
البيت اي صدقته اي زكاته ونماوه وبهاوه وضياوه وقد سبق لا خير
فيمن لا يضيف وضع فراش للضيف ولا يتوطن اي لا يتخذ وطنا في دار
الحرب اي بلاد الكفر فورد انا بري من كل مسلم مقيم بين ظهراني المشركين
اي في دار الكفار قريب بفتح النون ولا يجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل
الظهر مقحما واشعارا بانه مظاهرهم ثم زيدت الف ونون في لفظ الظهر
تاكيدا وكان القياس كسر النون كما في الرباني والجباني الا انه اريد ههنا
به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراه مكفوف من جانبيه
وحواليه واذا بولغ قيل بين اظهرهم ثم كثر حتي استعمل في الاقامة بين
القوم مطلقا ترااي نارهما اي يترا اي نار المسلمين والمشركين من كمال
قربهما وفيه تنبيه علي عذر من سكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته
علي الانتقال من ابعدهما الي اسعدهما فقد قال تعالي الذين تتوفاهم
الملايكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الاية والحديث رواه ابو داود
والترمذي من حديث جرير انا بري من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين
قالوا يا رسول الله ولم قال لا ترااي نارهما والمعني لا ينبغي ان يتقارب
نارهما بل ينبغي ان يتباعد دارهما واما قوله عليه السلام لا هجرة بعد
الفتح فمعناه لا هجرة واجبة من مكة وغيرها الي المدينة بعد فتح مكة واستقرار
الاسلام وينظف اي البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات
ولا يكسو اي جدران البيت بالستارات ولا يزخرف اي بانواع الزينات

فانها من

فانها من الامور الغايبة المشتغلة عن احوال الباقية وقد نهي عليه السلام ان
يشير الجدر رواه البيهقي عن علي ابن حسين مرسلا وقال تعالي ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و
معارج يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل
ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد ورد لو كانت
الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقي منها كافرا شربة ما الترمذي وغيره
عن سهل بن سعد ويقرا عند الدخول اية الكرسي لانها اية الحفظ والاخلاص
فانه اي قرااتهما وقراة كل منهما يورث الغنا اي عن السوي لاشتمالها
علي توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراة الفاتحة انسب فان فيها رايحة
الابتدا والحمد والشكر والثنا فاتحة ويغلق الباب ليلا اي بعد المغرب او العشا
مسميا لان الشيطان لا يفتح بابا اغلق عليه وسمي لديه مبادرا اي مبتديا بردا
لمصراع الاول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير
الغلق ويرخي الستر اي فيما لم يكن له باب يغلق ويطفي النار ففي الصحيحين
وغيرهما عن جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اي اوله فكفوا صبيا نكم
فان الشياطين تنتشر حينيذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم
واغلقوا الابواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لا يفتح بابا
مغلقا واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا انيتكم واذكروا اسم
الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم وفي رواية الطبراني
والحاكم اذا نمتم فاطفئوا المصباح فان الفارة تاخذ الفتيلة فتحرق
اهل البيت الحديث وفي الحديث عن ابن عمر لا تتركوا النار في بيوتكم
حتي تنامون ويتوضا اي يتطهر للنوم ففي الخبر اذا اتيت

مضجعك فتوضا وضوك للصلاة رواه الستة عن البرا تكون رويا صادقة
وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك ويستاك اي عند النوم
لانه من اكمال الطهارة والنظافة ولان النوم اخو الموت وبين للمحتضرات
يستاك كما فعله عليه السلام ويعد الطهور بفتح الطا اي يهيئ ما يتطهر به
والسواك اي عند راسه وينوي القيام اي للتهجد في وقته فلكل امرى ما
نوى ونية المومن خير من عمله ويستاك كلما استيقظ فكانوا اي بعض
السلف يفعلونه ويضع وصيته اي بماله وعليه مكتوبة تحت الراس اي
قريبا متحاميا عن هجوم الموت اي مجيئه بغتة دونها اي من غير
وصية وقد ورد ما حق امرئ مسلم له شي يريد ان يوصي فيه يبيت
ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر وروي من لم
يوص لم يوذن له في الكلام مع الموتى وروي ترك الوصية عار في الدنيا ونار
وشنار في العقبى ويتوب عن الذنوب فلعله يكون اخر حياته فيصير
صالحا عند مماته وينوي الخير للمسلمين اي ينوي ليستنجوا عن ايذايه او
لينفعهم عن انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة ليغفر له اي بسبب النية
او التوبة ولا يبسط الفراش النعيم اي اللين الناعم قطعا لمغلبة النوم والا
نس بالترفه اي بالتنعم الزايد ففي الشمايل سئلت عايشة ما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت من ادم حشوه ليف وسئلت
حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت مسحا بكس
الميم اي فراشا خشنا من صوف نثنيه فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت
لو ثنيته اربع ثنيات كان اوطا له فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال
ما فرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو

اوطالك

اوطا لك قال ردوه لحالة الاولى فانه منعتني وطاته صلاتي الليلة ولا
يواظب عليه اي لا يداوم بالنوم على مطلق الفراش بل ينبغي ان ينام تارة على
الحصير كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابي تراب فهو المروي
اي عن النبي صلى الله عليه وسلم والولي وينفضه اي فراشه قبل الاتيان
اي قبل قعوده لئلا يلقى ما يوذيه في حال رقوده ففي صحيح فليأخذ داخلة
ازاره فلينفض بها فراشه وفي اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للمبالغة
في الاحتراس عن الموذيات ويستقبل القبلة وجهه واخمصه وفي نسخة
واخمصاه اي بطن قدميه اليها فيكون هيئة الاستلقا فقيل هو نوم الانبيا
وقيل هو اردى النوم ولا يضر الاستلقا عليه للراحة من غير نوم واردى منه
ان ينام على وجهه منبطحا ففي سنن ابن ماجه انه عليه السلام مر برجل في
المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم او اقعد فانه نومة جهنمية
ولكن المعروف في كتب الحديث ما ذكره بقوله او يكون كالملحود وهو بان يضع
يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما في مسلم وغيره ويقول
باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وان
ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة ويقرا اية
الكرسي لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو في صحيح البخاري وروا
الطبراني عن ابن مسعود من قرا عشر ايات من اول البقرة واية الكرسي واثنتين
بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح واثنتين من
اخر البقرة فروى الاربعة عن ابن مسعود الانصاري مرفوعا من قرا الايتين
من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اي من قيام الليل او من كل مكروه وقال
النووي في الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر ابن ابي داود باسناده عن

علي

رضي الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرا الايات الثلاث
الاواخر من البقرة قال الابتدا من قوله لله ما في السموات وما في الارض شهد
الى الاسلام اي شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام والهكم اله واحد الى
يعقلون اي لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من
السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون وان
ربكم الله الذي خلق السموات الاية تمامه والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا
وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وقل ادعوا الله الاية او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وعشرا من اول الكهف وهي بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر
باسا شديدا من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا
حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من
علم ولا لابايهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض

زينة

زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وهي
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اوليا انا اعتدنا جهنم للكافر ين
نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اوليك الذين كفروا بايات ربهم
ولقايه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاوهم جهنم
بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله
مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمعوذتين بكسر الواو
وبفتح يقراهما اي اولا كما في رواية فينفث على اليدين بضم الفاء وبكسر اي
ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفي رواية
البخاري والاربعة عن ابي هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرا قل هو الله
احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ويمسح الوجه والبدن
وفي رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه
ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ما استطاع من ثلاث مرات
ففي الكل فضايل ويذكر الموت لان النوم اخو الموت والنشور لانه قيام من
القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام
اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد
ما اماتنا واليه النشور وفي الطبراني وليقرا قل يا ايها الكافرون ثم نم على البعث م
خاتمتها فانها براءة من الشرك وفي رواية البزار عن انس اذا وضعت

جنبك على الفراش وقرات فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت
من كل شيء الا الموت وفي رواية احمد عن شداد بن اوس ما من رجل ياوي
الى فراشه فيقرا سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من
كل شيء يوذيه حتى يهب متى هب وينام على ذكره تعالى اي في قلبه غير مشارك
لربه وذكره اي بلسانه مقرونا بجنانه وهكذا اي في جميع شانه كلما يستيقظ
وينام اي في زمانه فهو علامة حبه تعالى يحتمل اضافة المصدر الى فاعله
ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه والعز
بالعناية السابقة المترتب عليها اللاحقة وخير العاقبة اي وامارة حسن
الخاتمة فان النوم كالموت في الحالة المسالمة ولا ينام وحده اي منفردا
عن اهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه او المعنى لا ينام وحده في
بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن الوحدة
ان يبيت الرجل وحده الا لتقوى الحضور وفي القيام لان الحضور الكامل
انما هو في الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا
وكن فريدا غريبا او كاينا باينا فعن ثوبان لا تسكن الكفور فان ساكن الكفور
كساكن القبور البخاري في تاريخه والبيهقي عن ثوبان والكفور بالضم
ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهي عن الرهبانية والاعتزال عن
الخلق بالكلية ولا على سطح غير محوط اي بسترة لما ورد فيه من النهي وورد
من بات على ظهر بيت ليس فيه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو
داود بسند حسن وفي رواية الترمذي عن جابر نهى عليه السلام ان ينام
الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ولا فيما لا باب له اي ولا استارة فانما تقوم
مقام الباب في هذا الباب عند بعض اولي الالباب ولا بعد الصبح فالارض

تشتكي منه

تشتكي منه اليه تعالى حيث انه صرف وقته الشريف في غير العبادة وضيعه
في النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقي
وغيره الصبحة تمنع الرزق اي المعنوي وكذا الحسي لانه عليه السلام قال
بورك لامتي في بكورها ولا بعد العصر لانه ايضا وقت شريف كما
يشير قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة واصيلا وفي رواية ابي يعلى عن عائشة من نام بعد العصر
فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وكان عليه السلام اذا اطال القيام
اي بالصلاة بعد المنام ينام نومة خفيفة قبل الصبح ويضطجع ساعة
لطيفة بعد ركعتي الصبح وفيه تجدد الشوق الى اما الفرايض وذهاب
اثر القيام اي بالصلاة بعد المنام ينام نومة خفيفة قبل اي ساعة
لطيفة بعد ركعتي الصبح وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرايض وذهاب
اثر القيام ينفخ اوله اي ينام وقت القيلولة فهي سنة اي مستحبة لفعله
عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشياطين
لا تقيل ابو نعيم عن انس معينة على القيام كالسحور على الصيام وهو بفتح
السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام في وقت السحور وهو السدس
الاخير من الليل لقوله عليه السلام استعينوا بطعام السحر على صيام
النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجة وغيره عن ابن عباس
متضمنة للسلامة اي من ضعف الدماغ وما هو مورث الملامة وهو يوجب
السلامة او للسلامة من مخالطة اهل العلاقة والغفلة معهم في البطالة
فعن الثوري كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا
قيل النوم خير من الغيبة وليكن النوم اي ليقع مجموعه ثلث الليلة وا لنوم

اي والباقي وهو ثلثاها مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة
وينبغي ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلاة على وجه الكمال ولا
يقص الرويا اي لا يحدث بها اذا راى ما يحبها الا على عالم اي بتعبير الرويا
ناصح اي للراي بان يكون محبا له ومشفقا عليه فان الرويا لا تستقر
ما لم تعبر فان اعبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها
بما يكره فيحصل بذلك هم وغم وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله
عليه وقد تقع الرويا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرويا وربما احتملت
الرويا تاويلين واكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فيقع
على ما اولها فقد ورد ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت
رايت كان سائر بيتي اي عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك
فرجع زوجها ثم غاب فرات هذا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال
هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا وما في المتن
رواية الترمذي عن ابي هريرة وفي الصحيحين اذا راى في منامه ما
يحب فليحمد الله وليحدث بها ولا يحدث بها الا من يحب وفي رواية
الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ما يعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع
رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا راى احدكم رويا فلا يحدث بها
الا ناصحا او عالما ولا بكل ما يرى ولا يحدث بجميع ما راها اي بل بما يحبه كما
من الرويا لما سبق فان راى مكروها اي ما يكرهه كما في الترمذي يبزق
عن يساره اي يبصق ثلاثا كما رواه الستة ويتعوذ اي بالله من
الشيطان ومن شرها اي شر الرؤيا التي يكرهها ثلاثا كما رواه الستة
ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما في الصحيحين وغيرهما ويتحول

عن جنبه

عن جنبه الذي كان عليه ويقوم ويصلي كما رواه مسلم فيصلي ركعتين فانهما
اقل ما يطلق عليه الصلاة للنهي عن البتيراء خلافا للشافعي في تجويزه
الركعة المفردة ويتصدق بشيء لان الصدقة تدفع البلاء ويرد المعبر
الى احسن تاويل لان الرويا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرويا وربما
احتملت الرويا تعبيرين او اكثر كما تقدم ولا يبعد اذ يكون المعنى ليعبر المعبر
احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكي ان السلطان كان معبران وظيفة
احدهما الف وللاخر نصفه مع انهما يتساويان في الفضائل وتحسين
السيما بل فسال السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الاخر لان الحكيم
لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رايت اسناني وقعت قدامي فحكيت لهما
فقال صاحب الالف ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الاخر
يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مودى كلاهما واحد ويختلف
حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما ولا يقتني كلبا اي لا يحفظه ولا
يمسكه عنده فالملائكة اي المنازلة للرحمة تنفر عنه اي دون الحفظة لكنهم
يتاذون ايضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه الا ماشية من غنم وابل
وبقر ونحوهما او صيد ان كان معلما او زرع لحفظ من الدواب وغيرها وفي
الخبر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضاريا اي كلب معلم نقص من عمله
كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية ما يكون
للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه ولا يستقبل الشمس
اي في قعوده وقت الشتاء قعودا او يستدبرها قعودا اي للاستشفا ونهى
عليه السلام ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجة
عن بريدة ويخرج اي من داره متعوذا فيقول بسم الله توكلت على الله ولا حول

ولا قوة الا بالله اللهم اني اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل او اجهل
او يجهل علي رواه ابن ماجه وغيره فقارئا اية الكرسي اي للحفظ عن شياطين
الانس والجن ويسرع في المشي الى البيت اي حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع
من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه
لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان
يموت ولا يمشي بين المرأتين فانه ابعد من العصيان وقيل يورث
النسيان ففي ابي داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه السلام
نهى ان يمشي الرجل بين المرأتين وروى البيهقي عنه مرفوعا اذا استقبلك
المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنة او يسرة وهذا معنى قوله ويترك الطريق
للنسا اي التي ليس لهن شيء من الحياء والا فالاليق بهن ان يتركن الطريق
للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال ويميط الاذى اي ويزيل فيه
الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق
ففيها اجر جزيل وتاجيل لاهل التوفيق فورد الايمان بضع وسبعون
شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه
مسلم وغيره عن ابي هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط اذى عن
طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة رواه
البخاري في تاريخه ولا يختال اي يتبختر ماشيا فورد ولا تمش في الارض
مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها وفي اخرى واقصد في مشيك اي توسط وفي اخرى
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اي هينين لينين متواضعين
متخاشعين من تعظم في نفسه اي تكبر اختال في مشيه اي تبختر لقي

الله

الله وهو عليه غضبان رواه احمد وغيره عن ابن عمر وكانه مقتبس من قوله
سبحانه ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ويأخذ العصا في الكبر وابتداؤه
من الاربعين فهو سنة اي للانبياء كما بينت في رسالة الاتكاء وقد قال
الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزينة الصلحاء وسلاح
الاعداء وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين ويقال اذا كان
المؤمن مع العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه
ويكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيى وفيه منافع كثيرة كما قال
موسى ولي فيها مآرب اخرى كذا في البستان واما ما اشتهر على
الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا اصل له و
يبعد بضم اوله في قضاء الحاجة الانسانية من البول والغائط عن الاعين
اي عن اعين الناظرين ان وجدوا في الصحراء كما ورد به السنة وان
يستتر بشيء ان وجده من شجر او حجر ولو استتر براحلته او ذيله جاز
كما في بعض الروايات واما في البنيان فالغالب ان يكون ستر امكان
الخلاء ولا يكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه اي محل جلوس القضاء
في الخلاء والفضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه ولا يستقبل
النيرين اي الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يجرونهما او لانهما
ايتان عظيمتان وهو لا ينافي قوله عليه السلام شرقوا او غربوا كما لا
يخفى على الاعلام ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فان فيهما تحقيرا
لهما سواء يكون في الصحراء او في البناء وفي رواية احمد وغيره انه عليه السلام
نهى ان يستقبل القبلتين ببول او غائط وفي الصحيحين اذا اتى احدكم
الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا وهذا

يعني بعين الخارج م

امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو في جهة الشمال
والجنوب فاما من كانت قبلته في جهة المشرق او الغرب فلا يجوز له ان
يشرق ولا يغرب وانما يجنب او يشمل كذا في النهاية ولا يبول في الماء
الراكد اي الواقف سوا كان ماوه قليلا او كثيرا وكذا لا ينبغي ان يبول
في الما الراكد ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث فيه بنا على قلة الماء
الجاري في الحرمين حينئذ ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عليه
السلام نهى ان يبال في الما الراكد وفي رواية الطبراني في الاوسط بسند
ضعيف عنه انه نهى ان يبال في الما الجاري وفي الاحيا قال ابن
المبارك ان كان الما جاريا فلا باس به وقد يبال اذا كان الراكد عشرا في عشر
فلا باس به والاولى لا لعموم النهي على ما لا يخفى ولا تحت الشجرة المثمرة
فروى ابن عدي عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة
مثمرة ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار اي حافته وهو بكسر اوله
وفتحه وكذا لا ينبغي ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس
لان مدار النهي اذى المسلمين ولذا اورد النهي ان يبال في قبلة المسجد
وابوابها كما رواه ابو داود في مراسيله ولا في الجحر بضم الجيم وسكون
المهملة اي ثقب الجدار والارض مخافة اذى الدابة فروى ابو داود
والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سرجس انه عليه السلام نهى ان
يبال في الجحر وقد قالوا لقتادة ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال
انها مساكن الجن ولا في موضع صلب ولا مهاب الريح اي في حال الريح
استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقي عن ابي موسى اذا اراد
احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اي ليطلبه وروى ابو يعلى بسند

مرفوعا

مرفوعا اذا بال احدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجي
بيمينه ولا المغتسل اي ولا يبول في مغتسله لانه يورث الوسوسة
ويوجب الشبهة ولورود النهي في السنة ويتكي على الرجل اليسرى
اي في جلوسه ويقدمها داخلا في الخلا ويوخرها خارجا عنه اذا كان
في بنيان مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه ولا يبول قائما
فعن عائشة من حدثكم انه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه
الترمذي وغيره وقال عمر راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجة باسناد ضعيف وابن
حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام
بال قائما وهو اما لعذر او لبيان الجواز وكذا لا يبول في المغتسل فانه
عليه السلام قال عامة الوسواس منه اصحاب السنن من حديث
عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع في البول في المغتسل اذا
جرى الما عليه ذكره الترمذي ولا يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى
او اسمه عليه السلام والظاهر انه كذلك اسما ساير الانبياء العظام
ولا يدخل اي بيت الماء حاسر الراس اي كاشفه قيل يغطيه بمئزر
حيا من الله وملائكته فكان ابو بكر يفعله لذلك ويتعوذ في الدخول
فيقول بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث ويجعل بعد
الخروج فيقول غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي
ما ينفعني رواهما النسائي وغيره ويعد النبل بضم النون وفتحها اي
يهيء الحجر او المدر للاستنجا قبل الجلوس فهو سنة والاستبرا مستحب
وقيل واجب ولا يستنجي بالما في موضعه اي محل الغايط والبول الا اذا

كان محفورا بحيث لا يصل اليه اثرهما فالكل مما نور وينبغي ان يستبري بالتنحنح
والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجي فاذا وجد من بلل
فيقدر انه بقية الماء فان كان يوذيه ذلك فليرش الماء حتى يقوى في
نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه بالوسواس وفي الخبر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء كذا في الاحيا وقال مخرجه
حديث رش الماء بعد الوضوء هو الانتضاح رواه ابو داود والنسائي
وابن ماجة وكان خفهم استبرا افقههم فبدل الوسواس فيه على
قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجا في ابتدا اداب الوضو اول
اول الكتاب ويزيل وسخ الشعر اي شعر لحيته وراسه ودوده اي
من القمل ونحوه بالادهان بتشديد الدال اي استعمال الدهن المطيب
ونحوه او بالادهان جمع دهن والتسريح ففي شمايل الترمذي من حديث
انس انه عليه السلام كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وعند ابي
داود والترمذي من حديث عبد الله ابن مغفل باسناد صحيح انه عليه
السلام نهى عن الترجل الا غبا فورد ادهنوا بتشديد الدال وبتخفيفها
مع فتح الهاء غبا اي يوما بعد يوم او وقتا دون وقت ومنه حديث
زر غبا تزدد حبا اخرجه جماعة وقيل الغب في الادهان ان يكون في
كل اسبوع مرة والحديث ذكره في الاحياء وقال ابن الصلاح لم اجد له
اصلا وقال النووي غير معروف ذكره العراقي من كان له شعرة فليكرمها
كذا في النسخ تبعا للاحيا ولا معنى للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان
له شعر فليكرمه كما هو رواية ابي داود عن ابي هريرة وقد دخل عليه
رجل ثاير الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به

شعره

شعره ثم قال يدخل احدكم علي كانه شيطان ابو داود والنسائي وابن
حبان من حديث جابر وقد سبق انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط
في سفر ولا حضر وقد بسطت الكلام عليه في رسالة سميتها بالتصريح
في التسريح وما في الانف اي ما يجتمع من الرطوبات المنعقدة الملتصقة
بجوانبه ويزيلهما بالاستنشاق والاستنثار والاذن اي وما
يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح ما يزيل ما يظهر منه وما
يجتمع في قعر صماخي اذنيه فينبغي ان يتلطف برفق عند الخروج
من الحمام ونحوه من الاستحمام لئلا يضم فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع
واما ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال والمضمضة
والاستنشاق وقد ورد ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار و
البيهقي من حديث العباس والقلح محركة صفرة الاسنان وتحت الاظفار
ففي الطبراني عن وابصة بن معبد سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شي
حتى سالته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وقد امر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم
الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بشر نقوا براجمكم ولمسلم من
حديث عايشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث
ابن عباس انه قيل يا رسول الله لقد ابطا عنك جبريل فقال ولم لا يبطي
عني وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا
تنقون رواجبكم فالاول معاطف ظهور الانامل والثاني روس الانامل
وقيل الاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن ولقوله تعالى فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتاذيهما كما يتاذى

ما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذي يجتمع علي جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام او بالاستحمام ويدخل الحمام اي ويجوز دخوله فهم اي السلف من الصحابة والتابعين دخلوه اي دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر الطبراني والبيهقي والحاكم قال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا بيان افتتحا بيته بقوله ويصون عورته وهي ما بين سرته وركبته عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها اي ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه في خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار سيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا اقبح في الامر ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك عن مس الفخذ وما بين السرة الي العانة ثم من الواجب ان ينهى عن كشف العورة لان النهي عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب او شتم واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيده ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو اقلك عن التأثر بسماع الانكار ويفتضح الامر الا لاهل الجهل وعدم العقل وفقد الحيا وقلة المبالاة بالعلما والصلحا ولمثل هذا اصار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الايام او تخليته عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الي فوق العانة لاختلاف العلما في كونها عورة بل الفخذ ونحوه كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحرم لها وروي

ابن عمر

ابن عمر في الحمام وجهه في الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وينوي بدخول الحمام التنظيف للصلاة لا لعاجل الدنيا من اللذات ويعطي الاجرة قبله اي قبل دخوله اسوار الحمامي بعد انتظاره وتطييبا للنفس واعلاما بالعوض لرفع الجهالة من احد العوضين فانما يستوفيه مجهول وقد ورد اذا استاجر احدكم اجيرا فليعلمه اجره الدارقطني في الافراد عن ابن مسعود ويتعوذ اي يقول بسم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخوله ولا يسلم اي علي احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره ويدعو بالمعافاة اي يقول عافاك الله لمن سلم اي عليه ولم يجب عنه غيره ولا باس بالبداة به اي يقول عافاك الله ونحوه ولا بالمصافحة اي بان يصافح الداخل احد اصحابه ولا يكثر التكلم اي ولا يبدا بالكلام كيلا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا في النفس اي سرا ولا باس باظهار التعوذ اي من الشيطان الرجيم ومن الحميم في دار الجحيم ويجتنبه اي دخول الحمام وقت الغروب اي قريب المغرب وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين خصوصا في الحمام ونحوه وعلي الريق فهو يورث الموت اي سريعا فعن الشافعي عجبت لمن يدخل الحمام علي الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج منه كيف لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا ولا يسرف في الماء اي لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر علي قدر الحاجة اليه فانه الماذون فيه بقرينة الحال فالزيادة علي العادة لو علمه الحمامي لم يرض به لا سيما الما الحار فله مؤنة وزيادة مشقة ولا

باس بالترك اي من غيره فهو مروي اي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز
ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي رواه الطبراني
في الاوسط عن عمر بسند ضعيف ويذكر ظلمة الحمام في مكان ظلمة وحرارة
جهنم عند حرارته ويحمد بعد الخروج فالماء الحار في الشتاء من نعيم الدنيا عند
يوم القيامة كالماء البارد في الصيف وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي
احدثوه ولا تدخله المراة اي النساء فورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته اي
زوجته او امته الحمام روى الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه
من حديث جابر من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل حليلته الحمام و
للحاكم من حديث عايشة الحمام حرام على نساء امتي وقال صحيح اسناده
ولابي داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال
الا بالازر وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء ويحلق الراس اي
شعره اذا اراد التنظيف اي زيادته والاحتياط في الغسل كما اختاره
علي كرم الله وجهه حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال ومن ثم عاديت راسي فان
بقا الشعر على الراس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره
عليه السلام وسائر اصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من احد
النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل علي صار سنة مع انه قال عليه
السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه
بدهنه وترجله الا اذا تركه بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اي قطعا
فهو داب اهل الشطارة ومنهي عنه الصغار والكبار ولا عبرة بقول

من يقول

من يقول ان حلقه يورث الصداع لانه نوع من الخداع وتسويل الشيطان
في مقام الخداع ولا يرسل اي شعر الذوايب بحيث يشبه بالشريف
فانه نوع من التلبيس والتزييف ويقص الشارب اي في كل جمعة فورد
قصوا الشوارب وهذا لفظ احمد من حديث ابي هريرة ولمسلم من حديث
ابي هريرة جزوا اي اقطعوا وفي الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا
الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء الاستقصاء ومنه قوله تعالى فيحفكم
تبخلوا اي يستقصي عليكم وفي رواية حفوا اي اجعلوها حفافي الشفة
وحولها ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش واما
الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ونظر بعض
التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبراني عن الحكم بن عمير
مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاه واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى
اي كثروها ولا تقصوها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون
لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما الحلق وراه بدعة ولا باس بابقاء
السبال اي طرفي الشارب فعله عمر وغيره كما في الاحيا ولان ذلك لا يستر ذلك هم
الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر
ما رواه احمد من حديث ابي امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب
يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم
وخالفوا اهل الكتاب وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر في المجوس انهم
يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال
الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهي جمع العثنون بمعنى
اللحية وورد احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذي في

الاناث ابن عدي والبيهقي عن عمرو بن شعيب والقص يقوم مقام
النتف في الانف ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط وتقليم الظفر اكثر من
اربعين يوما فهو الماثور اي المذكور في صحيح مسلم من حديث انس انه عليه
السلام وقت لنا في قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما
وورد فصل الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب
واللباس يوم الجمعة الديلمي عن علي وحلق الابط ان لم يقدر على النتف
باعتياده لئلا يجتمع الوسخ في خلاله والطيب واللباس يوم الجمعة
الديلمي عن علي وحلق الابط ان لم يقدر والمقصود النظافة في جميع
حاله ويزيل العانة اي شعرها بالطلاء اي النورة ان اعتاد المقصود و
هو فقد الاذى الموجود والتحامي عن الايلام اي مع تحصيل المرام ويبتدي
بتقديم مسبحة اليمنى وخنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما
اي في الرجلين ويختم بالابهام في الكل اي في جميع اليدين والرجلين فهو
المروي قال العراقي لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازري في الرد
على الغزالي وشنع عليه به قلت لا وجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ار في
الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه
عليه السلام انه بدا بالمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في اليسرى
بالخنصر الى الابهام ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من الالهام كما بسط
عليه الكلام هذا وفي حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجري
ما بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم
والاربعة عن عايشة عشر من الفطرة اي سنة الانبياء التي امرنا ان نقتدي
بهم فيها قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء

لحصوله

وقص

وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء
قال وكيع يعني الاستنجا به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان يكون
المضمضة وذكر عمار بن ياسر الاختتان في العاشرة ويكتحل اي في كل
ليلة ثلاثا اي ثلاث مرات متوالية في كل عين ويبتدي باليمنى فهو
مروي اي في الشمايل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي
وروي اي من حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبراني ثنتان في
اليسرى اي وثلاث في اليمنى فالايتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار
كل واحدة منهما كما في الاول فتامل فانه الاولى قياسا على غسل اليدين
ثلاثا ثلاثا ثم الابتدا باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها في رواية ه
لتعظيمها فهي احق بها وان الله تعالى وتر يحب الوتر كما ورد وورد
عليكم بالاثمد وهو حجر يكتحل به اي الزموه ولا تتركوه عند منامكم اي
مرقدكم بالليل فانه مما يزيد في البصر اي في قوته وينبت الشعر
اي شعر الاجفان في طرف العين والحديث رواه ابو نعيم في الحلية عن
ابن عباس بلفظ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر
وفي رواية الطبراني وغيره عن علي عليكم بالاثمد فانه منبتة للشعر
مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفي رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح
اي المطيب بالمسك ولا يكثر التزين بالتسريح ونحوه والاكتحال والادهان
فانه داب المترفين وقد نهى عليه السلام عن الترجل الا غبا ويقطع
اللحية الطويلة اي زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب
فالمفرط منها في الطول والعرض يرى بصيغة المجهول اي يظهر
سمجا بفتح فكسر فجيم اي قبيحا فانه يشوه الخلقة ويفتح باب الغيبة

اي في الحضور والغيبة فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النية وينبغي
قدر القبضة فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين فهو الوسط اي المتوسط المعتدل المحمود في كل شي قال
النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا ياخذ من لحيته ويجعلها بين
لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل المسنون فانه
عليه السلام كان ياخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذي عن ابن
عمرو وقيل ينبغي بجالها فورد اعفوا اللحا اي اتركوها وابقوها على حالها واختاره
الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب للحديث المتقدم ولا يجوز تصغيرها
وتخبيرها بالحنا وغيرها لاخفا الشيب اي بتوهم ان فيه العيب وهو
نور ووقار وسرور الا في الغزو فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث
الحرب خدعة فوردهما خضاب المسلمين والمومنين لا فرق بين المسلم
والمومن في عرف الشرع وانما هو التفنن في العبارة كما وقع اليه الاشارة
في قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين واما في اصل اللغة فيفرق بينهما حيث ان الاسلام
انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
ويقويه حديث جبريل ان الاسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتقيم الصلاة الخ والايمان ان تومن بالله وملايكته
ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد الباطن
كما في المنافق ولا انقياد الباطن بدون انقياد الظاهر كما في ابي طالب
ونحوه فالمراد بالمومن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين في

استحكام

استحكام الاعتقادين وعبارة الماتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل واحد
من الحمرة والصفرة خضاب اهل الاسلام والحمرة خضاب المومنين بناء على
الفرق بينهما لغة واشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم
كانوا يخضبون بالحنا للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاجما
رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر هما جايزان تلبيسا
للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل
للتشبه باهل الدين فهو مذموم ويكره تسويدها فورد هو خضاب
اهل النار كذا في الاحيا قال وفي لفظ خضاب الكفار قال مخرجه
رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل واول من
خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة الطبراني عن ابي الدردا و
تبييضها بالكبريت اي ويكره ايضا اظهارا للكبر اي لكبر السن ترفعا
على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجالا
لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديه للرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه
بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الانام ولم يعرف ان التفضل بقلة
الاثام وامثال ذلك من الاغراض الفاسدة والاعراض الكاسدة كما
بينتها في التفريح بشرح التشريح ونتفها عبثا اي بلا منفعة وتشبيها
بالمرد فهو منكر اي بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان
شعر الراس زينة النسا في جميع الاحوال او استنكافا من الشيبة فقد
نهى عليه السلام من نتف الشيب وقال هو نور المومن رواه ابو داود
والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده وتبيينها للناس بالتدوير وهو تقصيصها كالقبة

طاقة على طاقة للتدوير والتسريح بالتكثير وقد قال بشر في اللحية شر
كان تسريحها للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد والزيادة اي وبزيادة
الشعر في العارضين اي الخدين بارسال الصدغ بضم فسكون ما بين
العين والاذن والشعر المتدلي عليه وهو من شعر الراس المتجاوزة عن
عظمها اي عظم اللحي المنتهية الي نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل
الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام ولا ياكل الجنب اي لا ينبغي ان ياكل
هو جنب فاذا اراد ان ياكل فيغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب
ولا ينام اي الجنب دون وضوء اي او ما يقوم مقامه من التيمم لان عمر
قال قلت للنبي صلي الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا
متفق عليه وهذا هو الاولي والا فلا باس به وقد كان عليه السلام ينام
وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه احمد وغيره عن عايشة وكان ذلك لبيان
الجواز ورحمة علي ضعفا الامة ولا ينقص من البدن اي لا يقطع الجنب
شعرا ولا ظفرا ولا دما ما دام جنبا فاجزا البدن اي جميعها تعاد في
الاخرة اي كما كانت في الدنيا قال تعالي كما بداكم تعودون وقال عز وعلا
ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا والمزال
جنبا يكون كذلك وهو نقصان في المرتبة هنالك وان كانت تزول عن
المومنين ما لا يحتاج اليها اذا اغتسلوا علي حياض وانهار في باب
الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام كان يامر بدفن
الشعر والاظفار الطبراني عن وايل ابن حجر وفي رواية الحكيم عن عايشة
كان يامر بدفن سبعة اشيا من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة
والسن والعلقة والمشيمة ويكنس المسجد اي ينظفه من القمامة فانه

افضل

افضل ازالة انواع الاماطة وقد قال تعالي وطهر بيتي وورد ابنوا المساجد
واخرجوا القمامة منها فمن بني لله بيتا بني الله له بيتا في الجنة واخراج
القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبراني وغيره وتنويره بالسرج
ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملايكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه
رواه الحارث بن ابي اسامة في مسنده وغيره به مرفوعا وسنده
ضعيف والحديث الضعيف يعمل في فضايل الاعمال ويفرشه بالحصر
وامثالها فيها اي في الثلاثة فضايل فانها كلها من عمارة المسجد وقد
قال تعالي انما يعمر مساجد الله من امن بالله ولا يزخرفه اي لا يبالغ
في زينته ولا ينقشه بحيث يشغل المصلي في احدي هيئته ولا يصوره
اي جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته فهو اي مجموع ما ذكر من البدع
اي المستبشع ويتعهد النعل اي يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية
لجنابه ويمسح ما به من اذي علي اطرافه ويقدم الرجل اليمني داخلا فيه
ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم ويسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم ويقول اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك رواه ابو داود وغيره واليسري
خارجا منه ويعوذ ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
فضلك رواه الترمذي وغيره ولا يجلس حتي يصلي ركعتين كما في الصحيحين
وتحية المسجد الحرام هي الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ان لم يكن وقت
مكروه والا فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله عملا بقوله عليه
السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ويجهر بالدعاء علي من يتجر فيه

وينشد ضالة اي يطلبها برفع صوت فورد اذا رايتم من يبيع او يبتاع في
المسجد فقولوا لا اربح الله تجارتك واذا رايتم من ينشد فيه ضالة فقولوا
لا ردها الله عليك رواه الترمذي والحاكم عن ابي هريرة مرفوعا و
ينظفه اي جدرانه عن النخامة اي ما الانف والبزاق اي ما الفم
ففي الخبر البزاق في المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبراني وفي
الصحيحين البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ولا يتخذ بيتا
اي مسكنا الا اذا كان غريبا فينبغي ان ينوي الاعتكاف ولو ساعة
لديه فالكل مروي ففي الطبراني عن ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا
الا لذكر او صلاة وان غلب النعاس عليه يتحول عن موضعه ليطرد اثر
نومه وفي الخبر اذا نعس احدكم وهو في المسجد فليتحول من مجلسه ذلك
الى غيره ابو داود والترمذي عن ابن عمر ويضرب باطراف اصابعه جانب
راسه الايمن ثلاثا ثم يجلس في موضع اخر ويستقبل القبلة في الجلوس
فهو عبادة اي في حد ذاته فضلا عن ان يكون في حدود المسجد وجهاته
وقد ورد اكرم المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن
عدي والطبراني في الاوسط واورده الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن
حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عليه السلام في مواعظ الناس
ان يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه انه لمصلحة سماع الناس
ولم يعكس ايثارا للتكثير فهو اجتهاد مبني على مرعاتنا وفيه اي في الاستقبال
قوة البصر لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة في النظر ويجلس موضعا اقرب
الى التواضع اي وابعد عن اهل الترافع لا بين الظل والشمس فهو مقعد
الشيطان اي مجلسه ويجتنب ان يتنخع من الانسان وفي مستدرك الحاكم

عن ابي

عن ابي هريرة وابن ماجه عن بريدة انه عليه السلام نهى ان يقعد الرجل
بين الظل والشمس وفي رواية احمد نهى ان يجلس بين الضح والظل وقال
مجلس الشيطان ولا يفرق بالجلوس بين اثنين اي مخصوصين كالاب
والابن والاخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى ان يجلس الرجل
بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقي عن ابن عمرو ولا يقيم احدا عن موضع
جلوسه فيجلس هو فيه ففي البخاري عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يقام
الرجل من مقعده ويجلس فيه اخر وان قام احد بنفسه حياء منه او تادبا
معه لا يجلس ثمة اما تواضعا او عملا بظاهر النهي ويجلس حيث اصابه
اي صادف محلا فارغا في الصف فهكذا كان دابه عليه السلام في المجالس
كما في الشمائل وروى البغوي والبيهقي والطبراني عن شيبة بن عثمان
مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر
الى اوسع مكان يراه فليجلس فيه ويخلف الصف اي ويجلس ان لم يجد مكانا
فيه ولا يعود فانه اخذ من حديث صحابي اقتدى به عليه السلام قبل
ان يصل الى الصف فقال له عليه السلام زادك الله حرصا ولا تعد فروي
من العود اي لا ترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف
الذي يسعك فصل وروي من الاعادة اي ولا تعد صلاتك فانها
صحيحة حيث وقعت في المسجد فان شرط صحة الاقتدا ان يكون مقام
الامام والمقتدي بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان صلاة المنفرد
خلف الصف اذا اقتدى بالامام واما ما رواه الطبراني عن وابصة ايها
المصلي وحده الا وصلت الى الصف فدخلت معهم او جررت اليك
رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلاتك فانه لا صلاة لك

فيحمل على نفي الكمال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام احمد وفي بعض
الحواشي اي ولا يعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده ولا يتجاوز
ما سبق اي لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو
ان يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه
حينئذ يجوز له ان يتخطى ويصلي فيها فان التقصير من غيره فيستحق
التقدم عليه ويحيي اي يخص بالسلام والتحية من يقربه اي في ذلك
المقام وفي نسخة يقربه بصيغة المصدر ولا يمد الرجل اي قدام صاحبه
فانه ترك الادب وكان اكثر جلوسه عليه السلام ان ينصب الساقين
ويجعل اليدين عليهما ويسمى حبوة الاحتبا وكان عليه السلام يتربع
احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون
اليسرى ويلازم اي في قعوده الوقار اي السكينة والرزانة والتواضع
اي مع اهل المسكنة ويجتنب الجلوس على القدمين والركبة في هيئة
الاقعا ويسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلاة فروى الحاكم في
مستدركه والبيهقي عن سمرة انه عليه السلام نهى عن الاقعا في الصلاة
وفي النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه
ويضع يديه على الارض واكثار النظر اي يجتنب تكثير نظره الى الكاهل
بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين والعقب اي الى ورائه والالتفات
اي واكثاره او يجنبه الى الجوانب فانه يعد من المعايب واللعب مع
اللحية والاصابع فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع واصحاب
الخضوع وقد راى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وتخليل الاسنان وادخال الاصبع

في الانف

في الانف وهذا كله مكروه في المجامع والمحافل لارباب الفضائل والفواضل
واخراج البزاق من الفم والنخاعة من الانف والتثاوب في الوجوه اي في
مقابلتها دون ادبارها والجشا اي كذلك فورد اقصر جشاك عنا وهو
بضم الجيم ممدود البخار يخرج من الفم عند الاكل الكثير والاشارة باليد والعين
بحيث يتوهم المصاحب ما لا يليق باهل المناقب قال تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور ونحوها اي ويجتنب امثال هذه المذكورات
مما يكره الناس اي في المحاورات والمحاضرات ويستغفره تعالى عند القيام
اي من المجلس في العالم عند قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم قال
سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى
البغوي باسناده الى ابي هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه
فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفي رواية ابي داود وابن حبان
عن ابي هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث
مرات وزاد عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ولا يقعد في السوق بلا حاجة فانها ابغض البلاد الى الرحمن
واحبها الى الشيطان والا في الطريق اي الجادة للعامة ويودي الحقوق
اي حقوق الجلوس او حقوق الطريق ان جلس وهي اماطة الاذى وارشاد
الضال وقضاء حاجة الغير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة
المظلوم واعانة الملهوف ولعانة الضعيف ورد السلام واعطا السائل
ولو بجمل الكلام وفي رواية الطبراني عن وحشي لعلكم تستفتحون بعدي مداين

عظاما ويتحدثون في اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا
من ابصاركم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم ويتح وفي نسخة ويفتتح اي
يبتدي الكلام في مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام بالتسمية والتحميد
والاستعاذة والانسب تقديم التعوذ والصلاة عليه عليه السلام اي
على النبي عليه السلام فورد كل امري ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن
الرحيم اقطع رواه الرهاوي في الاربعين عن ابي هريرة وفي رواية له
عنه كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو اقطع ابتر
ممحوق البركة ويختار العربية اي اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد
احب العرب لثلاث لاني عربي ولان كلام الله عربي ولسان اهل الجنة في
الجنة عربي وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية ويخفض الصوت
اي في كلامه لقوله تعالى واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير
ولا يكثر اي من الكلام بين ما يرافعه المقام وينافيه ويبين الكلام بتعيين
معانيه ويخلصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة ويتفكر اي اولا في الحجة
اي الادلة ثم يحتج بها ويتمسك بسببهما ويسكت عند الغضب لقوله تعالى
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح اي سكن كما في قراءة شاذة ولهذا
ورد النهي للقاضي ان يحكم وهو غضبان لانه حينئذ لم يفرق بين الحق
والباطل والطاعة والعصيان ويذكره تعالى عند النسيان لقوله تعالى
واذكر ربك اذا نسيت ويستثني اي يقول ان شاء الله فيما بعده في مستقبل
لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ولا يحلف
عليه تعالى فهو اجتراء اي اظهار جراءة لربه فورد ان رجلا قال والله لا يغفر
الله لفلان فقال الله تعالى من ذا الذي يتالى علي ان لا اغفر لفلان فاني

قد

قد غفرت لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلي ويحترز عن القصص
اي قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبيا
او حكايات الاوليا اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلما الاصفيا والحلف اي
ويحترز عن كثرة اليمين ما امكن ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث
ووجوب الكفارة وشبهة التهمة وان حلف اي على يمين ورأى غيرها
خيرا منها فليات به اي بذلك الغير الذي هو الخير وليكفر اي عن حنث
يمينه ففي صحيح مسلم وغيره عن ابي هريرة من حلف على يمين فرأى غيرها
خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ويراعي الادب اي مع
الاصحاب والاحباب في قوله وفعله وساير الابواب ويتكلم بالمفيد الجامع
وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى
عن عمر وهي التي مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وروي خير الكلام ما دل
وقل ويتوقف بين كلامين اي مركبين يصح السكوت على كل منهما ليحفظ
السامع اي ليدركه ويفهمه ففي الصحيحين عن عايشة انه عليه السلام
كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ولا يبحث مع الخصم قبل تمام
الكلام اي في اثناء المرام اذ قد يكون له تعلق في المقام بدفع المباحثة
مع الخصام ويستاذن للسؤال اي تادبا مع ارباب الكمال فالكل ما يورد
في الكتب المبسوطة مذكور ويكثر البكا فورد حرمت النار على ثلاثة
اعين عين بالجر على البدل وبالرفع اي منها واحدها عين سهرت في
سبيل الله اي احتراسا لاهل الله وعين غضت اي غمضت عن محارم الله
اي ابتغا لوجه الله وعين بكت من خشية الله اي من خوف يوم يلقاه
الطبراني والحاكم عن ابي ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من

خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وحرمت النار على
عين غضت عن محارم الله او عين فقئت في سبيل الله وفي رواية الحاكم
عن ابي هريرة ثلاثة اعين لا تمسها النار عين فقئت في سبيل الله
وعين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله دون
الضحك اي لا يكثر الضحك بل يقلله فهو يميت القلب ويذهب
النور اي البهاء والضياء وفي الخبر انه عليه السلام كان طويل الصمت قليل
الضحك احمد عن جابر بن سمرة فورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
وهو امر معناه خبر اي يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك او الزمان
ويبكون كثيرا من البكا او الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل
الكفر في الدنيا والعقبى واما ان كان المراد به الخبر عنهم في دار
الاخرى فالمراد من القلة العدم والله سبحانه اعلم فالمعنى من
ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الاخرة كثيرا فكيف حال من ضحك في
الدنيا كثيرا فانه لا يشك ان امره يكون عسيرا الا يسيرا ويخفض
صوت العطاس فالتصريح به اي بالصيحة عند الناس حمق اي حماقة
وجهالة لمقام الاستيناس وقد ورد التثاوب الشديد من الشيطان
ابن السني عن ام سلمة ويستر اي يغطي عند العطاس بثوبه اي بكمه او
منديله او يده اي بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه
وليخفض صوته الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة ويستر الفم في التثاوب
اي بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود ولان الثوب ايضا لا يكون
الا بمساعدة الساعد ففي الصحيحين عن ابي هريرة التثاوب من
الشيطان فاذا تثاوب فليضع يده فليرده ما استطاع فان

احدكم

احدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان وفي رواية الترمذي العطاس من
الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب فليضع يده على فمه
واذا قال اه اه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب
العطاس ويكره التثاوب ولعل وجهه ان العطاس يطير النوم والكسل
والتثاوب يوجب النعاس والكسل واما ما ورد من ان العطاس
والنعاس والتثاوب في الصلاة من الشيطان فوجهه ان كلا منهما مانع
من القراءة ونحوها ويلقي البزاق فان لم يقدر على ابتلاعه في اليسار
اي ان لم يكن هناك احد من الابرار او تحت القدم اي اليسرى اذا لم يكن
ارض مسجد دون القبلة اي لا يلقي الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة
بيت الله الحرام ففي الصحيحين اذا كان احدكم يصلي فلا يبصق قبل
وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى واليمين اي اصلا سوا يكون فيه
احد ام لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب
اليسار يتاخر في جانبه فانه مامور بالنسبة الى صاحب اليمين كما
قرر في محله وفي رواية احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق ابن
عبد الله المحاربي مرفوعا اذا صليت فلا تبزق بين يديك ولا عن
يمينك ولكن ابزق تلقا شمالك ان كان فارغا والا فتحت قدمك
اليسرى وادلكه قال ابو يزيد لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى
هذا الرجل الذي قد اشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد
والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه
القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مامون على ادب
من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مامونا على ما يدعيه

اي من الادب مع الرب ويتفاول بكلمة صالحة اي بسماعها من غيره نحو صلاح
وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفال الحسن ويكره
الطيرة ابن ماجة عن ابي هريرة والحاكم عن عايشة فالكلام ماثور اي
منقول عن فعله عليه السلام مامور به اي بما ورد عنه من الكلام ولايتطير
اي لايتشام بالفال القبيح واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير
وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم في زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهي عنه
واخبر انه لا تاثير له في جلب نفع او دفع ضر ومثاله انه خرج لحاجة
وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان
ذلك تطيرا فهو منهي عنه رواه احمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا لايتطير
فان فعل فكفارته ان يقول اللهم لاخير الا خيرك ولاطير الا طيرك ولا اله غيرك
رواه الطبراني عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته
ان يقول اللهم لاخير الخ ورواه ابو داود ولفظه اذا رايتم من الطيرة شيئا
تكرهونه فقولوا اللهم لاياتي بالحسنات الا انت ولايذهب بالسيئات
الا انت ولاحول ولاقوة الا بك وفي رواية ابن ابي شيبة الا بالله ويفتح
الكتاب اي اذا اراد مكتوبا الى الغير بالتحميد والصلاة اي بان يكتب
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ويذكر اولا اي بعدهما نفسه
ثم المكتوب اليه فهو السنة المعروف في السنة اي يبدا باسمه ثم المكتوب
اليه ثم بحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام
عليك فاني احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ في ابن له
يعزيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك

فاني

فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر
والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم
عن معاذ قالوا وفي الاية لمطلق الجمع ويتربه بتشديد الراء اي يلقي التراب
على الكتاب فهو سبب النجاح اي وصوله الى الباب وقد ورد اذا كتب احدكم
الى انسان فليبدا بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهو انجح الطبراني في
الاوسط عن ابي الدرداء والترمذي الجملة الثانية والطبراني الاولى و
يتعفف اي بطلب العفة عن طلب الحاجة اي بالمسالة من الخلق ما امكن
اي مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف وفي دعاء الامام احمد
اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسالة غيرك وقد قال
بعض اهل التوفيق السؤال ذل ولو اين الطريق ويصلي اي حين طلب الحاجة
عند الضرورة من الخليقة ان يتوضا ويصلي ركعتين ويرفعها اليه تعالى
اي اولا لانه غياث المستغيثين وارحم الراحمين واكرم الاكرمين وفي
الخبر ليسال احدكم ربه حاجته حتى يساله الملح وحتى يساله شسعه رواه
الترمذي وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بني
ادم فليتوضا وليحسن وضوءه ثم يصلي ركعتين ثم ليثني على الله وليصل على
النبي صلى الله عليه وسلم وليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب
العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسالك موجبات رحمتك وعزائم
مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لاتدع
لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها
يا ارحم الراحمين رواه الترمذي عن ابن ابي اوفى وفي رواية له ولغيره
عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضا فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين

ثم يدعو اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني
اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي فشفعه في ويخرج اي
ومن حقه ان يخرج في طلب الحاجة بكرة الخميس او بكرة غيره فان البركة
في البركة كما تقدم بعد التحميد والصلاة اي على النبي عليه السلام وقراءة
الفاتحة فان فيها راحة قضاء الحاجة واية الكرسي فانها الدالة على العظمة
والمحافظة واخر العمران اي من قوله ان في خلق السموات والارض الى
اخر السورة او من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد او من قوله
يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
فقد روي بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم
يردها فاذا هو مات فقراوا فيها اية الكرسي واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا والقدر اي سورة القدر تنبيها له على ان الاشيا كلها بالقضى
والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ويقصد الانقى شرعا لان عطاه اتقى و
الاكرم طبعا لان سخاه ابقى والاسمح اي الاسهل يدا فان الخير منه ارجى
والاحسن اي خلقا وخلقا فقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه
البخاري في تاريخه عن عايشة وجماعة عن غيرها وفي رواية ابن عدي
والبيهقي عن عبد الله بن جراد بلفظ اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه
عند حسان الوجوه لان الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن
الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق والارحم
قلبا فعن ابي سعيد اطلبوا الحوايج الى ذوي الرحمة من امتي ترزقوا
وتنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطي فيهم رواه العقيلي والطبراني
في الاوسط ولا يرتكب معصية فيه اي في طلب الحاجة بان يكذب في

مقدار

مقدار ما يحتاج اليه في قوله او ان مبيتا ازيد فيه او عندي نفسا او ما
اكلت ايام كذا او معي عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما هنالك ولا
يلح اي في الطلب من الخلق قال تعالى لا يسيلون الناس الحافا اي الحاحا
وورد ان الله يبغض السايل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف
رواه البيهقي عن ابي هريرة ويشاور اي في امر مشكل يقع له العاقل
اي المجرب في الامور العالم اي المعظم في الصدور الصالح اذ عنده الخير
المستور الملايم ذكر الامر اي الذي وقع له في الدهر ويحتاج فيه
النصح للنصر كالسخي في المال اي في امر يتعلق ببذل المال والشجاع
في الحرب لانه في ذلك الامر من اهل الكمال وقد علم كل اناس مشربهم
وعرف كل فريق مذهبهم فورد وشاورهم في الامر وامرهم شورى بينهم
ثم امراته اي ان لم يجد احدا كما في نسخة ويخالف اي رايها فورد فيه
اي في خلافها البركة لقلة عقلها ونقصان دينها واخرج العسكري في الامثال
عن عمر قال خالفوا النسا فان في خلافهن البركة وعن انس مرفوعا لا يفعل
احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير امراة ثم
ليخالفها فان في خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمي والعسكري
والقضاعي عن عايشة مرفوعا طاعة النسا ندامة وفي مسند احمد هلكت
الرجال حين اطاعت النسا واخرجه الطبراني والحاكم وصححه من حديث
ابي بكرة مرفوعا واخرج ابن عدي من حديث ام سعد بنت زيد بن ثابت
عن ابيها مرفوعا طاعة المراة ندامة واخرج العسكري عن معاوية قال عودوا
النسا لا فانها ضعيفة ان اطعتها اهلكتك وقال بعض الشعرا وترك
خلافهن من الخلاف واما ما اشتهر على الالسنة شاوروهن وخالفوهن

خياط لا اصل له في مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه و تقدم الاستخارة
اي على الاستشارة والمراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خر لي واختر لي
ولا تكلني الى اختياري او صلاتها ودعاؤها المشهور المذكور في الحصن
وشرحه المسطور وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار
ولا عال من اقتصد الطبراني في الاوسط عن انس ويختار اهون الامرين
كالتدريس والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى والفتوى اهون
من القضاء والقضاء اهون من الخلافة وايسرهما فروي عن السلف الصبر
عن النساء اهون من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار
وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع والضرر
والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر ولا يحب المال
اكثر من العرض بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال ولا يبدل الدين بالدنيا
لقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين ولا يركب بقرة ويجوز الحمل عليها ولا يحرث على حمار لانه
خلق للحمل والركوب فالكل خلق لعمل اي على وفق العادة كما في الفرس والجمل
وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان ويركب على ما اصاب اي صادفه
من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منهم
قال الله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون
اي الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال تعالى ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم وقال عز وعلا وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا

سبحان

سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقال عز وعلا
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها
لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون
وقال عز شانه وعظم برهانه واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة
البحر ويردف الخادم اي وغيره سواء كان المركوب جملا او فرسا او حمارا فا
لكل ما تيسر فقد اردف النبي صلى الله عليه وسلم الفضل واسامة في طريق
عرفة عام حجة الوداع خلف ناقته واردف ابا هريرة على حمار في طريق
قباء كما تقدم وكان عليه السلام لا يدخل البيت اي بيته حتى يتصدق
بفاضل النفقة اي بما فضل من النفقة في يده او في بيته ويسعى في الحا جات
اي في قضائهما بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن انس انه عليه السلام كان
يذبح اضحيته بيده ويخصف النعل على حد صنعته ويخيط الثوب اي بقدر
معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابي ايوب انه عليه السلام كان يخصف
النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس
مني اي من تركها تكبرا فليس على طريقتي ويقطع اللحم اي اذا كان نيئا
او غير نضيج وهو ثابت في السنة كما سبق وفي الشمائل عن جابر بن طارق
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت عنده دبا يقطع فقلت
ما هذا قال نكثر به طعامنا ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين
فروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في
بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة وفي
رواية ابي يعلى كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ولا يتكلف

اي وكان عليه السلام لا يتكلف في شيء من الكسوة والطعام والضيافة
والوليمة ولا يحبه اي التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطني بسند
ضعيف انا والاتقياء من امتي برءاء من التكلف ويقويه ما في مسند
الفردوس من حديث الزبير ابن العوام الا اني بريء من التكلف وصالحوا
امتي واخرجه ابن عساكر في تاريخه عنه بلفظ اللهم اني وصالحي امتي برا
من كل متكلف واخرجه عن الزبير ابن ابي هالة وهو ابن خديجة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم بلفظ انا وامتي برا من التكلف ولا يصيده اي لنفسه
ويحبه اي يحبه من غيره ويقبل الهدية ويكافي عليها اي بمثلها او بازيد
منها لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها على قول وفي البخاري
وغيره عن عايشة كان يقبل الهدية ويثيب عليها ويرد المقرونة بالمنة
وان قلت اي الهدية او المنة فانها كثيرة المونة وقليلة المعونة ويجيب
العبد وكذا الجارية ايام الرق اي زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية
فحسنة بعشرين اي فاجره مرتين كما في حديث ثم اقل الاجر في حسنة عشر
كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فاذا كان له اجران فحسنة له
بعشرين حسنة وتلزم المراة قعر البيت اي من المخزن ونحوه ولا ترتفع اي
هي عليه اي على البيت والمعنى انها لا تسكن في العوالي خصوصا اذا كانت
فيها شبابيك مشرفة على الحوالي ولا تنظر الى الخارج ولو كانت ساكنة
في الداخل فنظرهن الى الرجال فتنة اي في حقهن كما ان نظر الرجال اليهن
فتنة في حقهم قال تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وامرت ام سلمة بالاحتجاب
من الاعمى اي مع انها من الازواج الطاهرات ولا باس اي للمراة بالخروج في المهم

اي

اي الديني والاخروي او الدنيوي الضروري في اسوء هيئة اي اخسهما من لباس
الجمال واخلى طريق اي من الرجال حال كونها مستنكرة لم تعرف اي نسبها او
حسبها صيانة عن عرضها غير مسمعة صوتها اي اذا لم يكن ضرورة بها ويتصدق
اي الشخص بما يبقى من طعام يستحيل اي يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما
اذا ترك اي كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال ويغتنم الصحيح بطول
السلامة فان فرعون مضى عليه اربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حمى مقدار
سنة وقلة اي فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه اذا كان من اهل عناية ورعاية
وحماية واذا كان خاليا عنهما في بعض الاوقات فلا بد وان يبتلى في كل اربعين
يوما بشيء منهما ويسترجع اي يقول انا لله وانا اليه راجعون في المصيبة
اي الحادثة فهو ماثور اي مروي عنه عليه السلام وعن السلف الكرام ممدوح
في القران حيث قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون الاية وفي الحديث يسترجع احدكم في كل شيء حتى في
شسع نعله فانها من المصايب ابن السني عن ابي هريرة وقد ورد من
اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر
مثله يوم اصيب رواه ابن ماجة عن الحسن بن علي ويحترز عن الشق
اي شق الجيب والضرب اي على الوجه والصدر والحلق اي حلق شعر
الراس للمراة ولحية الرجل والنوح وهو صياح اهل الميت فهي اي جميعها
منهي عنها اذ هي رسوم الجاهلية ففي الصحيحين عن ابن مسعود ليس منا
من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابي داود والنسائي
عن ابي موسى ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت
عند المصيبة ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد والحلق حلق الشعر

والخرق خرق الثوب وبين المريض فورد المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه
صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله يقول الله تعالى
لملائكته اكتبوا لعبدي احسن ما كان يعمل في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن
لا ذنب له الخطيب والديلمي عن ابي هريرة وفي رجاله معروفون بالثقة
الا حسين بن احمد البلخي فانه مجهول ايضا يخفف بعض ما به اي من ثقل
الالم ذاكرا اي حال كونه ذاكرا الله تعالى فيما اعطاه من النعم والمنن ومستغيثا
به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به في ايام الفتن ومستعيذا به عن حلول
النقم لا آها ووها اي بطريق الضجر والفزع من كثرة الالم والغم والانين مدح
الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب
فاذا كان آه اوواه لله وفي تسليم امر مولاه ورضاه بقدره وفق ما قضاه
يكون خيرا له في دنياه وعقباه ويعصب الراس اي يشده بعصابة تبعا
للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع وينام على الفراش اي ولو كان دابه
ان لا ينام عليه استعانة على الصبر اي على شدة المرض وحدة الامر وتوقيا
اي واحترازا واحترازا عن التشهر اي طلب شهرة الامر باظهار التجلد في الابتلا
للبلا ويستشفي اي يطلب الشفا بالذكر اي الجلي والخفي لشفا الظاهر
والباطن فان ذكر الحبيب سكر اللبيب وشكر الطبيب والدعا فانه يرد
البلا ويهون القضا او الدعوات المأثورة للشفا نحو اللهم عافني واعف
عني واشفني واسألك العفو والعافية في الدنيا والاخرة والصلاة لقوله
تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لان في
ذكر الخليل شفا العليل والقرآن لانه شفا اهل الايمان ودوا اهل الايقان
وشفا اهل الطغيان وخسران اهل العدوان فقد قال تعالى وننزل من القرآن

ماهو

ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لا سيما الفاتحة
لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير فورد انه اي فاتحة الكتاب شفا من
كل داء اخرجه البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جابر وروى القشيري
ان آيات الشفا هي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب ويحتمي اي حال الابتلا خصوصا وقت
الامتلا فانهم اي السلف امروا به اي بالاحتما وقد قيل الاحتما راس الدوا و
اخرج الخلال من حديث عايشة مرفوعا الازم دوا والمعدة بيت الدا وعودوا
بدنا ما اعتاد والازم بالزاي الحمية واخرج ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه
قال اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية فلا يبعد ان يكون التقدير فانهم اي
الحكما امروا بالاحتما ويتداوى اي فانه لا يناقض التوكل ولا ينافي فورد تداووا
عباد الله اي اطلبوا الدوا بعضكم من بعض يا عباد الله ما من دا الا وله دوا
الا السام اي الموت في مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن
اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان الله لم يضع دا الا وضع
له دوا غير دا واحد الهرم ويستوهب مهر امراته اي يطلب الهبة
من بعض مهرها ويأكله ففيه شفا لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه هنيئا مريئا اي سايغا غير ضار او لا تنغص فيه في الدنيا ولا تبعة معه
في الاخرة واستوهب علي رضي الله عنه امراته اي من مهرها او استقرض
في العارضة اي العلة من مهرها شك من الراوي فاشترى به العسل لقوله
تعالى فيه شفا للناس ومزجه اي خلطه بما السما اي المطر لقوله سبحانه

وانزلنا من السماء ماء طهورا وشربه فصار سبب الشفا اي حيث جمع فيه
اسباب الدوا وهذا اي مضي او اخذ هذا وازالة السكنجبين الصفرا لايفارق
ارواء الماء اي كما قال الحكما الا بالتعلق اي تعلق السكنجبين في ازالة الصفرا
بالنظر اي التامل والتوقف علي الشروط اي المعتبرة التي ذكرها الاطبا لمن عرف
المزاج وغلبة العلة وجودة الدوا ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق
عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف
ذلك فانه لا ينفعه هنالك وهذا جواب سؤال مقدر يرد علي قوله عليه
السلام ما من دا الحديث فان السكنجبين مثلا ربما لا يوافق لدفع الصفراء
ويودي الي عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الي احواله ومتوقف
علي شروط استعماله والحاصل ان الدوا سبب لرفع الداء فمهما حصل السبب
فيتلوه المسبب لا محالة في الاغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء
الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجبين لتوقفه علي شروط دقيقة يعرفها
الاطبا والحكما بخلاف اشباع الطعام وارواء الما وكذلك بتدبير مسبب
الاسباب وترتيبه في الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر
المتوكل استعمال الدوا مع النظر الي مسببه دون الطبيب والدوا ويحتجم
اذا كان المرض دمويا ومطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا
الديلمي عن ابي هريرة فورد ما مررت بملاء اي جمع عظيم بملا العيون من
كثرتهم من الملايكة اي المقربين الا قالوا بشر امتك بالحجامة اي بالعافية
والسلامة بسبب الحجامة والاحب اي الاولي ان تقع الحجامة في النصف
الاخير من الشهر لما رواه ابن ابي حبيب عن عبد الكريم معضلا الحجامة
تكره في اول الهلال ولا يرجي نفعها حتي ينقص الهلال والانسب في سبع

عشرة

عشرة وتسع عشرة واحدي وعشرين فهو ما تور لا سيما اي خصوصا اذا اتفق
يوم الثلاثا سبع عشرة من الشهر فورد هو اي الاحتجاج بسبع عشرة من الشهر
في يوم الثلاثا دوا من دا سنة رواه ابن سعد والطبراني وابن عدي عن معقل
بن يسار ولفظ الحجامة يوم الثلاثا لسبع عشرة من الشهر دوا لدآء سنة
الا في الثنا فانه يورث النسيان روي الديلمي عن انس مرفوعا الحجامة
في نقرة الراس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عليه السلام
في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس
الحجامة في الراس هي المغيثة امرني بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية
وفي رواية العقيلي عن ابن عباس الحجامة في الراس امان من الجنون والجذام
والبرص والاضراس والنعاس ورواه الطبراني وابن السني في الطب عن ابن
عمر وفي رواية للطبراني وابي نعيم عن ابن عباس الحجامة في الراس شفا من
سبع اذا ما نوي صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس
ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه وفي رواية ابن ماجة والحاكم وابن
السني وابي نعيم عن عمر الحجامة علي الريق امثل وفيها شفا وبركة وتزيد
في الحفظ وفي العقل فاحتجموا علي بركة الله تعالي يوم الخميس واجتنبوا الحجامة
يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد واحتجموا يوم الاثنين والثلاثا فانه
اليوم الذي عافي الله فيه ايوب من البلا واجتنبوا الحجامة يوم الاربعا
فانه اليوم الذي ابتلي فيه ايوب وما يبدو جذام ولا برص الا في يوم
الاربعا او في ليلة الاربعا وفي الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان في شي
في ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار توافق داء
وما احب ان اكتوي ويجتنب الكي ففيه خوف السراية اي سراية الم الكي الي

الموت او سراية المرض الى سائر الجسد والرقية اي ويجتنبها اذا لم يعرف معناها
من مبناها ويغني عنهما اي عن الكي والرقية فروى الترمذي والحاكم عن عمران
انه عليه السلام نهى عن الكي وفي الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام كان
يكره الكي وفي رواية البزار عن انس سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير
حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم
يتوكلون واما الرقية بالقران والادعية الماثورة فلا شك في جوازها
بل في استحبابها فكان عليه السلام يرقي اللديغ بالفاتحة سبع مرات
رواه الترمذي وغيره عن ابي سعيد وكان ايضا يرقي المعتوه بالفاتحة
ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله رواه ابو داود
والنسائي وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي سعيد بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك
ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك والله يشفيك
من كل دا ياتيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترقى
بها ثلاث مرات واما قوله عليه السلام لشفا بنت عبد الله علمي حفصة
رقية النملة كما رواه ابو عبيد في الغريب عن ابي بكر بن سليمان بن ابي
حثمة فقال الجلال السيوطي في شرح ابي داود رقية النملة شي كانت
تستعمله النسا يعلم كل من يسمعه انه كلام لا يضر ولا ينفع ورقية النملة
كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تختضب وتنتعل وتكتحل وكل شي تفتعل
غير ان لا تعصي الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تانيب حفصة وتوبيخها
لانه القى اليها سرا وافشته ويوصي بثلث المال اي يجوز ان يوصي به
ولو كان الافضل دونه ففي الصحيحين عن ابن عباس الثلث والثلث كثير
وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون

الناس الحديث وارضا الخصوم اي بالمال والاستحلال وقضا الدين او طلب
ابرائه وفدية الصلاة والصوم اي ويقدر ان يفدي به الصلوات والصيام
الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم فمن مات وترك
الوصية اي الواجبة عليه وفي نسخة دونها اي بغير الوصية لا يوذن له
التكلم مع الموتى في البرزخ الى يوم القيامة رواه ابو الشيخ في الوصايا عن قيس
ولفظه من لم يوص لم يوذن له في الكلام مع الموتى وفي رواية ابن ماجة
من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات
مغفورا له وليغتنم الموت اي علامات حلوله وامارات نزوله ففي الخبر
تحفة المومن الموت رواه الطبراني باسناد جيد عن ابن عمر رهم مرفوعا
وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه وفي الصحيحين عن ابي
موسى مرفوعا من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله
لقاه ولا يشتغل اي المحتضر عنده اي وقت حضور الموت بغيره تعالى ظاهرا
وباطنا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية ويقرا يس اي بنفسه
او يقراها غيره فيستمعها ففي الخبر اقروا على موتاكم يس اي على من اشرف
على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار ويحضر الصلحا اي ليعينوه
بالتلقين ويعينوه بالدعا في شدة البلاء ولا يكره السكرات اي لانها
من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول اللهم
اعني على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذي عن عايشة مرفوعا
ويطيب ما حول البيت اي ينظفه ويبخره وفي نسخة ما حول الميت وهو
المحتضر او بعد تحقق الموت فهو محضر الملائكة اي ملك الموت واعوانه او الملائكة
المبشرة لقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة

ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم
في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم ويجتهد في هدو الجوارح اي سكونها عن الاضطراب فقد
روي موتوا قبل ان تموتوا في هذا الباب وينبغي ان يكثر الحمد فعن ابن عباس
المومن بخير على كل حال ينزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى
رواه النسائي وورد ارقبوا بضم القاف اي انظروا الامن والامارة
على المريض وقت ظهور احوال نظروا اليه في ذلك الزمان عند ثلاث
اي من علامات لكل احد من اهل الايمان او الكفران كما فصله بقوله اذا رشح جبينه
اي عرق وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصححه ابن حبان
المومن يموت بعرق الجبين وزرقت عيناه اي سالت وذلك لان الدمعة علامة
الرحمة ويبست شفتاه لانه من خوف مولاه فهو اي ما ذكر من الخصال الثلاث
من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط اي وارقبوا اذا غط غطيط المخنوق
اي صوت كصوته وهو الصوت الذي يخرج مع نفس النايم او حال خنقه وصرعه
واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ومع هذا يحسن
الظن بشانه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظني في مقام برهانه ولعله محمول
على غالب احيانه وكلمة التوحيد اي ويجتهد في اكثارها منه او من غيره
تلقينا له ونيابة فورد من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله اي وان محمدا رسول
الله دخل الجنة اي استحق دخولها ولا بد له من وصولها وفي الصحيحين عن ابن
مسعود من مات لم يشرك بالله شيا دخل الجنة وفي مسند احمد عن معاذ وغيره
عن معاذ من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وحسن الظن بالله اي
ويجتهد في حسن ظنه بربه ان يرحمه ويعفو عنه جرمه ففي صحيح مسلم

وغيره

وغيره عن جابر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فورد في
الصحيحين انا عند ظن عبدي بي اي في معاملتي معه في الدنيا والاخرى
فليظن بي ما شا اي من العفو والعقوبة فان مصيره الي وحسابه علي
وان قضيت له من خير او شر فلا مرد له لدي والخوف والرجا اي ويجتهد في
الجمع بينهما فورد لا يجتمعان في قلب عبد اي مومن الا اعطاه الله الذي
يرجوه اي من العفو وامنه الله الذي يخاف منه اي من العقوبة حين قال
طرف ورد اي في زمان قال محتضر ارجو الله واخاف ذنوبي وفي رواية
البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه ما اجتمع الرجا والخوف في
قلب مومن الا اعطاه الله عز وجل الرجا وامنه الخوف ويكره المخلط اي
الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الفجاة اي موت البغتة لقوله تعالى عسى
ان يتوب عليهم فموت الفجاة تفوية التوبة واما رواية احمد عن عايشة
مرفوعا موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف على الكافر فمحمولة على المومن
الصالح اذ الغافل في حكم الفاجر ولو من بعض الوجوه دون الطاعون
اي لا يكره فجاته ففي الصحيحين عن انس الطاعون شهادة لكل مسلم فورد
من صبر في ارض طاعون اي ولم يخرج فرارا منه كان له مثل اجر شهيد وفي
احمد وصحيح البخاري عن عايشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من
يشا وان الله جعله رحمة للمومنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث
في بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل
اجر شهيد وفي رواية لاحمد عنها الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها
كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفي رواية الطبراني في الاوسط عنها
الطاعون شهادة لامتي وخز اعدايكم من الجن غدة كغدة تخرج في الاباط

والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفي مسند احمد الطاعون لا يدخل مكة والمدينة اي لما فيهما من نزول السكينة

الباب الثامن في الصحبة

للصحبة تاثير بليغ في المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا في كمال المرتبة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي رواية النسائي عنه عليه السلام ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القران علينا اولئك وفي رواية احمد ومسلم عن ابي سعيد يا ايها الناس انها كانت ابينت ليلة القدر واني خرجت ايكم لاخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وفي رواية احمد والبيهقي عن ابن عباس انه قيل يا رسول الله ابطا عنك جبريل فقال لم لا يبطي عني وانتم حولي لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم اي مفاصل اناملكم هذا والنظر الى اهل الدنيا مضر لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا وذلك لانه سبب للغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بخلاف ما ورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عايشة والنظر الى علي عبادة كما رواه الطبراني والحاكم عن ابي مسعود وعن عمران بن الحصين وذلك لانهما وسيلتان الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا راوا ذكر الله بسم الله الرحمن الرحيم • فهو اولى ما يصحب به لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم وورد المتحابين بتشديد الموحدة في الله اي في سبيله لا لغرض سواه على منابر من

نور

نور اي الهي موجب لانواع من سرور يوضع المنابر حول العرش اي بمكان المقربين لباسهم نور اي مجردا وحريرا يعلوه نور ووجوههم نور اي كنور شموس وبدور يغبطهم النبيون والشهداء اي يطلبون مراتبهم مع انهم من الاكابر السعداء وهذا للمبالغة في علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم في علو امرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الاولياء والاصفياء ويؤيده ما في الاحياء انه يروى ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا وهل واليت في وليا والحديث رواه الطبراني عن معاذ ان المتحابين في الله في ظل العرش وفي رواية له عن ابي ايوب المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه احمد والحاكم في حديث طويل ان ابا ادريس قال قلت والله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية ابي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم

النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولاحمد من حديث ابي مالك الاشعري
ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهداء يغبطهم الانبيا والشهداء على منازلهم
وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم
القيمة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا يوم القيمة وثيابهم نورا يفزع
الناس يوم القيمة ولا يفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وروى النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابي
هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم
نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول
الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون
في الله فالحب فيه تعالى كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر
لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالايقان فاذا علمت
ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى في ذات المحبوب كحب الصور الجميلة
والسير الخيرة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث
منها واما ان يكون للتوصل به الى مقصود اخر ليس في ذات المحبوب وذلك
اما ان يكون نفس الدنيا او متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله فا
لاول ليس من الحب في الله لانه منبعث من الدنيا والثاني يعد من الحب في
الله كحب عالم اي كحب العالم يستفاد من قوله وحاله اي من جملة اقواله
وسائر افعاله واخلاقه واحواله وصالح يتبرك به اي بدعائه وانبائه
وحسن ماله في مناله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاد من عمله وحلمه
في الدنيا ويرجى شفاعتهما في العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من
الاخوان فان لكل مومن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروى

في غريب

في غريب التفسير لقوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله اي يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا احب جماعة
من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة ولابي
عبد الرحمن السلمي من حديث علي مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين
فالاخ الصالح ان نسي ذكره وان ذكره اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن
موسى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في
امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وفي رواية ابي داود من حديث عائشة
رضي الله عنها اذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره
وان ذكر اعانه ونقله في الاحيا معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله
به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فعن عيسى
عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في الملكوت عظيما وامراة تفرغ
اي الرجل للعبادة بتدبير امور البيت وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله
وصيانة دينه ولذا ورد في الاخبار وفور الاجر والثواب لانفاق على العيال
حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته كما تقدم والله اعلم وغني يعطي مالا اي
قدر حاجة العالم او العابد يصون الوقت اي يحفظ وقتهما عن الضياع
في الطلب اي طلب ما لا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم
جماعة من اولي الثروة وكانا المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله ومتعبد
له تعالى اي المتبري في العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة
فالمحب للشيء يحب محبه ومحبوبه وقد ورد في الدعا اللهم اني اسالك
حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك وكذا المبغض اي للشيء مبغض
لمبغضه ومبغوضه وفي الجملة من احب الله واحب رضاه واحب لقاه اذا

حب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور اي يحب شيئا الا لما استشعا هو محبوب
عنده وهو رضا الله ومن هنا قيل احب العالم جميعه لانه خلقه وصوره وحلي
واحسن خلقه وقد قال ابو مدين المغربي لا ينكر الباطل في طوره فانه بعض
ظهوراته وقد قيل ان المومن اذا احب المومن احب كلبه وقال مجنون
بني عامر • امر على الديار ديار ليلي • اقبل ذا الجدار وذا الجدارا • •
وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا • •
فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجلالية فليس
في الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان
عليه السلام اذا حمل عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب
عهد بربنا الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد
الصرف وحقيقته واما في مقام الشريعة وطريقته فلا بد من اعطا كل ذي
حق حقه فينادي ويقال الهي ارنا الاشيا كما هي واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا
اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد
اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله رواه احمد من حديث البراء بن
عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان
رواه ابو داود عن ابي امامة و يزدادان اي الحب والبغض بقوة الطاعة وكثرتها
والمعصية اي في الحب والمحبوب وينقصان بضعفهما لانهما مترتبان على
وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب في الله ان كل حب لولا
الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذا زيادة
الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد
• • اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • • •

وقال

وقال سمنون المحب • فليس لي في سواك حظ • فكيف ما شئت فاختبرني • •
ما في بمجهول قال ادنى اي ادنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة الاخوة فعن
انس ما احب عبد اخا في الله عز وجل الا احب الله عز وجل له درجة في الجنة
ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان ثم المحبة وهي الموجبة لزيادة الصحبة
من الاخوة وهي ما تمكن في حبة القلب اي سويدايه وخاصة اجزايه
وخلاصة اثنايه فعن انس ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما
حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ثم الخلة بضم اي الصداقة
والمحبة الصادقة وهي ما تخلل اي توسط الحب وتداخل امره في سره
بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله ولا شركة فيهما اي في الخلة لاحد
سوى الله بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل في حب الجميل الجليل
فورد لو كنت متخذا خليلا اي من المخلوقين لاتخذت ابا بكر خليلا لكونه
عندي جليلا ولكن صاحبكم يعني نفسه خليل الرحمن اي وحبيبه فلا يسع في
قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخاري عن ابن الزبير والبخاري عن
ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
اخي وصاحبي وعن الزجاج الخليل هو الذي ليس في محبته خلل وقيل الذي
يوالي فيه ويعادي به وقيل الخليل هو المحب المحض بشي دون غيره ولهذا
قال عليه السلام اني ابرا الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا الحديث فهذا
منه عليه السلام قطع المخالة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول
ابي هريرة وبعض الصحابة خليلي عليه السلام واجيب بان المنفي ان يتخذ
هو خليلا وما نفى ان يتخذه غيره خليلا بخلاف ما سواها اي غير الخلة من المحبة
والاخوة فانه يتصور الشركة في كل منهما فورد اي في الاخوة وكمال المحبة على

مني بمنزلة هارون اي من موسى الا انه لا نبي بعدي رواه ابو بكر المطيري في
جزئه عن ابي سعيد وفي رواية الطبراني عن ابن عمر علي اخي في الدنيا والاخرة
فبصاحب العاقل وهو العالم العامل والحسن الخلق وهو الفاضل الكامل وقد
قال عليه السلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن
الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك وتعطي من
حرمك البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابي هريرة اذا لم يسمع
منه فاشتراطهما ماثور وذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد
عن الاحمق والسيئ الخلق اولى واحق وقد ورد من حديث ابي هريرة برواية
ابي داود والترمذي وحسنه والحاكم وقال صحيح ان شاء الله المرء على دين
خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بصفات يرغب بسببهما في
صحبته اما العقل فهو راس المال لتحصيل الكمال وعن علي كرم الله وجهه
انه قال • لا تصحب اخا الجهل • واياك واياه • فكم من جاهل اردى • حليما حين اخاه
يقاس المرء بالمرء • اذا ما هو ماشاه • وللشيء على الشيء • مقاييس واشباه
وللقلب على القلب • دليل حين يلقاه • كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد
نفعك وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
قارئ وهو سيئ الخلق اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب او شهوة
او بخل او جبن اطاع هواه في ذلك فيعاملك بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق
هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترا عليك او شهوة اثر نفسه عليك
او بخل قطع بك احوج ما يكون اليك او جبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك
والناصح اي بصاحبه فصحبة الحريص سم قاطع اي يسري من حيث لا يدري
والصالح اي وبصاحب المتقي فعن ابي ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس

السوء

السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم فالفاسق وهو مرتكب
الكبيرة يستحق المقت وهو الغضب وهو بغضا في الحب فقد قال الحسن مصارمة
الفاسق قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض
بسبب عصيانه لكن لا بد من عدم قربانه ثم المبتدع اولى بان يجتنب في
صحبته سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل
المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا
يا روح الله فمن نجالسه قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد
في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله وقد قال علي رضي الله عنه رجزا

• ان اخاك الحق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك •
• ومن اذا ريب زمان صدعك • شتت فيه شمله ليجمعك •

وقال بعض العلما لا تصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك
او رجلا تعلمه شيئا في امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار
في الصحبة على المنفعة فقد ورد مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل
احداهما الاخرى وما التقى مومنان قط الا افاد الله احدهما من
صاحبه خيرا رواه السلمي في اداب الصحبة والديلمي عن انس وفي الخبر
المومن مراة المومن والمومن اخو المومن يكف عليه ضيعته ويحوطه
من ورائه ابو داود عن ابي هريرة اي يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه
حالته وقوله المومن مراة المومن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه
فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفيد كما يستفيد
بالمراة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي من وعظ
اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

والله سبحانه يعاتب المومن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره
ويوقفه على ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على روس الاشهاد
ويستنطق جوارحهم بفضائحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلاثة
احدهم مثل الغذا لا يستغنى عنه والاخر مثل الدوا يحتاج اليه في وقت
دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلي
به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع منه وقال علقمة العطاردي في وصيته
لابنه يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته
صانك واذا صحبته زانك وان قعدت بك مونة مانك اصحب من
اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك
سيئة سدها اصحب من اذا سالته اعطاك وان سكت ابتداك وان
نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا
حاولتما امرا امرك واذا تنازعتما اثرك قال ابن اكثم قال لي المامون فاين
هذا فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا تصحب احدا هنا
هذا وعن الحسن بن علي لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك
لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياهم وليسوا
معهم اقول وربما يقال ان الكفر حجبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى ان يجمعهم
نورد من احب قوما حشر معهم كما اورده الحاكم وقد يقال محبتهم لانبيايهم ه
ليست خالصة لله بل لكونهم من انبيايهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان
فليحب المرء لا يحبه الا لله تعالى رواه الطبراني عن ابي هريرة وقال رجل لمحمد
بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني لاجله ثم حول وجهه
وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض وفي الجملة كما ورد

الارواح

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم
من حديث ابي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عايشة ورواه الطبراني
في الاوسط عن علي ان الارواح في الهوى جند مجندة تلتقي فتشام وعنه
عليه السلام ان ارواح المومنين لتلتقي على مسيرة يوم وما راى احدهم
صاحبه احمد من حديث عبد الله بن عمرو والجنسية علة الضم فروي ان
امراة كانت بمكة تضحك النسا وكانت بالمدينة اخرى فنزلت
فنزلت المسكة على المدينة فدخلت على عايشة رضي الله عنها فا
ضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه
الحسن بن سفيان في مسنده وعنه عليه السلام لو ان مومنا دخل الى
مجلس فيه مائة منافق وهو مومن واحد لجا حتى يجلس اليه ولو ان منافقا
دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجا حتى يجلس اليه البيهقي
في الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا قيل ان سه لا يكذ يجر
الاهل الى الاهل ويشيرا اليه قوله تعالى وهو على جمعهم اذا يشا قدير وقال
بعض الحكما كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع مثله واذا
اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا
في الاستقبال وراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا
وليس من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا
وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع اهل المعصية واتفقوا على
اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى
غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم

ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر
الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسال احدا شيئا
ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد
علي المعتزلة وقال انك اولا تورد شبههم وتحمل الناس علي التفكر فيها
ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث
ابي هريرة ان الله خلق آدم علي صورته كذا ذكره في الاحيا ولم يبين تاويله
فقيل علي صفته الجمالية والجلالية او علي صفته من السمع والبصر والكلام وقيل
الضمير في صورته لادم والله اعلم والحاصل ان مختار الامام احمد ان هذا الحديث
من احاديث الصفات المشكلات كالايات المتشابهات نؤمن بمبناها ولا
نتعرض لمعناها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات
ومقتضاها واما الجمهور فما اختاروا مهاجرة اهل المعصية للعلم بان الذين
شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الامر في زمانه عليه السلام وايام اصحابه
الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فمنهم الي من يغلظ
القول فيه ويظهر البغض اليه والي من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه
والي من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو
المناسب لهذه الامة فانهم اتباع والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه
الامة فانهم اتباع نبي الرحمة ومما يدل علي تخفيف الامر في الفسق القاصر
الذي هو بين العبد وبين الله ما روي البخاري من حديث ابي هريرة ان
شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم مرات وهو يعود
فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام
لا تكن عونا للشيطان علي اخيك ويقدم حاجته اي حاجة اخيه في المال

اي اعطائه

اي اعطائه والنفس اي حظها وهواي التقديم الاولي اي لانه المقام
الاعلي لقوله تعالي ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي مجاعة
ولقد كان بعض الانصار ممن اخا النبي صلي الله عليه وسلم راس شاة فقال
اخي فلان احوج مني فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الي اخر فلم يزل
يبعث به واحد الي اخر حتى رجع الي الاول بعد ان تداوله سبعة وقيل
اربعون ثم التسوية اي المساواة في المال بينه وبين اخيه علي
التسوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله والحريز وجنبه علي عبد
الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك رواه
البخاري من حديث انس ثم التاخير اي تاخير حق صاحبه عن حق نفسه
فان فضل منه شي فليصرفه الي اخيه وان عدم هذا اي الاخير وهو التاخير
فلا اخا بل هو في مقام التقصير والاولان اي التقديم والتسوية ما ثور
اي مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا وورد ما من صاحب يصحب صاحبا
ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالي واضاعه
وفي نسخة ام اضاعه حين اعطي اي ورد الحديث المتقدم حين اعطي عليه
السلام اقوم المسواكين اي اعطاهما الي الصاحب وهو ابو بكر الصديق
وقال انت احق به يا رسول الله فقال لما قال وفي الاحيا ان اقتدا الكل في
الايثار برسول الله صلي الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه
فاجتني منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فرفع المستقيم الي
صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب
الحديث قال مخرجه لم اقف له علي اصل اقول لكن رواه ابن جرير الطبري كما ذكره
ابن عطية في تفسيره امرهم شوري بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا

خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من
قال نعلي لانه اضافه الى نفسه فكانوا لا يميزون املاكهم كما حكي عن
ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلي وقال ابو محمد القلانسي
وكان من استاد الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني فقلت مرة
لبعضهم اين ازاري فسقطت من اعينهم ومن هنا قيل الصوفي لا يملك
ولا يملك فهو كالملك ويظهر البشاشة فيه اي في انفاق صاحبه والسرور
اي الفرح بسببه فقد جاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غايبا فامر
اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية
مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل وذلك لانه دل
على صداقته كما حقق في قوله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم
مفاتحه او كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف
فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الاية واذن
لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقا ويقبل المنة اي على نفسه
بقبول المصاحب احسانه فقد جا رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك
في الله فقال اتدري ما حق الاخا قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك
ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن
الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد بغير
اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجا رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت
المقدس فقال له اريد ان اوافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك بشيك
منك قال لا قال اعجبني صدقك ولا يحوجه اي اخاه الى السوال اي اصل
الطلب او مقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال فهو اي الاحوج

الى السؤال

الى السوال تقصير في مقام الكمال فان ادنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند
السؤال والقدرة قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوايب
فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فاخذ منه ما اريد فجيته
ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه
من قلبي وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال لما ذا تصنع به فقد
ترك حق الاخا قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره
ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فتوضا للصلاة وكبر عليه
اربع تكبيرات واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله وكان في السلف
من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم
ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه
بل كانوا يرون منه ما لا يرون من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد
الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة
فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم
تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب
الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكرون بالدنيا واخواننا يذكروننا
بالعقبى ويتودد باللسان اي بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد راس
راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر
الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده فقال انس كان عليه
السلام لا يواجه احدا بشيء يكرهه رواه الترمذي وغيره ولكن مدار الصحبة
والاخوة على النصيحة بل ورد ان الدين النصيحة فمن قنع بالسكون صحب
اهل القبور في البيوت وينبغي ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت

عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة كما ورد الناس كابل مائة لا تجد فيها
راحلة واجر ثقله وانشد اتمني علي الزمان محالا ان تري مقلتاي طلعة حر
نما من احد من الناس الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي
فهو الغاية والمنتهي في المبني وفي الصحيحين ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا
تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا فالتجسس بتطلع الاخبار
والتحسس بالمراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب
شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد يا من اظهر الجميل
وستر القبيح ويتفقد الاحوال ويظهر المشاركة معه في السراء والضراء
فورد لا يومن احدكم حتي يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان وقد
نظر ابو الدرداء الي ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف
الاخر فبكي ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف
احدهما وافقه الاخر وفي المثل لولا الوئام لهلك الانام وقد ورد المومنون
كرجل واحد ان اشتكي راسه اشتكي كله وان اشتكي عينه اشتكي كله احمد
ومسلم عن النعمان بن بشير ولا تفضحن احدا الا يري لك من الفضل مثل ما تري
له وتدعوه باحب الاسماء اي اسماؤه في حال ندائه فعن عمر رضي الله عنه ثلاث
يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه
باحب اسمائه اليه وورد اذا احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن
منزله رواه البيهقي عن ابن عمر ولفظه اذا احببت رجلا فسله عن اسمه واسم
ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته وفي
رواية ابن سعد والبخاري في تاريخه والترمذي عن يزيد بن نعامة الضبي
بلفظ اذا اخي الرجل الرجل فليساله عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه اوصل

بالمودة

بالمودة وممن هو اي من اي قوم وقبيلة هو وكان عليه السلام يدعوهم اي
اصحابه الكرام بالكني اذا كانوا معروفين بالكنية كابي بكر ونحوه حتي قال
يا ابا عمير ما فعل النغير ويثني عليه اي علي اخيه وعلي اهله اي من ابيه و
بنيه بل علي صنعته وفعله وخلقه وهيئته وعلمه وجميع ما يفرح به حال
كونه صادقا في قوله مقتصدا اي متوسطا في مدحه لا مقصرا ولا مفرطا في
وصفه ويكون معلنا به بحيث يبلغ اليه فهو يوكد المحبة اي يزيدها لديه
وينبه علي العيوب اي المساوية من الذنوب متلطفا في بيانها في الخلا خوفا
من الفضيحة في الملا فورد المسلم مراة المسلم فاذا راي به شيئا فلياخذه ابن
منيع عن ابي هريرة وقد قيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني
فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملا فلا وعن عمر رضي الله عنه رحم الله من
اهدي الي بعيوب نفسي وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما
تكره فاستعفي فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار
والاخري بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين علي مائدة واحدة فقال عمر
اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الي يوسف
بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت علي صاحب لبن فقلت
بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هو لك وكان يعرفك ففي الملا افضاح
اي اشاعة فيها فضاعة وايضاح وفيه اي في الافضاح اوعد بعقابه تعالي يوم
القيامة ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والاخرة وهذا كله في عيب وهو غافل عنه فانه يرجي النفع منه ويسكت
ان علم به اي بعيبه وعدم انتفاع النصح اي بسببه لكونه ماسور الطبع
لا مقهور الشرع والقطع اي قطع مصاحبة المسلم بلا سبب والا بغا اي بغاء

اخوته اقرب لرجا تأثير الصحبة فيه فيقبل النصيحة بعده وقيل القطع اولى لمن
كان ضعيفا والابقا لمن كان قويا فورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك
البخاري عن ابي موسى ولفظه مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب
المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه
وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة ولان القطع منهي
عنه اي في الانتها لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه احمد في مسند مجاز في
الابتدا فتركه مامور به لئلا يقع في البلا لحديث لا تصاحب الا مومنا اي كاملا
احمد وغيره ويتجاهل عن تقصيره اي في خدمته وصحبته قال الاحنف
حق الصديق ان يحتمل منه ثلاثة ظلم المغضبة وظلم المدلة وظلم الهفوة
الا اذا ادى الاستمرار الى القطع اي جواز مقاطعته فالاولى الاحتمال وهو
مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون في دوام مودته او مقاطعته
فذهب ابو ذر الى الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء
وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال
عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفي
الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته البغوي في المعجم وابن عدي
في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني ثم العتاب في السر حكي عن اخوين من
السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال
احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان اخذ بيده واتلطف له في
المعاتبة على المخالفة وادعو له بالعود الى ما كان عليه من الموافقة والكناية
بالكناية ثم التصريح اي في السر والكناية والاظهار ان السر في السر والعلانية

في العلانية

في العلانية يعني حديث عمر وقد سئل عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسال عنه
بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخي فقال ذلك اخو الشيطان قال مه قال
انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عمر
عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو
اليه المصير ثم عاتبه تحت ذلك وعزله فلما قرا الكتاب بكى قال صدق الله
ونصح لي عمر فتاب ورجع ثم المشافهة اي ان كان غايبا ولم يتعظ بصريح
المكاتبة في المعاتبة اذ المقصود اي الاصلي اصلاح النفس برعاية
الحق اي حق المصاحبة وتحمل الاذى على رجا المراجعة فقد قيل لابي
الدرداء لا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس
من قوله تعالى فان عصوك فقل اني بري مما تعملون حيث لم يقل اني
بري منكم مراعاة لحق القرابة واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولهذا
قيل لحكيم اي احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا
كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة
تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة ويقبل المعذرة اي وجوبا
فعلى من لم يقبلها مثل اثم صاحب المكس وهو الذي ياخذ المال ظلما من
التاجر كالعاشر وقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه
من الخطيئة مثل خطيئة صاحب مكس رواه ابن ماجه وابو داود في المراسيل
من حديث جوذان واختلف في صحبته وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في
الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف هذا وقد قيل ينبغي ان تستنبط
لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك

وقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لاخوك ويدعو له اي في الحضور والغيبة فيستجاب فيه اي في حق اخيه ما لا يستجاب لنفسه فعن عبد الله بن عمرو ان اسرع الدعا اجابة دعوة غايب لغايب ابو داود والترمذي وعن ابي الدرداء دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم وله مثل ذلك ففي صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك ويحفظ الوفا اي وفا العهد قال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم بالثبات على المحبة معه ومع اهله واخوانه في حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه فكانوا اي السلف يبالغون فيه كما تقدم وورد قليل الوفا بعد الوفاة خير من كثيره في الحياة فيحبون كلب الحبيب اي مراعاة لقلب الحبيب ويشير اليه قوله سبحانه وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولله در القايل

راي المجنون في البيدا كلبا • فمد له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه • وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة ان عيني • راته مرة في حي ليلي

وورد انها اي العجوز كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد اي حسنه وبقاوه من الايمان اي كماله حين اي ورد حين اكرم عليه السلام عجوزا اي دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها الحديث والاصل اي في حقوق الصحبة تسوية الظاهر والباطن والحضور والغيبة والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا ولا يغير الحال اي من التواضع في الفعل والقال عند ارتفاع القدر اي باتساع الجاه او زيادة المال فهو من اللوم اي الدناة والخساسة واصل اللوم ضد الكرم ولقد قال بعض ارباب الكمال

ان الكرام

• ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا • من كان يالفهم في المنزل الخشن •

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع ان الشافعي اخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والاخرى في ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الابيات الاتيه

اذهب فودك من ودادي طالق • ابدا وليس طلاق ذات البين •
فان ارعويت فانها تطليقة • ويدوم ودك لي على ثنتين • واذا امتنعت
شفعتها بمثالها فتكون تطليقتين في حيضتين • فاذا الثلاث اتتك
مني بتة • لم يغن عنك ولاية السيبين •

ولا ينفرد عنه في اكل اللذيذ وكذا شربه وفي لبسه بل ينبغي ان يوثره على نفسه وحضور السرور لانه بحضوره يحصل نور على نور ويستوحش اي يحزن عند فراقه اي لكمال اشتياقه اليه وقد قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها • سوى فرقة الاحباب هينة اي سهل الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي وانشدت عايشة رضي الله عنها • ذهب الذين يعاش في اكنافهم • البيت ويساعده اي يوافقه في الامور الا فيما خالف الحق فقد ورد لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي لا طاعة لاحد في معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف وفي رواية احمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع الله والوفا اي الوفاق فيه اي في الخلاف هو الخلاف فيه اي

لحطب •

الشفاق ويشاوره لقوله تعالى وامرهم شورى بينهم ولا يحفظ السر عنه
حيث لا يخاف الشر منه ولا يحب عدوه لئلا يكون شريكا له في العداوة اي ومن
الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك
فقد اشتركا في عداوتك ويخفف اي ثقالة الصحبة ومونة الكلفة بترك
التكلف اي في نفسه والتكليف لصاحبه في ادا الحقوق وغيرها والمراد
بها ما يلزم مروة لا لزوما شرعيا قال بعض الحكما تمام التخفيف
بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ومن هنا
قيل اذا ثبتت المحبة سقط الادب وقال علي رضي الله عنه شر
الاصدقا من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى اعتذار
في حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه
فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع
عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مونة التحفظ وعن جعفر
بن محمد اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من
اكون كما اكون وحدي والحاصل انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه
في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا
من اعبايه ومشقات مونته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله
والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعايه واستيناسا
بلقايه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى في تقوية يقينه
وقال بعضهم كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين
كيف شيت يعني لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون
الى السبب وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر

عنك

اذا اسات ويحمل عنك مونة نفسك ويكفيك مونة نفسه وهذا عزيز الوجود
في ميدان الشهود كنوافل العبادة تركا واتيانا اي فعلا قال الامام حجة
الاسلام ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض في نوافل
العبادات لان طايفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين
اربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر
كله لم يقل له صاحبه افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل
كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان
ذلك ان تفاوت تحرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من
سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مونته دامت مودته ومن مفادات
شيخنا العارف بالله تعالى نور الدين علي المتقي في هامش هذا الكتاب
الموجز النقي اعلم ان الله تعالى خفف على عباده في عبادة النوافل تخفيفين
احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني اذا لم ياتي الشخص بعبادة النفل
راسا لا تكلف عليه ولا مواخذة لديه وثانيهما في وصفه من التكلف لجواز
صلاة النفل حالة القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اي جهة
ونحوها فينبغي للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف في
حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف في عبادة النافلة مثلا اذا كان
اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مونة
السلخ والطبخ وقال الاخر على تحصيل الما والحطب فاذا قصر احدهما في
شرطه بان لم يات باصل الشرط مطلقا فلا يواخذه لان التكليف
متروك في النفل واذا اتى باصل الفعل ولكن اتى بترك التكلف بان طبخ
طعاما مالحا او قليل الملح فلا يواخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى

هذا القياس ينبغي في جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة المتشعبة فلله در المؤلف حيث اتى بهذه العبارة الوجيزة في مبانيها مع كثرة معانيها فورد انا واتقياء امتي براء من التكلف الدارقطني في الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه الا اني بريء من التكلف وصالحوا امتي واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اي المتقولين القران من تلقاء نفسي فمن يقول شيئا من ذلك من تلقاء نفسه فقد تكلف في امره وكذا الحكم في فعله ويرفع الادب اي من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد عند تمام الاتحاد فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الاداب فالمقصود صفاء القلب مع احباب الرب والادب اي الظاهر عنوانه فاذا عرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب ويزور اي صاحبه غبا اي يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت يزد حبا لحصول الاشتياق الى الوصال الذي يأمن من الملال اي الموجب للتقطع في الاستقبال وينوي فيه اي في الزيارة الاستيناس اي طلب الانس باللقا اي لقا اهل اليقين والاستعانة على الدين كما هو شان المجتهدين والتقرب اليه تعالى باقامة الحق اي حق الاخوة والصحبة وتحمل المؤنة اي كلفة الالفة ففي مسند احمد وغيره عن ابن عمر المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وفي رواية الدارقطني عن جابر المومن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الاية هذا وجاء في الخبر ان الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين

يتحابون

يتحابون من اجلي احمد من حديث عمرو بن عبسة وعبادة بن الصامت والحاكم وصححه وعن انس ما زار رجل اخا له في الله الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة رواه ابن عدي والترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة من عاد مريضا او زار اخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عليه السلام ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده قال لا قال القرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابي هريرة ويسلم على المسلم صغيرا او كبيرا او غنيا او فقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذي عن ابي هريرة وفي رواية الحاكم عن ابي موسى افشوا السلام بينكم تحابوا وفي رواية البيهقي من حديث هانئ بن يزيد ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وان لقيه مرارا اي مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم او حالت شجرة او جدار وكذا اسطوانة ونحوها اي بهذا السلام تجديد عهد الاسلام اي بان لا يوذي بصيغة المعلوم او المجهول في عرضه وماله وساير احواله قبل الكلام متعلق بيسلم اي يأتي بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية اهل الاسلام حتى في دار السلام فورد من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبه اي لا ترد عليه الكلام حتى يبدا بالسلام اي ويترك الابتداء بالكلام والحديث رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر

ولفظ من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وعند الدخول في بيته
اي يسلم علي اهله فللترمذي عن انس انه عليه السلام قال له اذا دخلت
علي اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلي اهل بيتك وبيت غيره اي كذلك
لئلا يدخل الشيطان معه لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا علي اهلها
فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الخرايطي في مكارم الاخلاق
وهو مامور به اي في قوله تعالي فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي انفسكم اي علي
انفسكم اي علي جنسكم من المسلمين وان كان اي البيت خاليا وهو اعم من
بيته وبيت غيره فتحيته اي حينئذ يكون بلفظ السلام علينا وعلي
عباد الله الصالحين فالملائكة اي الحفظة او الكتبة ترده فانهم من جملة
عباد الله الصالحين والدخول اي ويسلم عند دخوله في قوم اي علي قوم
وهو ظاهر متعارف والخروج اي ويسلم ايضا عند خروجه عنهم ليكون
مشاركا لهم في كل خير اي ابتداء وانتهاء لان السلام الاول للملاقاة والثاني
للموادعة ولعل هذا وجه التكرار في قوله سبحانه لا يسمعون فيها لغوا ولا
تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ولابي داود والترمذي وحسنه من حديث
ابي هريرة اذا انتهي احدكم الي مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس
ثم اذا قام فليسلم فليست الاولي باحق من الاخري ويبدا به اي بالسلام
فهو المروي اي عنه عليه السلام انه كان يبدو بالسلام كما في الشمايل
وفي نسخة يبدو وفي مسند احمد عن ابي امامة من بدا بالسلام فهو اولي
بالله ورسوله وقد قال العلما ان هذه سنة اجرها كثير من جواب السلام
مع انه فرض وذلك لما في البدية من التواضع ولانه تسبب في اداء الفرض
وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل

درجة

درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملاء خير منهم
واطيب منه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار
عنه مرفوعا السلام اسم من اسما الله تعالي وضعه الله في الارض فافشوه
بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم الحديث ولا يسلم علي
جمع النساء اي من الاجانب ويرد عليهن اي اذا سلمن عليه فان الرد
فرض فلا يترك لتوهم الوقوع وكان انس يمر علي الصبيان فيسلم ويروي
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه الشيخان وفي النسائي
عن انس انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم علي صبيانهم ويمسح
رؤسهم ولا اي ولا يسلم عند تلاوة القران اي لا علي تاليه ولا علي مستمعيه
لئلا يقع خلل فيه والاذان لاشتغال المؤذن والمجيب به وقضا الحاجة
ونحوها اي من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع ولا يتكلم فيها اي مطلقا
فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر ان رجلا سلم علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه ولا اللعب اي ولا يسلم عند اللعب
بالشطرنج علي لاعبه ومن معه من صاحبه ونحوه اي النرد ومجلس الشرب
والات الغنا وامثالها ولا يرد فيها اي في المذكورات التي لا يسلم فيها ويزيد
في الجواب اي بطريق الاستحباب فورد اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
اي بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته او ردوها اي
قولوا في جوابها مثلها والاولي بالبداة اي بابتدا السلام الداخل علي المدخول
عليه والماشي علي القاعد ونحوه والراكب علي النازل والصغير علي الكبير
والقليل علي الكثير ففي الصحيحين عن ابي هريرة يسلم الراكب علي الماشي
والماشي علي القاعد والقليل علي الكثير والصغير علي الكبير واذا بلغ

اي اذا سلم عليكم بسلام وقيل
السلام عليكم صح

سلاما من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه الستة عن
عايشة او وَعَلَيْكَ وعليه السلام رواه النسايي عن انس كذا في الحصن
فيجوز الاكتفا بالاول والجمع بينهما افضل واو للتنويع في اختلاف الرواية
وفي الاذكار يعني اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول سلم
عليك فلان يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا
فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل ان يقول المسلم السلام عليكم
بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة
الله وبركاته وياتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب
فاقل الاستحباب وعليك السلام او وعليكم السلام فان حذف الواو
فقال عليكم السلام اجزاه ذلك وفي الصحيحين عن ابي هريرة خلق الله
عز وجل على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على
اوليك نفر من الملايكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فانها تحيتك وتحية
ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله انتهى وفيه
دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما
بعد الاخر فلا تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب الاخر فتدبر
وورد اذا سلم واحد من القوم اجزا عنهم مالك في الموطا عن زيد بن اسلم
مرسلا ولابي داود من حديث علي يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم
ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابه
فرض كفاية وفي الديلمي عن علي السلام تطوع والرد فريضة ولا يشير
بالاصبع والاكف فهو عادة الكفار اي من اهل الكتاب منهي عنه ففي الترمذي
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لا تشبهوا باليهود والنصارى

فان

فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف
وفي رواية ابي يعلى وغيره عن جابر تسليم الرجل باصبع واحدة يشير بها فعل
اليهود والمعنى انه لا يكتفى بهما عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام
لزيادة الاعلام او لبعد المقام او لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام
فلا باس به الا انه لا بد من اسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من
العامة وبعض الطلبة باخفا السلام او رده والاكتفا باشارة بعض
الاعضا من اليد او الراس ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه
عليه السلام مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فالوى بيده
بالتسليم او مقرونا به واشار عبد الحميد بيده رواه الترمذي وقال
حسن وقال احمد لا باس به ورواه ابو داود وابن ماجة من وجه اخر
ولا يخص المعارف بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف
بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم فهو اي تخصيص المعارف
بالسلام من اشراط الساعة اي علاماتها التي من جملتها قلة العلم وكثرة
الجهل ولا يبدا بعليك السلام فهو تحية الميت اي يجوز ان يقال له ذلك
ويقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام قال السلام عليكم دار قوم
مومنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال
ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي والنسايي في اليوم والليلة
وقال الترمذي حسن صحيح ويصافح اي صاحبه من المتقين لا سيما الكبرا
في الدين من العلماء والاوليا والشرفا اذا كانوا من الضعفا لا السلاطين
والامرا والوزرا فهو اي التصافح من تمام التحية وعن الحسن المصافحة

الخرايطي والاوليا والشرفا اذا كانوا من الضعفاء لا السلاطين والامرا
والوزرا في مكارم الاخلاق وهو عند الترمذي من حديث ابي امامة
وضعفه وورد فيما اي المصافحة قسمة مائة مغفرة تسعة وتسعون
لاحسنهما بشرا فعن ابي هريرة اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما
مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسائلة
باخيه الطبراني في الاوسط وعن انس اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت
بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا الخرايطي بسند ضعيف
وعن عمر مرفوعا اذا التقا المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا
نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرون البزار
في مسنده والخرايطي واللفظ له والبيهقي في الشعب وقد ورد قبلة
المسلم اخاه المصافحة الخرايطي وابن عدي من حديث انس وقال غير
محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفي الاحيا ولا باس ٢٧٣
بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له فعن عمر قبلنا يد النبي
صلى الله عليه وسلم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك قال لما
نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ابو بكر ابن المقري
في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف وروي ان اعرابيا قال يا رسول
الله ايذن فاقبل راسك ورجليك قال فاذن له ففعل الحاكم من حديث
بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البرا ابن عازب انه سلم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه
ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول ما كنت ارى هذا الا من اخلاق
الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت

ذنوبهما الخرايطي بسند ضعيف وهو عند ابي داود والترمذي وابن
ماجة مختصرا ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان
يتفرقا ويجعل الاصابع في الاصابع اي اصابعه في اصابع اخيه وهذا غير
محفوظ في السنة ولا هو ماخوذ من اللغة اذ مفهومها وضع صفحة الكف
واليد واصابعهما في كف صاحبه ونحوه ولا يدع اي يد اخيه حتى يدع صا
حبه اي يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبراني في الاوسط
باسناد حسن عن ابي هريرة انه عليه السلام كان لا ياخذ احد بيده فنزع
يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة
جليسه ولم يكن لحد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ
من كلامه ولابي داود والترمذي وابن ماجة نحوه من حديث انس فهو
السنة المروية في شمائله من فضائله لا من وراء الثوب اي لا يصلح
من وا الاكمام فهو جفا من عادة اكثر اي المتكبرين من الاعاجم والاروام
ويعانق القادم اي الواصل من السفر وفي الاحيا ان الالتزام والتقبيل ورد
به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث عايشة
قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن
غريب وقال ابو ذر ما لقيته عليه السلام الا صافحني وطلبني يوما
فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت
اجود واجود رواه ابو داود ويا خذ ركاب العلما للتوقير فقد فعل ابن
عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اي
بركابه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحابه ويوسع المجلس
مسجدا كان او غيره لقوله تعالى واذا قيل لكم بلسان القال تفسحوا في

المجلس فافسحوا يفسح الله لكم والفسح الوسع وفي الصحيحين من حديث
ابن عمر لا يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه
عليه السلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فلياته
فانما هي كرامة من الله عز وجل اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الي
اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن
ابي شيبة ورجاله ثقات وابن ابي شيبة ضد اذكره ابو موسي المديني
في ذيله في الصحابة ويكرم الداخل اذ كان من ذوي الفضائل والفواضل
فيبسط له الثوب اي من الردا ونحوه تروي انه عليه السلام دخل بعض
بيوته فدخل عليه اصحابه حتي دحس المجلس فامتلا فجاء جرير بن عبد الله
البجلي فلم يجد مكانا فقعد علي الباب فلف عليه السلام رداه فالقاه اليه
فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه علي وجهه وجعل يقبله ويبكي
ثم لفه ورمي به اليه صلي الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس علي ثوبك
اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلي الله عليه وسلم يمينا وشمالا
قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح
الاسناد وروي ان ظئر رسول الله صلي الله عليه وسلم التي ارضعته جائت
اليه فبسط لها رداه ثم قال مرحبا بامي ثم اجلسها علي الردا ثم قال لها اشفعي
تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو
لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد
ووهب لها سهمانه بخيبر وهي احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن
عفان بمائة الف درهم كذا في الاحياء ورواه ابو داود والحاكم وصححه من
حديث ابي الطفيل مختصرا في بسط ردائه لها دون ما بعده ولاحمد من حديث

ابن عمر

ابن عمر انه دخل عليه صلي الله عليه وسلم فالقي له وسادة من ادم حشوها
من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبراني من حديث سلمان دخلت علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو متكي علي وسادة فالقاها الي الحديث
وسنده ضعيف ويخفف اي المدخول عليه الصلاة فريضة او نافلة ويشتغل
به اي باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه ثم يعاود فيهما اي في
اتمام صلاته فالكل مروي الا ان تخفيف الصلاة الخ ليس له اصل في
السنة ولا ينحني فان الانحنا يكره للسلاطين وغيرهم لانه صنيع اهل
الكتاب كذا في المحيط والذخيرة ولانه شبيه الركوع الذي هو ركن
من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع له وكذا
القيام علي هيئة الوقوف في الصلاة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال
قياما فليتبوا مقعده من النار ابو داود والترمذي وحسنه من حديث
معاوية وعن انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال
فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فتصافح قال نعم الترمذي وحسنه
وابن ماجة وضعفه احمد والبيهقي وفي الاحيا لا باس بالانحنا لدفع
شر الاشقياء ولا يقوم اي للداخل كما هو عادة اهل المحافل فهو منهي
عنه اي في الحديث معلل بانه من عادة الاعاجم فعن ابي امامة اذا اتيتموني
فلا تقوموا كما يقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجة وعن انس ما كان شخص
احب الينا من رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا
لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح وفي الاحيا ان القيام
مكروه علي سبيل الاعظام لا علي سبيل الاكرام اقول وقد صار القيام
من ابتلا العام اذ يترتب علي تركه انواع الملام فيكون النهي للتنزيه

في هذا المقام وعن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن واما ما في صحيح مسلم عن ام هاني انها سلمت علي النبي صلي الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال عليه السلام مرحبا بام هاني فمحمول علي زيادة الترحيب للاكرام لبعد جواب السلام ويوقر الكبرا اي العظما في الرتبة والسن كالعلما العاملين والصلحا الكاملين والشرفا الطاهرين والشيوخ السابقين لتقدمهم في دخول الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالي والسابقون السابقون لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب علي مجرد كبر السن في الحسب واشار المص الي الترتيب في غاية من التهذيب فالعلما كما قال تعالي يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والمتقون كما قال عز وعلا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ويقدمهم في المشي اذا ضاق المقام والكلام والجلوس فورد ليس منا اي من اتباعنا واشياعنا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا رواه احمد والترمذي عن ابن عباس ولاحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة ولم يعرف لعالمنا حقه وفي رواية لاحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا وللبخاري في تاريخه وابي داود عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا واوعد بصيغة المجهول اي جا الوعيد في التقديم اي تقديم الصغير علي الكبير بالفقر اي بسبب فقر الكبير والمعني اوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يقدر له من يعظمه في كبره ففي الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يكرمه وهذا بشارة له بطول

عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذي عن انس ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة علي النبي صلي الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبير الحاكم وصححه مسلم ويراعي قلب الصغار اي الاطفال وغيرهم دون البلوغ فكان عليه السلام يبالغ فيه اي في مراعاة قلوبهم فكان يمسح روسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما يتفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملني رسول الله صلي الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقي بنا قال فتلقي بي وبالحسن او بالحسين قال فحمل احدنا بين يديه والاخر خلفه وفي رواية يتلقي بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بي اليه فحملني بين يديه ثم جي باحدي ابني فاطمة فاردفه خلفه وفي الصحيحين ان عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذ تلقانا رسول الله صلي الله عليه وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخاري ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله اعلم كذا قاله مخرج الاحيا ولا يبعد ان يحمل علي قضيتين فيكون في كل منهما اجر الخاطر الاخر فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امراة منهم بينا رسول الله صلي الله عليه وسلم مستلقيا علي ظهره يلاعب صبيا اذ بال فقامت لتاخذه وتضربه فقال دعيه ايتوني بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح ويتكفل اليتيم قريبا او اجنبيا فورد انا وكافل اليتيم اي مربيه

ومصلحه كهاتين في الجنة واشار الي المسبحة والوسطى وهو كناية عن كمال
الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد والبخاري وابو داود والترمذي
عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ولابن ماجة
من حديث ابي هريرة خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه
وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه ولاحمد والطبراني من حديث
ابي امامة من وضع يده على راس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة
ولابن حبان من حديث ابي اوفي مسح يده على راس يتيم رحمة له الحديث ويظهر
البشاشة اي الانبساط اذا احضر مع اصحابه في بساط النشاط فورد ان
الله يحب السهل اي اللين الهين الطلق بفتح فكسر اي صاحب طلاقة
الوجه والحديث رواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ الطليق وقد ورد اتدرون
علي من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال علي الهين السهل القريب
الترمذي وحسنه عن ابن مسعود ويشمت اي يجيب العاطس المحمد
اي الذي قال الحمد لله بعد عطاسه بدعا الرحمة والمغفرة ويجيب بدعا
الهداية والصلاح اتفق العلما علي انه يستحب للعاطس ان يقول الحمد
لله عقيب عطاسه ويقول عند الشافعي ويجب عندنا علي من سمعه
ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم
الله ويصلح بالكم او يغفر الله لنا ولكم والاحاديث في هذا كثيرة كما بيناها
في شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما في الصحيحين
عن انس انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت اخر فسأله عن ذلك
فقال انه حمد الله وانت سكت فيه فضل كثير اي واجر كبير الا اذا زاد
علي الثلاث فورد انه زكام فعن ابي هريرة شمت اخاك ثلاثا فان زاد

فهو

فهو زكام ابو داود وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا
فعطس اخري فقال انك مزكوم وعن ابي هريرة كان عليه السلام اذا عطس
غض صوته واستتر بثوبه او بيده ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح
وفي رواية لابي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه وفي الصحيحين التثاوب
من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده علي فيه فاذا قال آه آه
فان الشيطان يضحك من جوفه وعن علي من عطس عنده فسبق الي
الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الاوسط وفي الدعا ويصلح ذات
البين اي احوالا ناشئة ما بينه او بين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة
وترك المنازعة قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال عز وعلا واتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فهو
افضل الصدقة عن ابي هريرة فللطبراني والبيهقي عن ابن عمرو افضل
الصدقة اصلاح ذات البين ولابي داود والترمذي وصححه من حديث
ابي الدردا الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا
بلي قال اصلاح ذات البين وافساد ذات البين هي الحالقة وللشيخين
من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ليس بكذاب من اصلح بين
اثنين فقال خيرا او نمي خيرا ويستر العيوب اي عيوب غيره وكذا عيوب
نفسه فورد اي في صحيح مسلم عن ابي هريرة من ستر علي مسلم ستره الله
في الدنيا والاخرة وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة
وللطبراني عن ابي سعيد لا يري امرو من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل
الجنة وروي احمد عن رجل من ستر اخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة
وللطبراني والعسا عن شهاب من ستر علي مومن عورة فكانما احيي ميتا

وللبخاري في تاريخه وابي داود والحاكم وصححه من حديث علي من اذنب
ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفى عنه فالله اكرم من ان يرجع في شي
قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان
يثني عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات
بينكم فان الله يصلح بين المومنين يوم القيمة الحاكم وصححه وضعفه
البخاري وابن حبان وللطبراني من حديث ابن عمران من احب الاعمال
الى الله ادخال السرور على المومن ويتقي مواضع التهم تحرزا عن سوء
ظنهم اي بالريبة ووقوعهم في الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان
هو السبب فيه كان شريكا في وزرهم قال تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه السلام
كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم
يسب الرجل ابوي غيره فيسب ابويه متفق من حديث عبد الله بن
عمرو عن النبي عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال
يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني
لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم رواه
مسلم وفي رواية للشيخين عن صفية اني خشيت ان تقذف في قلبكما
شيئا وفي نسخة سوا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية الحديث
وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان وعن عمر رضي الله عنه
من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم
امراة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المومنين انها امراتي
قال فهلا حيث لا يراك الناس ويشفع اي في غير الحدود لقوله تعالى

ومن

ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها فورد اشفعوا توجروا تمامه ويقضي الله على
لسان نبيه ما شاء رواه الشيخان من حديث ابي موسى وورد ما صدقة
افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم
ويجر بها المنفعة الى اخر ويدفع بها المكروه عن اخر الخرايطي والطبراني
عن سمرة ويرشد الضال اي يهديه الى طريقه الحسي او المعنوي وينشد
ضالته اي يطلبها لكن اي في غير المسجد لما تقدم ويقول يا هادي الضال
ويا راد الضالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك و
فضلك رواه ابن ابي شيبة موقوفا من قول ابن عمر والطبراني عنه مرفوعا
ويفرج المكروب اي ويزيل هم المغموم وينصر المظلوم ففي الصحيحين
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما قال يمنعه من الظلم
قلت وفي منعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا فورد من فرج عن مغموم او
اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الخرايطي في مكارم
الاخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من حديث انس بلفظ من
اغاث ملهوفا ويسعى في حاجته فالمشي فيها ساعة خير من اعتكاف شهرين
وان لم تقض فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشي احدكم مع
اخيه في قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدي
هذا شهرين وللطبراني في الاوسط من مشى في حاجة اخيه كان خيرا له
من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف وروى البخاري في تاريخه والطبراني
والخرايطي عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم الله
عمره ولابن المبارك في الزهد والرقايق باسناد ضعيف مرسلا من اقر عين

مومن

اقر الله عينه يوم القيامة وقال انس عرضت له عليه السلام امراة وقالت
لي معك حاجة فكلمها وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي
السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتي قضيت حاجتها رواه
مسلم ويعظه اي يبشر الناس بالثواب في الطاعة وينذرهم بالعقاب
علي المعصية قال تعالي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم الايات وقال تعالي يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مومنين ويبين الله لكم الايات وورد ان الدين النصيحة
لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم
الداري وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوي الله وصدق الحديث
ووفا العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل السلام البيهقي في كتاب الزهد وابو نعيم في الحلية
ويعين الضعيف اي في عمله وصنعته والمحسن اي بزيادة معرفته او يحبب
الضعفا والفقرا والمحسن الي العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهما في ثوابه
يوم الجزاء فقد صح من كان في عون اخيه كان الله في عونه ويحفظ الغيبة
اي غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع في غيبته فيه ففي الخبر يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
فضحه ولو كان في جوف بيته ابي داود من حديث ابي برزة باسناد
جيد وللترمذي نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابي الدرداء من
رد عليه عن عرض اخيه كان له حجابا من النار للترمذي وحسنه
وللطبراني عن ابي الدرداء بلفظ ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه

الا كان

الا كان حقا علي الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ولاحمد من حديث
اسما بنت يزيد نحوه ولابن ابي الدنيا في الصمت عن انس من ذكر عنده
اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل
بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالي
في الدنيا والاخرة ولابي داود من حديث معاذ بن انس من حمي عرض
اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار
ولابي داود من حديث جابر وابي طلحة ما من امرء ينصر مسلما
في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن
يحب فيه نصرته وما من امرء خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته
الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ويبر الحلف اي يمين صاحبه في
الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شيء وحلف عليه ولم
ييسر له فالمصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه في الحنث هنالك
وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن
انس ان من عباد الله من لو اقسم علي الله لابره اي لجعله بارا في
يمينه بما قدره الله وقضاه وفي الصحيحين من حديث البرا امرنا رسول
الله صلي الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم او المقسم ويحب
التائب لقوله تعالي ان الله يحب التوابين خصوصا الشاب فورد
ان الله يحب الشاب التائب ابو الشيخ عن انس ولابي نعيم في الحلية
عن ابن عمر ان الله يحب الشاب فورد ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه
في طاعة الله ولاحمد والطبراني عن عقبة بن عامر ان الله تعالي ليعجب
من الشاب ليست له صبوة ويستغفر للمذنب اقتدا بالملائكة المقربين

الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين امنوا الاية وللطبراني عن عبادة من استغفر للمومنين والمومنات
كتب الله له بكل مومن ومومنة حسنة وله وللضيا عن ابي الدرداء من
استغفر للمومنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من
الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس اربع
من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان
تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد ذكره صاحب الفردوس ولم
احد له اسنادا قاله الرافعي ويعامل على حسب حاله اي حال صاحبه
في علمنا فيه وادنى مراتبه فروض الفقه اي مسائله الغامضة
لاهل الهوا اي لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكلال
والبيان اي وعرض الفصاحة والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان
لثقيل اللسان ابزا النفسين بل المناسب ان يعرض عليهم ما يكتسب
من الطاعات وما يجتنب من المحرمات وينتصف من نفسه وفي نسخة
وينصف من الانصاف بالكسر اي يعمل بالنصفة بفتحتين اي العدالة
فهو من ثلاث خصال لا يستكمل به الايمان وفي نسخة يستكمل الايمان
وفي الخبر لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من
الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطي من حديث عمار بن
ياسر ونحوه البخاري عليه ولا يعلم احد مقدار ماله وان كان من اهل
البيت اي المطلعين على حاله فالعلم بالقلة يورث بالاهانة اي بعده من
الفقر وبالكثرة عدم الرضا اي بانفاقه وعده من البخلا وورد استر ذهبك
اي ونحوه من الفضة وغيرها وذهابك اي انها تسرك من حزنك ومذهبك

اي في موضع

اي في موضع نخاف اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم اجد له اصلا ولا يحتقر
احدا اي من الفجار بل من الكفار فالعاقبة مستورة وورد انما الاعمال بالخواتيم
كما في صحيح البخاري عن سهل بن سعد ولا يستعظم الدنيا فان الله قد
استحقرها حيث قال متاع قليل وورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء الترمذي وغيره عن سهل بن سعد
والمعنى انه لا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال دنياهم ومهما
عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز
وجل وللحكيم الترمذي عن ابي هريرة اذا عظمت امتي الدنيا نزعت منها
هيبة الاسلام فهي حقيرة وما فيها الحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ما كان لله منها ابو نعيم في الحلية عن جابر وفي مسند احمد عن عايشة
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولا يتكبر على
الفقير اي لفقره فانه موجب لفخره بل على المتكبر اي بماله وجاهه على الفقير
مروي التكبر على المتكبر صدقة ويجالس الفقير فهو السنة فلابي نعيم عن ابن
عمر تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبرا وتخرجوا من الكبر دون
الغنا اي لا يجالس الغني فضلا عن ان يصاحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى
قيل ومن الموتى قال الاغنيا الترمذي وضعفه والحاكم وصحح اسناده من
حديث عايشة اياك ومجالسة الاغنيا ويحب العافية اي الذي يكره
المرض او الذي يكره المرض او الذي ما تاتيه الحمى ونحوها من الصداع فان
فرعون مكث اربعمائة سنة ما حم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف في
مطبخه وقد ورد انه عليه السلام مدح له امراة حسينة فرغب فيها فقيل
من نعتها انها لا يا بيتها مرض فقال ما لي اليها حاجة وفي صحيح مسلم من

يرد الله به خيرا يصيب منه نوال العامي اي وغير الجاهل واذا ابتلي اي بمجلس العامي
لا يخوض في كلامه اي ويكتفي بما يحصل من مرامه ويتغافل عما يجري عليه
اي بحسب مقامه والسلطان عطف على قوله العامي اي دون السلطان
والعيي لا يجالسه واذا ابتلي به يكثر الحذر اي عن غضبه وان اظهر المحبة
اي في وجهه ولا يعتمد اي على اقباله ولا على اجاهه واعطا ماله فيرافقه
مرافقة الطفل فيتحمل منه ما يتحمل عنه ويتكلم على حسب ارادته وفي
طاعته واطاعته لكن لا بما يضره في دينه واخرته ولا يدخل بينه وبين
اهل بيته في معاملته ومجاملته فهو مضر ويبالغ في الادب ومن ادابه
لاصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب
الالفاظ والمباني وتحسين البيان المعاني وتصحيح الاعراب في الخطاب
والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة واللاحقة وقلة المداعبة في تحصيل
مجلس المصاحبة وان لا يتخشى بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل في صحبته ويتبرك
بالعادل فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ويدعو له
بالصلاح ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة ففيه صلاح العامة ونفع العام
خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل في العام ويستعيذ اي بالله الملك
العلام عند الدخول عليه خوفا من الزلل والخطر لديه وعليه اي ويجب
على السلطان اي ويجب على السلطان الاحتمال اي التحمل عن مجالسته ومؤانسته
الا في كشف السر اي لغير المحرم والقدح في الملك اي الطعن فيه بما ينافيه
والتعرض في الحرم اي من امراته او جاريته او ولده او عبده والعامة اي
ودون عامة الناس فلا يجالسهم لفساد الزمان اي اهله فانهم لا يقيلون
لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون

عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير
ينتصفون ولا ينصفون ويواخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون
يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان
ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم
ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون
ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون
يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم
فان ابتلي بهم فادبه معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى
اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك
تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد و
التحبب لديهم وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب
اي جانبوها عن ملاحظة احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده و
للطبراني عن ابي جحيفة مرفوعا جالسوا الكبراء وسايلوا العلماء وخالطوا الحكماء
ولا يعتمد اي في المجاورة والمجالس المؤتلفة الا على من جرب اي امتحنه تحقيقا
في الاحوال المختلفة كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد
والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل احد هنالك فلا يجد
جزءا اي سهما واحدا من مائة بل من الف جزء مما يظهرونه من المودة وفي
الخبر اخبر تقله وفي حديث اخر الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة فلا
تعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بان يصحبه مرة في دار او موضع
واحد من قرار فيجربه في عزله وولايته وغنائه وفاقته او سافر
معه او يعامله او يقع في شدة وبلية فيحتاج اليه في دفع الغضب ثم اياك

او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ لديك ولان
المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويجرئ
داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا
كثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه يظلم السرائر وتموت الخواطر
وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ومن بلي بمجلس فيه مزاح او لغط فليذكر
الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد من جلس في مجلس
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في
مجلسه ذلك كله الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه ولا يطمع اي
من العامة في رعاية الحقوق اي مراعاة حقه من الادب في قربه ولا ما في ايديهم
اي ولا يطمع ما في ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس ابن ماجة
وغيره والمعنى لا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم
تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو
خير ولا تعاتب منهم بنقض حاجته والابطال الامر اي امر المعاتبة لان كثرة
المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة في المصاحبة ولا تعظ من لم يتوقع منه
القبول لا تعجلا اي لا تعجل تحرزا عن تعصبه اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى
فذكر ان نفعت الذكرى اي المواعظة الحسنى وتجده تعالى اذا راى منهم
كرامة اي احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما ويكلهم اليه اي ويترك امرهم
الى الله سبحانه ان راى مكروها تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد قال تعالى
في مومن ال فرعون فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير

ان مازح لبيبا

بالعباد

بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ويستعيذ به من
شرهم ويتدارك بهم في حقهم اي في حق صدر عنهم ويتغافل عن باطلهم اي
اي منكر ظهر منهم ويحسب الكبير كالاب اي في التوقير والصغير كالابن
اي في الرحم والمساوي كالاخ اي الشقيق في الشفقة والرفق ويبالغ في
الاحتمال اي في التحمل عن اذاهم والاحسان باعطا وغيره وغيره الى اهله
وغير اهله فورد عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده اصنع المعروف الى اهله
اي مستحقه وغير اهله فان لم تصب اي في احسانك اهله فانت من اهله
اي من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدارقطني في
العلل وهو ضعيف والاصل اي القاعدة المطردة في حقوق المسلم ان يحب
له ما يحب لنفسه اي مثل ما يحب وكذا يكره له ما يكره لنفسه كما سبق في
الحديث وورد من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته
وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان
يوتى اليه رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو وقال عليه السلام يا ابا
هريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما الخرايطي في مكارم الاخلاق ولا يهجره اي اذا غضب عليه
فوق ثلاثة ايام فورد اي في الصحيحين عن ابي ايوب انه اي انسان
لا يحل اي لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان ويستاذن للدخول
ثلاثا اي ثلاث مرات لما سياتي بحث بعد كل اي كل استيذان قدر ان
يصلي ركعتين وهو الاقل او اربع ركعات وهو الاكثر ويفرغ من الاكل
ان كان مشتغلا به والتوضي او الغسل او الصلاة او امر اخر من المهمات

فورد

عن ابي هريرة كما رواه الدارقطني في الافراد بسند ضعيف الاستيذان ثلاث
اي ثلاث مرات فالاولى وفي رواية فالاولة يستنصتون اي يطلبون السكوت
ليستكشفوا من المستاذن وما عرضه وفي رواية يستمعون اي يستمعون
والثانية يستصلحون اي يطلبون صلاحهم في الاذن بدخوله او بعدمه
ويتشاورون والثالثة ياذنون او يردون اي وفق ما يختارون وفي
الصحيحين من حديث ابي موسى الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع
وقد قال تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ولا يطلع على الباب
اي لا يقف بحيث ينكشف الحجاب ويدقه لينا اي بظفر ونحوه هينا ولا تقول
انا اي فلان عند الباب او لا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه
ولا يا غلام اي من وراء الاستار بان ينادي احد غلمان صاحب الدار او عبده
في مقام الاظهار بل يحمد ويسبح او يذكر الله بالتهليل ونحوه ويتنحنح اي
اذا كان معروفا بتنحنحه او ايماء بانه هناك من مريدي دخوله ويعود
المريض فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ففي الصحيحين من حديث ابي
هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنايز
واجابة الدعوة وتشميت العاطس في ثياب نظيفة بل في بياض لطيفة
لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه لما راى علامة الموت
لديه غير عابس اي في وجهه بل يدخل عليه بشاشة بشرح صدره وفتح
امره ويجلس عند ركبة المريض اي اذا كان مضطجعا ليقع وجه المريض
على وجه زايره دون راسه اي لا يجلس فوق راسه لئلا يحوجه الى التكلف
في وجهه اليه وتلفته عليه ويضع اليد على جبهته او يده يعني على نبضه
اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه ويساله اي عن غيره كيف هو اي لئلا يكون

تكليفا

تكليفا عليه في جوابه وهذا اذا كان مغلوبا في بابه والا فيقول كيف انتم وما
حالكم او كيف تجدك ونحو ذلك فهو السنة اي المروية عنه عليه السلام تمام
عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف
هو ولا يحدث اي عنده الا بما يسره اي بما لا يضره وما هو خير من الدعا له ولنفسه
فالملائكة يؤمنون عليه اي يقولون فيه امين فيكون علامة الاجابة في
ذلك الحين ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة اي وسهولة الامر وبان
المرض كفارة للسيئات ورفع للدرجات وانه انما يكون في قليل من الاوقات
فينبغي الصبر عليه بل الشكر لديه فورد اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه
ملكين فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا
ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا
شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه مالك في
الموطا من حديث عطا بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية
عن ابي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير الثقفي ضعيف الحديث وللبيهقي
من حديث ابي هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني الى
عواده اطلقته من اساري ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم
يستانف العمل واسناده جيد وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى
وعدم الضجر والفزع الى الدعا والتوكل بعد الدوا على خالق الداء والدوا وساير
الاشيا ويغتنم دعاه اي المريض فهو كدعا الملايكة في كونه مستجابا وقد سبق
كون دعا المريض مجابا ويدعو له بالشفا سبع مرات ففيه الشفا اذا لم يحضر
اجله فلابي داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال
عنده سبع مرات اسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه

الله من ذلك المرض

ويغب فيها بضم اوله اي يعوده يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت لما سبق
من حديث زر غبا تزدد حبا وعن جابر اغبوا في العيادة واربعوا الا ان
يكون مغلوبا ابن ابي الدنيا وابو يعلي واسناده ضعيف وقال بعضهم
عيادة المريض بعد ثلاث وينبغي ان يخفف فيها فروي ابن ابي الدنيا
في كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق
ناقة ورواه البيهقي عنه بلفظ العيادة فواق ناقة وقال طاوس افضل
العيادة اخفها وهي مرة سنة عند الشافعي وفرض كفاية عندنا و
الزيادة فضل واما في الاحيا من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة
سنة فمحمول علي ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير
عليها مرتبة في النخبة الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة علي
العبادة وقد تقدم حديث اذا اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه مناد
طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة الترمذي وابن ماجة عن
ابي هريرة وفي السنن الاربع والحاكم من حديث علي من اتي اخاه المسلم
عائدا مشي في خرفة الجنة حتي يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان
كان غدوة صلي عليه سبعون الف ملك حتي يمسي وان كان مساء صلي عليه
سبعون الف ملك حتي يصبح واللفظ لابن ماجة وصححه الحاكم وحسنه
الترمذي ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة
وللحاكم والبيهقي من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة
فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح علي شرط مسلم وكذا صححه
ابن عبد البر وذكره مالك في الموطا بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي
بلفظ استقر فيها وللطبراني في الصغير من حديث انس فاذا قعد عنده

غمرته

غمرته الرحمة وله في الاوسط من حديث كعب ابن مالك وعمرو بن حزم استنقع
فيها وورد النهي في عيادة صاحب الرمد بفتحتين اي وجع العين والدمل
بضم فتشديد بدميم مفتوحة ووجع الضرس اي السن والجرب بفتحتين وهو
الحكاك والعرق بالكسر المدني منسوب الي جنس المدينة اذ لم توجد غالبا
في القرية لان منشاها العفونة الكثيرة التي تبدو من الجماعة الكثيرة ويسمع
اي العايد المحتضر اي الذي احتضره الموت بعلامات دالة علي الموت وهو
سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح
العين وانخفاض الصدغين كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فتقدم من
حديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي صحيح مسلم وغيره
لقنوا موتاكم لا اله الا الله اي المشرفين علي الموت لحديث اقروا علي
موتاكم يس احمد وغيره دون الحاح اي لا يلح علي المحتضر بان يقول قل لا اله
الا الله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لا يبعد انه حال الغلبة
والسكرة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك
مع ان المدار علي ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان
لانه ترجمان الجنان علي اختلاف في الاقرار انه شرط او شطر للايمان في اول
دخول المسلم في ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ويعجل
تغطية وجه الميت اي بعد ربط حنكه ورجليه وتغميض عينيه فان الميت
اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه وتجهيزه اي غسله وما يتعلق
به وتكفينه باطيب الثياب بان يكون من وجه حلال لا يتبع فيه العتاب
والعقاب وابيضها لاحاديث ورد في هذا الباب كقوله عليه السلام
البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه

احمد وغيره عن سمرة وفي رواية له عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب
فليلبسها احياكم وكفنوا فيها موتاكم لا كثرها قيمة بل اوسطها المعتبر
في جميع الباب ويعزي المصاب اي المبتلي بموت احد من الاقارب والاحباب
وهي اي التعزية المعبر عنها بالتسلية تسكين قلبه اي قلب المصاب
بالموعظة اي بما وقع من الكتاب والاعلام بجزيل الثواب حيث قال
تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة وانما يوفي الصابرون
اجرهم بغير حساب وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع في مقام
الحجاب ففي الترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود مرفوعا من عزي مصابا
فله مثل اجره وللترمذي عن ابي برزة ولفظه من عزي ثكلى كسي بردا
يوم القيمة مصافحا لا معانقا فانها بدعة عامة اهل مكة بالتواضع اي باظهاره
معه واظهار الحزن اشعارا بمشاركته له فيه وقلة التكلم اي بامور الدنيا
وترك التبسم لانه دلالة علي الغفلة عن احوال العقبي ويشهد له اي
للميت بالخير اي باعمال الخير ظاهرا والايمان اي باطنا تحسينا للظن بالمسلم
ويدعو له عند الذكر اي عند ذكره فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير ففي ابي داود
وغيره عن ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ويتبع الجنازة
ففي الصحيحين عن ابي هريرة من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان
وقف حتي يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد
ولما روي ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الي الان في قراريط
كثيرة خاشعا اي حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع متفكرا في الموت
اي وفيما بعده وقبله من الفوت كان مكحول الدمشقي اذا راي جنازة قال
اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر

لاعقل له

لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة وهو يبكي ويقول والله لا تقر
عيني حتي اعلم الي ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا والاستعداد له
اي للموت لحديث كفي بالموت واعظا الطبراني عن عمار ولاحمد في الزهد
كفي بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الاخرة ولابن السني عن انس
كفي بالدهر واعظا وبالموت مفرقا عبر منكم اي من كثرة الحزن والملال
واشتغال البال في امر المآل قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا
ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالي وان يمشي امام
الجنازة بقربها وملاحظة الميت مذهب للشافعي والمختار عندنا
ان يمشي وراها فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما ورد وملاحظة
الميت انما يتصور اذا كان وراه مع ما فيه من الاشارة الي انه من
التابعين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الي مساعدة حمل الميت
فهو حينئذ انسب واقرب ويصلي عليه اي صلاة الجنازة فهي فرض
كفاية ويقرا الفاتحة عند راسه اي بعد دفنه واول البقرة اي الي
المفلحون عند رجليه ويدعو له اي بالرحمة والمغفرة او بالتثبيت في جواب
الملكين ويتبرك به اي من حيث انه خرج من محل الفتنة والبلوي فقد
نظر ابرهيم الزيات الي الناس يترحمون علي ميت فقال لو ترحمون علي
انفسكم لكان اولي انه نجي من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راي
ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن ويجتهد اي المصاب
ان يكون عدد المصلين اي علي جنازة قريبة اربعين اي لا اقل من ذلك
فهو علامة قبول الشفاعة اي لانه يبعد عن كرم الله ان لا يقبلها
من هذه الجماعة ولعله رواية والا ففي ابن ماجة عن ابي هريرة من صلي

عليه مائة من المسلمين غفر له ولا يرجع اي من غير ضرورة حتى يفرغ من الدفن
يحوز بالقراطيس ويقعد اي لا يقف بعد وضع الجنازة اي لا قبله و
اختلف ان المراد به وضعها عن الرقاب او كما قال المصم في القبر مخالفة
لاهل الكتاب في هذا الامر ويتصدق الولي قبل مضي ليلة بشيء اي من
الصدقات والخيرات ان تيسر فان الميت حينئذ كالغريق المتغوث
يريد الخلاص والنجاة والا اي وان لم يتيسر التصدق الحسي فيتصدق
بالمعنوي وهو ان يصلي ركعتين بالفاتحة واية الكرسي اي لاجل
حفظه من العذاب والتكاثر اي وسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر
للاعتبار والتذكر وترك المفاخر عشرا اي عشر مرات في كل اي من الركعتين
ونهبه الثواب رجا النجاة من العذاب ويسلم اي على صاحب القبر ويقف
مستدبر القبلة اي ومستقبل الميت كما هو في اداب السلام مع الانام
ويجوز ان يجلس عنده حتى يستانس به وكان ابو الدرداء يقعد الى
القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت
عنهم لم يغتابوني ويواظب اي الولي على الصدقة سبعة ايام ويزور
القبر اي قبر صاحبه او القبور زائرا به الدعا لاهله والرقة والعبرة
لنفسه فورد زوروا القبور فانها تذكر الاخرة وفي رواية ابن ماجة
عن ابي هريرة فانها تذكركم الاخرة وتدمع العين وترق القلب وفي رواية
الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق
القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة ولا تقولوا هجرا وفي رواية ابن ماجة
عن ابن مسعود فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة من لم ينس اي وورد
ايضا من لم ينس المقابر والبلا اي التفتت في عالم البلا حين قيل من ازهد

الناس ظرف لورد المقدر فقد روي في رواية البيهقي عن الضحاك مرسلا ازهد
الناس من لم ينس القبر والبلا وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما
يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وفي رواية الترمذي
وغيره عن اسما بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال
بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها
ولها ونسي المقابر والبلا بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى
بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اي يطلب بئس العبد عبد يختل
الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى
يضله بئس العبد عبد رغب يذله والحاصل ان المقصود من زيارة
القبور للزائر الاعتبار بمنزل البلا وللمزور الانتفاع بالدعا وعن عمر
بن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة
لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر للفقيه لو رايتني بعد ثلاثة ايام وقد
ادخلت في قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت
الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن البطن وعلا الصدر وانفتح
الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان
ويقرا القران ما تيسر ففي صحيح مسلم عن ابي امامة الباهلي اقروا القران
فانه ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه ثم يسبح ويدعو اي بالرحمة
والمغفرة لنفسه وللمومنين والمومنات فان الاذكار كلها نافعة له في
ذلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم
فقد خان نفسه وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة
من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران

ووورد قراءة يس في المشاهير اي في الاحاديث المشهورة او الروايات المأثورة
فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى
المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة والمجاز
فلا يجوز عندنا خلافا للشافعي والاخلاص سبعا اي سبع مرات فورد
فيه مغفرة الميت والقاري ان يغفر الميت اي ان كان الميت مغفورا او لم
اجد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع
الآيات ففي مسند احمد وغيره عن أُبَيّ من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ
ثلث القرآن وفي رواية العقيلي عن رجاء الغنوي من قرأ قل هو الله احد
ثلاث مرات فكانما قرأ القرآن وفي رواية لاحمد عن معاذ بن انس من
قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ويجيب لهما
اي لزيارة القبور يوم الخميس والجمعة ففي رواية ابن عدي عن ابي بكر
من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له والسبت
اي لقربه الى الجمعة والاثنين فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضل
فالموتى يعلمون زوارهم فيها اي زيادة علم بها ولا يطأوه اي لا يدوس
القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابي هريرة لان اطأ على جمرة احب
الي من ان اطأ على قبر ولا يمس اي القبر ولا التابوت ولا الجدر فورد النهي
اي عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام ولا يقبل
فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهي فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدي
الانبياء والعلماء والصلحاء وبر الوالدين اي يحسن اليهما فان فيه جزاء الدارين
قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وفي قراءة احسانا فالعقوق
اي مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لهما من الكبائر وقلة الادب

معهما

معهما من الصغائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر فقال سبع الاشراك
بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وعلا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا وللطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة الجنة
يوجد ريحها من مسيرة خمسماية عام لا يجد ريحها عاق لا سيما الام فورد
برها ضعفان على الوالد اي على حقه كذا في الاحياء وقال مخرجه غريب بهذا
اللفظ وقد ورد في معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال
امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود والترمذي ب
والحاكم وصححه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قال رجل من احق
الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ولعله مقتبس
من قوله حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا فان
مشقة الحمل والوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من كمال
الشفقة والرحمة هذا وللنسائي من حديث طارق المحاربي ولاحمد والحاكم
من حديث ابي رمثة بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك
مقدما حال من فاعل يسير على المندوبات لا الواجبات اي الفرائض العينية
من العبادات فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج
والعمرة والجهاد اي اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به
المبالغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه
افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو في ترك حقوق الرب اقرب
ويؤيده ما في الاحياء من ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه
من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا
واما حديث المتن فكذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى

والطبراني في الصغير والاوسط من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه قال هل بقي من والديك احد
قال امي قال فجاهد في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد
واسناده حسن ويستاذن للدخول عليهما اي ادبا معهما حال حياتهما ويستغفر
لهما اي بعد مماتهما وينفذ عهودهما ووصاياهما بل يقضي حقوقهما ولو من
غير عهدهما ويكرم اصدقاهما فورد اي في صحيح مسلم من حديث ابن عمر
ان من ابر البر اي من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى الدين
للانسان ان يصل الرجل اي الشخص اهل ود ابيه بعد ان يولي الاب
اي في غيبته سواء كان في حال حياته او موته وكذا حكم الوالدة بل هو الاولى
كما لا يخفى فروى ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح
الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي علي من بر والدي شيء
ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ
عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ويتصدق
لهما فحديث الطبراني في الاوسط ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة
ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير
ان ينقص من اجورهما شيء ويزورهما احيا وميتا واقله في كل جمعة مرة فورد
ومن زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة اي بخصوصها وهو الافضل لتضاعف
الحسنة فيه بسبعين مرة او في كل اسبوع غفر له وكتب برا الحكيم الترمذي
ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر في حقه وحقهما ففي رواية
العسكري والقضاعي عن جابر مرفوعا ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة

ويقدم

ويقدم حق المعلم اي للعلوم الشرعية على حقهما فانهما من الامور
الفرعية فهو اي العلم سبب حياة الروح اي في الابد وهما سبب ايجاد الجسد
في دار النكد والكبد ولا يقرع باب داره بل يقف كالعبد في انتظاره فروي
الشيخ في قومه كالنبي في امته فورد اي في التنزيل لو انهم اي المؤمنون
الذين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم صبروا اي من غير خطاب ولا دق باب
حتى تخرج اليهم وقت ذهاب او اياب لكان خيرا لهم في كثرة ثواب وحسن مآب
ويصل الرحم بما امكن من عطاء او زيارة ودعاء وكذا ما يعرض له من قضاء عسر
فورد من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليصل رحمه لم اجد له اصلا وفي
الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام يقول الله تعالى انا الرحمن
وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته
اي قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره ان ينسا له في اثره اي
يؤخر في اجله ويوسع له في رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد
جيد من حديث علي فليتق الله وليصل الرحم ولاحمد والطبراني من حديث
درة بنت ابي لهب باسناد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الناس افضل قال اتقاهم الله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانها هم
عن المنكر وللطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو ان الرحم معلقة
بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه
وصلها وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم
من حديث عائشة ولاحمد من حديث ابي امامة افضل الفضائل ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وقالت اسماء
بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت

علي امي مشركة فاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفي رواية فاعطيها
قال نعم صليها وهو مقتبس من قوله تعالي وصاحبهما في الدنيا معروفا و
للترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة من حديث سلمان بن عامر
الضبي الصدقة علي المسكين صدقة وعلي ذي الرحم صدقة وصلة بلوا
اي وردوا بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اي جددوا وفي رواية
صلوا ارحامكم ولو بالسلام اي مشافهة ومكاتبة والحديث رواه
العسكري من حديث انس مرفوعا قيل يكره جواز القريب اي مجاورته
وكذا مساكنته فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة اي بسبب الملالة
كما قيل في كراهة مجاورة مكة المدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن
علي رضي الله عنه انه كتب الي عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا
ونظيره انه كان يقول في الحج يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل
الشام شامكم ويزوره غبا اي ليزداد حبا ويراعي حق الكبير من الاخ والاخت
والعم والعمة والخال والخالة لكونه كالابوين والصغير اي منهم كالولد اي
والمساوي كالاخ ويشتريه اي قريبه مملوكا ليعتق اي لاجل ان يعتقه
او ليعتق عليه اذا كان من ذي رحم محرم منه كما هو مذهبنا لا سيما الوالدين
فهو قضا لحقهما وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة لن يجزي ولد والده حتى
يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اي ما بان ينوي عتقه او يصير سببا
لعتقه ويبالغ في استرضاء الجار فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة
من قول آسية امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فورد
اي في الصحيحين عن عائشة وابن عمر ما زال جبريل يوصيني في الجار اي بالاحسان
في حقه بالماء او غيره حتى ظننت انه اي الجار سيورثه اي الجار الاخر وفيهما

عن ابي

عن ابي شريح من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وللبخاري عنه
لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وللبزار وابي الشيخ وابو نعيم عن جابر
الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي
له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق
الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام والجار
الذي له حق فالجار المشرك اقول فلعل حقه اقوى من غيره لانه لا يبقى بحقه
في تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد كنت عند عبد الله
بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي
حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه رواه ابو داود والترمذي
وقال حسن غريب ولاحمد والحاكم وصححه عن ابي هريرة انه قيل له عليه
السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي
في النار وللخرائطي وابن عدي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون
ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان
افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح
الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج
بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها
اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله
وقال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم
انظر الي اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابي هريرة

مرفوعا يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه
البخاري وجملته ان يحب له ما يحب لنفسه فقد حكي ان بعضهم شكى كثرة
الفار في داره فقيل لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت
الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت له ما لا احب لنفسي
يمن الدار اي وورد بركته سعته اي وسعته لتقدر كفايته وحسن جوار
اهله اي مجاورته في مجاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشوم
في الدار والمراة والفرس فقيل يمن الدار سعته وحسن جوار اهله وشومه
وشومه ضيقه وسوء جوار اهله وشوم المراة عقم رحمها وسو خلقها
ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن ذله وحسن خلقه
وشومه صعوبته وسو خلقه وللدمياطي من رواية سالم بن عبد الله
مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشوم واذا كانت المراة قد عرفت
زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهي مشومة واذا كانت
الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الاذان والاقامة فهي مشومة و
اسناده ضعيف ووصله صاحب الفردوس بذكر ابن عمر فيه وهولا
ينافي ما ورد من قوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم وقوله عليه السلام يا بني
سلمة دياركم دياركم تكتب اثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر المشقة
حتى بهذا الاعتبار مباركة ومقبوله وورد في حده اربعون دارا فعن
الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر عليه
السلام ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار وابو داود في
مراسيله قال الزهري اربعون هكذا او اربعون هكذا او اربعون بكذا او اربعون
بكذا او اوما باربع جهات ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب

ابن مالك عن ابيه ورواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة وقال اربعون ذراعا
وكلاهما ضعيف وروي اربعون في كل جهة وهذا قد علم مما تقدم وكانه
يشير الى ما قيل من المراد باربعين في مجموع الجهات بان يكون عشرة في كل جهة
وعن عايشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والاخر
نايبا عنه وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل
عليك ببابه رواه البخاري ففيه تنبيه الجماعات الاقرب كما يشير اليه
قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب وعن ابن مسعود قال رجل يا رسول
الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون
قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك يقولون اسات فقد
احمد والطبراني باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عليه السلام من اراد به خيرا
عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه وفي رواية البيهقي يفتح له عملا
صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد ويحترز عن النظر الى
بيته بان لا يطلع من السطح وغيره على عوراته واذا اطلع من غير قصد فيغمض عن
زلاته ولجرا الميزاب اليه بان يكون ضرر الانصباب عليه ووضع الشاربة
اي الاسطوانة على حايطه اي جداره ففي الصحيحين عن ابي هريرة لا يمنع
احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره وفي مكارم الاخلاق للخرايطي عن ابي
هريرة قضى عليه السلام ان الجار يضع جذعه في حايط جاره شاء ام ابى و
اسناده جيد وكذا الضوء بسد الهوا ولاخو الملح والما والنار فان منعهما مطلقا
من العار فكيف عن الجار ويرسل اليه ثمرة اي فاكهة يشتريها او يخفيها بان لا
يبديها لانه اذا راها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها ولا يبلغه
اي لا يوصله ريح القدر اي غليانه ودخانه الا ان يرسل اليه والا فيغال في جفنته

والمضايقة في القا التراب اي ونحوه من الرماد وغيره
بين يدي داره ولا يمنع عنه الريح برفع البناء حم

احسانه ما يانيها دخانه بعينا ويسامح ما امكن اي من غير تقصير انه لانه
ليس حق الجار مجرد كف الاذي بل احتمال الاذي ولا يكفي احتمال الاذي بل
لابد من الرفق وبذل الندي وحسن المعاشرة مع المراة بحسن الخلق معهن
وتحمل الاذي عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن فورد اي في القران وعا
شروهن بالمعروف تمامه فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله
فيهن خيرا كثيرا وفي اية اخري فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفي
اخري ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وعن ابن عباس اني احب ان
اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين لي لهذه الاية من صبر علي سوء
خلق زوجته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطي ايوب علي بلايه ومن صبرت خ امراته
علي سوء خلق زوجها اعطاه الله ثواب اسية امراة فرعون كذا في الاحيا وقال
مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل علي عدم ثبوته فقد الملايمة بين
المقترنين فان امراة ايوب كانت من الصالحات والصابرات كانت علي
المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل ما اعطي نوح او لوط علي بلايه اي امراتي
ابتلايه بامراته فيكون مشيرا الي قوله تعالي ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات
نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما اي بالكفر
لان حرم الانبيا مصونات عن الزنا الي ان قال وضرب الله مثلا للذين
امنوا امرات فرعون الاية وقد ورد عنه عليه السلام اكمل المومنين
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذي والنسايي والحاكم وصححه
وللترمذي من حديث عايشة وصححه خيركم خيركم لاهله وانا خيركم
لاهلي الترمذي والنسايي والحاكم وصححه وللترمذي من حديث عايشة
وصححه خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ثم ثم ليس حسن الخلق معها مجرد

كف الاذي منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة ادبها اقتدا به عليه
السلام فان ازواجه كن يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن الي الليل
كما في الصحيحين من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالي وان تظاهرا
عليه اي عايشة وحفصة وفي رواية ابي يعلي في مسنده وابو الشيخ في
كتاب الامثال وفيه ابن اسحاق وقد عنعنه قالت عايشة له مرة في كلام
غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله صلي الله عليه
وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا العلمه عليه السلام بانها ما خرجت
بهذا الكلام من الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب في الاحكام و
لا فظاهره ردة لو صدر مثله من غيرها الحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها
اني لاعرف غضبك علي من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت
لا والله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك
وراجعت امراة عمر في الكلام فقال او تراجعيني قالت ان ازواج رسول
الله صلي الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت اي ان
راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن ابي قحافة فانها حب رسول
الله صلي الله عليه وسلم وروي انه وقعت احداهن في صدر رسول الله صلي
الله عليه وسلم فزبرتها زجرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن
اكثر من ذلك ويبسط لعبا ومزاحا فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا
فورد اي خطابا لجابر هلا بكرا اي اخذتها تلاعبها وتلاعبك وفي نسخة
تداعبها وتداعبك وكان عليه السلام يمزح معهن وينزل اليه درجة عقولهن
حتي روي انه كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض
الايام فقال عليه السلام هذه بتلك ابو داود والنسايي في الكبري وابن ماجة

من حديث عايشة بسند صحيح وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة
وغيرهم يلعبون في يوم عيد فقال ان تحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم
فارسل اليهم فجاوا وقال عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد
يده وجعلت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول حسبك يا حميرا واقول لا تعجل مرتين والحديث رواه
الشيخان والنسائي مع اختلاف في بعض الالفاظ وقال عمر رضي الله عنه
مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله كالصبي فاذا التمس ما عنده
وجد رجلا وكذا روي عن لقمان ووصفت اعرابية زوجها وقد مات
فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سايل
عما فقد ولا يدع الانقباض اي بالمرة حتى لا يصير محكوما للمراة واسيرا
لها في الحرمة وكانت نسا العرب يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول
لبنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان
سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي
الاكاف على ظهره فانما هو حمارك في امره طول عمره هذا وفي البخاري عن ابي
بكرة لا يفلح قوم ملكتهم امراة وروي ان اسما بنت خارجة الفزاري
قال لابنته عند ابي بكرة لا يفلح قوم زفافها انك خرجت من العش
الذي فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني
له ارضا يكون لك سما وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك
عبدا لا تلحي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي
منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه لا يشم منك
الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا وقال رجل لزوجته

خذي

خذي العفو مني تستديمي مودتي   ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرة الدف انني   فانك لا تدرين اين المغيب
لاني رايت الحب في القلب والاذى   اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فوردا اي كما سبق وخالفوهن اي في المشورة واصل الحديث شاوروهن و
خالفوهن فان البركة في خلافهن اي لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من
تتمة كلام عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقال
الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته بما تهوى الا اكبه الله في النار
واما ما اورده الغزالي من حديث تعس عبد الزوجة فلا اصل له وانما ثبت
في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة تعس عبد الدينار
وتعس عبد الدرهم والله سبحانه ويغار ربنا ذي الامور لئلا تتادى
الى مناهي الشرور لها غوائل جمة خالية اي والحال ان للمراة مناكر وردا بل
فانهن كما ورد للشيطان حبائل فالغيرة بعد ظهور الريبة من اخلاق
الرجال وارباب الفضائل واصحاب الفواضل بل من باب التخلق باخلاق
الله وورد ان الله تعالى يغار والمومن اي الكامل يغار اي على امراته
وجاريته وقرابته وهذا ظاهر وغيرة الله ان ياتي المومن ما حرم عليه
اي من الزنا وغيره والحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة الا ان
البخاري لم يقل والمومن يغار والحاصل ان الغيرة كراهة الرجل اشتراك
غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفا امره ولا يفرط اي لا
يبالغ في الغيرة لئلا يقع في محظور فوردا اي في رواية ابي داود والنسائي
وابن حبان من حديث جابر بن عتيك من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي
غيرة الرجل اي على اهله من غير ريبة اي شك وشبهة وفي رواية ان من

الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله الحديث وجاء في حديث
عنه عليه السلام اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقد
قال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك
وقد ورد نهيه عليه السلام عن تتبع عثرات النسا الطبراني ولان
الغيرة من غير ريبة من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن
اثم انتهى ثم اعلم ان مثل المراة الصالحة في النسا كمثل الغراب الاعصم من
ماية غراب رواه الطبراني من حديث ابي امامة بسند ضعيف والاعصم
الابيض البطن والاحمر من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب اعصم
احمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النسا الا مثل هذا الغراب في هذه
الغربان واسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي وورد
استعيذوا من الفواقر الثلاث جار ان راى حسنة دفنها وان راى
سيئة اذاعها وامام ان احسنت لم يرض عنك وان اسات غضب
منك وامراة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك الديلمي
عن ابي هريرة بسند ضعيف وجا بلفظ اخر رواه الطبراني من حديث
فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر فذكر منها وامراة ان حضرتك اذتك
وان غبت عنها خانتك وسنده حسن ويمنع اي المراة الشابة عن الحضور
في المسجد وجوز بعض فقهائنا حضور العجوز من غير زينة في الصبح و
العشا لحال الظلمة والمتاخرون اطلقوا منعهن لفساد الزمان خصوصا
في حق النسوان وفي الاحيا كان عليه السلام قد اذن للنسا في حضور
المساجد وهو متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل

الى المسجد

الى المساجد والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجايز بل استصوب
ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عايشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى
الله عليه ما احدث الناس بعده لمنعهن الخروج متفق عليه ولما قال
ابن عمر كما في الصحيحين قال عليه السلام لا تمنعوا اماء الله مساجد الله
قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم بلى والله لنمنعهن فضربه
وغضب عليه وهجره وقال تسمعني اقول قال عليه السلام لا تمنعوا فتقول
بلى وانما استجرا الى المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه
لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر فالخروج الان
ايضا مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم والله اعلم
فاذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل
في حقها عورة كوجهها في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم
النظر عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان
مكشوفي الوجوه والنسا يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة في
حق النساء لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى وقد
بالغ النووي وحرم النظر الى الامرد والحسن الوجه ولو بغير شهوة
ويعتدل في النفقة في الخبر الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة الطبراني
والبيهقي عن ابن عمر فورد اي في القران لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
وهي كناية عن البخل الاية اي ولا تبسطها كل البسط وهي كناية عن الاسراف
والتبذير فتقعد ملوما محسورا وقال عز وعلا في نعت عباد الرحمن والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقيل كان لعلي
اربع نسوة يشتري لكل واحدة منهن في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال

ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوزجة فان الحلاوة وان لم
تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير باعتبار العادات ولا يختص
اي الرجل باجود الطعام اي لا ينبغي له ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا
يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب الضجر الا اذا رضي اهله
وطاب عندهم عمله والا فلياكله في خفية بحيث لا يطلع عليه غيره ولا ينبغي
ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصفوا عنده طعاما
ينبغي ان يطعمهم اياه ويشتركان اي هو والعيال فيه اي في الاكل على
مائدته فورد فيه فضل كثير ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه
الايدي وقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون
في جماعة وتعلم اي المراة ما يجب عليها من علم الحيض واحكامه واحكام الصلاة
وما يقضي منها في الحيض وما لا يقضي فانه امر بان يقيها النار لقوله تعالى ٢٩٧
قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة
ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر دينها وفي الاحيا انها انقطع دمها قبل المغرب
بمقدار ركعة فعليها قضا الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة
فعليها قضا المغرب والعشا انتهى وهذا مذهب الشافعي واما عندنا فلا
يجب عليها الا قضا العصر والعشا ثم ان قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها
بالسؤال عن اهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصي الرجل
بمنعها في تلك الحال ويعدل بين النسا في البيتوتة اي في مبيت الليل عندهن
والاعطا اي من نفقتهن وكسوتهن فلا تميلوا الى بعضهن دون غيرهن حتى
لو خرج الى السفر واراد استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان
يفعله عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى ولن

تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي كمال العدل ولو حرصتم اي من طريق
الفضل فلا تميلوا كل الميل اي الى واحدة عن اخرى فتذروها كالمعلقة بين
المزوجة والمطلقة فورد في المائل اي في القسم جاء يوم القيامة واحد
شقيه مائل اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابي هريرة مرفوعا من
كان له امراتان فمال الى احدهما دون الاخرى وفي رواية مال مع احدهما
وفي اخرى فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل اي ساقط
بخلاف المباشرة استثناء معنوي من البيتوتة والاعطا اي لكن المجامعة
بل الملامسة والملاعبة والمحبة اي التي يتفرع عليها غالب اسباب
الملاعبة فلا اختيار فيهما اي طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا
وورد اي عنه عليه السلام انه كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا اي
الذي فعلته من القسم جهدي بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اي غاية
اجتهادي فيما املك اي من العدل بينهن ولا طاقة لي فيما لا املك من زيادة
المحبة او المجامعة الى بعضهن بعد القسم ظرف لورد اي قال هذا الكلام
بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة انه
عليه السلام كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة
لي فيما تملك ولا املك ولابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل في ثوب يطاف به على نسائه وهو
مريض يقسم بينهن وفي مرسل آخر له لما ثقل عليه السلام قال اين انا
وللبخاري من حديث عائشة كان يسال في مرضه الذي مات فيه اين انا
غدا اين انا غدا يريد يوم عائشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء
وفي الصحيحين لما ثقل استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له هذا

وقال تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما
ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير ولابي داود من حديث عايشة قالت
سودة وهي بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي لعايشة الحديث وللطبراني فاراد
ان يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها
لعايشة فكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقي طلق سودة فقالت
اريد ان احشر في ازواجك الحديث ثم انه عليه السلام مع حسن عدله وقوة
فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسايه في غير يومها جامعها
ثم طاف من يومه ذلك وليلته على ساير نسايه ثم من ذلك ما في الصحيحين
عن عايشة طاف على نسايه في ليلة واحدة وللبخاري كان يطوف على
نسايه في ليلة واحدة وله تسع نسوة ولابن عدي في الكامل عن انس
انه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته
عليه السلام ولو وقع الخصومة اي المخالفة من الجانبين اي جانبي
الزوجين او جانبه اي الرجل وحده ولا تلتئم اي خصومتهما ولا يجتمع امرهما
فلا بد من حكمين من اهله واهلها فورد في القران ان يريدا صدر الاية وان
خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما وضمير يريدا الى الزوجين كضمير بينهما والاول الى الحكمين
والثاني الى الزوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله
يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا واخلصا النية وتلطفا في
القضية فانصلح ما بينهما وقد جرى بينه عليه السلام وبين عايشة
نوع من الكلام حتى ادخلا بينهما ابا بكر حكما فاستشهده فقال له عليه السلام

تكلمين

تكلمين او اتكلم فقالت تكلم انت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف
ظهره فقال له عليه السلام لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وان كان اي
النشوز من جانبها اي المراة فقط فقد قال تعالى وللرجال عليهن درجة وقال
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من
اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي
تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا وهذا معنى قوله يعظ الزوج اي ينصحها ويلاطف
معها اولا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالموعظة الحسنة ثم يخوف اي
يحذر المراة من الضرب ونحوه ثم يستدبر في الفراش بان يولي لها ظهره في المضجع
ثم يعتزلها اي ينفرد بفراشه عنها دون البيت اي من غير ان يخرج هو او هي
من البيت ثم يهاجر اي يهجرها وهو مع ذلك في البيت معها ثلاثة ايام اي
من ليلة الى ثلاث ليال وجاء اي ورد انه جاز ان يهجرها عشرة وعشرين
او شهرا اذا كان للدين كترك صلاة وغسل جنابة واباء عن فراش ونحوها
فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها
عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقماتك اذ ردت عليك هديتك
اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان
تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن كذا في الاحياء
وذكره ابن الجوزي بغير اسناد في الوفا وفي الصحيحين من حديث
عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية
آلى منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا ثم يضربها اي
المراة ضربا غير جارح ولا كاسر لعظم ولا مسيل لدم ولا على وجه ايضا

فورد فيه اي في بيان هذا الحكم من امره ونهيه عنه عليه السلام وقد قيل له ما
حق المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه
ولا يضرب الا ضربا غير مبرح اي من غير مولم ولا يهجر الا في البيت ابو داود
والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد
وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح اي لا يقول قبح الله او قبح الله وجهك
وفي رواية لابي داود ولا يقبح الوجه ولا يضرب ولا يطلق اي من
غير احتياج الى اختيار الفراق فورد ابغض المباحات عند الله الطلاق
رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض
الحلال الى الله الطلاق وفي رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض اليه
من الطلاق وعند الديلمي من حديث بن جبل ان الله يبغض الطلاق
ويحب العتاق وفي رواية له ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح
ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق فقد يقال المباح ما استوى فعله
وتركه فلا يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا فلا بد من التجوز
في المباح بارادة ما يشمل المكروه ففي الكافي ان الطلاق محظور في اصله مباح
نظرا الى الحاجة فاطلاق المباح نظرا الى الحاجة والوصف بالمبغوضية
نظرا الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه
ونظيره السؤال عن الناس فانه يحرم باصله ويباح عند الضرورة
الى فرعه ولانه اي الطلاق ابتداء اي في مقام الافتراق ولا يباح ابتداء
لعذر لا لضرورة منه اي من جانبه او جناية منها اي من جانبها بان
كانت تؤذي زوجها واهله او تكون سيئة في خلقها او فاسدة
في دينها والا فقد قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا او

امر

امر الاب او لاجل امر ابي الزوج به اي بطلاقها ان صح الغرض المرضي
اي غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس والغضب وهو ما نور اي مروي
عن ابن عمر انه قال كان تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها
فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر امراتك اصحاب
السنن قال الترمذي حسن صحيح وورد فلا جناح عليهما الاية وتمامها
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والمعنى
اذا كان الاذى من الزوج فلهما ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان
ياخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة
على بعضها فلا يليق بالعدل رد ما اخذته من العطا فيطلق اي حينئذ
في طهر خال عن الجماع فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامعها فيه
بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة
فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امراته في الحيض فقال عليه
السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ان شا الله طلقها
وان شا امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا وانما
امره بالصبر بعد الرجعة من طهر ثان لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق
فقط كذا في الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعي ان الخلع فسخ او طلاق
رجعي واما على مذهبنا انه طلاق بائن فلا يمكن ان يراجعها وانما يراجعها
اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر محمول على الطلاق الرجعي واحدة
فقط اي يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعي
ايضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعي ولان الطلقة الواحدة تفيد
المقصود من المفارقة وتستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد

النكاح اذا اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها
محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه مكروه فيه ويكون هو
الساعي له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقته اعني زوجة
المحلل بعد ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا في الزوجة وكل ذلك
ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث بلا تعنيف واستخفاف اي ينبغي ان يتلطف
في التعلل لتطليقها ولا يستعجل في امر تفريقها ويبر بهدية اي ويحفى
بارسال هدية على سبيل التمتع في القضية جبرا للمصيبة اي لما اصابها
من البلية وقد قال تعالى ومتعوهن بالمعروف وذلك واجب في بعض
الصور ومستحب في بعضها وفي كتب الفقه يذكر تفصيلها وكان الحسن بن
علي رضي الله عنهما مطلاقا منكاحا قايلا اني وجدت الغنا بينهما حيث
قال سبحانه ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن
الله كلا من سعته وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين
من نسايه وقال قل لهما اعتدا وادفع الى كل واحدة عشرة الاف درهم
ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما فسكتت ونكست
راسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب
مفارق فاطرق الحسن ورحمها وقال لو كنت مراجعا امراة بعدما فارقتها
لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
فقيه المدينة ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عايشة رضي الله
عنها حيث قالت لولا اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة
عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل
الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت الي

فكنت

فكنت اتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق
عبد الرحمن ثم رفع راسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز
علي منك ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها
وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك
لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك زوجتك اياها فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض اهل بيته
سمعته وهو يمشي و يقول ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته
طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر
منه على المنبر الى ان قال في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقام رجل
من همدان فقال والله فقال والله يا امير المومنين لننكحنه ما شا فان احب
امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال لو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ولا تطلبه اي الطلاق المراة اي من غير ضرورة
ففيه الوعيد اي التهديد الشديد فلابي داود والترمذي وحسنه وابن
ماجة وابن حبان من حديث ثوبان ايما امراة سالت زوجها طلاقها
من غير باس لم ترح رايحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام ومما
ينبغي للزوج ان لا يفشي سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد
في افشا سر النسا في الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا في الاحيا وفي صحيح
مسلم من حديث ابي سعيد قال عليه السلام ان اعظم الامانة عند الله
يوم القيامة الرجل يفضي الى امراته وتفضي اليه ثم ينشر سرها يعني او
تفشي سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروي ان بعض الصالحين
اراد طلاق امراته فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك

ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال مالي وامراة غيري وهذا بيان
ما علي الزوج واما حق الزوج علي المراة فكما بينه بقوله وتطيع الزوج اي
مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه فورد ايما امراة
ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة للترمذي وابن ماجة من حديث
ام سلمة وقال الترمذي حسن غريب ولا تمنع نفسها اي عنه ولو كانت
علي تنور او قتب مستور فلابن حبان من حديث ام سلمة وقال الترمذي
ابي هريرة اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها وفي الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت
في النار فاذا اكثر اهلها النسا فقلن لم يا رسول الله فقال تكثرن اللعن
وتكفرن العشير يعني الزوج المعاشر ولاحمد من حديث ابي امامة اطلعت
في الجنة فاذا اقل اهلها النسا فقلت اين النسا قال شغلهن الاحمران
الذهب والحرير ولابي نعيم ويل للنسا من الاحمرين الذهب والزعفران
يعني الحلي وساير الاسباب ومصبغات الثياب وتنقي اي نفسها وتزينها
لتمتعه اي لا تتقاعد بها مستعدة في الاحوال كلها فعن الاصمعي رايت
في البادية امراة عليها قميص حمر وهي مختضبة وبيدها مسبحة فقلت
ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه • وللهو مني والبطالة جانب •
قال فعلمت انها امراة صالحة لها زوج تتزين له وتستاذنه في الاعطا
من البيت اي من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلما وفي الاحيا
عنه عليه السلام لا يحل لها ان تطعم الا الرطب الذي يخاف فساده ولابي
داود من حديث سعد قالت امراة يا رسول الله انا كل علي ابائنا
وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تاكلنه وتهدينه

وصحح

وصحح الدارقطني في العلل ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس بابن ابي وقاص
وذكره البزار في مسند ابي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث
عايشة اذا انفقت المراة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما
انفقت ولزوجها اجره بما كسب والخروج منه اي وفي خروجها عن البيت
ولو الي المساجد ونحوها وصوم النفل اي اذا كان عندها فللبيهقي عن ابن
عمر اتت امراة من خثعم الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت اني امراة
ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج علي المراة قال من حق الزوج علي المراة اذا ارادها
علي نفسها وهي علي ظهر بعير ان تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيا من بيته الا
باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها
بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملايكة حتي ترجع الي بيتها او تتوب وللحاكم
وصححه عن ابي هريرة اتت قتادة الي النبي صلي الله عليه وسلم فقالت
يا نبي الله اني امراة قتادة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج علي
المراة قال لو كان من قرنه الي قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا
اتزوج اذا وللترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة لو امرت احدا ان
يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تعيبه
بالقبح اي لا في صورته ولا في سيرته ولا توذيه في سره وعلانيته فللترمذي
وابن ماجة عن معاذ بن جبل لا توذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت
زوجته من الحور العين لا توذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك
ان يفارقك الينا ولا تتفاخر علي الزوج بمالها وجمالها فقد روي الاصمعي
قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس تحت رجل من اقبح
الناس فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت

ياهذا اسكت فقد اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه اولعلي اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتني وفي رواية له رايت في البادية اعرابية من احسن الناس ورايت زوجها من اقبح الناس وهي تقول لزوجها بشرى لك فانتم انا في الجنة فقال ما اعلمك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين في الجنة وابتليت انت بحسني فشكرت وموضع الشاكرين في الجنة وتقدم حقه اي حق الزوج على الاقارب يعني على الوالدين فللطبراني في الاوسط عن انس كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات ابوها فاستاذنته فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها ولا تنبسط اي بالكلام والسلام مع حبيبه اي صديق زوجها لا سيما في حال غيبته عن بلدها وتنقبض في غيبته بترك الملاعبة في حال المصاحبة والالتذاذ بانواع من الطعام و اصناف من الزينة في ذلك المقام لان الوقت يقتضي الحزن والاهتمام وتقوم بامور البيت اي بكل احد منه في الدار تقدر عليه من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مونته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى اي اجمعه على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال عليه السلام اخ اخ ليبنيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد من ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلابن حبان من حديث ابن مسعود اقرب ما تكون المراة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد ولا تستبدل زوجا بعده فانه لتكون زوجته في الجنة اي على تقدير ايمانهما الجنة واما اذا تزوجت بعده فاختلف في انها تكون للاول او الثاني او تخير فيهما وهو الاظهر وفي البستان اما من قال هي لاخرهما فذهب الى ما روي عن معاوية بن ابي سفيان انه خطب ام الدردا فقالت سمعت ابا الدردا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المراة لاخر ازواجها في الاخرة وقال لي ان اردت ان تكوني زوجتي في الاخرة فلا تتزوجي بعدي واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ما روي عن ام حبيبة سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله المراة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون في الاخرة قال تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة هذا ولابي داود من حديث ابي مالك الاشجعي انا وامراة سفعا الخدين كهاتين في الجنة اراد امراة تايمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى بانوا او ماتوا وللخرايطي عن ابي هريرة حرم الله على كل ادمي الجنة ان يدخل قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال يا محمد هذه امراة كانت حسنا جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهم

حتى بلغ امرهم الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح
اذا مات زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب في تلك المدة
الطيب والزينة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة
خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب
من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تؤمن
بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا رواه الشيخان ومن اهم اداب المراة ترك المطالبة بما وراء الحاجة
كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها الاية والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت
عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته
وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على
النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته
لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته اكالا وما عرفته
رزاقا ولي رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة
بنت اسماعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال
لها والله ما لي همة في شيء لشغلي بحالي فقالت واني لاشغل بحالي منك
وما لي شهوة ولكني ورثت مالا كثيرا من زوجي فاردت ان تنفقه على اخوانك
واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال حتى استاذن
استاذي فرجع الى ابي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزوج
ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بها

هذه

هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلها كن من جص
نفي من غسل ايدي المستعجلين الخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان
قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول
اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام
برابعة العدوية في البصرة ويحافظ حال الولد اي من صغره ففي الطبراني
من حديث ابن عمر قال رجل يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال
ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك
عليك حق ولا يشتمه اي لئلا يصير طبعا له في كبره لا سيما سمي الانبياء
لانه حينئذ قد يقال بكفره ويلقنه كلمة التوحيد في اول ما ينطق به اللسان
ففي رواية ابن السني عن ابن عمرو مرفوعا اذا افصح الولد فليعلمه لا اله الا الله
وهو شامل للتلقين مبناه وتبيين معناه وفي رواية له ايضا عن انس
انه عليه السلام كان اذا افصح الولد من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا اقول ويناسبه ايضا تعليم سورة الاخلاص ويعلمه علوم
الدين اي اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعلم المنطق والكلام والهيئة
والحكمة وساير علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام اسال الله علما نافعا
واعوذ بك من علم لا ينفع والكتابة فانها وسيلة لوقاية الرواية والدراية
وهما من اسباب الهداية في البداية والنهاية والرمي لقوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة وقوله عليه السلام الا ان القوة الرمي وقد سبق
ما ورد في فضل فعله وذم تركه والسباحة وهي معرفة الغوص في الماء
ولعله للاحتياج اليه في سفر البحر للحج والغزو لا سيما وقد ورد ان شهداء

لبحر

افضل من شهداء البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا قال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى هاج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوي فقال لا قال ضيعت جميع عمرك ويؤدب اي ولده بضرب ونحوه لست سنين اي اذا خالف في اداب الصالحين واخلاق المحسنين او فيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقربين فللبيهقي عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه واما ما دون ست سنين فتاديبه باللسان والاحسان و يعزل الفراش اي عن امه واخته ونحوهما لسبع سنين لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن ويضرب على الصلاة اي على تركها لعشر اي حتى يتدرب بفعلها ويحصل تمييزه بين النسا وغيرهن ثقلها ولابي داود والبيهقي عن رجل من الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه عن شماله فمروه بالصلاة وروي لثلاث عشرة اي فانه قارب البلوغ ويزوج لست عشرة لتحقيق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ولابن السني عن انس مرفوعا اضربوه على الصلاة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لا جعلك الله علي فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذه بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذاب الاخرة ويسوى بين الاولاد في الاهدا لقوله عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره لم يحمله على عقوقه بسوء عمله في حقوقه ابو الشيخ وابن حبان في كتاب

الثواب عن علي وابن عمر رضي الله عنهم وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم قال انت افسدته ويبدا اي في الاعطا بالاطفال اي لصغرهم وقلة صبرهم والبنات لجبرهن عن كسرهن ساووا بين اولادكم في العطية كذا في الاحيا ولم يتعرض له مخرجه وفي الجامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النسا الطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والظاهر ان القبلة ونحوها في حضورهم ينبغي فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف واخوته في تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية في الاعطاء انما هو اذا كانوا كلهم فقراء واغنيا واما اذا كان بعضهم فقرا فزادهم في العطاء فلا باس بل يجب عليه نفقة ذوي الرحم المحرم عندنا هذا وفي الجملة الولد على المرحمة فقد عثر الحسين وهو عليه السلام على منبره فنزل فحمله وقراء قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة كذا في الاحيا وقال مخرجه رواه اصحاب السنن من حديث ابي بريدة في الحسن والحسين يعثران ويقومان قال الترمذي حسن غريب وللنسائي من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جا الحسن والحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته لن يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط

الشيخين ورأى الاقرع بن حابس النبي عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن
فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا
يرحم لا يرحم البخاري عن ابي هريرة وللحافظ الذهبي في ترجمة اسامة من
كتابه سير النبلاء عن مجالد عن الشعبي عن عايشة قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفثه
فضرب بيدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم
يكن جارية يعني لئلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها
من المحنة لحديث احمد عن عايشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمي
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة جارية
لحليتها ولكسوتها حتى انفقها واسناده صحيح وعنه عليه
السلام الولد من ريح الجنة الخرايطي وابن حبان في الضعفاء عن
ابن عباس وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا
ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد بن معاوية ارسل ابي الى الاحنف
بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ما تقول في الولد فقال
يا امير المومنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسما
ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فا
رضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا
حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال معاوية لله انت يا احنف
لقد دخلت علي وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من
عنده رضي على يزيد وبعث اليه بمايتي الف درهم ومايتي ثوب فارسل
يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على

الشطر

الشطر ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة في الشبهات
حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما
لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر
في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام
نفل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كانت تطلب
علم الفرض العيني من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك
من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شريعة
الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال
ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن
واراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك
فقال لا فقال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد
والا فبرهما فان ذلك خير ما تلقى الله بعد التوحيد احمد وابن حبان وجا
اخر اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره في الغزو فقال الك والدة
قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجة والحاكم من حديث
معاوية بن جاهمة ان جاهمة اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح
الاسناد وجاء اخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت
والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابو داود والنسائي وابن
وابن ماجة والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد
ويتوضى في موته اي في موت ولده ويصلي ركعتين عند فقده لقوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة ويأخذ بناصية المشتري اي من العبد
والجارية والدابة ويدعو بالبركة ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا

خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق او اللهم اعطني خير ما انت
آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم ويذيقه اي العبد او الجارية الحلوا
اي شيئا من الحلوا اولا اي تفاولا بحلاوته اخره والحديث معاذ اذا
ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه
الطبراني في الاوسط والخرايطي ويطعمه مما يطعم اي مما ياكله بنفسه
والاولى ان ياكل معه اي تواضعا لربه ولما في الصحيحين وليأكل
معه فان ابى فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه
وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ
اكلة فيروغها واشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه وللبخاري
في تاريخه والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ما استكبر من اكل مع خا
دمه وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها ويكسوه مما
يكتسي ولا يكلفه ما لا يطيق وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي
في كل سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه وروي عن ابي
هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد
الله احمله فانه اخوك روحك مثل روحه ثم قال لا يزال العبد يزداد
من الله بعدا ما مشي خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال
يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا ان نجمع عليه
عملين ويمسك ما احب اي ما دام يحب امساكه ولا يعذبه اي مملوكه
اذا لم يحب امساكه بل يبيعه فالكل ماثور وفي حديث علي كان اخر ابي داود من ح
كلامه عليه السلام الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وفي
الصحيحين من حديث انس كان اخر وصيته عليه السلام حين حضره

الموت الصلاة

الموت الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم ولهما من حديث ابي ذر اطعموهم
مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم
فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفي رواية لابي داود من لايمكم من مملوكيكم
فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلايمكم منهم
فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء
لملكهم اياكم واسناده صحيح وفي رواية لمسلم من حديث ابي هريرة للمملوك
طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وورد كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته رواه الشيخان عن ابن عمر ولا يضرب غضبا اي من
طريق الغضب بل تاديبا اي كضربه على سبيل الادب فيكون تهذيبا لا تعذيبا
ففي صحيح مسلم عن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي
فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدي فقال والله لله اقدر
عليك منك على هذا وعن ابن المنكدر ان رجلا من اصحابه عليه السلام
ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسئلك بالله اسئلك بالله اسالك
بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد
فانطلق اليه فلما راه امسك يده فقال عليه السلام يسئلك بوجه الله
فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله
فقال لو لم تفعل لسفعت النار وجهك ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا
وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل
يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له فقلت ~~فقلت~~ هو حر
لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار او لمستك النار والتر مذي

عن ابي سعيد اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم لا على
ذلك اي لا يضربه على ما صدر منه من عثرة او غفلة ونسيان اي تخلقا
او اعطانا وحديث رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ
من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته جارية بسفود عليه شوا فسقط
السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس
يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لا باس عليك
وكان عنده ميمون ابن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشا فجاءت
مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على راس سيدها فقال
يا جارية احرقتيني قالت يا معلم الخير ومودب الناس ارجع الى ما
قال الله تعالى قال وما قال الله قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت
غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان
الله يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله ولا يزيد على ثلاث
اي ضربات ثلاث اذا كان الذنب صغيرا واما اذا كان كبيرا فينقص من
الاربعين فانه غاية التعزير فانه اي المزيد عليه قصاص اي مقتص
منه يوم القيمة وورد اعف عنه اي عن الخادم سبعين مرة لمن قال كم اعفو
فلابي داود والترمذي وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم
قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا عصاه
غلامه قال له ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي
مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر ويعتق

اي

اي المملوك ان طالت المدة وطول المدة تكون لسبع سنين فاكثر على ما
في الشرعة فيفيد العتق من النار لقوله عليه السلام من اعتق رقبة مسلمة
اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه
الشيخان عن ابي هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده
جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران وقالت
جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال
لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة
لوجه الله اقول وكانها كانت مدبرة ولا يهزل معه اي لا يمزح مع
مملوكه فهو يسقط الوقار اي الهيبة والرزانة فلا يهابه بعد ذلك
الخدمة والمهابة هذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذا نصح العبد
لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى
وقال كان لي اجران فذهب احدهما ويهذب اهل البيت من الولد والزوجة
والخدم بالرياضة اي بتحسين الاخلاق لاسيما الولد المراهق اي القريب
الى البلوغ الذي وقع فيه تكليف الخالق فهو اي التهذيب في حال اليسر
اي اسهل على كل منهما وورد اي في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم اي احفظوها نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولا يطا حيوانا اي
لا يدوسه فانه يسال عنه اي هل كان عبثا او عمدا او خطا او نسيانا وقد
قال تعالى حكاية عن النمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
وقيل البر من لا يوذي الذر ويطوف طوافات البيت اي يجوز ان يدخلوا
في بيته الاما والعبيد الصغار دون الخصي والعبيد الكبار فهو ماثور

اي مروي في الكتاب والسنة قال تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا
ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم
على بعض ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات فعن كبشة بنت كعب
بن مالك وكانت تحت ابن ابي قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءا فجاءت
هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فراني انظر
فقال اتعجبين يا ابنة اخي فقلت نعم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه م
الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح ولا يضرب شيئا اي حتى الدواب
على الوجه ولا يجذب اي الوجه وغيره بالنار اي بالكي ونحوه واختلف
في نحو بزخرفي الزنديق فنهى عنهما كلابي داود عن ابي هريرة اذا ضرب
احدكم فليتق الوجه وللترمذي والحاكم عن عمر انه عليه السلام نهى عن الكي
ويعرض الماء والعلف على الفرس اي في الجهاد ونحوه سبعين مرة ولعله
اريد به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث للمملوك طعامه وكسوته
بالمعروف وورد يمن الفرس ذلة اي انقياده لراكبه وحسن خلقه اي
لصاحبه وقد تقدم والله اعلم ولا يدخل على الظلمة اي السالمة للكثرة
والفجرة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فالاولى والاسلم
من الاحوال ان يعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك دون هذه الحالة
ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الاحوال ان تدخل عليهم وتتوسل
اليهم وهذا مذموم في الكتاب والسنة تحاميا عن استعمال دارهم

اي

اي المغصوبة من اهل ديارهم ومطلقهم اي ومكان ظل خيمهم واشجارهم
وفراشهم اي بساطهم ودثارهم فلا يخلو عن حرام وقد قال تعالى وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو بعموم مبناه يشمل الاحيا والاموات
وان كان الكفار الاموات تراد في معناه ولما وصف عليه السلام الامرا
الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم
في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث انس بسند ضعيف وفي رواية
من خالطهم هلك وانما قال او كاد يسلم فان من اعتزلهم سلم من اثمهم
ولكن ربما لا يسلم من عذاب تعمهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنا زعة
والتواضع لهم اي وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزم لاكرام الظلمة
لاسيما ان ركع او سجد او تمثل له قايما في الخدمة والتواضع للظالم من
المعصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي
التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد
السلام فاما تقبيل اليد والانحنا فلا الا عن خوف ولقد بالغ بعض السلف
حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام قال في الاحيا وفيه نظر لان ذلك واجب
فلا ينبغي ان يسقط بالظلم قلت قد يسقط بادنى من ذلك ومن جملته
انه عليه السلام ما رد جواب من لبس ثوبا احمر فورد من اكرم فاسقا
وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام فقد اعان على
هدم الاسلام اي على تعطيل بعض اركانه بتعظيم الظالم الذي يجب
الاهانة في شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب
بدعة رواه ابن عدي من حديث عايشة والطبراني في الاوسط وابو نعيم
في الحلية من حديث عبد الله بن بشر باسانيد ضعيفة والسكوت اي

وعن عدم

١

الانكار بلسانه عن منكر راه عندهم اي وقدر علي ان ينكر باللسان عليهم
كان يكون من العلماء او المشايخ العظما وذلك لانه يري في مجلسهم من
الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلي غلمانهم ماهو
حرام ومن خاتم الذهب ونحوه ولكن من راي سيئة وسكت عليها فهو
شريك في تلك السيئة فان قلت انه يخاف علي نفسه فهو معذور في
السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن التعرض نفسه لارتكابه ما لا يباح
الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة
حتي يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم
انه لم يقدر علي ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجري ذلك
الفساد بين يديه وهو يشاهد ويسكت عليه والدعا لهم بالبقا اي في
حال التحية او وقت الاعطا فورد من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصي
الله في ارضه اي من الابتدا الي الانتهاء والحديث ذكره الزمخشري
في تفسيره والغزالي في الاحيا قال السخاوي ولم اره في المرفوع بل
اخرجه ابو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري وقال العراقي رواه
ابن ابي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قاله العسقلاني في تخريج
واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم ان ما بيني وبين الملوك
يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم في غد علي وجل وانما
هو اليوم فعسي ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل الاموال
يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس لهم فضول اموال
ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء وقلت
هو مقتبس من قوله تعالي ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون

ونرجون

ونرجون من الله ما لا يرجون الا استثناء من قوله تعالي ولا يدخل علي
الظلمة الا لرعاية اطاعة الرعية فللبخاري من حديث انس اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ولمسلم من حديث ابي
هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك وله ايضا عنه من خرج
من الطاعة وفارق الجماعة لمات ميتة جاهلية ودفع التاذي
اي ولدفع شر الاذي والظلم عن نفسه او غيره من اهله ونحوه فيدخل
اي حينئذ مراعيا حقه تعالي حيث قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله والرسول واولي الامر منكم ويكرم بالقيام ونحوه كرها ان دخلوا
اي الظلمة عليه اي معتقدين لما لديهم مكافاة علة للاكرام اي مجازاة
لاكرامهم اي اكرام الظالم له عز الدين اي لعز اهله من اهل العلم والعمل به
وقد قال تعالي هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقد سبق حديث اذا اتاكم
كريم قوم فاكرموه ورعاية للحشمة بين الرعية اي في الملا ويجوز الاهانة
في الخلا اي بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام وعند العلم
بعدم اضطراب الرعية اي من الامرا والوزرا اذا كان اهانته بنية
اعزاز الدين واهله من العلما المجتهدين وتحقيرا لظلمهم اي في نظرهم
واظهار الغضب لله تعالي كما هو واجب علي اهل العلم وغيرهم كما ورد في
احاديث الحب في الله والبغض في الله ولقد دعي سعيد ابن المسيب
الي البيعة للوليد وسليمان بني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع
اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلي الله عليه وسلم نهي عن بيعتين
فقال ادخل من الباب الاخر قال والله لا يقتدي بي واحد من الناس
فجلد مائة والبس المسوح رواه ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح والحاصل

انه لا يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام
وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب امر
السياسة الرعية فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة
الخلق حتى لا يضطرب امر الولاية والاصل الاستغناء من الغلب اي بقي
جهة رضا الرب وبنية الاصلاح اي حملهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم
لا الاشتهار اي بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفايزين بالنجاة
والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغي ان تكون النية في هذه الامور
صحيحة مبرورة وهو اي ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار يعرف
بالفرحة عند حصول الموعظة اي للظلمة من غيره اي الموجودين من الوعاظ
الابرار والعلما الكبار ثم اذا ابتلي بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم فقد
ورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المومنين
وعامتهم روي عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في
البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه
علمه ومطهرة يتوضا فيها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب فاذا
هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال
ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم
اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شي وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب
كل شي ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها
قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته
قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها وتقسمها قال لعلي ان عدلت
في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها

فيامر

فيامر فازوها عني كذا في الاحيا وقال يخرج حديث حماد بن سلمة مرفوعا
فيامر فازوها عني كذا في الاحيا وقال يخرج حديث حماد بن هذا معضل
وروى ابو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الاسقع
من خاف الله خوف الله منه كل شي ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شي
وللعقيلي في الضعفاء من حديث ابي هريرة نحوه والاولى الاجتناب
عنهم وعن خواصهم لئلا يقع في طمع من جاههم واموالهم والغفلة عن
احوالهم بالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه
ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال رمسه فعن
حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم
على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة
لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا
من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزوارون
للملوك والامرا وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله عز وجل من عالم
يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم يوتى الى مجلسه فلا يوجد
فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم
العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على
هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك
مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابو ذر في حديث
في حديث من كثر سواد قوم منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود
ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم
قال لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان

قربا الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هولاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هولاء الجورة ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلما فقال الله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين اتخذوك قطبا تدور عليك رحا ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما والسلام فان قلت فقد كان علما السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ايتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المومنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه

خلع

خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المومنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المومنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة المومنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى اولياه يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المومنين علي بن ابي طالب يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت امير المومنين علي بن ابي طالب يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب عن صحبته وعن سفيان الثوري قال دخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفع راسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناوهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه فقال

ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضي الله عنه فقال للخازن كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى ههنا اموالا كثيرة لا تطيقها الجمال ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب النبي عليه السلام وابطا عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحيا وقال عوجه لم اقف على اصل وكان بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال خصماؤك يا امير المومنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان ابن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال فاي المومنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المومنين اخسر قال من باع اخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه

قال

قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان اباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال كيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تاخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع الله لي فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما يحب ويرضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن اليه صايرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي اظهرت تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية وقوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور والنهي او افرد الضمير باعتبار التلازم بينهما

فرض اي بالاجماع والكتاب والسنة على الكفاية اي اذا قام على الامر
جماعة وامر او نهي واحد منهم سقط عن الباقين والا اثم الجميع اذا كانوا
معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف
زمان الايمان او اهله في مقام الايقان او مراتب ارباب الاحسان في الفرض
اي من المعروف فعلا كالصلاة والصيام وتركا كاجتناب ما عرف من الحرام
ومندوب اي وهو مستحب في المندوب اي من المعروف فعلا وتركا وورد
في التنزيل ولتكن منكم امة اي جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية يدعون
الى الخير اي المحض وهو الايمان ويامرون بالمعروف اي وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون اي الناجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم
هولاء القايمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر
المهم الذي بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوي بساطه واهمل علمه
وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت
الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب
البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب
السنن عن ابي بكر الصديق انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم
تقرون هذه الاية وتتناولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان
ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده
ولابي داود والترمذي وحسنه ابن ماجة من حديث ابي ثعلبة الخشني
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم

من ضل

من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم
للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم
يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث
عمر والطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة مرفوعا لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا
يستجاب لهم وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال
او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم
ولابن ماجة باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك
اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت
بك وفرقت من الناس وللطبراني والبيهقي وحسنه عن عكرمة عن
ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من
حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان
اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقي عن ابن عباس بسند حسن لا ينبغي
لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه
رزقا هو له ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ابي سعيد
بلفظ لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ولابن عدي
من حديث ابي هريرة من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب
عنها فاحبها فكانه حضرها ثم الامر والنهي يجب على العبد وان عدم
العدالة اي منه بفقد عمله بها تحرزا عن انسداد باب الاحتساب اي الحسبة

بالامر والنهي لاجل الثواب لتعذر العصمة اي عن جميع المعصية الا ارباب النبوة
دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبيآء كما قال الجهمة قد اختلف في عصمتهم
عن الخطايا والقران دال على نسبة ادم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء
ولذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون
فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير ولان
الواجب عليه شيئان وهما الامتناع اي بنفسه عن المعصية والمنع اي لغيره
عنها فلا يسقط ترك احدهما وهو الامتناع الاخر وهو المنع كما في عكسهما فلا
تلازم بينهما واما ما ورد في ذم القايل بما لا يعمل كقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون وكحديث مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى
عن الشر وناتيه وكما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وكقول القايل لا تلم المرء على فعله
وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا واتى نحوه فانما يزري على عقله
فلعدم العمل اي لا لمجرد الامر والقول كما توهمه قوم واذن الامام اي
واذا عدم اذنه بالحسبة لعموم الادلة واطلاقها اي من غير تقييد باحد
دون اخر حتى يحتسب على الامام ايضا كما يدل عليه حديث ابي سعيد
الخدري افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر ابو داود وابن ماجة
والترمذي وحسنه فاذا اجاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف
يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا الاحاديث

من

من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار تدل
على ان كل من راى منكرا فسكت عليه عصى اين ما راه وكيف ما راه على
العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب
ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهولاء
اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاووا الى القضا
طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج
حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف
وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد
لم يخرج هذا واستمرار عادات السلف في الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم
على الاستغنا عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به
فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فيحتاج الى
اذنه في الانكار عليه ومن جملة ما انكر السلف على الامراء ما روي ان مروان
بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد
الصلاة فقال له مروان ان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا
فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا
فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك من
اضعف الايمان وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شا فلما اخذ في الطواف
نحي الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه وقال له
انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار
عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه

فقال له عبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخرجني به الي بغداد فكره اذ يعاقبه
عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليبوسها وضموا
اليه فرسا عضوضا سيي الخلق ليعقره الفرس فليّن الله له الفرس
قال ثم صيّروه الي بيت واغلق عليه واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو
قد خرج بعد ثلاث الي البستان ياكل البقل فاذن له المهدي فاستدعاه
فقال من اخرجك قال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي اخرجني
قال فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله اليه راسه
وضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا لكان ذلك فما زال محبوسا
حتي مات المهدي ثم خلّي عنه فرجع الي مكة قال وكان جعل علي نفسه نذرا
ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وروي عن حسان بن عبد
الله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بني هاشم
وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني
فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت
ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فجا بالعود فوافق شيخا
يلقط النوي فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراي العود فاخذه
فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الي صاحب الربع فقال احتفظ
بهذا فانه طلبه امير المومنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد
من هذا فكيف يكون طلبه امير المومنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل
علي هارون فقال اني مررت علي شيخ يلقط النوي فقلت له الطريق فرفع
راسه فراي العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون
وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير

المومنين ابعث الي صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة فقال لا ولكن
نبعث اليه ونناظره اولا فجا الرسول وقال اجب امير المومنين فقال نعم
قال اركب فقال لا فجا وهو يمشي حتي وقف علي باب القصر فقيل لهارون قد جا الشيخ
فقال للندما اي شي ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتي يدخل هذا الشيخ
او نقوم الي مجلس اخر ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي
فيه النوي فقال له الخادم اخرج هذا وادخل علي امير المومنين فقال من هذا
عشاي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشايك فقال له هارون
اي شي تريد منه فقال في كمه نوي فقلت له اطرحه وادخل علي امير المومنين
فقال دعه لا يطرحه فقال فدخل فسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك
علي ما صنعت فقال واي شي صنعت وجعل هارون يستحي ان يقول كسرت
عودنا فلما اكثر عليه قال سمعت اباك واجدادك يقرون هذه الاية علي المنبر
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربي وينهي عن الفحشا والمنكر
والبغي يعظكم ورايت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطي
رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المومنين
وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج
من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا
فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المومنين
يردها من حيث اخذها ويروي انه اقبل بعد فراغه من كلامه علي نواة يعالج
قلعها من الارض وهو يقول

اري الدنيا لمن هي في يديه   هموما كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصغر   وتكرم كل من هانت عليه

وحقه اي وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة العلم اي معرفة خطا الامور وصوابها
ليعلم الحدود اي مراتبها والحقوق المتعلقة باصحابها فالجاهل بمعزل
عن هذا الباب بل شرط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب
ومن هنا قال بعض علمائنا ان العامي انكاره بالجنان والعالم انكاره باللسان
والامير انكاره بالاركان فانه ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها
ومجاريها فيقتصر على حد الشرع في ابوابها وذلك معنى قوله والورع اي
عن المنكرات مطلقا وعن ذلك المنكر ولا والاظهر ليردعه ورعه عن مخالفة
معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزايد على
الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة او
عوض من الاعواض الكاسدة وليكون كلامه ووعظه مقبولا لعدم تاثير
قول الفاسق وسقوط اعتباره عند الخلائق لان الحسبة تارة تكون بالنهي
بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل
فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فان كنت تعلم تقدم عليه فينفر الطباع
عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لا سيما مع ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل
عن كونه حقا كان من يزيد الظالم عن احاد المسلمين ويميل اباه وهو مظلوم
معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم كونه حقا فتحصل من هذا
ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به
واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار
فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو
الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية
فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها

اذا قدر

اذا قدر عليه قال الغزالي وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة انتهى
ولا يخفى ان هذا يخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا
الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس
قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر
حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا
به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير
والاوسط وحسن الخلق والمماثلة ثالثها وهو الاساس اي
مدار سياسة الناس ففي الاحياء ورد لا يامر بالمعروف ولا ينهى
عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث
قال مخرجه لم اجده هكذا ولكن البيهقي في الشعب من رواية عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده من امر بمعروف فليكن بمعروف والحاصل
ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لابد التحقيق فلا يتم من الورع
الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب
وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية
عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وعن بعض السلف
اذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر
ويثق من الله بالثواب والاجر ومن وثق باجر المولى لم يجد
مس الاذى والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب
نسي الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وخبث الطوية
فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما تقدم عليه ابتداء

لطلب الجاه او طمع المال او للريا والسمعة ولعل هذا وجه القايل
هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقال كعب الاحبار لابي مسلم
الخولاني كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التورية
يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند
قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم فهيجان
الغضب اي منه او من غيره لا يسكن دونه اي عند امر من الامور
بل يتحرك فيه انواع من الشرور وورد اي في طه فقولا له قولا لينا
اي سهلا لينا لعله يتذكر اي يتعظ بترك الكفر ابتداء او يخشى
اي عقاب ربه فينتهي عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء
مامورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع اهل الحق وحكي
عن المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل
ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني وامره
بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد روى
ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام
اقربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه
لامك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم
قال اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا
يحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر
العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو
عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما

اعني ابن

اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه
وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه اي من الزنا رواه احمد
باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان
ابن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون
حقه ثم خلا به وعزله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من
الصالحين فانا لنحب الصالحين واوله اي بدء الحسبة التعريف
اي تعريف قبح المعصية ثم الوعظ اي النصيحة بالكلام اللطيف
والتخويف منه تعالى اي بالعقوبة في الدنيا والاخرة لا يتجاوز
اي المحتسب عنه اي عما ذكر من الامور الثلاثة ان كان احتسابه
على الوالدين وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده قال
يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل وفي معنى الوالدين
التلميذ والاستاذ واما ما في الاحياء من الاخبار الواردة في ان الجلاد
ليس له ان يجلد اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه
ولا ان يباشر قتل ابيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص
ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم اجد فيها الا حديث
لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر
او المولى اي المالك من العبد او البعل اي الزوج من المراة او السلطان
اي او على الخليفة ومن في معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه
يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد
من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم في مستدركه من حديث

عياض بن غنم الاشعري من كانت عنده نصيحة لذي سلطان
فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان ادي
الذي عليه والذي له وقال صحيح الاسناد وللترمذي وحسنه من
حديث ابي بكرة من اهان سلطان الله في الارض اهانه الله في الارض
اهانه الله في الارض وهذا منه عليه السلام طريق رافة ورحمة
على الانام والافقد ورد عنه من حديث ابي عبيدة قلت يا رسول
الله الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار والحاكم في مستدركه
وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله ويقويه ما سلف
من السلف حتى قارب امرهم الى الهلاك والتلف والحاصل انه
لا يجب عليه الا انه يستحب له ويثاب عليه بل يشتغل بالدعاء اي
لتوفيقهم بالمعروف والاستغفار اي المجاوزة عنهم في المنكر فان
هذين الامرين نفعهما اكثر خصوصا في هذا الزمان فتدبر ثم
التعنيف اي الكلام الخشن والسب اي الشتم دون الفحش فلا
يقول له يا كافر يا يهودي يا نصراني يا خنزير يا كلب يا فاسق بل
يقول مثل يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري مجراه
ولا يبخا وزعنه اي عن هذا الامر ان كان الاحتساب على المسلم من
الذمي تحرزا عن استيلاء الكافر فان الذمي اذا منع المسلم بفعله
دون قوله فهو يتسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا ترتد

ونحوه

ونحوه من الفضيحة والتخويف من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما
يكون سببا للامتناع عما فيه ثم التغيير اي تغيير المنكر باليد
والمباشرة على سبيل المنع بالقهر ككسر الملاهي اي من الات المناهي
كالمزمار والاوتار واراقة الخمر اي التي هي ام الخبائث واصل
المعاصي واساس الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير من راسه
واستلاب الشيء المغصوب من يده ورده على صاحبه فللترمذي
من حديث ابي طلحة انه قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام
في حجري قال اهرق الخمر واكسر الدنان ثم التهديد اي التخويف
بالضرب من عنده او من عند غيره من الحاكم ونحوه ثم الضرب اي
مباشرته ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه وهو بقدر
الوسع اي الطاقة في تاديبه الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة
فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على الخنيا والسكوت بالضرب
وهذا قد يحوج الى استعانة وحصول اعانة وان لم يقدر اي على
الضرب ونحوه فالكراهة اي بقلبه كافية فورد اي في حديث
اوله من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اي اضعف اهل الايمان
او اضعف زمانه او اضعف مراتبه في شانه رواه احمد ومسلم
والاربعة عن ابي سعيد مرفوعا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه
حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها
قال ابن مسعود جاهد الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا
الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط

الوجوب علي العجز الحسي فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها بنا له
فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها بنا له فذلك في معنى
العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا
معنى قوله وان ظن اصابة لا يجب اي الانكار بالقول بل يستحب
اظهار الامر الديني نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل
في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا
يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد
ويحمل علي مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان
قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر علي الهرب
من الاكراه وان ظن اصابة مكروه من ضرب ونحوه او فعل منكر اخر
اي بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه يحرم اي حينئذ
الاحتساب الا ان يظن الامتناع ايضا فاذا تعارض الظنان
فيستفتي من القلب اي في اختيار ما يلهمه الرب وينظر في
صلاحه اي صلاح الامر من حاله مبالغا في تحسين مآله فروي
عن العالم الرباني ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفا
كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل
ولكن كان في ملاء من الناس فخشيت ان يعتريني التزين
للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل للحق فان قيل فما معنى قوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اجيب بانه لا خلاف في ان المسلم
الواحد له ان يهجم علي صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا
ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن

عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى
اي من لم يفعل ذلك فقد هلك نفسه ويؤيده الجملتان السابقة
واللاحقة اذ قال تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا يبعد ان تفسير
التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة هو ان يذهب
ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك في الاحيا وهو صحيح في المعنى لكن يبعد
ماخذه من الاية بحسب ابحاوه من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار
حتى يقتل جاز ايضا له في ذلك في الحسبة والاعتبار للظن الغالب
في حصول فائدة من المحارب والمحتسب من معتدل الحال بان
يكون في طبعه من ارباب الكمال فالجبان وهو ضعيف القلب
في ميدان البيان يستقرب البعيد اي من الامكان يرى
البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه ولا يجاهده والمتهور
بعكس اي الامر بان يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه
لا يصدق به الا بعد وقوعه والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف
في القلب بسبب قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في
القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال
في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين
في الاخلاق والاحوال ولا يتجسس فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا
للمحتسب بغير تجسسه فكل من ستر علي معصية في داره واغلق علي بابه
لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقته وجداره وامثاله كوضع

الاذن بسماع الملاهي والانف بشم الخمر والمناهي لاحساس صوت
الاوتار متعلق بوضع الاذن ورايحة الخمر في تلك الدار وطلب اراءة
ما تحت الثوب فاذا رءي فاسق وتحت ذيله شي محظور خمر او
خشب عود لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة بان كانت
له رايحة فايحة او تشكل العود الذيل اذا كان الثوب الساتر رقيقا
والا فمجرد الظن لا يعمل به فانه قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت
الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب منها اذ الفاسق
يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفايه وانه لو
كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء لا تنحصر بالاستقصاء
كذا في الاحياء فهو اي التجسس منهي عنه اي في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
وروي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فراه على حالة مكروهة
فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه
فقد عصيته انت من ثلاثة اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى
ولا تجسسوا وانت تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها
وقد تسورت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه
التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسالهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار علي بان ذلك
منوط بعدلين فلا يكفي واحد ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات
اي اصوات الملاهي وما يدل على مجالس المنكرات من المناهي وهذا بمنزلة

الاستثنا

الاستثنا من الحكم السابق والمعنى انه لا يجوز الدخول على من اغلق
باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار ظهورا يعرفه
من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز
ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي
وقطع الاوتار وكذا اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات
المالوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل الشوارع فهذا الاظهار موجب
للحسبة والانكار وتحتسب على غير المكلف اذ شرط المحتسب عليه
ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن
معصية بالنسبة اليه ولعله يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط
كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه
وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون
لو كان يزني بمجنونة او ياتي بهيمة او يشرب الخمر وجب منعه نعم
من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم
وغيره ففي المحتسب عليه لا يشترط التكليف اي بخلاف المحتسب
فانه يشترط تكليفه في حق الوجوب عليه واما امكان الفعل
وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز
وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي فاذا
فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف
فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة وساير القربات
وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا
الحسبة للعبد واحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع

ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستنصر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر لا في محل الخلاف اي لا يحتسب الا في المتفق على كونه منكرا فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه كاكل الشافعي الضب فليس للحنفي ان ينكر عليه اكله وكذا في اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ او ينكح بلا ولي ويطا زوجته او راى الحنفي حنفيا يلعب بالشطرنج او يلبس الثوب الاحمر فهذا في محل النظر كما في الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المخلصين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذاً مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المخلصين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة في بعض المسائل فاذا اعتذر وقال انا مقلد للشافعي الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى انه لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم وما اجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد ان

يختار من المذاهب ما اراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون من تبع عالما لقي الله سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه ما كلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ولا قبل الارتكاب اي ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب ويشترط ان يكون المنكر موجودا في الحال لا انه يتوقع منه في المآل لغو اي وجوده قبل الارتكاب مشكوك فيه فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب في ليلته فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله ولينتبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل وهي ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه من سائر الاشياء ولا بعده اي ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب فهو اي هذا النوع من الاحتساب حق الامام اي ومن جعله من النواب وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار اي واجبان عليه ولازمان لديه فهو المأثور اي عن السلف الابرار ويبغض المصر اي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا او فاجرا او مبتدعا ولو لم يكن داعيا فيه اي في الله تعالى اي شانه ونعا

برهانه بالاعراض عنه اي في السلام والكلام والاهانة اي بزيادة
المهانة وترك الاعانة اي فيما يظهر من الاغاثة وابطال اغراض
تعين على المعصية دون غيرها اي غير المعصية ولو اعان اي في
الاغراض التي تعين على غير المعصية تحريضا على قبول النصح اي
فيما يذكر له من الكلام او لحق الاسلام فحسن اي فاعانته مستحسن
قال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين فهذا
في زماننا يتصور في حق اهل الذمة فالحال يختلف بالنية اي بالقلب فيها
وتفاوت الطوية كما في الترك للفسق اي كما يختلف في ترك الاحسان
لخوف الفسق الا ان يعلم بمخرج من قوله فان اعان اي الا ان يعلم
المبغض الا تقيا اي اتقاء الناس كما في نسخة فلا يعينه حينئذ
والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء والاظهر انه طرف
ليبغض المصر كما يشير اليه قوله حتى يترك السلام اي في الابتداء
ورده في الانتهاء فهو اي حق السلام ورده يسقط بادنى غرض كالبول
في الحمام ونحوه فورد من انتهر اي زجره فهو صاحب بدعة اي منكره
ملا الله قلبه ايمانا اي معرفة وايقانا ومن اهانه امنه الله اي جعله
امنا من عذابه يوم الفزع الاكبر وهو القيامة الكبرى ومن لان له اي
في الكلام او اكرمه اي بالقيام او لقيه ببشر اي في حال السلام فقد
استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اي فلم يعمل بما يجب عليه
من الاحكام وان استحل ذلك فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام والحديث
لم اجده في كتب الاعلام لكن ورد عنه عليه السلام من وقر صاحب

بدعة فقد اعان على هدم الاسلام ويستثنى من القلب في الخلاء اي اذا
كان وحده او في حكم الخلاء ان اظهار البغض اقرب الى الانزجار اي
امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما ام التلطف بالنصح انسب الى
اصلاح امرهما فيفعل بمقتضى ذلك ولا يحسن الى مرجي اي ظالم
في حق الناس اي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية فهو اي الاحسان
الى الظالم اساءة في حق المظلوم اي الا اولى بالرعاية كما في نسخة
بخلاف حقه اي فله ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه في مقابلة
ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى ادفع بالتي هي
احسن ويضطر الذمي الى اضيق الطرق اي بنية اهانته وعزة
المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه ولا يبدأ بالسلام عليه
لانه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه ولا يزيد في جوابه اي على
قوله وعليك او عليك فحسب وعبارة المصنف موهمة انه يقول له
وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك
فانه مخالف للرواية والدراية ويسلم على من اتبع الهدى اذا كان الذمي
والحربي او الفاسق او البدعي في جمع المسلمين وكانه مقتبس من
قوله تعالى موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى وكذا
في العكس بان كان المسلم بين الكافرين او الفاجرين وقيل يقول
السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين ويدعو في تشميته اي جواب
عطسته بالهداية اي بان كان يقول يهديكم الله لا بالرحمة
فلا يقول يرحمكم الله ولا يرشده اي لا يدله على معبده اي من البيعة
لليهود والكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا يصافحه
لان المصافحة من باب كمال المصالحة ويجدد الوضوء اي اللغوي وهو
غسل اليد ان صافح اي كافرا الظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس ولا
يستقبل جنازته بالوجه اي بالمواجهة بل يدبر عنها وجهه اذ انه
في المقابلة

الباب التاسع في الصمت وآفات اللسان

المراد بالصمت السكوت في ميدان البيان فقد ورد من
صمت نجا رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه
ضعف والطبراني بسند جيد الصمت حكمة وقليل فاعله الديلمي
عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث انس
بلفظ حكم بدل حكمة قال والصحيح عن انس ان لقمان قال ولابي
نعيم من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه وما احسن قول
القايل ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا
بسم الله الرحمن الرحيم خير كلام صدر من كل حكيم وورد ان اكثر خطايا
ابن ادم في لسانه الطبراني وابن ابي الدنيا في الصمت وللبيهقي
في الشعب بسند حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم
وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يا رسول الله
انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم
الا على حصائد السنتهم وللترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر
قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك وفي الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليسكت ولابن ابي الدنيا وغيره من حديث انس

مرفوعا

مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم ففي الصمت الوقار اي حصول
الرزانة والطمانينة واجتماع الهمة اي للامور المهمة والفراغ للعبادة
التي هي وسيلة الى سيادة السعادة والسلامة من آفات الدارين اي
عن الكونين او في الحالين فان البلاء اي في الدنيا والاخرى موكل
بالمنطق مصدر ميمي اي بنطق اللسان الصادر عن الانسان في
معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه وجرمه اذ لا
يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان
ثم الذي ادرجه المص في كلامه حديث رواه الخطيب في تاريخه عن ابن
مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا عير رجلا برضاع كلبة
لرضعها قال السخاوي ضعيف اقول ويقويه ما نسبه الزركشي الى
ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمي من حديث
ابي الدرداء قال السيوطي والديلمي ايضا من حديث ابي الدرداء فقال
للسيوطي والديلمي اهـ ابن مسعود مرفوعا وبهذا تبين خطا ابن
الجوزي حيث ذكره في الموضوعات لكن لفظه البلاء موكل بالقول
ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع منها اي من آفات اللسان ما لا يعني
اي ما لا ينفع الانسان من البيان وهو اي ما لا يعني ما لا اثم عليه
ولا ثواب اي لا اجر لديه وينبغي ان يراد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه
باللغو ومنه قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون واذا مروا باللغو
مروا كراما والاصل في اللغو وما لا يعني كلاهما شمول القول والفعل
بخطور القلب وتصوره في ميدان العقل الا ان الاكثر استعمالها فيما
يتعلق باللسان ففيه آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المص منها ثلاثة

عشر آفة الاولى تضييع الوقت وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك
ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا
يعنيه ضاعت حالاته ومضت ايامه في الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا
للعقبى ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس عن ذكر الله
وفي الحديث ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت
بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء
في حديث ضعيف ان الله امرني ان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا
ونظري عبرة وقساوة القلب لا سيما بالغفلة عن ذكر الرب قال
تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الذين
امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب اي
تسكن وتلين وقال عز وعلا في بيان القران وذكره تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ووهن البدن اي ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى
بعض الاعضا تالم معه سائر الاجزا وتاخر الرزق اي المعنوي او
الحسي ايضا جزا لما فاته من الرفق وايذا الحفظة اي الكرام الكاتبين
بالغا كلامه واملا امره عن عرفايدة في تمامه قال عطا ابن ابي رباح
ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ما عدا
كتاب الله وسنة رسوله او امر بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا
بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت صحيفته

التي

التي املا صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وارسال
كتب اي صحايف من اللغو اليه تعالى اي للعرض عليه قبل القيمة وقراءته بين
يديه تعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد كما يشير اليه قوله تعالى اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن هنا قال عمر رضي الله
عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى من
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر ما قدمت لغد واتقوا
الله وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة في الدنيا والاخرى فافهم
والحبس عن الجنة اي بمقدار ما اختاره في الدنيا من الغفلة عن الحضرة
والحساب اي لما اثبته في الكتاب من استحقاق الثواب او استيجاب
العقاب واللوم كما يشير اليه قوله سبحانه لا اقسم بيوم القيمة
ولا اقسم بالنفس اللوامة فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها
ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر
في حقها الملامة والتعيير اي التوبيخ على التقصير واتباع الحجة
اي ابطالها في تلك الحالة والحيا منه تعالى لما له من الجلالة وورد اي
من حديث ابي هريرة في رواية الترمذي وابن ماجة من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا فعن انس استشهد
غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت
امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال عليه السلام
وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع ما لا يضره ابا ابي الدنيا
والترمذي مختصرا وفي حديث اخر انه عليه السلام فقد كعبا فسال
عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر

يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه
المتالية على الله قالت هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب
لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه والمعنى ان الجنة انما تهنيا
لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان
كلامه مباحا فلا تتهنيا الجنة له لا سيما مع المناقشة في الحساب
فانه نوع من العذاب ومنها الفضول اي فضول الكلام وهي زيادة فيما
يعني يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر
ويمكنه ان يبسط ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة فعن ابن مسعود
انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته اي من المرام في المقام
فورد طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله
ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوي والبيهقي وتمامه
وقال ابن عبد البر حديث حسن وفضول الكلام لا ينحصر ولا يحصى
بل المهم محصور في كتابه الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد ورد الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله البزار
عن ابن مسعود والطبراني عن ابي الدرداء بلفظ الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل ومنها الخوض في الباطل وهو
الكلام في المعاصي كمحاسن النساء اي حكايات احوالهن من قدهن وخدهن
وجمالهن ومقامات الفساق من مجالس الخمر وسماع الزمر وتنعم
الاغنيا اي بالماكول والمشروب من الاشيا وتجبر الملوك اي واتباعهم

من الامرا

من الامراء والوزراء وحروب الصحابة كقصة الجمل وصفين على طريق
الاخباريين لا على رواية المحدثين والمذاهب الباطلة وما يتعلق بها
من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فورد اعظم الناس
خطايا اي جمع خطيئة كقضية وقضايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل
ابن ابي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو
والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولابن
ماجة والترمذي وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث
ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت
يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من
سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه من
سخطه الى يوم القيمة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث
بلال بن الحرث ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة بسند حسن
مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه وهو يهوي بها
ابعد من الثريا وللشيخين والترمذي واللفظ له وقال حسن غريب
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه وهو لا يرى بها باسا يهوي بها
سبعين خريفا في النار وهو اي الخوض في الباطل حرام كما يشير اليه
قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وقوله فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة
اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار
يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث
يعني فان الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة والاولى

اي ما لا يعني وفضول الكلام مكروه وان كراهة تنزيه لانها ترك الاولى
كما لا يخفى وسبب الكل اي باعث جميع ما ذكر مما لا يعني والفضول
والمؤمن هو الحرص على علم لا ينفع بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال
عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم وقال الانسان بيان علم لا ينفع
وجهل لا يضر والانبساط بالكلام للتودد اي للتحبب مع الانام
والغفلة عن ذكر الملك العلام وامضاء الوقت من الليالي والايام من
غير منفعة للخاص والعام والعلاج اي معالجته لكل سنة ذكر اتيان
الموت لانه به يتدارك الفوت في الاوقات وقد ورد اكثروا ذكر هادم
اللذات والسؤال اي وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك
المتعال ولحوق الخسران بتضييع الوقت اي الزمان في الهذيان فقد قال
تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والعزلة وهو
الانفع اي في المعالجة لان اكثر الضرر في الصحبة والخلطة والغاية
في الفم احصاة وهو مروي عن الصديق رضي الله عنه ففي الاحياء
عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه
وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد اي المهالك
الصادرة من شانه والسكوت عن بعض المهمات حذرا من كل الافات
لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كلام لا يأثم به لو سكت في
المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة فيما لا يعني صلاة
ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل علي ولم
تنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب

علي

علي فانتهيت كذا في شرح الخطب ومنها المراء وهو في هذا المقام ه
الطعن في الكلام اي كلام الغير باظهار خلل اي نقصان او طغيان
او زيادة في معرض بيان بحسب المبنى او من جهة المعنى وهو حرام
قال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وعنه عليه السلام لا تمار
اخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلفه الترمذي من حديث ابن
عباس وللطبراني من حديث ابي الدرداء وابي امامة وانس بن
مالك وواثلة بن الاسقع وابن ابي الدنيا موقوفا على ابن مسعود
ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته والواجب السكوت
باظهار كونه معترفا او متوقفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا
او السؤال مستخبرا اي متعرفا او للتعريف اي تعريف الخلل متلطفا
اي لا متعنتا ولا متكلفا وورد من ترك المراء وهو محق اي صاحب
حق بني له بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بني له في اسفل الجنة
وفي رواية بني له بيت في ربض الجنة رواه الترمذي وابن ماجه
من حديث انس مع اختلاف قال الترمذي حديث حسن ولابن ابي
الدنيا من حديث ابي هريرة لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى
يذر المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك
الكذب في المزاحة والمراء وان كان صادقا وللديلمي من حديث
ابي مالك الاشعري ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان
الصيام في الصيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن اي الغيم والصبر
على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق
وللطبراني من حديث ابي امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحاء مصدر لا

حي

يعني يماري وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان لو خالفت
اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال
ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك
من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان
اغضبه ومنها الجدال اي البحث لترجيح كلامه كيف ما كان على وفق مرامه
وهو اي في العرف او العادة مما يتعلق باظهار المذاهب اي الفروعية
الخلافية او الاصولية الاعتقادية قال تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن
للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال عز وعلا ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقال عز وعلا ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فهو ماذون فيه
مع اهل الكفر والبدعة ومنهي عنه في حق المسلمين من اهل السنة والجماعة
وللترمذي من حديث ابي امامة وصححه ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه الا اوتوا الجدال وهو اي الجدل المذموم يعرف بكراهة اصابة
الخصم اي الحق والصواب في اثنايه وارادة اخطايه وهو قد يوجب
ظهور كفره واغوايه واظهار فضل النفس في اهوايه وورد من
حديث ام سلمة ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبدة
الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال اي مجادلتهم ومنازعتهم ومما
راتهم في محاوراتهم رواه ابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي وابو
داود مرسلا من حديث عروة بن رويم والسبب اي الباعث
للمراء والجدال الترفع باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير
باظهار نقصه في العلوم والاعمال والغضب اي وتهييجه في محافل

الرجال

الرجال وعلاج كل اي من الترفع والغضب في موضعه اي الاليق به
وبجملة ان علاج الترفع بترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور
قدرة الرب ويروي ان الامام الهمام ابا حنيفة قال لداود الطائي احد
تلامذته لم اثرت الانزوا فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال والمراء
فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم في الاثنا قال ففعلت ذلك
فما رايت مجاهدة اشد مما هنالك قال في الاحياء وهو كما قال لان من
سمع من غيره خطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا
ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة
لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغي للا نسان
ان يكف اللسان عن اهل القبلة واذا راي احد المبتدعة تلطف
في نصحه على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة
فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر
ما يقدر عليه ابن ابي الدنيا من حديث هشام ابن عروة مرسلا وقال
هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات ومنها الخصومة
وهي من الصفات المذمومة والاخلاق المشومة وهي لجاج اي مخاصمة
زايدة في الكلام مع اصحابه الكرام لاستيفا حق اي له او لغيره اصالة او
نيابة ابتدا او اعتراضا كاثبات الوراثة ودفع الخصومة انهما فالاول
نعت المدعي بالكسر والثاني وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي
لا يخاصم ولا يخاصم فورد اي في البخاري عن عائشة ابغض الرجال
الى الله الالد الخصم اي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس
من قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد

الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ولابن ابي الدنيا وغيره عن ابي هريرة
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وهو
حرام الا لمظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة اي قدر
حاجته من غير تعد الى حد حاجته لقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
والاولى الترك اذا وجد اليه سبيلا في مكان الامكان لعسر ضبط
اللسان على الاعتدال في ميدان البيان والاحتراز عن موجبات
الاثم اي والاحتراس عن مقتضيات انواع العصيان كالحقد والغضب
والسب وغيرها من نحو الكذب والبهتان والفرح بغم المسلم في ذلك
المقام وفوت طيب الكلام اي ولينته وقد قال عليه السلام يوجب
الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبراني من حديث هاني بن شريح
باسناد جيد وقال عمر رضي الله عنه بني ان البر شيء هين وجه طليق
وكلام لين ولاجل ما تقدم قال تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله
وقال عز وعلا وقولوا للناس حسنا وقد قال بعضهم ما خاصم
قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن
ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي قال
ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت
شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب
من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك فقلت لا اخاصمك
فقال عرفت انه حقي فقلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب
منه شيئا هو لك بتكلف السجع والتصنع فيه اي من غير ان يكون في سجية

اي ومنها التشدق
والتكلف في الكلام
والتوسع الزائد

سجية

سجية الطبع كما قيل لبعض المشايخ في ذم السجع فقال رجعت عما
سمعت واما اصل السجع فغير مذموم في الشرع كما نزل في فواصل
اي القران القديم وورد في كثير من حديث النبي الكريم ومنه اعوذ
٥ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن
هؤلاء الاربع واما ما ورد من انه عليه السلام قضى بغرة في الجنين فقال
بعض قوم الجاني كيف من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل
ذلك يطل اي يهدر ويبطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه في هذا الباب
والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابي هريرة واصلهما
عند البخاري ايضا فورد شرار امتي الذين يتشدقون في الكلام ابن
ابي الدنيا من حديث فاطمة شرار امتي الذين غذوا في النعيم ياكلون
الوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولمسلم من حديث ابن مسعود
الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء
ولاحمد من حديث ابي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر و
حسنه ان ابغضكم الي الله وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون والسبب اظهار الفصاحة والبلاغة واما تحسين الالفاظ
في المواعظ وكذا في الخطب والتصنيف للتاثير في القلوب فيما يريدون
الافراط اي من غير الاطناب في الاغراب لان المقصود تحريك القلوب
وتشويقها وقبضها وبسطها وتخشيعها وترقيقها ولرشاقة الالفاظ
والمباني تاثير في مبادي المعاني واما المحاورات التي تجري في قضاء
الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال

به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الريا الملوم ومنها الفحش وهو
التصريح بالذمايم اي بالكلمات الذميمة كلفظ الجماع اي تصريحا لا تلويحا
فعن ابن عباس ان الله حي كريم ويكني كني باللمس عن الجماع فالمسيس
واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة
بالاجماع والبول وكذا الخرا بالاولي فينبغي ان يكني عنهما بقضا الحاجة
او بالغايط فانه من كنايات القران اذ حقيقته الموضع المنخفض
من الارض مع ما فيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضا حاجة
الانسان والجذام ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج
والاسهال بل يقال العارض الذي يشكوه وزوجتك وكذا امراتك
وسريتك بل يقال من في البيت او العيال او اهل البيت او ام الاولاد
او نحو ذلك والظاهر ان زوجك من كنايات القران الحيث قال
تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقال امسك عليك زوجك
فورد الفحش ليس من الاسلام احمد وابن ابي الدنيا باسناد صحيح
من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام
في شي الحديث وللنسائي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر
واياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ولابن ابي الدنيا
وابي نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو اياكم والفحش فان الله
لا يحب الفحش ولا التفحش ولابن ابي الدنيا وابي نعيم في الحلية من حديث
عبد الله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها قال
العلا بن زياد وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج جراح
في ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين يخرج فقال من باطن

اليد ومن هذا القبيل قوله عليه السلام لامراة رفاعة حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخاري من حديث عايشة ومن
ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها ان المراة النبي سالته عن الاغتسال
من الحيض خذي فرصة ممسكة فتطهري بها الحديث ومنها السب
اي الشتم فورد سباب المومن فسوق رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولمسلم من حديث ابي هريرة المستبان
ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم ولاحمد وابي يعلى والطبراني
من حديث عبد الله بن عمرو من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه
قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب
الاخر اباه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر
من المشركين وقال لا تسبوا هولاء فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولوه
وتوذون الاحيا رواه ابن ابي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا
ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا
وقع في اب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا ام
امواتنا فتوذوا احيانا ولابي داود والترمذي وقال غريب من حديث
ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي من حديث
عايشة لا تذكروا موتاكم الا بخير واسناد جيد وللبخاري من حديث
عايشة لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا والرخصة في
مثل هذا انت الام من بني فلان اي اذا كان بنو فلان من القبايل الدنية
واهل الشمايل الردية فيكون صادقا في قوله يا سيي الخلق لان الخلق
لا تخلو من سو الخلق لا حياك اي حق الحياء يا احمق اي لا يخلو احد

من نوع حماقة بالجاهل لان كل احد جهله اكثر من علمه تعالى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فكل اي من افراد الانسان لا يخلو عن جهل وحمق ولو
في بعض الاحيان والله المستعان ومنها اللعن بمعنى الطرد وهو الابعاد
عنه تعالى اي طلب بعد الغير عن رحمته سوا يكون بجملة خبرية كلعنه
الله او دعائية كاللهم العنه فهو حكم عليه تعالى لان الخبر ايضا بمعنى
الامر فلا يجوز اي على احد من فاسق ومبتدع وفاجر بل لا يجوز لا على
ميت كافر اي بحسب حكم ظاهر بجواز انه اسلم اي ولم يطلع على ايمانه
احد الا اذا علم موته كافرا بنص قطعي من كتاب كابي لهب او بتواتر
في حديثه كابي جهل وفرعون فان كفره ثابت بالكتاب والسنة
واجماع الامة ولا التفات الى كلام ابن العربي ومن تبعه كما بينته
في رسالة مستقلة ولا حي اي ولا على كافر حي لاحتمال انه يسلم في اخر
عمره وخاتمة امره بخلاف الترحم لا سلام الحالي جوابه سوال مقدر
وهو انه ينبغي ان لا يجوز الترحم للمسلم في الحال لجواز انه يكفر في المال
فقال انما يجوز لانه اي الدعا بالرحمة للمسلم سوال الثبات منه على الاسلام
وهو مستحب باجماع الاعلام وسوال الثبات على الكفر كفر لانه يدل
على رضاه به بخلاف الدعا لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكونه
بل بموته على كفره تغيظا في امره ويدل على جوازه دعا موسى وهارون
على فرعون وقومه بقولهما ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ومن المعلوم ان ايمانهم عند
رؤية العذاب ايمان باس وتوبة باس فلا يقبل لقوله تعالى
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله حتى اذا حضر احدهم الموت

بيان
سوال الثبات

قال

قال اني تبت الان وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر واما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعا له
بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فقيل
لا باس والظاهر انه لا يجوز لنهي الشارع ان يقال في جواب عطسة
الكافر يرحمك الله بل يقال يهديك الله ويجوز التعميم مثل لعن
الله الكافرين لقوله تعالى فلعنة الله على الكافرين والا لعنة الله
على الظالمين بل يجوز التعميم ايضا في حق الفاجرين من غير تعيين
بان يقال لعن الله اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون
كما رواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها
وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة
اليه واكل ثمنها كما اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية
على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطني في العلل عن علي رضي الله عنه
ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض
والاولى الترك اي ترك اللعن مطلقا اي عموما وخصوصا فيما لم يكن
في الكتاب والسنة لعنه انه مما لا يعنيه قال مكي بن ابراهيم
كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون
فيه فقال ابن عون انما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة
لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله
احب الي من ان يخرج لعن الله فلانا وعلى الجملة ففي لعنة الخلق
فليجتنب في امره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره
وورد المومن اي الكامل ليس بلعان اي بذي لعن فالصيغة

للسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المومن
في حالة من احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سوا يكون للانسان
او جماد او حيوان والحديث رواه الترمذي وحسنه من حديث ابن
عمر لا يكون المومن لعانا ولابي داود والترمذي من حديث سمرة
بن جندب وقال الترمذي حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا
بغضبه ولا بجهنم وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت
منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة
قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد
رواه مسلم ولابن ابي الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان رجل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد
الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه كذا في الاحيا
وعن ابي ذر وابي الدردا ما لعن الارض احدا الا قالت لعن الله اعصانا
لله وعن عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو
يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين
كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا
فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود
رواه ابن ابي الدنيا ولمسلم من حديث ابي الدردا ان اللعانين لا
يكونون شفعا ولا شهدا يوم القيمة وشرب نعيمان الخمر
مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
لعنه الله ما اكثر ما يوتي به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان

على اخيك

على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في
الاستيعاب وللبخاري من حديث ابن عمر ان رجلا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشراب فاتى به
يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يوتى به
فقال عليه السلام لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله
وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفي الصحيحين من حديث
ثابت بن الضحاك لعن المومن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز
الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم
والبدعة وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة
فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا انه عليه
السلام يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول في
دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود
واما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روي انه كان
يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى
ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم
ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون يعني انهم ربما يتوبون
فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الشيخان
من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب
بير معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لما قنت شهرا يدعو على

وذكوان الحديث ولهما من حديث ابي هريرة كان يقول حين يفرغ من
صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع راسه الحديث وفيه العن لحيان ورعلا
الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء
ولفظه لمسلم واما من بان موته على الكفر فجاز لعنه ان لم يكن فيه اذى
على مسلم لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر
مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله
وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال يا رسول
الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال
ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرو
واكفف عن ابي بكر وانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم
الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس
عن ذلك كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه ابو داود في المراسيل من رواية
علي بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من
فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو
بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب
هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين
فسبوهم جميعا وللترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات
لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحيا فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه
قاتل الحسين او امر به فقال الغزالي هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان
يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة
مسلم الى كبيرة من غير تحقيق وبصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم

عليًّا

عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه لان ذلك ثبت متواترا
ولا يجوز ان يرمي مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق فقوله عليه السلام
لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد عليه ان لم يكن
صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابي ذر وللديلمي من حديث
انس ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال
وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره
وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها فمخطئ لا كافر
فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله والامر بقتله لعنه
الله قلت الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله
لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر
ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي
رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر كذا في الاحيا
وقد تقدم عنه انه لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب عن العصيان
والله المستعان ومنها نسبة الذنب الى المسلم يعني وهو بريء منه الا
الذنب بعد التحقيق اي الذنب الذي تحقق وقوعه منه فقد قال
تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا ومنها الدعاء على احد قال تعالى ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم
فيقول لا صحح الله جسمه ولا سلم الله روحه ونحوه حتى يكافيه اي يماثله
في الظلم ثم يبقى للظالم عنده فضلة اي زيادة يوم القيامة اي ان زاد
على مثله لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

عليكم

والحديث كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذي من حديث عايشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي ابتداء وبالتجاوز عن الحد انتهى ومنها المزاح بكسر الميم مصدر مزح او مازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة في الكلام باللسان الا انه لما كان الحسنات كالزنجات عن حال الجنات قال المصنف وهو مطايبة القلب ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب وهو اي كثيره او اصله مذموم اي وفاعله ملوم لانه يولد اي يهيج كثيرا من الذنوب والعيوب اي الظاهرة والباطنة كحقد العاقل وجراة السفيه اي الجاهل نحو سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجتري عليك لديك وسقوط الوقار اي الهيبة والعظمة في نظر الابرار نحو عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وذهاب حلاوة المحبة لانه لا يخلو عن مرارة في الصحبة وقيل المزاح مذهبة للبهاء ومقطعة للاصدقا والغفلة عنه تعالى اي عن ذكر الرب بحسب الاغلب وظلمة القلب اي الناشية عن الغفلة وورد لا تمار اخاك ولا تمازحه الترمذي الا النادر الخالي عن الباطل اي فانه غير مذموم كما ورد اني لامزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب وتدل على الغفلة عن احوال الاخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا

متفق

متفق عليه من حديث انس وعايشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبي عليه السلام ليسأله نفر به وجعل الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك به ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم ملاى من دمه ابن المبارك في الزهد والرقايق وهو مرسل كما هو الماثور عن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا الترمذي في الشمايل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزي في الوفا من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير ابو داود والترمذي وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندي امراتان احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب

الحجاب

فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسالته عايشة اياه لانه كان دميما الزبير بن بكار
من رواية عبد الله بن حسن مرسلا ومعضلا والدارقطني نحو هذه القصة
مع عيينة بن حصين الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث ابي هريرة
وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقد راه ياكل تمرا فقال اتاكل التمر
وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم عليه السلام قال بعض
الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجة والحاكم من حديث صهيب وروي
ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع
علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال
يفتلن ضفير الجمل لي شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه
فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفير الجمل لي شرود
قال فمضى عليه السلام ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك
الجمل ذاك الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك
اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت
المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت صلاتي
فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك
ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه
حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا
عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك نبيا
ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن
اسلامه وهداه الله الطبراني في الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات

بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب
فيوتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه
بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري الشي ويهديه
الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجي بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول
عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه
واحببت ان تاكله فيضحك عليه السلام ويامر لصاحبه بثمنه رواه الزبير بن
بكار فهذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم
ان يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو
لكن بدو ورمع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بفعله عليه السلام فهو
لكن بدو ورمع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعايشة
في النظر الى رقصهم في يوم عيدهم فهذا خطا ومن الصغاير ما يصير كبيرة
بالاصرار ومن المباحات ما تصير صغيرة بالاصرار كذا في الاحياء ومنها
الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك اي شنع المثلا
قولا وفعلا مشتغلا بذكر عيوبه تنبيها على ان ذلك قد يكون بالمحاكاة
في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايما فعن عايشة حكيت انسانا
فقال عليه السلام ما يسرني اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا رواه ابو داود
والترمذي وصححه وهو اي بجميع انواعه حرام لانه ايذاء وايضا هو عمل
السفها ولذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين قال قومه
اتتخذنا هزوا اي مهزوا بنا وورد في سورة الحجرات لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم تمامه ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن من غير

لخاه بذنب لم يمت حتى يعمله الترمذي عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن احمد
بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان المستهزئين
بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا
اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم
هلم فما ياتيه ابن ابي الدنيا مرسلا وعن عبد الله بن عباس في قوله تعالى
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة
التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك
على خطه وصنعته او على صورته وخلقته الا استثناء من حرام اي انما
يحرم في حق من يتاذى به لا في من جعل نفسه مسخرة يمزح به وربما يفرح
بسببه فهو اي السخرية في حقه كالمزاح الذي في اصله من جنس المباح
ومنها اظهار السر اي افشاء سر الغير صاحبه واذاعته واشاعته فهو
من لوم الطبع ومنهي عنه في لسان الشرع وفيه الايذاء والاستحقار اي
التهاون بحق المعارف والاصدقاء وورد لا يحل لاحد ان يفشي على صاحبه ما يكره
لم يعرف هذا اللفظ لكن ورد الحديث بينكم امانة رواه ابن ابي الدنيا من
حديث ابن شهاب مرسلا والخطيب عن علي المجالس بالامانة ولابي
داود عن جابر المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفك دم او فرج حرام
واقتطاع مال بغير حق وورد من حديث جابر اذا حدث الرجل الحديث
ثم التفت فهي امانة ابو داود والترمذي وحسنه ومنها الوعد على عزم
الخلف فهو من ثلاث اي خصال هي علامات النفاق فعن ابي هريرة
مرفوعا ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى وزعم انه مسلم
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان متفق عليه والواجب

شرعا

شرعا او مروءة الوفاء في كل وعد فحتم اي صاحب الوعد منه الجزم وان
استثنى اي وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك او للتبري من الحول
والقوة كما يشير اليه قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله اي الا مقرونا بذكر مشيئته وارادته فورد اي في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود وورد في السنة العدة
اي الوعد دين اي فرض كقرض او عطية شك او لاختلاف رواية وهو
الاظهر وقد اقتصر في الاحياء على الثاني وقال يخرجه ابو نعيم في الحلية
عن ابن مسعود ورواه غيره ايضا واما اللفظ الاول فرواه الطبراني في الاوسط
عن علي وعن ابن مسعود وفي رواية ابن عساكر عن علي العدة دين وويل
لمن وعد ثم اخلف كرره ثلاثا ولابن ابي الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسلا
الواي مثل الدين او افضل وقال الواي يعني الوعد ورواه الديلمي ايضا
عن علي وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل بقوله انه كان صادق الوعد يقال
انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما ينتظره
وعن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان اتيه
بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو
في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك
رواه ابو داود وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف
عليه رجل فقال ان لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت قال
احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة
موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما حين حكمها
موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم

في مستدركه من حديث ابي موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد
ولجزم بالجيم والزاي اوجب ولا يبعد ان يكون بالحا المهملة اي احوط
والزم ويعذر اي يعد معذورا ان ترك اي الوفا بعذر اي شرعي او عرفي
فكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شا الله اي تعليقا لئلا يكون
الوعد تحقيقا وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي
قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجي قلت وهذا
من قبيل الايجاب وما سبق من باب الاستحباب فورد فيه اي في المعذور
نفي الاثم اذا كان في نيته الوفا اي من اصل في الوعد المذكور فلابي داود و
الترمذي من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم
يف فلا اثم عليه لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى الاحتراز اي احترازا
من التهمة في خلف الوعد واما ما في الاحيا انه عليه السلام كان اذا وعد
وعدا قال عسى فقال بعضهم لم اجد له اصلا ومنها الكذب بفتح فكسر وبكسر
فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وهو حرام بالكتاب
والسنة قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وفي
الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب وفيهما عن ابن
مسعود لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
ولابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المومن قال قد يكون من ذلك قال هل
يكذب قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما
يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله وفي حصره مبالغة في نفيه
عن المومن او مقيد بالكامل ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من

حديث

حديث ابي امامة وابن عدي من حديث سعد بن ابي وقاص على كل خصلة
يطبع او يطوى عليها المومن الا الخيانة والكذب وقيل لخالد بن صبيح
من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم الا استثنا من قوله
وهو حرام اي ولا يحرم بل يجب اذا وقع في تركه اي يحصل في ترك الكذب
نحش منه اي منكر اعظم من الكذب كما في ستر الاسرار اي بان يسال عن سر
اخيه فله ان ينكره ويكذب فيه وكذا في ستر اسرار نفسه من كشف
عوراته فعنه عليه السلام اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله
عنها فمن عمل شيا فليستتر بستر الله ورواه الحاكم واسناده حسن
وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى وللرجل
ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا
والانكار عن العلم اي وكما في عدم الاقرار فكان من اختفى عن ظالم قصد قتله
او ضربه او اخذ ماله او كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران
ان الكذب في بعض المواطن خير اي من الصدق ارايت لو ان رجلا يسعى
واخر وراه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما
كنت قايلا له الست تقول له لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب
وفيه اي او في تركه احسن من الصدق كما في اصلاح ذات البين فورد
الاستثنا اي استثنا لحرمة الكذب في الحرب والاصلاح اي اصلاح
ذات البين والحديث مع المراة ففي صحيح مسلم عن ام كلثوم قالت
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي من الكذب
الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في
الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها ولعل المراد بتحدث

الزوجين ما يقع بينهما من الوعد في احد الامرين بنية عدم الوفا في الجزين لما رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ولان اسرار الحرب لو وقف عليه العدو اجترا واسرار الزوج لو وقفت المراة نشا منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا المتخاصمان تدور بينهما العصبية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذي لم يترتب عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر جا عليه السلام الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعالى اعطيك فقال عليه السلام ما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة رواه ابو داود لا اي لا يجوز الكذب عند استوا الطرفين فاصله قبيح اي في الامرين فلا بد من ترجيح والاولى الترك اي ترك الكذب في حاجته اي امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه ارجى لا لحاجة الغير وهو تصريح بما علم ضمنا ان امكن اي تركه لغموض الامر اي لخفا جواز امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات والحالات ولو تعريضا غاية من قوله والاولى الترك لانه اي التعريض بعض تقديرات لوقع على ظن كاذب وقد ورد من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوز الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات والا اي وان لم يمكن ترك الكذب فالمعاريض متعينة وهي بفتح الميم ان يتكلم الرجل

صح

بكلمة

بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شيء آخر كذا في البستان وتحقيقه في قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما اقبح البخل تعريضا بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمايل السيف والمعنى انه طويل ومضياف وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا وفي الاحيا وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب ونقل تخرجه ايضا عن ابراد حديثه مثل الله اعلم ما قلته لاحتمال كون ما نافية او موصولة او استفهامية ومن فارقتك ما رفعت الجنب عن الفراش الا ما رفعه الله تعالى فانه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري في الانكار عن القول بالنسبة الى الاول والصحة بالاضافة الى الثاني فهما لف ونشر مرتب في بديع المباني ومنبع المعاني وفي الاحيا ومن امثلة المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنهما فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به العمال من عراضة اهليهم ولم يكن جابه فقال كان معي ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك

دعا معاذ اتقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا
ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به
ربه تعالى اي محاسبا ضابطا وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري
لك سكرا ولوزا ولكن يقول ارايت لو شريت لك فانه ربما لا يتفق له
ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه فقال للجارية قولي له
اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي
اذا طلب في البيت وهو يكرهه خط دائرة ويقول للجارية ضعي اصبعك
فيها وقولي ليس ههنا ومن المعاريض ما اخرجه الحسن بن سفيان
والديلمي عن ابي هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة
ابي بكر وقال يا ابا بكر ول الناس عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب فجعل
الناس يسالونه من انت قال باغ يبتغي قالوا ومن وراك قال هاد
يهديني ثم التصريح اي بالكذب عند عدم امكان التلويح والمعتبر
النية اي تحسين الطوية في التصحيح والاستثنا من القلب اي السليم
من الغرض السقيم ومنه اي من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق
بسببه التسامح في العدد اي بذكره مبالغة اي من جنس الكذب زايدة
مثل قلته مائة مرة وقد يراد في المبالغة ويقال الف مرة فياثم بالمسرة
ونحوها اي العشرة لا بالمجاوز عن الحد اي حد الكثرة المعهودة في المحاورة
ولكن لا يعتاده اي لا ينبغي اعتياد المبالغة ففيه خطر الوقوع في الاثم
اي اثم الكذب اذا لم يصل في العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة
من هذا القسم من الكذب في المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علما البيان
قد حققوا ذلك بالبرهان وقال الاستعارة تفارق الكذب من وجهين

احدها

احدهما البنا على التاويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلا
الظاهر نحو رايت اسدا في الحمام والله اعلم بحقايق المرام ولكن عليك با
لاحتياط في مثل هذا الكلام نحو حوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن
خثيم عايدة الى بني فانكبت وقال كيف انت يا بني فقال ربيع هـ
ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت
وفي شهوة الطعام اي من الكذب التسامح في نفي شهوة الطعام و
ذلك كان يقال لانسان كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك
منهي عنه ان لم يكن له غرض صحيح فيه فورد اي عن مجاهد عن اسما
بنت عميس كنت صاحبة عايشة التي هيأتها وادخلتها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده
قرى اي ضيافة الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عايشة قالت
فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك
فقلن لا نشتهيه فقال عليه السلام لا يجتمعن جوعا وكذبا كذا في الاصل
من باب الافتعال والرواية الصحيحة لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت
يا رسول الله ان قالت احدانا الشي نشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا
فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة
والحديث اخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية
شهر بن حوشب عن اسما بنت يزيد وهو الصواب فان اسما بنت
عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهاني لابي
الشيخ من رواية عطا بن ابي رباح عن اسما بنت عميس زففنا الى النبي

ف

صلى الله عليه وسلم لبعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عايشة ممن تزوجها
بعد خديجة فلا مانع من ذلك والافحش من انواع الكذب ووقوعه في
اليمين فهو من الكبائر فورد ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته
بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابي ذر وفي
الصحيحين من حديث ابن مسعود من حلف على يمين ماثم ليقتطع بها
مال امرء مسلم وقال عليه السلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور متفق عليه
من حديث ابي بكرة وهو اعم من شهادة الزور وفي اي وكذا الافحش
وقوعه في مثل الله يعلم انه كذا قال النووي في الاذكار وهذه العبارة
فيها خطر وان كان صاحبها متيقنا فعن عيسى عليه السلام انه من
اعظم الذنوب فانه نسبة الجهل الى علام الغيوب لان علمه تعالى تعلق
بعدم وقوعه وفي الاخبار اي وكذا افحش الكذب صدوره في الاخبار
وهو بفتح الهمزة او بكسرها اي الاعلام لاسيما الكذب على النبي عليه
السلام والرؤيا اي في الاحلام فهما عدي من اعظم الفرى اي الافترا ففي
البخاري ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه ما لم
تريا ويقول علي ما لم اقل وفي الاحيا وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار
في فضايل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح
وهو خطا محض اذ قال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار يعني وهو متفق عليه من طرق قاربت ان يكون متواترا فهذا
لا يترك الا لضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد

من

من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك تكرر على الاسماع
وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس من الاغراض
التي تقاوم محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدي فتح بابه الى امور
تشوش الشريعة ولا يقاوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكباير اقول وقد صرح الجويني والد امام
الحرمين بانه كفر هذا وعن اسما بنت ابي بكر سمعت امراة تسال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتقول ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل
اضارها بذلك فهل علي فيه شي فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي
زور متفق عليه ولابن عبد البر في الاستيعاب عنه عليه السلام لا يستكمل
المومن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه
ومنها الغيبة بكسر الغين وورد فيها اي في حدها وتعريفها ذكر اخاك بما
يكره اي على سبيل التنقيص فحال الغيبة فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك
بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول
فقد بهته رواه مسلم ويجوز الاجمال اي الابهام في الغيبة فورد ما بال اقوام
يفعلون كذا رواه ابو داود وعن عايشة بسند صحيح انه عليه السلام كان
اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا الى ان يفهم
المعين اي من المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم من السفر وبعض
من يدعي العلم وبعض من رايناه اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص
فهو غيبة لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم وكذا مثل الطايفة

الذين مضوا على اليوم من جملة الابهام فان الطائفة يعني القوم وانواعه ستة التصريح وهو ظاهر ومنه ان عايشة ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال انها قصيرة فقال اغتبتيها رواه احمد واصله عند ابي داود والترمذي وصححه والتعريض اي التلويح مثل فلان تاب الله عليه فقيه تنبيه على انه يرتكب ما تجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه الحمد لله الذي عصمني من مخالطة السلطان وهذا من غيبة القرا المرائين واتباع الشيطان وهو اخبث انواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الريا والغيبة والاشارة فورد تسميته غيبة ومن ذلك قول عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ابن ابي الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات والغمز اي بالعين للتشبيه او اخذ البدن للتنبيه والمحاكاة فورد حين حكت عايشة انسانا فقال ما يسرني وفي رواية ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل في القبيح قال النووي ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشي متعارجا او متطاطيا راسه او غير ذلك من الهيات بل هو اشد انواع الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم على ما في الاحيا وكلما ينبي عنها كذكر المصنفين في تصنيفه شخصا معينا وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا فهو حرام فورد اي في سورة الحجرات ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم بعضا في

ظهر

ظهر العيب بما يسوءه مما فيه ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية اي فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اي بلسان المقال او ببيان الحال قيل فكرهتموه والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غايبا قال الزجاج وتاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عايشة لا يغتابن منكم احد احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عنده عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم رواه ابن ابي الدنيا وابن مردويه في التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب اي قتل مكانه فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا لا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه ابو داود والنساي من حديث ابي هريرة باسناد جيد وعن ابي هريرة موقوفا ومرفوعا من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقال كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه في التفسير وروي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو العباس الثغولي او الدغولي في الاداب من رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى نحوه كذا في تخريج الاحياء وقال الامام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي سنة خمس وعشرين وثلثماية وله مسند مشهور ففي هذا الحديث وحديث المرجوم جمعهما وكان القايل احدهما تنبيه على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان

ينكر بلسانه

فان خاف فتقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فى ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولا يكفى ان يشير باليد اي اسكت ويشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من اذل عنده مومن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامة على روس الخلايق احمد والطبراني عن سهل بن حنيف ولابن ابي الدنيا عن ابي الدرداء من رد عن عرض اخيه بالمغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة ولاحمد والطبراني عن اسما بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالمغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة ولاحمد والطبراني عن اسما بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار الغيبة اشد من ثلاثين زنية فى الاسلام وانما قيده بحال الاسلام لانه اقبح مما قبله فى الاحكام وقيل لان الزنا في دار الحرب وفي عسكر اهل البغي لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه في خطر انتقاله الى اهلهما والا فلا يسقط عنه بالكلية ولانه اخف من زنا في دار الاسلام والله سبحانه اعلم بحقايق المقام والحديث رواه ابن ابي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردوية في التفسير بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث بلفظ الماتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يوخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل المسلم فى الغيبة من الربا اعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل

المسلم

المسلم فالغيبة تناول العرض والحديث رواه احمد وابن ابي الدنيا وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال الحسن والله للغيبة اسرع فسادا في دين المومن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركت السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولعله مقتبس من قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس الديلمي عن انس وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذا في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله فالغيبة ان يقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك ولعل الاخير ماخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع والسبب اي الباعث على الغيبة سبعة مشهورة التشفي من الغيظ اي الغضب الكامن في القلب فيسبق اللسان بالطبع اي الطعن الذي ان لم يكن له مانع من الدين القوي والورع الجلي فللبزار وابن ابي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه كما في رواية دعاه الله يوم القيامة على روس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء وموافقة الاقران اي اخوان الزمان خوفا عن التثقيل اي عن عده ثقيلا في ذلك المكان اذا

المصيرة انكر الغيبة اوقطع مجلس الصحبة ويري ذلك من حسن المعاشرة
وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضا
المخلوقين والتحامي اي المحافظة عن رد قوله لسبق الغير في تقبيحه اي
تقبيح قوله وبيانه ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول
لسانه ويقبح مقاله ويفضح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة
فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته وشهادته
وكما اذا ذكر زيد مسالة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد ان يغتاب
عمرو بان يقول هو جاهل او احمق ونحوهما والتجاري ما سبق من كلامه
عن بطلان مرامه والتبري عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الي
الغير اي بنسبته الي غيره ليتخلص عن عيبه وصرمه وحاصله ان ينسب
الي شيء فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري
نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه فيكون بهذا جامعا بين
الذنوب لديه وقد قال تعالي ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتانا واثما مبينا والمباهاة اي التصنع والمفاخرة بان يرفع
نفسه بتنقيص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك و
كلامه ضعيف وعقله خفيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه
ويري انه اعلم منه والحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه
ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه
الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس
حتي يكفوا عن اكرامه والثنا علي حاله ومقاله لانه يثقل عليه ان يسمع علو
مرامه والاستهزا اي استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضرة يجري

ايضا

ايضا في الغيبة ونحوها اي من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت
باسباب المقت والعلاج اي الذي به يمنع اللسان من الغيبة ذكر ما ورد
فيهما اي في ذم الغيبة من الكتاب والسنة ودفع التسبب اي من نحو الحسد
والحقد والتكبر والغضب بما في موضعه اي بما يذكر من كتب الاخلاق
في محله فان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب
لهما وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها ويعالج بضدها
هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس
لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق
وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من اكبر الفساد
الا من حفظه الله من العباد والمرخص اي في ذكر مساوي الغير بجهة
امور التظلم فورد في سورة النساء لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم الاية فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا
عاصيا واما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الي السلطان وينسبه
الي الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عليه السلام ان
لصاحب الحق مقالا ومطل الغني ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث
ابي هريرة ولابي داود والنسائي وابن ماجة من حديث الشريد
باسناد صحيح لي الواجد يحل عرضه وعقوبته والاستعانة اي بالحاكم ونحوه
علي تغيير المنكر اي ازالته واصلاح العاصي بتركه وتوبته فهو مأثور
اي مروي عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان ابا جندل قد باشر
الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب

وقع شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الله عليه
ورجع بالرحمة اليه والاستفتا كما تقول للمفتي ظلمني فلان ابي او اخي
او زوجي وكيف طريق الخلاص فلم تمنع هند امراة ابي سفيان بن
حرب اي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها ذاكرة بخل
ابي سفيان لاخذ مالها اي لاجل اخذها من ماله بغير علم ففي الصحيحين
من حديث عايشة ان هندا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان
رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي فقال عليه السلام خذي ما
يكفيك وولدك بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل
الحكومة والدعوى والتعريض اولى بان يقول كيف من تاخذ مال زوجها
بغير اذنه لاجل بخله والتحذير عند خوف سراية الفسق فاذا رايت متفقها
يتردد الى فاسق او مبتدع وخفت ان يسري اليه فسقه او تتعدى اليه
بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه او الضرورة اي او عند خوف
الضرر الكبير المفضي الى الغير فورد اي من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن
جده اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس رواه الطبراني وغيره بلفظ اترعوون
عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس وهذا دليل النصيحة واما دليل
الضرورة فقوله عليه السلام لامراة استشارت النبي في تزوج معاوية او ابي
جهم او اسامة اما معاوية فرجل صعلوك اي فقير جدا لا مال له تاكيد لحاله
واما ابو جهم فلا يرفع العصا عن اهله وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه
وفي رواية عن عنقه وهو يحتمل المعنى المذكور او الكناية عن كثرة سفره
وقلة اقامته في حضره انكحي اسامة بن زيد اي فانه خير منهما في حسن عشرته
وطيب نفقته واشتهار المذكور باسم العيب اي من الاعذار المرخصة

كالاعمش

كالاعمش والاعرج وكذا الاعمى والاعور والاصم والابكم والابرص والاحمر
والاصفر والعدول اي الميل عن وصف اخر او عبارة اخرى اولى او احرى ولذا
يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص في المبنى وان كان المآل واحدا
في المعنى وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر
الله اني اراني قد اغتبته وذكر لابن سيرين رجلا ابراهيم فقال النخعي
ولم يقل الاعور واظهار الفسق اي اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص
كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر والزنا والربا ومصادرة الناس
باخذ اموالهم فورد من حديث انس من القى جلباب الحيا اي غطاه فلا
غيبة له رواه ابن عدي وابو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به
اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان
الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا
لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه
الحجاج وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي
وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امراة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار
ر ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وذكر امراة اخرى بانها
بخيلة قال فما خيرها اذا رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث
ابي جعفر محمد بن علي مرسلا قال في الاحيا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون
ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا
يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وفيه بحث
لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة

واما قوله والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب
ففيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام ونحو اي
ونحو المذكور من الغرض الصحيح بان يقول لمن يريد ان يودع عند احد
انه خائن والاصل اي في الغرض الصحيح الاستغنا من التقلب اي عن
التصريح والتلويح بذكر العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب
ويندم ويتاسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله
فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار
دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روي انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن
ابي الدنيا والحارث بن اسامة في مسنده من حديث انس بسند ضعيف
وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير ويؤيده قوله
تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج
الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بحال فاما اذا وصله
الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند
بعض الابرار واما قول عطاء ابن ابي رباح حين سئل عن التوبة عن الغيبة
تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت
فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافترا بل
ينبغي ان يعترف بالخطا في حضور الملا بالخلا وبالمافعول لصاحب الاحيا
وهو الاصح مبناه على انه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بل الفرية
واما اطلاق قول القايل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه
بخلاف المال فكلام ضعيف اذ في الحديث الصحيح المتفق عليه عن ابي

هريرة

هريرة من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحللها من قبل
ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم فيوخذ من حسناته فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فان كان صاحب
الغيبة غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار والدعا ويكثر من الحسنات
تكثير اللسان فان الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لا يحلل الظالم
قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها
عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله ابدا
والظاهر ان المراد باستحلاله جعله في حل بمعنى عفوه عنه لينقلب حرامه
بمنزلة الحلال المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي
على الناس رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيلي في
الضعفاء من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت
مرسلا عند ذكر ابي ضمضم في الصحابة قال العراقي وانما هو رجل ممن
كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي والمعنى اني لا اطلب مظلمة في القيمة
منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به بل ولا تسقط المظلمة
بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا
يخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح
بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة
ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه
اكمل قال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدي الله يوم القيامة
نودوا ليقم من كان اجره على الله وجا في قوله تعالى خذ العفو وامر

بالعرف الاية

انه عليه السلام قال يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عن
من ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا
قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك
قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني
لا اقدر على ان اكافيك على التمام وقال بعضهم لو كنت اغتاب احدا
لاغتبت امي فانها اولى بان تاخذ حسناتي او اخذ من سيئاتها يوم
القيمة ومنها النميمة وهي تبليغ كلام اي مذموم يقال في حق الغير اليه
متعلق بتبليغ اي الى الغير وهو المقول فيه كان يقول فلان كان يتكلم
فيك بكذا وكذا وهو حرام سواء كان التبليغ قولا او فعلا او كناية
او رمزا او اشارة فورد في سورة ن همّاز اي عيّاب ومعناه مشّاء
بنميم الاية وهي مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم والمقصود
منه من جمع بين انواع من وصف الذميم وفي رواية احمد من حديث ابي
مالك الاشعري الا اخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة اخوه المفرقون
بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وفي الصحيحين من حديث حذيفة
لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك
ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي با
لنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى زنيم فانه هو الدعي وللحاكم
من حديث ابي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشده او فيه شيء منها
وللطبراني بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق منه وقال
تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة الحديث قال فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح

كانت

كانت تخبر بانه مجنون والسبب اي الباعث على ذلك ثلاثة ارادة الشر
في القائل اي قصدا لسوء بالمحكي عنه فعن ابي ذر من اشار على مسلم كلمة
ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن ابي الدنيا
والطبراني وعن ابي الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري
ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيمة في النار
ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفا حشة
في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة او اظهار محبة السامع
وهو المحكي له وقد قال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجتري
بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك او التفرج
بالحديث اي التنزه بحكاية اهل الدنيا فعلى السامع التكذيب اي تكذيب
قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول
السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس
من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه لان النمام فاسق لا يقبل قوله
لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك
وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان يبغضه
في الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى ولا تجسسوا وان لا
يرضى لنفسه بما نهى عن النمام في حقه فلا يحكي نميمة بقوله فلان قد حكى
كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بما عنه نهى فقد روي
كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما

فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر
على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى
انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من نم
اليك نم عليك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده
عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت
من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت
من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو
يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ومثله روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا
اتاه يسعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما قلته فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال
اقلني يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق في كل طبقة
من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت
يجمعنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا
وقد قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض والنمام
منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث عايشة
والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث
جبير بن مطعم قيل اي قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم
وقيل قاطع الطريق والله ولي التوفيق ومنها التكلم اي تكلم ذي
اللسانين مع كل من المتعادين بما يوافقه اي تكلم كل واحد بكلام يوافقه
فهو نفاق اي نوع من النفاق وصنف من المشتاق فورد عن عمار بن ياسر

مرفوعا

مرفوعا من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان في الاخرة رواه البخاري في
كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان في
الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وهو كذلك في الاحيا وفي الصحيحين
من حديث ابي هريرة تجد من شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين الذي
ياتي هولاء بحديث وهولاء بحديث وفي لفظ آخر ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه
وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال
كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني
من طرق واصله في صحيح البخاري وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه
اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استاذن رجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له بئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان
القول واقبل عليه فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له
القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره متفق عليه
ومنها المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع فهو يضر المادح اذا كان
الممدوح ظالما او فاجرا لخطر اسرار الفاسق اي فرحه بمدحه فلابن ابي
الدنيا والبيهقي من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق والريا
فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا ولا معتقدا لجميع ما يقوله
فيصير به مرائيا منافقا والكذب اي حقيقة او حكما حيث بالظن
وقد لا يكون مطابقا فورد ان كان لا بد احدكم ان يكون مادحا اي لاحد
فليقل احسب فلانا اي كذا وكذا انه صالح او متق ونحوهما والممدوح اي
ويضر الممدوح بحدوث الكبر والعجب اي والغرور في قلبه بحسب مدحه
فورد فيه اي في ضرر المدح برواية الصحيحين من حديث ابي بكرة ان رجلا

موجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك
زاد ابن ابي الدنيا لو سمع اي لو بلغه وقبله ما افلح الحروث المملك وقال
عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح لو سمع اي لو بلغه وقبله ما افلح الحروث
المملك وقال ~~عمر رضي الله عنه المدح~~ الزوج عنه اي عن الضرر فقد وب
اليه فورد انا سيد ولد ادم اي يوم القيامة كما في صحيح مسلم ابي هريرة
وزاد الترمذي وابن ماجة من حديث ابي سعيد الخدري والحاكم
من حديث جابر وقال صحيح الاسناد ولا فخر وله من حديث عبادة
بن الصامت انا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر اي اقوله ابتمارا
اي امتثالا لامره سبحانه واما بنعمة فحدث لا افتخارا اي تفاخرا
كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله
ويقربه في مقام انسه لا بكونه مقدما على ابنا جنسه لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالم وفي نسخة العالمين لرجح اي ايمان ابي بكر وغلب
على ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لو
وزن ايمان ابي بكر بايمان الناس لرجح ايمان ابي بكر ورواه اسحق
بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا و
للترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدي نبي لكان
عمر بن الخطاب ولابن عدي عنه لو لم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم
وللديلمي عن ابي هريرة لو لم ابعث لبعثت يا عمر قال سفيان بن
عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال
اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال كرم الله وجهه

لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون
واجعلني خيرا مما يظنون ومنها التكلم بالمنهي عنه اي من الاقوال
الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة
عن دقائق الخطا في الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته
كالحلف بالاباء ففي الصحيحين من حديث عمر ان الله ينهاكم ان تحلفوا
باباءكم ولابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك احمد والترمذي والحاكم
في مستدركه وفي رواية احمد والبيهقي عن قتيلة بنت صيفي من حلف
فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا
بالمصحف ولا بالنبي ولا بالامانة ونحوها وتسمية العنب بالكرم بفتح
فسكون فروي الكرم قلب المؤمن وفي الصحيحين من حديث
وائل بن حجر لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ولمسلم من
حديثه لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابي داود من
حديث ابي هريرة لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن
قولوا حدائق الاعناب وقوله ما شاء الله وشئت لان في العطف المطلق
بالواو تشريكا وتسوية في الكلام وهو خلاف ما يوجب الاحترام فعن
حذيفة لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت
وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامور
فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله
وحده وفي صحيح مسلم من حديث عدي بن حاتم خطب رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفي الاحيا ومن

بعضهما فقد غوى فقال عليه السلام لانه تسوية وجمع انتهى وفيه
بحث لا يخفى ولعل الاوجه ان يقال العدول عن الاسمين الشريفين
غير لايق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ولله در القايل

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ٭ هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا اورد في كبير القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله
وعبدي وامتي وربي وربتي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله وكل نسائكم
اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول
المملوك ربي ولا ربتي ولكن ليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب
الله سبحانه رواه الشيخان فالصواب اي في مقام الخطاب ثم شئت
بدل قوله وشئت فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بك وبك
ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول
لولا الله وفلان وغلامي وجاريتي بدل عبدي وامتي وسيدي وسيدتي
بدل ربي وربتي ونحوها اي من الكلمات المنهية والنسائي وابن ماجة
من حديث بريدة باسناد صحيح من قال انا بريء من الاسلام فان كان
صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا
وامثالها مما يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره في هذا المقام وقال
وقال ابراهيم اذا قال الرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة احمارا
رايتني خلقتك اخنزيرا رايتني خلقتك ومن ابن عباس ان احدكم
يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث
البراء من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة ولابي

بيان
فهو كما قال

داود

داود من حديث بريدة بسند صحيح لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن
سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما روي لا يقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت
والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله افرايتم ما تحرثون
اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون وكان يقول عليه فيه وفي نظايره بل انت
وفي الحديث لا يقل احدكم خبثت نفسي وليقل لقست وفي الحديث
لا يقل احدكم نسيت بل ليقل نسيت ومنها سوال العامة عما يتعذر
ادراكه اي حتى للخاصة كسر الروح وقد قال تعالى قل الروح من امر ربي
وما اوتيتم من العلم الا قليلا والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تدخل
في اشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وانها خلقت قبل الاجساد
بخمسماية عام فهي قديمة خلافا للحكما ومن تبعهم من الجهلا وحقايق
الصفات كحقيقة كلامه سبحانه وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وساير
كمالاته وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء فكل ما خطر
ببالك فالله وراء ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لا احصي ثنا عليك
انت كما اثنيت على نفسك اي من قوله قل هو الله احد وساير ايات
الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات او بعض عما يضره
ولو لم يتعذر كسر القدر فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر
عميق كم فيه غريق ولا تخلص منه الا بان يقال فيه يفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد ولا يسال عما يفعل وهم يسالون قل فلله الحجة البالغة
ولو شاء لهداكم اجمعين خلقت هولاء للجنة ولا ابالي وخلقت هولاء
للنار ولا ابالي وانما شان العوام الاشتغال بالعمل بما في القرآن والتسليم

ذروني

بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان ولذا قال عليه السلام ذر
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم
فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم متفق
عليه من حديث ابي هريرة وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فما
تسالوا عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال
ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال
ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا او
في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت يرحمك الله انك ما علمت
لموفق متفق عليه وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل
والقال واضاعة المال وكثرة السوال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه عليه
السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق
فمن خلق الله فقولوا الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل
احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل
ان السوال ينبغي ان يكون من اهل الكمال فيما يكون من الضروريات في
الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله اعلم بحقايق الحالات
وكالقول بالظن لا سيما في العقايد المتعلقة بالرب قال تعالى ان الظن
لا يغني من الحق شيئا وهو اي القول بالظن ونفس الظن ما تغير به القلب
اي بسماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وانما جوز في الفروع دون

الاصول

الاصول للضرورة في قلة المنقول فورد واجتنبوا كثيرا من الظن الاية
اي ان بعض الظن اثم ولما كان هذا الظن يشمل ما اذا بني عليه جزم من موت
احد او قدومه او سفره او امره غيره استثنى بقوله الا اذا الجزم عدلا اي
بالموت او القدوم او السفر ونحوه وعلم عدم العداوة اي بالنسبة الى
الميت واهله وحاصل اي وعلم عدم باعث اخر كالعصبية في نسبة
والدعوة الى ملته ومذهبه فيعذر اي اذا الجزم عن ظن وقوعه اذ تكذيبه
سوء الظن اي به وبكلامه والتجسس عطف على القول بالظن اي وكالتفحص
عن حقيقة الامر فهو هاتك الستر اي كاشفه وفاضحه في الخبر فورد في
سورة الحجرات ولا تجسسوا والاستماع اي وكاستماع القول بالظن فورد
في سورة القصص واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تمامه وقالوا لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين المستمع شريك القائل لم
اره اصلا وفي الاحيا المغتاب والمستمع شريكان في الاثم ولم يخرجه العراقي
وفي الطبراني مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة وبه اي في
استماعه هيجان الوساوس اي ثوراتها وبنا وهاء النفس على طريق
المواجس ولا قصاص في نحو الغيبة فلا يخلص لمن يقول انا اغتاب
الناس وهم يغتابوني فتكون المقاصة في الدنيا دون العقبى والسب
والتجسس من الاقوال الردية والافعال الدنية لانحصاره اي القصاص
على مورد الشرع اي في النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص
بالضرب والقطع والقتل واخذ الامثال والابدال وورد ان امرؤ عيرك
بما فيك اي من الخصايل الذميمة فلا تعيره بما فيه اي فانه لا يجوز فيه
المقاصصة ولا يبعد ان يكون هذا محمول على التحريض على ما هو الاولى

من المعقود وقيل يتقابل اي نحو الغيبة وما عطف عليه بما الاكذب فيه لظاهر
قوله تعالى وجزاات لها والاولى الترك لقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله
ولقوله سبحانه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والتحقيق في سماع الابرار
ان لا حرمة في الاشعار اي في نفسها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر
كالنثر كلام صريح حسن وقبيحه قبيح للالتذاذ اي لا يحرم لاجل التلذذ
بهما والا لحرم كل لذة يلتذ منها كالماء الجاري والخضرة ونحوها ولم يقل
احد بحرمتها والا للوزن اي ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين
الكلمتين او الجملتين او المصراعين والا لحرم سماع صوت العندليب
اي المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار دستان فان انغامها بلغت
الالحان في الاشجار والبستان والقمري وكذا الفاختة والحمامة واغرب
من الكل الطوطي المسمى بالدرة التي تتفصح حتى تقرأ الاية والسورة
وتتكلم بما وقع في البيان من امور الضرورة طبق ما وقع في المعنى
والصورة فهو اي صوتهما ونحوهما موزون اي متلائم يتبنى اوائله
واواخره لتناسب مطالعه ومقاطعه اي مباديه وما يشعر بتناهيه
ولا للنغم اي ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت في ذلك المقام والا لحرم
كل مفهوم من المرام ولم يقل به احد من الاعلام هذا اي مضى او خذ
هذا او الامر هذا والشعر كلام اي كسائر الكلام من حيث هو مباح في
اصل الاحكام والانشاد بها ماثور وعن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
مروي ومنثور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر رواه البخاري
في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا

في الاحاديث انه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت وفي
الصحيحين من حديث انس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه
وسلم معهم يقولون اللهم انه لا خير الا خير الاخرة فانصر الانصار
والمهاجرة قال العراقي وليس البيت الثاني موزونا يعني باعتبار
المصرع الاول فتامل وفي رواية اللهم ان العيش عيش الاخرة فارحم الانصار
والمهاجرة وفي الصحيحين ايضا انه قاله في حفر الخندق بلفظ فبارك
في الانصار والمهاجره وفي رواية فاغفر وفي رواية لمسلم فاكرم ولهما من
حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخاري تعليقا
ولابي داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عايشة كان عليه السلام
يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد
حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث
عايشة انشاد حسان ، هجوت محمدا فاجبت عنه ، وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا ولست بكفو ، فشركما لخيركما الفداء ، القصيدة وانشاد حسان ايضا
وان سنام المجد من ال هاشم ، بنو بنت مخزوم ووالدك العبد وللبخاري انشاد
ابن رواحة ، وفينا رسول الله يتلو كتابه ، اذا انشق معروف من الفجر ساطع
الابيات وللترمذي في الشمائل انشاده ايضا بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين دخل مكة ، خلوا بني الكفار عن سبيله ، اليوم نضربكم على
تنزيله ، ضربا يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله ، وللبغوي
في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت

النبي صلى الله عليه وسلم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفي الصحيحين عن عايشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا فقال احسنت المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول كل امرء مصبح باهله والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته او صوته ويقول الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل وهما جبلان بمكة قالت عايشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها في الجحفة ومن انشاد عايشة ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وللترمذي من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وللبيهقي في دلايل النبوة ان النسا انشدن عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع واما ذكر الشطوح والدف والالحان كما ذكره في الاحيا فمما لا اصل له كما صرح به مخرجه وفي الجملة اشعار بفرح قدومه وسرور وقدومه عليه السلام الى ذلك المقام ومن هذا القبيل قوله عليه السلام اني لا ادري بفتح خيبر افرح ام بقدوم جعفر ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن الصلت كل ذلك يقول هيه هيه اي استزده ثم قال ان كاد في شعره ليسلم فنفس الانشاد والسماع جايزان بالاجماع ولابي داود الطيالسي عن انس

كان

كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنسا وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحدا او الجمال من عادة العرب في زمانه عليه السلام واصحابه الكرام وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة والتمني عن الشعر للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لان يمتلي بطن احدكم قيحا اي صديدا حتى يريه بفتح فكسر من ورى وريا كرميا اي يفسده خير له من ان يمتلي شعرا رواه احمد واصحاب الكتب الستة وتقييده عطفه على التجرد اي ولتضمن الشعر فحشا من الكلام وهجا اي ذما لاحد من اهل الاسلام وافترا اي في مقام المرام كنظم الكفار والمبتدعة في ذم المسلمين واهل السنة والجماعة ويجوز هجاوهم اي ابتدا وانتصارا ففعله حسان وامر به اي ابتدوا وانتصارا فعل حسان كما تقدم في الصحيحين من حديث البرا انه عليه السلام قال لحسان اهجهم او هاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا والتوسع اي والتجوز المبالغة في المدح ان وجد الوصف المذكور في الممدوح اي في الجملة لانه ليس بكذب اي حينئذ بل مبالغة وتسامح لا سيما في الشعر لفقد قصد اعتقاد صورته اي صورة الكذب وحقيقته وتوارث استماع المباحات اي ولتواتر استماعها في اشعار العرب وغيرهم بلا نكير اي بلا انكار على قائلها او منشدها بل عد الكذب من مستحسنات الشعر كما قيل اكذب الشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون

واعلم يقولون ما لا يفعلون وقد سبق التسامح في النثر ايضا اذا اريد به المبالغة مثل مائة مرة والف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك في اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فانه من لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند ارباب الوصول بل اريد به الكثرة هنا بدليل اية اخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ووصف نحو الخد وجاز نعت نحو الوجه والوجنة من البياض والحمرة والقد اي القامة باعتدالها ونحجا لها وكمالها والصدغ اي الشعر المتدلي علي الوجه المسمى بالزلف علي الاقرب اي جاز ما ذكر علي القول الاقرب الي الصواب والانسب في بيان الرخصة المحتاج اليها في هذا الباب وقيل لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل لا يأتي وهو قوله ان لم يجلا اي صاحب الخد والقد وكذا السامع علي معينة سوى امراته وامته وذلك كمن يعشق زوجته او سريته ويصغي الي غناء بهما لتتضاعف لذته في لقائهما وهذا اذا كان السامع او المغني في بيته واما اذا كان في مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امراته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل علي امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا او استعارا اي جاز ما تقدم ان استعار العارف بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية سواد الصدغ لظلمة الذنب ووحشة المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة وبياض الخد المنور الطاعة وسرور الحالة والوصال وفي معناه الوصل والاتصال للقائه تعالى في دار البقاء او مقام الفنا والفراق وكذا الهجر الانفصال للحجاب ونحوها من انواع

العذاب والنظر مبتدأ الي الاثر اي اثر التأثير في المتغني به من الشعر وغيره ففيه تفصيل علي الاقرب بناء علي القول الاقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر الي التأثير بل هو حرام مطلقا المنزو وبخبر اي فيستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله بقوله وان شوق اي المتغني به الي الحج او الغزو وان كان اي احدهما قربة اي واجبا بخلاف ما اذا لم يجب بان لم يوجد شرائط وجوب الحج او الابوان لا يأذنان فانه عذر في التأخير علي التراخي في الحج او غلب الهلاك في الطريق اي برا وبحرا ونحوه من فقدان سائر شروط الاداء وفي الاحيا ومن الغنا المباح غنا الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد و الطبل والشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام وتأثير ذلك تهييج الشوق الي بيت الله والاشتعال بنيرانه ان كان ثم تشوق حاصل او استثارة الشوق بكل ما يشوق اليه محمود او حزن اي اذا اوقع المتغني به حزنا وتأسفا علي التقصير في الدين كالمروي عن داود عليه السلام وقد ورد في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان يحسن الصوت في النياحة علي نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك في تلك الحالة وفي الحديث في مدح ابي موسى الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقد تقدم وذكر في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقد روي بالحاء المهملة وقد ورد لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الي قينته وفي قوله تعالى ان

الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت
الحسن وهذا امر مجمع عليه وفي الاحياء ان الطير كانت تقف على راس داود
عليه السلام وما اي وكما انشده الوعاظ على المنابر من نظم او نثر مسجع
من الترغيبات والترهيبات في الحج والغزو ونحوهما او اكد اي ان زاد
المتغني به حبه تعالى بذكره والتامل في امره والاشتغال بفكره فانه
مندوب في كل من التشويق والتحزين مباح اي مستو طرفاه لا ثواب
ولا عقاب ان اكد المتغني به السرور والفرح فيما يباح فيه كالعيد والعرس
والولادة اي اولها والختان وحفظ القران اي تمامه وكذا اجتماع الاخوان
في بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر
كما تقدم وتقرر فهو ماثور اي مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي
صلى الله عليه وسلم اما العيد ففي الصحيحين عن عائشة ان ابا بكر
رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان
والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر وفي رواية قال
مزامير الشيطان فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال
دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه
السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اما تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على
خده ويقول دونكم اي افعلوه يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك
قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه
فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرفت واما العرس فقد
تقدم حديث اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف وفي معناه الولادة

والختان

والختان وما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهؤلاء اصحاب الطريقة في الحقيقة
واما حفظ القران فهو اكبر سرور واعظم نور او شوق المتغني به الى الاخوان من
الاحباء الانبياء في الغربة او البلدان او المراة او الامة اي من غير تعيينهما للاجنبي
فانه حينئذ مباح حرام ان شوق المتغني به الى الزنا او توابعه او حزن المتغني
به على الموتى اي يحصل به الجزع والفزع والبلايا اي على البلايا المتقدمة
فورد في الحديث كيلا وفي التنزيل لكيلا تاسوا على ما فاتكم تمامه ولا تفرحوا
بما اتاكم بالمد والقصر وفي القران لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
وادنى رتبه اي مراتب التغني وسماعه الاستماع للشهوة وحرم سواء
غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب لانه لا يسمع وصف نحو الخد
والقد والوصل والهجر الا وحرك ذلك شهوته ونزله على صورة معينة وفق
كذبه ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ انسان
يزيله الجماع ويهيجه السماع وهو نفخ الشيطان المنافي لنفخ الرحمن فللديلمي
من حديث علي كان ابليس اول من ناح واول من تغنى ولابن ابي الدنيا و
الطبراني عن ابي امامة ما رفع احد عقيرته بغناء الا بعث الله اليه شيطانين
على منكبيه يضربان على اعقابهما بصدره حتى يسكت ثم للتلهي اي الاشتغال
بمجرد النغمة وهو المعني بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
الاية والمواظبة عليه اي من غير تخلل التوبة لديه ذنب اي عند اكثر
العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محل الكلام الايمة المجتهدين من الفقهاء فقد
حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن ابي حنيفة ومالك والش وسفيان
وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم راوا تحريمه قال وقال الش في
كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو

بل يوسعه ترد شهادته قال وحكى عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب
ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران قال واما مالك فقد نهى عن
الغنا وقال اذا اشترى جارية مغنية كان له ان يردها وهو مذهب ساير
اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده قال واما ابو حنيفة كان يكره ذلك و
يجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا ساير اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد و
ابراهيم النخعي والشعبي وغيرهم انتهى كلام الطبري ويؤيده ما ورد من الاحاديث
في ذم القينة وهي الجارية المغنية فللطبراني من حديث عايشة ان الله حرم ٤٦٥
القينة وبيعها وثمنها وتعليمها ويقويه ما رواه ابو داود عن نافع كنت
مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن
الطريق ولم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه
ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وعن ابن مسعود
مرفوعا وموقوفا الغنا ينبت النفاق في القلب كما ينبت الما البقل رواه
البيهقي ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا ما امتلات
دار منه حبرة الا امتلات عبرة والحبرة الغنا ومنه قوله تعالى فهم في روضة
يحبرون اي يغنون او يسرون ومر علي بن عمر على قوم محرمون وفيهم رجل
يغني فقال لا لا اسمع الله لكم وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه
عبرة اي ومحنة واما ما نقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة من الصحابة
والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول
على سماع ليس فيه شيء من الغنا كسماع القران واشعار العرب ولو بالالحان
واما على انه مذهبهم المختار عندهم فان المسيلة خلافية لا اجماعية وفعلهم
ليس بحجة عند غيرهم فكذا ما روي في رسالة مستقلة وقد رايت رسالة

اي بعض المشايخ الصوفية
وقد ذكرت هذه المسئلة صح

منسوبة

منسوبة للشيخ احمد الغزالي اخو حجة الاسلام محمد الغزالي متضمنة لتكفير
منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد واقيسة ضعيفة ما لها عند
الايمة رواج وكساد هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهي صغيرة
والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهي مباح والمواظب
على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام وتبع الحبشة
في رقصهم على الدوام ثم لترويح النفس اي لاراحتها وازاحة تعبها فقطها
لملالة والسامة من العبادة كما يجري ويسري في العادة لاهل الارادة
وهي للعابدين ثم لمقابلة حالها اي حال النفس ومقامها في المعاملة
معه تعالى من تحصيل مرامها وهذه حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها
ودوامها وتحقيق ذلك ان الانا يترشح بما فيه سوا يكون صاحبه يوافقه
او ينافيه فالسماع يشبه الحجر في اخراج ما في الباطن وبه يعرف ما في القلب من
خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد
حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر منه اثاره مع
نحو البكا والحزن والمحن واذا كان رجا يتبين انواره من الفرح والسرور
وكمال الحضور ومن هنا قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه
ولكن يحرك ما فيه ويشترط رعاية السنة اي الشريعة الغرا والطريقة
الزهرا بالحمل اي بحمل الاستماع على ما يليق به تعالى اي على وجه الكمال
نحو بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفي الزلف ونحوه يتفكر في نعوت
الجلال ثم للحب لله تعالى فقط اي مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه
وهو اي هذا المقام لمن فني عن حظوظ نفسه ~~اي مع قطع النظر عن لوازمه~~
~~وتفصيل مكارمه وهو اي هذا المقام لمن فني عن حظوظ نفسه~~ اي بالكلية

وغاب عما سواه اي عن حظوظ غير الله تعالى حتى عن شهوده معه ايضا المعبر عنه
بالفنا عن الفنا وذلك فانه مهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني
عن كل كالسكران لا خبر له عن سكره وهو نهاية مقام العارفين في حال البقا وقد
يعبر عن هذا بمقام اللقا ولكن هذا كالبرق الخاطف عن ظهوره في عالم السمافات
دام لا تطيقه القوة البشرية ومنه اي ومن خيفه تعالى تولد الوجد اي حصول
الذوق ووصول الشوق وهو اي الوجد ما صادف القلب اي وجدا لقلب من
شوق اي الى الله ورضاه وخوف من الاجدا اي يفيد الوجد نقا القلب
اي طهارته عن السوى من كمال الصفا وحصول العلم اي زيادته المقرونة بالحلم
والمكاشفة وهي العلم بالله وبصفاته الفاخرة وبالاحوال الاخرة وربما
لا تمكن العبارة عنه اي اذا كان متعلقا بالذات او بكنه الصفات كما عن
الفصاحة والملاحة فانهما من المعاني الدقيقة يعجز التعبير عنهما ولو
بالمباني الرشيقة ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا
قبل الاجتماع فان للكشف اسبابا وللفتح ابوابا منها التنبيه والسماع
تنبيه للنبيه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها في الاقوال والافعال وادراكها
نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها انبعاث
وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيتقوى به على مشاهدة ما كان
تقصر عنه دركه كما يقوي الجمل على الحمل بحيث يطلع عليه الجبل بسبب سماع الحدا
بانواع الغنا وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة اسرار الملكوت وانوار الجبروت
طبق جماله وفوق جلاله ومنها الصفا وهو سبب الكشف لارباب الوفا وهذا نوع
اسباب وفتح ابواب ورفع حجاب اي يمثل الحق لعبده في لفظ منظوم لقرع سمعه
يعبر عنه بصوت الهاتف او بالالهام او في صورة مشاهدة منزهة عن صور الانام

والسماع

من حجابه وسخطه وحزن اي تاسف على ما فات وقلق
اي اضطراب في حال اتية وجدي من صح

شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود
فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه
شاهد فقد غفل عن المشهود صح

والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا او كما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب
يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور
مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورتها او
على مثال الجمال صورتها ببعض المحاكاة والتواجد اي التكلف في الوجد واظهاره
من غير تحصيل القصد مذموم للريا لتعلقه برؤية الخلق لا لقصد الوصول
الى الحقيقة اي حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك لورود اللهم ارزقني
حبك يحتمل الاضافة والمفعول كما حقق في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وكذا قوله
وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك اي من القول والعمل وغير ذلك
والحديث فيذكر وما سبق اي لورود ما تقدم من التباكي اي ومدحه وهو
التكلف بالبكا في التلاوة اي في فضل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكا من
الانبيا والاوليا حالة القراءة ومن تشبه بقوم فهو منهم ومشاهدة افتقاد دوام
ذكر النبي اي ايصاله واتصاله والنظر اليه في اختلاف احواله والتفكر في فضائله
وما يترتب عليه من تحسين آماله الى عشقه متعلق بافضا اي بانجراره الى محبته
ومودته حتى يمتنع الخلاص عنه اي عن تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع في تصوره
وحقه اي حق السماع وواجبه ان لا يكون المستمع اي المغني ممن يحرم النظر اليه كالنسوان
والمراد ان لا للشيخ اي الكبير الفاني الامن على نفسه اي من الشهوة كما في قبلة
الصائم من التقبيل يعني الامن وغيره وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة
التي ليست بمحرمة له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة
او من وراء سترة وسواء كانت حرة او مملوكة انتهى ولعل وجهه ان صورة العورة لا
تحل الا للضرورة ولا يخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى فانه عند الشيطان
وللخلق اغوى حتى قال النووي ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول

الغزالي

ان صوت المراة في غير الغنا ليس بعورة فلم تزل النسا في زمن الصحابة يكلمن الرجال
في السلام والاستفتا في الاحكام والمشاورة في الكلام محمول على ان الضرورات تبيح
المحذورات ولا الالة اي ولا يكون الة الغنا مزمارا وكذا طبل الكوبة واوتارا وهذا
مجمع عليه لانه من شعار الاشرار واما قصب الراعي فمختلف فاباحه الرافعي و
حرمها النووي من اتباع الشافعي وصرح علماونا بان الدف مباح في محله اذا لم
يكن له جلاجل في طرفه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على
مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة
وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء
فان الغنا داعية للزنا فهو اي الغنا باعتبار اصله شعار اهل الشرب في مجلسه
فحرم تبعا اي لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضي الى فساد الامر ويجر الى مباشرة
الشر كخلوة الاجنبية لانها مقامات الجماع والنظر الى فخذها لاتصاله بالسوتين
ثم انهما حرامان لا لذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذ هما قد يكونان وسيلتين الى فعله
ولانه اي الغنا المذموم يذكره اي الشرب ويفكره كالمزفت بتشديد الفا المفتوحة
اي الظرف القير والحنتم اي الظرف الاخضر ونحوهما من الدبا والنقير فان الشرع
حرم استعمال هذه الاشيا ولذا امر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا لحرمة الخمر
تغليظا في امرها ثم احلها بعد بعد المدة وفيه انه ابيح هذه الاشيا بخلاف الالة
الغنا فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلما فالسماع حينئذ حرام كقليل الخمر
وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم
الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما ورد ان
لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه وفيه اي ويتفرع فيما اذا كان الالة مزمارا التشبه
باهل الشرب ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنسا كعكسه

وحتى قيل

وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار اهل البدعة ثم قال في الاحيا بل
للتشبيه باهل الفساد ينهى عن لبس القبا في بلاد صار فيها من لباس
الاجناد ولا ينهى عن ذلك فيما ورا النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد
والعباد قال فبهذا المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب
والبربط وغيرها واما ما عدا ذلك فليس في معناه كالشاهين الرعاة والحجيج
وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب سوى ما يعتاده اهل الشرب فانه اذا
ارتفع علة المشابهة بقي على اصل الاباحة كما اي كالتشبه في الاجتماع للسماع
ولحضار الالات ونصب الساقي اي المناول في ادارة السكنجبين ونحوه من اللبن
والما والقهوة الحادثة المصنوعة من البن وقشره فانه اذا اجتمع قوم في مجلس
والساقي على قاعدته يدور بكاس واحد على جماعته واحدا بعد واحد
وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه بخلاف نحو الدف بضم
الدال وفتحه والطبل اي طبل الحج والغزو واما طبل الكوبة فحرام لانه من شعار
الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم
يكونا من شعار اهل الشرب في زمنه عليه السلام او في ايام المص اوذكره تبعا
للغزالي لجوازهما في مذهبه واما اذا كانا من شعار اهل الفسق فينبغي ان يقال
بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة ولا التغني به قرانا اذ لا يجوز فيما ي
في القران هو المقصور وقصر الممدود اي في المجمع عليهما او هما لازمان في التغني
المذموم لتوافق الصوت اي بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية والا فالفقها
الكرام تبعا له عليه السلام كانوا يامرون في مجلس سماعهم ان يقرا واحد بصوت
حسن ما تيسر من القران عملا بقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
الله سبحانه عن حال الانبيا بقوله واذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا

اي غنيهم بعض لحن العجم
مما عرفوه من اللغة وقد اخذه

وعن حال الاوليا من الاصفيا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وفي الصحيحين ان ابن مسعود قرا على النبي
عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولاء شهيدا قال حسبك الآن ورايت عينيه تذرفان اي تسيلان
دمعا ولمسلم من حديث ابن عمر انه قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى ولابن عدي
في الكامل والبيهقي في الشعب انه قرى عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما فصعق اي بكى بصوت ولابي داود والنساي والترمذي
في الشمايل من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلي ولصدره ازيز كازيز
المرجل واما حديث اختصام علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة
فقال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال
لزيد انت اخونا ومولانا فحجل الحديث فرواه ابو داود من حديث علي وهو عند
البخاري دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور بما
وقع من المدح في الحضور وان كان الحجل في اصله نوع من الرقص وهو على رجل
واحدة فلا ينبغي ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص وما ابعد من
استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع ندرة من الصحابة
الكرام في مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا في مقام المرام وقد ورد ليس
منا من لم يتغن بالقران وزينوا اصواتكم بالقران وزينوا القران باصواتكم
ولا النهي اي وانما قلنا انه لا يجوز ان يكون المتغنى به قرانا اذ لا يجوز فيه
مد المقصور الى اخره ولا يجوز النهي عن اية اي عن قراءتها حيث لا توافق
السامع بالنسبة الى ما له من الحالات والمقامات كاحكام العلامات والحدود
في باب السياسات وهذا القصور فهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنها

من اللطايف

شعر

بخمسة شبه المختار من مضر ۝ يا حسن ما خولوا من شبهة الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم ۝ وسايب وابو سفيان والحسن

من اللطايف والاشارات واما العارف فيلاحظ هذه المعاني من جميع المباني كما
قال سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اوليك
الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب واما الموحد فينظر الى كلام ربه
كانه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره
كما قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب وقال تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله ومن المقرر ان القران افضل الذكر لاشتماله على ذكر
الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف حكوماته واجناس اخباره
من مبدا مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية
ولين القلب والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا
شهرا وروي ان زرارة بن ابي اوفى من التابعين كان يوم الناس بالرقة
فقرا ليلة فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وسمع الشافعي قاريا
يقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وكان
الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولئن
شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه
فطارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل
التصوف قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد
فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرا يوم يقوم الناس

لرب العالمين فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرا وانذرهم
يوم الازفة فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك
بعد الانذار ثم غشي عليه وسمع ابراهيم بن ادهم احدا يقرا اذا السما انشقت
فاضطربت اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به
رجل علي الشط يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب
حتي غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرا هذه الاية كل نفس
ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية
فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا روسهم الي السماء منذ خلقوا وقال
ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله فاجدني علي
الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الي احوالي والي الناس فلا ابقي علي ذلك فقال
ما طرق سمعك من القران فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك
ولطف منه بك واذا ردك الي نفسك فهو شفقة منه عليك ولطف منه
بك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وبالجملة
لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القران وذكر الرب فان كان القران
لا يوثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعا ونداء صم بكم
عمي فهم لا يعقلون ولا يجوز اي حينئذ وهو حال كون المتغني به قرانا ضرب
اليد والدف لان القران حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه
قوله تعالي امن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
اي مغنون ويدل عليه قوله سبحانه وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وقوله عز وعلا واذا ذكر الله وحده
اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه

اذاهم يستبشرون ثم في معني القران كل ما يكون من ذكر الله والصلاة علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم مما يفعله ثم في معني القران كل ما يكون من ذكر
الله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفي علي جماعة
حيث يحسبه العامة انه طريق الصوفية وقد يحضرون علي مثله
في المسجد وفي المقبرة وفي الاسواق ومحاضر المشايخ والله ولي دينه
ودين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت
لظهور اهل الفساد وغلبة اهل العناد والله روف بالعباد ومما يويد
ما قدمنا انه في البخاري لما دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم بيت الربيع
بنت المعوذ وعندها جواري يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما
في غد فقال عليه السلام دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة
بالنبوة فزجرها عنها وردها الي الغنا الذي هو لهو لان هذا جد محض
فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسي الله ان يتوب
عليهم وينتفي عطف علي ان لا يكون اي وحق السماع ان ينتفي فيه شاغل الخاطر
فيما ينافيه من الزمان كوقت الصلاة والطعام اي حضوره والمكان
اي وشاغل من المكان كالشارع اي الجادة والاسواق وما فيه صورة قبيحة
او رايحة كريهة فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملايكة
عنهما والاخوان اي وشاغل من الاخوان الحاضرين كالمنكر المحتاج الي
رعايته خصوصا اذا كان من ذوي الجاه والحكومة والمتكلف اي من
الفقهاء حيث تكلف في حضوره المشوش في خاطره بالرقص بناء
علي قول لبعض الصوفية ايضا الرقص من النقص وخرق الثوب فانه

من ضيق الحال وعدم اتساع المجال مع ما فيه من تضييع المال او المتكلف
المتواجد من اهل التصوف فالمراي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب
وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وروي
ان موسى عليه السلام وعظ في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه
فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك و
المتزهد اي المتكلف في الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى المفلس في الباطن
عن محبة المولى وعديم الذوق في السماع بان لا يكون في طبعه لذة وشوق
الى الاستماع وقد عد هذا اضل من البهايم فانه حول محسوسا تبه
بهايم والجاهل الحامل على ما لا يليق به تعالى فان الصحبة قد تؤثر
في الباطن قبل الظاهر والملوث قلبه بحب الدنيا وهذا يستغنى عنه بقوله
والمتزهد وانما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة في مجلس السماع و
الشهوة اي ويحب ما يشتهي من المحمدة والثنا والمتلهي بالنغمة اي
المشتغل بمجرد النغمة وما به يتلهى ويصغي بالحضور اي وحق السماع
ان يستمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفي الخاطر المحظور ولا يلتفت الى
الجوانب اي ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب ووجوه
المتغيبين لانه من اسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم
وكلامهم لا بملاحظة وجوههم ومقامهم ويجلس على هيئة المتامل في الكلام
المستغرق في المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد ويحترز عما يشوش
اي عليه وعلى غيره ان امكن له كالسعال والتثاوب وكذا العطاس فانها
من الشيطان والمنكرات كضرب اليد اي على طبق الغنا وتحريك الاطراف
اي التي تقدم منها الرقص المعبر عنه بالوجد والرقص نفسه وهو بالقيام

[illegible]

ونحوه

ونحوه وخرق الثوب اي قطعه ورميه الا ان صار مغلوبا اي عقله بحيث
لا يعلم بفعله او اي وان كان مجذوبا لا يطيق الامتناع عنه لطريان
نحو هيبة اي عظمة الهيبة او اجلال اي خوف مع خشية ربانية او حيا
من نعم واردة على تواتر ما بينه فيعذر اي في هذه الحالات عن مخالفة
ظاهر الشريعة من المنكرات كما غلب على عمر رضي الله عنه عام الحديبية
بالتخفيف افصح ويوم مات عبد الله بن ابي رئيس المنافقين
حمية الدين فاعل غلب اي حمايته ورعايته بحسب ما ظهر له من حسن
رايه وفق عادته حيث انكر الصلح اي عام الحديبية فقال عمر كما في صحيح
البخاري فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الست
نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت
فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو
ناصري قال العلما لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف
ما خفي عليه من الامور وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام وعز اهله
الابرار كما عرف في خلقه وقوته في نصره الدين واذلال المبطلين والصلاة
اي وانكر عمر الصلاة على جنازته اي جنازة ابن ابي والدعا اي في
الصلاة وغيرها والقيام على قبره حيث هم النبي صلى الله عليه وسلم بفعل
هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولعل
همه عليه السلام كان لظاهر ما كان يبدي من الاسلام او لتالف ولده
فانه كان في تقيدا لاحكام ومنع عمر لما كان يترشح من ابي اثار الكفر والطلا
وابي طيبة رضي الله عنه اي وكما غلب على ابي طيبة حب الاسلام حيث

شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة تبركا بما برز من باطنه عليه السلام
والحديث رواه الدارقطني وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه
عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل نسب الخير اليهم فقال
لواحد صحة ولأخولهم تمسك النار وقد بسطت عليه الكلام في سيره
عليه السلام لكلام في سيره عليه السلام وقد قال جماعة من العلماء
الشافعية ان فضلاته عليه طاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة وهو
قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ما روى ابن حبان ان غلاما
كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء فقالت الله
فقالت الله تعالى من خلق الارض فقالت الله فقال من خلق هذه الغنم ٢ فقال من خلق الارض صح
قالت الله فقال اني اسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل
فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب
لذلك ورمى بنفسه من هنالك وفي الاخبار رايت مكتوبا في الانجيل غنينا
لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا قول المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب
فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا لكنه اي وصف المغلوبية
صوب تقصير اي فيه نوع قصور منه جل قدر ذي الكمال عنه لا سيما الانبياء
وكذا ورثتهم من العلماء واتباعهم من الاولياء فهم اصحاب شرايع اي حقيقة
او حكما مكملون اي كاملون في انفسهم ٣ ويساعد اي وحق السماع اذ يعاونون
الاخوان في القيام في المجلس ورفع العمامة عن الراس اذا سقطت عمامته
ان كان اي التعاون معتادا فيما بينهم فالمخالفة موحش اي بعد الحضور
والاسرار مبتدا اي وادخال السرور بالمساعدة فيما لم ينه عنه اي نهيا صريحا
وصار معتادا بعد عصرهم اي بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلق

٣ كما ورد انهم الحواريون لعيسى عليه السلام [illegible]

حسنة

[illegible]

خبر المبتدا اي مستحسن لما روي عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما رواه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن ولقوله عليه السلام خالقوا الناس باخلاقهم رواه
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وان كان اي ما ذكر بدعة اي في نفس
الامر والاولى عدم حضور ذلك المجلس لئلا تحتاج الى الخطر الخطير فقد قال
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاجتناب
التعاون على المباح اقرب الى النجاح وعدم الجناح لا سيما وقد قال عليه
السلام من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد اي مردود وقال كل بدعة
بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة ثم البدعة المحذورة
ما تزاحم السنة المأثورة ولم يقع نهي عن الصور المذكورة ويخفى به اي
وحق السماع بالنسبة الى المقتدى اي يخفى بالسماع لئلا يقتدي العوام به
في جواز مطلق الاستماع وعموم انواع السماع ويظهر المنع اي للعوام فهو يصير
الاكثر للاعانة على الهوى اي لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من
المريدين ويتخلف الكامل المعرفة اي في لبه والمحبة لربه عن مجالس التغني والسماع
في غالب امره للاستغناء اي لاستغناء الكامل في مقام الغنا والبقاء عن المحرك
الخارجي من سماع الغنا كما اشار الصديق اليه حيث راى الاعراب يقدمون
ويسمعون القران فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اي اشتدت
وقويت لتحمل ما نزل بنا وقيل للجنيد ما بالك تركت السماع فقال وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد
الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقران فلما كان في
اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فرايته قد ارتعد
وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضعفنا و

كذلك

[illegible]

سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابو سالم وكان
من اصحابه ح العلم اذ فضل العلم اتم من الوجد الابنية الاسرار اي ادخال السرور
في قلوب اصحاب مجلس التغني بشروطها المساعدة في الموافقة وترك المخالفة
بالمباعدة وتعليم اي والابنية تعليم ضبط الجوارح من الاقوال والافعال مع
كمال الحالة والاسلم في جميع الاحوال والاقوال الاجتناب عن مطلق السماع ولو
بشروط مع الاصحاب لمكان الاختلاف اي في هذا الباب والصوفي طريقه
اختيار العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه
السماع المشهور في الاسماع وندرة تحقق الشروط في غالب مجالس الاستماع
لدقة مكايد النفس اي هواجسها والشيطان بجملها على وساوسها وما
وما احسن قول الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة
الى ان السماع من الله هو الدايم فالانبياء وكمل الاولياء في لذة السماع على الدوام
فلا يحتاجون الى تحريك كالعوام وقال بعض المشايخ الكرام لبيتنا اخونا من
هذا السماع راسا براس وقال ابو القاسم النصرابادي لابي عمرو بن نجيد انا
اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير ان يغتابوا فقال ابو عمرو
الريا في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب
ثلاثين سنة

الباب العاشر في الاناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد

الاناة بفتحات اسم لضد العجلة والحلم التحمل والعفو
التجاوز والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له والحقد بالكسر العداوة بالقلب
وينتج نحو الحسد والغضب بسم الله الرحمن الرحيم الذي يستعان به على كل خلق
كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم الاناة معنى اي خلق باطني باعث على الاحتياط في
الامور اي المتعلقة بالحكم الخارجي وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يتو

يتي

شي من حقها والتأني مصدر باب التفعل وتاؤه للطلب او التكلف اتباعها اي
تتبع تلك الامور بعد الدخول اي دخول الانسان فيه اي في حال الدخول قبل
الدخول وضده التعسف في الحصول والتوقف قبله اي ويقال له التوقف وضدها
اي الاناة العجلة وهي اي العجلة معنى باعث على الاقدام اي اقدام الانسان
على الامور بادنى خاطر من غير تامل وتفكر والاستعجال اتباعه اي تتبع ذلك
الباعث من غير تاخر وورد العجلة من الشيطان ابو يعلى من حديث انس بلفظ
الاناة من الله الا في تزويج البكر اي خصوصا اذا بلغت ووجدت لها
كفوا او قضا الدين ولو كان موجلا وتجهيز الميت اذا كان متيسرا او قري
الضيف اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فعبد الدلالة على المبادرة بالعبارة والاشارة والتوبة من الذنب
اذ يجب ان تكون في الحال فان اكثر عذاب اهل النار من تسويفهم في الحال و
ايضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التاخير افات وآفاتها اي العجلة
اسباب اهمها الحرمان عن المطلوب نحو استعجل نيل منزلة من مال او جاه
او لذة او مقام او حال او مرتبة او اجابة دعوة قبل الوقت اي المقدر
لها فان الامور مرهونة باوقاتها يترك مثلا لذلك اي يترك المستعجل طلب تلك
المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك
الحالة لا محالة او يغلو ويبالغ في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق
فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال وقد ورد برواية البزار روا
والبيهقي وغيرهم ان دينا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت الذي انقطع به في سفره وعطبت راحلته والفعل
انبت مطاوع بته من البت القطع وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل وبعضهم

التأني من الله والعجلة من الشيطان
والترمذي وحسنه من حديث سهل بن
سعد مع

يستثنى

لحكم

يقول

قد يدرك المتاني في بعض حاجته وقد يكون المستعجل الذليل فيفتر ويسأم ويترك
الدعا فيحرم حاجته قال تعالى لا يسأم الانسان من دعا الخير وان مسه الشر
فيؤس قنوط او مكافاة ظالمه اما منصوب عطفا على نيل منزلة او مجرور عطف
على منزلة فيبطل اجره لعدم صبره بالدعا عليه اي على الظالم وذلك بان يظلم
انسان فيغيظه ويدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في المعصية والملال
قال تعالى ويدع الانسان بالشر دعاه بالخير وكان الانسان عجولا واقتحام
الشبهة اي ومن افات العجلة دخول الشبهات المورثة للسيئات فاصل الورع
اي اساسه الذي عليه مدار الشرع النظر البالغ في كل شي اي من الاصل والفرع
الذي هو بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره فاذا كان الرجل مستعجلا في اموره
غير متأن ولا متثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة
او حرام وكذا في سائر المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار احكام الاسلام
وقد ورد اخبار واثار في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشرة
الخلق ففي صحيح مسلم من حديث عايشة ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله
ولمسلم من حديث جرير من يحرم الرفق يحرم الخير اي كله كما في رواية ابي داود و
للطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من
حديث عايشة الرفق يمن والخرق شوم ولابن المبارك في الزهد من حديث
ابي جعفر مرسلا اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه
وان كان سوى ذلك فانته وعن الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب
ليل ثم العنف وان كان محمودا في بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق
اقوى في اكثر الافعال والاقوال ومن هنا قال سفيان لاصحابه تدرون ما
الرفق فقالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور في مواضعها الشدة في موضعها

واللين

واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وفيه تنبيه
نبيه على انه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل ووضع
الندا في موضع السيف بالعلا اي باهله مضر كوضع السيف في موضع
الندا اي العطا وعن ابي عون الانصاري ما تكلم الناس بكلمة صعبة
الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها والافراط اي ومن افات
العجلة الاكثار والمبالغة في الغضب وهو اي الغضب وافراطه مذموم
اي شرعا وعرفا فورد اي برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده الغضب يفسد الايمان اي كماله ويطفي نوره او يمنع
ظهوره كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد وكسر البا عصارة شجرة
مر وعن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب
رواه البخاري ومن هنا قيل لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال
ترك الغضب ومن ثم فسر في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد
الذي لا يغلبه الغضب وقد قيل الغضب غول العقل وهو اي الغضب
غليان دم القلب لطلب الانتقام والمحمود من الغضب الاعتدال كساير
الاخلاق في الاحوال فللبيهقي في الشعب مرسلا خير الامور اوساطها وهو اي
الاعتدال الضبط تحت الشرع والعقل بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط
فيغلب حيث وجبت الحمية الشرعية ويطفي حيث يحسن الحلم في
القضية العرفية فالتفريط اي فقد الغضب او ضعفه مذموم وهو
الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذا قال الشافعي من استغضب فلا
يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان كالافراط اي كما ان
الافراط بالتجاوز عن الحد مذموم قال تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم

الحمية حمية الجاهلية فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى
المومنين صح

الكفار بما يظاهروا به من الحمية الصادرة من الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة فورد في مدح الاعتدال قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكذا قوله اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولا تاخذكم بهما اي بالزاني والزانية في حدهما رافة في دين الله اي شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط وقال عليه السلام خير امتي احدا وها يعني في الدين رواه الطبراني والبيهقي عن علي وقلعه اي قطع الغضب ودفعه في زوال ما استغني عنه كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب ممكن اذ ليست هذه الاشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية لا اي لا يمكن قلعه في زوال ما احتيج اليه اي ولا يستغني عنه كالطعام بسد جوعه من قوت يومه وليلته وثوب يستر عورته ويصحح صلاته وبيت يواريه اي يستر حالته ويدفع برودته وحرارته وكتاب يطالعه وفي معناه كل الذي بما يكتسب صاحبه والاخير من ضروريات بعض افراد الناس لصعوبة تفريغ القلب عن حبها اي عن حب هذه الاشيا لحكم الطبيعية فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف احد بها في ابواب الشريعة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح منكم آمنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا اي جمعت له لذاتها الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن محصن وقال الترمذي حسن غريب ورواه الطبراني في تاريخه والكلابدي زيادة فحذافيرها الا لمن غلب عليه التوحيد فلا يغضب على تفويت هذه الاشيا لما عنده من المقام اي هذا الحد في مقام التوحيد انما يكون كالبرق الخاطف الخاطف يقع في احوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعا

طبيعيا

[illegible]

طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك لاحد على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ويقول انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر كما في الصحيحين وفي رواية فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وقيد اي فيما احتيج اليه بتصور الكسر اي كسر النفس بان لا يظهر الا اثر اي اثر الغضب في البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور البشر وعن علي كرم الله وجهه كان عليه السلام لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له رواه الترمذي في الشمايل وفي صحيح مسلم عن عروة ان عايشة حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فراى ما اصنع فقال ما لك يا عايشة اغرت فقالت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد جاءك شيطانك قالت يا رسول الله اومعي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم فلا يامرني الا بخير وفي الاحياء اراد شيطان الغضب والمعنى انه لا يحملني على الشر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ٨ يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق ولا ٨ اعمل بموجب الغضب والحديث رواه ابو داود باسناد صحيح وهو

سنفصلها فى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقوله سبحانه قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى اى التميز بينى وبينكم بوقوع الوحى الى دونكم هذا وقد يفقد اصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ومن هنا لما شتم سلمان قال ان خفت موازينى فانا شر مما تقول وان ثقلت موازينى فلا يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم ولم يصر سببا لغضبه وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وقيل للبسطامى لحيتك افضل ام ذنب الكلب فقال ان مت مومنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة وشتم رجل ابا بكر الصديق فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن ان يتقى الله حق تقاته ويعرف الله حق معرفته فلم يغضبه لنسبة غيره اياه الى نقصان فى امره اذا كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لكمال قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ما عرفنى غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه افة الريا ليصل الحالة الاخلاص ومقام البقا بعد الفنا وسب رجل الشعبى فقال ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك

والسبب

والسبب اى باعث الغضب ستة اشيا الكبر والعجب والمزاح والا ستهزا والايذاء اى بالتعيير والمراء والحرص اى شدة الميل فى الفضول اى زيادة المال والجاه وهى باجمعها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة فى امور شرعية واحكام فرعية ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها المعروفة فى الباب وعلاج كل اى من الكبر ونحوه فى موضعه اى ياتى مفصلا واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بمعرفة النفس اذا كان بالعلم والعمل واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى ادم جنس واحد فان الشرف بالفضايل والفخر والعجب من اكبر الرذايل ويميت المزاح بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الاخروية ويزيل الهزل بالجد ويميت الباطل بالحق لقوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل ويزيل التعيير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن عير اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به ويزيل الحرص عن مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة مع ما فى القناعة من الاستغنا والترفع عن ذل الحاجة ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة شديدة فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل واتصفت بمحامد الفضايل ومكارم الشمايل والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس فالمريض اسرع غضبا

من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا
من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكامل وذو
الخلق السيئ والرذايل اسرع غضبا من صاحب الفضايل فالرذل
يغضب لشهوته عند فوت لقمته ولبخله عند فوت حبته وصاحب
الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته ففي الصحيحين عن
ابي هريرة ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وهو الذي ذكرنا علاجه بتفصيل
الاحوال وبالاجمال علاجه اثنا عشر التوضي والاغتسال
الخ ففي الحديث اذا غضب احدكم فليتوضا بالما فان الغضب
من النار ابو داود من حديث عطية السعدي وفي رواية اخرى
ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب في الجملة
والمتبادر بالصلاة ونحوها وفي نسخة الغسل وهو الظاهر
٧ فيكون في الاصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف
بخلاف الاغتسال فقد اخرج ابن عساكر من حديث معاوية
الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفي
النار الماء فاذا غضب احدكم فليغتسل ومن جملة العلاج السكوت
فعن ابن عباس مرفوعا اذا غضبت فاسكت احمد وابن ابي
الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الايمان والقعود اي الجلوس
اذا كان قايما والاتكاء اذا كان جالسا والاضطجاع اذا كان
متكيا فللترمذي من حديث ابي سعيد ان الغضب جمرة في القلب
الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم

من ذلك

من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فليقم اي
فليضطجع فان لم يزل ذلك فليتوضا بالماء البارد وليغتسل
فان النار لا يطفيها الا الماء ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة
كان عليه السلام اذا غضب احدكم وهو قايم جلس واذا غضب
وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ولاحمد باسناد جيد وكان
ابو ذر قايما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم
وهو قايم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع ثم
والمرفوع عند ابي داود بسند فيه انقطاع والاضطجاع غاية
السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة والظاهر
عنوان الباطن ويسري كل منهما على الاخر كما حقق في طهارة
الظاهر والباطن وقد ورد ان ابا ذر قال لرجل يا بن الحمرا في
خصومة بينهما وفي رواية يا بن الخضرا فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر
ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان
كنت قاعدا فاتك وان كنت متكيا فاضطجع رواه ابن ابي
الدنيا باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين
رجل كلام وكانت امه اعجمية فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ولاحمد انه
عليه السلام قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا

ان نفضله بتقويم ورجاله ثقات والصاق الخد بالارض فعن
ابي سعيد الخدري مرفوعا الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم
الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد ذلك
شيا فليلصق خده بالارض للترمذي وحسنه وكان هذا
اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء ليستشعر
به النفس الذلة وتزيل عنها الزهو والعزة وايما الى ان من اوله
واخره التراب لا يصلح له الغضب في باب من الابواب والى قول
بعض اولي الالباب ما للتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت
نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السما فوقك والى الارض تحتك
ثم عظم خالقهما فالكلام ورد اي نقل كما قدمنا مامورا به كما بينا ٨
والمعنى ترجع فيه بين الفعل والقول فعلك وفي نسخة معللا بانه
اي الغضب جمرة اي حرارة غريزية او حادثة عرضية تتوقد
في القلب بدليل حمرة العين حينئذ وانتفاخ الاوداج اي
عروق الرقبة وقد سبقت به الرواية والاستعاذة اي ومن
جملة العلاج العودة الى الحالة الاولى بعد التغير عنها
الى الحالة الثانية والاستعاذة اي التعوذ بالله من الشيطان
الرجيم عند الغيظ وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال
كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فاحدهما
احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال عليه السلام لو قال اعوذ
بالله سكن غضبه ولابن السني في اليوم والليلة من حديث

عايشة

عايشة كان عليه السلام اذا غضبت عايشة ياخذ بانفها وقال
يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من مضلات الفتن والاستعانة بالله تعالى اي بحوله وقوته في دفع
غضبه وشدة حدته والعلم بثواب الحلم والتحلم عطف على العلم لا
الحلم اي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه محمود ايضا وللطبراني
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم فورد في التنزيل والكاظمين الغيظ
اي المتحملين وذلك في معرض مدح المتقين من المومنين وتمامه والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وللطبراني في الاوسط والبيهقي في
الشعب من حديث انس من كف غضبه كف الله عنه عذابه ولابن ابي
الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه ولابن ابي
الدنيا من حديث علي اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من
عفا عند القدرة ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصايم اي بالنهار
القايم اي بالليل رواه الطبراني في الاوسط ولابن السني من حديث
ابي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم وفي الصحيحين
يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة وللطبراني من حديث
فاطمة ان الله يحب الحيي الحليم ولابن ماجة باسناد جيد من حديث ابن عمر
ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله
زاد ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس وما كظمها عبد الا ملا الله
قلبه ايمانا وقال ايوب حلم ساعة تدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان
الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على ان افضل الاعمال
الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر والله ما تقضي

بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف فى وجهه فقال له
رجل يا امير المومنين لم تسمع ان الله قال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت
وكانما كانت نارا فطفيت وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة
الاخرة اى والعلم بهما فانهما تكون سببا لاطفاء نار الغضب
وتسكينها من اللهب فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول قدرة
الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو امضيت غضبى عليه
لم امن ان يمضى الله غضبه على يوم القيمة احوج ما اكون الى
العفو والرحمة وقد قال تعالى فى بعض الكتب المتقدمة يا بنى ادم
اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما
جاءه قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا الخوف القصاص حتى
فى القيمة ابو يعلى من حديث ام سلمة بسند ضعيف ولاحمد من حديث
عبد الله بن عمرو سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدنى
من غضب الله قال لا تغضب وتشبه الحليم بالانبيا وورد كاد الحليم
ان يكون نبيا وقد مدح الله سبحانه خليله بانه حليم وكذا بشر
بغلام حليم والاوليا باتباع الانبيا من الاصفياء فقد ورد
العلما ورثة الانبيا وضد ذلك من حال الاكراد والاتراك
والجهلة والاغبيا والغضوب اى وتشبه كثير الغضب بالسبع
الضارى اى الصايل العادى كالاسد ونحوه فهو من خلق البهايم
والكلب الهايم وقبح هيئته اى بتغيير صورته حال غضبه وشدة

حدته

حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه
وشدة رعدته فى اطرافه واكتافه وخروج افعاله عن ترتيبه
ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه وكلامه حتى يظهر الزبد
على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة
فى المظاهر ولو راى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته
ليسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم
من ظاهره وهذا التغير فى جسده واما اثره باللسان فانطلاقه
بالشتم والفحش وقبح الكلام الذى يستحيى منه ذووا العقول
ويستحيى منه قايله ايضا عند فتور غضبه وذلك مع تخبط
نظمه او اضطراب لفظه واما اثره على الاعضا فالضرب والتهجم
والتمزيق والجرح والقتل عند التمكين من غير مبالاة فان هرب
منه المغضوب عليه او فاته بسبب لديه وعجز عن التشفى به
رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه وقد يضرب
بيده على الارض وجداره ويعدو عدو الواله والسكران فى مشيه
وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو سريعا وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المايدة ويتعاطى افعال
المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى منك
يا هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة
فيرفس هو الدابة ويقابلها بذلك وربما قتل نفسه بيده
اما باله او بشنق او برمى نفسه فى بحر ونحوه والعجز اى والعلم بالعجز
عن الغلبة عن مراده تعالى فالله غالب على امره وهو القاهر فوق

عبادة فان الغضب ان يود جريان الشئ على وفق مراد نفسه دون مراد
ربه فمن وقع في هذه الورطة وباء به باء بغضب من الله وعذاب ونعم
ما قيل • تود النفس لا تلقى مناها • ويابى الله الا ما يريد •
فيفعل الله ما يشا • ويحكم ما يريد •
فكن مسلما لامره ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد والانتقام من المغضوب
عليه اى يتحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه
على اظهار معايبه والشماتة بمصايبه وحدوث الذنوب اى انواع
العصيان لاخذ اللسان في الفحش والسب للانسان والجوارح في
الضرب والجرح والقتل كما سبق في معرض البيان والقلب في الحقد
فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في غيظه رجع الى باطنه
واحتقن فيه فصار حقدا وحينئذ يلزم قلبه استثقاله ويحسده
في حسن حاله ويظهر الشماتة بمساءته والحزن بمسرته والعزم على افشاء
سره وهتك ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع امره وهو
اى الحقد ذميمة اى خصلة مذمومة فاحشة اى متجاوزة عن الحد
لاشتماله على سيئات متعدية عن العد فورد المؤمن اى الكامل ليس
بحقود فعول بمعنى فاعل اى ليس بذى حقد او ليس بمبالغ في الحقد
والحديث في الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل والعلاج اى
علاج الحقد قلع الغضب الذى سبب الحقد الباعث على الحسد
ونحوه وذكر ما ورد اى من الفضايل في الكتاب والسنة في العفو
مثل والعافين عن الناس وتمامه والله يحب المحسنين وللطبراني في
مكارم الاخلاق من حديث انس اذا وقف العباد نادى مناد ليقم

من اجره

من اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى اجره على الله قال العافون
عن الناس وهو مستفاد من قوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ولاحمد
والحاكم وصححه ان الله عفو يحب العفو فالتخلق باخلاق الله له شان
عظيم عند مولاه خذ العفو تمامه وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وورد في تفسير العفو ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو
عن من ظلمك وان تعفوا اقرب للتقوى تمامه ولا تنسوا الفضل
بينكم وهو اى العفو اسقاط حق وجب اى ثبت للعبد على غيره اما
قول ابى ضمضم وهو رجل من بنى اسرائيل اللهم تصدقت بعرضى على عبادك
فوعد اى لا عفو لانه اثبات ما له للغير لا اثبات حق واجب له على الغير
وعليه الوفا اى بوعده وعدمه توضيحه انه لما قال العفو اسقاط
حق وجب ورد عليه ان قول ابى ضمضم تصدقت على ان العفو قد يكون
باسقاط الحق قبل الوجوب فاجاب بانه وعد بانه لا يخاصمه به يوم
القيمة لا عفو كما قدمناه وفى الاحياء قال رجل من المسلمين اللهم ليس
عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى شيأ فهو صدقة
عليه فاوحى الله الى النبى عليه السلام انى قد غفرت له قال مخرجه رواه
ابو نعيم في الصحابة والبيهقى في الشعب وابن عبد البر في الاستيعاب
من حديث ابى هريرة ان رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال اظنه ابا ضمضم
وتقدم في افات اللسان حديث ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم قالوا
وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح قال اللهم انى قد
تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى واعلم ثم اولى بعده الخصلة
المهمة فانكم خير امة وقيل في قوله تعالى ربانيين اى علماء حلماء وعن

الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان
جهل عليهم لم يجهلوا يعنى لم يجيبوهم يقول يسلمون فيه عنهم وقال
عطا بن ابى رباح ويمشون على الارض هونا اى حلماء وقال ابن ابى
حبيب فى قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا
باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو
معرضا فقال عليه السلام اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم
ابن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
ابن المبارك فى البر والصلة ولاحمد من حديث سهل بن سعد اللهم
لا يدركنى ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من
الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وعن على كرم الله وجهه
ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم
حلمك وان لا تباهى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله
واذا اسات استغفرت الله وعن الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالحلم
وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه
العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شئ الى شئ مثل حلم
الى علم وعن انس بن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه
عداوة كانه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول
ان كنت كاذبا فيغفر الله لك وان كنت صادقا فيغفر الله
لى وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم على
فاستعبدنى بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا
عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحى

وعن

وعن على بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف
درهم ومر المسيح ابن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا
فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل
واحد ينفق مما عنده ولاحمد من حديث جابر بن سمرة ان امرى عيرك بما فيك
فلا تعيره بما فيه ولابى داود من حديث ابى هريرة شتم رجل ابا بكر وهو ساكت
فلما ابتدا لينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما
شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت
ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وما
ارتكب اى وذكر ما اكتسب الحقود من مكروه كترك الاعانة فى الحاجة
وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى والدعاء اى وكترك الدعاء ١٧
له فى الغيبة فان الدعاء يستجاب فى غيبة المومن ويكون للداعى مثله
والوعظ اى النصيحة وترك النصيحة فقد ورد الا ان الدين النصيحة
قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المومنين وعامتهم
والرفق اى بالنية الصحيحة فورد ان الله يحب الرفق اى اللطف
وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه ومن حرام كالشماتة وهو الفرح
ببلية العدو والاعراض عند المواجهة بترك السلام والكلام والاهانة
بترك القيام والتوسع فى المقام والغيبة اى ذكر ما يكرهه فى الغيبة
وترك صلة الرحم ان كان من ذوى القرابة وقضاء الحق اى وترك من
حقوق المسلمين من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض
وامثالها والنصيحة اى وتركها وهى ارادة بقاء النعمة على المسلم
مما هى شئ له اى للمسلم فيه اى فى ذلك الشئ صلاح دنيوى او اخروى

عرف كونه صلاحا بغلبة الظن او قيد بشرطه اي وقيد البقا بشرط الصلاح
بان يقول ان كان له فيها صلاح فابقها وضدها اي النصيحة الحسد
وهو ارادة زوالها اي النعمة عنه اي عن المسلم مما له فيه صلاح فان
انتفى الصلاح وقد اراد زوالها مطلقا من غير ان يباشر سببا
لاجل زوالها فغيرة وهي مذمومة وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال
عنه فغبطة ومنافسة وهي خصلة محمودة ومنه قوله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وحديث الصحيحين عن ابن عمر لا حسد الا في اثنين
رجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل آتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق والحسد اي المذموم حرام لقوله تعالى ام
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وعن الفضيل المؤمن يغبط
والمنافق يحسد ولقوله عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب ابو داود من حديث ابي هريرة وابن ماجه من حديث انس
في الصحيحين لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا
وكونوا عباد الله اخوانا وللبيهقي في الشعب كاد الفقر ان يكون كفرا
وكاد الحسد ان يغلب القدر فانه سنة كراهة نعمته تعالى فللطبراني
من حديث معاذ استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة
محسود وللطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم
حسادا فاحذروهم وفي قضايه عن زكريا عليه السلام قال تعالى
الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت
بين عبادي وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء

نصيب

نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما
وقال تعالى لكل اجل كتاب وكل شيء عنده بمقدار وقد شكى نبي من
الانبيا من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها
حتى تنقضي ايامها وراض المسلم اي وكراهتها وهو من خصال المنافقين
كما قال تعالى في حقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة
فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل كل العداوة قد ترجى اماتتها الا
عداوة من عاداك من حسد ومن هنا قال تعالى قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم
من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم
لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله اياه لكرامته عليه فلم
تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار
وفعل المعاصي بالرفع اي من آفاته كما تتعلق في الحضرة وانما يتعلق
المحسود على الحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة اذ الخائن يخاف
من الفضيحة ولو من صفات المنافقين وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق
الا في طلب العلم والغيبة اي غيبة المحسود فالغيبة والشماتة وهي الفرح
ببلية المحسود فللترمذي من حديث واثلة بن الاسقع لا تظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وفي رواية ابن ابي الدنيا فيرحمه الله
نورد في التنزيل ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر الحسد والا فلا
يخلو الجسد من الحسد وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه
لا يضرك ما لم تبده والتعب في الدنيا فان الحسود لا يسود ولعدم

١٧

خلو الدنيا من ذى نعمة والعقاب فى الاخرة بلا نفع اى للحاسد
بل ينتفع المحسود فى الدنيا بمضرة العدو وبلوى الحاسد وفى الاخرة لطلب
المكافاة اى المجازاة على عمل الحاسد وعمى القلب لانه شئ من عدم
الرضا بقضاء الرب والخذلان اى عدم النصرة فى الدنيا والاخرة ثم
نقبله لاثر اى المروى عن بعض السلف ان الحاسد لا ينال من المجالس الا
مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من
الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال
عند الموقف الا فضيحة ونكالا الا فى نعمة الكافر مستثنى من قوله والحسد
حرام والفاسق المستعين بها على الفسق والظالم المتقوى بها على
الظلم او المبتدع الذى يشتد بها على البدعة وهو يكره من حيث
انه اى الذى ذكر من الكفر والفسق والظلم والبدعة دون النعمة
اى اصلها بخلاف الغيرة فانها غير حرام فورد المتعجبون من غيرة
سعد وهو ابن ابى وقاص فورد والله ان سعدا لغيور وانا
اغير منه والله اغير منا وغيرة الله ان ياتى المؤمن ما حرم الله
عليه والغبطة اى وبخلاف الغبطة فانها ليست بحرام فورد
اى فى التنزيل وفى ذلك فليتنافس المتنافسون اى ليرغب
الراغبون ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية
وورد فى الحديث هما فى الاجر سوا فيمن قال لو ان لى مال فلان
لكنت اعمل فيه بمثل عمله اى من الخيرات والمبرات فلابن ماجة
والترمذى وقال حسن صحيح مثل هذه الامة مثل اربعة رجال
رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل اتاه الله

علما

علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لى مال فلان لكنت اعمل فيه
بمثل عمله فهما فى الاجر سوا ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه فى
معاصى الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لى مثل مال فلان لكنت
اعمل بمثل عمله فهما فى الوزر سوا فهى اى الغبطة يتبع ما غبط به بصيغة
المجهول حرمة كالمعاصى واباحة كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر
النعم الظاهرة لكن الغبطة فى المباحات تنقص علو الحالات والمقامات
كالزهد والرضا والتوكل والقناعة والتسليم وتحجب عن المقامات
الرفيعة من عزائم فى قواعد الشريعة ووجوبا كالايمان والصلوة
والزكوة وسائر الاعمال وندبا كالانفاق للاموال فى تحصيل الاحوال
والسبب اى للحسد خبيثة النفس وهو داء مزمن اى لازم لانه
جبلى لا علاج له فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما
انعم به عليه مولاه فيشق ذلك عليه فيحب زوال نعمة الله تعالى عنه
وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية جلية ولا شئ مما ذكر
ولا شئ مما ذكر من اسباب الحسد بل انما هو لخبث فى نفسه ورذالة فى
طبعه لا يزول الا بمونة كما تقدم فى ذمه والرغبة فى نعمة الغير
كالرياسة فى مقام الجاه والسياسة فانه يحب ان يكون فريد
دهره ووحيد عصره وخوف فوت المقاصد كما فى الضرة على توهم
المضرة ومن هذا القبيل الاخوان عند الاب والتلامذة عند العلما
والندما عند الامرا بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد
وحسد العابد للعابد دون العالم وقس على هذا والعداوة الكامنة
فى القلب والتعزز بكراهة ترفع الغير عليه فى المنازل والمحافل

فيما بين اهل الفضايل ومنه قوله تعالى اهولاء من الله عليهم
من بيننا والتكبر وهو من ردى الرذايل والتعجب من رجحان من ساواه
اى نسبا وحسبا ومنه قوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا
لخاسرون تعجبوا من ان يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا
ومنه ايضا قوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا وقوله اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ففى ثم كثر الحسد بين الاقارب
وقل بين الاجانب لكثرة تحققها اى المساواة فى ذوى القرابات
دون علماء الاخرة فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم اذ مقصودهم
معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عنده
وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة فورد
فى التنزيل ونزعنا اى فى الدنيا والاخرى ما فى صدورهم من غل
اى حقد وحسد اخوانا على سرر متقابلين وعلاج كل اى كل واحد
من اسباب الحسد ضده فعلاج خبث النفس بسلامته وطيبه وعلاج
الرغبة التنفر وعلاج الخوف الامن لعدم خلاف المقصود
وعلاج العداوة المحبة والتعزز التذلل والتكبر التواضع
والتعجب الاطمينان بالتفكر فى قدرته وقضائه وارادته فى
١٥ خليقته وذكره الافات المذكورة اى من جملة علاج الحسد
وما ورد فيه وذكره ما ورد فى ذم الحسد ووجوهه وذكر
وجوب موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره والفوايد
اى وذكر الفوايد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد كالتعاون

على

على البر والتقوى والثناء على العلم والعمل والفتوى وبركة الجماعة
لا سيما فى الجمعة والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام
والمشايخ الفخام وقد قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء وقال بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا ولله در القايل
من ذوى الفضايل •

• لا مات اعداوك بل خلدوا • حتى يروا فيك الذى يكمد •
• لا زلت محسودا على نعمة • فانما الكامل من يحسد •

ونعم المقال من بعض اهل الحال • حسد حاقده وحقد حاسده

الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول وحب الذم وبغض المدح

العزلة ضد الخلطة والخمول ضد الشهرة
فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى
وابن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطايفة
وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاونا على البر والتقوى
ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبى وابن عيينة وابو حنيفة
وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة وعن الفضيل كفى
بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع
الناس جانبا وقال الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل
كان مالك بن انس يشهد الجنايز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم
فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيا

للمرء ان يخبر بكل عذر له وقال الفضيل انى لاجد للرجل عندى يدا
اذا لقينى ان لا يسلم على واذا مرضت ان لا يعودنى وقال ابو سليمان
الدارانى بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر
فصكه فى الجبهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع
فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت
جنازته وكان سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق
فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق ودخل
بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له الك حاجة قال نعم قال ما هى
قال ان لا ترانى ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك عليا يقول
لوددت انى فى مكان ارى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل فقال
ويح على افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى وعن ابن عباس افضل
المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى • بسم الله الرحمن الرحيم
الذى به يانس ارباب الخلوة وبه يستانس اصحاب الجلوة فى العزلة
فوايد متنوعة وهى الفراغ للعبادة فالخلق مشغولون بما تعوق ١٦
لاهل الارادة وفوق العادة فانهم كما قال تعالى اقترب للناس
حسابهم وهم فى غفلة معرضون وعن حاتم الاصم طلبت من هذا الخلق
خمسة اشياء فلم اجد منها الواحدة طلبت منهم الطاعة والزهادة
فلم يفعلوا فقلت اعينونى عليهما ان لم تفعلوا فقلت ارضوا
عنى ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعونى عنها اذ لم تفعلون
فقلت لا تدعونى الى ما لا يرضى الله ولا تعادونى عليها ان لم اتابعكم
فيها فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بمخاصمة نفسى فانها اولى

منهم

منهم بها وكان عليه السلام يعتزل فى جبل حراء اى فى اول امره كما فى
الصحيحين من حديث عايشة كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه اى
يتعبد الليالى المتتابعة حتى قوى فيه انوار النبوة وظهر منه اسرار
الرسالة والجمع اى بين الفراغ والخلطة متعذر فتتعين الخلوة الا
لمن استغرق باطنه به تعالى بحيث لا يمنعه الكثرة عن الوحدة ولا
تحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكاين البائن والقريب الغريب والعرشى الفرشى فغاب عنهم قلبا
اى جنانا وشهدهم لسانا اى حضرهم بيانا وبرهانا وهذا انما
يتصور لمن اراده سبحانه شانا فقد نقل عن الجنيد انه قال
انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم وقال
بعضهم لا يتمكن احدهم من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى
والمتمسكون بكتابه استراحوا من الدنيا بذكر الله عاشوا وبذكر
الله ماتوا وبذكر الله يلقوا الله وقيل لبعضهم ما اصبرك على
العزلة فقال ما انا وحدى انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجينى
قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل الاستيناس
بالناس من علامة الافلاس وقيل بينما اويس القرنى جالس اذ
اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك جيت لانس بك
فقال ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال بعض الحكما
انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة
الذى سبب انسه وقال الفضيل اذا اقبل الليل فرحت
به وقلت اخلو بربى واذا اصبحت استرجعت كراهية لقاء

الناس وان يحيى بن ليشغلني عن زلي وعن بعضهم اني امسي واصبح
بين نعمة وخطيئة فاشغل نفسي بشكر الله على النعمة وبالاستغفار
من الخطيئة والخلاص عن المعاصي الذي يتعرض لها الانسان
غالبا بالخلطة ويسلم منها في الخلوة كالريا والسمعة اذ كل من
خالطهم داراهم ومن داراهم راياهم ولقد صدق يحيى بن معاذ
في قوله رؤية الناس بساط الريا والغيبة والسكوت عن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية
والاحوال الدنية والبدع في الاقوال المتعارفة مثل كيف
اصبحت فانه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق
اهل الديانة فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم
كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سوالهم عن احوال
الدين لا احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف
انت في نفسك قال سالما معافى فكرهها حاتم جوابه فقال يا
١٧ حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة اي على
بساط النشاط وحال الانبساط وقد ورد اللهم لا عيش
الا عيش الاخرة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت
قال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما
احذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير
افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال
اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر اجالنا وكان
ابو الدردا اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت

امن

من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت
اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس
القرني كيف قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح
لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في
عمر ينقص وذنب يزيد وقيل لبعض الحكما كيف اصبحت قال اصبحت
لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت
قال اصبحت اكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع
كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة مرحلة قلت
وعني على كل نفس خطوة الى اجله وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت
قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية
كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو
يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد
ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة
وقيل لبعضهم ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب
عافاك الله اي اذا كان قبل السلام ولم يكن في الحمام وعن الحسن انما كانوا
يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب فاما الان كيف
اصبحت عافاك الله كيف اصبحت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم
كانت بدعة ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا
في الاحيا وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف اصبحت بدعة
ومشاهدتها اي ورؤية المعاصي فهو يورث الاستحقار لها
بل رؤية ارباب الدنيا فانه يورث الاستعظام لها ومن هنا

قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم وذلك لأن مسارقة الطبع
لما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم وسائر أحوالهم داء دفين
قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان
فاسقا أو مبتدعا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس
نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك فيهما تفرقة في النفرة عن الفساد
إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط
عنه وقعه واستعظامه له في الشرع ومهما طالت مشاهدته
للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه ولذا يزدري الناظر
إلى الأغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده
ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قدر له من النعم فكذا النظر
إلى المطيعين والعصاة فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة
والتابعين في عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر
إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار وما
دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في
الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الغالبة
على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم
المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير من قلبه وذلك
هو الهلاك لنفسه ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب
بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما
أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي

إلى اعتقاد كفره وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها
ولا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة
يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان
كله لا يقتضيه وكذا لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من
ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم فيه
إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة أشد من الزنا
فكيف لا يكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة
المغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس أمرها وقيل
لبعضهم ما حملك على العزلة قال خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر
به تتفطن لهذا الغول الأشد وفر من الناس فرارك من الأسد
لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد على حرصك في الدنيا وغفلتك
عن العقبى ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة
فإن وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وأنيسا يفكرك الله
سيرته فالزمه واغتنمه فإن الجليس الصالح خير من الوحدة
وإن الوحدة خير من الجليس السوء لكن الجليس الصالح عزيز الشهود
في صحن الوجود كما قال عليه السلام أخبر تقله والناس كإبل مائة
لا تجد فيها راحلة وكما قيل أعنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاي
طلعة حر فإن الحر من لا يستعبده هواه ولا يستفزه دنياه بل
يستغرق خدمة مولاه وهذا معنى قوله والجليس السوء بفتح السين
وضمها أي ومشاهدته أو والخلاص عنه لتأثير الصحبة أي خيرا أو
شرا بحسب الرتبة فورد مثل الجليس السوء مثل القين أي الحداد

تمامه ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ومثل الجليس الصالح مثل العطار
ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه وفي البخاري من حديث ابي
موسى مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير
الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه
وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة والفتن
اي والخلاص من محن انواع الفتن وقلما يخلو العباد في البلاد
عن تعصبات وخصومات فورد اي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
لما ذكر عليه السلام الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس
مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
قلت فما تامرني فقال الزم بيتك اي لازم سكونه واملك عليك
لسانك اي التزم سكوته وخذ ما تعرف واعمل به ودع ما تنكر
اي اتركه وعليك بامر الخاصة اي والزم خاصة نفسك ودع عنك
امر العامة اي من لم يتعلق بك حين تبدل ظرف لو ردها ذا تامرني
في زمان الفتن والحديث رواه ابو داود والنسائي في اليوم
والليلة باسناد حسن وفي البخاري من حديث ابي سعيد الخدري
يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وللخطابي من حديث ابن مسعود
والبيهقي من حديث ابي هريرة وسياتي على الناس زمان لا يسلم
لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى
شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك
يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان

ذلك

ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا
بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد
ابويه فان لم يكن ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى
يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق
اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وفي
الاحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه
اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة
الا بالمعصية ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة
اقول وفي زماننا وجبت وعن سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن
ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان قال
ما هنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن راني
يقول موسوس او حمال او ملاح وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه
الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد
قال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم
فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال ابن عمر اني محدثك
حديثا ان جبريل اتى النبي عليه السلام فخيره بين الدنيا والاخرة
فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي
هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وقال استودعك الله
من قتيل رواه الطبراني في الاوسط والبزار بنحوه واسنادهما
حسن وكان في الصحابة اكثر من عشرة الاف فما خف ايام الفتنة

اكثر من اربعين رجلا ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له
القصور تركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت
مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية
وفيما هنا عما انتم فيه عافية وايذايهم اى والخلاص عن ايذاء الجلسا
بانهم يوذونك تارة بنحو الغيبة والنميمة واخرى بنحو الظن والتهمة
والنقول الذميمة ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها
فيشتد الجفاء بسببها وقد قيل معاشرة الاشرار تورث الظن بالاخيار
وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتى المدينة قال ما بقى فيها الا حاسد
لنعمة او فرح بنقمة وقيل كان الناس دوا يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء
لهم وعن ابى الدردا كان الناس وردا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورد
فيه وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصينى فقال اياك والناس وعليك
بالناس ولابد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس
وقيل الزم الدفاتر والمقابر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البنانى
وكان ايضا من اوليا الله فقال للحسن بلغنى انك تريد الحج فاحببت
ان نصطحب فقال الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا انى
اخاف الله ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه قال
فى الاحيا وهذه اشارة الى فايدة اخرى فى العزلة وهى بقا الستر على
الدين والمروة ولقد قال الشاعر •

• ولا عار ان زالت عن الحر نعمة • ولكن عارا ان يزول التجمل •

قال ابو الدردا اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر
بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مومن الا خربوه

وطمعهم

وطمعهم من اضافة المصدر الى الفاعل اى والخلاص من طمع الناس عنك فان
رضا الناس غاية لا تدرك فرعاية الحقوق شديدة ومما هو من الحقوق
وايسرها حضور الجنايز وعيادة المريض وحضور الولايم والاملاكات
وفيها اى فى رعاية الحقوق ضياع الاوقات وفوات المهمات والتعرض
للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عايق ويستقبل فيها المقادير ولا يمكن
اظهار تلك الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر فى حقى وذلك
سبب عداوة ومن عمم الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم وعن عمرو بن
العاص كثرة الاصدقا كثرة الغرما والطمع عنهم وفى نسخة فيهم
اى والخلاص من ان يطمع هو فيهم فالنظر الى زهرات الدنيا اى انواع
زينتها واصناف بهجتها يحرك الحرص وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم
لا يرى الا الخيبة فى كثرة الاطماع فيتاذى بذلك ومهما اعتزل
لم يشاهد واذ لم يشا ولم يشتهه ولم يطمع هنالك ولذا قال تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقال عليه
السلام فيما رواه مسلم من حديث ابى هريرة انظروا الى من هو دونكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
وحكى ان المزنى خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد
الحكم فى موكبه فبهره ما راى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله تعالى
ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اتصبرون ثم قال اصبر وارضى يعنى كما قيل •

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعداء مال •
فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال •

ولقاء الثقيل والاحمق اى والخلاص عن ملاقاة الثقلاء والحمقى ومشاهدة اخلاقهم ومقاساة احوالهم فهو اشد البلايا اى المعنوية فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له فى الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى عنهما ان كفانى رؤية الثقلاء وانت منهم وقيل النظر الى الاحمق حمى باطن وافات اى فى العزلة وهى عشرة فوات التعلم فهو مقدم على العزلة لانه فى العبادة العلمية والتقوى العملية البدر ولذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل وفى لطايف العارف الجامى قدس الله سره السامى ان العزلة بغير عين العلم زلة كما انها بغير زى الزهد علة والتعليم اى وفواته اى وفواته فهو اولى من العزلة ايضا اى التعلم ان كان التعليم فى علم الاخرة اى علم ينفعه فى العقبى وراعى حق الله تعالى بالاخلاص وابتغاء وجه ربه الاعلى وكذا بالاحتراز عن الذمايم كالريا وحب الجاه من الاستكثار بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وساير الاخلاق فالذى يميز فى الاحوال يحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل اذا اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فايدة ليقينه بل يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة للعلم وتبيينه ولا يطلبه غالبا الا للتوصل الى

التقدم

التقدم على الامثال وتولى الولايات واجتلاب الاموال واستتباع الاذلال على الجهال فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فالاعتزال عنه وكتمان العلم منه من اكبر الكباير فورد اذا ظهرت الفتن وسكت العالم فعليه لعنة الله لم احد له اصلا وقد قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد قيل انما فسدت الرعية بفساد الامرا وما فسدت الامرا الا بفساد العلما ومن هنا قيل فساد العالم فساد العالم فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الدا الدفين الذى ليس له الدوا والا اى وان لم يكن تعليمه وتعلمه فى علم الاخرة فالعزلة متعينة بل واجبة كما فى زماننا لذهاب علم الاخرة من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة فى اكثر البلدان والعمل عليه اى ولذهاب العمل على طبق العلم فى عامة اهل الزمان ولا ينبغى ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وان الفقها يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واما العلم الذى اشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القران ومعرفة سير الانبيا والصحابة فان فيها التخويف والتحذير فان لم يؤثر فى الحالة قد يؤثر فى المال فاما الكلام وجدل الخصام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات فلا يرد الراغب

فيصل الدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ونهاية
امره ومن هنا قال بشر الحافي حدثنا باب من ابواب الدنيا وتعذر
رعاية الحقوق اي ولتعذرها او تعسرها من حقوق الاستاذية
والتلامذة فعن ابي سليمان الخطابي دع الراغبين في صحبتك
والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء
السرائر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم
كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة
وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم وحسن
الحال في المآل بل الجاه وكثرة المال وان يتخذوك سلما الى
اوطارهم وحمارا في حاجاتهم واوزارهم ان قصرت في غرض من اغراضهم
كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك
ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم
ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا وموج الفتن اي ولغلبة
الفتن وما يترتب عليه من انواع المحن ما ظهر منها وما بطن فانك
ترى المدرس في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن
يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه
فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد
مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت من
مال المسلمين من اليتامى والمساكين ثم لا يزال العامل يسترقه

ويستخدمه

ويستخدمه ويستبذله الى ان يسلم اليه ما تعذر من نعم مستانفة
من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم
مقته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التمييز والمعرفة ب
الحقوق وان فاوت بينهم سلقته السفهاء بالسنة حداد وثاروا
عليه ثوران الاساود والاسد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا
وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والانتفاع اي وفواته من
الغير وكذا النفع الغير بالكسب للكفاية اي لكفاية نفسه عن ابناء
جنسه او الصدقة على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق
القناعة فهو اي الكسب وفي نسخة فهي اي الصدقة اولى من عمل
الظاهر كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن وتوضيحه ان حالك
لا يخلو من ان تكون محتاجا الى القوت اولا فان كنت محتاجا اليه
فاشتغالك بالكسب اولى بل فرض كما لا يخفى وان كنت مستغنيا عنه
فلا يخلو اما ان تكون في خلوتك مشغولا بالاعمال الظاهرة فالكسب
للصدقة افضل من العزلة لتعدي المنفعة واما ان تكون مشتغلا
بالاعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله والتفكر في
صفات الله والتذكر لاحوال الاخرة في عقباه والشوق الى لقائه
والذوق الى مقام رضاه فالعزلة اولى من الكسب لبقاء المنفعة
ودوامها وتمامها في الدنيا والاخرى والتادب اي فوات كسب
الادب وتحصيله بالارتياض اي المجاهدة وقبول رياضة النفس
والمعاودة في البداية والتاديب اي وفوات تعليم الادب
بالرياضة في النهاية وهو كالتعليم في مقام الهداية وفي الاحياء

ويعني بالتأديب الارتياض من مقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم يتهذب بعد اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته واما التاديب فيعني به ان يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وللترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم والموانسة اي وفوات الاستيناس والايناس بالناس في المصاحبة والمجالسة كالانس بملازمة ارباب التقوى من الاولياء وبمواظبة اصحاب الفتوى من العلماء وانما سمي الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لا سيما والمومنون اخوة وبينهم زيادة الفة لقوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولقوله عليه السلام المومن يالف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف رواه سهل بن سعد فهي اي الموانسة مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة اي كما هو في العادة والرفق في العبادة من حزم اهل الارادة فورد ان الله لا يمل حتى تملوا وقد تقدم ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين فاوغل فيه برفق داب المستنصرين ولذا قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لو دخلت بلدا لا انيس لها وهل يفسد الناس الا الناس قلت وكذا لا يصلح الناس الا الناس ومن هنا قيل ما زينة

الناس

الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته في اليوم والليلة من ساعة فيجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك شيئا من طاعته فقد قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقد تقدم وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين فهذا النوع من الجلوة في بعض الاوقات قد تكون افضل من الخلوة في تحسين المقامات فقد ورد نوم العالم عبادة ومنه كلميني يا حميرا وثواب اقامة الجمعة والجماعة اي وفوات اقامتهما وادامتهما ونحوهما من حضور الجنازة وصلوة العيدين ومجالس العلم ووقوف عرفة وامثالها وحقوقهم اي وفواتها كالعيادة للمرضى والتشييع للجنازة ومنها اجابة الدعوة في نحو الوليمة وقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعيادة المرضى وحضور الجنازة بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال ميلا الى الفرار تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة والتواضع اي وفواته من اداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة فقد يجد التكبر عليها اي على العزلة وغلا منه ان يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ولو كان لذا الاشتغال بذكره والاستغراق

في نكره لبعض زيارة الناس اليه وتوقفهم عليه ليشغلهم عن المقصود
لديه ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من
هو كبير بعمله او دينه فقد كان علي يحمل التمر والملح في ثوبه ويده
ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة
الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة وهو والي
على المدينة والحطب على راسه طرقوا للاميركم وكان عليه السلام
يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني
احمله فيقول لصاحب المتاع احق بحمله رواه ابو يعلى من حديث
ابي هريرة في حمله سراويله الذي اشتراه ثم اعلم ان من حبس نفسه
في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا
ولعذاب الاخرة اشد وابقى فلا تستحب العزلة الا للمستغرق الاوقات
بربه ذكرا وفكرا وعلما وعبادة واشتغالا بامره تجردا وزهادة
بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت افاته او تشوشت
عليه عباداته فمن شغل نفسه لطلب رضى الناس فانه مغرور
لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه شيئا وان ضره
ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس
بسخط الله سخط الله عليه الحق وسخط عليه الخلق بل رضى الناس
غاية لا تدرك ولذا قيل •

• من راقب الناس مات غما • وفاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم

الا

الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال
للقائل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة
الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت
ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال
موسى يا رب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم
اصنعه لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم
تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك
عندي من المتواضعين وفي الحديث النبوي اذكروا الله حتى يقولوا
مجنون وقد قالوا في حق اعقل الخلق مجنون وساحر ومسحور وكذاب
وشاعر ومغرور والتجارب ى وفوائده فانها تستفاد من المخالطة
ولا توجد في العزلة فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد
والغضب وسائر الاخلاق الذميمة انما ينفجر ويظهر انهارها من
القلوب السقيمة اذا احرك بادخال الحركة المستقيمة كما يشير اليه
اخبر تخبر تقله وقولهم حرك ترى ما يجري فيتعلق بها اي بالتجارب
مصالح الدارين من المناقب والمراتب لا سيما الرياضة في ترك
المناصب وعند حصول المصايب فمن هنا كانوا يجربون انفسهم
فمنهم من كان يحمل قربة ماء او نحوه بين الناس على ظهره او حزمة
حطب على راسه ويتردد في الاسواق لتجربة نفسه اذا استشعر
كبرا في باطنه فان غوايل النفس ومكايدها قل من يتفطن لها
فقد حكي عن واحد انه قال اعدت الصلاة ثلاثين سنة مع اني
كنت اصليها في الصف الاول ولكني تخلفت يوما لعذر فما وجدت

موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلاتي كانت مشوبة بالريا فالمخالطة لها فايدة ظاهرة في استخراج القبايح واظهارها ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق واذا عرفت هذا فان تحققت الفوايد وانتفت الافات فاختر العزلة والا فالخلطة وان تقابلا فخذ بالارجح في المسئلة والاصل الاستفتاء من القلب اذا كان مشحونا بذكر الرب والافضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعي الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء في المحادثة فكن بين المنقبض والمنبسط وكذا قيل كن وسطا وامش جانبا ويومي اليه في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وحقها اي العزلة نية الاحتراز اي الاحتراس عن شر النفس وما فيها من الوسواس والغير اي وغيرها من الجنة والناس فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الابرار ثم طلب السلامة من شر الاشرار والتقصير في رعاية الحقوق اي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الانام ثم التجرد للعبادة اي ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة وتهذيب الاخلاق بان يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الامل وانتظار الاجل والسلوك

في طريقه تعالى لمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته وعدم الناس عن اخبار الناس وافعالهم واراجيفهم في احوالهم والقناعة باليسير الى المعيشة والصبر على ما يلقاه من اذى الجيران وغيرهم وعدم الاصغاء الى ما يقال في حقه من مدح فيه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة وينبغي ان يكون له اهل صالح او جليس معتمد عليه يستريح نفسه اليه في اليوم ساعة من كد المواظبة في الطاعة ثم لا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه مما يوافقه وينافيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل وتقريب الاجل والحضور في نحو الجمعة فانه فرض والجماعة فانه واجب او فرض او سنة موكدة والعيد فانه واجب او سنة من سنن الهدي وشعار اهل التقى والحج فانه طريق اهل السلوك ومجلس العلم فانه لا يستغني عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك ويجوز الترك اي ترك الحضور في تلك الامور عند معارضة منكر الحضور منه اي من ترك الحضور والاحب حينئذ ان يسكن موضعا بعيدا من العمارات يسقط اي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المامورات والسكون في رباط السالكين اي خانقاه الصالحين يفيد سلامة العزلة عن آفات الخلطة وبركة الجمعة والجماعة والتعاون على البر والتقوى والتادب باداب اهل الشرع والتقوى فلسان الحال افصح من بيان القال وورد في التنزيل اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق اي الموصل للعزلة

الاستغراق بالعبادة ذكرا وفكرا وعلما وعملا وصبرا وشكرا وصحوا
ومحوا وسكرا وفناء وبقاء وقبضا وبسطا فالاستيناس
بالناس من الافلاس اي من علامة الافلاس عن مقام الايناس فاذا
رايت نفسك تتطلع الى سلامهم وكلامهم وملاقاتهم في
مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ وفي الحديث نعمتان
مغبون فيهما اكثر الناس الصحة والفراغ وقيل ان الشباب والفراغ
والجدة مفسدة للمرء مفسدة ومتى عانقت العبادة ولازمتها
حق الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة واستانست
بكتاب الله واياته واخبار رسوله واثار صحابته استوحشت
عن الاغيار على انه ليس في الدار غيره ديار في نظر الابرار وفي
بعض الاخبار ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجاة
يستوحش من كلام الناس ويجعل اصبعيه في اذنيه كيلا يسمع
كلامهم ولا يفهم مرامهم فعليك بما قال بعضهم اعبد الله
صاحبا ودع الناس جانبا شاهدا كنت فيها او غائبا تقلب
الناس كيف شئت تجدهم عقاربا واقطع الطمع عن الخلق بل عن
الحق ايضا بان يعطيك غير ما قسم لك فيهون عليك امر الخلق
والنظر اليهم والطمع فيهم فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضرره
فوجوده وعدمه سوا عليك وقبوله ورده مستو لديك وهذا
نبذة من توحيد الافعال حيث قال تعالى اخبارا عما لهم من الاحوال
واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

وذكر

وذكر الافات اي افات الخلطة وفوايد العزلة وايثار الخمول فانه
الراحة وضده الشهرة فيها الافة وهي صفة الخمول فضيلة
عظيمة ومنقبة جسيمة وقد قيل في تعريفه هو اسقاط النفس عن نظر
الخلق فرب اشعث اي متفرق الشعر اغبر مغبر الوجه ذي طمرين اي
كساءين اسودين او ازارين خلقين لا يوبه له اي لا يعتبر له عند اكثر
الخلق لو اقسم على الله في شيء نفيا او اثباتا لابره اي لجعله الحق بارا
في قسمه ذلك بان يجعله مطابقا لما اراده هنالك والحديث رواه
مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ رب اشعث مدفوع بالابواب لو
اقسم على الله لابره وللحاكم رب اشعث اغبر ذي طمرين يبنو عنه اعين
الناس لو اقسم على الله لابره وقال صحيح الاسناد ولابن ابي الدنيا ومن
طريق الديلمي من حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يوبه لو اقسم على الله
لابره او قال اللهم اني اسيلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا
شيا وفي الاحيا عن ابي هريرة مرفوعا ان اهل الجنة كل اشعث اغبر
ذي طمرين لا يوبه الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن لهم واذا
خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتجلجل
في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وسكت عليه
مخرجه وفي رواية ان من امتي لو اتى احدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه
ولو سال الله تعالى الجنة لاعطاها اياه الطبراني في الاوسط من حديث
ثوبان باسناد صحيح وزاد في الاحيا ولو سأله الدنيا لم يعطها اياها
وما منعها اياه لهوانه عليه بل كرامته لديه قال مخرجه وروي
مرسلا ولو اتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كالانبيا والمرسلين

والخلفا الراشدين والايمة المجتهدين من العلما والصلحا المعتمدين
الا ان فيه اى فى اتباع الجاه فتنة للضعفا اى ابتلاء ومحنة
لغير الاقويا حيث لم يتلذذوا بحال الفقرا فى خاطرهم ميلا الى مقام
الاغنيا وذهلوا عما ورد من ان سليمان يدخل الجنة بعد سائر
الانبيا بخمسماية وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة
بعد فقرا المهاجرين بخمسماية عام فى الاحيا ان عذاب الكافر
الفقير اخف من الغنى فى دار البقا فورد من حديث انس عند البيهقى
حسب امرى من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس بالاصابع
فى دينه اى بالعلم والعمل اى مخافة عجبه وغروره ودنياه اى
بالمال والجاه اى خشية كبره وبطره وفسر الحسن فى دينه بالبدعة
ودنياه بالفسق وانما المذموم حب الجاه اى لا وجوده وشهوده
فورد فى التنزيل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض اى لا يحبون اعتلا بالجاه والمال اذ لا يريدون استعلا
بغير الحق ولا فسادا بحال الخلق بل يريدون صلاحا لاهل الحق
لكن كما قيل اخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان
من حيث المشيخة وباب السياسة والحاصل ان الله سبحانه علق
جعل الدار الاخرة بنفى ارادة العلو المستلزم بحب الجاه دون
نفس الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حب له
واصله اى الجاه انتشار الصيت واشتهار السمعة فالخمول
محمود الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة
منه لقوة يقينه وحقيقته اى الجاه ملك القلوب المطلوب

منها تعظيمها وطاعتها الموصلة الى المقاصد اى الدنيوية قد يكون لدينية
والاخروية قال ابن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب
السختيانى ما صدق عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان
انه كان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابى العالية انه
اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وقال بشر لا يجد حلاوة الاخرة
رجل يحب ان يعرفه الناس وعن معاذ بن جبل ان اليسير من الريا شرك
وان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبرا مظلمة
الطبرانى والحاكم وصححه وقال الفضيل بلغنى ان الله عز وجل يقول
فى بعض ما يمن على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك
وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك من ارفع خلقك واجعلنى
فى نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك وقال
الثورى وجدت قلبى بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب خوف
وعبادة وهو اى الجاه اشهى اى الذ من المال ولذا يبذل المال
لتحصيل الجاه ولانه يحصل به المال ولو فى المال تحصيل الغرض
من حظ النفس واتباع الهوى به اى بالجاه ايسر اى اهون من تحصيله
بالمال مع انه اى الجاه مامون من نحو السرقة والغصب بخلاف المال
ونام اى منتشر فى العالم دون المتعب ببذل المال وبيانه ومطاع
بالطوع اى بالرغبة فى خدمته لارباب الكمال واصحاب الجمال
فخر اى الجاه ان كان بارتكاب ذنب كالكذب بكونه علويا فى
النسب او من نسل الملوك والعلما والمشايخ فى الحسب والخداع

يا ظهار انه عالم او ورع او شريف ولو بخلافه من جاهل او فاسق
او وضيع ومن هنا قيل فمن ادعى المشيخة فان كان صادقا فهو افضل
الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلايق وقد ورد ما ذئبان ضاريان
في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم
رواه النسائي والترمذي وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك
وبيع العبادة اي وحرام ان كان يبيعها وهي من امور الدين بشيء
من امور الدنيا مالا او جاها لجعلها اي العبادة النافعة في
العقبى وسيلة للدنيا الدنية الفانية جناية وعلى نفسه خيانة
والا اي وان لم يكن حب الجاه بارتكاب ذنب ولا ببيع عبادة فمباح
وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوبا
كما ورد في يوسف قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم اي
مخاطبا لملك مصر فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان
محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله دينا نفعا لغيره في امره والاولى
لغير الاقويا الاحتراز عنه اي عن طلب الجاه فانه لا يخلو عن خطر
حظ نفسه وما يهواه ففيه افات اربعة وهو النفاق فلان صاحب
الجاه لا يستغني عن المداهنة في الاخلاق وهي مخالفة الظاهر
الباطن قولا او فعلا واضطراب القلب اي تزلزله عند ظهور
العيوب لشغله برعاية القلوب وحفظ الجاه اي تمامه بين العباد
ودوامه في البلد ودفع الحساد اي ضررهم وشرهم المعتاد
الا قدرا استثناء من الاحتراز اي الا قدرا يسيرا من الجاه يعين
على الطاعة ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة كاستمالة

قلب

قلب خادم يتعهد امورا ضرورية للمخدوم او رفيق يعاون في السفر
او الحضر على البر والتقوى ومحافظة امور العقبى وسلطان يدفع
الشر والبلوى والسبب اي سبب حب الجاه ثلاثة طول الامل اي
بتبعيد الاجل وخوف الافة اي توهم المحنة التي تكون منشأ للمهنة
وتوضيحه ان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال
فانه طويل الامال يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف
فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه فلا يدفع
الم خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال اخر يفزع اليه ان اصاب
هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للجاه يقدر
طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات
وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال او الجاه ومن هنا
ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال الطبراني
وغيره ولو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ
جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستدعاء الطبع
اي استشعار الكمال الحقيقي او الوهمي لتحقق الطبع اي الخلق الربوبي
في الانسان منه الاستعلاء والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار
العظمة والكبريا ان معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود
على سبيل الاستقلال وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا
بالكمال في الجمال والجلال ولذا قال بعض الصوفية ما من
انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى
ولكنه ليس يجد مجالا وفي الاحيا ولهذا قال فان العبودية

قهر على النفس والربوبية اى التوحد بالكمال والتفرد بالوجود
مع الاستقلال محبوبة بالطبع ولكن لما عجزت النفس عن درك
منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال في جميع الاحوال كالسبعي
من القتل والجرح والضرب والايذاء والشيطاني كالمكر والخديعة
والاغواء والبهيمي من الاكل والشرب والوقاع من النساء فيحب
اى الانسان بالطبع الربوبي الاستعلاء بالاسترقاق اي
استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد الاحرار
ان امكن الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فيهم
بالاستسخار كما في الاجساد الارضية من نحو النخل والاغراس
والاشجار بالقلع والابقاء والابداء والافناء وكالدراهم
والدنانير والامتعة فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها
ما يشاء من الرفع والوضع والعطا والمنع فان ذلك قدرة والقدرة
كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع
والجبلة الخلقية ولذا احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها
في ماكله ومشربه وملبسه وشهوات نفسه ثم بالاستمالة
اى بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغلبة او باطنا ورغبة كما في
القلوب طوعا وكرها ثم بالاطلاع اى الاشراف كما في السموات
وفي نسخة السماويات اى اخبارها وامورها واسرارها وعالم
الملكوت من العرش والكرسي وحولهما من الملائكة وانوارها
او المراد بالملكوت عالم الباطن لما يخطر من الخطرات والعزائم
في الحركات والسكنات والحاصل ان مطلوب القلب الكمال

والكمال

والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور
كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب
في كون العلم والمال والجاه من المحبوب وهو امر وراء كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى
مع سقوط الشهوات واللهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح
للتوصل به الى قضاء الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض
والاعواض ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب والمشكلات
لان في العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو
من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام
العبودية والعلاج اى علاج رفع حب الجاه خمسة اشيا العلم
بانه اى الجاه الدنيوي كمال وهمي ليس في الواقع كالحقيقي لزواله
بالموت انتهاء وبحدوثه ابتداء ولان القدرة الحقيقية له تعالى
ازلا وابدا او فيه اى في الجاه الوهمي الصوري التشبه بالسباع والشياطين
والبهايم كما تقدم واما الحقيقي اى الكمال فمعرفته تعالى ومحبته وما يعين
عليه اى على الكمال من العلم والعمل كما حكم به شريعته وانما يكون هذا
كمالا حقيقيا لبقائه بعد الموت فالكمال الحقيقي ينتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانبه وفيه اى وفي هذا الكمال التشبه بالانبيا
والملائكة الموصوفين بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية
فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم
غافلون واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذي
لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا بقاء له في المال او عرضوا

عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما لدنيا واذا حصل كان ابديا لا
انقطاع له لكونه سرمديا فهولاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم
الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم
والقربة هي الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس واما المال
والجاه فيفنى فى الحال او المال كما مثله الله تعالى بقوله انما مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
الاية وافات الدنيا اى والعلم بها وخساستها اى دناءة
نفسها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة
فنائها فلله در القايل •

اشد الغم عندى فى سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا •
ولاخر من اهل الفضايل •
اضغاث احلام وظل زايل • ان اللبيب بمثله لا يخدع •

وما ورد اى والعلم مما جاء من السنة فى ذم الجاه ومدح الخمول
على ما تقدم واحوال السلف فى ايثار العقبى على مناصب الدنيا
ومعاونة بعضهم لبعض فى البر والتقوى فقد كتب الحسن البصرى
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت
قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكتب
عمر بن عبد العزيز فى جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك
بالاخرة لم تزل فهولاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم

لها

لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا الجاه والمال
فى الدنيا وبصاير اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد
نورها الى مشاهدة العواقب الاجلة كما قال تعالى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة ومباشرة امر بالرفع عطفا على العلم اى والعلاج
العمل وهو مباشرة فعله يسقطه اى جاهه وقدره عن قلوب
الخلق واعينهم ويفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويقنع بنظر
الخالق وقبوله وهذا طريق الملامتية الطالبين للحالة السلامتية
كشرب الماء الحلال فى قدح يشبه الخمر لونا اى يشبه لونه لون الخمر
حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا فى جوازه نظر
من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا
يفتى به الفقيه مهما راوا صلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط
منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبال
الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف فى الطريق
حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص
الحمام الا ان يكون متبوعا اى من المقتدين حيث لا يجوز ان يفعل
ما لا يكون بظاهره مشروعا فانه يوهن الدين فى المسلمين فاما الذى
لا يقتدى به فلا ينبغى له ايضا ان يقدم على محظور لاجل ذلك
فيباشر ما يرى مباحا مما يسقط قدره عند الناس كاظهار
الشره بفتحتين اى الحرص فى الطعام كما روى ان بعض الملوك قصد
بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ

يأكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه
وانصرف فقال له الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى وهذا بالنسبة
المتقدمين واما فى زماننا فمن عمل بالكتاب والسنة فى اموره لم
يلق صديقا فى دهره مدة عمره والاقوى فى المعالجة القناعة
بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء
بما لا بد منه للاحياء كلقمة يستدفع جوعه وخرقة يستر عورته
وبيت يدفع عنه حره وقره والاغتراب اى وطلب الغربة والعجز
الى موضع الخمول وعدم الشهرة اما الاعتزال فى الوطن فلا
يخلو عنه اى عن نوع من الجاه لمعرفة الناس به فان المعتزل فى البلد
التى هو فيها مشهور لا يخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترسخ
له فى القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه
وهو مغرور لانها انما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها
ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتألمت
ثم لا يمكنه ان لا يحب المنزلة فى قلوب الناس ما دام يطمع فيهم
فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع الطمع عنهم
اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالى اكان له منزلة
فى قلوبهم كما لا يبالى بما فى قلوب الذين هم منه فى اقصى المشرق
او المغرب لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ثم لا ينقطع الطمع عنهم
الا بالقناعة فمن قنع شبع واستغنى عن غيره ومن هنا ورد
لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر ثم الاولى
فى باب العلاج كراهية المدح وحب الذم فان معالجة الفساد

انما يكون

انما يكون بالاضداد فورد ويل للصايم ويل للقايم ويل لصاحب الصوف
الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة كذا فى
الاحيا وقال لم يخرجه لم اجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث انس
ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده فى مسنده
ثم التسوية اى تسوية المدح والذم بان لا تغمه المذمة ولا تسره
المدحة قال بعض السلف اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك ان
يقال بيس الرجل انت فانت والله بيس الرجل وهذا قد يظن بعض العباد
بنفسه ويكون مغرورا به ان لم يمتحن نفسه فى حال انسه ويعرف
استوا المدح والذم بتسوية المادح والذام فى استثقال جلوسهما
عنده والفرح بسرورهما والغم بمصيبتهما وحزنهما ونحوه من المنع
والعطاء فى فعلهما والسعى فى قضاء حاجتهما وما ابعد ذلك عن قلوب
اكثر العباد من العلماء والعباد والزهاد وقال وجد ذلك فهو الكبريت
الاحمر يتحدث به ولا يرى ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم
ولكن لم يؤثر فيه فهذا على خير كثير وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص
الذى هو سبب الخلاص من المناص ثم عكس الاول الذى ذكر فى المرتبة
الاولى وهو ان يحب المدح ويكره الذم فى الضمير دون اظهارهما قولا
وفعلا فى وجههما بضرب وشتم او ثناء وعطاء ثم اظهارهما اى اظهارهما
القول والفعل فى مقابلة المدح والذم فيقابل الذام بالشتم
والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال اكثر الخلق وحب المدح
كحب الجاه حرمة ان كان بارتكاب ذنب واباحة ان كان بامر
مباح ونفعا ان كان لدفع شره وضرا ان كان بجلب نفع محرم كما

سبق مفصلا والسبب لحب المدح ثلاثة الشعور بكمال النفس اى استشعار
الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك الراجح وتقول
لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان
كنت متصفا بها فهى اما ان تكون صفة تستحق بها المدح كالعلم
والورع فينبغى ان لا تفرح بها لان الخاتمة غير معلومة واما صفة
لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الارض
مما تذروه الرياح بل بوجودها فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها
فلا يجب ان يفرح به بل سبب وجودها هو الله سبحانه فهو المستحق للحمد
والثناء تبارك وتعالى ومنه قوله عز وعلا قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وان كان الصفة التى مدحت
بها وفرحت بسببها انت خال عنها ففرحك بمدحه غاية الجنون
عند اهل الفنون اذ مثال ذلك مثال من هو يهزا به انسان ويقول
سبحان الله ما اكثر العطر الذى فى احشائك وما اطيب المسك الذى
فى اعضائك وانت تعرف نفسك بكثرة الاقذار والنتن فى اثوابك
واجزائك والاستيلاء على المادح فان المدح يدل على تسخير قلب
المادح واستمالة قلوب السامعين فهذا يرجع الى حب الجاه وعلاجه
بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله فيقوى اى حب المدح اذا حصل
من المعتبر علما وعملا اكثر واظهر من غيره والمرتفع قدره فى الجاه
والمال وفى نسخة المرتفع اى من اهل التصدر فى المجالس المحافل
وان لم يكن من ذوى الفضائل وفى الملاء اقوى من الخلاء وفيه خطر
للممدوح ولذا قال عليه السلام للمادح ويحك قطعت ظهره لو

سمعك

سمعك ما افلح الى يوم القيامة والعلاج اى علاج حب المدح شيئان
علاج الجاه اى حبه وقد تقدم حكمه وعلمه اى الممدوح ان
الصفة الممدوح بها ان فقدت بان يكون كذبا فاستهزاء وهذا
كثير فى قصايد الشعراء للاغنياء والامراء وقد ورد اذا رايتم
المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب وهو كناية عن الخيبة
او ايماء الى دفع شرهم بباب من الابواب وسبب من الاسباب
من اعطاء الدراهم والدنانير والثياب ونقد ورد ما وقى به
العرض فهو صدقة وان وجدت اى تلك الصفة بان يكون صادقا
فى قوله فالدنيوية من المال والجاه كمال وهمى والدينية من
العلم والعمل موقوفة على الخاتمة اى حسنها وهى غير معلومة فانما
الاعمال بالخواتيم كما ورد والاولى فى علاج حب الجاه اظهار
البغض للمادح قطعا للفتنة ومن هنا كان الصحابة على وجل
عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور بمدحته
وما يتفرع عليه من محنته حتى ان بعض الخلفاء الراشدين
سال رجلا عن شئ فقال يا امير المؤمنين انت خير منى واعلم
فغضب وقال انى لم امرك ان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لن يزال
الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك
عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك
فاشهدك على مقته واكرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح
الخلق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله يبغض اليهم
مدح الخلائق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى

والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الاشرار في دار البوار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذ افرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وبرحمته وليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذم من سواه وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من امر دينه وحب ربه وسبب كراهة الذم النقايص المذكورة اى الاسباب المسطورة في حب المدح من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب السامعين والعلاج لكراهة الذم علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت فيك سوا قصد القايل به النصيحة او التعنت والفضيحة فتبصير العيوب وهو مطلوب اهل القلوب وفيه الفرح بالاطلاع على الصفة الذميمة والتشغل بالازالة اى بازالة الصفة المذمومة على نفسك ان قدرت عليها وليس للكراهة مجال لديها فعن عمر رضي الله عنه رحم الله من اهدى الي بعيوب نفسي وان فقدت تلك الصفة بان يكون القايل كاذبا في المذمة فكفارة الذنوب اى لبقيتها مساويك فكانه رماك بعيب انت بري منه وطهرك عن عيب انت متلوث به وفيه الشكر له تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بري منه وما ستر الله من عيوبك اكثر فتدبر والترحم عليه اى على الذام حيث اهلك نفسه بذمك فالمسكين جنى على دينه حتى سقط عن عين ربه واهلك نفسه بافترايه وتعرض لعقابه الاليم يوم جزايه فلا ينبغي ان

يغضب

يغضب عليه مع غضب الله بل يقول اللهم اهلكه ونحوه فيشمت الشيطان به وبه بل ينبغي ان يكون رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه تب عليه اللهم ارحمه اللهم اهده وورد في دلايل النبوة للبيهقي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون دعا اى النبي عليه السلام لقوم من كفار قريش كسروا سنه فلهم عليه السلام اى رباعيته وشجوا راسه وذلك باحد ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال علمت اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة بما اعطاه الله من الحلال وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال واما ما دام الطمع قايما فكان حب المدح والجاه يغلب في قلب من طمعت فيه دايما

الباب الثاني عشر في التواضع وذكر المنة

اى في مدحهما وذم ضدهما وهما الكبر والعجب بسم الله الرحمن الرحيم الذي يتواضع له العرش الكريم ورد في الحلية لابي نعيم عن ابي هريرة من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر على الله وضعه وللبيهقي في الشعب عن ابن عباس اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وللاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث انس ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ولمسلم في اثناء حديث لابي هريرة وما تواضع احد لله الا رفعه الله ولاحمد والبيهقي في الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله ابن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله في النار على وجهه

وللترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم وللترمذي من حديث اسما بنت عميس بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلا بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى رواه الحاكم في مستدركه وصححه الشرف التواضع فلابن ابي الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وعن عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها الا التواضع وقال الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وعن ابن المبارك التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه ان ليس عليك بدنياك فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالا وضده التكبر وهو اتباع الكبر واظهاره كما ان التواضع اتباع الضعة واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره في صفة الكمال فمن تكبر على امثاله فهو متكبر في حاله ومن تاخر عنهم فهو متواضع في مقام كماله وهو اي الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفة الكمال فيحصل به نفخة اي انتفاخ الكبر في نفسه وعن ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها

وفي

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وعن ثابت بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم تجبر فلان فقال اليس بعده الموت اخرجه البيهقي في الشعب هكذا مرسلا ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر وفي الاحياء ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يضعها او يرفعها وورد اعوذ بك من نفخة الكبر روى ابو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه فنفخه الكبر ونفثه الشعر او السحر وهمزه الوسوسة في السر والجهر اي علامات الكبر ثلاثة عشر الترفع في المجلس على الاقران اي من غير استحقاق له به والتقدم في الطرق على الاخوان مع استحقاقهم له قال ابو الدردا لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان عليه السلام في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره واما لنفي وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انه نزع الثوب الجديد في الصلوة ولبس الخليع لاحد هذين المعنيين كذا في الاحياء والمعروف

نزع الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة والبس الانبجانية
كما تقدم والله اعلم وللديلمي في مسند الفردوس من حديث
انس انه بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي الى البقيع فتبعه
اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك
فقال اني سمعت خفق نعالكم فاشفقت ان يقع في نفسي شيء من
الكبر والنظر الى الغير بالماق اي بطرف العين تكبرا وتجبرا
قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ومن الاستحقار
بان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه
٣ فعن ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه
فنحيت نفسي عنه فاخذ بثوبي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون
بي ما تفعلون بالجبابرة اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال
انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت
وقد تقدم مخرجه ومن ذلك ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين
وعنهم يتحاشى فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص
ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته وقد ثبت اكله عليه السلام
مع مجذوم وقال له قل بسم الله ثقة بالله رواه ابو داود
والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وتعويج العنق مع تحريك
الاطراف واطراق الراس فروي ان عمر بن عبد العزيز قبل ان
يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه
باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خراء فقال

عم

عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى
تعلمتها وعن الحسن ان في كل عضو من الاعضاء لله نعمة وللشيطان
به لعنة وراى محمد بن واسع ولده يمشي يختال فدعاه فقال
اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك
فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولاحمد والطبراني والحاكم وصححه
والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من تعظم في نفسه واختال
في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ولعله مقتبس من قوله
تعالى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ومن قوله ولا تمش
في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وفي
الصحيحين من حديث ابي هريرة لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا
وفي لفظ مسلم خيلاء والاتكاء اي الميل الى احد جوانبه بحضور
اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضه في بابه وكذا حكم
التربع المشير الى الترفع وقيام الناس بين يديه فجاء اي
في الخبر والاثر ان من تقعد والناس بين يديه قياما مروا تقوم
بامره فهو من اهل النار والحديث معروف بلفظ من احب ان
يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار احمد وابو
داود والترمذي عن معاوية وفي الشمائل للترمذي عن انس
لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك وقال
الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال الشبلي من راى
لنفسه قيمة فليس له من التواضع حصة والتحقيق ان من راى

انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين
الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين
الخلق ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر
بينه وبين الحق والمشي اي الخروج راكبا مع المشاة بين يديه وترك
الخروج من منزله ولو الى المسجد الى الجمعة والجماعة الا بشخص او اشخاص
عقيبه وكان عليه السلام يمشي بين الجمع غير متقدم كما تقدم وعمل
البيت اي وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ففي
مسند احمد عن عايشة انه عليه السلام كان يخيط ثوبه ويخصف نعله
ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وللبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة
من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر وبالجملة فجامع حسن
الاخلاق يوجد من سيرته عليه السلام واتباعه من اصحابه الكرام ولما
عوتب عمر في بذاذة هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا
الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره وحمل السلعة اي وتركه فورد
من حملها اي سلعته وفي رواية بضاعته فقد برى من الكبر البيهقي
عن ابي امامة ولابي يعلى الموصلي عن ابي هريرة انه عليه السلام حمل
سروالا اشتراه لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال صاحب المتاع
احق بحمله وعن علي كرم الله وجهه •

• لا ينقص الكامل من كماله • ما جر من شيء الى عياله •

وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام
وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة
من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير

يا بن مالك

يا بن مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما
في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل
رحله وقال بعضهم رايت عليا يشتري لحما بدرهم فحمله في ملحفته
فقلت له احمل عنك يا امير المومنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل
ويروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف
قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك فقال اجل ولكني اردت
ان اجرب نفسي هل ينكر ذلك مني فلم يقنع منها بما اعطيته من
العزيمة على ترك الانفة حتى يخبرها اهي صادقة ام كاذبة وروي
ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير
المومنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها
وروي ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب
ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس واحتمال الاذى اي وتركه
فهو اي احتمال الاذى من السب وغيره هو الاصل الذي عليه مدار
حسن الخلق والتواضع للحق المانع والمروي عن السلف والخلف
خلافا لاكلة الحشيش والعلف وقد قدمنا ما نقل عنهم في ذم
الغضب وما يتعلق به من الادب ولباس الدون اي وترك اللباس
الخشن والخلق او المرقع فورد من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة
اي دفعها مع القدرة عليها تواضعا لله وابتغاء وجهه اي لا
للرياء والسمعة في حقه كان على الله اي واجبا بمقتضى وعده
ان يدخله عبقري الجنة اي ديباجها من سندسها واستبرقها
ابو سعد الماليني في مسند الصوفية وابو نعيم في الحلية من حديث

ابن عباس من ترك زينة الدنيا لله الحديث وقد ورد البذاذة من
الايمان ابو داود وابن ماجة من حديث ابي امامة بن ثعلبة وقال
هارون سالت عن معنى البذاذة فقيل هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده
الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اي جلد
وعوتب علي في ازار له مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب
وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس
اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وقيل لسلمان الا
تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست
اشار الى العتق في الاخرة وما اعد الله لعبيده من الثياب الفاخرة
ونزع عليه السلام الجديد اي من الشراك والخميصة ولبس العتيق
منهما للتعليم اي لتعليم غيره والبعد عن الوسوسة في نفسه على
ما تقدم الا للنظافة اي بقصدها فانه حينئذ لا باس بترك
الدون من اللباس ولبس الثوب الفاخر كما يراه الناس فمورد نفي
الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل اي لمعرفته عليه السلام
لحال السائل ومقامه من المرام ففي الطبراني من حديث ثابت بن
قيس بن شماس انه سال النبي عليه السلام وقال اني امرؤ حبب
الي من الجمال ما ترى فهل من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق
اي جهله وانكره وغمص الناس اي حقرهم رواه احمد من حديث
عقبة بن عامر وفي رواية ابن مسعود الكبر من كبر الحق وغمط الناس
وفي رواية الترمذي من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح

بلغ

وفي رواية

وفي رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انه ليعجبني ان يكون ثوبي غسيلا وراسي دهينا وشراك نعلي
جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه افمن الكبر هذا فقال
عليه السلام لا هذا من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه
الحق وظلم الناس ويعرف ايضا ان من يلبس للنظافة او لكونه مظهرا
للغنى شكرا للنعمة او لكونه فقيرا يرى نفسه غنيا للعفة بتسوية
الخلا والملا عنده في لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس في الخلاء
للصلوة وغيرها كما يلبس في الملاء عند حضور الجماعة ونحوها
ثم المحبوب الوسط المطلوب فللنسائي وابن ماجة من رواية عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير
اسراف ولا مخيلة والغضب بالرفع عطف على الترفع اي ومن اثار
الكبر الغضب على من لا يبدا بالسلام او لا يبادر بالقيام ونحوه
من انواع الاكرام والاهتمام بالرفع اي والاغتمام باصابة
الخصم المناظر اي المجادل في منقوله والانكار عليه اي وبانكار
الخصم عليه في معقوله وتوضيحه ان يناظر في مسئلة مع واحد من
اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فيثقل عليه قبوله
والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه
واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتق الله وليشتغل
بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر
عاقبته واذا الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف
نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه بالحمد والثنا

ويقر على نفسه بالعجز فى الاداء ويشكره على الاستفادة ويقول
ما احسن ما فطنت له من الافادة وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله
عنى خيرا علما بما ينبغى له فالحكمة ضالة المومن فاذا وجدها ينبغى
ان يشكر من دله عليها وافاته اى الكبر سنة منازعته تعالى
اى فى مشاركته سبحانه فى بعض صفاته فورد فى صحيح مسلم وغيره
الكبرياء ردائى اى بمنزلته فى ظهار ملكى وجبروتى والعظمة
ازارى اى بمنزلته فى اسرار ملكوتى والمعنى انهما صفتان مختصتان
بى كما ان رداء الانسان وازاره يختصان به ولا يشاركه احد
فى لبسه فمن نازعنى فيهما اى واحدا منهما كما فى رواية قصمته
اى اهلكته وفى رواية عذبته وفى رواية القيته فى جهنم
وفى اخرى قذفته فى النار ومبغضته تعالى اى له فى الدنيا
والاخرى فورد فى التنزيل انه لا يحب المستكبرين ومفهومه انه
يحب المتواضعين وعمى القلب بمعرفة الرب فورد فى التنزيل
ساصرف عن اياتى اى المنصوبة فى الافاق والانفس من مصنوعاتى
وقيل فى التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم الذين يتكبرون
تمامه فى الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان
يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه
سبيلا وفى بعض التفاسير حجب قلوبهم فى مشاهدة ملكى وملكوتى
وعجايب قدرتى وغرايب جبروتى وقال ابن جريج ساصرفهم عن
ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذا قال عيسى عليه السلام
ان الزرع ينبت فى السهل لا فى الوعر وكذلك الحكمة تعمر فى

قلب

فى قلب المتواضع دون المتكبر الا ترى انه من تشمخ براسه الى السقف
شجه ومن طاطا اظله واكنه ويطبع الله على كل قلب متكبر والاهانة
ودونها جبار مبالغ فى الفساد ومن قهر العباد وكسر البلاد والذل
اى المذلة فى العاقبة والمهانة فى الاخرة فللترمذى وحسنه من
رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده المتكبرون يوم القيمة فى
صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله وعنها ثم احببت الموت
على ثلاثة على الكبر والحرص والبخل فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى
من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدمه والحريص لا يخرجه
الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا والبخيل
لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره والبعث
اى التحريض والحث على الذمايم من صفات البهايم كتغيير الخلق
من اثر سو الخلق كالبشاشة الى العبوسة والجحد عن الحق اى بانكاره
وعدم اقراره وقد سبق فى الحديث تفسير الكبر المذموم به
ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف نجلس اليك وعندك هولاء الفقراء فنزل قوله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم رواه مسلم وابن ماجة والحجب اى
ومنعه عن الفضايل وحجره عن حسن الشمايل كالتواضع للحق
والحلم عن الخلق والنصيحة للعامة من غير الفضيحة والامر بالمعروف
اى وكذا النهى عن المنكر ولا يستلزمه اى الامر بالمعروف التكبر
فالعبد الرقيب بامر الحبيب يضرب ولد المولى عند الاساءة
ويتواضع له مع ذلك بعد تلك الحالة ثم التجسس اى طلب

الحسنة المسمى بالصنعة ويلوا الافراط فى التواضع كتاخر العالم عن الخصاف ونحوه من النداف والعلاف فى المجلس والطريق مذموم ايضا كعكسه وللبغوى وابن قانع والطبرانى والبزار من حديث النبى طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ومن ذلك حديث من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه وذلك لان الة العبادة البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود من قوله من خضع لغنى ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه وذلك لان الة العبادة قلب ولسان واركان وفى تعظيم الغنى لابد من استعمال اللسان والجوارح وله عن النبى بلفظ من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبته فانما يشكو ربه ومن دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه واخرج الديلمى فى حديث ابى ذر لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه وكذا ابو داود ولم يصب ابن الجوزى فى ذكره فى الموضوعات كما قال السيوطى ومن التخاسس بلا خسة ان يمشى العالم خلف الظالم ولذا قيل بئس الفقير على باب الامير ونعم الامير على باب الفقير وعن يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنيا احسن والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابناء

الدنيا

الدنيا بترك السلام فالتواضع معه اى مع الخصاف بعد مره الاستخفاف وعن الصديق لا يحقرن احدكم احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير ولمسلم من حديث ابى هريرة بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم واظهار البشر ونحو مرامه والرفق بحسب مقامه واجابة الدعوة فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه والسعى فى الحاجة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وحديث من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه لكن التكبر الخفى من التخاسس ذو ورد عن المشايخ ما يقال ربه وكانه كان فى مقام المعالجة والسبب اى سبب الكبر الحقيقى العجب فقط اى العجب سبب الكبر والكبر سبب التكبر فسبب سبب الشئ سبب لذلك الشئ وهو مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك الاخبار فى معرض الانكار ولابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجة اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بنفسك وللبزار والبيهقى فى الشعب من حديث انس لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وعن مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الى من ان ابيت قائما واصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا راوا ذكروا الله فاطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر ففطن له بشر فلما

انصرف من الصلاة قال لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس قد عبد
مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة
متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وكانه مقتبس من
قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وفي الصحيحين
بينما رجل يتبختر في برديه قد اعجبته نفسه خسف الله
به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ويطلق اى الكبر
مجازا اى بطريق المجاز لوجود اثاره اى اثار الكبر من اسراره
على المنبعث من غيره اى على الكبر المنبعث من غير العجب كالحقد
في الباطن والحسد اعم والرياء في الظاهر ويختص هذا الاخير
وهو الكبر المنبعث من غير العجب بالملاء دون الخلاء والمعنى
ان الريا يختص بالملاء دون الحقد والحسد والعجب فان
الذي يتكبر بها يستوي عنده الخلاء والملاء والحاصل
ان اثار الكبر اذا ظهرت من الكبر يسمى تكبرا مجازا لا حقيقة
لانها ليست من نتايج الكبر لكن لما كانت صورتها صورة
التكبر الحقيقي سميت تكبرا مجازا ثم اعلم ان العجب انما هو
بالاسباب التي بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه
بالراى الخطا الذي تزين له بجهله وثمرته الاستبداد
بالراى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرايه
والعلاج اى علاج الكبر خمسة اشياء ذكر ما ورد فيه اى في
ذم الكبر من الاخبار واحوال السلف الاخيار وما صدر
عنهم من الاثار في ترك الكبر واختيار التواضع ومواظبته

اختلاف

اختلاف المتواضعين من العلماء الابرار والمشايخ الكبار
والتكلف فيه اى في رفع العجب بدفع العجب والتكلف في
تحصيل اخلاق المتواضعين بالتشبه في افعالهم والتزين
باحوالهم والتصنع باعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة
والرياء قنطرة الاخلاص ويشير اليه حديث ان لم تبكوا فتباكوا
والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم وقلع العجب اى استيصاله من
اصله وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل
اصل قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه وهو
اى العجب استعظام النفس اى عدها عظيمة برؤية قدرها فوق
قدر غيرها وخصالها التي هي النعم فيها جسمية وروحية
مع الركون اليها اى الى النفس وما صدر منها وظهر عليها
ونسيان الاضافة اى نسبة النعم اليه تعالى وهو المنعم
بجميع النعم على جميع الامم والامن من الزوال لتوهم انه من
اهل الكمال فمن راى النعمة منه تعالى ابتداء وفرح بها من
حيث انها منه اى من الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وشكرا
وخاف على الزوال اى زوال تلك النعمة انتهاء لا يكون معجبا
وان كان مستعظما لها وهو اى العجب غير الادلال فهو اى الادلال عجب
مع روية حق النفس عنده تعالى على مظنة ان لها الكمال فلا مدلا الا
وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان
النعمة دون توقع جزاء والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فورد ان صلوة
المدل لا ترتفع فوق راسه وهو كناية عن عدم قبولها والحديث

كذا في الاحيا وقال مخرجه لم اجد له اصلا وقال قتادة في قوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك قيل ولان تضحك
وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك وبعلمك
ويعرف اي الادلال والمدل بالتعجب اي عجبه عن رد دعايه حال
استدعايه في كشف بلايه او استبطا بعطايه بنا على ظن انه من اهل
ولايه واستقامته حال موذيه اي ويعرف ايضا بتعجبه عن استقامة
اهل ايذايه وغير الكبر اي والعجب ليس عين الكبر بل غيره لكونه اي
الكبر اثره اي العجب والاثر غير الموثر واستدعايه اي ولاستدعايه
الكبر المتكبر عليه بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعي غير
المعجب به وهو اي العجب مذموم لما تقدم وآفاته اي العجب ثمانية
الهلاك فهو اي العجب عد من المهلكات فقد ورد ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه البزار والبيهقي والطبراني
في الاوسط عن ابن عمر ونسيان الذنوب فانه لو ذكرها لما اعجب
مع وجود الذنوب وعن عيسى عليه السلام كم من سراج قد اطفاه نسيان
الذنوب وكم من عمل قد افسده العجب واستحقارها اي استصغار
الذنوب وهو قد عد من كبارها وترك التدارك اي لما فاته من الطاعات
والعبادات وحقوق الادميين والحيوانات وتفقد افات العمل
اي وترك تفقدها وتعهدها على زعم انه مغفور اي بنا على توهم
انه غير ماخوذ بنقصها والامن من مكره تعالى ولو بالكرامات
وخوارق العادات فانه لا يامن من مكر الله الا القوم الخاسرون
والاستنكاف اي العار من التعلم عن الابرار وهذا من كمال الجهل

والاتعاظ

والاتعاظ اي ومن الاتعاظ بغيره وقد ورد كفى بالموت واعظا والسعيد من
وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره وتزكية النفس اي ومن افات
العجب ثناؤها ومدحها وورد في التنزيل لا تزكوا انفسكم تمامه
هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال عليه السلام اللهم ات
نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال ابن
جريج معنى قوله لا تزكوا انفسكم اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال
زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب
وضده مبتدا اي ضد العجب وهو ذكر توفيقه تعالى جملة معترضة
مفسرة للمنة التي هي ضد العجب فرض اي حتم لازم ان حدث داعية
العجب في خاطره والا فنفل في امر باطنه وظاهره والسبب اي سبب
العجب خبث الطبع وهو اي خبث الطبع دا معنوي معضل اي مشكل
واعتقاد كمال النفس دواله والجهل بالحقايق واعتقاد كمال النفس
اي بحقايق النفس ودقايقها وهو انها من اي شيء خلقت ابتداء وما تكون
في عاقبة امرها انتهاء فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه
اذل من كل ذليل واقل من كل قليل فانه لا يليق به الا التواضع والمسكنة
واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله وحده ثم معرفة
ربه وعظمته وجلاله فالقول فيه يطول وهو في علم المكاشفة يؤول
واما معرفة نفسه فيكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب ربه
ففيه علم الاولين والاخرين لمن فتح عين البصيرة ورفع حجاب
قلبه فقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة

خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وفي
الاحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جزيل والعلاج للعجب قلع
السبب له بالنظر اي بالتامل في حقارة النفس وخساستها فاولها
النطفة اي المذرة كما قال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء
دافق يخرج من بين الصلب والترائب واخرها الجيفة اي القذرة
وهو فيما بينهما يحمل العذرة وعن الحسن العجب لابن ادم يغسل الخراء
بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وكان الاحنف
ابن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاءه يوما ومصعب
ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى
اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وهو قد خرج من مجرى
البول مرتين وقيل في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو
سبيل الغائط والبول وفي قوله تعالى كانا ياكلان الطعام ايماء الى
انهما يبولان ويتغوطان انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى
يؤفكون اي يصرفون عن الحق ولا يعرفون انهما لا يستحقان الربوبية
مع ما ظهر فيهما من اثر العبودية ولابن ماجه والحاكم وصحح اسناده
من حديث بسر بن جحاش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما
على كفه ووضع اصبعه عليها وقال يقول الله ابن ادم انى تعجزني
وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين
وللارض منك وئيد اي رزانة وثقالة جمعت ومنعت حتى اذا
بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة ويروى
ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن ابي صفرة وهو يتبختر

في جبة

جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال
له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك
جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته
وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ثم قال
عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى والثاني بالنظر في انه لو استاذن للدخول
على امير البلدة ربما لا ياذن له اي لحقارته عنده فاي فائدة في عجبه
بنفسه والامير من اذل الخدام على باب الملك العلام وقد اذن الله
سبحانه حتى يعبده لديه ويثني عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه
مع معايبهما وعدم الثواب الجزيل على ادائهما في افضل مراتبهما واحوالها
اي وبالنظر في احوال النفس لها جهتان اي الاتية بغتة بالورود عليها
والوجود لديها كالحمى والشدائد المتنوعة جهة ابتلائها من الفقر والحرص
وسائر المصائب فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا
وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره فيقول منعني
من قوت يومي وانا الفاضل العاقل وافاض على غيري وهو الجاهل
الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام كاد الفقر
ان يكون كفرا ولا يدري المغرور بعلمه المغرور في جهله بانه لو جمع له
بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال
اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني
منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار
علي كرم الله وجهه حيث تبرما بالعقلاء فقرا فقال لان عقل

الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما راى الجاهل
الغنى احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا
من عقلك وفقرك لامتنع من ذلك ومن هنا قال تعالى نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
الايات وقال عز وعلا كل حزب بما لديهم فرحون وفى الحديث
اللهم قنعني بما رزقتني ولله در القائل

• رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعدا مال •
• فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال •

وقال عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا اى ممنوعا عن احد من خلقه وقال ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا فيعلم من
يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما وقد راى النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع
اليه ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو عليك فقره رواه
احمد وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد
فقال لي يا با ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه
ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه
خلقان فقال يا با ذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا
رواه ابن حبان في صحيحه واعمالها اى وبالنظر في اعمال النفس
اى من اعمالها واهمالها فاجرة اجير يعمل طول النهار ويجرى
ذلك الاجير طول الليل درهمان اى لذلك الاجير اولكل منهما

اذ يعلم

٤٥

اذ يعلم بان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع
الرضا والقبول والا فاجره اجر الاجير المعمول وبه يعرف نقصان
كمالها بضعف حينئذ بعض دلالها وانما يعطى المال الخسيس بالاستخدام
على الدوام في العمل النفيس والالقاء في الاخطار كالغوص في الماء وتعليق
البنا من جانب الهواء في جو السماء وانت تصلى ركعتين في غمضة العين
بقوة ما اعطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة وتطمع ما وعدك
من الدرجات الفاخرة في الدار الاخرة فتعجب منهما وتستعظمهما
وليس هذا شان العاقل وكرمه تعالى اى وبالنظر الى كرمه ولطفه
بالتوفيق اى بالاعانة على الطاعة والعبادة ووعده اى وبوعده
سبحانه الثواب المخلد اى المؤبد مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر كما ورد في الخبر على ساعة من العمل المعيوب في حد ذاته
المخلوط بسائر سيئاته والنظر اى وبنظره البدو اقباله عليه
وهو حقير ذليل في مقداره مع جلاله اى عظمة الله في جماله الذي
عجز العاقلون من الانبياء والاولياء عن ادراكه اى ادراك كنه كماله
ومعرفته عطف على بالنظر اى وبعلم ان الكمال الدنيوي من النسب
والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال وهي لزواله
بالموت في ماله كما سبق في حب الجاه والديني من العلم النافع والعمل
الصالح ينافيه اى العجب فالعلم النافع في الدنيا والاخرى ما يزيد
خوفا منه تعالى كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وورد
انا اعلمكم بالله واخشاكم منه ومن لم يزدد من العلم زهدا لم يزدد
من الله الا بعدا ولا عبرة لغيره اى لغير العلم النافع فقد نعوذ

منه عليه السلام حيث قال اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع
واعلم ان العلم هو معرفة المعبودية والربوبية واما ما وراء ذلك
كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطرق
المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ لها امتلاء بها
كبرا وشغفا فابد كفرا او نفاقا وهذه العلوم تسمى صناعات اولى
من ان تسمى علوما ولا عمل موجود دونه اي بدون العلم فهو اي العلم
شرطه اي العمل صحة وكما لا فلا يستقيم لغيره في جميع امره هذا
الكلام مضى واحفظ هذا ولا يصلح النسب اي المجرد عن الحسب
للتعويل الاعتماد عليه والاستناد اليه فهو تعزز بالغير اي بغيره
سبحانه فروي من تعزز بالعبيد اذله الله ولابي داود والترمذي
وحسنه وابن حبان من حديث ابي هريرة ليدعن قوم الفخر بابائهم
وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الذي
تدوف بانافها القذر وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال
لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم ءاتي الى الميزان
فان ثقلت فانا كريم وان خفت فانا لئيم وروى ابن المبارك عن ابي
ذر قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن
السوداء فقال عليه السلام يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع اعيرته
بامه ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت
وقلت للرجل قم فطأ على خدي ولله در القائل •

• لئن فخرت باباء ذوي شرف • لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا •

وورد في التنزيل فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

فمن

فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الاية يا فاطمة بنت محمد ويا
صفية بنت عبد المطلب اعملا لانفسكما فاني لا اغني اي لا ادفع عنكما
شيئا اي من العذاب حينئذ خاطبهما حين نزل قوله وانذر عشيرتك
الاقربين ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة وفي مسلم من حديث عائشة
لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعاهم بطنا بعد
بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه الا ان لكما رحما سابلها ببلالها
وللطبراني من حديث عمران بن حصين يا معشر بني هاشم لا ياتي الناس
بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وقال
انرجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الاوسط
من حديث عبد الله بن جعفر ولا الجمال اي ولا يصلح التعويل على الجمال
الظاهر المتغير في المآل فالاعتبار للباطن والقلب من الجمال وهما
مملوان بالاقذار الحسية والرذايل المعنوية وخاليان عن الفضايل
العلمية والفواضل العملية وللديلمي والقضاعي عن علي مرفوعا افة
العلم النسيان وافة الجمال الخيلاء ولا المال لانه سريع الزوال
ولا القوة اذ لا حول ولا قوة الا بالله اذ لو سلبه الذباب شيئا
لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه
لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تاخذ من
قوة عديدة ما لا يجبر في مدة مديدة ثم اذا اقوى انسان لا يكون
اقوى من حيوان فاي افتخار بين ارباب العظايم بما سبق به البهايم
وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان
الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب

لها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله
تلك القطعة من الجبل حتى صارت في عنقه كالخرزة وقد ورد ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب
والحاصل ان القوة المحمودة هي التي تصرف في العبادة التي هي
وسيلة للسعادة ولا الاتباع اي الاشياع الملتزمين للاتباع
فورد في التنزيل حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي من كثرة المال وقوة
الحال وغلبة الرجال اخذناهم بغتة اي فجاءة الآية فاذا هم مبلسون
اي آيسون متحيرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فقال لصاحبه وهو يحاوره اي يخاطبه ويناظره الآية اي انا اكثر
منك مالا واعز نفرا حتى اجابه صاحبه بقوله ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع
له طلبا ومن ذلك تكبر قارون وتجبره كما اخبر سبحانه عنه بقوله
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون الآيات يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
الآية اي وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ولا
العمل اي المجرد عن القبول فورد في التنزيل وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا والمزين له سوء عمله فرآه حسنا وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبالجملة من جوز ان
يكون شقيا عند الله فما له سبيل ان يتكبر على من سواه ويشير اليه
قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم

راجعون

راجعون اي يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها فالكبر دليل
الامن ولا امن مع بعد والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ولا العلم
اي المجرد من العمل الظاهر والباطن فالاطلاع على الذنوب الباطنة
صعب والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك
كسب ووهب ومن هنا ورد اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم
ينفعه الله بعلمه وقد تقدم وفي الصحيحين يؤتى بالعالم يوم القيامة
فيلقى في النار فيندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى
فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه
وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب
فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقال في بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى
قوله فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعام كتابا فاخلد الى
شهوات الارض اي سكن حبا لها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلم يدع شهوته ومن
هنا كان بعض الصحابة يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر
تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر
يا ليتني كنت طيرا اكل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما اشار اليه
المص بقوله والخاتمة مع هذا مستورة والروايات بان المدار
على الخاتمة مشهورة فينبغي للعالم ان يعلم ان التكبر لا يليق الا
بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد
احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر

لنفسك قدرا واذا انظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل للكفرة فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحقره للكفر وقد رزقه الله الايمان وفاق اكثر اهل الايقان فاذا احق العبادات لا يتكبر على احد بل ان نظر الى الجاهل قال انه قد عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى العالم قال قد علم ما لم اعلم وان نظر الى كبير قال قد اطاع الله قبلي وان نظر الى صغير قال قد عصيت الله قبله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الان من سوء الختام فليس دوام الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الاخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الامور الفانية والمعصية المستعقبة ندما اي ندامة وحسرة خير من الطاعة المستعقبة عجبا اي غرورا وغفلة لا ضمحلالها اي لذهاب المعصية مع حصول الندامة وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو اكبر من كل سيئة وفي الحكم معصية اورثت ذلا واستغفارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وورد ما منكم من احد ينجيه عمله اي من غير قبوله بفضله ولا انا اي ولا ينجيني عملي ايضا الا ان يتغمدني الله برحمته متفق عليه من حديث ابي هريرة هذا وفي الاحياء قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في

القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فاعز على بساط الارض عالم يستحق ان يسمى عالما ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء لان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم من اهل العلم والعمل بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة واحمد عن ابي ذر لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا نتمسك بعشر عشره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله

الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق

اي الصدق في الاخلاص الذي هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة بسم الله الرحمن الرحيم الذي يحصل به المناص في الدنيا والخلاص في العقبى الاخلاص تجريد النية وهي الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ويطلق

عليها القصد من الشوب اي خلطة الرياء والسمعة اي عن شائبة مخالطة
النفس بها ومن شوائبها ومعايبها ان تدعي ترك الدعوى علي جهة
التواضع مع ادعائها انها قد بلغت رتبتهم او تتحجب بها لحاجة
تركت هذه الدعوى باستقلالها ولها مراتب عند اهل المناقب
فالاعلى اي اعلى مراتب الاخلاص للمولى ارادة وجهه تعالى اي تقصد رضاه
في الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وقال عز وعلا وما لاحد
عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال انما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل
لله ويحب ان يحمد عليه الحاكم من حديث طاوس مرسلا قال رجل
اني اقف المواقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه
حتى نزلت هذه الاية وللبزار من حديث معاذ من صام رياء فقد
اشرك وفيه انه عليه السلام تلا هذه الاية وعن رابعة وحقك
ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك
ويعرف الاخلاص الاعلى بالتفكر في صفاته وافعاله اي في مصنوعاته
والمناجاة مع ربه في جميع اوقاته وقد قال بعضهم في اخلاص ساعة
نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز قال عز وجل الا لله الدين الخالص
وللديلمي من حديث معاذ اخلص العمل يجزك منه القليل ولابن
عدي من حديث ابي موسى ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكان معروف الكرخي يضرب

نفسه

نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص
من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن
صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ويشير اليه
قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
ثم ارادة نفع الاخرة سواء اراد النجاة من النار او درجات
الابرار فهو حظ النفس اي في الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار وورد
في حقيقته اي حقيقة الاخلاص او في تحققه في الاشخاص ان تقول
ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد
الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت باستقامته في الاحياء
سئل عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم
كما امرت قال مخرجه لم اره بهذا اللفظ وللترمذي وصححه وابن ماجه
من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر
اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لي
في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال امنت بالله ثم استقم
والكل مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الايتان ومن قوله عز وعلا فاستقم كما امرت خالص الاعمال اي
وورد خالص الاعمال اي العمل الخالص هو الذي تعمله لله لا تحب ان
يحمد عليه احد ولم اعرف له اصلا في المرفوع نعم ورد عن عيسى عليه
السلام انه قال الحواريون ما الخالص من الاعمال قال الذي
يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا المعنى في سبب
نزول الاية السابقة قد تقدم ولا يبعد ان تكون الجملة من

من مبتدا او خبر في تعريف الاخلاص وتكون معترضة وقد قال
بعضهم كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الى
فوجدت لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله لديه
اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز
العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقال سهل
الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة قال السوسي
الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من يشاهد في اخلاصه
الاخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى اخلاص والى المقامين يشير
قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام وفتحها وقال
رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه
نصيب وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر
الى الحق وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفي عن العلائق
وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال
وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس
شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذا افضل ما قيل في
هذا الباب وفي فضله اي ورد في فضل الاخلاص في التنزيل
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فتقييد
العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص بالاخلاص اي وورد
في الحديث القدسي والكلام الالهي الاخلاص سر من سري استودعته
قلب من احببته من عبادي رواه القشيري في رسالته من حديث

على

علي كرم الله وجهه واصله اي اصل الاخلاص النية في تصحيحها وتحسينها
وهي اي النية الارادة الباعثة اي الداعية للاعمال المنبعثة
اي تلك النية عن المعرفة بالاحوال فمعنى الارادة انبعاث القلب
الى ما يراه موافقا لغرضه المعروف بعوضه اما في الحال واما في
المآل كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحققه اي الطعام ودفعه
اي وعن المعرفة بدفع الطعام الجوع الباعثة بالجر صفة بعد صفة
للشهوة اي الداعية لا امتدادا لليد اليه فان امتداد اليد الى الطعام
انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام وبانه دافع للجوع عن الانام
فلا تدخل اي النية تحت الاختيار لان الارادة اثر والاثر لا يدخل
تحت الاختيار بل الداخل تحت الاختيار انما هو المؤثر وتوضيحه
ان كل عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة
وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل
ما لم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث يوافقه
بعض الامور ولا يلائم غرضه ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج
الى جلب الملائم الموافق لقلبه الهائم في وطء المراة لغلبة الشهوة
عليه في تلك الحالة الى قوله الحسي اي اللساني والنفسي اي الجناني
نويت به اي بالوطء اقامة السنة وتكثير الامة ومن هنا ورد
الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الظلمة
الظلماء على الصخرة الصماء رواه احمد وغيره ولهذا امتنع جماعة
من السلف من جملة الطاعات اذ لم يحضرهم تصحيح النيات لعلمهم
بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف

وهو سبب مقت لا باعث قربة حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ومات حماد بن ابي سليمان وكان من اكابر العلماء الكوفية وشيخ ابي حنيفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك وحكى ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال له ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت فقال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت بها الى البر فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون ابن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الا تعرض عليه العشاء فقال ليس من نيتي وهي اي النية احدى جزئي العبادة اي ركنيها وهما النية والعمل فهي اي العبادة تتوقف عليها اي النية توقفها اي مثل توقف النية على العمل لان العبادة بدون النية لا تسمى عبادة فالنية خيرهما ويتوقف العمل عليها دون العكس ورد اي في الصحيحين من الروايات الاعمال بالنيات اي معتبرة بها في جميع الحالات ولكل امرئ ما نوى اي من الخير والشر في المباحات وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الي دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه

وخيرهما

وخيرهما اي والنية افضل جزئي العبادة لورود نية المؤمن خير من عمله رواه البيهقي في الشعب عن انس رضي الله عنه مرفوعا وذلك لان النية عمل السر ولا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء ولانها تمتد الى ما لا نهاية له والعمل محصور في محصول ولانها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب بخلاف اعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صحبت النية لحديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة متفق عليه ولانها تبقى بخلاف العمل ولذا قيل الخلود في الجنان والنار جزاء النية ولان مكانها مكان المعرفة اعني قلب المؤمن قال سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره العلي ما خلق الله تعالى مكانا اعز واشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما اعطى كرامة للخلق اعز عنده من معرفته فجعل الاعز في الاعز فما نشأ من اعز الامكنة يكون اعز مما نشأ من غيره قال سهل فتعس عبد اشغل المكان الذي هو اعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه وفي خبر انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن اشعار بذلك وقيل نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وقيل نية المؤمن خير من عمله بغير نية ثم قيل للقلب عملان النية والندامة فالنية تجعل المعدوم موجودا والندم يجعل العصيان الموجود معدوما ومما ورد في نفع النية بدون العمل حديث النبي ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية البخاري

مختصرا وابو داود وتوقف اى ويتوقف نفع العمل اى ثوابه طاعة
او معصية عليها اى النية دون العكس اذ لا يتوقف نفع النية
على وجود كل عمل فورد فى المقاتلين اى فى حقهما ان القاتل والمقتول
فى النار وبين اى النبي عليه السلام علة المقتول اى فى دخوله النار
انه قصد الربا كذا فى النسخ والظاهر انه قصد قتل اخيه لا دفعه
عن نفسه او اراد بالقاتل الكافر وبالمقتول المسلم الحرابي ويؤيد
ما اخترناه حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما
بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه متفق عليه ولابن ابي
الدنيا من حديث عمر انما يبعث المقتتلون على النيات ولمسلم
من حديث جابر يبعث كل عبد على ما مات عليه ويؤيده ما فى
الاصل حديث اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل
بين الصفين الله اعلم بنيته احمد من حديث ابن مسعود وفيمن
اى وورد فيمن تمنى ان لو اصاب مالا ينفق فى المعصية اى مقدرة
انه شريك المنفق فيهما اى فى المعصية حقيقة فى الوزر اى
فهما فى الوزر سواء ومفهومه ان لو اصاب مالا ينفق فى الطاعة
انه شريك المنفق فيها فهما فى الاجر سواء فقد ورد الناس اربعة
رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لو اتاني الله
كما اتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم
يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل
ما اتاه لفعلت كما يفعل فهما فى الوزر سواء ابن ماجه والترمذي

ولكون

ولكون الشراب اى ولكن شرب المعجون لعلاج المعدة انفع من الطلا
على الصدر ولسرعة تاثير الاول وبطوء الثاني في العمل ووجه
كونه علة لمشابهة الشراب الداخل فى المعدة بالنية الداخلة فى
القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ولمشابهة الطلاء الظاهر
على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة
بل اضا يعني قوله وخيرهما هى النية هو الاصل وما سواها الفرع لكون
المقصود من العمل تاثر القلب بالميل اليه تعالى عن الغير اي عما سوى الرب
وذلك التاثر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهي الاصل
فورد فى التنزيل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم وهي انما تكون فى القلب كما قال عليه السلام والتقوى ههنا واشار
الى صدره وفى الخبر ايضا ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اعمالكم ولكن
ينظر الى قلوبكم ونياتكم ووقع الاجماع على اثم المجامع امراته على قصد
انها غيرها اى غير امراته بخلاف المجامع غيرها اى غير امراته على قصد
انها هي اى امراته ولاحمد من حديث صهيب من تزوج امراة على صداق
وهو لا ينوي اداءه فهو زان واثم المصلي اى والاجماع على اثم المصلي المتوضي
على ظن انه محدث بخلاف المحدث اى المصلي على ظن انه متوضي وهي اى النية
التي معناها القصد اما واحد وهو الخالص عن المشاركة كالقيام
للاكرام اى اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر اوصافه
الفخام واما متعدد كالتصدق للفقير والقرابة ونحوهما من استحقاق
الصدقة فاما اى ثم المتعدد اما لا يستقل كل شي اى من القصود بنفسه
عند انفراده فى باعث العطاء ويعرف عدم الاستقلال للمذكور بالامتناع

اى بامتناع النية والقصد عند انفراد احد من المقاصد اى عن الاخر
فلا يعطى الغنى القريب بمجرد قرابته ولا للفقير الاجنبى بمجرد فقره
عند الاجتماع لا يمتنع عن العمل فيعطى الفقير القريب او يستقل كل
من المقصود متساويا بان يكون كل واحد داعيا الى القصد ومتفاوتا
فى مراتب القصد او مراتب الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها
لا يكون مستقلا كقوة فرحة المصلى عند حضور الناس اى بمجرد
باعث الريا وهو الفرحة فى قول المص مع انه لو لم يرج الثواب لما
صلى ولو صح ان يكون للانسان ورد فى الصلوات وعادة فى الصدقات
فاتفق ان حضر فى وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه
بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن
الصلاة وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله فهو
شوب تطرق الى النية وتشويش فى تحصيل المثوبة ويتعدد
الجزاء اى الثواب بتعددها اى بتعدد تعدد النية خيرا كان
المتعدد فى النية كالدخول فى المسجد اى مسجد كان للزيارة
اى لزيارة بيت الله او اخ لله فيه لقوله عليه السلام من تعهد
فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره
ابن حبان من حديث سلمان وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة
من غدا الى المسجد او راح اعد الله له الجنة نزلا كلما غدا
او راح وانتظار الصلاة اى لادائها بالجماعة فى وقتها
وقد عد من الرباط فى قوله تعالى ورابطوا وفى الخبر انتظار
الصلاة صلاة والاعتكاف وهو من جملة العبادات

الفاضلة

الفاضلة فتارة مستحبة نافلة واخرى سنة موكدة كما لو ان
كان بمكة فزيادة الطواف وان كان بالمدينة فزيادة الزيارة
المندوبة بلا خلاف والانزواء اى الاعتزال عن الاشتغال
بالسوى والتجرد للذكر من التهليل والتمجيد والتحميد
والثناء وترك الذنوب ولو كان من باب الحيا فان من العصمة ان لا
تقدر على الجفا او شرا اى وكان التعدد شرا كالقعود اى فى
المسجد للتحدث بالباطل فان كلام الدنيا فى المسجد يبطل
الحسنات فى العقبى وملاحظة النسا اى ومخالطة المردان
يعنى الاشتهار والمناظرة للمباهاة اى المفاخرة والمراياة
اى المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصد التنزه فى ليلة
القمراء وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابه بمجلس السمراء
ويجعل خيرها اى بنية الخير المباح عبادة كالتطيب الذى فى
اصله مباح بوقوعه يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد
فقد قال تعالى وطهر بيتى قيل فى معناه بخره واليوم اى
وتعظيمه فانه افضل ايام الاسبوع بلا خلاف وقيل افضل
الايام مطلقا وهو عيد المومنين وحج المساكين ودفع الاذى
بالنتن اى الريح الخبيثة عن نفسه وغيره لا سيما الملائكة
الحاضرين فى وقته والاسرار بالعرف بفتح العين اى وبتفريح
من بجنبه بالريح الطيبة وسد باب الغيبة بالروائح الكريهة
وربما تفضل اى النية المباح من محضها اى فتصير المباح
بالنية افضل من العبادة المحضة فالتزيد اى التنعم والاسرا

بنومة قليلة نحو قيلولة أو دعابة أي مزاح ومطايبة مباحة لترد
نشاط الصلاة أفضل منها أي من الصلاة في الملال أي في حال
الكسل لدفعه أي الدرداء إني لأستجم نفسي باللهو ليكون ذلك
عونا على الحق ويؤيده قول المهتدين لا تنكر الباطل في طوره
فإنه بعض ظهوراته وقد قال علي رضي الله عنه روحوا القلوب
ساعة فساعة فإنها إذا أكرهت عميت ومن هنا حرم الصوم
في بعض الأوقات وكذا الصلوات في الأزمنة المكروهات
وشرها أي يجعل شر النية المباح معصية كالتطيب المباح في أصله
للتفاخر بإظهار الثروة أي الغنى والنعمة على وجه الكثرة فإنه
يصير به معصية ففي الخبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه
أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه
أنتن من الجيفة أبو الوليد الصفار مرسلا والتزين أي وكالتزين
المباح في أصله للرياء فإنه معصية كما أنه للعبادة طاعة
لقوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وللطبراني
بإسناد جيد من حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له
هاجر رجل ليتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس وللنسائي
من حديث عبادة بن الصامت من غزى وهو لا ينوي إلا عقالا فله ما
نوى ولأبي داود بإسناد جيد من كان حديث يعلى بن أمية أنه
استأجر أجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام
ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى
وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير

تصغره النية وقال داود الطائي من كان أكثر همته التقوى فلو تعلقت
جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذا
الجاهل بعكس ذلك وقال أبو هريرة مكتوب في التوراة ما أريد به
وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل وكان الفضيل
ابن عياض إذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم يبكي ويرددها ويقول إنك إذا بلوتنا فضحتنا
وهتكت أستارنا ولا تؤثر أي النية في الحرام فلا يباح شرب
الخمر لموافقة الإخوان ولا لموافقة حكام الزمان فقد ورد لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وكالذي يغتاب إنسانا مراعاة لقلب
غيره أو يطعم فقيرا من مال الظالم به أو يبني مسجدا أو مدرسة أو
رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ومن هنا قال سهل ما عصي
الله بمعصية أعظم من الجهل قيل يا محمد هل يعرف شيئا أشد
من الجهل قال نعم الجهل بالجهل ويسمى هذا الجهل المركب وكذا
أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم فإن من لا يعلم
العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب عليه الناس من العلوم
المزخرفة التي هي من وسائل لهم إلى الدنيا وذلك مادة الجهل ومنبع
فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير
معذور لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال
عليه السلام لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت
على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه كما رواه الطبراني في الأوسط
من حديث جابر لا يجوز أما إذا المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول

الى شهواته والحصول في مقام رياسته فلم يزل علماء السلف
يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا راوا منه تقصيرا في نفل
من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا هجروه
ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم
بالسنة وما تعوذ وامن الفاجر الجاهل ان من يعلم مسائله ولم يعمل
بها فليس يطلب الا لنشر الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر
العليم بالسنة وما تعوذ وامن الفاجر الجاهل وقد هجر احمد بعض
اصحابه الملازم لسنين بان طين حائط داره لما اخذه من الطريق
ند رسم الطين والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه احد الا من
دق في نظره وسعد بعصمة الله وقدره وحفظ من خطوه والا فالعدو
ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء
في سكون او حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو
صورة العبادة ولذا قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال عز وعلا
حكاية عنه انه قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم اي من امور الدنيا والاخرة وعن
ايمانهم وعن شمائلهم اي من طريق الحسنات والسيئات ولا تجد
اكثرهم شاكرين ولذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة الف
سنة من جاهل وفي الخبر لفقيه واحد اشد على الشيطان من
الف عابد وكما للرأي وكما للاخلاص وجها للصدق في نيته
وقوله وعمله فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق

والا

والا فهو صادق فاضل عند ذوي الحقائق والدقائق ويدل عليه حديث
ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا متفق عليه فورد في
التنزيل واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا اي قبل النبوة
نبيا اي مخبرا عن الله حال الرسالة ثم الصدق لا ينافي المعاريض
الصادرة عند الضرر عنها بثلاث كذبات لصورتها لا ان العبرة
لمعانيها لا لمبانيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه
في سفر وري بغيره كما في الصحيحين ايضا من حديث ام كلثوم ليس
بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على
وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له
زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول من القول
الى النية فلا يراعى فيه الا الصدق الطوية فمهما صدقت نيته
وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه
توفيقا ان الرجل اي وورد في الحديث ان الرجل ليصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادنى رتبته اي اقل مراتب
الصدق الصدق في القول مع الخبر في كل حال من الامن والخوف والنفع
والضر والغضب والرضا والكمال اي وكمال الصدق في القول بترك
المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة الا
ان الضرورات تبيح المحظورات وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة
عن الكذب وقد حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في
داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع في
الدائرة وقولي ليس هو ههنا ورعايته اي ومراعاة العبد

الصدق معه اى مع الحق تعالى فمن قال وجهت وجهى لله اى للذى
فطر السموات والارض حنيفا وكان فى قلبه سواه واياك نعبد
اى نخصك بالعبادة وهو يعبد الدنيا فهو كاذب فى دعواه
اختصاص عبادة مولاه فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا
بما فى الدنيا فهو كاذب فى دعواه وعن مالك بن دينار لولا ان
هذه الاية اى اياك نعبد واياك نستعين امر من الله لما قراتها
لعدم صدقى فيها وروى ان العبد اذا قرا هذه الاية يقول الله
تعالى كذبت لو كنت اياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سوائى
ولو كنت بى تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك ولم تكن الى مالك
وكسبك وكقوله انا عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان
له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق
فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه لانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا
للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله وكلما تقيد العبد
به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم وعبد الخميصة
رواه البخارى وانما الحر لله من اعتق اولا نفسه عن غير الله فصار
حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فتحلت
فيه العبودية لله فيشتغل بالله ومحبته وتقيد ظاهره وباطنه
لطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا
المقام الى اخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته
لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او تبعيد

كما قيل

كما قيل • اريد وصاله ويريد هجرى • فاترك ما اريد لما يريد •
وهذا عبد عتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه وصار مفقودا
لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه
سكن وان ابتلاه رضى ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس
واغراض واعواض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل
وهذا منتهى الصدق فى العبودية وفوقها تقتضيه الربوبية
وهذا عزيز الوجود فى منتهى دائرة الشهود فقد قيل •
• اتمنى على الزمان محالا • ان ترى مقلتاى طلعة حر •
ثم فى النية اى ثم اعلى من الصدق فى القول الصدق فى النية
بتمحيضها اى تخليصها لله تعالى فلا تشوب اى الخلط بغيره بقوله
اى هذا المقام من الاخلاص والصدق يقال لهذا صادقه
الحلاوة اى محضها يعنى خالصها ثم فى العزم اى ثم الصدق فى العزم
اعلى مما ذكر وهو جزم قوى على الخير اى فعله وجزم على ترك الشر
كالتصدق والعدل ان نال مالا او ولاية وتوضيحه ان الانسان
قد يعزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت
بجميعه او بشطره وان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم
اعص الله بظلم وميل عن الحق الى الخلق وهو قد يكون صادقا فى
عزمه وقد يكون كاذبا فى جزمه ومن الاول قول عمر رضى الله
عنه لان اقدم فيضرب عنقى فى غير حد احب الى ان اتامر على قوم
فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيا لا اجده
الان انى لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشاسا

٢٦٦

بذلك الى شدة الوفاء بالعزم ومنالك أي قول مجاهد رجلان خرجا
على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن
فرزقهما الله فبخلا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله ولنكونن من الصالحين الاية ثم في الوفاء فالنفس قد
تسمح اي تسخى بالعزم عند البيان اى ثم الصدق في الوفاء اقوى
مما ذكر وتتوالى اى تتاخر وتتباعد بالوفاء عند الامتحان
وورد في التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط
على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
رواه ابو نعيم في الحلية وفي البخاري مجملا ان هذه الاية نزلت
في انس بن النضر وفي الترمذي وقال حسن صحيح عن انس ان عمه
انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى
الله عليه وسلم غبت عنه والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام
القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال
واها لريح الجنة اني لاجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد
في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وطعنة وضربة فقالت
بنت النضر اخته ما عرفته الا ببنانه ونزلت هذه الاية
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اى نذره

ثم

ثم في العمل اى في الصدق في العمل اعلى وهو اى الصدق في العمل تسوية
السر والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه
ولذا قال عيسى عليه السلام اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي
واجعل علانيتي صالحة وقال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة
العبد وعلانيته فذلك النصف اى العدل وان كانت سريرته
افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل
من سريرته فذلك الجور والخطل وانشدوا •
• اذا السر والاعلان في المؤمن استوى • فقد عز في الدارين واستوجب
الثنا • فان خالف الاعلان سرا فما له • على سعيه فضل سوى
الكد والعنا • كما خالص الدينار في السوق نافق • ومغشوشه
المردود لا يقتضي المنا   وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء
بالليل بسام بالنهار وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي
عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني
وبينك بالخيانة فالماشي على هدؤ بضمتين وقد يدغم وفي نسخة
على هدى بفتح فسكون ومعناهما على سكون في الظاهر ان خلا
الباطن اى باطن الماشي عن الوقار اى السكون والثبوت غير صادق
فيما بينه من الاظهار وورد فيه اى في حق الصادق في العمل ان تكون
سريرته خيرا من العلانية اى علانيته يعني على نيته واوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام من صدقني في سريرته صدقته
عند المخلوقين في علانيته ثم اى ثم الصدق في مقامات
الدين من احوال اهل اليقين اعلى نفي الخوف اى صدقه فيه بتحقق

بصفرة الوجه وقلق الباطن اى اضطرابه فى الحالات وترك المعاصى واللذات اى الملاهى والشهوات التى فيها الشبهات واقامة الطاعات فى انواع العبادات وعلى هذا القياس فى غيره اى غير الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الحزن بفوت شئ من الجاه والمال والنفس من الاولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الاحوال والصديق المطلق هو المتصف بالجميع اى بجميع انواع الصدق عند اهل الحق وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى طلبك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين ويوئيده قوله تعالى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الثورى فى قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين وقال محمد بن سعيد المروزى اذا طلبت الله تعالى بالصدق افادك الله تعالى مراة بيدك حتى تبصر كل شئ من عجائب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذى النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى • نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقيل

وعن الجنيد فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

عظيم

عظيم وخطر جسيم وضده اى الاخلاص الريا اى روية الخلق وفى معناه السمعة وان كان فى اصل المادة فرق بينهما فان الريا مشتق من الروية والسمعة من السماع وفى الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وللطبرانى من حديث ابن عمر من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره وكذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو وهو اى الريا طلب المنزلة اى الوجاهة والمرتبة بالروية او السمعة عند غيره تعالى بالعبادة اى لا بالامور المباحة وفى العادة وهو حرام لقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون وقوله والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال مجاهد هم اهل الريا ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العبيد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء فيختص الريا بعمل الظاهر اى مما يتعلق به الروية او السماع وذلك لامكان نظر الخلق واطلاعهم عليه دون عمل الباطن فانه لا ريا لديه قال عكرمة ان الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطى على عمله لان النية لا ريا فيها اما نحو قصد الحمية اى الاحتماء بترك ما يضر عن الاكل فى الصوم مع التقرب والتبرد اى وقصد تبرد الاعضاء فى الوضوء وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب والتفرج اى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم والتنزه والتوحش اى المخالطة عن الاهل اى القرابة او اهل القرية صداقة وعداوة وكذا قصد صحة

المزاح في السفر والتجارة اي قصدها في الحج اي ادائه مع التقرب والخلاص
اي قصده عن المؤنة اي مؤنة نفقة المملوك وسوء الخلق من المالك او المملوك
من حرمة التزيين في العتق اي عتق عبد او جارية فتغيره اي تغير الريا لعدم
تعلق نظر الخلق اليه ويفوت به اي بقصد المذكورات الاخلاص في تلك
العبادات لان فيه شوب نفع لنفسه وحظ لنفسه والاخلاص تجريد النية
عن شوب الارادة النفسية ويكون الرياء بالبدن اي من جهة البدن باظهار
الخشوع واكثار الحزن والهيئة اي السمت الصالح والزي اي لبس الصلحا
والقول اي نقل كلام الاولياء والعمل اي واعمال الاصفياء وغيرها كالمال
والاتباع والبيوت وانواع الاستمتاع كاظهار النحول هذا وما بعده
نشر للف المتقدم مرتبا والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته
ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على امر
الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على
سهر الليل وكذا بتشعث الشعر ليدل بالشعر على استغراق في الامر ولذا
قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح
شفتيه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذا روى عن ابي هريرة وكذا قال
ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين وابقاء اثر السجود على الجبهة
واطراق الراس في المشية والهدو في الحركة ولبس الصوف وغلظ الثياب
وتشميرها الى قريب الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه
مخرقا من غير ترقيع ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها وقد
يلبس الصوف الرفيعة من الاصناف المتبعة اذا كان يدخل عند الاغنيا
او على الامرا فقيمة ثوبه قيمة الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب

الصلحا

الصلحا فيلتمس القبول عند الفريقين في مقام الريا ولو كلف ان يلبس
ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح
والوعظ اي التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الاخبار
والاثار للاحياء وتحريك الشفتين بحضرة الناس وامثالها وتطويل الصلوة
بطول القيام والركوع والسجود واطراق الراس وترك الالتفات
وتسوية القدمين واليدين وكذا في الصوم والزكوة والحج وساير
العبادات وبقية المعاملات وكثرة التلامذة للعلما وكثرة المريدين
للصلحا وكثرة الزائرين من الاجانب والاقربا وما مبتدأ اي والرياء
الذي طلب بغير العبادة ككثرة المال والاتباع من الرجال وحفظ
الاشعار فخارج عن الريا كما سبق في تعريفه تحقيقه لا يحرم طلب تلك
المنزلة اذا المرغوب الى رذيلة اي خصلة مذمومة كالتكبر على الناس
كما سبق في الجاه اي في ذمه وهو قوله هناك فحرام اي فالجاه حرام ان
كان بارتكاب ذنب ككذب وههنا ايضا كذلك وكذا التزيين
لاستمالة قلوب الاخوان حال مخالطتهم والتحامي اي التسلم عن
ملامتهم والمعنى ان تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج
الى الناس مراياة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا
وعلى هذا فقس كل تجمل للناس وتزين لهم والمروي لابن عدي في الكامل
عن عائشة من تزيينه عليه السلام اي حين اراد ان يخرج الى اصحابه
الكرام فكان ينظر في جب الما ويسوي عمامته وشعره فقلت اوتفعل
ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان تزين لاخوانه
اذا خرج اليهم فهذا كان منه عليه السلام عبادة لانه حيث

ماموراً بالدعوة اى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة
قلوبهم بالرفق فلو اسقط نفسه عن قلوبهم بسقوطها عن اعينهم
لسترك تزيينه لهم لما حصل المقصود ولم يرغبوا الى اتباع المطلوب
من المعبود وهو اجابة الحق عن الخلق فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن
احواله كيلا تزدريه اعينهم فى اقباله فان اعين الخلق تمتد الى
الظواهر دون السرائر وافاته اى الرياء التلبيس اى المكر والتدليس
الحاصل من وسوسة ابليس باراءة ما ليس فيه متحقق فى الخارج موجود
فى الواقع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس
كذلك فهو اى التلبيس بالامر الدنيوى حرام ايضا حتى لو قضى دين
جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لاثم
بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر والخديعة بخلاف
ما اذا انفق الرجل ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة
والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مراياة وليس بحرام
وكذا امثاله فبالدينى اولى اى فالتلبيس بالامر الدينى اولى ان
يكون حراما لانه محض العبادة والاستهزاء عليه تعالى اى ومراغاته ٦١
الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو باعث رضا غيره اى اختياره
على رضاه اى على ايثار رضاه سبحانه وتعالى والمعنى انه مهما
تقصد بعبادة الله رضا ما سواه فهو مستهزئ بالله ولذا قال
قتادة اذا رايا العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف
يستهزئ بى ومثاله ان يمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار
كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك

اوغلام

او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى
الملك بخدمته بل يقصد عبدا من عبيده فاى استخفاف يزيد على
ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا
ولا نفعا وهل ذلك الا لظنه ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه
من الله وانه اولى بالقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله
مقصود عبادته واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى
وتعظيم نفسه اى ورياء تعظيمها فى القلوب على تعظيمه اى تعظيم
علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن فيه الا انه يركع ويسجد
لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى
فقد قصد غير الله ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا
الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت
تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من
وجه فمهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق فى الشهود
كان ذلك قريبا من الشرك المعهود الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى
قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن
هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل والنقصان
ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون
من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع امله اكثر
مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم
فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ولو وكله الله
سبحانه اليهم فى الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على

صنعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا
نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم وهذا في
الدنيا فكيف في العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل
الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة ما
يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان
المرائي لطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والعقل وهذا معنى
قوله والاحتراز اى وبابه المرائي الاحتراز عن مقت غيره سبحانه
عليها اى على الاحتراز من مقته تعالى فقد سال رجل سعيد بن المسيب
فقال ان احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب
ان يمقتك الله قال لا قال اذا عملت لله عملا فاخلصه ورد العمل
اى ومن افاته عدم القبول فورد اى في الحديث القدسي اني لا اقبل الا
ما كان خالصا لي لم اجده بهذا اللفظ ولكن ورد معناه وهو ما
رواه مالك من حديث ابي هريرة يقول الله من عمل عملا اشرك فيه
غيري فهو له كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويويده قوله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين واللوم اى ومن افاته الملامة
بين الملائكة فورد في الحديث الا شيء يقال عند صعودهم بالعمل
المخلوط بالرياء ردوه الى سجين لقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي
سجين وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين وقيل
هو كتاب اعمال المشركين فانه لم يرد لي اى بعمله خالصا له الديلمي
ولابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن ابي الدنيا وابو الشيخ

في حديث

في حديث طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يرد لي بعمله فاجعلوه
في سجين وفي القيامة اى ومن افاته الملامة والندامة يوم القيامة فورد
في ندامته اى المرائي فيها اى في القيامة يا كافر حقيقة او حكما بكفران
النعمة يا فاجر اى يا فاسق بترك الاخلاص في الطاعة يا غادر اى يا ماكر
للخلق وللحق ايضا على زعمه الباطل يا خاسر اى الذى خسر الدنيا والاخره
والحديث رواه ابن ابي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم
يسم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسما يا كافر يا فاجر يا غادر
يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا
اجر لك عندنا والحرمان عن الاجر اى ومن افاته حرمان ثواب العمل
فورد يقال اى للمرائي يوم القيامة التمس الاجر اى اطلب الثواب ممن كنت
تعمل له من الخلق كما تقدم الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيسا في دنيا
الم يرخص بيعك الم تكرم اى بالعبادة برد السلام وانواع من الاكرام وقد
روى عن عطا ان الله عز وجل يقول للقرا يوم القيامة الم يكن يرخص
عليكم السعر الم تكونوا تبتدون بالسلام الم تقض لكم الحوائج وفي الحديث
لا اجر لكم فقد استوفيتم اجوركم والمعنى وكان هذه الاشيا تقصدت
من اظهار الطاعة فقد جزيت بها في الدنيا فلم يبق لك اجر في العقبى
كما قال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون والعذاب اى ومن افاته
عذاب الاخرة فورد ان اهل الريا في الدنيا لم اره بهذا اللفظ وللترمذي
وابن ماجة من حديث ابي هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل

يعذبون ام

وما هو قال واد فى جهنم اعد للقراء المرائين والافحش مبتدا اى
الاغلظ والاشد فى الريا باعتبار نفسه اى نفس الرياء واصله
ولهذا الرياء اربع درجات اذ لا يريد الثواب اصلا اى لا يكون مراده
الثواب قطعا كالذى يصلى بين يدى الناس ولو انفرد كان لا يصلى
بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا اجرد قصده للرياء
وهو اى المرائى فى غاية المقت من الله وغضبه وكذا من يخرج الصدقة
خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى بنفسه لما اداها
وهذا غالبا لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله
والريا يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا وعند بعض
المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة فتحبط العمل فى قولهم
جميعا والعجب يذهب اضعافه والتهاون يخفف العمل فيذهب
زيادته ثم ما فيه ارادتان ارادة الاجر والريا والرياء غالب
وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الريا يحمله
على العمل كمن يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لا تنهضه
عليها فاتفق مجئ جماعة عنده فتظهر داعية الريا فى قلبه مع بقاء
ارادة وجه الله فانهضته عليها ولو لم يكن الرياء ما كان ينهضه
مجرد ارادة الله ولو لم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء
تنهضه وهو يقربه اى هذا النوع من الرياء يقرب الافحش وهو
الاول الذى ليس فيه ارادة الثواب اصلا فهذا يقرب ما قبله
فى المقت لكن له فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله

على

على العمل ولا ينفى عنه المقت والاثم ثم ما استويا اى ثم الافحش باعتبار
نفس الريا قصدا استوى الارادتان او القصدان فيه اى فى ذلك العمل بحيث
لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت
الرغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا
قد افسد مثل ما اصلح فالمرجو اى المأمول من فضل الله وكرمه ان لا
يكون له اى لصاحب الارادتين المستويتين نفع وثواب ولا عليه ضر وعقاب
بل يسلم راسا براس او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب
ويؤيده ما روى عن معاذ قال لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا شق على القوم واشتد عليهم
فقال الا افرجها عنكم قالوا بلى يا رسول الله قال هى مثل الاية التى
فى الروم وما اتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عند الله قال
عليه السلام من عمل رياء لا يكتب له ولا عليه كذا فى الجامع الكبير للسيوطى
لكن اطلاق الاخذ فى الادلة يشمله اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الريا
يشمل هذا النوع فيحصل له الاثم ويدل على انه لا يسلم ثم اى ثم الافحش
باعتبار نفس قصد الريا ما ترجح فيه قصد الثواب بان يكون طلب الاجر
غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ولو لم يكن له لكان
يترك العبادة ولو قصد الريا وحده لما اقدم فالمظنون اى الذى نظنه
والعلم عند الله سبحانه فيه اى فى هذا النوع النقصان اى نقصان الثواب
لا البطلان اى لا يحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة
فى الاحكام الجزئية والثواب اى على قدر ما اخلص فى نيته والعقاب
على قدر الريا فبحسب القصدين اى المتقدمين والاصل ان القرب

منه تعالى بالميل اليه تعالى اى بسبب الانابة اليه والحضور لديه
والبعد عنه تعالى بالذهول اى الغفلة منه لقوله تعالى ولا تطع من
اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وما ورد اى فى حديث
انا اغنى الاغنياء من الشرك وفى نسخة من الشركاء ونحوه اى مما يدل على
البطلان محمول على الاول اى مما لا يريد الثواب اصلا او على ما تساوى
القصدان او كان قصد الرياء ارجح فان لفظة الشركة مطلقة للتسوية
وباعتبار ما به اى والاخس من الرياء باعتبار ما يقع به الرياء من العبادات
هو الرياء باصل الايمان وقيل هو بدل من قوله به باعادة الجار وما
قدرناه اولى بالاعتبار وذلك بان يظهر كلمتى الشهادة باللسان
من غير تصديق بالجنان لكنه يرائى احيانا لظاهر الامر فى بعض
الاركان وهو اغلظ ابواب الرياء كما يشير اليه قوله تعالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك اى متحيرين هنالك
لا الى هؤلاء المسلمين ولا الى هؤلاء المشركين ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا اى مخلصا ودليلا فلم يكن مخلصا بل يكون دائما حقيرا
ذليلا وفيه الخلود بالنار فى دار البوار كما قال تعالى ان المنافقين
فى الدرك الاسفل من النار وذلك لانهم جمعوا بين كفر الباطن
ونفاق الظاهر فحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين ولان
ضررهم للمسلمين اكثر من ضرر المشركين وكان النفاق فى بدء الاسلام
يكثر ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام لغرض فاسد
او عوض كاسد وذلك مما يقل فى زماننا حيث لا باعث عليه
هنالك ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة

والنار

والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة ويعتقد طى بساط الشرع
والاحكام ميلا الى اهل الاباحة ويعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر
خلافه فهو لا من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا
الرياء رياء ثم اى ثم الاخس بعده الرياء باصل الفرائض سواه اى غير الايمان
وذلك بان يكون مال الرجل فى يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من
المذمة والله يعلم باطنه انه لو كان فى يده لما اخرجها او يدخل وقت
الصلوة وهو فى جمع فيصلى وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذا يحضر
الجمعة ولولا خوف المذمة لما كان يحضرها وكذلك يصوم رمضان وهو
يشتهى خلوة من الخلق ليفطر او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة ولكن
خوفا من المذمة او يعتق او يحج كذلك وفيه المقت اى اشد الغضب
من جانب الرب الا انه ليس بكافر عند اهل السنة والجماعة وذلك لانه
مراء فى الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد ان الله لا معبود سواه
ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما عداه لم يفعل ولكنه يترك
العبادات للكسل الطارى فى الاوقات وينشط عند اطلاع الناس
وفوق العادات فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق
وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته فى محمدتهم
اشد من رغبته فى مثوبة الله وهذا غاية الجهل بالرب وما اجدر صاحب
هذا بالمقت الذى هو اشد الغضب ثم اى ثم الاخس بعده الرياء باصل
السنن المؤكدة والنوافل المستحبة التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها
فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من
ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلوة

وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام
يوم عاشوراء ونحوه فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا للمذمة او
طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى من ضميره انه لو خلي بنفسه لما زاد على
اداء فرايضه فهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال وفيه اي في هذا
النوع من الريا نصفه اي نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت
احوالهم في الرغبة باعمالهم لرؤية ذلك لايثار رضا غيره تعالى على رضاه سبحانه
دون ايثار الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه اي على المرائي من مقته
تعالى فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد
فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده
من عقاب الخالق واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقاب الله على ترك
النافلة لو تركها ولكنه على الشطر الاول فلذا عقابه نصف عقابه
نتامل ثم بالاوصاف اي ثم الاخس بعده الريا باوصاف العبادات
لا باصولها من الفرايض المهمات فبالواجب كتعديل الاركان من الركوع
والسجود والقومة بتسكين الجوارح والاعضاء فيها حتى يطمين فانه
يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف
الركوع والسجود والقومة فان راه الناس احسن فعالها ومد القعود
بين السجدتين وامثالها فقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهي استهانة
يستهين بها ربه يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما
في الجلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان
متربعا او متكيا فدخل غلام له فاستوى في الجلسة واحسن كان ذلك
تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا

حال

حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلا وكذا الذي يعتاد اخراج
الزكاة من الدنانير الردية فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد
خوفا من المذمة وكذا الصايم يصون صومه عن الغيبة كمال العبادة
الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم
الخلق على الخالق لكنه دون الريا باصول التطوعات كذا في الاحيا والظاهر
انه دون الريا باصول العبادات من اللزوم لان اصول التطوعات
دون اصول الواجبات وكذا يجوز ترك التطوعات راسا ولا يجوز ترك
الواجبات اصلا ثم بترك النوافل تبطل العبادات بخلاف ترك
الواجبات فانه يوجب الاثم والنقصان في وصف العبادات ثم المكمل
اي ثم الاخس بعده الريا بفعل ما لا نقصان في تركه لكن فعله في حكم
التكملة والتتمة للعبادة لانه فيما كان وجوده خيرا من عدمه كتطويل
الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام واطالة القراءة
وتحسين الهيئة في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار ذلك بين السنة
المشعر بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الراس في
الحالات ليستدل بذلك على غاية خشوعه ونهاية خضوعه وكل
ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى طبعه ومراعاة
شرعه ثم الزايد اي بعده الريا بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا
كالبكور في المسجد اي لحضور الجماعة قبل القوم وقصد الصف الاول
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الاحكام وكل ذلك مما
يرائي به الانام ويعلم الملك العلام لو خلي بنفسه لكان لا يبالي
اين وقف ومتى حضر وباعثها رما له اي والاخس باعثها رما يقع

الرياء لاجله ما لو فيه قصد المعصية وقيل انه بدل من ضمير ما له والاولى
ما قدرناه لحسن ما له وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصية
كتقلد الوقف للمداهنة كالذي يرائي بالعبادات ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل من الطاعات والامتناع عن اكل الشبهات
وغرضه ان يعرف بها بالامانات فيولى تولية القضا والاوقاف
والوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات
والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها في الحاجات او يودع
الودايع فياخذها ويجحدها في بعض الحالات وهولاء ابغض المرائين
الى الله لانهم جعلوا طاعة الله ربهم سلما الى المعصية واتخذوه
آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ثم المباح اي قصده بالريا كنكاح
الشريفة او المراة الجميلة فيكون غرضه بالريا نيل حظ من حظوظ
الدنيا من مال او جمال فيظهر الحزن بالبكا ويشتغل بالوعظ في
الصباح والمسا لتبذل له الاموال وترغب في نكاحه النسا فهذا
ريا محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول
فان المطلوب بهذا مباح في نفسه ثم التميز عن العامة بالمشي والنز
وترك اكل اللحم ونحوه كي يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين
العباد من اهل البلد فيظهر عبادته لا لقصد نيل حظ الدنيوي من
مال ونكاح بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من
جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا في طريق فيطلع عليه الناس فيحسن
المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل
الوقار والسكون وكذلك الذي يسبق اليه الضحك او يبدو منه المزح

فيخاف

فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين الوقار فيتبع ذلك
بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول ما
اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك
لما كان يثقل عليه ذلك وقد يخفى اي الريا فانه كما تقدم اخفى من دبيب
النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما كالفرح باطلاع
الغير على طاعة فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه
ويرده عن نفسه ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس
سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا
السرور يدل على ريا خفي فيه يترشح السرور ومنه والتعريض
للاظهار يعني ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم
يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذا للعرق الخفي من
الريا فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض
والقاء الكلام عرضا بالاظهار وقد حكي ان رجلا اضاف الثوري
واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذي جيت به في الحجة الاولى
فنظر سفيان وقال المسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه وتحسين
الاداء في الخلاء وجعله عادة له ليبلغ بخلافه في الملا ظنا منه انه
يتخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يتكرر منه الريا في الخلا والملا
والتزين كذا في النسخ والظاهر انه يقول والتزين في الاعين اي اعين
اهل الملاء بظهور الخشوع في الاعضاء كظهور النحول والصفار
وخفض الصوت ويبس الشفتين واثار الدمع وغلبة النعاس
الدال على طول التهجد والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة

بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء
وقد روى لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر وتاثيره
اى الريا فى العمل بالاحباط والاثبات انه اذا هجم اى غلب الريا بعد
التمام اى تمام العمل الخالص بالفرح متعلق بهجم اى بفرحه على
الظهور من غير قصد له او الاظهار بقوله لا يبطل ثواب العمل المودى
بالاخلاص لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى اى الحادث
بعده وفيه الثواب على عمله الذى مضى والعقاب على مراياته بطاعة
الله بعد الفراغ منها وحمل ما ورد فى الحديث من نفى العمل تغليظا
ما صمت ولا افطرت بمن قال صمت اى فى حق من قال صمت دايما
والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ثم المعروف فى مسلم من حديث
ابى قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام
ولا افطر فهذا حمل على كراهة صوم الدهر اى لا على ابطاله بالريا
لاظهار ادعا الدوام لانه يكون فى قوله نوع كذب لدخول العيدين
اى عيد الفطر والاضحى والتشريق فيه اى فى قوله صمت الدهر وصوم
هذه الايام الخمسة حرام بالاتفاق الا بمنة الاربعة واخرج ابن جرير
كما فى الجامع الكبير عن ام كلثوم قالت قيل لعايشة تصومين
الدهر وقد نهى عليه السلام عن صيام الدهر قالت نعم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام الدهر ولكن من افطر
يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر وقال بعضهم انما قال
عليه السلام زجرا له عن اظهاره وما جا اى وحمل ما ورد عن ابن
مسعود ذلك اى اظهاره لك حظك ولفظ الاحيا حظه منه

اى

اى من القراءة بمن قال قرات البارحة اى الليلة المتقدمة سورة
البقرة على اى حمل على عدم خلو القلب عنه اى عن الريا حال تلك القراة
لانه هجم بعد تمامها بدلالة الاظهار وكيف ما كان يحتمل ان يكون
ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا
على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الريا وقصده لما ان
ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرا بعد العمل مبطلا
لثواب العمل بالكلية نعم يبطل كمال ثوابه فى القضية واذا هجم
اى غلبة الريا فى الاثنا اى اثنا العبادة متجردا عن الاخلاص فى
قصد الثواب كما لو تذكر ضالة فى اثنا الصلاة او حصل تفرج
اى فرجة ونزهة فى اثنائها فاتم العمل لحضور الغير عنده لولاه
وفى نسخة لولا هو اى ذلك الغير لقطع ذلك العمل وطلب الضالة
او تفرج عن النظارة يبطل جواب اذا هجم اى يبطل هذا الريا
ثواب العمل لكن فى عمل ذى اركان اى اجزاء يتعلق صلاح بعضها
ببعض كالصلاة والصوم والحج والظاهر ان الغزو كذلك لكن قال
الطبرى اذا كان الباعث اولا لاعلاء كلمة الله لا يضره ما عرض له
بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطى فى حاشية البخارى فورد العمل
كالوعاء اذا طاب اوله طاب اخره هكذا فى الاحيا ورواه ابن ماجة
من حديث معاوية بلفظ اذا طاب اسفله طاب اعلاه وعلى كل تقدير
فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى
من راى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله كذا فى الاحيا قال
مخرجه لم اجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع

سمع الله به ومن رائى رائى الله به دون غيره اى بخلاف عمل لبس
بذى اركان يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصدقة والتلاوة
وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالريا اذ كل جزء منهما منفرد
اى عن جزء اخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعلق له بغيره نعن،
بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر في غرفة لى اقرا سورة
طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصا نزل من السما بيده
صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل
كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رايت مكانها
محوا ولم ار تحتها شيا فقلت والله لقد قرات هذه الكلمة ولم
ار لها ثوابا ولم ارها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قراتها
وكتبناها الا انا سمعنا منادى ينادى من قبل العرش امحوها
واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى بكا شديدا
وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت صوتك لاجله فذهب
ثوابها وهذا يدل على ان الريا فى الاوصاف مبطل لثواب العمل
راسا والطارى اى الحادث من الرياء لا يبطل الماضى من العمل بل
يبطل الباقى وفيه مخالفة لما ورد من ان الشخص اذا ذكر العمل السر
مرة ينقل الى العلانية واذا ذكره ثانيا ينقل الى الريا واذا لم
يتجرد الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب بل غلب الرياء عليه
كغلبة الفرح باطلاع الغير اى بمشاهدة غيره اليه فالغالب
فيما يحال الظن الغالب فى هذا النوع من العمل الفساد وان انقضى
على حالة الريا ركن من اركان ذلك العمل مع غلبة قصد الريا ولم

[illegible] ٥٢٢

يعاوده اى العامل الركن او المصلى الباعث الاصلى للصلاة وهو
الاخلاص لانا نستصحب نية البداة اى بعطى نية السابقة التى
كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال والمعنى نحكم عليها
بالاخلاص الى تمام العمل فى المال بشرط ان لا يطرا اى لا يحدث
بعد النية السابقة فى اثنا العمل من الريا الا حقيقتها اى الريا
لو قارن ابتدا لمنع الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص وان احتمل
اى ولو احتمل الجواز اى صحة العمل لبقاء قصد الثواب الموجود
حال العقد من التحريمة المقرونة بالنية وتوضيحه ما فى الاحياء
اذا كان وارد الريا بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل
الثواب كما لو حضر جماعة فى اثنا صلاة فتفرح بحضورهم فاعتقد
وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان
يتمها ايضا فهذا ريا قد اثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات
فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب
وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان تفسد العبادة
مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة
عند الاحرام بشرط ان لا يطرا ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال
لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب
وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله اعلم بالصواب وذهب
الحارث المحاسبى الى الاحباط فى امر اهون منه قال اذا لم يرد الا مجرد
السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه قال
وقد اختلف الناس فى هذا فصاروا فرقة الى انه محبط لانه قد نقض

العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم
العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يزيد في العمل
ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي
انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل فقد قال الحسن
البصري انما هما حالتان فان كانت الاولى لله لم يضره الثانية وقد
روي ان رجلا قال يا رسول الله اسر عملي لا احب ان يطلع عليه فيطلع
عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه البيهقي
والترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة ثم تكلم المحاسبي على الاثر
والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل
ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الريا بعد عقد
الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله
الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد بظهور عمله بعد
الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ وثانيها انه اراد انه
يسر به لاقتداء الناس به ونحوه من سرور محمود لا سرورا بحسب
حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة
الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه فكيف يكون للمخلص
اجر وللمرائي اجران وثالثها انه قال اكثر من روى هذا الحديث
يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح السمان
وفيهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة اولى وان اتصل الرياء
بالعقد اي بالتحريمة وابتداء النية متجردا من قصد الثواب واتم
العمل حتى سلم عليه اي على الريا المتجرد عن قصد الثواب يعيد ذلك

العمل

العمل اتفاقا اي وهو اتم اجماعا وان رجع المصلي عن الريا الى الاخلاص وندم
على ما قصده قبل التمام اي تمام العمل فكذلك يعيد للعمل اتفاقا وان رجع
لفقد الاقتدا على الاخلاص وضعف القول اي ولضعف قول القايل بوجود
اعادة الافعال الصادرة عن الريا لفسادها اي لبطلان تلك الافعال
دون التحريمة اي من غير وجوب اعادتها فهي اي التحريمة عقد له ثبوت
واستقرار والريا خطرة لا تخرجها اي التحريمة عن الانعقاد والمعنى قول
المصلي اصلي لله تعالى عقد يشتمل على الاخلاص لله كالاقرار باللسان
عقد ثابت والريا خطرة لا تبطل العقد كما ان اقرار المنافق باللسان
لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه في الدنيا فكذا هنا فقوله يعني عقد
للاخرة دليل وجوب الاعادة واما دليل القول الاول المضعف للثاني
فقوله لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود واذا لم تصح فهي زايدة
فيها اي في الصلاة فتبطلها اي تلك الافعال الصلاة وبوجوب الاستغفا
اي ولضعف القول بوجوب الاستغفار قبله او الاتمام اي وبوجوب
اتمام العمل كما لو ختم بالريا وابتدا بالاخلاص لكان يفسد عمله وكون العمل
اي وبكون العمل اولا معتبرا ركونا العمل له تعالى لا لغيره والا اي فلو لم يكن العمل
خالصا له بان يصلي لغيره لكفر كما كفر من يسجد للصنم ونحوه وزوال العارض
الريا اي وبزواله او ولاعتبار زواله بالتوبة لانه دليل يضعف وجوب
الاستغفار والمعنى لان الريا قادح في النية وحال البداءة اي الاولى اولى
بالرعاية في الاخلاص من الحالة الثانية لان المدار عليها في الافعال الباقية
فقد فات ذلك فيبطل العمل ويجب الاعادة وتوضيحه ما في الاحيا
من ان الريا الذي يقارن حال العقد بان يبتدي الصلاة على قصد الريا

فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه
في اثناء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه
قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الريا فليستانفه وقالت فرقة
يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة
الصلاة لان التحريم عقد والريا خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه
عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم
العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص
وختمها بالريا لكان يفسد عمله وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا
يكون الا لله فان سجد لغير الله كان كافرا ولكن اقترن به عارض الريا ثم
زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح
صلاته قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لا الركوع
والسجود دون الافتتاح لكن الركوع والسجود اذا لم تصح صارت افعالا
زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة وكذا قول من يقول لو ختم باخلاص
صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الريا يقدح في النية واولى
الاوقات بمراعاة احكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس
الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الريا في ابتدا العقد دون
طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده
وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل فهذه الصلاة لا نية فيها اذ النية
عبارة عن اجابة باعث الدين وهنا لا باعث ولا اجابة واما اذا
كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة

ايضا

ايضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله وان لم يتجرد الريا من قصد الثواب
ففيما لا يقبل الفساد وهو العمل الذي ليس بذي اركان كالصدقة
والقراة والصوم والحج يثاب على قصد الاخلاص حيث اطاع باجابة باعث
الثواب ويعاقب على قصد الريا حيث عصى باجابة باعث الريا وعدل
عن طريق الثواب فورد في التنزيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي
ير جزاه في الدنيا والاخرى الاية اي ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله
ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقابه بقدر قصده القبيح وعليه
عقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وفي غيره اي وفي
غير ما لا يقبل الفساد وهو فيما يقبل الفساد وهو عمل ذو اركان كا لصلاة
فانها تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية ففرق بين الفرض والنفل
حيث قال لا يبطل النفل حيث يصح الاقتدا والمعنى ان حكمه ايضا حكم
الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان
ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتدا به باطل حتى ان من صلى التراويح
وتبين من قرائن حاله ان قصده الريا باظهار حسن القراة ولولا اجتماع
الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتدا به قال
المصير الي هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه
فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتدا به ولا يسقط الفرض
ان لم يستقل قصد الثواب بان اقترن به قصد اخر هو عاص فاجتمع
الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما
فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه
واستقلاله وان استقل اي قصد الثواب بمقتضى ظاهر كلام المص

والاظهر ان استقل كل من القصدين الباعثين حتى لو لم يكن باعث الريا
لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلاة التطوع لاجل
الريا فوجهان اي ففيه احتمالان احدهما السقوط اي سقوط الفرض
واعتباره للامتثال بالنية المستقلة واقتران غيره به لا يمنع سقوط
الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة
في الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلاة ومسقط للفرض عن
نفسه وعدمه اي وثانيهما نفي سقوط الفرض لان الواجب في تادية
الفرض هو الخالص من الريا لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وقد فات ذلك باتصال الريا وان كان باعث الاخلاص
مستقلا ثم تعارض الاحتمال في تعارض البواعث انما هو في اصل الصلاة
وان كان اتصال الريا في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من
بادر بالصلاة في اول الوقت لحضور الجماعة ليقولوا انه مبادر الى الخيرات
ومسارع الى الطاعات والمبرات ولو خلا لاخر الى وسط الوقت او اخره
ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلاة لاجل الريا فهذا مما يقطع بصحة صلاته
وسقوط الفرض عن ذمته ففيه فوت الفضيلة وهي تصحيح النية في
المبادرة والمعصية لقصد الريا في المبادرة اما المغلوب من الريا الغير
الموثر اي اذا لم يبلغ اثره الى حيث يوثر في العمل كالذي لم يحمله على
تطويل الصلاة مثلا لمجرد الفرجة باطلاع الغير فالغالب من جهة الظن
فيه اي في ذلك الريا المغلوب الغير الموثر الجواز اي صحة العمل لعدم
اعتبار غير الموثر نفيا للحرج واحتمل الواجب على العبد هو الخالص من
العمل عن الريا والمخلط بالريا غير مودي حق الادا ومن ثم توقف الحارث

المحاسبي

المحاسبي مايلا الى الفساد اي فساد العمل بالريا غير المغلوب كما قدمناه وقيل
بالفساد بادنى خطرة فيما كان من اركان العمل مطلقا اي سوا بلغ اثره
الى حيث يوثر في العمل ام لا وقيل مطلقا اي في الاركان او غيره حرصا لطلبه
الرتبة في تصفية القلب عما عداه سبحانه لا سيما حال العبادة وهو مذهب
الثوري والجنيد والمسئلة اي مسئلة الريا غامضة اي مشكلة من
حيث ان الفقها لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا
من ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها
بل حملهم الحرص على تصفية القلوب ومرادها وطلب الاخلاص على افساد
العبادات بادنى الخواطر والارادات والعلم عنده تعالى في جميع الحالات
والمقامات ومما يويد القول بابطال الريا في جميع الطاعات اطلاق
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي
ينفق ماله رياء الناس الاية ورواية ابي داود من حديث ابي هريرة ان
رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا
من عرض الدنيا فقال عليه السلام لا اجر له وللنسائي من حديث ابي امامة
باسناد حسن ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ما له فقال لا شي له
فاعادها ثلاث مرات يقول له لا شي له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما
كان له خالصا وابتغي به وجهه نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم
والعلاج اي دوا داء الريا اربعة قلع حب الجاه والمدح اللذين هما سببه
وكراهة الذم والطمع مما في ايدي الناس اي وقلع كراهتهما بما سبق ذكره
من الاسباب ومما يشهد للريا بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى
ابو موسى ان اعرابيا سال النبي عليه السلام فقال يا رسول الله الرجل يقاتل

٧٤

حينئذ ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل للذكر وهذا هو طالب للجهر باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا متفق عليه وعنه عليه السلام من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع واخذ الجعل متكلفا اي مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفا العبادات كما يخفي السيئات وذكر فوايد الاخلاص وافات الريا على ما تقدم والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا وحسب الغفلة ونسيان العقبى وقلة التفكر فيما عند المولى من الدرجات وعدم التامل في افات الدنيا وعظيم نعيم الاخرى واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع السيئات فان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القلب وتميله عن الرب وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة الباقية والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة وانوار العلوم النافعة واسرار الاعمال الرافعة فما اقبح من لا يكتفي بنظره تعالى على ساعة من العمل المحبوب عنده وهو تعالى مع جلاله اي جلالة قدره وعظمة شانه يكتفي بنظره اي بنظر عبده وتامله في خلق سمايه وارضه ونزول امره فورد في التنزيل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير الاية اي وان الله قد احاط بكل شي علما ومن وما اقبح من باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين من نفيس باق ليس له ثان فورد في التنزيل من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة فعند الله ثواب

الدنيا

الدنيا والاخرة فليطلبهما من عنده فانه لا يوجد واحد منهما عند غيره وذكر ما ورد فيه اي في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الريا من الرذيلة ويكفي في ذلك قوله سبحانه فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والاخبار في هذا الباب كثيرة والاثار شهيرة ويجد الفرحة بالظهور اي بسبب لظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها على حسن لطفه تعالى اي شكرا باخفا الذنوب اي ستر السيئات واظهار الطاعات فورد فورد في التنزيل قل بفضل الله وبرحمته من الايمان والقران فبذلك فليفرحوا اي لا بغير ما ذكر هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية وفي الدعايا من اظهر الجميل وستر القبيح او دلالة اي او يجد الفرحة بالظهور على دلالة على انه تعالى يفعل كذلك من اظهار الحسنات وستر السيئات في الاخرة اي اخر الحالات فورد في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ما ستر الله على عبد في الدنيا الا وستره عليه في الاخرة وفي معناه انشدوا ه لقد احسن الله فيما مضى ه كذلك يحسن فيما بقي ه فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة للاستقبال والثاني التفات الى حال المآل وحسن المنال وانه او انه اي يجد بالفرحة او با لظهور على ان من ظهر عمله يقتدي به فيضاعف الاجر بسبب ظهوره او اي او يجد الفرحة على ان المطلعين على عمله يثابون بمحبته اي بمحبة صاحب العمل والثنا عليه في مقام رضاه ففي الخبر افضل الاعمال الحب في الله ويعرف الاخير وهو صدق دعوى فرحه بالثابة الناس او فرحه باقتدايهم في عمله بتسوية مدحه ومدح صالح غيره فانه حينئذ دل على ان فرحه محمود لا مذموم مردود ومنه اي ومن الفرح المحمود ما ورد ذلك اجر ان اجر

السر واجر العلانية فيمن قال على طريق السوال اخفي العمل خوفا من الريا
فاذا اظهر افرح بظهوره لثنا فللبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود
ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال
عليه السلام لك اجران اجر السر واجر العلانية ورواه الترمذي
وابن حبان من رواية ابي هريرة ولفظه قال قلت يا رسول الله بينا
انا في بيتي في مصلاي دخل علي رجل فاعجبني الحال التي راني عليها
فقال عليه السلام رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر
العلانية والحديث في المشكاة والاظهار اي وجد اظهار العمل للترغيب
اي لترغيب غيره فيه فورد في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله
البجلي من سن سنة حسنة اي فعمل بها كما في رواية فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيمة وسبب وروده ان انصاريا جا بصرة فتتابع
الناس بالعطية لما رواه البيهقي من حديث ابن عمر عمل السر افضل
من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتدا وله من حديث
ابي الدرداء ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا
وله من حديث عايشة يفضل او يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه
الحفظة على الذي يسمعه بسبعين ضعفا وبه اي وبالاظهار امر الانبيا
عليهم السلام ويفهم منه انه يحسن الاظهار بشرط ان يكون المظهر ممن
يقتدي به من العلما والصلحاء لتتم فايدة الاظهار الذي دون الاسرار
قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا
قد تكون فايدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم قلت وقد

قال

قال ايضا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية عملا بالاية بذ
وما فيهما علانية ويبالغ اي احترازه وبشرط ان يبالغ في الاحتراز عن الرياء
ليصل الى مقام اهل الاختصاص من الاخلاص فربما يكون فيه ريا في
غاية خفا فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتدا فيهلك هنالك وهو لا يشعر
بذلك ويعرف احترازه او يعرف المظهر للترغيب دون الريا بانه لو قدر
اي فرض اقتدا الناس بغيره من العلما في عمله حال ظهوره وعرفانه اي
وقدر معرفة هذا المظهر باستوا اجر السر والعلانية فضلا
عن كون عمل السر افضل لما رغب المظهر فيه اي في اظهار عمله لان غرضه
حصل من عمل غيره فيهما وجد التثقل في نفسه او رغب في اظهار العمل
مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب في دعواه طالب لمقتضى هواه
والذكر اي وجهر ذكر العمل بعده اي بعد فراغ العمل ليقتدي به كقول
عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحيا ولابي يعلى الموصلي في
معجمه من رواية انس عنه في اثنا حديث وان عثمان قال يا رسول الله
فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان او تحدثا بنعمة ربه
وهو اي الذكر انما جاز لمن قوي باطنه في المعرفة بعدم الالتفات الى سوى
الله وتم اخلاصه عن الريا وخطره اي خطر الذكر بعد العمل اصعب من
خطر الظهور لخفة المونة اي الكلفة في ذكره ببعض الكلمة وزيادة
المبالغة اي ولزيادة تمامها في ذكر العمل بان يقول انا ما نمت البارحة وي
مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس ولذة النفس في اظهار الدعا
واخف اي اهون على المظهر في التاثر وان يطرقه في الذكر بعد العمل لان

اللاحق من ذكر العمل لا يبطل السابق من نفس العمل مع الاخلاص وكتمان
المعاصي اي وجد كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس على العيوب
لا اي لا يجد لان يعتقد فيه اي في الكاتم الورع رياء بل يجد لثمانية اشياء
للتحامي عن الهتك اي المحافظة على هتك ستره وظهور امره من ذنبه
خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجراءتها عليها فان النفس
متى الفت ظهور الذنوب زاد انهماكها واسترسلت في شهواتها بارتكابها
وما بالت بعدم اجتنابها ففيه اي في الهتك في الدنيا خوفه اي خوف
العبد او خوف الهتك في الاخرة اي في القيامة بالكرة الاخرة عكس
ما تقدم لقد احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقي • اولان
الستر اي كتمان المعاصي مامور به اي في باب استحبابه فورد في حديث
من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الاخرة باعتبار مفهومه
وكذا من ارتكب شيئا من هذه القاذورات اي السيئات فليستتر
بستر الله تعالى عليه رواه الحاكم ويعرف صحة هذا المقام بكراهة
ظهورها اي المعاصي من الغير ففي الخبر لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه او لئلا يتالم بالذم اي بذم الناس فان الذم مؤلم
للقلب وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاص فهو اي
التالم مباح لكونه جبليا كما ان الضرب يولم الجوارح بالطبع فاذا تالم
القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع في العبادة لفوات
عقله بسبب الغضب الناشي عن تالمه والترك اي ترك التالم كمال
فاذ كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه
لعلمه ان الضار النافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون مقهورون

تحت

تحت قدره وقضائه فللترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قام رجل
فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله وللاحمد من
حديث الاقرع بن حابس وهو القايل ذلك دون قوله كذبت ورجاله
ثقاة اولان الناس شهداء اي شهداء الله تعالى كما قيل السنة الخلق
اقلام الحق فورد في مسند احمد والصحيحين والنسائي عن انس
من اثنيتم ايها الصحابة او ايها الامة عليه خيرا وجبت له الجنة
ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله في الارض ثلاثا
اي قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا او لان الذام يصير عاصيا اي بسبب ذمه ولو بالمعاصي او
بتجاوزه عن الحد في الذم فيذم بما ليس فيه ويعرف تصحيح هذا
المقام او يعرف هذا الكتمان بتسوية ذمه وذم غيره كما يتالم بذمه
كذلك يذم غيره والفرق بين هذا التالم والذي قبله ان هذا يوجد في
الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره ايضا كما يوجد اذا ظهرت منه
والذي قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه والذي قبله انما
يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره او لخوف ان
يقصد بسوء من محتسب وغيره وهذا وراء الم الذم فان الذم مذموم
من حيث يشعر القلب بنقصانه وان كان ممن يؤمن شره وهنا يخاف
شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه او للحياء فهو من كرم
الطبع ولا يلزم منه الرياء وورد الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن
الحصين ويعرف الكتمان في الاجانب والاقارب او لان لا يقتدى به الغير

في معصيته ينبغي ان يخفى المعاصي معصيته من ولده وعبده ايضا وجب
اي وجد حب محبته الناس كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة
المصدر الى فاعله والمفعول محذوف اي اياه لكنه قلب الكلام وقال
محبته الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها لانه يعلم منه
اي موجب الناس له محبته تعالى ويا فمن احبه تعالى جعله محبوبا في
قلوبهم فمن احبه تعالى جعله محبوبا في قلوبهم اي قلوب الخلق اجمعهم
لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ولقوله
عليه السلام اذا احب الله عبدا دعا جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه
فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث رواه مسلم عن
ابي هريرة ثم الطاعة التي لا يلتذ به العامة كالصلاة والصوم والصدقة
بترك بمحض الغير اذ هجم الريا متجردا عن باعث اخر وعن الاخلاص في
الشروع اي في ابتداء شروعه في العمل حتى اندفع الريا اي الى ان يندفع
الريا ويطرا باعث الاخلاص ويشرع في العمل يجاهد النفس في دفع الريا
وتحصيل الاخلاص بالمعالجة والدوا ان هجم باعثان في وقت الشروع
ويتم اي يجاهدا كذلك اي كما اتم في هجوم باعثين اذ هجم باعث الريا
بعده اي بعد الشروع ولا يترك اي ريا الشروع في العمل مع هجوم
الريا الوجهين لانه موافقة الشيطان فانه يجب ترك العمل من اصله
فانه يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل
فيدعوك الى الريا فاذا لم تجبه ودفعته بقي يقول لك هذا العمل
ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاي فائدة لك في العمل

لا الخلاص

لا الخلاص فيه حتى يبلك على ترك العمل بخوفه فاذا تركته حصلت
غرضه بل يجب عليه حينئذ ان يعمل العمل ويطلب الاخلاص من
الله تعالى فان الريا قنطرة الاخلاص ولان الاشتهار بالخفا ثمة
اي الطاعة ليعلم اخلاصه ريا والاحتراز اي ولان الاحتراز عن
التشبه الى الريا ريا قال الفضيل العمل لغير الله شرك وترك العمل
لاجل الخلق ريا والاخلاص ان يخلصك الله منهما وترك التخفي التلا ونة
لدخول شخص لم يكن لمجرد اخفا الطاعة بل لما علم انه يحتاج اليه با
لاشتغال به فبادر الى ترك التلاوة قبل دخوله لكونه اي التبادر
ابعد من الريا فراى ان عدم رؤيا مي في القراة ابعد من الريا وهو عازم
على الترك للاشتغال بمحيي يعود اليهما بعد ذلك والحاصل ان تركه
لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع او هجوم باعث الريا بعد
الشروع وان زاد اي المصلي مثلا على المعتاد في ورده كمية او كيفية
بحدوث النشاط في العبادة عند رؤية متعبد اي عند رؤيته لمتعبد
اخر فان للصحبة تاثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة والجماعة فان كان
ما زاد على المعتاد غبطة في العبادة لزوال الغفلة والكسل بمشاهدته
اي المتعبد فيفعل الزيادة على العادة وان ظن انه ريا دافعا وسوسة
انه ريا بخلاف ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه اي قلب المتعبد الاخر
فلا يفعل الزيادة لانه ريا محض لا ثواب له بل عقاب عليه ويعرف هذا
المقام وهو النشاط لاجل الغبطة بانه اي بان العابد الذي يزيد
على المعتاد غبطة لو راى اي المنشط المتعبد حيث لم يره المتعبد
المنشط رغب العابد فيه اي في العمل الزايد فانه حينئذ يصدق

انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة اما ما يلتذ به العامة من الطاعة فالاعلى الخلافة اي الامامة الكبرى فورد في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة وفي رواية عاما وللاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابي سعيد الخدري اقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل وخطرها اي افة الخلافة اعظم لتحريكها اي الخلافة الباطن في محبة الجاه وهو اعظم بلا الدنيا فلاحمد والبزار وابي يعلى والطبراني من حديث ابي هريرة ما من والي عشرة الا جا يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا غفر له وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار ما من عبد يسترعه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رايحة الجنة وعن الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال خر لي يا رسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة وللبخاري من حديث ابي هريرة انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ورواه ابن حبان فبئست المرضعة الفاطمة وفيهما من حديث ابي موسى انا لا نولي امرنا من سالنا والافضا اي واتصال الخلافة واجرارها الى ارتكاب الذنب لنموه اي لزيادة فان كلما نما جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة عنده فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان كان حقا ومن ثم احترز عنها اي عن الخلافة

الاتقيا

الاتقيا من اكابر الامة لكن لا بد لاحد ان يقوم بامرها فيحترز عنها الضعيف اي العاجز عن السياسة دون القوي القادر على الرياسة لعدم تاثيرها اي تاثير الخلافة او محبة الجاه فيه اي في القوي الا اذا علم القوي اي خاف الانقلاب عن حالة القوة الى حالة الضعف عند التقليد اي عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والافة فالصحيح الاحوط فيه اي في هذا الحال من خوف الانقلاب الاحتراز اذا النفس خداعة يخاف عليها عند الجزم اي عند عزمها وجزمها بالثبات فتقيد الخوف من عدم الثبات اولى ان يخاف عليها والامتناع عن المنصب اهون من العزل كما هو المشاهد في اهل العدل ويشير اليه ما في حديث البخاري نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ثم القضا وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ولمسلم من حديث ابي ذر لا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ولاصحاب السنن من حديث بريدة القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ولهم من حديث ابي هريرة من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين وفي رواية من ولي القضا واسناده صحيح ثم الوعظ للناس والدرس للطلبة والفتوى لارباب الحاجة في الفضل لانها عبادات متعدية والخطر لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطر ما فيها عظيم بقدرها واشتراط القوة بان يكون التعليم خالصا لوجه الله الكريم ومدافعة السلف مبتداتها اي في المذكورات مشهورة قال بعضهم كان السلف يتدافعون اربعة اشيا الامانة والوديعة والوصية والفتوى وتعرف القوة في كل منهم بعدم كراهة ظهور اخر احسن منه

علما وعملا لا يتقلده اي بالقيام في امره فان عدم القوي في مقام التقوي
الكامل في العلم بالفتوي بتعين افتوى الناس مجتهدا اي حال كونه
مبالغا في الاحتراز عن افاته اي افات ما ذكر من الخلافة وغيرها في جميع
حالاته ومماته وبالجملة ما يتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه
لذة فهو مثار الافات ومنبع البليات فلا احب للقوي اذ يعمل ويدع
الافتة بالعلم فان عجز فليبنظ وليجتهد وليستفت قلبه وليستخبر ربه
وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم
بالشروع دون الميل اليه بالطبع ما يجده اخف علي قلبه واهون اليه
يكون في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر فلما تشير بمحض
الخير وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات نظرا الي تعاليها
بل هي موكولة الي اجتهاد القلب المشحون بذكر الرب لينظر فيه لدينه
وتحقيق يقينه ويدع ما يريبه الي ما لا يريبه ومن جرب افات
مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولات والحكومات
اشبه ولان الحذر منهما في حق الضعيف اسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الرابع في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه

اي اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة بسم الله الرحمن الرحيم
وافوض امري الي الله الكريم الخطر وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا
بالحزم فقوله لقد خطران اي نوعان احدهما خطر الفساد بان لا يتيقن
فيه الصلاح ويحتاج فيه الي التفويض اي التسليم الي امر الله وما قدره
وقضاه فيما اراد من الصلاح والفساد فان المراد للعباد ثلاثة مراد
يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب والحجاب وفي الافعال

بان يتيقن

كالكفر

كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الي ارادة ذلك ومراد يعلم
قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها
بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ومراد لا يعلم يقينا ان لك
فيه صلاحا ام فسادا فهذا موضع التفويض فليس لك ان تريده قطعا
الا باستثناء او شرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء
فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو مذموم ومنهي عنه فموضع
التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا يتيقن صلاحك فيه
وهو اي التفويض ارادة حفظه تعالى للمفوض فيما اي في عمل لا امن
فيه عن الفساد وقال بعض المشايخ هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الي المختار
المدبر العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد وعبارة الشيخ السجري
هو ترك اختيارك المخاطرة على المختار ليختار ما هو خير لك ويؤيده كلام
الامام الشاذلي لا تختر فان تخترت فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما
يشاء ومن هنا لما قيل لابي يزيد ما تريد قال اريد ان لا اريد وقال
الشيخ ابو عمر ترك الطمع اي من الخلق والطمع ارادة الشيء المخاطر
بالحكم وعن الشاذلي اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
لك فهذه عبارات القوم وما ذكره المص هو اختيار الامام الغزالي
بعينه وهو ان التفويض ارادة ان يحفظك الله عليك مصالحك
فيما انا من الخطر فيه لاجلك قيل هو اي العمل الذي لا امن فيه من
الفساد ما يكون دونه نجاة فالايمان ليس لغيره نجاة وكذا الواجبات
والمحرمات ويمكن ان يجامعه ذنب فالاستغنا منه التي هي حمل النفس
على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والتهمة

لايجامعها ذنب اذ السنة لاتجامعها بدعة لان البدعة الذميمة هي
التي تزاحم السنة الكريمة فيختص التفويض بالنوافل والمباحات
دون الواجبات والمحرمات والمكروهات وقيل المراد بالعمل الذي لا امن
فيه من الفساد ما اي عمل يمكن ان يعترض عليه اي بطرا وحدث
على شروعه ما يكون الاشتغال به اولى فيعم الفرض اي ونحوه واكثر المشايخ
واختيار الامام في منهاج العابدين ان الفرض ليس موضع التفويض
وبه قال القشيري حيث قال في هذه المسئلة ان الذي افترض الله عز وجل
على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا
محالة وقعت ارادتهما بالحكم البتة انتهى وقال بعضهم ان الله عز وجل
لا يامر العبد بشئ الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه
فعلا فرضا بحيث لا يعدل عن ذلك الا وفيه صلاح له وانه ربما يسبب
عذر الاجله يكون العدول عن احد الفرايض اولى من الاشتغال بالاخر
فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لكن لا يترك هذا الفرض بل يفعل
الفرض الذي هو اولى اولا اذ من قصد اداء صلاة ضاق وقتها وعنده
غريق او حريق او اعمى او صغير يريد ان يرتمي في بئر يمكن انقاذه اي
تخليصه بترك اداء الصلاة او بقطعها وتاخيرها فهو اولى من ادائها واتمامها
لان ذاك هو فرض الوقت الذي يوجب تركه المقت ولابد منه اي من
الفرايض لاموين لاطمئنان القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطرة
مهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد
النفس في مرادها لا يدري ينفع في صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى
الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تنتفع الا في خير ونفع وفلاح فتكون

امنا

امنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن البال في الحال وهذه الطمانينة
والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة في المآل فكان يقول بعض المشايخ
في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح وحصول الصلاح اي
الخير والنفع في الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من
شر في صورة خير وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في طيبة شهد وانت
جاهل بالعواقب واسرار المراتب واما اذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه
وسلمت نفسك لديه وسالته ان يختار لك ما هو صلاحك فلا يفعل رب
العباد في المفوض اي في امر المفوض للمراد الفساد بل طريق الا الخير والرشاد
ولا يفعل الا الصلاح والسداد فورد في التنزيل حكاية عن مومن ال فرعون
وافوض امري الى الله الى فوقاه الاية اي ان الله بصير بالعباد فوقاه الله
سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فالمرجو هو المنبغى
الصلاح واما الاصلح للعبد فربما لا يفعل الله في المفوض حتى نام عليه
السلام مع اصحابه الكرام عن صلاة الفجر حين عرس عليه السلام وقت
سحر في حال سفر والحديث في الصحيحين بطوله وله اي وللمفوض اختيا را الافضل
اي في طلبه من الله بغير استثناء منه وهو لا يقدح في تفويضه الذي
هو كمال تسليمه كقول المريض المفوض للطبيب الذي بمنزلة الحبيب
اجلد واي ما العسكر لا ما الشعير اذا كان الصلاح فيهما بحسب التدبير
مع الرضا بالمفضول وهو ماء الشعير ان اختير اي اختيار الطبيب المفضول
له للمريض بحسب التقدير وانما قيد بكونه مع الرضا لانه لو لم يرض ٨١
به لكان المفضول مكروها وكان الا فصلح هو الفاضل بخلاف الاصلح فهو
مجهول اي لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد حتى يختار

الاصلح فيما اراده ونوضحه ما في الاحيا فان قيل هل يجب ان يفعل بالعبد
الاصلح دون الافضل لحكمه في فعله الا ترى انه قدر عليه السلام واصحابه
ان ناموا طول الليل في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الفجر والصلاة افضل
من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل
باعتبار العقبى ويقدر له الاستغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد
لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير فالمقصود للعبد النجاة
من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك فان قيل فلما ذا كان
للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما
ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد لا يدريه
بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو
الافضل ويختار له ذلك ويقدره هنالك لان العبد تحكما في شئ لقوله تعالى
ليس لك من الامر شي ثم هذه جملة موجزة فاين هذا العلم واسراره وحقايقه
وانواره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا بالايراد عليه لانه بلاطم
بحار علوم المكاشفة ونحن في ساحل علوم المعاملة وضده اي ضد التفويض
الطمع من الخوف بمعنى الرجاء وهو اي الطمع محمود ان قيد بشرط الصلاح فيما
لا امن فيه عن الفساد او باين اي ان فارق المطموع الخطر اي خطر الفساد
فورد في التنزيل حكاية عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين وعن السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين
وكذا قوله تعالى حكاية عن المومنين وكذا قوله تعالى حكاية عن المومنين
وما لنا ان لا نومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين فالطمع الوار في هذه الايات مثال ما باين الخطر والا فمذموم

اي وان لم يقيد بشرط الصلاح او لم يباين الخطر فالطمع مذموم ففي الخبر
اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل وفساده الطمع فهو اي الطمع المذموم
سكون القلب الى منفعة مشكوكة وقيل هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم
وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حسن التفويض
فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد منهما وحسن حسنه
ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع من الوقوع فيهما
لجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين يحملك
على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيهما والامتناع
عن ارادتهما الا بشرط صلاحهما وهذه غاية التحقيق والله ولي التوفيق
وخطر عدم الكون بالرفع عطف على قوله في اول الباب خطر الفساد
اي الخطر خطران خطر الفساد وخطر عدم الكون بالرفع عطف على قوله
في اول الباب اي عدم وجود الامر ويحتاج فيه اي في خطر عدم الكون الى
قصر الامل اي وتقريب الاجل وتكثير العمل وهو اي قصر الامل ان لا يراد
امر يشك في كونه اي وجوده الا باستثنا بذكر المشيئة اي بقيد ان
شا الله كما قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله او
العلم اي او بذكر علم الله فيقول ان علم الله اني افعل ذلك الفعل فافعل
قلبا اي يكفي في الذكر والعلم حظور القلب وحضور الجنان ولا يلزم
فيهما النطق باللسان في عالم البيان فورد في قصر الامل خطابا لابن عمر
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا اي بادراكه واذا امسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح وتمامه وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك
فانك يا عبد الله ما تدري اسمك غدا او صدر الحديث كن في الدنيا كانك

او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور رواه ابن حبان ورواه البخاري من
قول ابن عمر ولابن ابي الدنيا من حديث من حديث علي مرفوعا قال اشد الناس
ما اخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الامل فانه يعدل عن الحق واما
طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان الله يعطي الدنيا من يحب
ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدنيا ابنا وللدين ابناء
فكونوا ابناء الدين ولا تكونوا ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية
الا ان الاخرة قد اظلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم
توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل والامل اي وضد التفويض
الامل ايضا هو الارادة هو الارادة اي ارادة امر يشك في كونه بالحكم اي بالقطع
لا بالاستثناء وقيدا المشير وفيه اي في الامل التفاوت من امل البقاء ابدا
كالكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى ومن الذين اشركوا يود احدهم
لو يعمر الف سنة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قلب الشيخ شاب على
حب اثنين طول الحياة وحب المال والى الهرم اي الكبر وهو حال الاكثر والسنة
وهو قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة
لكفايتهم حالهم من ماله والفصل من الفصول الاربعة والشهر فلابن
ابي الدنيا والطبراني وابي نعيم والبيهقي عن ابي سعيد اشترى اسامة
ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل
الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان جفني لا يلتقيان
حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى اقبض ولا
لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم

انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين ولابن المبارك وابن ابي الدنيا والبزار
من حديث ابن عباس كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب
فاقول الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عليه
السلام يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة
واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير
العمل لابن ابي الدنيا من رواية حوشب وقال مطرف بن عبد الله لو علمت
متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة
عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق
وقال بعضهم لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال الثوري الزهد في الدنيا
بقصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس وقيل للحسن الا تغسل قميصك
قال الامر اعجل من ذلك ورأى وهب بن منبه في حجر منقور ابن ادم انك
لو رايت ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في زيادة
عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك انما يلقاك املك لو عثرت
في زيادة عملك ولقصرت غدا ندمك لو قد زلت قدمك واسلمك
اهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب
فلا انت في دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة
قبل الحسرة والندامة وعن داود الطائي من خاف الوعيد قصر عليه
البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك
عن ربك فهو مشؤوم وان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون
على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور
فاهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم

يختصمون وروي ان معروف الكرخي اقام الصلاة فقال لاحمد بن ابي توبة تقدم فقال ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخري اعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع الامل خيرا لعمل وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون الي الله تعالى عز وجل رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكا بعد ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس اخر العد خروج نفسك عن نفسك واجتهد ابو موسي الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجاريها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من عمري اقل من ذلك فلم يزل علي ذلك حتي مات وكان يقول لامراته شدي رحلك فليس علي جهنم معبر وقال ابن عمر خرج عليه السلام والشمس علي اطراف السعف وقال ما بقي من الدنيا الا ما بقي من يومنا هذا الي ما مضي منه ابن ابي الدنيا والترمذي وحسنه وعن انس قال عليه السلام مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الي اخره فبقي معلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابن ابي الدنيا ومر داود الطاي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج روحي وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتي جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور واليوم عن عيسي عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من اجالكم ستاتي فيه ارزاقكم مع

اجالكم

اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لاجال غيركم وهو يوخذ من قوله تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا والساعة النجومية واللغوية الشاملة للحظة والغمضة ويوخذ هذا من قوله تعالى اذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ومن قوله ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها لا يستاخرون ساعة ومن قوله ولن يوخر الله نفسا الذو في الاحيا ومنهم من يكون الموت نصب عينه كانه واقع بهم فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما ساله عليه السلام عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخري رواه ابو نعيم في الحلية وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال قايل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني يعني وفي اي صفة يحضرني وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال لخوف الرجال من هذا الحال الا من انتها الاجال وفي منهاج العابدين قال اكثر علمايتنا ان الامل ارادة الحياة للوقت المترا رجي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثنا بمشية الله وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا انت ذكرت حياتك باني اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك معصية اذ هو حكم علي الغيب وان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى فقلت اعيش ان شا الله وان علم الله اني اعيش بعد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت آمل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل حيث تركت الحكم في ذكر البقا وارادته والمراد

بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على
ما هنالك ويظهر هذا التفاوت بالادخار اي بوضع ذخيرة الارزاق و
التاهب اي التهيئ لاسباب المعاش في الارفاق وافاته اي افات
الامل ومضاره ستة ترك الطاعة راسا والكسل في العبادة والملل
والتسويف اي تاخير العمل بان يقول سوف اعمل والحرص على الدنيا
ونسيان الاخرة وما فيها من لقا المولى والقسوة اي قساوة القلب
ومنه قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة
وقوله سبحانه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومن علامة القساوة
عدم الرقة وقلة البكا على الغفلة فورد في التنزيل الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد اي زمان الاجل فقست قلوبهم
بسبب طول الامل وفي رواية اخرى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل اي يشغلهم الامل عما خلقوا له من العمل فسوف يعلمون غاية
جهلهم في طول املهم وقصر عملهم وتوهم تاخير اجلهم والسبب اي سبب
الامل شيئان حب الدنيا يوجب كراهة مجئ الاجل والجهل بالحقايق
اي حقايق ما يرد على الانسان من موت الفجاة وقتل البغتة ومن مقدمات
الموت كالحمى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الا علة قال تعالى وكم من
قرية اهلكناها فجاها باسنا بياتا اوهم نايمون اوهم قايلون اي
مستريحون بالقيلولة وعلاج كل من سببيه ما عرف في موضعه وذكر
فجاة الموت اي ومن علاجه تصورها في الجنان وتقررها باللسان
فذكره اي الموت مطلقا يوجب التاهب له اي يقتضي التهيئ للاستعداد

للموت

للموت قبل مجيئه والتجافي اي التباعد عن دار الغرور وهي الدنيا لانها
غدارة مكارة كما قال تعالى ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور اي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى فورد في الحديث
نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة والظاهر ان يقول
في كل ساعة اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ويحتمل ان يذكره
في اليوم عشرين مرة وفي الليلة عشرين مرة او في اليوم عشرة وفي
الليل عشرة متوالية او متفرقة والمقصود منهما الكثرة حتى قيل هل
يحشر الخامس مع الشهداء احد والحديث تقدم وقال المخرج لم اقف له على
اسناد قلت روى الطبراني في الاوسط عن عايشة قالت قلت يا رسول
الله ليس الشهيد الا من قتل في سبيل الله قال يا عايشة ان شهداء امتي
اذا القليل من قال في يوم خمسا وعشرين مرة اللهم بارك لي في الموت
وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد وفي السنن الار بعة
عن ابي هريرة اكثروا ذكر هادم اللذات فانه لا يكون في كثير الا قلله ولا في
قليل الا اجزاه وفي رواية فان لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه
عليه ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه وفي رواية اكثروا ذكر الموت فانه
يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم
وللبيهقي في الشعب من حديث ام حبيبة الحبشية لو تعلم البهايم
من الموت ما يعلم ابن ادم ما اكلتم منها سمينا ولابن ابي الدنيا عن عطا
الخراساني مرسلا انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال
شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون و يضحكون

فقال اكثروا من ذكر هادم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمرو وفيه
ايماء الى قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وللطبراني والبيهقي في
الشعب من حديث عمار بن ياسر كفى بالموت واعظا وفي رواية مفرقا
قال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار
من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت
واشدهم استعدادا له اولئكهم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة ه
الاخرة ابن ابي الدنيا بسند جيد وقيل في تفسير قوله تعالى ايهم احسن
عملا ايهم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الموت وقال
بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
ولا تجده وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها
وقالت صفية ان امراة شكت الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثري
ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي
الله عنها وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت
من عند القصار وحقه اي وحق ذكر الموت ان يذكر رغبة اي ميلا ومحبة
الى لقائه تعالى في الجنة ورهبا اي خوفا وحقا للخوف الموجب سرعة
التدارك اي تلافي ما فات منه من الطاعات دون التاسف اي الحسرة على
فوات الدنيا اي من لذاتها وشهواتها فهو اي التاسف المذكور مبعد عنه
تعالى لقوله عليه السلام من اسف على الدنيا فاته اقترب من النار مسيرة
الف سنة اخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمرو فورد في الحديث من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه رواه الشيخان

وغيرهما

وغيرهما وفي رواية زيادة والموت دون لقاء الله المصير الى دار الاخرة وطلب
ما عند الله من المراتب الفاخرة وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه
فمن ترك الدنيا وبغضها احب لقاء الله ومن اختارها واثرها وركن
اليها كره لقاء الله لانه يصل اليه بالموت وقوله والموت دون لقاء الله
تبيين ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو
الوصول الى قرب المحبوب فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه
لديه حتى يصل الى الفوز باللقاء كذا في النهاية وفي شرح مسلم للنووي
ليس معنى الحديث ان حبهم لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم ولا ان كراهتهم
سبب لكراهيته بل الغرض بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين
احب الله لقاءهم انتهى وتوضيحه ان المحبة صفة الله ومحبة العبد ربه
تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار
او يويده ما روي انه عليه السلام قال اذا احب الله عبدا عشقه
عليه وفي تقديم يحبهم على يحبونه في القران اشارة اليه ولانه عليه
يعني الحديث من احب لقاء الله فهو سبب للاخبار بان الله يحب لقاءه
اذا اذاقه الله حلاوة محبته ووافقنا بمزيد عنايته كذا في شرح المشارق
فالاول صفة المحبين والاخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المومنين
او صفة الكافرين والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصابيح ان الاخر صفة
الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث فقالت عائشة انا لنكره
الموت قال عليه السلام ليس ذلك ولكن المومن اذا حضره الموت بشر
برضوان الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله
واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر الله وعقوبته فليس

شيء اكره اليه مما امامه فكره لقا الله وكره الله لقاه وفي القران يشير الي المقامين
حيث قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة
ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون الايات قال
عز وعلا يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول
ذوقوا ما كنتم تعملون والمراد بالمحب اي لقا الله في الحديث انما هو العارف
بذات الله وصفاته وبدايع مصنوعاته المشتاق اليه لزيادة ما لديه فالموت
موعده اذ لا يتصور لقاه دونه كما في حديث مسلم انكم لن تروه حتى تموتوا
وهذا مجمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام لن تراني اي في الدنيا بالعين الفانية
وانما تراني في العقبى بالعين الباقية وهذا مجمل قوله عليه السلام
تحفة المومن الموت ابن ابي الدنيا والطبراني والحاكم من حديث عبد الله
بن عمر بسند حسن وعلامة المحب العارف ان لا ينسى قط موعد
لقا الحبيب بل يستبطي مجي الموت ويحب مجيته ليتخلص من دار العاصين
وينتقل الي جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال
حبيب جا على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب
الي من الغنا والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش
فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التايب معذور في كراهة الموت وهذا
مشكور في حب الموت واعلى منهما رتبة من فوض امره الي الله فصار
لا يحب لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشيا اليه احبه الي مولاه
فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الي مقام التسليم والرضا وهو غاية
المنتهى وهو معنى قول المص وبالكاره اي والمراد بالكاره لقا الله الراغب
الي الدنيا مالا وجاها ومنالا كما قدمنا بخلاف الخايف فهو منه اي بهجوم

الموت

الموت وما دناه البغتة قبل تمام التوبة وتدارك اوقات الغفلة في
الحوبة واصلاح الزاد ليوم المعاد فهو انما يكره فوت اللقا اي لا نفس
اللقا وعلامة صدق هذا ان يكون دايم الاستعداد لا شغل له سوى
اعداد الزاد للمعاد قال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت
منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي منه وقال الثوري
رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة
انتظر الموت ان نزل بي لو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته عن شي
ولا لي احد شي ولا لي عند احد شي والاعلى اي اعلا المراتب بالنسبة
الي ما ذكر من الموت وسايل المناقب ترك الاختيار اي في امر الا فيما اراد
الله منه ان يختاره والتفويض بالرفع اي وتفويض امره وتسليمه
الي المدبر المختار بقوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار وفي الاخبار
عن سيد الاخيار وسند الابرار لا يتمنين احدكم الموت فان فعل ذلك
لا محالة فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا
كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت
راحة لي من كل شر وانما كره بعض الانبيا والاوليا الموت فان الدنيا
مزرعة الاخرة وطول العمر في العبادة من كمال السعادة ويفرغ القلب
اي وان يفرغ قلبه عن غير الموت اي استعداده قبل الفوت ويتفكر
دايما تفكر العازم على السفر هايما من خوف البحر والبر ووضح طريق
فيه اذ يذكر موت اخوانه واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر مصرعهم
تحت التراب ويتفكر صورهم في مناصبهم وسقام حضورهم وكيف
تبددت الان اجزاوهم في قبورهم وكيف ارسلوا نساهم وايتموا

بناتهم وابناهم وضيعوا اموالهم ونقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ومساجدهم واثارهم مع ما كان بهم من طول املهم للعيش والبقا ونسيانهم للموت والفنا واخداعهم بمواتاة الاسباب وركونهم الى القوة والشباب وميلهم الى الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعصبانه وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم في عاقبة امره قال ابو الدردا اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون غاديا ورايحا الى الله عز وجل تضعونه وقد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب وواجه الحساب ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا والاصل فيه اي في ذكر الموت الانتباه اي استيقاظ القلب من نوم الغفلة وهو اي الانتباه خلاف الغرور اي ضده ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهو اي الغرور سكون النفس واطمئنانها وهي قوة في الانسان مايلة الى الشر والفساد كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فمن الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة ويخالف الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع عن غير داعية الشرع واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور على نور وسرور على

سرور ولذا قال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فورد في التنزيل لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها غدارة مكارة غرارة سحارة فقيل انها اسحر من هاروت وماروت ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المغرور في الترتيب تنبيه ينبه على ان من احب الدنيا يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على هدايته جميع الانبياء ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء قال عز وعلا وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وفي الحديث حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من على الارض المغترين كذا في الاحيا وهو من قول ابي الدردا اخرجه كما رواه ابن الدنيا والترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث شداد بن اوس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها ويتمنى على الله وانواعه اي انواع الغرور كثيرة واكثرها كبيرة لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير الا ان غرور بعضهم اظهر واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفجار كايثار الدنيا اي اختيارها فانه من اقبح من انواع الغرور ع ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها لكونها نقدا حاضرة على الاخرة لكونها نسيئة

اي متاخرة غايبة وذلك لجهل وغرور لان السيئة الكثيرة راجحة
علي النقد القليل وان شك فيه اي في حصول السيئة الكثيرة وانما يرجح
مع وجود الشك فيه والمريض يترك اللذات التي هي نقد الحالات ليصح
زمانه طويلا في المستقبل من الاوقات والتاجر يخاطر الاموال اي يوقعها
في الخطر من الاهوال كركوبه في البحر وسفره في البر وتحمله شدايد الاحوال
ليربح فيه اي في زمان الاستقبال فالاخرة اولي بالاختيار من الدنيا
للمتقي بها اي بالاخرة وعدم نسبة الدنيا اليها اي الي العقبي شدة
ودواما اي كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالي والاخرة خير وابقي بل
قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكان العاقل
اختار الاخرة فكيف والامر بالعكس ولمن غرته الحياة الدنيا فان اليقين
خير من الشك ولذات الدنيا يقينا ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين
بالشك وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والي هولاء الاشارة بقوله
تعالي اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان
واما بتحقيق البرهان اما الاول فهو ان يصدق الله في قوله ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وقوله وما عند الله خير وابقي وقوله والاخرة
خير وابقي وقوله وما متاع الغرور واما الثاني فيعلم مما تقدم والله
اعلم وفي هذا المقام قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كنت
ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد
تخلصنا وهلكت وما قال علي هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم

الحياة الدنيا الا
ع

الملحد

الملحد علي قدر عقله فمن شك في الاخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول
الصبر اياما قلايل وهي منتهي العمر قريب بالاضافة الي ما ينال
من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام
حياتي وقد كنت في العدم من الازل الي الان لا اتنعم فلاحسب اني بقيت
في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقي في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق
فيه العباد ولذا قال ابو العلا المعري • قال المنجم والطبيب كلاهما •
لا تحشر الاموات قلت اليكما • ان صح قولكما فلست بخاسر • او صح قولي
فالخسار عليكما • ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم
وبالسنتهم ان كان لله عن معاد فنحن به احق من غيرنا ونحن اوفر
حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال الرجلين المتحاورين اذ
قال وما اظن الساعة قايمة ولين رددت الي ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا وجملة امرهما كما قيل في التفسير ان الكافر منهما بني قصرا
بالف دينار واشتري بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار
وزوجة بالف دينار وزوجة بالف دينار وفي ذلك كله يعظه المومن
ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفني الا اشتريت قصرا وبستانا
في الجنة لا يفني واشتريت خدما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت
خدما لا يموتون وازواجا من الحور العين لا يفنون وفي كل ذلك يرد
عليه الكافر ويقول ما هناك شي وما قيل من ذلك فهو اكاذيب
وان كان لكون لي في الاخرة خير من هذا وكذا وصف الله قول
العاص بن وايل ويقول لاوتين مالا وولدا ورد عليه بقوله اطلع
علي الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي عن الخباب بن الارت

انه قال كان لي على العاص بن وايل دين فجئت انقاضاه فلم يقضني
فقلت اني اجده في الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك ولدا
ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا رواه الشيخان وقال عز وجل ولين اذقناه رحمة
من بعد ضرا مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى الاية وذلك انهم ينظرون تارة الى نعم الله
عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة وتارة الى تاخر العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة ويقولون كما اخبر الله عن بعضهم
لولا يعذبنا الله بما نقول الاية واخرى ينظرون الى المومنين وهم
فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهولاء من الله
عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولم يدر هذا ا
لمغرور ان الله يحمي عبده المومن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم
مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم
وصححه من حديث قتادة بن النعمان وكان ارباب البصاير اذا اقبلت
عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته واذا اقبل الفقر
قالوا مرحبا بشعار الصالحين فالمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا
انها كرامة عند الله واذا صرفت ظنوا انها هوان كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا
بين ان ذلك الغرور من كل منهما فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا
يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي

غنيا

غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا والاعتماد
بالجزاي وكان الاعتماد على مجرد الايمان مع ترك العبادات وارتكاب
المحظورات فانه من اعظم الغرور في الحالات فورد في التنزيل اني
لغفار لمن تاب عن الشرك والكفران وامن بالقلب واللسان وعمل
صالحا بساير الاعضا والاركان من ارتكاب الحسنات واجتناب
السييات ثم اهتدى بالاستقامة في الحالات الى الممات فالمغفرة مقيدة
بهذه الطاعات وكقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين في
العبادات وقيل للحسن قوم يقولون نحن نرجوا الله ويضيعون العمل
فقال هيهات هيهات تلك امانيهم من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا
هرب منه والعصر اي اقسم بصلاة العصر التي هي الصلاة الوسطى او بعصر
المصطفى او بالدهر الذي هو منبع الخير والشر ومعدن النفع والضرات
الانسان اي جميع افراده لفي خسر اي خسارة فيما عندهم من تجارة السوء
اي الا الذين امنوا كالصديق وعملوا الصالحات كالفاروق وتواصوا
بالحق كذي النورين وتواصوا بالصبر كالمرتضى وعلي اي وكالا عتماد
على ان الله تعالى كريم مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا
والشهوات فيغفر لي في الاخرة بكرمه وفضله ويدخلني في الجنات
ومنشا هذا قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
حيث لقنه بان يقول غرني ربي كرمك وقد قيل انه تعالى كما انه
كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب فقد قال تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا وقال تعالى قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

تلك امانيهم ثم ورد في التنزيل ما يدل علي ذم المغرور بارتكاب المحظورات
ليس للانسان نفع في العقبي الا ما سعي من جزاء الدنيا وان سعيه سوف
يري قليلا او كثيرا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وفيه العكس اي وفي هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد
بترك التعويل اي الاعتماد علي المولي في الدنيا اي في امورها ومهماتها
مع ورود من وفي نسخة وورد من يتوكل علي الله فهو حسبه وحاصله ان
المغرور لم يعتمد علي كرمه سبحانه في امر الدنيا مع ورود وعدها في باب
التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعي ويعتمد في باب
الاخرة علي كرمه مع ان وعدها مقيد بالسعي والعمل وتوضيحه انه يجتهد في
امور الدنيا ويعتمد في امور الاخرة علي كرم المولي مع انه كريم في الدنيا والاخرة
فماله لم يعتمد علي المولي في الدنيا من غير السعي مع انه سبحانه ما كلفه بكسبه
وبترك العمل في الاخرة مع انه عز وجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه والعلاج
اي علاج الغرور العلم بالكتاب والسنة وما يقرب من الله وما يبعده
عنه وتوضيحه ما في الاحيا من ان الغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة
والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون
الالتفات الي شهوات الدنيا مبعدها عن الله ووجه كون التباعد عنها
مقربا الي الله ويدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه
من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله ويصدق رسوله وقد
قال تعالي ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل في تفسيره

انهم

انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالي
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتي اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون وقال تعالي انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار الي غير ذلك مما ورد في الكتاب
والاخبار والتفكر في احوال الماضين من الامة والمراد بالتفكر
احضار القلب لمعارف فاذا اجتمعت فيه وازدوجت علي ترتيب
مخصوص انتج ذلك العلم ضروريا وصورته كمن يعلم مثلا ان
الابقي بالايثار اولي ثم يعلم ان الاخرة خير وابقي فينتج اي اختيار
الاخرة اولي بلغنا الله المقام الاسني **الباب**
الخامس عشر في نفي الخواطر والرياضة اي نفي الخواطر الردية
وتحصيل رياضة النفس الردية لتهذب بالاخلاق البهية العلية
والاحوال الشبيهة السنية وتندرج فيه عجايب القلب من غرايب
خلق الرب بسم الله الرحمن الرحيم استعين به علي كل خلق كريم
الاهم في امر الدين الاتم اصلاح القلب وحفظه عما يفسد لثمانية
عشر وجها لنظره تعالي اليه واقباله عليه كما انه يصلح بدنه وثوبه
لحسن نظر الخلق اليه ثم ورد في الحديث كما تقدم ان الله لا ينظر اي نظر
عناية ورعاية الي صوركم واموالكم ولكن ينظر الي قلوبكم ونياتكم
وفي رواية واعمالكم وفي اخري واحوالكم ويشير اليه قوله تعالي انه
عليم بذات الصدور فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير
اليه حديث لا يسعني ارضي وسمائي ولكن يسعني قلب عبدي

المومن فوا عجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذي هو منظر الخلق ولا يهتم
بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه وتعلق صلاح الجسد بصلاحه اي
لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا وكذا تعلق فساد الجسد بفساده
فورد في الحديث كما تقدم ان في الجسد لمضغة اي قطعة لحم مجوفة كانها
ممضوغة اذا صلحت بضم اللام وتفتح صلح الجسد كله تمامه واذا فسدت
فسد الجسد كله الا للتنبيه وهي ان تلك المضغة هو القلب اي
محل تعلقه وسرير ملكه فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضا
كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقامت
الرعية ولذا قيل الناس على دين ملوكهم وسعادة الابد اي وسيادة
السرمد بسلامته اي بسلامة القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد
فورد في التنزيل يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم اي من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض
الدنيوية والاعواض الدنية وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود
الرب ولكونه اي ولكون القلب معدن النفايس ومعدن الفواضل
المستوهبة من العلم والمعرفة اي علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب
التي هي اجل انواع النعمة وساير الفضايل المكتسبة من تحسين الاخلاق
وتزيين الشمايل والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق لها
ان يحفظ ويحرس عن الافات ويكرم ويبجل بضروب الكرامات
ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذي فضله الله على ساير خلقه
باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التي هي في الدنيا جماله وفخره
وفي الاخرة كماله وعدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه

لا بعضو اخر من اركانه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله
وهو الساعي المتقرب الى الله وهو المقرب اليه والمشهود عليه والمكاشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات كالجوارح ه
يستخدمها القلب في خدمة الرب استعمال الملك للعبيد واستخدام
الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا
سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو
المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي سعد
بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى
اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الساري
الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد
على الله بحته وانما الطاري الى الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه
واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل انا يترشح بما فيه
وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد
عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل ربه ومن جهل قلبه
فهو لغيره اجهل فمعرفة القلب وحقيقته واوصافه التي مظاهر الرب
اصل الدين واساس طرق المجتهدين وقصد العدو اليه اي ولقصد
الشيطان الذي هو اكبر اعدائه دائما الى اغوائه كما ورد به اي بقصد
العدو الى القلب الخبر وهو قوله عليه السلام ان الشيطان لجاثم وفي
رواية واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس اي
تاخر وخلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه ابن ابي الدنيا وابو يعلى
وابن عدي وكثرة شغله سعة اي ولكثرة اشتغال القلب واحواله

وترتب ما عليها من اقوال الانسان وافعاله فهو اي القلب معترك العقل والهوي اي موضع عراكهما وقتالهما وهلاكهما فاذا برز خاطر الهوي داعيًا الي الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الي الخير فتارة يغلب العقل ويعلو علم الهدي واخري يغلب الجهل فترتفع راية النفس والهوي فالحرب سجال وقد قال الملك المتعال وتلك الايام نداولها بين الناس وقد قيل * فيوم لنا ويوم علينا * ويوم نساء ويوم نسر * وفي الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر ومنه قوله تعالي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكثرة العوارض اي ولكثرة الامور الطارية والاحوال السارية لورود الخواطر الدنية في القلوب الغوائل الردية من حب الدنيا والرياسات وحصول اللذات والشهوات واللهوات مع العجز عن المنع اي مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع في القلب وكالمطر لا تزال تنزل عليه ليلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر علي منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التي هي بين الجفنين حتي تغمض وتستريح او اللسان الذي هو ورا الشفتين حتي تطبق وتصمت والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد علي منعها ولا علي التحفظ عنها مع ان النفس ما يلذ اليها و هي محبوبة لديها وسرعة الانقلاب اي ولسرعة تقلب القلب في الطاعة والمعصية للرب وسمي بالقلب لتقلبه في احواله ولذا كان عليه السلام يكثر في دعايه يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك رواه الترمذي وحسنه من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح علي شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف

القلوب صرف قلوبنا علي طاعتك وفي رواية قالوا وتخاف يا رسول الله وما يومنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشا والنسايي في الكبري وابن ماجه والحاكم وصححه علي شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقامه وان شا ازاغه ورد من حديث ابي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح علي شرط مسلم والبيهقي في الشعب انه اي القلب مثل العصفور وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير يتقلب في كل ساعة اي الي جهة فكذا القلب تارة يميل الي طاعة وتيقظة واخري الي معصية وغفلة ولاحمد والحاكم وقال صحيح علي شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا وفي رواية لها قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها وللطبراني والبيهقي من حديث ابي موسي الاشعري باسناد حسن مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن ومنه عطف بالمعني علي قوله للنظم لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القلب ومحله من الصدر الانشراح اي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح و الانفساح اي الاتساع والانفتاح عند عدم النقصان اي نقصان القلب بارتكاب المخالفة بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة فللحاكم في مستدركه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالي افمن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له

الصدر وانشرح والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي
شاهده في القلب ولذا قيل صدور الاحرار قبور الاسرار ونعم ما قال
بعض الابرار من اطلعوه على سر فلم يامنوه على الاسرار ما عاشا
والحجاب عن رب الارباب هو اشد العذاب او الحجاب عن الاكتساب
فهو بالجر عطف على النقصان اي عند عدم حجاب الملاهي ونقاب
المناهي ويجوز رفعه عطفا على انفساح اي وفي القلب حجاب
المعاصي والشهوات المتراكمة الواردة على وجه القلب المانعة له عن
مشاهدة تجليات الرب فان ذلك يمنع من صفات القلب وجلائه
فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في اثنائه وقد قال ابو سليمان الداراني
اذا اعتادت النفوس ترك الاثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها
بطرائف الحكمة ويؤيده حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء رواه احمد من حديث ابي هريرة
والمهلكات التي هي ضد المنجيات والانصراف اي عند الانصاف والاعراف
الى العلم اي علم الشريعة والطريقة ليحصل به الى مراتب الحقيقة او المراد
بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق
وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشتغل
لديه مما يرد عليه وانما زاد الانصراف الى العلم التوحيدي لحصول
الانشراح والانفساح ولم يكتف في ذلك بعدم النقصان والحجاب
والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حالاته
من طاعته وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لذاته وغفلاته
فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح بل ينكشف له ما هو متفكر

فيه

فيه من دقائق افات الاعمال ان كان تفكره فيها او من مصالح المعيشة
والاحوال ان كان تفكره فيها واما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا
اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدي المتعلق بالذات والصفات بشرط
عدم النقصان والحجاب والمهلكات وهو اي العلم المترتب العمل المراد
بالامانة التي حملها الانسان اي قبلها تقبلا بليته لتحمل التكاليف الشرعية
من تصحيح العقائد الدينية الاصلية وارتكاب الفرائض الفرعية واتمام
الامور المنهية وفي الاحيا فيه اشارة الى ان للقلب خاصة تميز بها عن
السموات والارضين والجبال وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد و
قلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل انتهى ولا يخفى
ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند
العارفين بما هنالك كما حقق في قوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده
وغير ذلك من الايات والاحاديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة
بصانعها وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال فالاظهر
ان يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا ياتي منهم المعصية وما يقتضيه
من العقوبة والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما
يترتب عليها من الرحمة فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الجمال
بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية
للطاعة والرحمة والمعصية ولذا ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم وفي قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم ايماء الى ذلك وفي قوله غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول كذلك ثم من افراد هذا الانسان

اعلي مرتبته من ملايكة الرحمن والكافر منهم اخفض منزلة من جنس
الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار فنعوذ بالله من دار البوار وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه
قوله سبحانه انا عرضنا الامانة اي حملها من عدم الخيانة علي السموات
والارض والجبال اي ذواتها او ما فيها من سكانها ومتصرفاتها فابين
ان يحملنها لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها وحملها
الانسان مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خلق له انه كان
ظلوما علي نفسه بتحملها جهولا لعاقبة امره وتحمله وهذا حكم عليه
باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين اصلاح حاله وفساده في
ماله كما اشار اليه بقوله ليعذب الله المنافقين الاية وزيادة اليقين
اي وفي القلب مرتبة الايقان في امر الدين والايمان اي وفيه الايمان
الذي سبب الامن والامان وباعث علي الاسلام والاحسان فلهما
درجات بينهما مناقب ادناها التقليد كما لعوام المومنين واوسطها
الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين واعلاها
المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ومثاله كمن اخبره صادق بوجود
زيد في الدار فصدقه من غير شهوده ثم سمع صوته فاستدل به علي
وجوده ثم راه وشاهده فالمشاهدة نتيجة المجاهدة ثم المشاهدة
ايضا علي مراتب كمن يشاهد السلطان جالسا علي سريره من وراء
الحايط او حجاب ستره ثم من يشاهده من داخل داره ثم من قريب
في قراره ثم من هو جالس في مجلسه ثم من هو جالس قريبا منه بحيث
يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفي عن غيره وقس علي هذا تفاوت

درجات

درجات المشاهدة في الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية
الربانية الصمدانية كما يشير اليه قوله تعالى ثم دني فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لابايهم فانهم
اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته
وبعثة الرسول وصدقه فيما جا به وكما سمعوا تقبلوه وثبتوا عليه
واطمانوا اليه وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة عند جمهور المتكلمين
واهله من اهل الايمان واول رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين
لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين وقلوب
اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوا من ابايهم الا انهم اعتقدوا
عمهم ما اعتقدوه محضا لانه القي اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاع
٥٧ عليه ولكن لما القي اليهم كلمة الحق ودرجات العلم اي وفيه مراتب العلم
من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين او المراد بها علم الشريعة
التي هي متعلقة بالاعمال الظواهر وعلم الطريقة التي هي مطلوبة
في الاخلاق السراير وعلم الحقيقة التي هي المواهب بعد تحصيل
المكاسب من شرايف المناقب ولطايف المراتب والنور اي وفيه
النور المسئول في الدعا الماثور اللهم اجعل في قلبي نورا رواه مسلم
وغيره والطبع اي وفيه الختم قال تعالى ونطبع علي قلوبهم وختم
الله علي قلوبهم والرين اي وفيه السواد الذي يعمر الفواد عند
الاتصاف بالرذايل والخلو عن الفضايل وتراكم الظلام اي وتكاثف
الظلمات الناشية عن الظلم وساير السيئات والاحتجاب منه تعالى
بعدم توفيق الحسنات وهو ماخوذ من قوله تعالى كلا بل ران اي غلب

على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي عن رحمته او رويته وفي الحديث ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه البغوي في تفسيره باسناده والتحقيق عند اهل التوفيق انه اي القلب هو ذلك الانسان العارف اي المدرك للجزئيات العالم بالكليات المخاطب بالامر والنهي المطالب باكتساب المامورات واجتناب المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب في دار الجزا والحساب فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون يطلق عليه اي على الانسان اسم القلب اي بمجاز التعلقه اي الانسان به اي بالقلب بلا واسطة اي من غير واسطة بشي اخر وبساير الحواس اي وتعلقه بباقيها بواسطته اي القلب لانسان به اي بالقلب بلا واسطة اي من غير واسطة بشي اخر وبساير الحواس اي ولتعلقه بباقيها بواسطته اي القلب كما تطلق اي القلب على المضغة المكينة وهي قطعة لحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه كذا في الاحيا تبعا للحكما وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت الهايم واما قول سهل التستري القلب هو العرش والصدر هو الكرسي فمراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي وعن كعب الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع اي واع ولسانه

ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان يعني الموافقين وهو اشارة الى قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق الفاسق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المومن وفي الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه الديلمي من حديث ام سلمة باسناد جيد ولاحمد والطبراني في الصغير من حديث ابي سعيد القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك المومن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وفي الحديث القدسي والكلام الالهي لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المومن اللين الوادع كذا في الاحياء وقال مخرجه لم ار له اصلا وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد الله بن احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل سبحانك ما اعظم شانك ما اعظم شانك يا رب فقال الله ان السموات والارض

ضعفن عن ان يسعني ووسعني قلب عبدي المومن الوادع اللين انتهى
ولايخفى ان هذا من الاثار فلا ينافي ما نفاه المخرج من الاخبار وفي الخبر
قيل من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب
فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد رواه ابن
ماجة من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحيا عن عمر
رضي الله عنه رآي قلبي ربي اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن
ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه
فيرى جنة عرضها السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات
والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف
متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو اسرار
الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصاير فلا نهاية
له نعم الذي يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة
الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت
دفعة واحدة تسمى الحضرة محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الربوبية
شي سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى
من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة
عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة عند اهل الحق ويكون سعة
ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى
وصفاته وافعاله من مصنوعاته وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح
كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاوه وقد افلح من زكاه ومراده بتزكيته
حصول نور الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وفي الاحيا ان القلب

لطيفة

لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق عجيب و
تلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة
من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب ولها علاقة
مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه
علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف
بالموصوفات انتهى ومن هنا قيل معنى قوله من عرف نفسه عرف
ربه تعجيز وفيه تنبيه ان ليس احد من الانسان ان يعرف حقيقة
نفسه مع انه بها باكما انبه هذا وفي اطلاق القلب على الانسان
لم يظهر وجه في ميدان التبيان بل المغايرة بينهما ظاهرة عند
الاعيان لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية فا لصحيح
ان القلب آلة المعرفة الرب كما يشير اليه قوله تعالى ولم يسيروا
في الارض فتكون لهم قلوب يفقهون بها واذان يسمعون
بها والفرق بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين
الحق والباطل ثم يتقلب في قبول احدهما ويتردد في خاطرهما ويترتب
عليهما اصلاح الجسد وفساده والنفس غالبا ما تميل الى الشهوات
واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه وفيها ما تشتهي الانفس من
المكولات والمشروبات والمشمومات والمسموعات وساير الملذ
وذات ثم النفس المذمومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات
ومنه قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى واما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى والعقل الجزوي مشترك بين الحيوان والصبيان وسا

ير

الانسان والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيويا
او اخرويا وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين فهذا عقل المطبوع
وهولاء ينفع بدون عقل المشروع ولذا ترى الحكما حجبوا بعقولهم النا
قصة وان ادعوا كمالها عن متابعة الانبياء زعما منهم ان الرسل ارسلوا
للعامة وانهم من الخاصة فصاروا اجهل من كل جاهل فان المقلد قبل
ايمانه وفاز بتقليده درجات جنانه والحكيم بعقله تنزل في دركات
نيرانه واسم النفس اي ويطلق على الانسان اسم النفس لقوله
تعالى خلقكم من نفس واحدة فالنفس جسم كثيف والروح جسم
لطيف له سريان شريف في سائر الاعضا لطيف كلطافة سريان الهوا
في البلدان من قوله كل نفس ذائقة الموت وعلمت نفس ما قدمت
واخرت وعلمت نفس ما احضرت وكالزبد في اللبن والدهن في
الجوز واللوز وما الورد في الورد والقلب داخل النفس وهو الطف
اضواء من النفس والسر نور رحماني الذ للنفس فانها تعجز عن العمل
بدونه ولا يفيد فائدة مالم يكن السر عنده والحاصل ان النفس هنا
عبارة عن الهيكل الانساني المركب من الجسد الجسماني والروح الرباني
اذ المراد من نفس واحدة ادم عليه السلام فقسمها اي اي النفس
التنزيل اي القران بعد اطلاقه النفس على ادم ونحوه وما يتعلق به
من الاجزا الي مطمئنة حيث قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة اي
بذكر الله وهي النفس المومنة ولذا قال ارجعي الى ربك راضية مرضية
وهو يحتمل ان يراد بها الهيكل المركب الانساني فالمراد بقوله فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي اي مع عبادي الصالحين كقوله تعالى حكاية

عن الانبيا

عن الانبيا والمرسلين توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا
الجنة امنين وبشيرا اليه قوله تعالى الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر
الله الا بذكر الله تطمين القلوب ويحتمل ان يراد بها الروح المجرد
عن الجسد فالمراد بقوله فادخلي في عبادي اي في اجسادهم وعلى كل
تقدير اريد بالنفس الجنس ولوامة حيث قال ولا اقسم بالنفس اللوامة
اي كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيمة ان كانت عملت خيرا قالت
هلا زدت وان عملت شرا قالت ليتني لم افعل وهو قول الفراقي
شاملة للنفس البرة والفاجرة وقيل تلوم على الخير والشر والنفع
والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وقال الحسن هي النفس
المومنة فان المومن والله ما نراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي
ما اردت باكلي وان الفاجر يمضي عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها
وقال مقاتل هي النفس الكافرة يلوم نفسه في العقبى على ما فرط في
امر الله في الدنيا وهو يحتمل الاحتمالين السابقين وامارة حيث
قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا مدة رحمة
ربي او الا من رحم ربي به ولا يخفى انه لا يصلح اطلاق النفس بهذا
الوصف على الانسان المعروف وفي بعض النسخ هنا زيادة ومهملة
وهي نسخة مهملة اذ لم يعرف في اية منزلة كما تطلق اي النفس على ما
يجمع الرذائل من سوء الشمايل فسماها الشارع اعدى الاعادي كما اخرجه
البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف اعدى عدوك نفسك التي بين
جنبيك وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون
بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من

مجاهدة النفس وكسرها واسم الروح اي ويطلق عليه اسم الروح ايضا ه
بانفراده وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم فان الارواح ضد الاشباح
والانسان عبارة عن المركب منهما و استدلالا بقوله فورد في التنزيل
قل الروح من امر ربي ليس فيه دلالة علي انه يطلق الروح ويراد به
الانسان فان كل موجود ذات كمية ومقدار فهو من عالم الخلق وكل
موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر كذا قيل والصواب
ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق وكل ما خلقه بمجرد
الامر وهو تعلق الارادة او بلفظ كن علي الخلاف فيه فهو من عالم
الامر كما قال تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال عز
وجل ان ربكم الله الذي خلق السموت والارض في ستة ايام الي ان قال
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين كما يطلقه اي الروح
الاطبا من الحكما علي الجسم المكيف والصواب التوقف في سر الروح وامره
اذ لم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم فيه وقد قال تعالى وما اوتيتم
من العلم اي به وبغيره الا قليلا لان علم جميع الخلق بالاضافة الي
علم الحق كقطرة من البحر والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة
وبفقده الممات والاقرب في تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحاني
رباني منبعه تجويف قلب جسماني وينتشر بواسطة العروق
الضوارب الي اجزا البدن ثم جريانه في البدن وفيضان انوار
الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه علي اعضايه يضاهي فيضان
النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الي جزء من
البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح

مثاله السراج وسريان الروح وحركاتها في الباطن مثاله مثال حركات
السراج في جوانب البيت بتحريك محركه واما قوله تعالى فنفخت فيه
من روحي فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة مخلوقاته
وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفي عام واول الارواح
روح خاتم الانبيا وكذا قوله وروح منه اي من عنده او من امره وانما
اطلق الروح علي جبريل الامين لتجرد روحه لان الملايكة كلهم ارواح
متجردة لتخصصه بنزول القران المسمى بالروح فانه سبب احيا
الروح وروحه كما قال تعالى يلقي الروح من امره علي من يشا من عباده
وقال او من كان ميتا فاحييناه وسمي جبريل ايضا بالروح القدس
اي المنزه عن النقصان في تبليغ امر الحق الي رسل الانسان والله الموفق
واسم العقل اي ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق وما ذكره
من الاستدلال غير المطابق حيث قال فورد اول ما خلق الله العقل
وقال له اقبل الحديث اي فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك
اعطي وبك اثيب وبك اعاقب الحديث كذا في الاحيا وقال
مخرجه رواه الطبراني في الكبير والاوسط من حديث ابي امامة
وابي نعيم من حديث عايشة باسنادين ضعيفين انتهى وقال ابن تيمية
وتبعه الزركشي انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم وتعقبه الحافظ
السيوطي بما رواه عبد الله من الامام احمد في زوايد الزهد عن الحسن
مرفوعا مرسلا بسند جيد بلفظ لما خلق الله العقل الخ وفي الحديث
دليل علي ان العقل غير العلم فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق

بل لابد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه
كما يطلق العقل اي العقل علي الصفة المكيفة اي الوصف الذي يتميز الانسان
به عن ساير البهايم من جنس الحيوان وهو الذي استعد به لقبول
العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده
الحارث بن اسد المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها
درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك
الاشيا وهذا هو الصواب في تعريفه ونظيره ان الحياة غريزة بها
يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ثم العقل
كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام والاكوان في حكاية الصور والالوان
لصفة اختصت بها في تلك الحالة وهي الصقالة وبها اتصفت بالالة
فعن ابن عباس مرفوعا لكل شي الة وعدة وان الة المومن العقل
رواه ابن المحبر وكذلك العين تفارق الجبهة في هيات وصفات بها ظ المنير
استعدت للروية فنسبة هذه الغريزة التي هي العقل الي العلوم كنسبة
العين الي الروية ونسبة القران والشرع الي هذه الغريزة التي هي
العقل الي العلوم كنسبة العين الي الروية ونسبة القران والشرع
الي هذه الغريزة في سياقها الي انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس
الي البصر وعن علي رضي الله عنه رايت العقل عقلين مطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين
ممنوع فالاول هو المراد لقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا هو اكرم
عليه من العقل كما اخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن
عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد لقوله عليه السلام لعلي اذا

اكتسب

اكتسب الناس من انواع البر ليتقربوا بها الي ربنا عز وجل فاكتسب انت
انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة رواه ابو نعيم في الحلية وهو
المراد ايضا بقوله عليه السلام لابي الدردا اذا ازددت عقلا ازددت
من ربك قربا فقال بابي انت وامي فكيف لي بذلك فقال اجتنب
محارم الله واد فرايض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من
الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب
والعز رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب ان عمر وابي بن
كعب وابا هريرة دخلوا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل
قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته
وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان
العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر وله
من حديث انس من حديث ابن سلام سال النبي عليه السلام في حديث
طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملايكة قالت يا ربنا هل خلقت
خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال
هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال تعالى فاني
خلقت العقل اصنافا شتي كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومن
الناس من اعطي حبتين ومنهم من اعطي الثلاث ومنهم الاربع ومنهم
من اعطي منهم فرقا ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم
من اعطي اكثر من ذلك رواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا ولهذا

انقسم الناس الي بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل في التعليم
والي ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الي العبارة والي كامل
ينبعث من نفسه حقايق الأمور ودقايقها بدون التعليم يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك للرسل الانبيا عليهم السلام وبعض
اتباعهم من الأوليا الكرام ويعبر عن الاول بالوحي وعن الثاني
بالالهام هذا وقد قال عليه السلام يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم
عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير
الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصي الله وان كان جميل
المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فا
لقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل
الدنيا اياكم واياهم فانهم من الخاسرين رواه داود بن المحبر احد
الضعفاء في كتاب العقل من حديث ابي هريرة وهو في مسند الحارث
بن ابي اسامة عن داود عن انس قال اثني قوم علي رجل عند رسول
الله صلي الله عليه وسلم حتي بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل
قالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله
فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب بجهله اكثر من فجور الفاجر
وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات زلفي من ربهم علي قدر عقولهم
رواه ابن المحبر بتمامه والحكيم الترمذي مختصرا وعن عمر مرفوعا
ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الي هدي او يرده عن
ردي وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتي يكمل عقله ابن المحبر وعنه

بيا ٣٥ ودقايقها ح

الحارث

الحارث بن ابي اسامة وعن ابي سعيد مرفوعا لكل شيء دعامة اي عماد
ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار
في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ابن المحبر وعنه
الحارث وقال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم
القايم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتي يتم له عقله فعند ذلك تم له ايمانه
واطاع ربه وعصي عدوه ابليس ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصرا دون قوله ولا يتم
من حديث عايشة وصححه وعن عايشة قالت قلت يا رسول الله باي
شيء يتفاضل الناس في الدنيا فقال بالعقل قلت ففي الاخرة قال بالعقل
قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله
من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا
يجزون ابن المحبر والحكيم الترمذي ونحوه وقال عليه السلام اتمكم
عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهي عنه نظرا وان
كان اقلكم تطوعا ابن المحبر من حديث ابي قتادة وفي الاحيا اما العلوم
الدينية فهي الماخوذة من الانبيا عليهم السلام بطريق التقليد وذلك
يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع
مبانيهما وبه كمال صفة القلب في معرفة الرب وبه سلامته عن الاعراض
والاغراض والادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة
القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب فالداعي الي محض التقليد
مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران
والسنة مغرور فاياك تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين

الاصليين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية
والشخص المريض يتضرر بالغذا مهما فاته الدوا فكذلك امراض القلب
لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية و
هي وظايف العبادات والاعمال التي ركبتها الانبيا عليهم السلام
لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية
واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذا ثم قال
والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية والدنيوية كعلم
الطب والحساب والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات
والاخروية كعلم احوال القلب وافات العلم والعلم بالله وصفاته
وافعاله وهما علمان متنافيان يعني ان من صرف عنايته الى احدهما
حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر ضرورة على الاكثر ولذا ترى
الاكياس في علوم الدنيا جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقايق
علوم الاخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذا قال
عليه السلام اكثر اهل الجنة البله رواه الدارمي من حديث انس وقال
الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا
شياطين وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون فالدنيا والاخرة لا يجتمعان فهما ضرتان اذا رضيت
احداهما اسخطت الاخرى ومن هنا قال عليه السلام من احب اخرته
اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى
ثم الخواطر اثار تحدث في القلب وهي التي تعرض فيه من الاذكار والا
فكار

تنبعث

تنبعث على الافعال اي تارة والتروك اي وعليهما تارة فان الخواطر هي
المحركات للارادات فمبدا الافعال الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك
العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة
تنقسم الى قسمين فان نفع اي الخاطر او ما يخطر فيه او الفعل والترك
في الاخرة فخير محض والاعانة عليه توفيق اي لطف وهداية من الله
سبحانه وان غير ذلك في الاخرة فشر والاعانة عليه توفيق اي لطف
كما في نسخة خذلان اي ترك نصرة منه واغواء فالاعانة الثانية وقعت
بطريق المشاكلة والفارق بين الخير والشر الشرع ولا عبرة بالطبع
ثم الفارق عمل الصلحا اي من العلماء فالموافق خير والمخالف شر ولو كان
برخصة او شبهة لانه لا ينفع في الاخرة اذ التقدير ولو كان ذلك
الموافق برخصة والمخالف بشبهة والرخصة ما يستباح بعذر مع قيام
دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخايف على نفسه
الامر بالمعروف وحكمها ان الاخذ بالعزيمة اولى ثم الفارق النفس فما
تنفرت عنه نفرة طبع لا خشية اي مخافة من مخالفة غير الله خير وقيل
نفرة الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما ونفرة الخشية
كنفرته عن الحيوانات الموذية فاذا خطر له ان يطوي مثلا ثلاثة
ايام في الصوم ولكن يجد في نفسه نفرة وكراهة من هذا العمل
فهذا الخاطر خير لانه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا وما مالت
اليه ميل طبع لا رجا من الله سبحانه شر مثلا خطر الخاطر ان يخرج
من البيت ويتفرج المكان الفلاني ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه
مثل زيارة اخ في الله او عيادة مريض بل خرج بمجرد الخاطر فهو شر

لما ورد من حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم الخاطر الصادر
من الملك الهام وليس ذلك الخاطر سوى الخير لانه مرشد ناصح
هنالك لم يرسل الا لذلك ومن الشيطان وسواس وهو شر محض
غالبا وقد يكون الوسواس عن الفاضل لكن يلقي في قلبه خاطر العبادة
من الفعل ليشغله عن العلم الذي هو افضل منها مع الجهل والجر عطف
على الشغل اي وكما يدعوه الى الخير بسبب جرمه الى ذنب لا يفي خيره
اذ لا يعدل نفعه بشره وضرره كالعجب او غيره من طلب جاه ونحوه
فورد ان القلب مفتون اي ممتحن بملك وشيطان يدعوانه الى خير
وشر والحديث لم اجده اصلا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى
شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند
الهم بالخير بالفقر كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فنسب فعل الملك
الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الواسطة فان رؤية
الاسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وورد
القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان
شاء ان يزيغه ازاغه قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث
يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الاية وقال عليه السلام
في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن
وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله ولمة من
العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك

خير في الصورة وقصده منه شرا كما
يدعوه الى المفضول بالشغل اي بسبب
اشتغاله بالمفضول ممتنعا صح

فليستعذ

فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر
الاية رواه الترمذي وحسنه من حديث ابي سعيد وقال الحسن
انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو
فرحم الله عبدا وقف عندهما فما كان من الله امضاه وما كان من
عدوه جاهده ونهاه ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين ورد
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين صفتي الجمال والجلال
او تمثيل بسرعة تقلب القلب وتردده بالشيء الماخوذ بين الاصبعين
المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول
امل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية
لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة
ولذا قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت
يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني
الا بالخير رواه مسلم عن ابن مسعود ثم القلب الخالي عن الهوى
لا يدخله الشيطان ولذا قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى افرايت من
اتخذ الهه هواه وقال جرير بن عبد الله شكوت الى العلاء بن زياد
ما اجد في قلبي من الوسواس فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي
يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه ومن
هنا قيل المفلس في امان الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله
ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال
له خنزب فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا

فعلت ذلك فاذهبه الله عني رواه مسلم ولابن ماجة والترمذي من
حديث ابي بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه والحاصل انه لا خلاص من الشيطان الا بالالتجا الى الرحمن
والتبري من الحول والقوة للانسان واظهار العجز في ميدان البيان
بذكر الله فانه هو المستعان وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير
اليه قوله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون ومنه اي الوارد من عنده تعالى ابتدا الخاطر
مطلق وانما قال ابتدا لان حدوث الخواطر جميعها في قلب العبد من
الله حقيقة لكن اذا احدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى
الهاما واذا احدثت عقيب دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة
واذا احدثت موافقا للطبع يقال لها هوى النفس وتنسب اليه واذا
حدثت من الله ابتدا في القلب بلا واسطة الملك والشيطان ولا
موافقا الطبع للانسان تسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة
والرابطة وهو اما خيرا اعتنا اي عناية ورعاية لعبده واما شرا ابتلا
اي امتحانا لعبده ومن النفس هوى اي الوارد منها يسمى هوى وهو
ضد هدى وليس الهوى سوى الشر كما ان الهدى ليس سوى الخير
وقيل كالوسوسة اي من الشيطان يدعو الى الشر غالبا وقد يدعو
الى الخير اليسير ليجره به الى الشر الكثير وذلك كما قال احمد بن ارقم
البلخي نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله
تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون
هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقا الناس لتتروح اليهم وتتسمع

الناس فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم فقلت لها لا انزلك العمران
ولا انزلك على ذي معرفة فاجابت فاسات الظن بها فعددت اشياء مما
ارادها فاجابت الى كل ذلك فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها
ومصدق لك فكشفت كانها تقول يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك
اياي من شهواتي مرات وبمخالفتك لي كرات وما يشعر بي بذلك احد
فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك وتسامع فيقال
استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر فقعدت ولم اخرج الى
الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها لترائي
الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القايل حيث قال

توق نفسك لا تامن غوائلها • فالنفس شر من السبعين شيطانا

وقيل الا اذا كانت النفس مطمئنة بذكر الله فليس خاطرها سوى الخير
وهذا هو الخامس من الخواطر المسمى بخاطر القلب لقوله تعالى الا
بذكر الله تطمئن القلوب يعني ولا تميل ابدا الى الذنوب والعيوب
فورد استفت قلبك ثلاثه وان افتاك المفتون فالخطاب
للمتقي فان قلبه لا يخطي ومن هنا قيل حكى قلبي عن ربي اما
الفرق بين الخواطر في الخير والشر ففي الخير يعرف الخاطر المطلق
الذي يرد من الله بكونه مصمما اي ثابتا على حالة واحدة دايما
وبعد ثانيا اي وبكونه واقعا عقيب الطاعة اثابة اي جزا واكراما
فورد في التنزيل والذين جاهدوا فينا بالطاعة لنهدينهم سبلنا
الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا وفي الخبر من عمل بما علم اورثه
الله علم ما لم يعلم وهو معنى قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم

هدي وانا هم تقواهم وقوله واما من اعطي واتقي وصدق بالحسني
فسنيسره لليسري اي الطريقة الموصلة السهلة الي الحالة
الاخري في الدنيا والعقبي وطاريا عطف علي مصمما اي عارضا في
الاصول اي الاعتقادات والاعمال اي العبادات الباطنة كالصبر
لغيره تعالي اليها فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور وتنبيها
عطف علي اثابة اي وللتنبيه عن نوم الغفلة في مقام الاثابة
علي فعل الطاعة ولا يبعد ان يعطف علي مصمما بذكر المصدر وارادة
الفاعل اي منبها عن الغفلات عن عمل الخيرات فورد في الدعا
اللهم نبهنا عن نومة الغافلين لم ارله اصلا والالهام الملكي
يعرف بكونه اي الخاطر مترددا بين الفعل وتركه غير قوي في حكمه
وقيل مترددا اي يجي مرة ويذهب اخري ومبتديا اي لا محدثا
بعد عمل عبادة ونحوه وطاريا اي عارضا في الفروع العلمية و
العملية والاعمال الظاهرة الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة
لان الملك لا سبيل له الي معرفة باطن العبد في قول الاكرم وحثا
علي الطاعة في الامور الدينية فورد في التنزيل لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون اي الملايكة ما يومرون لانهم جبلوا علي
الطاعة والوسوسة من الخواطر يعرف بكونها مع عجلة لا مع تاني
لقوله تعالي وكان الانسان عجولا وفي الحديث العجلة من الشيطان
والاناة من الله رواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد
وقال عز وجل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضي اليك وحيه
ونشاط اي فرح وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام علي

العمل

علي العمل من غير بصيرة وتصور مثوبة دون خشية اي من غير مخافة علي
اتمامه اي اتمام العمل اتماما فادايه علي وجهه اي وجه العمل وحقه
ابتداء وقبوله تعالي اياه اي العمل وصاحبه اذ لا عبرة لما سواه وبصيرة
اي ودون بصيرة انه اي ذلك العمل خير يرجي عليه الثواب او شر
يخاف عليه العقاب وقيل المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان تبصر
وتحقق وتتيقن انه خير ورشد ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد
الثواب والله اعلم بالصواب والحاصل انك ان وجدت نفسك في
ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع
تاني ومع امن لا مع خوف ومع عمي عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من
الشيطان وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان يكون مع خشية لا مع
نشاط ومع تان لا مع عجلة ومع خوف لا امن ومع بصيرة لا مع عمي فاعلم
انه من الله تعالي او من الملك هذا الفرق في الخواطر في الخير كله وفي
الشر يعرف الخاطر المطلق الذي هو من الله سبحانه بكونه مصمما
اي قويا ومحدثا واقعا عقيب الذنب عقوبة اي للعقوبة علي المعصية
فورد في التنزيل بل ران اي غلب وعلا علي قلوبهم ما كانوا يكسبون
من السيئات الواقع بعضها عقيب بعض عقوبة لهم حتي اسودت
قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ومنه قوله تعالي واما من بخل واستغني
وكذب بالحسني فسنيسره للعسري اي الطريقة العسري الموصلة الي
مثلها في الدنيا والاخري والهوي اي ويعرف خاطر هوي النفس بكونها
مطالبة للشهوة اي للذة التي فيها اللهوم فورد في التنزيل بما تشتهي
انفسكم حيث نسب الاشتها الي النفس التي منبع الهوي ومصيره علي معين

اي ويكونها مصممة على شهوة معينة على وجه معين وطريق مبين لاعدول
عنه بوجه اصلا وقطعا فالنفس لا تسكن دون قضا الشهوة اي من غير
عوضها التي تريده كما قيل تريد النفس ان تلقا مناها ويابى الله الا ما يريد
والوسوسة تعرف بكونها مبتداة اي ليست عقب طاعة ولا معصية
في الاكثر اي اكثر الاحوال او اكثر الوساوس ومترددة تارة تدعو الى
معصية واخرى الى اخرى فهي غير مصممة على حالة واحدة فالشيطان
كلب او ذيب اذا طرد من جانب دخل من اخر اي جانبها اخر كما يشير
اليه قوله تعالى فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم والمراد طرق المعاصي
جميعها فعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله وقال هذه سبل
الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وباعثة اي ويكونها
محرضة على غير معين من انواع المعاصي فغرضه لنفس الاغوا من اي
جهة كان من الاعمال والاحوال ومسولة اي ويكونها مزينة ومسهلة
لمعصية من المعاصي غير متعين فورد في التنزيل الشيطان سول لهم
اي زين لهم سوء اعمالهم واملى لهم اي امهلهم ببطء اجالهم او القى
في قلوبهم ما يتمنون عليه في امالهم قال الحسن بلغنا ان ابليس
قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت
لهم ذنوبا لا يستغفرون الله الله عز وجل منها وهي الاهوا وقد صدق
الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي

فكيف

فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان
عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية
والفروعية والخصومات الدنيوية وقال عبد الله بن مسعود قعد
قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم
فتفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث
الدنيا فافسد بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم
ومندفعة اي ويكونها مرتفعة بذكره تعالى ولو بذكر خفية فورد
في الحديث فيه اي في حق الشيطان اذا ذكر العبد الله خنس اي
تاخر الشيطان واذا غفل وسوس قال مجاهد في معنى قوله تعالى
من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا
ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين
ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام
وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله وعن انس قال عليه الم ان الشيطان واضع
خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم
قلبه ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي هذا وكان الشهوات ممتزجة
بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه
ولذا قال عليه السلام ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم
فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى
الشيطان الشهوات المانعة عن الطاعات وفيه تنبيه على انه لا
يتخلص احد الشيطان ما دام حيا نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف

نونه كما قال عليه السلام المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره
في السفر اي يهزله ويضعفه رواه احمد من حديث ابي هريرة
وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال قيس قال لي شيطاني
دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم
ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل وقال ابو هريرة التقى
شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين
دهين كاسي واذا شيطان المومن مهزول اشعث اغبر عار فقال
شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك فقال انا مع رجل اذا اكل
سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا
ادهن سمى الله فاظل اشعثا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا فقال
شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه
في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه وفي النسائي من حديث
سبرة باسناد صحيح ان الشيطان قعد لابن ادم في طريقه فقعد
له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه
واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك
فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهد
النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساءك ويقسم مالك فعصاه
وجاهد فقال عليه السلام فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله
ان يدخله الجنة واذا عرف هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع
العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحله فقد قال تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا

من

من اصحاب السعير وقال عز وعلا الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقيل
يتعذر التمييز بين الخواطر بشيء من الاشياء الا بنور التقوى والمعرفة
بصفات المولى كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال
وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال واما من لم يروض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبيسه بمتابعة الهدى
ويكثر فيه غلطه وتعجل هلاكه وهو لا يشعر به وفي مثلهم قال تعالى و
بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات
فاذا هي سيئات وفي الاحياء ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى
ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم
انه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه ولا يدرى
انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكائد الشيطان ان
يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به
يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور
الشر لهم بصورة الخير ولذا روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام
فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك وعن النبي صلى الله
عليه وسلم كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها و القى
في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان يقبلها
فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس
اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه

فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك
فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم
والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه
فقال ماتت فاتى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده فنبشوا عليها
فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها
وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني اخلصك منهم قال بماذا قال
اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء
منك فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر
فلما كفر قال اني بريء منك الآية والحديث رواه ابن ابي الدنيا في
مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد
بن رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن ابي طالب وقال
صحيح الاسناد ووصله معين في مسنده من حديث علي وذكره البغوي
عن ابن عباس وذكر ان الراهب اسمه برصيصا ونقل بان جنيها بعد قتلها صح
اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها فانظر
الان الى حيل الشيطان واضطرار الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك
لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين في المخالطة وربما
يظن صاحبه انه خير وحسنة وملاطفة في المرافقة وحسن عشرة
في المخالطة فيحسن ذلك في قلبه ويخفى الهوى في نفسه فيقدم اليه
كالراغب في الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ويجر
البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا في الخلاص عن الامر المذكور فنعوذ
بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله عليه السلام

من حام

من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن
بشير واختلف في الاخذ اي في المؤاخذة بالخواطر فبعضهم قال بعدم
الاخذ مطلقا واستدل بقوله عليه السلام يقول الله تعالى اذا هم
عبدي بسيئة فلا تكتبوها وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله
تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والتحقيق التفصيل فان
اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطرت له مثلا صورة امراة وانها
وراء ظهره في الطريق بحيث لو التفت اليها لراها ويسمى حديث النفس
والثاني هيجان النفس في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي
في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع والثالث
حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث
الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من
الله تعالى عن الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو
على كل حال من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو تتبع الخواطر والميل
والرابع تصميم العزم وجزم النية وقيل الارادة ميل الباطن نحو
المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج المرغوب والعزم بحيث
لا يمكن زواله والجزم يجب العمل في ماله فاذا عرفت هذا فالتحقيق يوجب
عند اهل التدقيق وارباب التوفيق عدمها اي عدم الاخذ بمعنى
المؤاخذة فيما لا اختيار له كحديث النفس بما خطر ببالها ويذهب
بسرعة زوالها وميل الطبع اي الجبلي الذي لا اختيار لصاحبه
في الميل اليه وانت عرفت ان حديث النفس وميل الطبع متغايران
ودليل عطف تفسيري وهو خاطر فعل الذي ما انجر الى العزم

والهم لاتساع التكليف فيه اي فيما لا اختيار فيه فانه تكليف ما لا يطاق وقد قال تعالي لا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد في الحديث عفي عما حدثت به نفوسنا وهو معنى حديث الصحاح الست عن ابي هريرة ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به وعن ابي هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالي اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة فان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عمل فاكتبوها عشرة رواه الشيخان وانما هو اي الاخذ والمواخذة في العزم اي حكم القلب بانه هذا ينبغي ان يفعل والهم اي المصمم فهو عطف على هو اي الاخذ والمواخذة في العزم اي حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل والهم تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما افضي الي مباشرة الفعل لمانع من الشرا او العقل او غيرهما فانه قد يكون الفاسق مجزوما ونسم مجزوما او الثاني اخص من الاول فتامل ثم ورد في التنزيل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اي ان تظهروا ما فيها من العزم والهم علي المعصية او تخفوه يجازكم به كما قال فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا ولما نزلت الاية جاء اناس من الصحابة الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال عليه السلام لعلكم تقولون كما قالت بنوا اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها رواه مسلم من حديث

ابي

ابي هريرة وابن عباس وظهر به ان كل ما لا يدخله تحت الوسع من اعمال القلوب لا يواخذ به ان السمع والبصر الاية اي والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال تعالي ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم انما يحشر الناس علي نياتهم رواه ابن ماجة من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث ابي هريرة انما يبعث الناس علي نياتهم واسنادهما حسن وفي الاحياء ونحن نعلم ان من عزم ليلا علي ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فمات تلك الليلة مات مصرا ويبعث علي نيته والدليل القاطع فيه حديث اذا التقا المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه رواه الشيخان ووقع الاجماع علي الاخذ اي المواخذة بالكبر والعجب والريا وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر الا ان يمتنع عن العمل السوء بعد العزم اي القصد الجزم علي الفعل له اي يكون امتناعه لاجله تعالي رجاء او خوفا فيمحوه اي فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة عليها لرجحان تاثير الامتناع عن العمل لاجله تعالي في تنوير الباطن لانه اي الامتناع يخالف الطبع ويوافق الشرع فيترجح علي تاثير القصد اي قصد المعصية والعزم عليها فيكون موثرا في تسويده اي تسويد الباطن وتغييره لانه يوافقه اي لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلايم الشرع وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الي جد شديد

وسعي اكيد ولما كان جده اشد وسعيه اهم كان تاثيره اكمل واتم فثبت
بهذا ان تاثير الامتناع في تنوير الباطن اشد من تاثير قصد المعصية
في تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعي بليغ ولما كان جده واجتهاده
اقل كان التاثير انقص فتامل وفي الخبر افضل الطاعات احمزها
اي اشقها واصعبها وورد في الخبر فيه اي في الامتناع اذ تركها اي
السيئة فاكتبوها حسنة وقد تقدم ولابن ابي الدنيا في مكايد
الشيطان هكذا مرسلا قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا
ثم جاءوه فقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب ثم جاء
فقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب
النبي عليه السلام فينصرفون خائبين فيقولون ما صحبنا قوما
قط مثل هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى اثر ذلك
فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون
١٧ حاجتكم منهم ومما يدل على ان حديث النفس لا يواخذ به ما روي
عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان
اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب
نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترك
اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمني
رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلا
ثم الواجب الاحتراز اي الاحتراس عن الشيطان وما فيه من الوسواس
لانه عدو كما نطق به القران حيث قال ان الشيطان لكم عدو مبين

وقال

وقال الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية ولان العابد العالم
يغايظه اي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله فتشتد معاداته
اي الشيطان اياه اي ذلك العابد ولذا ورد لفقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد ثم من عداوته للانام امره لهم بالاثام
ووعده الامان من عذاب الله وعدم حسابه والياس من ثوابه
عن غير شبهة فضلا عن حجة ويخوفهم بالفقر في اعطاء الزكاة
ويحثهم على الانفاق في المحرمات ويخيل حصر اللذات في الشهوات
واللهوات ويدعو من له ازواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة
في غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك في الاحوال ويامر الامراء
بالظلم في اموال الاغنياء واجحاف الايتام والفقراء مع وفور مالهم
ويقتل النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع في الحال والاستقبال
وله ابواب فيهما اطنابات والطريق اي طريق الاحتراز خمسة
الاستعاذة منه به تعالى لانه اي العبد والاستعاذة مامور بها
في قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
وساير الايات والاخبار الواردات وكان محمد بن واسع يقول كل
يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا
بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا
نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما
قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين
جنتك انك على كل شيء قدير وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال
كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار

فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل
عليه السلام فقال اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرا وبرا في الارض ومن شر ما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار وطوارق
الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفيت
شعلته وخر على وجهه رواه ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا
مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد ومن رواية يحيى عن محمد
بن عبد الرحمن بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود ورواه احمد
والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش ولان الكلب ان حاربته
تعبت وربما غلبك فالرجوع الى ربه اولى وفي الخلاص من البلوى
ومثل الشيطان بالكلب الجايع يقرب منك فاذا لم يكن بين يديك لحم
او خبز فانه ينزجر بان تقول له اخس فمجرد الصوت يدفعه
وان كان بين يديك شيء من ذلك وهو جايع فانه يهجم عليك
ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع
عنه بمجرد الذكر واما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة
الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن الذكر من سويدايه فيستقر
الشيطان في سويدا القلب ومثل بعضهم الشيطان بالكلب
الزكي فانه لا يخلص لاحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطا اللحم
وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من داخل خيمته فيكف غضب
كلبه ونهمته والمجاهدة مع الشيطان بالرد اي برد الوسوسة و
رفعها في الحالة الانسة وقلع المهلكات اي وازالتها من اصلها

وهي

وهي الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين في الثياب
والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام والطمع في
الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير
وساير اصناف الاموال وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب
والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين
ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة فهو اي
الشيطان انما سلط على الانسان للامتحان في ميدان الطاعة و
العصيان فيحبنه ليكرم المرء او يهان وادامة ذكره تعالى لسانا خفية
او جهرا او قلبا فهو افضل واكثر تاثيرا والجمع بينهما اكمل لما سبق
من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتاخر وفي الخبر ما سلك
عمر فجا اي طريقا الا سلك الشيطان في غير فجه رواه الشيخان من
حديث سعد بن ابي وقاص قال في الاحياء وهذا لان قلبه هذا كان
مطهرا عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في
ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا
كمن طمع في ان يشرب الدوا قبل الاحتما والمعدة مشغولة بغليظ
الاطعمة ويطمع في ان ينفعه الدوا كما نفع الذي شربه بعد الاحتما
والمعدة مشغولة بخلية المعدة فالذكر دوا والتقوى احتما فاذا
نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع
العلة بنزول الدوا في معدة خالية عن الاطعمة فان قلت الحديث
قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يقيم ان عمومات
الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علما الدين فانظر الى نفسك

فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك
لله فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان
الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين كيف يمر بك
في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول
الدنيا الا في صلاتك فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت
والصلاة محك القلوب فيها مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل
من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا تطرد عنك
الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس في ذلك الزمان كما ان
الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر في الداء فان شئت الخلاص
من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر كما يشير
اليه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون فالشرط في الذكر تقدم التقوى او كمال الحضور
في ذكر المولى ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشيء من
من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقد قال وهب بن منبه اتق
الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي
مطيع له في الباطن وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته
باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وعن بعض الحكما الشيطان
ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من قبل النصيحة حتى
يلقيه في البدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس
بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه من العلم فان
ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه

اليهم

ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانما اخر درجته ويعلم
انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة والاستخفاف بدعوته اي الاستخفا
وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان فالكلب ان اعرضت عنه سكت
عنك وان اشتغلت معه بالدفع اتعبك بالعوا ومعرفة مكايده
الاتي بيانها فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر اي شرد واضطر
الى الفرار ولم يتمكن من القرار وهي اي المكايد سبعة كالمنع عن العمل
من اصله والتسويف اي التاخير عن محله والعجلة في فعله والريا
في قصده والعجب بعد فراغه ورجا الاظهار منه تعالى للخلق بعدم
الاكتفا بنظر الحق وهو من الريا الخفي وعدم الحاجة الى العمل بناء على
قسمة الازل في السعادة والشقاوة وهذا لف في العبارة ونشر
بالاشارة في قوله والرد اي رد المكايد المذكورة بالحاجة الى العمل
للتزود اي لزاد المعاد في يوم التناد فقد قال تعالى وتزودوا فان
خير الزاد التقوى وهجوم الاجل اي مجيئه بغتة قبل حصول
العمل ورجحان القليل من العمل التام اي الكامل بالتاني على الكثير
من العمل الناقص بالعجلة وكفاية رؤيته تعالى كقوله سبحانه
الم يعلم بان الله يرى وقوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وذكر
منته والتفويض اليه اي التسليم بين يديه في الاظهار والاخفا
في العبادة بل ينبغي ان يميل الى الاخفا لانه ابعد من الريا وفي الخبر
افضل امتي الاتقيا الاخفيا وفرضية امتثاله اي امتثال امره على
عبده ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الى العمل كيلا الوم نفسي يوم القيمة
يوم القيامة فاني لو دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان

ادخلها وانا غامض لخفة العذاب وان كنت سعيدا فانا محتاج الي
زيادة الثواب وحقيقة وعده الادني اي الاقرب بالاثابة علي الطاعة
والاجابة ثم الافضل الاقتصار علي التكذيب اي تكذيب الشيطان
فيما يوسوسه وترك الجدال فانه يردد قلب العبد ويشوشه
ولان المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة ثم الاستمرار علي ما كان
عليه من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولا جدال لان التكذيب
ايضا شاغل كالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلي هو الحضور
مع المولي ثم الزيادة اي زيادة الاجتهاد في ضده اضداد ما ذكر
من المكايد او في ضد كيد الشيطان فغيظا اغضابه اي اغضاب
الشيطان وارضا الرحمن كما حكي عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان
يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة مهاوية
ولا زاد معك ولا سبب ولا راوية فعزم علي نفسه ان يقطع البادية
علي تجرده ذلك وان لا يقطعها حتي يصلي الف ركعة تحت كل ميل من
اميالها هنالك وقام بما عزم عليه من الهمة وبقي عليه في البادية
اثني عشرة سنة ويروي عن الفضيل بن غزوان انه قيل له
ان فلانا ذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره
قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اني لاغيظنه بان اطيع الله
فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان تزيد
حسناته وهو خلاف ما له من الارادة واختلف اي اختلف العلماء
في امن الاقوياء كالانبياء والاصفياء من الاولياء منه اي من الشيطان
فقال قوم هم معصومون ومحفوظون عنه لقوله تعالي ان عبادي

مطلب

ليس لك

ليس لك عليهم سلطان وقوله الا عبادك منهم المخلصين والحق من الاقوال
عدمه اي عدم امنهم من الشيطان في جميع الاحوال لقصة ادم عليه
السلام في اكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام حيث
قال وعصي ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي ولقوله
تعالي واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله والخطاب
لنبينا عليه السلام في اكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام
حيث قال وعصي ادم ربه فغوي ثم اجتباه ربه فغوي ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدي ولقوله تعالي واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روي انه
عليه السلام وقد روي انه عليه السلام نظر الي علم ثوبه في الصلاة
فلما سلم رمي ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة ولقوله سبحانه
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني اي قرا القي
الشيطان في امنيته[٣] فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
وورد في صحيح مسلم وغيره انه اي الشيطان ليغان اي ليحجب
علي قلبي فيمنعني عن ذكر ربي مع ان شيطانه اسلم فلا يامر الا بخير
وتمام الحديث واني لاستغفر الله في يوم مائة مرة وفيه انه
ليس في هذا الحديث ما يدل علي مدعي المصنف من اغواء الشيطان
له فان المراد بالغين حجاب يمنع من كثرة مشاهدة غبار الغير
في مقام البقاء فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب
اللائق به فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيعين الابرار
وما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار في اي وكذا

[٣] اي قرائته

اختلف في منافاة الترصد اي التحفظ للحذر من الشيطان التوكل
بالنصب مفعول منافاة الحق من الاقوال المختلفة عدمها اي عدم
المنافاة فاخذ السلاح من الدرع والمغفر وساير الاسلحة وجمع
العسكر للمقاتلة وحفر الخندق في المقاتلة ما قدحت في توكل اي
ما طعنت في توكله عليه السلام واصحابه الكرام بل ورد الامر من
الله سبحانه باخذ السلاح في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وفي
الحديث الا ان القوة الرمي وفي اي وكذا اختلف في كيفية الحذر
من الشيطان فقوم قالوا اذ احذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا
ان نستغرق في ترصده ولا يكون شي اغلب على قلوبنا من ذكره و
فكره وقال قوم غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع
من النقصان كما سيأتي له البيان فالاولى تقرير عداوته اي احكام
عداوة الشيطان واثباته على القلب فاذا تقرر عداوته في القلب
لزم ترك الالتفات اليه والاستغراق في ذكره تعالى اي وتمام التوجه
الى ذكر الرب بجمع الهمة من غير التفات الى ذكر الشيطان ومكره
بسبب حضور القلب في طاعة ربه والاشتغال بالدفع اي بدفع
الشيطان عند الانتباه بوروده اي بدخول الشيطان في القلب
بالوسواس ونحوه لدخوله في الانسان مجرى الدم في جسده اما الاستغراق
في الترصد اي في التحفظ من الشيطان للحذر فينافي الذكر المطلوب لذاته
وهو اي الاستغراق المذكور او في الذكر اسراره اي ايقاع الشيطان
في السرور وايثاره لان مراده في مقام اختياره والجمع اي وينافي

جمع

جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع وصواف لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا يحجب
الوحدة عن الكثرة والجمع بين ذكر الرحمن وبين ترصد الشيطان ينقص
الحضور في ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال القلب بذكر
الشيطان فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره وورد في
التنزيل قل الله اي ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الا اياه ثم ذرهم
اي اترك الخلق من الشيطان وغيره فهم في خوضهم يلعبون كالبهايم
والاطفال والمجانين كما قال في موضع اخر ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون اي جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه وما
حق المعرفة رابعا وعن النفس عطف على قوله عن الشيطان اي ثم الواجب
الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب
البلا فعلاجها اعسر من علاج الشيطان واشد الاشيا ودواها اعضل
الداء ودواوها اشكل الدوا الاربعة امور لانها محبوبة لصاحبها مع
انها اعدى عدوه والحب يعمي العين عن روية العيب في محبوبه ويصم
الاذن عن سماع الملامة في مطلوبه ففي الخبر حبك الشي يعمي ويصم
رواه احمد وغيره عن ابي الدرداء والحاصل ان الانسان عم عن عيب محبوبه
لا يكاد يبصر عيبا في مطلوبه كما قال قايل في شعره ٭ وعين الرضا عن
كل عيب كليلة ٭ ولكن عين السخط تبدي المساويا ٭ فاذا استحسن
الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول
انه مليح وهي في عداوته مستقرة وفي غوايته مستمرة فما اوشك
ان توقعه في هلاكه وفضيحته ويتوهم انه خلاص ونصيحة وهو لا
يشعر الا اذا حفظه الله سبحانه بفضله وكرمه وعدوا اي ولانها

اي بان طلب منهم الاشتغال
بغير الحق

عدو داخل اي باطني فلص البيت اي ممن يدخل فيه ويخرج منه
تعز فيه الحيلة اي يعسر في دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال تعالى
لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ولا تنفك اي النفس
عن الانسان الا بالموت بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة
والمجاهدة ولا تندفع النفس وشرها بالذكر اي بذكر الله بخلاف
الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث اذا ذكر الله خنس
ويشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها في الدنيا فللحاكم عن انس
مرفوعا عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيمة يقول يا رب اليس
وعدتني ان لا تظلمني قال بلى قال فاني لا اقبل علي شهادة شاهد الا من
نفسي فيقول اوليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين
فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل واما ما في الاحيا من انه
عليه السلام قال كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية
الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا
ان يعفو الله ويستر فقال العراقي لم اجد لهذا اسنادا ومنها اي من
النفس نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد حيث قال انا خير منه وامتنع
عن حكم ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه فغرق في بحر
الضلال بعد عبادة ثمانين الف سنة في بعض الاقوال ولم يكن هناك
دنيا ولا خلق ولا شيطان اخر بل كانت النفس وحدها فعملت
ما عملت من جهدها او قابيل بالشح اي بسبب بخله على اخيه في اخته
فانكر على ابيه فوقع في الكفر بسببه لا بسبب قتل اخيه وهاروت

وصاحبه

وصاحبه ماروت وقعا فيما وقعا من البلية بالشهوة التي ادت الى الزنا
ونحوه من المعصية بقتل وادم وحوى بالحرص على الدوام والبقا حتى
اغترا بقول ابليس هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى فسقطا
بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الفانية
ولقيا ولاده من الامور المهلكة ثم هلم جرا الى يوم القيمة لا تجد
في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا محنة ولا ضلالا ولا معصية الا
واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير في
مبتداء الامور ومنتهاها واذا كان العدو بهذا الضرر كله فحق
على العاقل ان يهتم بامرها في حقه فان قيل بين لنا طريق دفع
هذه النفس فيقال والطريق اي طريق تذلل النفس وتكسر هواها
او طريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة منع الشهوات ومنع
اللذات عنها فالحرون اي الصعب من الدواب يلين بنقص العلف
عن عادته مع حبسه في مربطه وحمل اعباء العبادة اي اثقالها واشغالها
فالحمار الجموح ينقاد بزيادة الحمل على ظهره والاستعانة به تعالى
والتضرع اليه ليهون امرها عليه والا فلا مخلص لديه فورد في
التنزيل ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي من رحمها ومدة رحمته
والاصل فيه اي في طريق الاحتراز او في طريق تذلل النفس الرياضة
اي وفق الشريعة المرضية ففي تحفة الملوك لا تخل الرياضة بتقليل
الاكل الى ان يضعف عن اداء العبادة ولو واصل اربعين يوما فمات
مات عاصيا ولو مرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت
عاصيا والتنعم بانواع الفاكهة يباح وتركه افضل والجمع بين الاطعمة

حرام اي ممنوع ومكروه كراهة تنزيهية او حرام في طريق الصوفية
ثم الاصل المهم في المهم لمجاهدة والوفا بالعزم علي المعاندة فاذا عزم
علي ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله فينبغي ان يصبر
عنها ويستمر عليها فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت بعد ذلك
عدم الجزم وقصدت لفقد الجزم وفسدت لفقد الجزم واذا اتفق
منه نقض العزم فينبغي ان يلوم نفسه عقوبة عليه وجزا الديه
وهي اي الرياضة او المقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق
تهذيب الاخلاق فورد في الحديث اني رايت البارحة عجبا اي امرا
اعجوبيا رايت رجلا من امتي جاثيا اي جالسا علي ركبتيه وبينه
وبين الله حجاب فجا حسن الخلق من باب فادخله علي الله تعالي
من غير حساب ولا عقاب وهو الحديث رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق
من حديث عبد الرحمن بن سمرة اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق
رواه ابو داود والترمذي وصححه من حديث ابي الدردا ولابي داود و
الترمذي من حديث ابي الدردا ما من شي في الميزان اثقل من حسن
الخلق وللطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر حسن الخلق
خلق الله الاعظم ولاحمد والحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق ولاحمد من حديث عايشة الشوم سو الخلق
ولابن حبان وغيره سو الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل وللخرائطي
في مكارم الاخلاق من حديث عايشة اليمن حسن الخلق وللطبراني في
الصغير من حديث عايشة ما من شي الا وله توبة الا صاحب سو
الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه وذكر شيخ مشايخنا

الجلال

الجلال السيوطي حديث احسن الحسن الخلق الحسن رواه الحسن عن
الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن وهو اي حسن
الخلق ضبطا اي حفظا وربطا تحت الشرع والعقل في قضية الطبع
وهو اي تحسين الاخلاق ممكن بالاتفاق لصيرورة الصيد الوحشي
اهليا كالظبي والحمام والجموح منقادا كالفرس والبعير والكلب معلما
وكذا ساير الجوارح من الصيود حتي يصير الة للصيد في مقام القيد
وورد في الحديث حسنوا اخلاقكم رواه ابن لال في مكارم الاخلاق
من حديث معاذ يا معاذ حسن خلقك للناس ولاحمد من حديث
عايشة اللهم حسن خلقي فحسن خلقي وللطبراني من حديث جابر ان
اقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا هذا والخلق عبارة
عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر
من غير حاجة الي روية وفكر ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها
الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا
وان كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي
هي المصدر خلقا سيئا وكما ان حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن
جميع اعضايه فكذا في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في
جميعها وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه الثلاثة ويعبر عن قوة حسن الغضبية بالشجاعة وعن
حسن قوة الشهوة بالعفة والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين
بين الافراط والتفريط فان الامر المحمود في كل شي هو التوسط
فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان والمرء

والجوع مشتغلان وقد ورد خير الامور اوساطها رواه البيهقي في شعبه
وقال تعالى في ذم التبذير والتقتير والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وقال
تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال اشدا على الكفار رحما بينهم
وقال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فالاعتدال مطلوب
في جميع الاحوال فان العقيدة الحميدة هي المتوسطة بين التشبيه
والتعطيل وبين القدر والجبر وبين النصب والرفض وهو الصراط
المستقيم والدين القويم الذي لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين
الزائغ عن الجادة قال تعالى ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل
هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا
الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في العقبى وقل
ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل
الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذا
لا ينفك عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال
تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ولاجل عسر
الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم سبعة عشر
مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم ومن هنا قال عليه السلام استقيموا

ولن

ولن تحصوا اي لن تطيقوا حق الاستقامة وهي الموصوفة بنعت الاعتدال
فينبغي للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله والمقصود عجز الانسان
كما يشير اليه قوله تعالى كلا لما يقض ما امره هذا وقال يحيى بن
معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء خلقه
عذب نفسه وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في
الخلق زاد عليك في التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة
لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات
ثم قال الحسن حسن الخلق بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى وقال
الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالمولى وقال
الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك الحق
فالاسرع علاجا اي الاهون مداواة من غفل عن اعتقاد وتميز من جهة
اعتماد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة التركان
ومن هنا ورد اكثر اهل الجنة البله ثم من عرف القبيح اي واعتقده سيئا
فانه قابل للعلاج في تركه ثم من اعتقده اي القبيح حسنا وذلك كالمبتدعة
ونحوهم قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وهو اصعب لان علاجه باخراجه عن
اعتقاده وفيه غاية من التعب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب
الذيب وهو اصعب **والطريق** مبتدا اي طريق تهذيب الاخلاق
عند فقد الكمال الفطري اي الجبلي الذي لا يحتاج الى التكلف الطبيعي
كما للانبيا عليهم السلام وكذا لبعض الاصفيا والاولياء من اتباعهم

الكرام والجذبة اي وعند فقد الجذبة الالهية كالسحرة اي سحرة فرعون
وعمر رضي الله عنه فانه امن بغتة التكلف خبر المبتدا اي تكلف السالك
في اعتياد الاضداد اي تعود اضداد الاخلاق السيئة بالتدرج اي بالتاني
في المعالجة والمجاهدة بالرفع عطف على التكلف ويجوز جره عطفا على
التدرج اي المبالغة في المعالجة فيه اي في الاعتياد حتى يعتاد السالك
الطاعة بوصف الدوام ويلتذ بها اي بالطاعة التذاذ المريض
بالطعام بعد العلاج اي بعد علاج المريض والمتعلم اي والتذاذه بالعلم
على الدوام متعلق بالتكلف كذا قيل والاظهر انه متعلق بيلتذ لا احيانا
اي متساوية نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان في اكثر الاحوال الواردة
وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات في الذكر والفكر والطاعات
بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور ابدا اذا كان الامر مترددا
بين الحالات هذا وقد توهم عبارة المص ان صاحب الجذبة لا يحتاج
الى سلوك المجاهدة وليس كذلك فان الجهاد لا بد لجميع العباد غاية
ما في الباب ان ارباب السلوك على نوعين منهم سالك مجذوب وهو
اغلب احوال المريدين ومنهم مجذوب سالك وهو قليل من بين المرادين
ويشير الى الطايفتين قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشا ويهدي
اليه من ينيب واختلفوا في ايهما افضل والجمهور على ان السالك ه
المجذوب اكمل هذا والانبيا عليهم السلام ايضا في مقام الترقي لانهم
يستغنون عن زيادة المجاهدة لكمال المشاهدة فقد قال تعالى
وقل رب زدني علما وفي دعايه عليه السلام اللهم كما حسنت خلقي فحسن
خلقي اي زد في تحسين خلقي والا فكان عليه السلام خلق على خلق عظيم

ثم كان

ثم كان خلقه القران وقد قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وكان من دعايه عليه السلام اللهم اهدني لاحسن الاخلاق
لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني
سيئها الا انت رواه مسلم من حديث علي فالمقصود منه اي من
حسن الخلق او من رياضة الخلق رسوخ حبه تعالى اي ثبوته في القلب
وقلع حب الدنيا منه اي من القلب فانهما لا يجتمعان كما يشير اليه
قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وورد من احب اخرته
اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى
وقد مثل علي كرم الله وجهه الدنيا والاخرة بالضرتين اذا ارضيت
واحدة اسخطت الاخرى وبكفتي الميزان اذا اثقلت واحدة خفت
الاخرى وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى الشرق بعدت عن المغرب
وكذا بالعكس فكل قلب مال الى حب شي سوى الله تعالى فلا ينفك
عن مرض بقدر ميله الا اذا احب الشي لكونه معينا له على حب الله
ودينه قال تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا قال علي رضي الله
عنه الايمان يبدو لمعة في القلب كله وان النفاق يبدو في القلب
نكتة سودا فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل
النفاق اسود القلب كله وفيه تنبيه على ان الخلق الحسن من نتيجة
الايمان والعرفان والسيئ من ثمرة النفاق والكفران ثم اعلم ان اصل
الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو
عرف كل شي ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة

المحبة فمن عرف الله احبه ومن احبه لايؤثر عليه الدنيا ولاغيرها من
المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم
من الله ورسوله الاية فمن كان عنده شيء احب اليه من الله ورسوله
فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت
شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة الى الدوا وهو اي الطريق
الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه او التكلف باعتبار الامتداد
انما يحصل بخمسة اشياء بالاستفادة من شيخ اي ولو شابة تائب
من الذنوب بصير بالعيوب اي الظاهرة والباطنة مطلع على الخفايا
من احوال المريد كالعجب والرياء وهو عزيز الوجود في ميدان الشهود
كما يشير اليه قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم
وقوله وقليل من عبادي الشكور وورد الناس كابل مائة لاتجد
فيها راحلة واحير تقلله وقال الشاعر ۰ اتمنى على الزمان محالا ۰
ان ترى مقلتاي طلعة حر ۰ والمراد بالحر من لايستعبده هواه
ولاتسترقه دنياه فالاطباء هم الكملاء وقد استولى المرض عليهم وغلب
حب الدنيا لديهم فلا يتهيا للسالك التردد اليهم بل اندرس هذا العلم
وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلية واقبل
الخلق على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها كرايات وعادات نعم كان
يكثر وجودهم في الصحابة واكابر التابعين وبعض المتاخرين كالسري
والجنيد والشبلي رضي الله عنهم اجمعين وقد قال الشبلي للحصري
ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتي شيء غير الله
عز وجل فحرام عليك ان تاتيني او صديق اي صاحب صديق

بينه

بينه اي صاحب صديق عليها اي على عيوبه كما روي عن السلف ومنهم
عمر رضي الله عنه حيث قال رحم الله من اهدى الي عيوبي وكان يسال
سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني ماكرهته
فاستعفى والح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على ما ئدة
وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال هل بلغك غير هذا
فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول انت صاحب
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيا
من اثار النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين قال بعضهم كن مع الله فان لم تطق فكن مع من يكون
مع الله وهذا ايضا عز فيقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر
بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ولذا كان داود
الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لاتخالط الناس فقال ما اصنع
باقوام يخفون عني عيوبي فكان شهوة ذوي الدين من السلف
المجتهدين ان ينبهوا على عيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر الى
امثالنا ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوب احوالنا
ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي ثمرتها كثرة العصيان
واصل ذلك كله ضعف الايمان او عدو وحاذق عاقل فعين السخط
بفتحتين وبضم فسكون اي عدم الرضا تبديها اي تظهر العيوب وتكشف
الذنوب كما تقدم في قول الشاعر ۰ فعين الرضى عن كل عيب كليلة ۰۰
ولكن عين السخط تبدي المساويا ۰ فلعل انتفاع الانسان بعدو مشا حن
يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه

ويخفي عنه عيوبه او بمخالطة الناس اماما او ماموما وترك ما راي
مذموما لئلا يكون مذموما وما يراه محمودا يطالب نفسه به ليصير مسعودا
فان المومن مراة المومن فيري من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس
كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مودب لانفسهم وقيل لعيسى
عليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته
والكتاب والسنة اي العمل بهما وهو اي الاعتصام بهما لا النفع بل هو
النافع ويؤيده قوله تعالي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين وحديث من عمل بما علم اورثه الله علم ما لا
يعلم والاصل في تهذيب الاخلاق او في رسوخ حبه سبحانه ترك التمتع
بما ينال اي لا يحصل منفعة في القبر الذي هو البرزخ بين الدنيا والاخري
فينبغي ان لا يتمتع الا بقدر الضرورة في معيشة الدنيا من اللقمة والخرقة
ونحوهما وينبغي ترك التمتع باللذات والشهوات من غير الضرورات
فقد قال وهب بن منبه ما زيد علي الخبز فهو شهوة وقال يزيد الرقاشي
السلام علي الما البارد ما دمت في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخري
وقال سري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في
دبس فما اطعمتها لئلا يحصل الانس بالدنيا المودي الي حبها والي
نسيان الاخري وذلك انه اذا تمتع بشي منه انس به والفه واذا مات
تمني الرجوع الي الدنيا بسببه ولا يتمني الرجوع الي الدنيا الا من لا حظ
له في الاخري فهو اي حب الدنيا راس كل خطيئة كما رواه البيهقي عن
الحسن البصري مرسلا وقال تعالي اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوي قيل نزع عنهم محبة شهوات الدنيا وقال عليه السلام المومن

بين خمس شدايد مومن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان
يضله ونفس تنازعه رواه ابو بكر بن لال من حديث انس وقال
عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الي الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال
جهاد النفس رواه البيهقي في الزهد وللترمذي في اثناء حديث وصححه
وابن ماجة من حديث فضالة بن عبيد المجاهد من جاهد نفسه وقال
سفيان الثوري ما عالجت شيا اشد علي من نفسي مرة لي مع العباد
تجتهدين كابي بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس ما تستحيين
وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة
علي اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من
الكلام واحتمال الاذي من الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات
ومن قلة المنام صفوة الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات
ومن احتمال الاذي البلوغ الي الغايات وليس علي العبد اشد من الحلم عند الجفا
والصبر علي الاذي فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام
وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام
من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام
حتي تنقطع من الظلم والانتقام فتامن من بوايقها في ساير الايام و
تصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوايل افاتها فتصير عند ذلك
روحانية لطيفة ونورانية حقيقية فتجول في ميدان الخيرات
وتسير في مسالك الطاعات والمبرات كالفارس الفاره في الميدان وكالملك
المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه

ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد في نعيمها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك شهواتها وقال جعفر بن حميد اجمعت العلما والحكما ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضي الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات وقال وهب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيا للذل في العقبى وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت الله ان يحرك الي قلبك قلت قد فعل فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد فقال فانصرف وما عرفته وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشي تشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي وقال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فتفقدته فوجدته لحما مضغة فمضيت وتركته لكرماني فرايت رجلا فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت له اري لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال واري لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان المه في الاخرة

ولدغ الزنابير يجد الانسان المه في الدنيا فان قيل التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله فيقال هذا ايضا ضعيف او المباح الخارج من الحاجة من الدنيا وحب الدنيا راس كل خطيئة كما ورد وكذا يؤيده حديث اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى وللطبراني في الكبير ولابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وللديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ولاحمد والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك وللبيهقي في الشعب من حديث عايشة انه عليه السلام قال لها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا ايما امرء اشتهى شهوة فيرد شهوته واثر بها على نفسه غفر الله له ثم اعلم ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومشتبهها عتاب وورد من نوقش في الحساب عذب كما في الصحيحين فعند المباح يجد القوم السري فترك الشهوة يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم في النهاية ونظيره الطفل في الفطام عند الرعاية وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق خايف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنا

يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسئ ويضحك
والمومن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والجلوة و
المومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن
يامر وينهي للسياسة والمنافق يامر وينهي للرياسة واولى ما
يعتني بتحسين الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى ومن شكى من
سوء خلق غيره فدل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال
اذى الخلق وقال عيسى عليه السلام جوعوا بطونكم لعل قلوبكم
ترى ربكم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص
البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس وقد قيل في صفة
الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة

الباب السادس عشر في التوبة والمرابطة واتقا

قد ورد التوبة ندم رواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث ابن مسعود وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ومعنى التوبة اي معظم اركان
التوبة الندامة كما ورد الحج عرفة والا فمن اركانها ترك المعصية مباشرة
والعزم على ان لا يعود اليها ابدا والتدارك كما ورد الحج عرفة لما امكنه
من حقوق الله وحقوق العباد بسم الله الرحمن الرحيم المستعان به في
امر الدنيا والاخرى التوبة في اللغة الرجعة وفي الشرع الرجوع عن
المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة وقال بعضهم هي تنزيه
القلب عن الذنب اي عن اختياره وقيل الرجوع من البعد اي من كل
ما يبعد العبد عن المولى الى القرب اي الى قرب الرب في الدنيا والاخرى

فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله وبالرجوع عن كل
خصلة رذيلة تبعده عن الله في دنياه واخرته فيعم الذنوب الظاهرة
والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة
وقيل في حد التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطا وقيل هو نار
في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وقيل هو خلع لباس
الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التوبة تبديل الحركات المذمومة
بالحركات المحمودة فكانه اخذ من قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على ما ذهب اليه
بعض المفسرين ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها
في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في ماضي الاحوال وهي
اي التوبة واجبة اي فريضة لازمة لكل من المكلفين لورود قوله تعالى
توبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وفي نسخة توبة
نصوحا اي خالصة لله من دون ريا وسمعة واغراض فاسدة والامر
في الاثنين للوجوب بناء على اصله ودلالة الاجماع المنعقد من الامة
على ان التوبة من المعصية فريضة والعقل اي ودلالة العقل فالواجب
من طريق العقل مع قطع النظر من ورود النقل ما تعلق بفعله السعادة
العظمى وبتركه الشقاوة الكبرى اذ بها الوصول الى سعادة الابد من
قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمد الذي هو الحجاب عن اللقا
في العقبى وهو التعلق بهما متحقق فيها اي ثابت في التوبة بلا خلاف
عند العقلاء وجدواها اي فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها ونتيجتها
اربعة اشيا حبه تعالى اياه فورد في التنزيل ان الله يحب التوابين

وفي الحديث التايب حبيب الله رواه ابن ابي الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ ان الله يحب الشاب التايب ولعبد الله بن احمد في زوايد المسند من حديث علي ان الله يحب العبد المومن المفتن التواب ولاحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة ولابن ماجة من حديث ابن مسعود التايب من الذنب كمن لا ذنب له وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته زاد مسلم في حديث انس ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح هذا وايضا من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يامره وينهاه كما قيل

تعصي الاله وانت تظهر حبه   هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته   ان المحب لمن يحب مطيع

ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويفيد ايضا التلازم بين المحبين كما يومي اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة والتوفيق اي جعله تعالى اسبابا موافقة للاعانة على الطاعة في كل وقت وساعة فقيد الذنوب التي بمنزلة القيود والاغلال من العيوب يمنع عنها اي عن الطاعة وتوفيقها ولان الاصرار اي الاقامة على المعاصي من غير تخلل التوبة بالرجوع الى الرب يغشي القلب اي يسوده و يشدده ويحرك الى الشقاوة الكبرى فان المعصية بريد الكفر

وقد

وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولان المتلطخ بالنجاسة اي المتلوث بنجاسة المعصية لا يقرب الى بساط الرب بل يبعد ويحجب فورد اذا كذب العبد وهو من اهون اسباب البعد تنحى الملكان اي يبعد اللذان معه من الكرام الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما عن نتن ما يخرج من فيه اي من فمه وهو الكذب والحديث رواه الترمذي وحسنه وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمرو بلفظ اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به وحلاوتها اي لذة الطاعة التي لو لم تكن للمطيع جزاء عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة ربه وبه لكان ذلك كافيا فكيف بما يضاف اليه من نعيم الاخرة كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون الاية وفي الخبر القدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم هذه اللذة لا يكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اولها مرة كالفطام الصبي ثم يصير حلوه بعدما صبر على مرارة ترك العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس قابلة ما عودتها تتعود فالمصر لا يجدها اي تلك اللذة ومن لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هي اللذة الباقية وقبولها اي قبول الطاعة قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين قرب الدين لا يقبل هدية المديون المماطل الممتنع من اداء

الدين ثمن الفضول تضييع الاصول ولان الغضب المترتب على معصيته
بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال بنا في القبول اي قبول طاعته
المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلي نعت الجمال وهي اي التوبة واجبة
على الكل من الانبيا والاوليا فلا تظن ان التوبة اختصت بادم
عليه السلام حيث قال تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس البشر لا يمكن
فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها
فالرجوع في حق كل انسان يكون ضروريا نبيا كان او غبيا وليا
او غويا فلا تحسبن هند لها الغدر وحدها ۞ سجية نفس كل غانية
هند ۞ ويشير اليه حديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون
كما رواه احمد في غيره عن انس في كل حال اي على الدوام لعموم الادلة كقوله
تعالى توبوا الى الله جميعا وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصيته بجوارحه
اذا لم يخلو عنه الانبيا الاخيار كما ورد في القران والاخبار من خطاياهم
وتوبتهم وبكائهم فان خلا احد في بعض الاحوال عن معصية الجوارح
فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن
وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله
فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله
وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها
رجوع عن الطريق الى ضده وانما يتفاوتون في مقادير النقصان لا في
اصله وعلى الفور واجبة من غير تراخ ومهملة لوجوب الانتها اي
الامتناع عن المعاصي كذلك اي على الفور من غير التراخي وحرمة

التسويف

التسويف اي ولحرمة تاخير التوبة فورد في التنزيل وليست التوبة
الاية اي للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الان اكثر صياح اهل النار من التسويف كذا في الاحيا وقال مخرجه
لم اجد له اصلا وقال لقمان لابنه لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة
فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فرعه
لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وساير
الاحوال وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بما الطاعات حتى توالي
الايام والساعات واما قول العاصي المطيع اني مومن كما انك مومن
فهو كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة
وما احسن جواب الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول
الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع اصولك وتتناثر
اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة
عن اسباب ثبات الاشجار ۞ سوف ترى اذا انجلى الغبار ۞ افرس تحتك
ام حمار ۞ وهذا امر يظهر عند الخاتمة نسال الله العافية ولقد صدق
ابو سليمان الداراني في قوله لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على
فوت ما مضى منه في غير طاعة الله وامره لكان خليقا ان يحزنه
ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله
فيما سبق من الحياة وقال بعض العارفين ان ملك الموت
اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها
طرفة فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها
لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها

فيما ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني
قوله تعالي وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله سبحانه
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا
اخرتني الي اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يوخر الله
نفسا اذا جا اجلها اي ولا نفسا هذا ومثال المسوف الامثل من احتاج
الي قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة جليلة
فقال اوخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت
ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا
اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف واخذ ينتظر
الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف وهي اي التوبة
اذا استجمعت شرائطها مقبولة اي عن عبادة فوعده حق وقوله صدق
لا يجوز خلفه ولا يتصور تبديله قابل التوب فهو من صفاته كقوله
غافر الذنب ان الله يبسط يده بالتوبة حتي تطلع الشمس من مغربها
وفي الاحياء ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الي النهار
ولمسيء النهار الي الليل حتي تطلع الشمس من مغربها قال مخرجه رواه
مسلم من حديث ابي موسي بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء
النهار الحديث وفي رواية الطبراني لمسيء الليل ان يتوب بالنهار و
بسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذ الطالب
ابلغ من القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل
ولابن ماجة من حديث ابي هريرة لو اخطاتم الخطايا حتي تبلغ السما
ثم تبتم لتاب الله عليكم اي قبل توبتكم او رجع عليكم بالرحمة والمغفرة

ولابن

ولابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا ان العبد ليذنب الذنب
فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه
تائبا منه فارا حتي يدخل الجنة ولابي نعيم في الحلية من حديث
ابي هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر
الله اليه انه احزنه غفر له الحديث ولاحمد وابي يعلي والحاكم وصححه
من حديث ابي سعيد ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال
اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلا لي
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقال سعيد بن المسيب نزل قوله
تعالي انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب
ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله
اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين
ويروي ان نبيا من انبيا بني اسرائيل اذنب ذنبا فاوحي الله اليه
وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا
وعزتك لئن تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد
ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبا حتي يدخل الجنة فيقول
ابليس يا ليتني لم اوقعه في الذنب يعني لاهلكه بالعجب ويروي
انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم نظر في
المراة فراي الشيب في لحيته فساه ذلك ثم قال الهي اطعتك عشرين
سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يري الشخص
احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك
فان رجعت الينا قبلناك وقد قال تعالي وان عدتم عدنا وورد ما

ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وايضا اي وفي العقل ايضا دلالة علي ان التوبة مقبولة لا محالة فانما تزول ظلمة الذنب وبخارها عند سطوع نور التوبة واثارها زوال الدنس اي كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن بالصابون ونحوه من الاشنان والصدا اي وكزوال صدا الحديد من المراة ونحوها بالصيقل وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب ونور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك ان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله ان يكون في جوارحه فكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره فكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول والقبول له حسب قضاء السابق الازلي مبذول والحاصل ان من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا ينقلع وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوي الصابون على قلعه من اصله ومثاله ان تتراكم الذنوب حتي تصير طبعا ورينا علي القلب فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الي الرب وربما يقول باللسان قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب هذا وقد ورد ان للقلوب

صدا كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار رواه الحكيم الترمذي وابن عدي عن انس ثم كان المص استشعر سؤالا وهو ان يقال ينبغي ان لا يجوز الشك في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول فاجاب بقوله وانما يشك التائب في قبول توبته وحصولها وبيته لشكه في تحقق الشروط المعتبرة في باب التوبة والاركان اللازمة في حصول التوبة كما سياتي بيانهما في محلها اللايق بها ومجملها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم فهي اي الشروط والاركان دقيقة ادراكها فلا يجزم بكونها حقيقة شك اي مثل شك شارب المسهل في حصول شروط الاسهال في الدوا باعتبار الوقت والحال وكيفية خلط الدوا وطبخه وجودة عقاقيره وادويته والا فلا شك في تاثيره وخاصيته بخلاف القصار اذ شروطه من الما والصابون والدلك جلية وليست في نظر صاحبه خفية ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشي الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة ولذا قال المص والذنب ما يخالف امره تعالي من فعل الطاعات وترك السيئات وينقسم علي حقه تعالي وهو اقرب الي العفو كترك الصلاة والصوم ونحوهما وحق العبد اي وعلي حقه كترك الزكاة وقتل النفس وامثالهما وهو اي حق العبد اغلظ اي اشد وعن العفو ابعد فورد في الحديث انه اي حق العبد لا يترك اي لا يعفي الا ان العبد يرضي ولذا قيل حق الكافر اشد من حق المسلم واقوي وحق الحيوان اشد من الكافر كما لا يخفي ولاحمد والحاكم وصححه من حديث عايشة الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك

فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان
الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي
لابد ان يطالب بها حتى يتخلص عنها وايضا ينقسم الي معصية كبيرة وصغيرة
كما جاء في القران ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وورد
في البعض من انه اي ذلك البعض من الكباير ففي البخاري من حديث
عبد الله بن عمرو مرفوعا الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس واليمين الغموس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله
والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات ولهما
من حديث ابي بكرة الا انبئكم باكبر الكباير الشرك بالله وعقوق
الوالدين وشهادة الزور وقول الزور ولهما من حديث ابن مسعود سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس
انما هي اربع لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الا بالحق ولا
تزنوا ولا تسرقوا وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر
ام الخبائث والفواحش واكبر الكباير وللبزار من حديث ابن عباس ر
باسناد حسن ان رجلا قال ما الكباير قال الاشراك بالله والياس
من روح الله والقنوط من رحمة الله والحاكم من حديث عبيد بن
عمير عن ابيه الكباير تسع فذكر منها استحلال البيت الحرام وللطبراني

من

من حديث واثلة من اكبر الكباير ان يقول الرجل علي ما لم اقل وله ايضا من
حديثه ان من اكبر الكباير ان ينتفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث
جابر بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث
عبد الله بن عمرو من الكباير شتم الرجل والديه ولابي داود من حديث
سعيد بن زيد ان من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس انه عليه السلام مر على قبرين
فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان
يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستبري من بوله الحديث ولاحمد
في هذه القصة من حديث ابي بكرة اما احدهما فكان ياكل لحوم الناس
الحديث ولابي داود والترمذي من حديث انس عرضت علي ذنوب
امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها
وللديلمي من الكباير السبتان بالسبة وقد اختلف الصحابة والتابعون
في عدد الكباير من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك
قال ابن مسعود هي اربع وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع
وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى سبعين
اقرب منها الى سبع واختلف على اقوال في حصرها اي الكباير على ما نهى اي
على ذنب وورد عنه نهيا مخصوصا فالتخصيص بالذكر في القران
للتعظيم اي لتعظيم العصيان وقد قال ابن عباس كل ما نهى الله عنه
فهو كبيرة ويشير اليه قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه اذا
كانت الاضافة بيانية وما اي وعلى ذنب اوعد اي ورد الوعيد
عليه بالنار لعظم العقوبة فقد قال جماعة من الصحابة كلما توعدا

لله عليه بالنار فهو من الكبائر وما اي وعلى ذنب وجب عليه حد من رجم وجلد وقتل وقطع فالتعجيل لعقوبة المذنب للتغليظ في حقه ذنب فقد قال بعض السلف كلما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وما اي وعلى ذنب استصغر اي استحقر وعد صغيرا وحقيرا كما ان الصغيرة ما استعظم اي عد عظيما وكبيرا فورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار رواه الديلمي عن ابن عباس به مرفوعا وعن انس موقوفا وعن ابي سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر رواه احمد والبزار بسند صحيح وقال ابن مسعود لما سئل عن الكبائر فقال اقرا من اول سورة النساء الى راس ثلاثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى ههنا كبيرة وقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وضعف هذا القول بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقوله الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغائر وفي الحديث ان تغفر اللهم فاغفر جما فاي عبد لك لا الما وقيل الاصح انها اي الكبيرة مبهمة اذ ربما قصد الشرع بابهامها كون العباد على وجل منها كليلة القدر وساعة الجمعة وكذا الصلاة الوسطى ليعظم جد الناس في طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها لانها اي والدليل على كون الكبيرة مبهمة ان المراد بها ما اي ذنب لا تكفره الصلاة الخمس اي ونحوها من المكفرات للسيئات فورد في الحديث الصلوات الخمس يكفرن ما بينهن اي من الصغائر ولم يبق عليه شيء من الذنوب حينئذ اذ اجتنبت

الكبائر

الكبائر وليس المعنى ان اجتناب الكبائر شرط لكون الصلاة ونحوها تكفر الصغائر بل ان كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والا فتخفف الكبائر وان كان محفوظا من الكبائر والصغائر فيكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات الغالية او الا الكبائر شك من الراوي او اختلف الروايات فالاخير رواية مسلم وللحاكم من حديث ابي هريرة وصححه الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله وهو اي حكم الكبيرة او التكفير وهو الاظهر يتعلق بالاخرة فالابهام اولى تحذيرا عن الكل اي كل المعاصي لئلا يقع احد في مخالفة المولى لاحتمال ان يكون كل ذنب اقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعا وهو مطلوب الرب من العبد ان لا يقع في مطلق الذنب ليحصل له كمال القرب وتوضيحه ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا يجوز ان يتطرق اليه الابهام ولا تكليف فيهما اي لا تكليف بما لا يطاق في معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل لها تعلق في حكم العقبى فموجبات الحدود معلومة باساميها كا لسرقة والزنا والقتل وغيرها وفي الاحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه

عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها فان مجاهدة نفسه في الكف
عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر من اظلامه
فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة
للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا
فكل ما لا يشتهي الخمر لطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر
عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي
الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة
النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية
السماع ورد الشهادة في الحكومة لا يختص بها اي بالكبيرة بل ولا بالصغيرة
فالاكل في الطريق من السوق ونحوه يوجبه اي رد الشهادة مع كونه مباحا
وفي الاحيا لا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم
الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب
احد الى ان هذه الامور من الكبائر فكل الذنوب تقدح في العدالة الا ما
يخلو الانسان عنه غالبا الضرورة بمجاري العادات كالغيبة والتجسيس
وسوء الظن والكذب في بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما
بحكم الغضب زايدا على حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة
الفجرة والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر
الدين فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها الا بان
يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى
على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده

وبطلت

وبطلت الاحكام والشهادات ولبس لبس الحرير ونحوه من قبيل هذه ه
المذكورات وقيل الاصح انها اي الكبيرة اسم اضافي كما ان الزنا كبيرة
بالنسبة الى المعانقة مع التجريد عن الثياب في الجانبين والمعانقة
كبيرة بالنسبة الى اللمس واللمس كبيرة بالنسبة الى النظرة بالشهوة
والنظر صغيرة بالنسبة الى الهم والعزيمة وقطع يد المسلم كبيرة
بالاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله والمطلق اي الفرد
الذي اذا اطلق الكبيرة هو الكفر اذ لا كبيرة فوقه وقد قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم ولهذا لا يغفر بالاجماع او الذنب المطلق هو
الكفر وباقي الذنوب صغير بالاضافة ولما كان هذا القول يفيد انه
لا كبيرة الا الكفر وهو مفرد وقد جا في القران بلفظ الجمع قال في دفع
هذا الاشكال والجمع مبتدا اي وقوع لفظ الكبيرة جمعا فيما ورد في
التنزيل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقد قرى كبير ما تنهون
عنه فيكون المراد به الكفر او اريد به الجنس والذين يجتنبون كباير
الاثم لتنوعه خبر المبتدا اي لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم
والكنم للشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها
او تعدد المخاطب توزيع مقابلة الجمع بالجمع او لان كفر زيد غير كفر عمرو
والمغفرة بالمعصية ثم هو اي الذنب ولو صغيرة يعظم في الكيفية
حتى يصير كبيرة بسبب اربعة اشيا بالاصرار وهو الاستمرار على الذنب
والاستقرار لانه اي الاصرار سبب تراكم الظلام اي ظلمات الاثام
في قلوب الانام وورد لا صغيرة مع الاصرار وتمامه ولا كبيرة مع
الاستغفار وقد تقدم فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها

لو تصور وجودها لكان العفو عنها ارجي من صغيرة يواظب العبد
عليها الان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق
ولواحق من جملة الصغاير فقل ما يزني الزاني بغتة من غير مراوده
ومطالبة ومطالعة وقلما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة
سابقة ومعاذات سالفة فكل كبيرة يتبعها صغاير سابقة ولاحقة
والمباهاة اي وبالمباهاة والمفاخرة والاستخفار بعدم المبالاة فيهما
لفان ونشرهما مرتبا سبب التالف اي تاليف الذنب والالفة
شديدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات
والمحذور تسويده بالسيئات فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند
العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها في تسويد القلب
وورد المنافق يري ذنبه كذباب مر علي انفه فاطاره اي عن نفسه
وتمامه والمؤمن يري ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه رواه
البخاري من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا
ولا يخفي ان هذا الحديث يصلح ان يكون شاهدا لعدم المبالاة لا
بوجود المباهاة فكان حقه ان يوخر عن قوله ونسيان حلمه وهو
بالجر عطف علي التالف اي وسبب نسيان حلمه وكرمه تعالى
وستره وعدم كشف حاله فهو اي ما ذكر من النسيان سبب الامن
من المكر الالهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبغتة للنقمة
وورد في التنزيل انما نملي لهم اي نمهلهم ايامًا ليزدادوا
اثما اي اثاما وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد
ليت كل شيء عملته مثل هذا فانما يعظم الذنب في القلب لعلمه

بعظمة

بعظمة الرب فاذا نظر الي جلال من عصى راي الصغيرة كبيرة وقد
اوحي الله تعالي الي بعض الانبياء لا تنظر الي قلة الهدية وانظر
الي عظم مهديها ولا تنظر الي صغر الخطيئة وانظر الي كبريا من
واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين الابرار لا صغيرة
بل كل مخالفة فهي كبيرة وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم
من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن
العارف لان المخالفة تكثر بقدر معرفة المخالف كما يشير اليه قوله
سبحانه يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وكان ذلك علي الله يسيرا ومن يقنت منكن لله
ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما
فوزرهن مضاعف كاجرهن ومن هنا قال تعالى خطابا لعلما اهل
الكتاب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين
من رحمته وقال الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون
واذا يتلى عليهم الي ان قال اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا
الاية والاظهار اي وباظهار المعاصي للفجار فهو اي الاظهار يودي
الي ذنوب اخر كهتك الستر بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الستار
وترغيب الغير الي مثل فعله فيكون عليه ذنب التسبب في عمله
ففي حديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله من سن سنة سيئة
فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث وورد كل الناس معافون
بضم الميم وفتح الفا اي يقربون الي العفو الا المجاهر بالذنب فانه
بعيد عن العفو وتمامه يبيت احدهم علي ذنب قد ستره الله عليه

فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه والحديث في الصحيحين
من حديث ابي هريرة بلفظ كل امتي وقال بعضهم لا تذنب فان كان
ولابد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبين ولذا قال تعالى المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف
وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده
على معصية ثم يهونها عليه فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح
وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يكتب بعد
انقضا العمل والعامل فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدي به
وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب وياخذ المال الحرام ويدخل
على الظلمة من بين الانام طمعا في المناصب العظام كثر له الاثام
فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يتجاوز غيره فعن ابن
عباس ويل للعالم من الاتباع تزل بزلته فيرجع عنها ويحتملها
الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم
مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق اهلها وفي الاسرائيليات
ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في
الاصلاح دهرا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له اذنبك لو كان فيما
بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت من عبادي فا
دخلتهم النار وحقها اي حق التوبة على صاحب المعصية ان يندم
اي يظهر الندامة في القلب فورد في الحديث كما تقدم الندم وهو
توجع القلب بمخالفة الرب توبة اي معظم اركانها هي الندامة
على فعل المعصية من حيث انها معصية وتكون خالصة لله من

الريا والسمعة ويتبعها قلع المعصية في الحال والعزم على تركها في
الاستقبال وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه
وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة
ولم ير اثر قبول توبته في منام السعادة فقال وعزتي لو شفع فيه
اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب تاب
منه في قلبه فلابد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها
فليلتذ بترك اللذة ويشير اليه قوله عليه السلام ذاق طعم الايمان
من رضي بالله ربا الحديث وينبغي ان يجد مثل هذه المرارة في جميع
الذنوب وان لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة
الطاعة بالطبع الموافق للشرع فتكون المعصية وحلاوة الطاعة
بالطبع الموافق عنده كالسم والطاعة كالعسل هذا وفي حديث
الندم توبة ايما الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى وتوبوا
والا فيكون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق
على خلاف في جوازه وعدمه وقيل هو اي الندم غير مقدور للبشر
وفي الاحيا فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار
فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات
المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت
الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك
محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة للقادر والكل
من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي
البصائر وما سوى هذا ضلال ويتدارك اي وحق التوبة ان يتدارك

وتلافي ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية وهو اي التدارك
في حقه تعالى القضا بدل الادا والكفارة بدل المعصية والقصد دوام
الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت محتاطا
اي حال كونه محتاطا في امره من اوله الى اخره يرد فكره الى اول يوم بلغ
فيه بالسن او الاحتلام فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا
شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر
عليه فيها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة
او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة او ترك فيها
شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من اخرها فان
شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي
يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان يأخذ فيه بغالب الظن و
يصل اليه على حسب التحري والاجتهاد وكذا امر الصوم والزكاة
والحج وساير فرايض الاسلام وشرايع الاحكام فهذا طريق تفتيشه
عن الطاعات وما بحثه عن السيئات فيتفكر من اول بلوغه الى اخر
امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير
جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته وينشر عند نفسه
ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها
ثم ينظر منها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم
العباد كنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف
من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع الدف فالتوبة
عنها بالندم والتحسر عليها ثم اعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة

واثر

واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والالفة لها والحنين اليها
فلا جرم ان كل اذى يصيب المسلم ثم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون
ذلك كفارة لداء القلب يتجافى بالغموم عن دار الهموم فورد من الذنوب
ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة
رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة
ولاحمد من حديث عايشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال
تكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكون كفارة لذنوبه ويقال الهم يدخل
على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وروي ان جبريل
عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له يوسف
كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن حزن مائة ثكلى قال فما له
عند الله قال اجر مائة شهيد وللطبراني والحاكم عن ابي الدرداء
مرفوعا ان الله يحب كل قلب حزين وفي حق العبد اي والتدارك في
حق العباد ثلاثة اشيا رد المال محتاطا اي في قدره الى المالك ان كان
حيا او الوارث ان كان ميتا مبالغا اي غاية الاجتهاد في التبليغ اي
ايصال حق العباد بالطرق اي السير والتردد في البلاد رجا ان يلقى
المالك هنالك فيرد اليه حقه ويستحل منه ان امكن له السفر والا
فالتصدق على الفقرا والمساكين او الصرف الى مصالح المسلمين من بنا
مسجد وعمارة جسر ومدرسة او التسليم الى القاضي الامين ليصرفه
في امور الدين والدية عطف على رد المال اي وفي حق العباد ادا الدية
الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع خطا والقصاص اذا وقع عمدا
في النفس وكذا في الاطراف فيجب عليه ان يعترف عند ولي الدم ويحكم

في روحه فان شاء عفى عنه وان شاء قتله ولا تسقط عقوبته الا بعفوه ولا
يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او سرق او شرب او قطع طريقا
او باشر ما يجب فيه الحد لله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح
نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه
ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة فان
فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع في موقعه وتكون
توبته صحيحة مقبولة عند الله والاستعفاء اي طلب العفو والا
ستحلال عند العجز عن رد المال والدية والقصاص نفسا كان حق
العبد او مالا وعند العجز اي عدم القدرة على الاستعفاء فتكثير الحسنات
متعين بحسب المظالم اي مراتبها في مقام السيئات وذلك بان يحسب
مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويحاسب نفسه على الجنايات
والذلات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم
القيامة وليناقش نفسه قبل ان يناقش وهذه التوبة تشق على
الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على
طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل منهم ان يفعل
منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات
حتى يفيض منه يوم القيمة فتؤخذ حسناته فتوضع في موازين
ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم
تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك
بسيئات غيره وفي اي والتدارك في نحو الغيبة وكذا النميمة والسب
اي الشتم واللعن والايذاء باللسان او بالاركان ومنه الزنا بحليلة المسلم

او

او جاريته او بقرابته فالاستعفاء متعين لعدم وجوب المال وجواز
القصاص في امثالها والذكر المفصل بفتح الصاد وكسرها بان يذكر
الغيبة ونحوها مبينة معينة الا ان يزداد التاذي لصاحب الحق
بالاظهار فالمبهم اي فالاستغفار المبهم متعين تحاميا عن ذنب
اخر فان مثل هذه الاعتذار اشد من الذنب عند اهل الاعتبار ولا نه
يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول والجبر اي جبر نقصان الاستعفاء
المبهم بالحسنات ولو كان حيا موجودا حاضرا كما لو كان صاحب الحق
ميتا او غائبا لم يمكن الاجتماع به والمبالغة اي حينئذ في الاستعفاء
بالتلطف في طريق المحو والتودد اي اظهار المحبة بالقيام والاكرام
والاحسان بالهدية والضيافة والانعام لا بالاكراه والابرام فانه
غير مفيد عند الله فان عفى اي صاحب الحق وفي نسخة فان عفى اي
عن المذنب بالاستغفار فيهما والا يحاسب في القيامة بحسناته
في مقابلة اي مقابلة سيئاته كما قدمنا في الكل ما نورد عن السلف
مذكور والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة
مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه
بالاحلال عن فعله فان ابى الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه
من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر
سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه
حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم
القيامة بحكم الله عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله وامتنع
من هو له عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض والابراء

عنه شأ امر لا ابي فكذلك يحكم الله في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين ويتبع وهو مرفوع وقيل منصوب اي وحق التوبة ان يتبع الحسنة بحسب السيئة اي بقدرها كمية وكيفية فسماع الملاهي من انواع الاوتار المناهي يتبع بسماع القران ومجالس الذكر الالهي والقعود في المعصية كقعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة وكذا مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال لذيذ اي حلو بارد والقتل بالاعتاق اي وقتل النفس عمدا او خطأ باعتاق رقبة لان ذلك نوع احيا اذ العبد مفقود لنفسه موجود بسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد والغيبة ونحوها من الايذا بالثنا على صاحب الحق او على اهل الدين والخير في الحضور او الغيبة والغصب بالصدقة ونحوها عطف على سماع الملاهي اي وكذا نحو المذكورات فعد جميع المعاصي غير ممكن في العبادات والعاقل يكفيه بعض الاشارات والمقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها و المتضادات في المتناسبات فكذا ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجا فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو هذا او سلوك طريق المضادة في

التكفير

التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة فورد في التنزيل ان الحسنات اي جميع الطاعات يذهبن السيئات اي يمحوها اتبع السيئة اي وورد اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي من حديث ابي ذر وصححه والبيهقي في الشعب من حديث معاذ اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ويستغفر اي وحق التوبة ان يستغفر فورد ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة رواه ابو داود والترمذي عن ابي بكر والستر احب اي من الاظهار في حق الله ولو اقر لاقامة الحد اي في حقوق الله الخالصة فلا قدح اي لا ذم ولا منع كما تقدم فورد في ماعز رضي الله عنه حيث اعترف بالزنا ورجم لقد تاب توبة لو قسمت بين الامة وفي رواية بين الخلائق لوسعتهم اي لكفتهم وهو عبارة عن كثرة ثوابها والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب وكذا حديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله عليه السلام لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ويؤكد العزم اي وحق التوبة اي يشدد العزم ويقوي الجزم على ان لا يعود لمثل الذنب الذي تاب منه ابدا قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب فاستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ويخلص النية اي وحقها ان يصحح النية ويخلص الطوية في ترك المعصية الجلية والخفية فمن ترك المعصية لذهاب مال كما في القمار ونحوه او جاه من سقوط اعتباره عند الخلق او عدم اسباب

معينة له علي المعصية لا يكون تائبا وقيل من العصمة الا تعذر ثم
اي بعد ذلك حق التوبة علي التائب ان يغسل الثياب التي عصي
الله فيها ويغتسل فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن وفي
رواية ويتوضا واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل ويصلي اربع
ركعات تنبيها علي جهات اربع تشهد له يوم القيامة كما قال تعالي
يومئذ تحدث الناس اخبارها بان ربك اوحي لها في موضع خال
علي اشتغال وعن توهم الريا والسمعة في بال ويضع
الوجه اي وان يضع جبينه علي الارض تواضعا لله والتراب لزيادة
الخشوع عند رب الارباب وللتذكر اي اصله ومرجعه في هذا
الباب كما يشير اليه قوله تعالي منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة اخري بدمع جار اي مع بكا في الندامة فان دمع الندامة
والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ولذا ورد قرة عين وقري
عينا وقلب حزين علي ما سبق له من المعصية وصوت علي اي رفيع
في البكا والا فالدعا والاذكار اولي ان تكون بالاخفا ويذكر الذنوب
اي وان يتذكر ذنوبه واحدا واحدا جنسا وفردا ويلوم النفس
اي وان يبيعها ويذمها ويوبخها اي يثربها ويقرعها ويرفع يديه الي
كتفيه او اذنيه حتي يري بياض ابطيه مبالغة في التضرع الي اسو الالتجا
اليه ويحمد الله علي آلايه ونعمايه الظاهرة والباطنة عليه ويقول الحمد
لله علي كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار ويصلي علي النبي صلي الله عليه
وسلم لانه شفيع المذنبين ويدعو لنفسه لقبول التوبة وحصول
المغفرة والرحمة ولوالديه فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ⁘

وللمسلمين

وللمسلمين فيقول رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب
ويكثر الاستغفار لا سيما ما ورد عن سيد الابرار نحو قوله رب ظلمت نفسي
وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذا يكثر من سيد الاستغفار وجاء في
الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة اي بالتوبة علي وجه العزم والجزم
وخوف العقاب عند مناقشة الحساب ورجا العفو من رب الارباب
واداء ركعتين في المسجد فانه افضل الاماكن واشرفها ويشهد له بما
عرفه والاستغفار سبعين مرة لما ورد في بعض طرق الاحاديث ولو زاد
حتي صار ماية مرة فهو افضل واكمل والتسبيح والتحميد ماية مرة اي كل
واحد منهما او يقول سبحان الله العظيم وبحمده ماية مرة وينبغي ان يكون
التكبير والتهليل كذلك لتجتمع الباقيات الصالحات بل ويضم اليهما
لا حول ولا قوة الا بالله كذلك والتصدق سرا وعلانية وكذا نهارا
وليلا ليدخل في قوله تعالي الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا
وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وكل الاطار ليكون تصدقه مكفرا لجميع
انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية
وصوم يوم فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات فالعفو عن
الذنب حينئذ ارجي اي اكثر رجا وفي الاحيا ان في الاثار ما يدل علي
ان الذنب بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال
القلب وهي التوبة او العزم علي التوبة وحب الاقلاع عن الذنوب
وخوف العقاب عليها ورجا المغفرة لها واربعة من اعمال الجوارح
وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدها سبعين
مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده ماية مرة ثم يتصدق بصدقة

ثم يصوم يوما وفي بعض الاخبار يصلي يصلي ركعات قال مخرجه اثر
ان من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي
ركعتين رواه اصحاب السنن من حديث ابي بكر الصديق ما من عبد
يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر
الله له هذا لفظ ابي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا
وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير
والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل يهوى
امراة الحديث وفيه فلما راها جلس منها مجلس الرجل من
امراته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
فقال له عليه السلام صل اربع ركعات فانزل الله عز وجل اقم الصلاة
طرفي النهار الاية واسناده جيد وفي هذا الحديث دلالة على ان
توبة العنين صحيحة وفي الصحيحين ان رجلا قال يا رسول الله
اني عالجت امراة فاصبت منها كل شي الا المسيس فامض علي حكم الله
فقال عليه السلام او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلي فقال
عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون
الزنا من معالجة النسا صغيرة او جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله
عليه السلام الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر كذا في الاحيا
وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون
قوله او ما صليت معنا صلاة الغداة حديث انس وفيه هل حضرت ورواه مسلم من حم
معنا الصلاة قال نعم ومن حديث ابي امامة وفيه ثم شهدت الصلاة

معنا قال نعم الحديث والطريق الموصل الى التوبة عشرة اشيا ذكر ما ورد
فيها اي من الكتاب والسنة في فضل التوبة كقوله تعالى ان الله يحب
التوابين وكقوله عليه السلام ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات
الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات رواه الحاكم في مستدركه
عن ابي هريرة وهو مقتبس من قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقبح الذنب فعن
ابن مسعود وينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا اية فنسوا حظا
مما ذكروا به ولانه مخالفة الرب وتدرج الى الكفر كقصة ابليس اوله
ذنب واخره كفر وكذا قضية قابيل وبلعام بن باعورا اوله شهوة
واخره شقوة وشدة العقوبة اي وذكر شدتها الناشية عن غضب
الله والمهم سخطه الذي لا طاقة لاحد به وضعف النفس عن الاحتمال
اي تحمل الاهوال يوم القيامة فقد قال تعالى فما اصبرهم على النار
فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي كيف يحتمل غدا حر نار جهنم
وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ
بالله من سخط الواحد القهار وشرف الاخرة اي وذكر شرفها
فانها خير وابقى لمن اتقى وخساسة الدنيا من سرعة فنائها
وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقرب الموت كما قيل

كل امرئ مصبح في اهله … والموت ادنى من شراك نعله

ولذة المعرفة فانها لا تجامع المعصية فقد اجمع السلف على ان
كل من عصى الله فهو جاهل والمناجاة لانها تختص باهل العبادة

والنادات وخوف الاملا بالرفع عطف على ذكر اي وخوف الامهال
بعدم الاخذ الحالي بتشديد الياء نسبة الى الحال ضد الماضي والاستقبال
فقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والاستدراج اي وخوف
الاستدراج بالاحسان اي باحسان الرب بعد الارتكاب اي ارتكاب
الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية وقلع اسبابه
عطف على ذكر ما ورد اي وقطع اسباب الذنب وهي اي اسبابه
ثلاثة الغرور قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور فلا
تغرنكم الحياة الدنيا وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة
كمن يذنب ويسكن نفسه الى الله تعالى غفور فهذا تمن وغرور
خلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقا والحضور والجنة والحور
والقصور وحب الدنيا فانه راس كل خطيئة كما ورد وطول الامل
فانه مانع من الامل ومسوف الى اخر الاجل فقلع اسبابه بما في
موضعها من علاج هذه الاشياء بتمامها والتحقيق في وجوب
التوبة عن كل معصية بلا مهلة اذ في قلع الاسباب عملك ان
اذ ترادف المعاصي اي تواردها وتتابعها باصرارها من غير تخلل
توبة في اثنائها سبب تراكم ظلام القلب اي تكاثف ظلماته وبه
يحصل الرين في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
والطبع اي الختم في قوله سبحانه ولو نشا لاصبناهم بذنوبهم
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال مجاهد القلب مثل
الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبعة حتى تنقبض
الاصابع كلها فتنشد على القلب فذلك هو القفل يعني فيما قال

تعالى

تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال بعض
السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من
ذنب الا وقد وقع في مثله او اشر منه وقال ابو سليمان الداراني لا
يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم
فبما تركتم من اعمالكم رواه البيهقي في الزهد من حديث ابي الدردا
وهو اي ترادفهما داء عضال اي صعب في غاية اشكال يعجز عنه
اطبا القلوب الا ان يتداركه علام الغيوب واختلف في صحتها
اي التوبة عن بعض الذنوب فقيل لا حيا ومن مهمات التايب اذا لم
يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه
الاستقامة ثم ان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة
الا ان يتوب عن بعض الذنوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب
عن الشرب والزنا واللواطة والغصب مثلا دون غيره وليست
هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح
وقال قائلون تصح ولكن لفظ الصحة في هذا المقام مجمل والحق اي
الذي لا محيص عنه ان في التوبة عن بعض المعاصي افادة نقصان
العقوبة لا تمها اي العقوبة بحسب الذنب كثرة وقلة دون النجاة
اي دون افادة النجاة من النار لانها اي النجاة انما تحصل بترك
الكل اي جميع المعاصي وتوضيحه اذ يقال لمن قال لا تصح ان عنيت
به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا لا يوصل الى النجاة او
الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر
فلسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر فان قلت

انما الترك اي انما مراد القايل الاول بعدم الصحة عن البعض الا ترك بعض
الذنب وهو شرب الخمر مثلا لكونه اي ذلك البعض الذي تاب منه وهو
الشرب ذنبا لا بعينه اي لا لكون شرب الخمر بذاته وهو اي كونه ذنبا
او علة تركه مشترك فيه اي يشترك في هذا المعنى جميع الذنوب
شامل بين جميع المعاصي لان من ترك الخمر لكونها معصية وتوقعه
في عقوبة وجب عليه اذ يترك ساير المعاصي لكونها معصية و
موقعة في العقوبة فكيف تتصور التوبة عن البعض دون البعض
فاذا ثبت انها لا تصح عن البعض بهذا المعنى توجب ان يتوب عن
الجميع دون البعض قلت التوبة عن بعض الذنوب لا تخلوا اما ان
تكون من الكبائر دون الصغاير وبالعكس او عن كبيرة دون
كبيرة اما الاول فانه ممكن ويقال يجوز الترك لبعض الذنوب
لكونه اي ذلك البعض افحش اي اغلظ واعظم واجلب لسخط الله
وغضبه والعقاب عليه اصعب اي اشد واقوى وايضا الصغيرة
اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستبعد ترك الكبيرة لهذه العلة
ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب
دابته لظن ان السيد ربما يسامح في ذلك وكالمريض يحذره
الطبيب عن اكل الحلو تحذيرا شديدا فيتوب المريض عن العسل
دون السكر واما الثالث وهو ان يتوب عن بعض الكبائر دون
بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد عند الله من
بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه مفتاح الشر ولانه اذا زال
عقله ارتكب سائر المعاصي فيجتنبها دون الزنا والتدارك او

يكون

يكون تدارك ذلك البعض اشق اي اتعب كالذي يترك القتل والنهب
ومظالم العباد لعلمه ان التدارك فيه اصعب ولان ديوان العباد
لا يترك يوم القيمة لمعاد ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة
فانه يتسارع العفو اليه واما الثاني وهو ان يتوب عن الصغاير
وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن كالذي يترك
الغيبة او النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على كبيرة
يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن كالذي يترك الغيبة او النظر الى غير
المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس
اليهما اكثر او ميل النفس اليه اي الى ما ترك من الصغاير اقل فيكون
تركه اهون واسهل ووجه امكان ذلك انه ما من مومن الا وهو
خايف على المعاصي نادم على فعله ندما ضعيفا او قويا ولكن ميل
نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في تلك المعصية اقوى
من الم قلبه في الخوف منها الاسباب يوجب الخوف من الجهل والغفلة
واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الخوف منها الاسباب يوجب
الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون
الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب فان سلم من شهوة هي
اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه فهو ذلك الخوف
الضعيف ملك الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها وان سلم من شهوة
هي اقوى منه كشرب الخمر لم يقدر على الدفع فمثله كمثل رجل له عدوان
احدهما ضعيف والاخر قوي فاذا واجه الضعيف غلب عليه
واذا واجه القوي صرعه القوي ولان التوبة على حسب المعصية

وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب اخر وهذا لان توبة ذنب كحسان في العبودية وتوبة ذنب آخر احسان اخر وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان اخر هذا هو التحقيق وخذ هذا على طريق التوفيق ولم يشترط الكل اي لم يشترط التوبة عن جميع المعاصي فيما ورد من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى ان الله يحب التوابين حيث لم يقل عن جميع الذنوب وكقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله الندم توبة ولم يقل عن جميع المعاصي وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا وفي صحتها اي وكذا اختلف في صحة التوبة عن العاجز الذي لم يقدر على المعصية كالعنين بوزن سكين وهو من لم يقدر على الجماع عن ما زنا اي كتوبته عما قارفه قبل العنة اي حدوثها والاقرب اي القول الاقرب الى الصحة او الصواب العدم اي عدم صحته لامتناع الترك في غير المقدور ولان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله واما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه لكن قد يقال لو تندم العنين وتالم القلب بالزنا بحيث لو فرضت الشهوة اي قدرت شهوة الزنا لقهرها اي لغلبها وتركها فالرجا اي المامول من كرمه سبحانه القبول اي قبول توبته على حسب اطلاعه تعالى على الضماير اي ما يخفى على غيره من السراير كما لو تاب العنين عن الزنا قبل طريان العنة اي حدوثها ومات قبل هيجان الشهوة اي شهوة الزنا والجماع

وتيسر

وتيسر اسباب قضايها اي قضا الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين اتفاقا وبعد طريان العنة لو تندم بما تقدم لكان من التائبين ايضا حيث لا فرق بينهما وفي اي واختلف ايضا في ان الافضل من يجاهد شهوته ويمنع معصيته او من انقطعت شهوته وسكنت نفسه عن الميل الى معصيته فقال احمد بن الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده ما اخرجه الامام احمد في الزهد عن مجاهد انه قال كتب الى عمر يا امير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها افضل ام رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ويقويه ان جنس البشر افضل من جنس الملك لما تقدم والله اعلم وقال علما البصرة ذلك الاجر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة الفتور عن المجاهدة والحق ان الثاني اسلم مطلقا سوا كان انقطاع شهوته من المجاهدة او ضعف البنية وافضل اي الثاني مقيد بقيد وهو انه ان كان انقطا اي الشهوة لقوة اليقين في مقام المشاهدة وسبق المجاهدة مع النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية فالمظفر اي المنصور على العدو اولى من المجاهد المشغول في صف القتال ولا يدري كيف يسلم في الاستقبال وان كان انقطاعها لضعفها اي لفتور الشهوة في نفسها اي في اصل خلقتها فالاول وهو الذي يجاهد شهوته افضل لان الترك بالمجاهدة من قوة اليقين واستيلاء الدين ولقد زل في

مطلب

عها

فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص
من عوايق الطريق وعلايقها المشاغلة عن المولى وظن اخرون
ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود بالذات حتى جرب بعضهم
ذلك فعجز عنه فقال هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة
واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهالة وضلالات وفي اي
وكذا الخلاف في نفع الاستغفار باللسان مع الاصرار على الذنوب الكبار
او الصغار والحق النفع لثلاثة اوجه لما سبق من الاخبار في فضل
الاستغفار من غير قيد بعدم الاصرار ولكونه اي ولكون الاستغفار
باللسان حسنة تصلح للتكفير اي لتكفير العصيان وعدم ضياع
الاجر اي ولعدم ضياع اجر عامل عبده سبحانه فورد في التنزيل ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ولا يضيع اجر من احسن عملا وان تك
حسنة يضاعفها تمامه ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وما ورد مبتدا اي وما جا في حديث ان المستغفر
بلسانه المصر على ذنبه اي جنانه المستهزئ بربه وفي الاحيا بلفظ
المستغفر من الذنب وهو مصر كالمستهزئ بايات الله قال مخرجه هو
حديث ابن عباس عند ابي الدنيا ومن طريق البيهقي في الشعب
ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه
محمول عليه خبر المبتدا اي حمله العلما على الاستغفار بحكم العادة من
الغفلة عن الارادة دون الابتهال اي التضرع في الحال والصدق
في السؤال اي سؤال المغفرة في الاستقبال لهذا حسنة تصلح ان تدفع
بها السيئة وكذا ما نقل عن بعضهم انه كان يقول استغفر الله من

قولي

قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وهو محمول
على الاستغفار بمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه شركة العمل
وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ولا تظن
انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو
يحتاج الى استغفار من غفلته لا من حركة لسانه فانه من سكت
عن الاستغفار باللسان ايضا يحتاج الى استغفارين لا الى استغفار
واحد فهكذا ينبغي ان يفهم حمد ما يحمد وذم ما يذم والا جهلت معنى
قول القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه
امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي
ان لا يستحقر ذرات الطاعات والسيئات ولذا قال الامام جعفر
الصادق ان الله تعالى خبا ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا
تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وسخطه في معاصيه فلا تحقروا
منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبا وليه في عباده فلا تحقروا من عباد
الله احدا فلعله ولي الله وزادوا وخبا اجابته في دعائه واسمائه
فلا تتركوا شيئا منهما فربما كانت الاجابة فيه وقال سهل لا بد للعبد
في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء مما قدره الله
وقضاه فان عصاه قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية
قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل
الطاعة قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي
يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة
فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة

والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره
الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له
ويكون عنده ماواه ثم التنقل الى الافراد ثم الثبات ثم الهيبات ثم القرب
ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو
الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والذكر
قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه
الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل عن معنى قوله
عليه السلام التايب حبيب الله فقال انما يكون حبيب الله اذا
كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى التايبون العابدون
الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه وفي الاحيا
فاياك ان تحقر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا
تتقيها كالمراة الخرقا تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة
الا على خيط واحد فتقول واي غنى يحصل في خيط واحد وما وقع
ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت
خيطا خيطا وان اجسام العالم من اتساع اقطاره اجتمعت
ذرة ذرة فان التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند
الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان
بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول
كلام بل هو خير القلب ولذا قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي
ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال
اشكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر

ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول انتهى فاياك ان تلح في الطاعات
بمجرد الافات فتفتر رغبتك في العبادات فهذه مكيدة روجها
الشيطان بلعبه على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصاير
واهل التفطن في الخبايا والسراير فاي خير في ذكر اللسان مع
غفلة الجنان والله المستعان وفي اي وكذا اختلف في نسيان الذنب
وذكره بعد التوبة ايهما اولى وانما قيدنا بعد التوبة فان النسيان
قبلها مذموم اجماعا قال تعالى ونسي ما قدمت يداه فقال قوم
حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وهو اي نسيان الذنب الاولى
للمبتدي تحاميا عن تحريك الميل اي احترازا عن تحريك ميل قلبه
الى المعصية الناشية عن الشهوة عن الشهوة عند ذكرها ولانه اذا
نسيه لم يكن احتراقه ولا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق
لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو
بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان
لانه شغل مانع عن سلوك الطريق وما روي مبتدا اي وما نقل من
كثرة نوح المتنبيين من الانبيا والمرسلين والاوليا والصالحين و
بكايهم حال كثرة دعايهم والخبر فلا يقاس في سلوك طريق الدين
الملايكة بالحدادين فان صدور البكا واظهار الذنوب بالاستغفار
والدعا انما كان لتعليم امتهم حتى لا يغفلوا عن حال الجفا وفق الوفا
هذا ولذا اخرج ابن المبارك وابن ابي حاتم عن المقبري ان عيسى
بن مريم كان يقول يا ابن ادم اذا عملت حسنة فاله عنها فانها عند
من لا يضيعها واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينك وافضل

التائبين المستقيم على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات الى الموت اي انقضاء الحياة من غير نقصان القوت مبالغا في اجتناب عين الزلات التي لا ينفك البشر عنها في الحالات بحسب العادات من المعاصي المتمنيات وانما المبالغة مطلوبة في جانب المحظورات لما ورد اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فهو اي المستقيم سابق بالخيرات ومسارع الى المبرات مستبدل لسيئاته بالحسنات وفي الكلام ايماء الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير والنفس اي نفس هذا التائب الموصوف بهذه الصفات مطمئنة راضية مرضية في رياض التوبة واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم في القوة فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة فقمع نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وروعها ومنهم تقل مدة النزاع ومنهم من يكثر ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في امره وتكثر حسناته وتستمر استقامته ومنهم من ينقص عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره في الطاعات وقصوره وهذا معنى قوله ويزداد الفضل اي فضل التائب بطول العمر اي ان طال عمره في مكابدة الطاعة والمجاهدة مع النفس مح في العبادة فورد افضل السعادات طول العمر في طاعة الله اي في العبادات والحديث لم اعرفه وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله رواه الطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن بسر والسلامة

عطف

عطف على الفضل اي وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملامة بقرب الموت وقصر العمر وتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض الاكابر طول العمر لكثرة العبادة وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة والتسليم اسلم ففي الدعاء المأثور اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ثم المعاود عطف على المستقيم اي ثم الافضل المعاود في بعض الذنب المجدد للتوبة رجوعا الى الرب مبالغا في تجديد التوبة وهو اي كثيرا ابتلاء بالمعصية والتوبة والمفتن التواب اي كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خياركم كل مفتن تواب والنفس اي نفس هذا التائب المعاود في بعض الذنوب لوامة تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التي فيها سلامة وهو المقتصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون في طينة البشر وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه وترجح كفة ميزان الحسنات واما ان يخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد من حيث العادات فهؤلاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغائر ان ربك واسع المغفرة وفي الخبر ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا ألما وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم

لتندمهم وتحسرهم ثم التايب عطف علي المعاود والمستقيم اي الافضل
بعدهما التايب عن البعض اي بعض الذنوب المسوف اي نفس هذا الغافل
مسولة اي مزينة للمعصية ومسهلة لتاخير التوبة وقد قال
تعالي اوليك الذين هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
فالخسارة مترتبة علي الغفلة وهو علي الخطر في الخاتمة فان مات تايبا
فاز بالجنة وظفر بالمثوبة والا اي وان لم يتب ومات ففي مشية الله
تعالي ان شا عفي عنه بلطفه وكرمه وان شا عذبه بقدر ذنبه بخلاف
الاولين اي صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة فهما
فايزان بالجنة والسلامة في العاقبة اما المرتكب للمعصية المصر عليها
من غير التوبة الناسي للتوبة اي التارك لها نفسها وعزمها اي
والعزم عليها فهو الذي اسمه الغافل عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله
فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي ان لله ملكا ينادي في كل يوم
وليلة ابنا الاربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلايق
لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا
الحديث والنفس اي نفسه امارة اي كثيرة الامر بالسوء اي بالمعصية
يخشي عليه سوء الخاتمة من الموت علي الفسق او الكفر هنالك نعوذ بالله
من ذلك ويجوز شمول العفو من الله اياه اي الغافل ولكنه نادر لا يقع
في الاغلب بلا سبب كنيل الكنز اي كوصوله للكنز بلا طلب وكمن يحصل
له العلم اللدني بمجرد الجذب الالهي لكن التوقع للعفو مع الاصرار علي
المعصية وعدم اتيان الطاعة حماقة اي غرور وجهالة فورد في
التنزيل وان ليس للانسان الا ما سعي وفق ما قدره الله له وقضا

فلابد

فلابد من فعل الطاعة وترك المعصية او الرجوع عنهما بالتوبة والا فعاقبته
محظورة فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشية فان تداركه
الله بالرحمة وامتن عليه بالتوبة الحق بالتايبين وان غلبته شقوته
وقهرته شهوته فيخشي عليه ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه
من القول الاول في قضا الازل لانه مهما تعذر علي المتفقه مثلا الاحتراز
عن شواغل التعلم دل تعذره علي انه سبق له في الازل ان يكون من
الجاهلين فيضعف الرجا في حقه من ذلك الحين واذا تيسرت له اسباب
المواظبة علي التحصيل دل علي انه سبق له في الازل ان يكون من جملة
العالمين فكذا ارتباط سعادات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات
بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية
والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق به المناصب
العلية في الدنيا بترك الكسل في طلب المراتب العليا والمواظبة علي
طلب العلم فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم في مقام
السياسة والتقدم بالعلم في مقام الانفس صارت فقيهة بطول
التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتقدير رب الارباب ومسبب
الاسباب قال تعالي ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد
افلح من زكاها وقد خاب من دساها فالمخافة من الخاتمة قبل
التوبة وكل نفس خاتمتها قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به
قبل انتهاء الانفاس والا وقع في المحذور ودامت الحسرة الي ان يخرج
من دار الغرور فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم
محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون

والمخلصون كلهم على خطر عظيم ولا يتركها اي التوبة لخوف العود اي لمخافة
الرجعة الى المعصية لجواز الموت قبله اي قبل عوده الى ذنبه وغفران
السالفة اي السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب الى ربه وهذا الترك
من خدوع الشيطان فانه من اين له هذا العلم فعسى ان يموت تائبا عن
الذنب ويصير حبيبا للرب مع ان الخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه
بل فيه منفعة فعلى العبد العزم والقصد في الجزم وعلى الله الاتمام
من باب الفضل والاكرام فان اتم فهو المطلوب الاعلى وان لم يتم فقد
غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى
فالعبد من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين فورد عن علي مرفوعا خياركم
المفتنون بصيغة المجهول وفي رواية المفتن بالادغام التواب رواه البيهقي
في شعبه اي كثير الابتلا بالذنب وكثير التوبة منها اي طاعة الرب
وفي خبر اخر المومن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا رواه ابو يعلى
وابن حبان من حديث انس وللبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس
باسانيد حسنة لا بد للمومن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة
اي الحين بعد الحين فالفقيه في الدين هو الذي لا يونس الخلق من
درجات السعادات بما يتفق لهم من العثرات ومفارقة السيئات
المحبطات فللترمذي والحاكم وصححه من حديث انس كل بني ادم خطاؤن
وخير الخطائين التوابون وللطبراني والبيهقي من حديث جابر المومن
واه راقع فسعيدهم من مات على رقعة اي واه بالمعصية والملامة
راقع بالتوبة والندامة وسبب الاستقامة الرياضة وهي تهذيب
الاخلاق والمرابطة وهي الاقامة بالمجاهدة والاستدامة فورد

في التنزيل

في التنزيل يا ايها الذين امنوا اصبروا على الطاعات وعن السيئات
وفي المصيبات وصابروا اي وغالبوا الاعدا الظاهرة والباطنة
بشدة الصبر وحدة الامر ورابطوا انفسكم بالمشارطة اي مع النفس
بالمداومة على الطاعة والمواظبة على العبادة في كل يوم وساعة
خوفا عليها من ضياع البضاعة والتحقيق ان المرابطة ربط ربط
النفس على الاشغال والعنا والقلب على اغتنام العبادات والتاهب
ليوم الجزا وهو معنى قوله وهو اي ربطها بالمشارطة ثلاثة
اشيا منها وصية النفس اي وصيته بها في اول النهار ربك في كل نفس
من الاعمار رخوان لا بضاعة لك اي ليس لك راس مال سوى العمر
وهو ايام غير معدودة والانفاس اي والحال ان انفاسه معدودة لا تزيد
ولا تنقص والماضي لا يعود في الوجود والوقت ضيق في ميدان الشهود
والتمني بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا او تمني المراتب
العلية بدون المكاسب العلمية والعملية غير نافع بعد الورود ومنها
توظيف العمل بان يعمل في كل وقت عملا ينفعه في العقبى او لعينه على
الطاعة في الدنيا ومنها شرط الشروط عليه اي على نفسه لحذف لغط
النفس الى الجار وعلى ضميره فضار علمه ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا
الى العمل والمعنى يقول لها ان كذبت فعليك صوم ثلاثة ايام وان
اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما ثم المرابطة بالمراقبة
وهي مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بفعاله في الحركات
والسكنات فلا يتحرك ولا يسكن الا بما يرضاه الحق في تلك الساعات
من العبادات والطاعات فالاعلى اي اعلى انواع المراقبة ان يصير

العبد مغلوبا بالاستغراق به من ذكره وفكره تعالى وعدم الالتفات
الى ما سواه اي سوى الله وما عداه وهذا مراقبة المقربين من الصديقين
وهو مراقبة التعظيم والاجلال بان يصير القلب في جميع الاحوال
مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال
على وجه الكمال ومنكسرا تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة فلا يبقى
فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج الى المجاهدة وهذا الذي صار
همه واحدا وكفاه الله سائر همومه ابدا ومن نال هذه الدرجة مع الحق
تعالى غفل عن مراقبة الخلق فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه
ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم في اذنيه ثم الاعلى من انواع المراقبة
ان يكون تحت حكم الشرع خارجا عن حكم الهوى والطبع وهذه مراقبة
الورعين من اصحاب اليمين فينظر ويتامل ويتفكر قبل العمل في اول
خاطر يخطر فيهما هو لله تعالى فيه رضاه ويترك ما سواه وينظر ايضا
عنده اي عند الشروع في العمل طاعة او غيرها ففي الطاعة يخلص النية
ويصفي الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير الريا والسمعة ويحضر
القلب لمشاهدة الرب كما ورد الاحسان ان تعبد الله كانك تراه و
يراعي الادب في حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط في بساط
الانبساط وفي المعصية يستحيي من الرب ويتوب من الذنب ويكفر
بما يناسبه ان صدرت عنه وفي المباح يراعي النيات فان المباحات
بتحسين النيات تصير عبادات والآداب بان لا يتجاوز عن الضرورات
ثم مرابطة النفس بالمحاسبة في آخر النهار او في آخر كل نفس وساعة
وهو النظر بعد العمل من الحسنات والسيئات فقد ورد حاسبوا انفسكم

قبل

قبل ان تحاسبوا وهو اثر عن عمر كما تقدم وقد قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله لعلها قيل
اربع ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها اي وساعة يناجي فيها ربه و
ساعة يفضي فيها الى بعض اخوانه الذين يبصرونه بعيوبه وساعة يخلو
فيها بينه وبين شهواته وقد تقدم ثم مرابطة النفس بالمعاقبة
لها فبالجوع يعاقبها ان اكل حراما والسهر اي ويعاقبها بالسهر ان نظر
حراما ونحوه بان رقد عن التهجد فلو ساهل التائب في هذه المعاقبة
سهل عليه الرجوع اي المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة فقد
عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة
بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر
اذا فاتته صلاة في جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة حتى طلع
كوكبان واعتق رقبتين ثم المرابطة بالمجاهدة وهي مخالفة النفس
باداء الورد من انواع الطاعات والعبادات عند التواني اي التساهل
والتكاسل عن حفظ جماعة كان يحفظها او اداء نافلة كان يفعلها ثم
المرابطة بالمعاتبة بقول يا نفس بالضم او الكسر اي يا نفسي الا تستحيين
منه تعالى في ترك طاعته وفعل معصيته الك طاقة بعذابه الاليم
اي المولم من نار الجحيم ومن ماء الحميم والكل اي جميع ما ذكر من انواع
المرابطات ماثور عن الخلف والسلف التابعين بمجاهدة النفس
والرياضات في مقام الطاعات والاصل المعتبر في تحصيل الصفا منه
والاستعانة به تعالى والاستغاثة بكرمه سبحانه متضرعا بين يديه تعالى
اي حال عبادته وطاعته متبريا عن الحول والقوة من جهته ورؤيته

الحمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالي اياك نعبد واياك نستعين فاياك نعبد تفرقه واياك نستعين جمع وفي الجملة الاولي رد علي الجبرية وفي الثانية علي القدرية قيل اي في باب الاستقامة من جاهد في ترك المعصية سبع مرات لا يبتلي بالذنب ثانية اي مرة ثانية وبه يحصل الاستدامة وقيل من استقام علي التوبة سبع سنين لا يعود الي المعصية في جميع عمره وهو قول فرقد السبخي ثم التوبة في عرف المحققين من الذنب وهي للمؤمنين خاصة حيث قال تعالي يا ايها الذين امنوا توبوا الي الله توبة نصوحا وعامة فورد في التنزيل توبوا الي الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة من الغفلة اي الحضور وهي للمقربين فورد في التنزيل من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ومنه قوله تعالي يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله خر راكعا واناب والاوبة من رؤية التقصير في الطاعة وهي للمرسلين فورد في التنزيل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وكذا في حق ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقد يستعمل في حق المؤمنين المقربين كقوله تعالي ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ثم التقوي اعم منها اي من التوبة وهي اخص من التقوي فكل تائب متق وليس كل متق تائبا فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل اي قبل وقته متق لا تائب والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق اما كونه تائبا فظاهر واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب والله سبحانه اعلم واما

مافي

ما في الاحيا من انه يجب علي كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الي ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدي لدعوة الناس الي نفسه فان العلماء ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس علي جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون علي ابواب دورهم في الابتداء ويطلعون واحدا بعد واحد فيرشدونهم فان مرضي القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر علي وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين علي العلماء كافة فعليه ان هذا غير معروف في الكتاب والسنة فرض عين بل ولا فرض كفاية وانما الواجب علي العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوه لاهله وعلي الجهال ان يسألوهم كما قال تعالي فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال وقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه واما معني قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة هذا والعلماء الذين بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضي بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهي المعضلة الدهياء والعلماء العاملون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسال الله الهداية من الابتداء الي الانتهاء ثم اعلم ان من ابتلي بحب الدنيا فداواه

فداوه عضال ليس له دواء وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال انا
اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك فقال
الزم الزهد في الدنيا وكتب معاوية الى عايشة بالسلام ان اكتبي لي
كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت من عايشة الى معاوية سلام عليك
اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس
رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط
الناس كفاه الله مونة الناس والسلام عليك والحديث رواه
الترمذي والحاكم وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله
فانك ان اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا
عنك من الله شيئا والسلام وهو مقتبس من قوله تعالى ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ومن
قوله سبحانه انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال لقمن لابنه يا بني
زاحم العلما بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك
وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما تكسر شهوتك ولا تصم صوما
تضر صلاتك فان الصلاة افضل من الصوم وقال ايضا يا بني لا
تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك
ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك
ما خلفت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم
ومن يفعل الشر ياثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لبعض
حازم اوصني فقال كلما لو جاك الموت عليه فرايته غنيمة فالزمه

وكلما

وكلما لو جاك الموت عليه فرايته مصيبة فاجتنبه وقال رجل لحامد
اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه
الافات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه
وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه
وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك
الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين
والسلام وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان
الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن
فيها يا امير المومنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدوا لما يخاف
من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطا فاما بعد
فان الدنيا عدوة اوليا الله تعالى وعدوة اعدا الله اما اوليا الله فغمتهم
واما اعداوه فغرتهم ومجمل الكلام في هذا المقام من المرام ان من اعطى
قلبه حسن الاصغا واستشعر الخوف واتقى وانتظر المثوبة الاسنى وصدق
بالحسنى فسنيسره الله تعالى للطريقة اليسرى واما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره الله للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك تردى وما على الانبيا الا شرح طريق
الهدى وانما لله الاخرة والاولى

الباب السابع عشر
في الصبر والرضا والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم
الذي نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على بلايه وابتلايه
والرضا بحكمه وقضايه والشكر على نعمايه والايه وقد اجتمع الثلاثة
في حديث عطا عن ابن عباس لما دخل عليه السلام على الانصار فقال

تنسخ

امومنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم فقال نشكر على الرخا ونصبر على البلا ونرضى بالقضا فقال عليه السلام مومنون ورب الكعبة رواه الطبراني في الاوسط الصبر هو حبس النفس عن الامر ثبات باعث الدين من قصد الامتثال ثم خوف النار ثم طمع الجنة ثم رجا اللقا وهذا اكمل طريق اهل الهدى وهو اسم لجميع ما يقرب العبد الى المولى في مقابلة باعث الهوى من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد هوى النفس والطبع وقيل الصبر على ثلاثة انواع صبر العوام وهو صبر النفس على ما تكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارات من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلا كما تتلذذ بالالا فانه علامة اهل الولا من الانبياء والاولياء وقيل الصبر والوقوف مع البلا بحسن الادب في الثبات على الولا وتلقي مر قضيته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة وتنقسم اقساما صبر لله وهو الثبات على ادا اوامره وانتهاء زواجره وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضاياه من سرائه وضرائه وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شيء من امره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذموم كما قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها ● الا عليك فانه مذموم

اي الا عنك وهو يحمد اذا وصل الى مقام الرضا في جميع ابواب القضا كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري ● فاترك ما اريد لما يريد

وقال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المومن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى اصعب

شديد والصبر مع الله اشد وحكي عن بعض العارفين انه سئل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا قال الصبر لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فاي شيء قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عنا والصبر بالله بقى والصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفا وانشد

الصبر عنك مذموم عواقبه ● والصبر في ساير الاشيا محمود

فاما ان يكون الصبر بالجسم عن الامر الشاق على البدن كالعبادة او عن المصايب البدنية واما ان يكون الصبر بالنفس طلبا للثواب او هربا من العقاب عن الشهوة اي شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما فعن الشهوتين يقال له عفة وعن احتمال المكروه بموت الاقارب ونحوه يقال له صبر مطلقا اي وهو الفرد الكامل في هذا الباب كما اطلق في منزل الكتاب وبشر الصابرين الاية فاقتصر حينئذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم خاص قصده اي نقيض الصبر الجزع وهو محركة الفزع والهلع بفتحتين افحش الجزع كرفع الصوت بالبكا وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها ومنه قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وظاهر الاية ان الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما وفي الغنى اي ويقال في احتمال الغنى وتحمله من البلوى ضبط النفس تحت الشرع والعقل والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والمنى وضده البطر بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة ومنه قوله تعالى كلا ان

الانسان ليطغى ان راه استغنى وفي الحرب اي والصبر في مواطن الحرب
يقال له شجاعة وهي قوة القلب وثباته في المقاتلة وضده الجبن
وهو ضعف القلب وخوفه من روية العدو وفي المعركة حين المقابلة
وفي كظم الغيظ اي تحمل الغضب حلم وعفو وضده التهور وصوابه
ما في الاحيا من جعل ضده سفها واما التهور فهو التجاوز عما يقتضيه
العقل في الشجاعة وهو مذموم في الشريعة قال تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة فان الخلق الحسن هو المتوسط بين طرفي الافراط
والتفريط والتدمر وهو المترتب على التهور وهو قبول الدمار وهو
الاهلاك كالتدمير ومنه قوله عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها وفي
نوايب الزمان اي حوادث الدهر وآفات الدوران سعة الصدر
وهو كناية عن كمال التحمل في الامور يقال له شرح الصدر ومنه قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك وضده ضيقه اي ضيق الصدر ومنه
قوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون قرئ بالتخفيف والتثقيل و
التضجر والتبرم فالثلاثة الفاظ مترادفة او متقاربة وفي اخفا
الامور كتمان وضده الاظهار والافشا وفي فضول العيش زهد وهو
عدم الرغبة وقلة المحبة وضده الحرص على الزيادة وفي اليسير من
من الدنيا اي في القليل من فضول الدنيا قناعة وضده الشره بتحتين
وهو الحرص على طلب الكثير وورد في التنزيل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وقال
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

وكان

وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين
يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل
فوق العدلين على البعير وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي
موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل
من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله
وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم
العبد انه اواب بكا وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو
المثني عليه كما يشير اليه قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله الايمان اي
معظم خصال اهل الايمان هو الصبر كما عرفه وفي رواية الديلمي عن انس
مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وزاد البيهقي عن علي
موقوفا ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وهو اي كون
الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع في المصيبة فيه اي في
الصبر وللاكثر حكم الكل امر مقرر وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك
وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في الباساء اي في المصيبة والضراء
اي الفاقة وحين الباس اي المحاربة الصبر نصف الايمان رواه ابو
نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وللديلمي والبيهقي في الشعب
عن انس الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وفي النهاية اراد بالصبر
الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما امرت به الشريعة
والورع ما نهيت عنه انتهى والحديث مقتبس من قوله تعالى ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل مومن وفي تقديم الصبر على
الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم وانه افضل كما تقدم والله

وهو اي وكون الصبر نصف الايمان لاطلاقه اي الايمان على المعارف
اليقينيات من الاعتقادات والاعمال الصالحات من العبادات ولا
تتم الاعمال للمجتهدين الا بثبات باعث الدين من الهدى في مقابلة
باعث الهوى فهو اي الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار والترتيب
بين النصف الاول والثاني وفق ما اقتضاه الشرع والطبع وايضا
لاطلاقه اي الايمان على الاحوال من استيلا تلك المعارف وهي الرضا والهيبة
والانس والشوق المثمرة للاعمال الاعلى المعارف والعوارف من مقامات
الرجال وفي الاحيا ان جميع مقامات الدين ومنازل السالكين انما تنتظم
من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول فهي تورث
الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان
والاعمال كالاثمار واما اي لاجل ان ما اصابه من السالك النعم الدنيوية
اما نافع في الدنيا والاخرة كالطاعات والمباحات واما ضار فيهما
كالمصايب والسيئات وفيهما اي النافع والضار الشكر للعبد
بالاضافة الى ما ينفعه والصبر بالنسبة الى ما يضره وهما لا يحصلان
الا بتلك الاحوال فهما نصفان لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر من الاقوال
ولابد للعبد منه اي من الصبر لابتنا العبادة من الصلاة والصوم
وساير اسباب السعادة عليه اي على الصبر فالدخول فيهما اي في العبادة
لقمع النفس لتكميلها ونفعها والاتمام اي اتمام العبادة بعد الدخول
فيها اشد من دخولها في باب الارادة والقمع والاتمام انما يتاتى بالصبر
في المقام ولان الدنيا دار محنة فمن كان في الدنيا فلابد له من الابتلا بشدا
يدها
ومصايبها والصبر على جميع مراتبها لتحصل العبادة ومناقبها

والجزع

والجزع شاغل عن العبادة التي هي غاية المقصد ولان طلب الاخرة اشد
ابتلا فورد اشد الناس بلاء الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل كالعلما فالامثل
كالصلحا رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم
لكنه بدون لفظ الاوليا وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال بعض
الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به عليه
السلام فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام رحم الله اخي موسى قد
اوذي باكثر من هذا فصبر متفق عليه من حديث مسعود وقال عليه
السلام صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن من ظلمك وقد
تقدم وقال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان في التوراة السن
بالسن والعين بالعين والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر
بالشر بل من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن ومن اخذ رداك
فاعطه ازارك ومن سخرك معه ميلا فسر معه ميلين انتهى ولا يخفى
ان عيسى عليه السلام كان مظهرا للجمال كما ان موسى عليه السلام كان مظهرا
للجلال ونبينا صلى الله عليه وسلم كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال
واحكامه في غاية الاعتدال والله سبحانه اعلم بحقايق الاحوال وهو اي
الصبر عن الحرام واجب اي فرض لازم وعن المكروه اي كراهة تنزيه
نفل بل مستحب واما عن المكروه كراهة تحريم فواجب وعن فضول
المباح زيادة فضيلة وجزم في الاحيا ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار
حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر على المحظورات فرض
وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد
ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج

عبرته فتصبر على اظهار العبرة وسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله اي بجهة مكروهة في الشرع فلتكن الشرع محك الصبر الذي هو نصف الايمان ولا ينبغي ان تخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع الصبر مخصوصة ثم هو اي الصبر في النعم الدنيوية انما يحصل بترك الميل اليهما ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه في تحصيلها ورعاية حقه تعالى فيها الصرفها اي طاعته وعبادته وهو الشكر اي من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر ما لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه لم يضبط نفسه عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان وجرأته الى انواع من العصيان كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال بعض العارفين البلاء يصبر على الموت والعاقبة لا يصبر عليها الا صديق ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضرا فلم نصبر وابتلينا بفتنة السرا فلم نصبر وقال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة محزنة رواه ابو يعلى الموصلي من حديث ابي سعيد ولاصحاب السنن من حديث بريدة باسناد حسن انه عليه السلام

لما نظر

لما نظر الى ابنيه الحسن او الحسين يتعثر في قميصه نزل على المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت بني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والصبر في الطاعة اي العبادة بصون النية اي بحفظها عن السمعة والريا في حال الابتدا والادا اي وبصون اداء العمل من غير الاخلاص او عن الغفلة ورواجي العزة في الاثنا والثواب اي وبصونه عن الافشا حال الانتها فالثلاثة مذكورة بطريق السلف ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال عن الريا وفي معناه السمعة ولو في الخلا والتكاسل اي وعن التثاقل في الاعضا والافشا بالاملا في الملا ونحوها من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ورؤية الحول والقوة والامن من مكر الله واستدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي على تصحيح النية وعلى تمام العمل واخلاصه عن الافات والصبر في المعصية المبتلى بها بالرياضة اي برياضة النفس عن مخالفة هواها والصبر في معصية من شانها انما يمكن المجازاة اي يمكن فيها المكافاة بالتحمل اي الحلم والعفو بترك المكافاة اي المجازاة ولو بالمماثلة في المعاقبة قولا كمن سبه وفعلا كمن ضربه ومنه قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله وقد قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى حكاية عن الانبياء ولنصبرن على ما اذيتمونا وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال واصبر

علي ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور وفي غيرها اي وفي مصيبة غير ممكنة المجازاة بترك
الجزع والفزع والشكاية الى الخلق وباستمرار العادة اي وباستقرارها
عن حالها في الطعام واللباس وكذا الكلام مع الناس ثم قيل ان الصبر
هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره وقال داود عليه
السلام ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه
ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال نبينا عليه السلام
من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك
ذكره في الاحياء قال مخرجه لم اجده مرفوعا وانما رواه ابن ابي الدنيا
من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب
والاوجاع والصدقة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر
مما فات فاذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلية
من جهة الخلق او الخالق واما التالم اي الحزن للقلب وجريان
الدمع من العين فلا ينافيه اي الصبر اي الصبر لعدم الدخول
تحت الاختيار بل هما مستحبان لما ورد عن سيد الابرار انه بكى عند
موت ولده وقال القلب يحزن والعين تدمع وانا على فراقك يا ابرهيم
لمحزونون رواه الشيخان من حديث انس والكمال اي كمال الصبر
ترك ما يشغل عنه اي عن الله تعالى من امور الدنيا لمن غفل عن الله

ولو في

ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية وعن الحسين بن منصور الحلاج حين
يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو قال هي نفسك ان لم تشغلها
شغلتك وجاء في الاثر عن ابن عباس للصبر على الفرائض اي اداء
ثلاثمائة درجة اي بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل وعن المحارم
ستمائة لانه اصعب على النفس فان في فعل الطاعة نوعا من اللذة
زيادة على لذة ترك المعصية وفي المصيبة عند الصدمة الاولى اي
قوتها وشدتها وحدتها تسعمائة لانه اقوى واشق على النفس قال ابن
ابي الدنيا في كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز افضل
الاعمال ما اكرهت عليه النفوس والحديث الذي في المتن رواه ابن
ابي الدنيا في الصبر وابو الشيخ في الثواب عن علي مرفوعا بلفظ
الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية
فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة
درجة ما بين الدرجتين كما بين السما والارض ومن صبر على الطاعة
كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين
الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة
ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش فالحديث
يدل على ان الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من
اثر عمر رضي الله عنه حيث قال الصبر في المصيبات حسن وافضل منه
الصبر عما حرم الله واما الصبر عند الصدمة الاولى فحديث رواه
البزار وابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا وفي رواية البزار عن

عند اول صدمة وفي رواية البخاري في تاريخه عن انس الصابر
الصابر عند الصدمة الاولى والطريق في تحصيل الصبر بعد
التوفيق منها ثلاثة تضعيف باعث الهوى اي تقليله بالرياضة
الكثيرة بان يقوي داعي الهدى ويقهر داعي الهوى فلا يبقى له
قوة المنازعة في الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة وعند
هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون ولاجرم
هم الصديقون والمقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهولاء
لزموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واما من يغلب
عليه دواعي الهوى ويضعف عنده بواعث الهدى فهولاء هم الغافلون
وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم
شقوتهم وغلبت عليهم هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة
فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم وهذه الحالة علامتها اليأس
والقنوط والغرور بالاماني وهي غاية الحمق كما قال عليه السلام
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله تعالى وفي رواية والعاجز بدل الاحمق كما رواه احمد
والترمذي وابن ماجة والحاكم عن شداد بن اوس ومعنى دان
نفسه هواها وتمنى مكرر على الله تعالى وفي رواية والعاجز بدل الاحمق
كما رواه احمد والترمذي حاسبها قال الترمذي وغيره من العلما واما من
يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعي الهوى اخرى فهذا من المجاهدين
الذين قيل فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم واما التاركون للمجاهدة

فيشبهون

نكد

فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون وقال بعض الشعرا

دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

وقد قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة
والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوة وهذا قد خلق له وعطله فهو
الناقص حقا والمدبر يقينا وصدقا ولذا قيل • ولم ار في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام • وهو مقتبس من قوله عليه السلام اشد
الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه
ورجل علم علما فانتفع به دونه رواه ابن عساكر واما من علم وعمل
وعلم فيدعى في الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام ومنها ذكر
قلة قدر الشدة في مخالفة النفس حال المجاهدة لان شدايد الدنيا
واهوالها سهل بالنسبة الى شدايد الاخرة واهوالها ووقتها
اي وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى كانهم يوم يرو ثمها
لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذا قيل الدنيا ساعة فاجعلها
طاعة واضرار الجزع اي وذكر اضرار الجزع والفزع من غير
حصول الدفع والنفع ومنها تقوية باعث الدين بذكر فضايل
المجاهدة الوارد في الكتاب والسنة في حق المجاهدين والمجتهدين
من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله
فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه
ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقوله عليه السلام
المجاهد من جاهد هواه رواه النسائي ورجعنا من الجهاد الا صغر

الي الجهاد الاكبر و قد تقدم ثم ان كان الصبر و التحمل او ذلك الثبات
والتحمل او ذلك الثبات والتحمل حاصلا بتعب قوي اي شديد
وجهد جهيد فتصبرا اي فيقال له تصبر لان صاحبه متكلف
في الصبر كما يقال زاهد ومتزهد وصوفي ومتصوف وان كانت
ما ذكروا فيها بيسيرا اي تعب سهل وغير عسير فصبرا اي فيخص
باسم الصبر فاذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة
من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وان كان الصبر دون
جهد اي من غير تعب فرضى اي فهو رضى بما يفعل المولى وورد
اعبد الله على الرضى فان الرضا بالقضا باب الله الاعظم فان لم
تستطع على عبادته في مقام الرضا من غير جهد البلا ففي الصبر على
ما تكره بمقتضى البشرية خير كثير في الامور الدنيوية والاخروية
فاعبده على الصبر فان من لا يدرك كله لا يترك كله والحديث
رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال ابو سليمان والله أه ح
ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وان كان الصبر
على البلا بتلذذ النعما فشكرا اي فهو شكر ينشاء عن كمال
المحبة والصدق وغاية الرضا عن الحق فقد قال بعض العارفين
اهل الصبر على ثلاث مقامات الاول ترك الشكوى وهذه
درجة التائبين الثاني الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين
والثالث المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين
وهو اي التلذذ بالبلا انما يكون بستة اشيا بالغيبة عن حظوظ

النفس

النفس ولذات الهوى والشهود اي وبالحضور معه تعالى ليلا
ونهارا كما ورد عنه عليه السلام انه قال اني ابيت عند ربي
اي حاضرا لديه كالواقف بين يديه يطعمني هو اي لا غيره و
يسقيني اي يغنيني عن الطعام والشراب ويقويني بدلهما
بما يلتذ به الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لغيبة حظوظ
نفسي وشهود قلبي مع ربي فهذا المعنى يصح ان يكون الشيلاف
علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب
واما ما قيل من ان المعنى يطعمني ويسقيني من طعام الجنة
وشرابها فلا يصح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على اولي الالباب
وعدم التمييز اي وبعدم الفرق بين الالم واللذة الطبيعيين
ولقد قال بعض المحبين فليس لي في سوال حظ فكيف ما شئت فاختبرني
لكن لما كان في هذا شايبة من الدعوى ابتلي بنوع من البلوى
كما في حديث حارثة ما ابالي على اي الحالين اي المقامين وقعت
اي سقطت وثبت على غنى او فقر وكذا صحة ومرض وكذا وصل
او هجران وقيل الفقر بلا ومحنة والغنا هم ومشقة وكل ذلك
قادح في كمال الرضا والمحبة بل ينبغي ان يفوض التدبير لمالكها
ويسلم الامر لصاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابا لي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وفيه اشارة
الى قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه
الا الفقر ومنهم من لا يصلحه الا الغنا الحديث وقد قال عن

وعلا عسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالتسليم اسلم والله اعلم
والاعلي اي اعلي مراتب الصبر من التلذذ وبالبلا الذي هو
الشكر بالنسبة اي عدم التمييز كحال اهل السكر والتمييز بين النفع
والضر والحلو والمر واختيار الامر في موافقته تعالي حيث جعله
مختارا والالتذاذ اي بالامر فهو الاولي فورد عنه عليه السلام
ان الله لما خيره بين الدنيا وتركها بان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فقال
اختار ان اكون عبدا نبيا وفي رواية زيادة اجوع يوما فاشكر
ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين لانه كان في غاية من الكمال
فلاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال وجا في الخبر يا قوم
حبذا المكروهان اي نعم المكروهان في طبع الانسان وهما
سببا مزيدا لاحسان الموت علي الايمان والغفران المقرون
برضا الرحمن رواه ابن ابي الدنيا وغيره واخرج احمد وسعيد
بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن ادم يكره الموت
والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل
للحساب ثم الرضا بترك الاعتراض بالقلب في جميع انواع القضا
فلا يقول الحادث حدث لو لم يحدث لكان اولي او لو حدث
في غير هذا الموضع كان احسن واعلي اذ ليس في الامكان ابدع
مما كان في الاحيا واعترض عليه من لم يفهم معناه من العلما
وقيل ترك السخط اي الكراهة وهو ضد الرضا والرضا غاية

الغايات

الغايات ونهاية الغايات ففي الحديث ان الله يتجلي للمومنين
فيقول سلوني فيقولون رضاك ويؤيده قوله تعالي ورضوان
من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل الله وهو
ثمرة رضي العبد كما يشير اليه قوله تعالي رضي الله عنهم ورضوا عنه
اخرا ولا بد للعبد منه اي من الرضا عن الله تعالي لاربعة اشيا
للفراغ اي فراغ الخاطر للعبادة وقد ورد نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والتخلي اي وللتخلص
من هموم الدنيا بالقلب والتعب ومن غموم النصب بالبدن
والغالب فيها اي في الدنيا وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا
هم الاخرة كفاه الله هم الدنيا والاخري وغضبه اي والتخلي
عن غضبه تعالي فورد في الحديث القدسي والكلام الانسي
من لم يرض بقضاي اي في احكام ارضي وسماي ولم يصبر علي
بلاي اي ابتلاي في سرايي وضرايي وفي رواية زيادة ولم يشكر
علي نعماي فليطلب ربا سواي اي غيري وما عداي من اعداي
وروي انه عليه السلام سال طايفة من اصحابه الكرام فقال
ما انتم فقالوا مومنون ورب الكعبة وفي لفظ احزانه قال
حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي مناجاة موسي
عليه السلام قال يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا
اخذت منه محبوبه سالمني قال فاي خلقك انت ساخط عليه
قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضايي
وفي الخبر قدرت المقادير ودبرت التدابير من رضي فالله

لرضي مني

حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور
يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت
الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه
وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا
من الانبيا شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشرين سنة
فما اصيب الا ما اراد ثم اوحى الله اليه كم تشكو هكذا كان بدوك
عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهذا
سبق ذلك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد
ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ابدل ما قدرت عليك
فيكون ما تحب فوق ما احب او يكون ما تريد فوق ما اريد
وعزتي وجلالي لئن يختلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من
ديوان النبوة ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه
السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت
ما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما
تريد ثم لا يكون الا ما اريد ولله در من قال من اهل المزيد

تريد النفس ان تلقى مناها ويابى الله الا ما يريد

ويحصل رضوانه اي وليحصل رضا الله عنه فورد في التنزيل
رضي الله عنهم ورضوا عنه فعلامة رضا العبد عن الله رضا الله
عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضا الله في المرتبة الاولى
وبسبق رضاه في الازل الاعلى وقد سئل الفضيل عن الصبر
فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي

لايتمنى

قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقال داود لسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المومن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن
الرضاء فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وروي عن بعضهم
قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت
له اسقيك ما فقال جرني قليلا الى الاعداء واجعل الما في الترس فاني
صايم فان عشت الى الليل شربته وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام
وكان رزقه كفافا ورضي به وفي خبر اخر من رضي من الله بالقليل
من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وللترمذي من سعادة
ابن ادم رضاه بما قسم الله وفي خبر اخر ارض بما قسم الله لك تكن اغنى
الناس وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل
لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد
سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم
ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب
ان ينظر ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد
منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام
ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي
من قلوبهم يا داود ان علامة محبتي من اوليائي ان يكونوا
روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام قال
يا رب دلني عليه فقال ان رضاي في رضاك بقضائي وعن
عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له
ما تشتهي قال ما يقضي الله تعالى والسبب لرضا العبد بما يفعل

المرب شيبان احدهما ادهاش غلبة الحب اي اعماوها واغفالها
عن الاحساس بالالم في المحن واهوالها كما للعاشق في الدنيا
والحريص في جمع مالها واحوالها وكان سمنون به علة يعالج غيره منها
ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال ياد وست ضرب الحبيب
لا يوجع وقال الجنيد سالت سري السقطي هل يجد المحب
قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف قال
نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت
كل شي بحبه حتى لو احب النار احببت دخولها وقال بشر بن
الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد
ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال
لاني عاشق فقلت ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذاي
ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر فزعق زعقة وخر
ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله سبحنه
ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانماية سنة لا ترجع
اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا
جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر تصدق عباد
في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل
تاكل لحمه فرفعت راسه ووضعته في حجري فلما افاق قال
من هذا الفضولي الذي دخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا
اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد
وبين ربه فانكرتها ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل

عليه السلام

عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه
ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت
وسلبتني ما شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول
ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب
الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي
عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا
اي شي في البلا اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل
الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت هات
يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة
قد اذهب الله عنه ما كان به وصحب عيسى وتعبد معه وقطع
عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد
لله الذي اخذ مني واحدة وابقى اخرى لين كنت اخذت لقد
ابقيت ولين كنت ابليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة
وقال سليمن الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه
الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلايق كلهم الجنة وادخلني
النار كنت راضيا ولما قدم سعد بن ابي وقاص مكة وكان قد كف
بصره جاء الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو
لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السايب فاتيته
وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارى اهل مكة
قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس
فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني

هذا

قضا الله عندي احسن من بصري وقال بعض السلف لو قرض جسمي
بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشي قضاه الله ليته لم
يقضه والعلم اي وثانيهما المعرفة بشيئين بجزالة الثواب
اي عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقد ينال الجزا في الدنيا ايضا قبل العقبى كما
روي عن الرميصا ام سليم انها قالت توفي ابن لي وكان زوجي
ابو طلحة غائبا فقمت فسجيته في ناحية من البيت فقدم ابو طلحة
فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي فقلت
في احسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه
الليلة ثم تصنعت له باحسن ما كنت اتصنع من قبل ذلك حتى
اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا فقال ما لهم
فقلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا
فقال بئس ما صنعوا فقلت هكذا ابنك كان عارية من الله
تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم
غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام
اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك
في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القران رواه الطبراني في الكبير
من طريقة ابي نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث
انس مع اختلاف وللنسائي في الكبرى باسناد صحيح من حديث
جابر دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة فقد روي
ان امراة فتح الموصلي عثرت فقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما

تجدي

تجدي من الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي حرارة
وجعه وعذابه وقد ورد في الترمذي وغيره حديث هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقال شقيق من يرى ثواب
الشدة لا يشتهي المخرج منها ولله در القائل

• اذا كان سركم ما قال حاسدنا • فما لجرح اذا ارضاكم الم •

كما للمريض والتاجر المسافر المتحملين شدة الحجامة رجا للصحة
والسفر اي ومحنته طمعا للزيادة وبانه تعالى في كل صنع حكمة
كما قال تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء وقال صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة بل حكما كثيرة يتعجب الذاهل الغافل عن
السر اي سر تلك الحكمة في تلك الصنعة وما يترتب عليها
من الحكم كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام وما وقع بينهما
من الملام والكلام في تحقيق المقام وتدقيق المرام ولا يرد
التناقض بينه اي بين الرضا بالقضا فقد ورد في الدعا اللهم
اسالك الرضا بالقضا وبين بغض المعصية الواقعة بحكم القضا
لان الرضا انما هو بالقضا الذي هو فعل الرب وخلقه والمعصية
متعينة على العبد صادرة عن فعله وكسبه ولو كان بتقدير الرب
وحكمه ولان قضا الشر ليس بشر انما الشر هو المقضي فلا يكون
الرضا بالشر بهذا يتحقق معنى الخبر الخير كله بيديك والشر
ليس اليك ولان الرضا بالقضا من حيث انه مقتضى لا ينافي
ايضا البغض للمعصية من حيث انه معصية فالحيثية اذا كانت
مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة كالولد العاق يجب

من حيثية الولدية وبعض من جهة العقوبة وهو اي الرضا
بالقضا لا يوجب ترك الاسباب اي اسباب البقا وغيره من الابواب
وتحقيقه اي تحقيق ترك الاسباب ياتي في التوكل الموضوع لهذا
الباب ولا الدعا اي ولا يوجب الرضا ترك الدعا لقوله تعالى و
يدعوننا رغبا ورهبا وثبت انواع من الدعا عن سيد الانبيا مع
انه في اعلى مقامات الرضا بشرط الصلاح قلبا ولو لم يشترط لسانا
فورد اللهم زدنا في اللبن اللهم ارزقنا خيرا منه في غيره والحديث
رواه الترمذي في الشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام قال من
اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه
ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قال
وقال عليه السلام ليس شي يجزي مكان الطعام والشراب
غير اللبن هذا وقد قال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء
فليس لحمقه دوا وقال الفضيل ان لم يصبح علي تقدير الله فلم تصبح
على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد وليس الشان في
اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان
في الرضا بالقضا والقدر وقال عبد الله بن مسعود ولان الحس جمرة
احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشي كان
ليته لم يكن او لشي لم يكن ليته كان ونظر رجل الي قرحة في رجل محمد
بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ
خرجت اذ لم تخرج في عيني وقال الثوري يوما عند رابعة العدوية
اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله ان تساله الرضا وانت

عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان متى يكون العبد
راضيا عن الله قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة
وعن الفضيل اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى
وعن احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله من كرمه
قد رضي من عبيده بما رضي به العبيد من مواليهم قلت كيف ذلك قال
اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان
محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال بعض السلف من حسن
الرضا بالقضا ان لا يقول هذا يوم حار ويوم بارد في معرض الشكاية
وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف
كد ومشقة كل ذلك قادح في كمال الرضا بالقضا فعن عمر رضي الله
عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وعن
ابن مسعود انه قال الفقر والغنا مطيتان لا ابالي ايهما اركب
ان كان الفقر ففيه الصبر وان كان الغنا ففيه البذل واما لم يقل
ففيه الشكر ايماء الي ان الفقر افضل من الغنا واشارة الي ان الغنا
من غير البذل مذموم عند اهل الفضل والعدل لهذا وقد اختلف
العلما في الافضل من اهل المقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقا
الي الله تعالى ورجل يحب البقا لخدمة المولي ورجل قال لا اختار
شيئا وارضى بما يختاره الله لي ورفعت هذه المسئلة الي بعض العارفين
فقال صاحب الرضا افضل لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب
بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال سفيان الثوري
كنت اكره موت الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف

لكني لا اكره طول البقا فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب
فيه واعمل صالحا فقال وهيب اي شي يقول قال انا لا اختار شيا
احب ذلك الى الله احبه الي فقبل الثوري بين عينيه فقال روحانية
ورب الكعبة ويويده الدعا المأثور اللهم احيني ما كانت الحياة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة
لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ثم الشكر يجمعه ثلاثة
اشيا عرفان النعمة من المنعم وهذا علم يصدر منه عن اعتقاد ان كل
ما في العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله وفي دعائه عليه السلام اللهم ما اصبح بي من نعمة
او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر
والفرح به اي بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها
الادبي بل من حيث ذاتها الادبي بل من حيث انها وسيلة الي القرب
من المولي والنظر الي وجهه الاعلي فهذا هو الرتبة العليا وعلامته
ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرة ويحزن بكل نعمة تلهيه
عن طريق الهدي وهذا حال واستعمالها اي صرف النعمة في طاعته
اي طاعة دون معصية للمنعم وهذا عمل وقال الشبلي الشكر رؤية
المنعم لا رؤية النعمة وقال الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا
للنعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة
علي واردات القلوب وهي رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده
اللذات في البطن والفرج وساير الشهوات ومدركات الحواس
من الالوان والاصوات وخلي عن لذة القلب وما يرد عليه من

الواردات

الواردات فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة للقويم
الا بذكر الله ومعرفته من حيث الذات وانما يلتذ بغيره اذا امرض
بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين ويختاره على
السكنجبين وكما يستبشع بعض المرضي الاشيا الحلوة ويستحلي
الاشياء المرة حتي قيل ومن يكن ذا فم مريض يجد مرا به الما الزلالا
ولا بد للعبد منه اي من الشكر لاستدامة النعمة اي لطلب دوام
النعمة وبقايها فورد في التنزيل وكفرت صوابه فكفرت كما في نسخة
وصدر الاية وضرب الله مثلا قرية اي مكة كانت امنة مطمئنة
ياتيها رزقها رغدا اي واسعا من كل مكان فكفرت اي اهلها
بانعم الله اي بتكذيب رسوله فاذاقها الله لباس الجوع اي
القحط سبع سنين والخوف اي الرعب من المسلمين بما كانوا يصنعون
وان اي وورد في الحديث ان النعم اوابد اي وحشيات متنفرة
كصيود وشوارد فقيدوها بالشكر وقد قيل الشكر قيد النعمة
الماخوذة وصيد المنحة المفقودة كما يشير اليه قوله واستزادتها
اي ويطلب زيادة النعمة فورد في التنزيل ولئن شكرتم لازيدنكم
تمامه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والذين اهتدوا بالايمان
وترك الكفر واداء الشكر زادهم هدي اي هداية على هدايتهم
وعناية على رعايتهم ثم اعلم ان لكل عضو من القلب واللسان
وساير الجوارح والاركان شكرا يليق به من عمل الطاعة وترك
المعصية واعظمها شكر الجنان واظهرها شكر اللسان وقد قال
عليه السلام لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد عليه السلام

السوال حتى قال في الثانية بخير احمد الله واشكره فقال عليه السلام هو
الذي اردت منك رواه الطبراني في الدعا من رواية الفضل بن عمرو
مرفوعًا وهذا معضل وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو
وليس فيه تكرار السوال وقال احمد الله اليك وكان السلف
يتسالون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعًا
والمستنطق له به مطيعا فكل عبد يسال عن حاله فهو بين ان يشكره
وبين ان يشكو وبين ان يسكت فالشكر طاعة صحيحة والشكوى
معصية قبيحة وكيف لا تقبح الشكوى من المولى وهو ملك الملوك
وبيده كل شي الى عبد مملوك لا يقدر على شي فالاحرى بالعبد
ان لم يصبر على البلوى ويفضيه الضعف الى الشكوى ان تكون
شكواه الى المولى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلا وذل العبد
لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا
مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له
اليه ترجعون وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقال
شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير فقال يا امير المومنين لو كان الامر
بالسن لكان في المسلمين من هو اكبر منك فقال تكلم فقال لسنا وفد
الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك
واما الرهبة فقد امنتنا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جيناك
نشكرك باللسان وننصرف وايضا مما يدل على تحقيق وجوب الشكر
على العبد من جهة العقل مع قطع النظر من النقل مثال وهو ان يقال

اذا

اذا ارسل ملك عظيم فرسا وثوبا وزادا الى عبد بعيد عن قربه ليجي
اليه راكبا لابسا متمتعا عليه وينال حظ القربة اي وليلقى حظ قرب
الملك لديه مع استغنا الملك عنه وكمال احتياج العبد منه واستعمل
الفرس والزاد في البعد عنه اي عن حكمه وفي سفر المخالفة او اهمل امره
ونسي قدره وجلس في محله ولم يستعمل الا في قربه ولا في بعده او مكن
اي او اذا اقعد عبدا على بساط القربة وامكنه من الانبساط في نشاط
عدم الكربة فاشتغل العبد عن خدمته اي خدمة الملك وعن المضي
الى حضرته ملتفتا الى خسيس في حرفته من دباغ وكناس وسيس
دابته يساسه اي بطلب العبد عن ذلك الخسيس كثرة المقت اي كمال
الغضب ويقتضي سلب النعمة جلب النقمة وادامة العقوبة و
الطرد عن الخدمة والبعد عن الحضرة وتوضيحه في الاحيا ان الانبيا
عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن
بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع
تلك العقبات الشاقة وتمثيلك انفهم بمثال وهو ان ملكا
من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقد
الاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب
من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من
وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له
عنا في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة
به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه كما ان غيبته لا تنقص من ملكه

فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه ان يحظى العبد بالقرب
منه في مقابلة خدمته وبنال سعادة حضرته لينتفع الملك به
وبانتفاعه فتنزل العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة
الاولى فان الاولى محال على الله والثانية غير محال ثم اعلم
ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول
الى حضرته ما لم يتم خدمته التي ارادها الملك منه واما في الحالة
الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا
او كافرا فيكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه
لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله
او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما البس العبد الثوب وركب
المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل
نعمته في سبيل محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه
واستدبر حضرته واخذ يبعد ما لم يتم بخدمته التي ارادها الملك
منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك
يتصور ان يكون شاكرا او كافرا فيكون شكره بان يستعمل
ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا
يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه
فمهما البس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في
الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في سبيل محبته اي فيما
احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد
منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه

وان جلس

وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر
ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه
فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون
الى استعمال الشهوات لتكمل ابدانهم بها فيبعدون عن حضرته
بسببها وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم من النعم ما يقدرون
على استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله
تعالى فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فاذا النعم اله
بالاته يرتقي بها العبد عن اسفل سافلين خلقها الله لاجل العبد
حتى ينال سعادة القرب والله سبحانه غني عنه قرب او بعد عنه
والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة
مولاه وبين ان يستعملها في المعصية فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه
مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية
ان عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة
بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما خلقه الة للعبد ليتوصل
بها الى السعادة الاخرى ونيل القرب من المولى فكل مطيع فهو بقدر
طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملها وكل كسلان ترك
الاستعمال او عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير
محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما المشية ولكن لا تشملهما
المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ومراد مكروه ووراء بيان
هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه صونا للحقيقة

والفارق بين محبوبه تعالى ومبغوضه عز وعلا للفعل محبوبا
ومبغوضا والترك كذلك العلم بالكتاب والسنة فانهما كفتا ميزان
العدالة والاستبصار اي بروية كما في نسخة اي والاعتبار بتفكر
من العقل ونظر وتأمل في النقل والضابط لما يحبه الله وما
يبغضه ان الموصل للعبد الى معرفته اي الله تعالى ومحبته محبوب
لله فينبغي استعمال البنية فيه والشاغل عنه اي والمانع عما ذكر من
المعرفة والمحبة مبغوض لله فيجب عدم استعمال البنية فيه ثم
النعمة اما دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية من المطالبات
النفسية وصرف المفاسد والمضار البدنية بالات حسية مثل اليد
والرجل حيث يدفع الضر ويهرب من الشر واما دينية كالتوفيق
على الطاعة والعصمة في حق الانبياء والحفظ في حق الاولياء من المعصية
مع القدرة او عدمها فان من العصمة ان لا تقدر وهي اي النعمة الدينية
اعظم قدرا من النعمة الدنيوية لايصالها اي لتبليغ النعمة الدينية
الى السعادة الابدية التي لا غاية لها والانجا اي الخلاص من الشقاوة
السرمدية التي لا نهاية لها واشتراك الكفار مع الابرار في الدنيوية
والدنيا مبغوضة لسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها
واغتنام الابرار زوالها اي فقد النعمة الدنيوية خوفا من نقصان
النعمة الاخروية كما قال بعض المجتهدين ورود الفاقات اعياد
المريدين وطلب الاحصا لنعم الله وعدها توقع المحال وتمنيه لعدم
طاقة البشر في ذلك الحال فورد في التنزيل وان تعدوا اي تريدوا
ان تحصوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا احصاها وعدها فضلا

عن القيام

عن القيام بحقها من شكرها وقد قيل الانفاس في اليوم والليلة
اربعة وعشرون الفا وفي كل نفس نعمتان في حصولها باعتبار طلوعها
ونزولها والطريق المفضي الى الشكر ثلاثة المعرفة لنعمه سبحانه
فان ما من عبد الا ولو امعن النظر لحواله لراى من الله نعمة او نعما
كثيرة تخصه لا يشاركه فيها عامة الناس بل يشاركه عدد يسير
منهم وربما لا يشاركه فيها احد والتفكر في صنايعه تعالى من الانفسية
والافاقية واحسانه سبحانه عليه من بين البرية والنظر الى الادنى
في المرتبة المعيشية والامور الدنيوية فورد من نظر في الدنيا الى من
دونه في المرتبة من الجاه والمال ونظر في الدين الى من فوقه من العلم
والعمل والحال كتبه الله صابرا بالنظر الثاني وشاكرا بالنظر الاول
فتامل والحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وهو
في الصحيحين بلفظ انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى
من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم اي لا تحتقروها
وللعسكري عن انس مرفوعا من نظر الى ما في ايدي الناس طال
حزنه ولم يشف غيظه وحكي عن بعضهم انه كان يحضر كل يوم دار
دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ليشاهد انواع بلاء الله تعالى
عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما اعطى
من نعمه فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله
تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم
والقرآن ثم بالفراغ والصحة والامان ولذا قيل

من شاء عيشا رحيبا يستطيب به • في دينه ثم في دنياه اقبالا

فلينظر الى من فوقه ورعا • ولينظر الى من دونه مالا • وقال عليه السلام ان القران هو الغنا الذي لا غنا بعده ولا فقر معه رواه ابو يعلي والطبراني من حديث انس وقال عليه السلام من اتاه الله حفظ كتابه فظن ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر اعظم النعم رواه البخاري في تاريخه منه فقد استهزا بايات الله وعن الصديق من اوتي القران فظن ان احدا اوتي افضل منه فقد حقر عظيما وعظم حقيرا وقال عليه السلام من لم يتغن بالقران فليس منا اي لم يستغن وقد سبق والكل مقتبس من قوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال بعض السلف يقول الله ان عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه فيه احتمالات وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا بقوله • اذا القوت ياتي لك والصحة والامن • واصبحت محزونا فلا فارقك الحزن • بل افصح العبارات واملح الاشارات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا اي جمعت والحديث قد تقدم قال في الاحيا ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يحمدون لنعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة

والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قربه سبحانه في الاخرة بل لو قيل له لك ما ترجوه في الاخرة بكماله وخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به قبل العقبي لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها ولا تتقلع وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا ابدا الى الان وهكذا يكون الى اخر ما بقي من الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليهم وامتنعت عليهم واستعصت منهم كالمراة الجميلة ظاهرها مزينة للشاب العشيق الغبي حتى اذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه فلا يزال معها في عناد دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم في جميع عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول ان المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها وتالم المعرض عنها يفضي الى اللذة في الاخرى وتالم المقبل عليها

يفضي الي الامر في العاقبة فليفر المعرض عن الدنيا علي نفسه قوله تعالى
ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
فان قلت كيف يمكن الشكر لله والعبد يعجز عنه اي عن شكر الله
الا بتوفيقه لشكره وهو اي والحال ان توفيقه لشكره نعمة يستدعي
شكرا اخر الي ان يتسلسل فيصير الشكر محالا قلت التحقيق
لمن بلغ مقام الفنا عن نفسه والبقا بربه ان الشاكر الذي
هو الشكور المشكور وان المثني هو المثنى عليه فورد في الحديث
المشهور لا احصي ثنا عليك اي لا اطيق الحمد والشكر علي نعمك
انت كما اثنيت علي نفسك وحاصله ان الاعتراف بالعجز
عن الشكر عين الشكر وانشد عن درك الادراك ادراك
كما حقق في توحيد الذات حيث قال تعالى ولا يحيطون به علما
وليس كمثله شيء وقال علي ما خطر ببالك فالله غير ذلك وقال
الملايكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ويوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقيل في معني قول بعض
السلف من عرف نفسه فقد عرف ربه اي من عرف نفسه بالعجز
عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالفنا عرف ربه بالبقا و
توضيح السوال والجواب ولو احتيج الي بعض الاطناب لانه من فصل
الخطاب الذي هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب
الالباب وهو ان جميع ما تعاطاه باختيارنا من انواع الشكر
علي نعم الدنيا والاخري هي نعمة اخري من الله تعالى وبالشكر
احري اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وساير

امورنا

امورنا التي هي سكوننا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى
ونعمه فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا
مركوبا اخر له وركبناه واعطانا مركوبا اخر لم يكن الثاني شكرا
للاول منا بل كان الثاني يحتاج الي شكر اخر كما يحتاج الاول
ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخري فيودي الي ان يكون الشكر
محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين
وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الي الجمع واعلم ان هذا الخاطر
خطر لداود وكذا موسي عليهما السلام فقال يا رب كيف اشكرك
وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ
اخر وشكري لك نعمة اخري منك توجب الشكر علي ذلك
فاوحي الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر
اذا عرفت ان النعم مني رضيت بذلك منك شكرا والتحقيق في
مقام التوفيق علي وجه التدقيق ان ههنا نظرين نظر بعين
التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور
وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف الله ليس في الوجود
غيره وان كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قول لبيد
الا كل شيء ما خلا الله باطل وقول بعض ارباب الشهود
سوي الله والله ما في الوجود وقول بعض الابرار ليس
في الدار غيره ديار وذلك لان الغير الذي يتصور ان يكون له
بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد
اذ الموجود المحقق هو القايم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام

فليس له بنفسه وجود بل قايم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر
ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود
هو القايم بنفسه والقايم بنفسه هو الذي اذا قدر عدم غيره
بقي موجودًا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود
غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك
فاذا نظرت في هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره اليه ومرجعه
فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر
حبيب بن ابي حبيب حيث قرا انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى
على عطايه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هنا
نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه
فقال لعمري يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق
يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى انه اذا اثنى
على عطايه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هنا
نظر الشيخ ابو سعيد الميهني ان المحب هو المحبوب وهذه رتبة
عالية ومنزلة غالية لا يفهمها الا امثالك في حد عقلك فيقال ان
المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى
الله فهو تصنيفه وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم
يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد
وتحقيق التقريب وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفنا النفس
اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير في الكون الا الله وليس المعنى

كما فهمه

كما فهمه الوجودية من العينية لنفس المعية كما بينته في رسالة هو
المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية فهذا احد النظرين واما
النظر الثاني فنظر من لم يبلغ الى مقام الفنا عن نفسه فظن
لنفسه وجودا مستقلا ولو عرف لعلم انه من حيث هو لا ثبات
له ولا وجود له وانما وجوده من حيث اوجد لا من حيث وجد
وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد
وموجد فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل والموجود
قايم وقيوم والموجد هالك وفان فاذا كان كل من عليها فان فلا
يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة
في مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين داعين
الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا ترى
الا الله الواحد القهار فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون
والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى وما
يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اذ عبدة الاوثان قالوا انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا داخلين في اوايل التوحيد
دخولا ضعيفا وهم الكثيرون فمنهم من تنفتح بصيرته في بعض
الاحوال فتلوح لهم حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا
تثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام
فيه عزيز كما قيل • لكل الى شاو العلى حركات • ولكن عزيز في الرجال ثبات •
ولما امر عليه السلام بطلب القرب لقوله سبحانه واسجد واقترب
قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك

واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك فقوله
عليه السلام اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله
فقط وكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم
اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقي الي مصادر الافعال
وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك ثم راي ذلك
نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات
الي مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من
غير روية فعل ولا صفة ولكنه راي نفسه فارا منه اليه ومستعيذا
به ومثنيا عليه ففني عن مشاهدة نفسه اذ راي ذلك نقصانا
في مقام انسه فاقترب فقال لا احصي خبر عن فنا نفسه وخروجها
عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت علي نفسك بيان انه هو
المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود ولقد كان
عليه السلام لا يرتقي من مرتبة الي اخري الا ويري الاولي بعدا
بالاضافة الي الثانية فكان يستغفر الله تعالي من الاولي كما قال
انه ليغان علي قلبي في اليوم والليلة حتي استغفر الله سبعين
مرة فكان يستغفر الله تعالي من الاولي كما قال انه ليغان علي قلبي
في اليوم والليلة حتي استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك لترقيه
الي سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة ومشاهدة
الكثرة هذا وما من مقبول الا وهو مقود الي الجنة بسلاسل الاسباب
من تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الي النار
بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه فالمتقون يساقون الي

الجنة قهرا والمجرمون يقادون الي النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد
القهار ولا قادر الا الملك الجبار وهذا معني قوله خلقت هولاء
للجنة ولا ابالي وخلقت هولاء للنار ولا ابالي واختلف في وجوبه
اي الشكر في المصايب والحق الوجوب بناء علي ستة اشيا علي انه لا
يصيب اكبر منها اي من تلك المصيبة التي اصابته او مقدورات الله
لا تتناهي فلو ضعفها الله وزادها عما ارادها وكان يقول شيخنا
العالم المتقي علي المتقي اذا اخذ عمامتك فتصدق بالحلاوة بسلامة
راسك فالمصيبة الحالية اهون من المصيبة الابدية وان لا تكون
المصيبة في الدين فقد قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي
فقال له اشكر الله تعالي لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد
ماذا كنت تصنع وقد ورد في دعايه عليه السلام لا تجعل مصيبتنا
في ديننا وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله علي فيه
اربع نعم اذ لم تكن في ديني ولم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا
واذ رجوت الثواب عليها وان يعجل عقوبتها بصيغة المجهول اي عقوبة
المعصية في الدنيا ولا تؤخر للاخرة فلعذاب الاخرة اشد وابقي اذ
مصايب الدنيا يتسلي عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف
وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الي تخفيفها
بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن
المعذبين وايضا ما من عقوبة الا وكان يتصور ان يوخر الي الاخرة
ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا في العقبي لقوله
عليه السلام اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلا في الدنيا

فالله اكرم ان لا يعذبه ثانيا في العقبى كذا في الاحياء وقال
مخرجه رواه الترمذي وابن ماجة من حديث علي من اصاب في الدنيا
ذنبا عوقب به فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده ولاحمد
والطبراني باسناد صحيح من رواية الحسن البصري عن عبد الله بن
مغفل ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها
ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر
في وجهه فاتى النبي عليه السلام فاخبره فقال عليه السلام اذا اراد
الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه
الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله تعالى قالوا بلى فقرا عليهم
ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسدر العلايل

لعمرك ما كان للشكر داع زيادة ۝ ولا عوضا كالصبر عند المصائب

ولا عوضا انما اي ولان المصيبة الماضية كانت في التقدير اتية
لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ففرغ منها وتخلص عنها فهي نعمة
بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا
في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وان ثوابها اي المصيبة
خير منها اي من عدمها فما من شيء ينفع للعبد الا ويتصور ان يكون
له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبليه
فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا
يشكره العباد على البلا اذا راوا ثواب البلا ويتمنى انه كان
يقرض بدنه في الدنيا فقد روي ان رجلا قال له عليه السلام اوصني
فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك رواه احمد والطبراني من

حديث

حديث عبادة وقال عليه السلام عجبا لامر المومن ان امره كله له خير
وليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سرا شكر فكان خيرا له وان
اصابته ضرا صبر فكان خيرا له رواه مسلم وانما اي ولان المصيبة
تنقص من القلب حب الدنيا فلم يسكن اليها ولم يانس بها فقد ورد
الدنيا سجن المومن وجنة الكافر رواه مسلم من حديث ابي هريرة
فهي اي المصايب في التحقيق نعم يجب لاهل التوفيق الشكر عليها
ان لا تخلو المصيبة عن تكفير للخطية ان كان من المبتدين او رياضة
للنفس لما فيها من المحنة والبلية ان كان من المتوسطين او رفع
للدرجة ان كان من المنتهين والاخبار الواردة في الصبر على المصايب
كثيرة شهيرة كقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
رواه البخاري من حديث ابي هريرة ولابن ابي الدنيا من حديث
ابي سعيد الخدري ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم
جسدي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله
تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ولابي داود ان
الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء
في جسمه فيبلغها بذلك وقراءة سورة الواقعة مبتدا في ايام العسرة
ظرفه والخبر لطلب القناعة اي قناعة القلب وهو ان لا يشغله
شاغل عن حضرة الرب وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم
الشكر على المصيبة واثبتم انها في التحقيق من النعمة فقراءة السلف
سورة الواقعة كل ليلة في ايام العسرة لاي معنى كانت فاجاب
عما تقدم وقد اخرج ابن عساكر في فضائل القران وابو يعلى وابن

مردويه في تفسيره والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه الفاقة واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال سورة الواقعة سورة الغنا فاقروها
وعلموها اولادكم او العدة اي الاستعداد على العبادة دون
وسعة الدنيا لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها وانما قربت
السورة لما ورد فيها في فضلها من الاخبار والاثار كما سبق والاي
وان لم يحمل على ما تقدم فلا مبالاة بحمده تعالى للسلف بالشدة
اي بالبلا والمحنة فهم اي السلف كانوا يغتنمونها اي الشدة
والبلا اكثر مما كانوا يغتنمون الراحة والنعما واما ندا ايوب عليه
السلام ربه اني مسني الضر فلبيان الشكر واظهاره على نعمة
الصبر لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وجزيل جزائه اي وعلى
تعظيم جزا الصبر وعطائه لقربيته وانت ارحم الراحمين وذلك
لان الله تعالى سلط بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصته
اصفيائه فهو فضل من الله ومنحة لذ عطائه فشكر عليه وتبجح
له به واشار اليه بقوله مسني الضر الذي تخصه انبياءك
واولياءك بلا استحقاق مني بل تكرم منك فانك ارحم الراحمين
او لبلوغ المرض الى العقل اي القلب واللسان المفوت ذلك
المرض للمعرفة بالجنان والذكر باللسان او العجز عن اقامة
الصلاة بتمام اركانها او لانقطاع الوحي اربعين يوما ومقام
الخيرة غاية من الغيرة حتى كاد نبينا عليه السلام ان من يرمي

نفسه عن الصخرة ولذا قيل الحجاب اشد العذاب وانما ورد الامر
بسوال العافية في الاحاديث الثابتة الوافية كما رواه الترمذي
من قوله عليه السلام ما سيل الله شيا احب اليه من ان يسال
العافية ولابن ماجة عن انس مرفوعا سل ربك العافية والمعافاة
في الدنيا والاخرة فاذا اعطيت العافية في الدنيا واعطيتها
في الاخرة افلحت ولاحمد والترمذي عن ابي بكر سلوا الله العفو
والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية
والنهي عن سوال البلية فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين فقال
اما هولاء كانوا يسالون الله العافية رواه الترمذي وقال
علي رضي الله عنه اللهم اني اسئلك الصبر فقال عليه السلام لقد
سالت الله البلا فسله العافية رواه الترمذي ولابن ماجة
والنسائي باسناد جيد عن ابي بكر الصديق انه عليه السلام
قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين
واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية
القلب اعلى من عافية القالب لان الاولى سوال تمام النعمة في الدنيا
فان تمامها بعافية البدن فيها وثواب الشكر اي وسوال ثوابه
على نعمة رفع البلا في الاخرة لقدرته تعالى على ان يعطي الاجر الجزيل
على الشكر على النعمة رفع البلا مما يعطي على الصبر على محنة البلاء
ومن هنا قال عليه السلام ولكن عافيتك اوسع كما رواه ابن ابي
الدنيا وغيره في اثنا دعائه يوم خرج الى الطايف وقال مطرف
ابن عبد الله لان اعافي فاشكر احب الي من ان ابتلي فاصبر واما

مايرد علي قوله والنهي عن سوال البلية مثل قول سمنون المحب
فليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني
وقول اخر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
فكلام العشاق في حالة الغلبة من الاشواق وهو اي مثل هذا الكلام
حين يجري يطوي ولا يروي لان صاحب الحال لا يقتدي ومن اللطائف
ما حكي ان فاختة كانت يراودها زوجها فتمنعه فقال ما الذي
يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا البطن لفعلت
لاجلك فسمع سليمان فاستدعاه وعاتبه علي ما جري فقال يا نبي
الله كلام العشاق يسمع ولا يحكي ثم اعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد
هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور علي ابواب الكتاب
ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ومن هذا القبيل ما قال
بعضهم اود ان اكون جسرا علي النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون
واكون انا في النار ولان محبة الانسان ليكون هو في النار دون
ساير الخلق غير ممكن ولكن قد تغلب المحبة علي القلب حتي يظن
بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع
فيما ذكر فلو ابيله سكره علي ان لما غلب عليه كان حالة لا حقيقة
لها فما ايسر الدعوي وما اعسر المعني واما قول الشاعر
اريد وصاله البيت فهو ايضا محال اذ معناه اني اريد ما لا اريد
لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده
كذا قرره الامام حجة الاسلام ولا يبعد ان يقال في البيت الثاني
انه اراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله وان تكون ارادته

تابعة

تابعة لارادته سبحانه سوا يكون وصلا او هجرا قربا او بعدا كما يشير
اليه قوله تعالي وما تشاؤن الا ان يشا الله وقول السلف ما شاء
الله كان وما لم يشا لم يكن وفي هذا المقام قال ابو يزيد البسطامي
لما قيل له ما تريد قال اريد ان لا اريد غايته انه قال صاحب
منازل السايرين هذه ايضا ارادة ونوقش بان هذه ارادة مطلوبة
وبالهادا اخلت في قوله لا اريد والحاصل انه من باب كمال الرضا
بالقضا واما البيت الاخر فلا يبعد ان يصل السالك الي مقام ليس
فيه حظ ولذة سوي ذكر المحبوب وفكره وقربه ولعل وجه
الابتلا انه كان فيه حظ او شظية لذة ولو كان في ضمن الدعوي
لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة وفي اي واختلف ايضا
في ان الشاكر الغني افضل ام الصابر الفقير واما الفقير الصابر
فهو افضل من الغني الشاكر اتفاقا فقد قال قايلون الصبر
افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل من الصبر وقال
جماعة هما سيان لقوله عليه السلام الصبر نصف الايمان وهو
استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الاخر كما يقال
ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان والعلم خير من العمل وقال
طائفة يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختار ره
الجلال السيوطي والصوفية اجمعوا علي ان الفقير الصابر افضل
من الغني الشاكر بل قال بعضهم ان الفقير الشاكي افضل من
الغني الشاكر بل قال بعضهم ان الفقير الشاكي افضل من الغني
الشاكر ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس

ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء بلايم صفته ويمتعها او يلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تولم صفته ويقبضها ويزعجها فاذا كان الاثنان قايمين لله عز وجل بشروط ما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها انعم حالا ممن متع صفته ونعمها وقيل كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك فقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلا من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة ويقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الي تفضيل الفقير الصابر علي الغني الشاكر هذا والشاكر الذي يشكر علي الموجود والشكور الذي يشكر علي المفقود ومن هنا قوله سبحانه وقليل من عبادي الشكور انه كان عبدا شكورا وقوله عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما الشكور من اسمايه عز وجل فهو الذي يعطي الاجر الجزيل علي الامر القليل والحق في المسيلة انه اي الشان ان اريد بالصبر ما كان الصبر بتلذذ فلا تعدد كما سبق بيانه وان الصبر حينيذ هو الشكر وهو اي الصبر المطلق من غير التلذذ المحض علي البلا اجر منه علي الرخا كما مر في كلام الجنيد من طريق الاحياء وهو اي وهذا الصبر هو المراد بما ورد من انه افضلها او نيم اليقين وعزيمة الصبر وقد تقدم يوتي يوم القيامة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتي باصبر اهل الارض فيقال له اترضي ان نجزيك

كما جزينا

كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله عز وعلا انعمت عليه وفي نسخة الاحيا كلما انعمت عليه فشكروا بتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر كذا في الاحيا وقال مخرجه لم اجد له اصلا لكن انتهى معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وروي يوتي باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل كذا في تفسير البغوي والا اي وان لم يرد ما كان الصبر بتلذذ فالشكر الذي يتضمن ركنيه وهما وهو اي المحبة اعلا المقامات وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الام الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر كما ذكره الترمذي من حديث ابي هريرة فهو دليل علي ومما يدل علي فضيلة الفقر ما رواه الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبيا كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما وروي البزار من حديث انس اخر من يدخل الجنة من اغنيا امتي عبد الرحمن بن عوف

الباب الثامن عشر في الخوف والرجا

وهما جناحان للسالك يطير بهما الي كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كوود فلا يقود الي قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا لا رجا الا بازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الا سياط التخويف وسطوات التعنيف وقد دخل عليه السلام علي رجل وهو في النزع فقال

عليه السلام كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي
فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله
ما رجا وامنه مما يخاف رواه الترمذي وغيره باسناد جيد ومن هنا
قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ليكونوا بين الرجا والخوف وفي تقديم الرجا ايما الى ان الوصول
به ارجى كما لا يخفى وكذا قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فكان حق المص ان يقدم
الرجا وانما اخره كما في الاحيا لان الخوف حال اهل الابتدا بخلاف
الرجا فانه مقام اهل الانتها ومما يدل على استواء الامرين
حديث القلوب بين اصبعين ومما يدل على ترجيح الرجا حديث
غلبت رحمتي غضبي وفي الجملة لابد للمومن اجتماعهما وعدم
انفكاك احدهما فلابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه
وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلا لا اجمع على
عبدي خوفين ولا اجمع له امنين بسم الله الرحمن الرحيم
رجا كل خائف من العذاب الاليم الخوف للسائرين والرجا للطائرين
في منازل السالكين خاطران عاطران وفي اصلهما عارضان
وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين وانما يسمى
الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا
يوشك والا فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب
على القرب وهو جار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه
بتقليب الرب ثم اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه من الخوف

لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر
ذلك بملكين له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر رجا ثوابه
واذا كان الخوف والرجا خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار
عليهما فلا تكليف الا في مقدماتهما وهي ذكر الايات والاحاديث
التي تبعث الانسان على الخوف والرجا فمقدمات الخوف اربع
ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة
للانسان بها في العاقبة وذكر ضعف النفس عن احتمالها وذكر
قدرة الله على الانسان متى شا وكيف شاء في احوالها ومقدمات
الرجا اربع ايضا ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل وذكر
ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابه دون استحقاقك
اياه بالخدمة في جنابه وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى
وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه فهو بالرجا اولى
واحرى ثم هما مبنيان انتظار ما يستقبل من الثواب والعقاب
فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجا فرح يلحق لتوقع المحبوب
فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت بل ابو الوقت فانه الغالب
عليه واما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه والحاصل
انه مشتغل بما هو اولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا
من المقت فيبعد منهما اي الخوف والرجا وفي نسخة فيبعدهما
فالرجا الفرح لانتظار محبوب فلابد من سببه وباعث لتحقق
انتظار المطلوب فان حصل اكثر الاسباب اي اسباب حصوله
لديه فالاصدق اسم اسم الرجا ووصوله عليه كتوقع الحصاد ممن

القى بذرا جيدا نقيا عفن ولا مسوس في ارض صالحة للزراعة
بان تكون غير سبخة يصلها الماء على سعة وان فقد اكثر الاسباب
فالغرور والحماقة اصدق عليه من اسم الرجا لصاحبه في هذا الباب
كما لو القى بذرا تالفا في غير صالحة من ارض لا يصلها الماء الا مرة
وان شك فيهما اي في كثرة الاسباب للحصاد بان حصل بعضها
دون بعضها فالتمني اصدق عليه من اسم الرجا كما اذا اصلحت
الارض مع القا البذر الجيد ولا ماء لاحتمال وصول ماء من السماء
وتوضيحه ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان
كالبذر والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر
الانهار ونحوها والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق بحبها
وذكرها كالارض السبخة التي لا ينمو البذر فيها ويوم القيمة يوم الحصاد
ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقل
ما ينفع الايمان من خبث الجنان وسو الاخلاق ومساوي العصيان
فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه
الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع فالعبد
اذا بث بذر الايمان وسقاه بما الطاعات وطهر القلب من شوك
الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الممات
وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان
انتظاره رجاء حقيقيا وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات
وترك القلب مشحونا بالاخلاق السيئات وانهمك في طلب اللذات

والشهوات

والشهوات والملهوات ثم انتظر المغفرة وعلو الدرجات فانتظاره
حمق وغرور في الحالات وورد ان الذين امنوا والذين هاجروا
السيئات واللذات وجاهدوا في سبيل الله بتكثير الطاعات اولئك
يرجون رحمت الله اي هم الذين يستحقون ان يرجوا رحمة ربهم بخلا ف
من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة
والرجوع اليه فرجاوه المغفرة حمق وغرور كما قيل الغرة بالله
ان يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته عز وعلا وكما ورد الا حمق
من اتبع نفسه هواها وطالبها في طلب مشتهاها وتمنى على الله ان
يدخل الجنة ومأواها والحديث تقدم وقال يحيى بن معاذ الرازي
من اعظم الاغترار عند التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة
وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر
النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزا من غير عمل
والتمني على الله عز وجل مع الافراط في الامل وانشد •
• ما لدينك ترضى ان تدنسه • وثوبك الدهر مغسول من الدنس •
• ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها • ان السفينة لا تجري على اليبس
وقد ورد ان زيد الخيل الذي غيره عليه السلام وسماه زيد الخير
جاء عليه السلام وقال جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير
واهله واذا قدرت على شي منه سارعت اليه وايقنت بثوابه
واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة
الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي

او دينها هلكت رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود فمن ارتجي
ان يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور من وادي
الملامات وعن علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة تبتلا
عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات اما حسن الظن
بالله حيث يقول انا عند ظن عبدي بي كما رواه الشيخان وزاد
ابن حبان فليظن بي ما شاء وعنه عليه السلام لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله كما رواه مسلم من حديث جابر انما يكون
بالحذر عن المعصية والاجتهاد في الطاعة فلا بد منه للسالك
اي من حسن الظن وعليه الرجا فهو يبعث على الطاعة وترك
المعصية ويهون احتمال المشقة في ورد المصيبة والمحنة
والقنوط وهو ضد الرجا كفر قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وهو بمعنى الياس فورد في
التنزيل لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ⁂ وورد انه عليه
السلام قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم
الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبريل
فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم ورجاهم
وشوقهم رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة واوله
متفق عليه من حديث انس وقال علي كرم الله وجهه لرجل اخرجه الخوف
الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا اياسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك
وعنه رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا
يؤمنهم من مكر الله وللبيهقي في الشعب عن زيد بن اسلم ان رجلا

من بني

من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى
يوم القيامة اليوم اؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها
وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من
يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك فقال
اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك
فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ولابن ابي الدنيا والبيهقي في شعبه
من حديث انس مرفوعا ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف
سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب
فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله كيف وجدت
مكانك فيقول شر مكان فيقول الله تعالى بما قدمت يداك
وما انا بظلام للعبيد ردوه الى مكانه قال فيمشي فيلتفت الى ورائه
فيقول الله عز وجل الى اي شيء تلتفت فيقول رجوت ان لا تعيدني
اليها بعد ان اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة ١٨٥
فدل هذا على ان رجاء النجاة والطريق الموصل الى تحصيل الرجا ذكر
ستة اشياء ذكر سوابق فضله في ايجاد العبد وامداده من جوده وكرمه
دون شفيع اي بلا شفيع من عنده وما وعد الله من جزيل ثوابه
في كتابه دون استحقاق سابق في بابه مع انه لا استحقاق للمملوك
على المالك بشيء من حسابه وما انعم على عبده من الرزق والعافية و
توفيق الطاعة بما يعم نفعه في الدارين من عنده دون سؤال
اي من غير مسالة سابقة من عبده وسعة الرحمة قال تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة لو علم الكافر

سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد وسبقتها الغضب فورد رحمتي سبقت
غضبي وفي رواية غلبت وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان الله
كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وما ورد
فيه اي في فضل الرجا من الكتاب والسنة مثل لا تقنطوا من رحمة
الله الاية اي ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث اسماء بنت
يزيد وحسنه انا عند ظن عبدي بي كما تقدم والله اعلم وكان ابو
جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب
الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب
الله ولسوف يعطيك ربك فترضى انتهى وذلك لما ذكر في تفسيره
انه عليه السلام قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار اي مؤبدا
وكان بعض العارفين يرى اية المداينة في سورة البقرة من اقوى
اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا كلها قليل
ورزق الانسان فيها قليل والدين من رزقه قليل
فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهتدي بها عبده الى
طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض
له منه في دنياه وعقباه وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام اني اجعل
حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك
فيهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى وللبيهقي

في شعبه من رواية عقبة بن الوليد ان الخليل قال يوما يا كريم العفو
فقال جبريل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات
برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه ولابن ابي الدنيا من حديث حذيفة
مرفوعا ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت
قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي
الصحيحين من حديث ابي هريرة ان لله تعالى مائة رحمة ادخر
منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة
يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على
ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين
ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين
قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وللترمذي من حديث
انس وصححه وابن ماجة من حديث جابر شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني
اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال ابن ادهم خلا لي المطاف
ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني
حتى لا اعصيك ابدا فهتف هاتف من البيت يا ابراهيم انت
تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم
فعلى من اتفضل ولمن اغفر ويؤيده حديث لو لم تذنبوا لذهب
الله بكم وجاء بخلق اخرين يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم
رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان الحسن يقول لو لم يذنب
المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب ولوبده

حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب فقيل ما هو
قال العجب رواه البزار وابن حبان والبيهقي من حديث انس وقال
الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين
ويؤيده قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجا
هلين وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص
وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد
على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكان بعض
السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت
نعمك عليهم سابغة وارزاقك عليهم دارة سابغة سبحانك
ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى
لكانك ربنا انما تطاع وسبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق
وتسبغ النعمة حتى لكانك يا ربنا لا تغضب والخوف عطف
على الرجا وهو الحزن لانتظار مكروه وهو تألم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع
الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام وصار ابن وقته و
مشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من
الايام فلم يبق له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا
فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها وبهذا
اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد
وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيهما فضلة لرجا

ولا خوف

ولا خوف في الضمائر ويؤيده ظاهر قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وهذا بالنسبة الى الخواص واما بالنسبة
الى الصلحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم
يحزنون بفوت الثواب في العقبى وبالجملة فالمحب اذا اشتغل قلبه
في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصا في شهوده وانما
دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات لكن الكلام
الان في اوائل الحالات فنقول للخوف اسباب ينشأ منها ويصدر
عنها كما قال فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى فانه عز وجل لا يسال
عما يفعل ومن عزته في صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال
من احد ولم يمنعه مانع لوحدة ذاته فورد في حديث مشهور
ان الله تعالى لما خلق ادم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته
فقبض قبضة فقال هولاء في الجنة ولا ابالي وقبض اخرى فقال
هولاء في النار ولا ابالي اي لا ابالي من ملامة احد اذ لا يجب
على الله شيء لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي او من
الطاعة والمعصية اي او المعنى لا ابالي من طاعة مطيع ولا من
معصية عاص فانه كما ورد لو عذب اهل سمواته وارضه لكان
عادلا في حكمه غير ظالم في امره او لا ابالي لعدم تأثير الاثابة و
التعذيب في زيادة ملكي ونقصانه كما في حديث مسلم عن ابي ذر
مرفوعا حكاية عن الله سبحانه يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص

ذلك من ملكي شيئا او لا ابالي لانى متصرف في ملكي افعل ما اشاء واحكم
ما اريد بالعدل ولاني متفضل غير مائل في ادخال الجنة عادل غير جائر
في ادخال النار لما تقدم او الجهل اي والخوف هو الحزن للجهل بالخاتمة
وهو اي خوف الخاتمة للمتقي اغلب لانه بحسب معرفته بعيوب
نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه فاخوف الناس لربه اعرفهم
بنفسه وبربه ولذا قال عليه السلام والله اني لاخشاكم لله واتقاكم
له رواه البخاري من حديث انس وللشيخين من حديث عايشة
والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وقد قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء والاعلى من انواع المخافة وادلها علي
كمال المعرفة ان يكون الخوف من سابقة الازل لان الخاتمة اللاحقة
تتبع المقدمة السابقة فالخاتمة في هذا الباب تظهر بما سبق
به القضا في ام الكتاب فالالتفات الي القضا الازلي الذي
جري بتوقيعه القلم اعلي من الالتفات الي ما يظهر في الابد بعد
ما كان في حيز العدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال علي
المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل
الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن
اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم
ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل
الشقاوة حتى يقال كانهم بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم
بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد
من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم

رواه

رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن
صحيح غريب وفي رواية السعيد من سعد في بطن امه والشقي من
شقي في بطن امه رواه البزار وغيره بسند حسن ومن هنا خوف
الكاملين حيث لم يعرفوا انهم من اي القبضتين ومن اي الفريقين
المذكورين في قوله تعالي فريق في الجنة وفريق في السعير
وفي قوله عز وعلا فمنهم شقي وسعيد وقوله عز وجل فمنكم كافر
ومنكم مومن وقوله سبحانه اما شاكرا واما كفورا او اما بالكسر
عطف علي قوله اما من العلم الي اخره والمعني ان الحزن لانتظار
مكروه اما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في
مرتبة عظمته واما من المعاصي اي من جهة كثرة المعصية الصادرة
من العبد في حال غفلته وغرته ويختص الخوف من المعصية
بموضع الغرور عند المواظبة علي الطاعة بخلاف الاول اي يختص
هذا الخوف ويتميز من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يغتر
بمواظبته علي الطاعة فيعلم انه هنا كان من المعاصي لا من عدم المبالاة
لان خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند
المواظبة علي الطاعة وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الي
من يخاف من معصيته وجنايته والي من يخاف الله تعالي بنفسه
لعظمته وجلالته فهذا اعلي رتبة واعلي منزلة ولذا يبقي خوفه
وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور
والامن ان واظب علي الطاعات وداوم علي العبادات فالخوف
من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين وا لصديقين

وهو ثمرة المعرفة بالله فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو
جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته
لخاف الله ولم يخف من معصيته اذ لولا انه مخوف في نفسه لما سخره
للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام اسبابها فان تيسير
اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق
بها ان يسخر للمعصية وتجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من تيسرت له الطاعات وتمهد له سبل القربات
فالعاصي قد مضى عليه بالمعصية شاء ام ابى فكذا المطيع حسب
ما قدره الله وقضى فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى
عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل
في اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده جدير
بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه
ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة
التامة تصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه
ارادة قوية جازمة والاسباب والقدرة التامة تصير
الفعل ضروريا والا فكان الفعل ضروريا بعد الارادة والقدرة
ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه
بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر
وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه وكيف يحال ذلك على
العبد وينسب اليه واذا كانت الحوالة ترجع الى القضا الازلي
من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شا ويحكم

بما يريد

بما يريد جزم عند كل مريد طالب المزيد ثم الخوف عند سكرات الموت
وشدته وما بعده اما من السؤال في القبر من منكر ونكير او عند
الموقف من تغير وتطهير او العذاب في القبر او من هول المطلع او
هيبة الموقف والحيا من كشف الستر او من زلة الصراط او حدته
وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال او العذاب في النار وما فيها من
الاغلال والانكال والاهوال او فوت الجنة دار النعيم والملك المقيم
ونحوها من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات واعلاها رتبة
هو خوف الفراق والحجاب فانه اشد العذاب عند ارباب الالباب
وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين
والزاهدين وكافة المعاملين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح
لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف
لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا في
باطنه وتعجب منه في نفسه قال ذو النون خوف النار عند خوف
الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وتختلف الاثار للخوف بحسب
اختلاف انواعه في الاسرار فمن خاف استيلا العادة في اتباع
الشهوات المالوفة بالارادة واظب على تركها او داوم على خلافها
ومن خاف اطلاعه تعالى على السراير اشتغل بتنقية السر وتطهير
القلب من الوساوس في الضماير فاعتبر وقس على هذا انواع اخر
وهي من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ومن خاف هجوم
الموت قبل التوبة بادر اليها ويوثر الخوف في البدن بالهزال اي
النحول باذابة اللحم والشحم والصفرة باللون المصحوب بالكدرة وا لضعف

في القوي والبكا الصادر عن الخشية واذا كمل الخوف يودي الي
الجنون بان يصعد الي الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث
القنوط والياس ويفضي الي الموت بان تنشق به المرارة وهواي
الموت من خوف الله شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد لقوله
عليه السلام طوبي لمن طال عمره وحسن عمله وقد تقدم واعلم ان معني
كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو
مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة
واما بالاضافة الي بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيل
امره فليس بفضيلة بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة و
الترقي في درجات المجاهدة في كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولذا
ورد يوزن مداد العلما بدما الشهدا فيرجح مداد العلما ولولا هذا
لكان رتبة صبي يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلي من رتبة نبي
او مغولة ولي يموت حتف انفه وهو محال والحاصل ان اقصى درجات
الخوف ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه
متسع لغير الله وذلك مع بقا الصحة والعقل فان جاوز هذا الي
ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه ان كان قدرة لديه
ولذا كان سهل يقول للمريد من الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا
عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل ويؤيده ما اشتهر علي لسان
العامة ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه وكذا يوثر الخوف
في الجوارح فيكفها عن السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا
لما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ولذا قيل ليس الخائف

من يبكي

من يبكي ويمسح عينيه بل الخايف بل يترك ما يخاف ان يعاقب عليه
وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله
هرب اليه وقيل للذي النون متي يكون العبد خائفا قال اذا نزل
نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام ومن غلب
عليه خوف الله خافه كل شي مما سواه ولابي الشيخ ابن حبان
وابن ابي الدنيا حديث من خاف الله خافه كل شي كما كان هذا المقام
المعز لعمر رضي الله عنه فورد ان الشيطان ليفر من ظل عمر كما مر وكذا يوثر
في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير المعاصي محبوبة
عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف
سما فيه والاعلى في مراتب الخوف ان يدهشه الخوف ويذهله عن الاشيا
اي رويتها ويغفله عما يجري علي الاعضا من حركتها فلم تؤثر الاشياء
فيه اي في الخايف للغيبة عنها اي لغيبة الخايف عن الاشياء والغفلة
عنها كما كان عليه السلام حيث قصده الشيطان وهو في الصلاة
فاحترق اي الشيطان فاذا كان الامر كذلك فلا بد للسالك منه
اي من الخوف هنالك فهو اي الخوف يزجر النفس ويمنعها عن
المعصية وارتكابها وينفي العجب ويدفعه عن الطاعة واكتسابها
فاقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال المورثة للاحوال
ان يمتنع من المحظورات ويسمي الكف الحاصل منها ورعا فاذا ازدادت
قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن
ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوي اذ التقوي ان يترك ما يريبه
الي ما لا يريبه وقد يحمله علي ان يترك ما لا باس به مخافة ما به

باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة
فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يصرف الى غير الله
نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا
واما الخوف الذي يجري مجرى رقة النسا كما يخطر بالبال عند
سماع اية من القران فيورث البكا وكذا عند مشاهدة سبب
هايل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة
عن خوف الرب فهذا خوف قاصر قليل الجدوى وهذا حال الناس
كلهم الا العارفين والعلما الراسخين ولست اعني بالعلما المترسمين
برسومهم والمتسمين باسمايهم فانهم ابعد الناس من الخوف
لما فيهم من العجب والغرور بل العلماء بايات الله وصفاته وافعاله
في مصنوعاته وذلك مما قد عز وجوده الآن كالكبريت الاحمر
في سالف الزمان ولذا قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت
فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واما الخوف المفرط وهو
الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط فهو مذموم
ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف هو الحمل على العمل واذا تحقق
الياس له فهو كفر منه لانه اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه
في زلته والامن وهو ضد الخوف كفر ايضا لانه يدل على اعتقاد عدم
قدرته وفقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته
وعبادته فورد في التنزيل لا يامن مكر الله الاية اي الا القوم الخاسرون
اي الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
بالكفر والمعصية والطريق الموصل الى تحصيل الخوف شيان النظر

في

في صفاته تعالى الجلالية القهار والمنتقم والجبار وافعاله في مصنوعاته
من معاملاته مع طوايف الكفار فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته
على خشيته بمشاهدة عظمة الله وعزته فورد في التنزيل انما يخشى الله
من عباده العلما لانهم العارفون بصفاته الخايفون منه بحسب ذاته
انا اعلمكم بالله واخشاكم له حديث متفق عليه وذكر الذنوب السابقة
والخصوم المتعلقين به يوم القيامة في الاحوال اللاحقة وشدة العذاب
بعد مناقشة الحساب وضعف النفس عن العقاب والحجاب وما ورد
فيه اي في فضل الخوف من الكتاب والسنة واقوال السلف واحوالهم
في هذا الباب اما الكتاب فقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ولمن خاف
مقام ربه جنتان وخافوني ان كنتم مومنين سيذكر من يخشى وهم
من خشية ربهم مشفقون واما السنة فقوله عليه السلام راس الحكمة
مخافة الله رواه البيهقي في شعبه من حديث ابن مسعود وقوله
لعايشة لما قالت يا رسول الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق
ويخاف ان لا يقبل منه رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وقوله
عليه السلام ما من مومن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل
راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيا من حر وجهه الا حرمه
الله على النار رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن
مسعود وقوله اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت
عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها رواه الطبراني والبيهقي

في شعبه من حديث العباس وقوله لا يلج النار احد بكى من خشية الله
حتى يعود اللبن في الضرع رواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله
لعقبة بن عامر حيث سال ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك
لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقد تقدم وقوله
ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع جرت من خشية الله او قطرة
دم اهرقت في سبيل الله رواه الترمذي من حديث ابي امامة
وحسنه وقوله اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان بذروف
الدمع قبل ان تصير الدموع دما والاضراس جمرا رواه ابو نعيم
في الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن وقوله سبعة يظلهم الله
يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه
رواه الشيخان وعن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون
وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا
من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عليه السلام واخذنا
في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نافقت حيث
تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي
نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر فقال كلا لم تنافق فدخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة نافق حنظلة
فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنت
عندك فوعظتنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون
وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت

ما كنا عليه

ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم
الملائكة في الطريق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة
رواه مسلم واما الآثار فقال ابو بكر الصديق من استطاع ان
يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكانه اخذه من قوله
تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن قوله ويبكون ويزيدهم
خشوعا ومن قوله افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا
تبكون ومن قوله خروا سجدا وبكيا وكان محمد بن المنكدر اذا
مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول بلغني ان النار لا تاكل
موضعا مسته الدموع وقد تقدم في الحديث ما يساعده وقال
عبد الله بن عمرو ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده
لو يعلم احدكم ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر
صلبه وقال صلبه وابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين
بمائها من خشية الله الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم
القيامة فان سالت دموعه اطفا باول قطرة منها بحارا من
النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال كعب
الاحبار والذي نفسي لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على
وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله
بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب من ان اتصدق بالف دينار
وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير اي وحفظه
من كل شر وضير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له
بابا من الحكم والعبرة ما رايته قط وقال ذو النون من خاف الله

تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه اي عقله وقال ذ والنون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجا فاذا غلب الرجا تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الناس غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقال ابو الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب واختلف في ان الرجا للعبد افضل من الخوف ام الخوف افضل له من الرجا والحق من القول عدم الانفكاك لاحدهما عن الاخر اذ لو عدم احدهما لصار امنا عند عدم الخوف او قنوطا عند عدم الرجا لان الرجا بلا خوف امن والخوف بلا رجاء ياس وكلاهما ممنوعان بنص القران والحق الاعتدال في غالب الاحوال وايضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا ويدعون ربهم خوفا وطمعا نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما يجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه فشرطهما اي شرط وجودهما عدم القطع في كلاهما فالامن والقنوط ينافي عدم القطع في كلاهما فالامن والقنوط ينافي عدم القطع فلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف هجوم الاجل لان امرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه فلا يطلق اسم الرجا والخوف

الاعلى مشكوك يتردد منه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لا محالة يتقابلان نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة وكذا بالعكس والرجا افضل من حيث هو هو اي مع قطع النظر عن صاحبه انه في اي مقام هو من مقامات المقتربين او المنتهيين من المريدين في طريق المجتهدين او المريدين في امر الدين فهو اي الرجا طريق المحبة وسبيل المحبين وهو افضل المقامات واكمل الحالات وورد سبقت رحمتي غضبي وقد تقدم وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغي ان يكون الرجا اغلب على الخوف وتوضيحه ان الخوف والرجا دواءان تداوي بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب على العبد هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان الاغترار اغلب على القلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لا حظ وهو من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طالب الرب واما الخوف فمستنده

الي الالتفات الي الصفات التي تقتضي العنف والنقمة فلا تمازجه
المحبة ممازجة الرجا وهو اي الرجا الافضل من الخوف والمفهوم من
الاحياء انه الاصح كما في بعض النسخ هنا ولعله الصحيح وانما يكون
الرجا اولي من الخوف ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي
الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة او اقتصرت النفس علي الفرايض
دون الواجبات والسنن المؤكدات او ضعف بالمرض والكبر واشرف
علي الموت اي قاربه الموت فان الافضل حينئذ هو الرجا ليموت
بزيادة وصف الرجا علي المحبة الناشئة من كثرة الرجا والخوف افضل
واصلح واولي من الرجا في مقام الدوام ان غلب التمني واعتاد صاحبه
المعاصي لقلة خوفه والاعتدال بين الخوف والرجا انسب واقرب
ان اتقي ظاهر الاثم وباطنه اي جليه وخفيه ولذا قيل لو وزن
خوف المومن ورجاوه لاعتدلا وروي ان عليا كرم الله وجهه
قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا تري انك لو اتيته بحسنات
اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء تري انك لو اتيته
بسيئات اهل الارض غفرها لك ولا يعرض من الاعراض اي ولا
يعدل المتقي المذكور عن الاعتدال بمعارضة كثرة اسباب الرجاء
من الاعمال فكان عمر رضي الله عنه مع كمال تقواه وكثرة اعماله يقول
لو لم يدخل الجنة الا واحد من المومنين ارجو ان اكون اياه اي ذلك
الرجل ولو لم يدخل النار الا واحد من الخلق ارجو ان اكون اياه وهذا
عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء
ولكن علي سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي

ان يساوي

ان يساوي خوفه رجاه واما العاصي اذا ظن انه ذلك الرجل
استثني من دخول النار كان ذلك دليلا علي ما فيه من الاغترار
وتفسير التحرز عطف بالمعني لان الفا في قوله فكان عمر لتعليل
المعني فالتقدير لانه كان عمر ولتفسير الاحتراز علي المعاصي
الباطنة ويجوز عطفه علي قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة
معترضة وفيه جواب لسوال مقدر وهو ان مثل عمر لم ينبغي
ان يساوي خوفه رجاه بل ينبغي ان يغلب رجاه خوفه
فاشار الي ان شروط صحة الايمان علي وجه الحقيقة من الامور
الدقيقة فانه لابد للقلب ان يكون نظيفا من الشرك
الخفي والنفاق والريا وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه
غامضة والافات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها من اللذات واللهوات كثيرة وان سلم القلب في الحال
عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها في الاستقبال فان كان
ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه علي رجايه لا محالة
كما حكي في احوال الخايفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي
القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوي خوفه ورجاوه فاما
ان يغلب رجاوه فلا ولقد كان عمر يبالغ في تفتيش قلبه و
تقلب حاله من المعاصي حتي كان يقول رحم الله من اهدي الي
عيوب نفسي وكذا كان يخاف من النفاق وخصال اهله حتي
غاية التقشر اي الي ان كان عمر يسال حذيفة بن اليمان
عن وجود اثر النفاق فيه اي عمر اذ كان حذيفة قد خصه

عليه السلام يعلم المنافقين وكان يسمى صاحب سر النبي عليه
السلام واحتمال زوال الاسباب اي ولاحتمال زوال اسباب
الرجا في المستقبل من الزمان فورد ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
وفي الاحيا زيادة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة
الا شبر قال في الاحيا وفي رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه
عليه الكتاب اي مكتوب الازل في علم الله او المكتوب في اللوح
المحفوظ او عند تولده في صحائف الملائكة الموكلة على حفظه
فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار وكذا من يعمل عمل اهل النار
والحديث رواه مسلم من حديث ابي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن
الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له بعمل اهل النار وللبزار والطبراني
في الاوسط سبعين سنة واسناده حسن وللشيخين في اثنا
حديث لابن مسعود ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل
بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة ثم سوء الخاتمة نعوذ
بالله منه اي من سوء الخاتمة وتغير الحال الذي من ذا يقدر على
تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي والريا في زوايا
القلب وان اعتقد نقا قلبه وصفا لبه عن مثله فمن يامن
مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفا غيبه عنه فان وثق بدء فمن
اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التي عليه
مدار سعادة العاقبة فاذا اقصى غايات المومن ان يعتدل
خوفه ورجاوه اما غلبة الرجا في اكثر الناس فيكون مستنده

الاغترار

الاغترار وقلة المعرفة وابن مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاوه
كامرء الخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم
غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع
الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى
الانهماك في المعاصي وطول الامل فان ذلك قنوط وليس
بخوف انما الخوف هو الذي يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات
ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعو
الى التجافي عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون
حديث النفس الذي لا يوثر في الكف عن السيئات والحث على
العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من جهة خالق البريات
وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار
الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده
بالخوف والرجا استقام في محجة ذوي الاستبصار وقال مكحول
النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو
مرجي ومن عبده بمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف
والرجا والمحبة فهو موحد صديق ثم سوء الخاتمة اما بالشك
والتردد في قبول الايمان او الجحود اي الانكار باصل الايمان ومحض
الكفران عند النزع اي نزع الروح حال سكرات الموت وظهور
اهواله الموجبة لتغير احواله فتنقبض روحه في حال شك القلب
او جحود الرب وذلك يقتضي البعد الابد والعذاب المخلد وذلك
الشك او الجحود انما ينتج لظهور بطلان بدعة يعتقدها في ذاته

سبحانه او صفاته او افعاله في مصنوعاته او بيانا ولها في اية من
اياته كان يعتقدها اي البدعة تقليدا ممن هذا حاله او تعويلا اي
اعتمادا علي مجادلة الكلام اي مجادلة الخصام بما يعول عليه من
اصول علم الكلام ويعتريه فيما بين الانام فهو اي وقت النزع
حالة الانكشاف اي انكشاف كل شيء علي ما هو عليه كما قال تعالي
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فقوله هو علة لظهور
بطلان البدعة واما قوله واعتقاد بطلان كلما اعتقده فمبتدا
وقوله او شكه بالجر عطف علي بطلان الثاني وقوله لهذا خبر المبتدا
اي واعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة او اعتقاد شك
كلها لهذا السبب وهو ظهور النزع اي صار هذا الظهور سببا
لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او سببا لاعتقاد
شك الجميع ويجوز كون قوله وشكه مرفوعا عطفا علي قوله و
اعتقاد قيل وهو الارجح يعني اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب
او شك الجميع لهذا الباعث والاظهر عندي انه فعل ماض عطف
علي اعتقده فتامل ثم حاصل كلامه انه جواب سوال مقدر يترتب
علي قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السوال فان قلت ظهور
بطلانها انما يوجب الشك او الجحود في نفسها فقط دون بقية
الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار
انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او الشك
فيها كلها فكيف يتصور سوء الخاتمة بها في بدعة واحدة فاجيب
بما تقدم وتوضيحه ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده

وقد كان

وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه اذ كل ما
اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله وبرسوله
وساير اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة
الصريحة فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا
لبطلان بقية اعتقاداته او باعثا لشكه فيها فاذا اتفق
زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الي اصل
الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه علي الشك والعياذ
بالله منه فهولاء هم المرادون بقوله تعالي وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وورد في التنزيل قل هل ننبئكم بالا
خسرين
اعمالا الاية اي الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا والمعاملة اي حسنها لا ينافيه اي لا تعارض
سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وساير الاعمال
الصالحة فانها لا تكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد
الحق والبله جمع ابله بمعزل عنه اي عن خطر سوء الخاتمة فانهم
هم الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا
كالاعراب والعجايز وساير العوام الذين لم يخوضوا في البحث
والنظر العقلي استدلالا ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا
اصغوا الي اصناف اهل الكلام في تقليد ارايهم المختلفة التي تقتضي
ضلالا واضلالا ومن ثم ورد اكثر اهل الجنة البله رواه البزار من حديث
انس ولذا منع السلف الكرام من البحث والنظر والخوض في الكلام
والتفتيش عن هذه الامور بالتمام وامروا الخلق ان يقتصروا

على ان يومنوا بما انزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم من الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كوود ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في ابتداء النشو آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير موكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة و عليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالراي والمعقول وفي تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبايعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه ذي الجلال انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو ايمان وعرفان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين وستعلمن نباه بعد حين كما قيل

سوف ترى اذا انجلى الغبار ۝ افرس تحتك ام حمار ۝

ويشتد في حق هولاء عند كشف الغطاء ۝

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ۝ ولم تخف سوء ما ياتي به القدر ۝
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ۝ وعند صفو الليالي يحدث الكدر ۝

واعلم يقينا ان كل ما فارق الايمان الراسخ بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما في الاحياء او سوء الخاتمة يقع بمعاداته تعالى وهو من اضافة المصدر الى مفعوله لعلمه اي لمعرفة العبد بتقريبه تعالى اياه اي للعبد من الدنيا وتالم القلب اي ولتوجعه بفواتها اي بفوت الدنيا ولذاتها وكان يستولي حبها عليه اي على قلبه ولضعف ايمانه بالله وبما لديه ولا يكون من ذكره تعالى فيه الا حديث النفس المحظور اليه وهواي والحال ان قلبه اسود من تراكم ظلام الرذائل من سوء الاخلاق والشمائل فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمدا وهلك هلاكا مؤبدا ولا يظلم ربك احدا فورد في التنزيل قل ان كان اباوكم وابناوكم الاية اي وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين او سوء الخاتمة يحصل بامر دنياوي كان يحبه العبد فاحتجب عنه تعالى شغلا لذلك العبد به اي بالامر الدنيوي مما اعتاد وترسخ اي ثبت في القلب لا ينسى في النوم ويعرف هذا

بمثال وهو لا يخفى عليك ان الانسان يري في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يري الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فان المراهق الذي لم يحتلم لا يري صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظه يري من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذي مضي عمرهم في التجارة والتاجر يري من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر له في حالة النوم ما حصل له من مناسبة مع القلب بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم واما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي بذكر تذكر المالوفات من الطاعات او السيئات او اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ويشير اليه قوله تعالى كما بدأكم تعودون وطول المواظبة على الخير وتخليته الفكر عن الشر عدة وذخيرة بحالة سكرات الموت وساعات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذا قيل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة زيادة وهو اي الاحتجاب المذكور وسائر الامور لكثرة المعاصي مع قوة الايمان او قلتها مع ضعفه اي لقلة المعاصي مع ضعف الايمان وهذا الحجب المذكور او القسم المسطور من اقسام سوء الخاتمة لا يوجب الخلود في النار بخلاف الاولين من اقسام سوء الخاتمة فانهما

يوجبان

يوجبان الخلود في دار البوار ومن ثم اي ومن اجل ان سوء الخاتمة يتحقق عند النزع يكره النجاة من الموت والبغتة المقتضية لبعض الموت لجواز اتفاقها اي اتفاق وقوع النجاة على خاطر سوء يكون سببا لسوء الخاتمة ويغبط الشهادة اي يحب ويتمنى لاستيلائه تعالى حينئذ على القلب واعراضه عن الدنيا واقباله بكليته على الرب وهو اي هذا المقام لمن يخلص في النية ولا يقصد الغلبة من اخذ البلاد وقهر العباد والغنيمة من الاموال النفيسة والخدام الانيسة والصيت بالجاه والريا والسمعة والعلاج للخلاص عن سوء الخاتمة المعرفة لنا منه من العلم النافع ولزوم الطاعة من العمل الصالح وتعجيل التوبة من المعصية والنوم على الطهارة ظاهرا وهو طاهر باطنا بان لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا رواه ابن السني عن انس وتنقية القلب اي تصفيته وتخليته من حب غير الرب وتلاوة القران غيبا ونظرا مع مراعات المباني وملاحظة المعاني وطلب العلم النافع من التفسير والحديث والفقه والتصوف فالامر اي امر سوء الخاتمة صعب اي شديد ومر ومن ثم يروى عن السلف من الصحابة والتابعين كثرة النوح والبكا مع زيادة التضرع والبكا في السر والضراء فقد قال الحسن البصري يخرج رجل من النار بعد الف عام يا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف سو الخاتمة وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني فثارت الشيعة عليه فجعل

يذكر من فضايل علي ومناقبه وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم
وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحي الله اليهما لم
تبكيان وقد امنتكما فقال ومن يامن من مكرك رواه الطبراني وغيره
وكانهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما علي غاية
الامور لم يامنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا
بهما حتي ان سكن خوفهما ظهرا انهما قد امنا من المكر وما وفيا
بقولهما هذا ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم
بروح الرجا لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجا للعا
رفين رحمة من الله لهم واسباب الغفلة رحمة علي عموم الخلق
من وجه وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن علي ايمانه ان يسلب
عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء
الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال
وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي فقيل يا ابا عبد
الله عليك بالرجا فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او علي
ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت علي التوحيد لم ابال ان القي الله
بامثال الجبال من الخطايا وفي رواية عنه انه قال بكينا علي
الذنوب زمانا والان بكانا علي الاسلام وكان سهل يقول المريد
يخاف ان يبتلي بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلي بالكفر وروي
عن عيسي عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون
المعاصي ونحن معاشر الانبيا نخاف الكفر وفيه تنبيه نبيه
علي ان خوف الانبيا قوي وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله

فالمعتقد

فالمعتقد ان الانبيا معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل
لكنهم كانوا خايفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شي علي الله
وان فعله اما العدل واما الفضل وقد قيل كان الخليل عليه
السلام اذا ذكرت خطيئته يغشي عليه ويسمع اضطراب قلبه
ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت
خطيئتي نسيت خلتي وعن الحسن لو اعلم اني بري من النفاق
كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وقد قال الحسن ان من النفاق
اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل
والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الامور
مالوفة بين الناس معتادة منسي كونها منكرا بالكلية بل جري
ذلك علي قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا
حتي قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة علي عهده عليه
السلام فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم اليوم عشر
مرات رواه احمد وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي
ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها علي عهده عليه السلام من
الكباير رواه البخاري وغيره وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره
من الناس ما تاتي مثله وان تحب كل شي من الجور وان تبغض
علي شي من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشي ليس فيه اعجبه
ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل علي هولاء الامرا فنصدقهم بما
يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا علي عهده
عليه السلام رواه احمد وسمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت

لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا
نفاقا على عهده عليه السلام واشد من ذلك ما روي ان نفرا
قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه وكانوا يتكلمون في شيء من شانه
فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا
فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام وكان حذيفة
يقول انه ياتي على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون
للنفاق فيه مغرز ابرة وياتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون
للايمان فيه مغرز ابرة ولعلهم ما عنوا به النفاق الذي هو ضد
الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان من بعض العصيان
والحاصل ان العارف بين المخافتين الى السابقة والى الخاتمة
اللاحقة خائفا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المومن بين
مخافتين بين اجل قد مضى ما يدري ما الله صانع به وبين
اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما
بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار
ذكره البيهقي وغيره وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين
خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان
من الدنيا وحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب
في طلب الفردوس قليل ويروى عن الصديق انه قال لطاير ليتني
مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت لو اني كشجرة
تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث
وقالت عايشة وددت اني كنت حيضة ونسيا منسيا وروي

اذ عمر

اذ عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه وكان
يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض وقال ليتني كنت مثل هذه
التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا
يا ليت امي لم تلدني وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع
ولما قرا عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت
خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة
سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك
لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند الى حايط فمكث زمانا
ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يعرفون مرضه وقال
علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كابة وهو
يقلب يده لقد رايت اصحابه عليه السلام فلم ارا اليوم شيئا
يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم
امثال ركب المعزي قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله
يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا امادوا
كما تميد الشجرة في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ٧١
ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين يعني من حوله ثم قام
فما روي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن
الحصين لوددت اني كنت رمادا تسفيني الرياح في يوم عاصف
وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش يذبحني اهلي
فياكلون لحمي ويحتسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر
لونه فتقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول

اتدرون

بين يدي من اريد ان اقوم وقرا مضر القاري يوما هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق انا كنا الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي
عليه وقال وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدي ابدا فاعني بتو
فيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على ان يسمع القران
من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف والاية فيصيح الصيحة
فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال
انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد علي القول ايها
القاري فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالاخرة وروي ان زرارة
بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرا فاذا نقر في الناقور
خر مغشيا عليه فحمل ميتا وسيل ابن عباس عن الخايفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت
وراانا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا
وبين يدي ربنا موقفنا وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله
الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال
الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هولا يعاينون
يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته
خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك في البيت فجاه عليه السلام
ودخل البيت فاعتنقه وخر ميتا فقال عليه السلام جهزوا
ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده رواه ابن ابي الدنيا
والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد وقال العنبري

اجتمع

اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم
من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران فويحكم ليس هذا
زمان حدثنا انما هذا زمان بكا وتضرع ودعا الغريق انما هذا ز مان
احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال
كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس
ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان
منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن
حالي اشد من حالهم وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخايفين
طول الخلود اما في الجنة او في النار وقال معاذ بن جبل ان المومن
لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراه وخلاصة الكلام
في هذا المقام ان غلبة الخوف حال الصحة اصلح ليبعثه على ترك
الغفلة وغلبة الرجا في تلك الحالة اصلح لانه اجلب للمحبة ولذا
قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه رواه
مسلم من حديث جابر ومن هذا لما حضر الوفاة سليمان التيمي قال
لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله حسن الظن
به وكذلك لما حضر الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلما حوله
يرجونه وقال الامام احمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي
فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك ان يحبب الله الى نفسه
وان يموت الى المحبة التي هي مقام انسه رزقنا الله من فيض قدسه

الباب التاسع عشر في الفقر والزهد

الفقر في الانبيا ودخر الاوليا والزهد زاد الاتقيا وقدم الفقر
علي الزهد بنا علي تقدم وجود اصله في كل مخلوق ونسله كما يشير
اليه قوله تعالي والله الغني وانتم الفقراء والزهد عارض من جهة
عدم ميله الي الغنا المضر لوصول نيله بسم الله الرحمن الرحيم افتقر
الي غني ربي الكريم وازهد عن غير لقاء مولاي العظيم الفقر عند
الصوفية فقد ما يحتاج اليه في ظن الفاقد مما لديه اما فقد ما لا
حاجة اليه فلا يسمي فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا
عليه لم يكن المحتاج اليه فقير واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل
موجود سوي الله سبحانه فهو فقير لانه محتاج الي دوام الوجود
في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده وان
كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو
الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحد
فليس في الوجود الا غني واحد وكل ما عداه محتاج اليه في
ايجاده وامداده والي هذا الحصر اشير في قوله تعالي والله الغني
وانتم الفقرا وهذا معني الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر
من المال علي الخصوص والافتقار العبد بالاضافة الي اصناف
حاجاته لا ينحصر فان فرح السالك بالفقد المذكور او بحصول
ما يحتاج اليه وكره الزايد علي الضرورة فيما لديه فزاهد اي فهو
زاهد وهذه الحالة حالة عليا وان لم يكره الزايد علي الضرورة
كراهة يتاذي بوصوله ولم يرغب في الزايد علي الضرورة رغبة
يفرح بحصوله فراض اي فاسمه راض ورب راغب في المال لا يخطر

بقلبه

بقلبه انكار علي الله ولا كراهة في فعل مولاه فتلك الكراهة هي التي
تحبط ثواب الفقر في عقباه وورد يا معشر الفقرا اي جماعتهم اعطوا
الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم د تتمة الحديث والا
فلا رواه الديلمي عن ابي هريرة ويكاد مفهوم الحديث يشعر
بان الحريص لا ثواب له علي فقره لكن العمومات الواردة في فضل
الفقر والقناعة والزهد تدل علي ان له ثوابا فلعل المراد بعدم
الرضا هو الكراهة بفعله سبحانه في حبس الدنيا عنه وان ترك
الطلب اي طلب الزايد علي الضرورة وهو قادر علي طلبه ولكن
تركه مع ان الوجود اي وجود المال الزايد عنده احب من عدم
وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يكون من طلبته
بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الي تعب
في طلبه لم يشتغل به فقانع اي فيقال له قانع اذ قنع نفسه بالوجود
حتي ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة في الوجود
وان رغب في الزايد لو وجد سبيلا الي طلبه ولو بالتعب لطلبه
وتركه للعجز اي وترك الطلب لعجزه عن طلبه او هو مشغول بالطلب
وتعبه فحريص اسمه وان اضطر اليه اي افتقر الي ما يحتاج اليه
وفقده ضر عليه كالجايع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب
فمضطر وصيغه كيف ما كانت رغبته في الطلب ضعيفة او قوية
وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة في الجملة والاعلي من
الفقرا ومن الزهد او اعلي احوال الخمس تسوية الوجود اي وجود
ما يحتاج اليه من المال والعدم اي وفقد ما يحتاج اليه فان وجده

لم يفرح من اتيانه ولم يتاذ عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عايشة
اذ اتاها مايه الف درهم من العطا فاخذته وفرقته من يومها
فقالت خادمتها لو ابقيت منها درهما تشتري لنا به لحما نفطر
به فقالت لو ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا
بحذافيرها في يده وخزائنها في تصرفه لم تضره اذ هو يري الاموال
من جملة خزاين الملك المتعال لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان
تكون في يده او في يد غيره وقد حملت خزاين الارض الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم والي ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في
مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال فهو
استغنا دون الغنا المطلق لاختصاصه اي الغنا المطلق به اي
بالحق تعالي شانه وينبغي ان يسمي صاحبه المستغني لانه غنا
عن فقد المال ووجوده جميعا وقد يقال له غني بغنا مولاه لخبر
ليس الغنا عن كثرة العرض انما الغنا غني النفس ثم هذا العبد
وان استغني عن المال وجودا وعدما لم يستغن عن اشيا اخر
سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقي استغناوه الذي
زين الله تعالي به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق
والمستغني عنه حر والله تعالي هو الذي اعتقه من هذا الرق
فهو محتاج الي دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق
والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن
فلهذا لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا
وهو اي الاستغنا المراد بما ورد من الكتاب والسنة في فضل

الفقر والفقرا كقوله تعالي للفقرا المهاجرين الاية وللفقرا الذين
احصروا الاية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر
علي وصفهم بالهجرة والاحصار وكقوله عليه السلام لبلال
الق الله فقيرا ولا تلقاه غنيا رواه الحاكم من حديث بلال
والطبراني من حديث ابي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا
وقوله تدخل فقرا امتي الجنة قبل اغنيايهم بخمسماية عام رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح وقوله الفقر زين
بالمومن من العذار الحسن علي خد الفرس رواه الطبراني من حديث
شداد بن اوس وقوله اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا
واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء رواه احمد من
حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث
اسامة بن زيد قمت علي باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين
واذا اصحاب الجد محبوسون وقوله تحفة المومن في الدنيا الفقر
رواه محمد بن حنيف الشيرازي في شرف الفقرا وللديلمي من
حديث معاذ بن جبل بسند لا باس به وقوله اخر الانبيا دخولا
الجنة سليمان لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن
ابن عوف لاجل غناه وفي رواية رايته دخل الجنة زحفا وللديلمي
عن ابي الدردا مرفوعا اوحي الله تعالي الي موسي عليه السلام
يا موسي اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وروي ان
عيسي عليه السلام مر في سياحته برجل نايم ملتف في عباه

فايقظه وقال يا نايم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت
الدنيا لاهلها فقال له قم اذا حبيبي ثم وقال عليه السلام يا رب
من احباوك من خلقك حتى احبهم فقال كل فقير يحتمل ان يكون الثاني
تاكيدا وان يكون المراد به شديد الفقر وكان عيسى عليه السلام
احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين ولابي الشيخ من حديث
انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني احبائي فتقول
الملايكة ومن احباوك فيقول فقرا المسلمين فيدنون منه فيقول
اما اني لم ازو الدنيا عنكم لهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان
اضعف لكم كرامتي اليوم تمنوا على ما شئتم ولابي نعيم في الحلية
من حديث الحسين بن علي اتخذوا عند الفقرا ايادي فان لهم دولة
يوم القيمة وللطبراني من حديث ابي امامة دخلت الجنة فسمعت
حركة امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت الى اعلاها فاذا فقرا امتي واولادهم
ونظرت في اسفلها فاذا فيها الاغنيا والنساء قليل فقلت يا رب
ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما
الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب ففقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن
ثم جاني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله
يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات فظننت اني
لا اراك فقلت ثم قال كنت احاسب بمالي ولابن ماجة بسند
جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة قالوا بلى يا رسول الله
قال كل ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله
لابره وللحاكم والترمذي من حديث عايشة انه عليه السلام قال

لها ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالسة
الاغنيا ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وعن ابن عباس ملعون من
اكرم بالغنى واهان بالفقير وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان
ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقرا من
اخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين
وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين وقال المومل ما رايت
الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس
الثوري وللدارقطني وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شي مفتاحا
ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر هم جلسا الله يوم القيمة
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا وفي رواية لمسلم كفافا ولابن ماجة من حديث انس ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا و
للديلمي يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فتقول
الملايكة ومن هم يا ربنا فيقول فقرا المسلمين القانعين بعطائي
الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون
والناس في الحساب يترددون اما ما ورد اعوذ بك من الفقر
كالنسائي من حديث ابي سعيد الخدري انه عليه السلام كان يقول
اعوذ بالله من الكفر والفقر وفي رواية للحاكم من الفقر والكفر
ونحوه من حديث كاد الفقر ان يكون كفرا وقد تقدم فمحمول على
الاضطرار بلا انضمام زهد في الاختيار وهو ان يضطر الى الشي و
يفقده لان هذه الحالة لا شك انها مشوشة او محمول على فقر القلب

فعن ذي النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وفي الجملة
كما هو شاغل عن المولى فهو شوم في الدنيا والاخرى ومن هنا ورد
اعوذ بك من شر فتنة الفقر وشر فتنة الغنا فان الفقر يكون منسيا
كما ان الغنا يكون مطغيا هذا وسنذكر فضل الزهد في محله الاتي واما
الاثار في الرضا والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضي الله عنه ان الطمع
فقر والياس غنا وانه من ييأس عما في ايدي الناس وقنع بما
في يده استغنى عنهم وفي دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني
وبارك لي فيه وقد قيل في القناعة • اضرع الى الله لا تضرع الى الناس •
واقنع بياس فان العز في الياس ٥ واستغن عن كل ذي قربى وذي
رحم • ان الغني من استغنى عن الناس ٥ وقال ابن مسعود ما من يوم الا
وملك ينادي من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك
انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين
في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم ما ينفع مال يزيد وعمر
ينقص وقيل لبعض الحكما ما الغنا فقال قلة تمنيك ورضاك
بما يكفيك ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال
له يا ابا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من
رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن العقبى
وروي ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم
لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا
اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها الى غيرك فانا محسن

اليك واختلف ان الفقر مع الصبر افضل من الغنا مع الشكر ام الغنا
مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص
والاكثرون الى فضل الفقر وخالفهم ابن عطا كما تقدم وقد استدل
عليه بان الغنا وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب
فانقطع ولم ينطق في هذا الباب واجيب ايضا بان التكبر من
صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قيل بل هذا
يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد
كالخوف والرجا وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيهما ولما ورد
الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال
سهل حب والبقا شرك في الربوبية ولا منازعة فيهما لانهما من
صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء
ثم التحقيق ان الفقر والغنا اذا اخذ مطلقا لم يشك من قرا
الاخبار والاثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين
احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة
الى غني ينفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما
فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من
الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخير خير من
الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغني افضل
من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب
بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا في غالب
الظن واما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور

ان يفضل علي الفقير الصائح وقد يشهد له ما سياتي من سوال الفقرا
عما يوهم ترجيح الاغنيا والحق الاختلاف بحسب الاشخاص بل
وتفاوت الاحوال كما يشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي
ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان
من عبادي من لا يصلحه الا الغنا ولو افقرته لفسد حاله وفي دعايه
عليه السلام اللهم وسع لي في رزقي عند كبر سني ومن هنا قيل
التسليم اسلم ومقام الرضا اتم والله اعلم ويؤيده قوله تعالى
عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
والله يعلم وانتم لا تعلمون فالفضل اي زيادة الفضيلة بقدر الفراغ
عن الشواغل اي الموانع عن تحصيل الفضايل والدنيا انما حذر
عنها اي عن حبها لشغل عنه تعالى بسببها وتوضيحه ان ما لا
يراد بعينه بل يراد لغيره ينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به
يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عايقة
عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه
فقد العايق عن الله سبحانه وكم من فقير شغلته الدنيا وحبها
وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد كاكثر ابنا الدنيا وكم من غني لم
تشغله الدنيا ولو اكثر في مالها وجاهها كسليمان عليه السلام وداود
وابرهيم وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وذلك لان غاية
المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد
معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر

فقد يكون

فقد يكون من الشواغل كما ان الغنا قد يكون من الشواغل كما يشير
اليه قوله عليه السلام اعوذ بك من شر فتنة الفقر وشر فتنة
الغنا كما تقدم وان الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع
معه حب المال في القلب والمحب للشي مشغول به سوا كان
في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون
في الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين فالمحروم منها مشغول
بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها اما في حق الاكثر
فالفقر افضل اذ هو ابعد عن الخطر في الشغل عن المولى والانس اي
وعن الاستيناس بالدنيا والقدرة اي وعن القوة على الشهوة
اذ فتنة السرا اشد من فتنة الضرا ومن العصمة ان لا تقدر ولذا
قالت الصحابة بلينا بفتنة الضر فصبرنا وبلينا بفتنة السراء
فلم نصبر ومن هنا قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال
اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وفي الخبر ان لكل
امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم رواه الديلمي من طريق
ابي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة وكان اصل عجل قوم موسى
عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوا المال والماء
والذهب والحجارة مما يتصور للانبيا والاوليا ثم يتم لهم ذلك
بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك اذ كان عليه السلام يقول
للدنيا اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها رواه الحاكم
وكان علي كرم الله وجهه يقول يا صفرا غري غيري يا بيضا غري
غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بهما

لولا ان راي برهان ربه الا في المضطر فليس الفقر افضل في حقه
لانه اي المضطر يموت جبرا اي خائبا عن الخير قهرا وقد يكون
ذلك كفرا والواجد بالنصب عطفا على الضمير وبالرفع على انه
مبتدا لخبره يحصل المعرفة والجملة حال الا من استثنا من المستثنى
اي الا المضطر لا يتوب عن المعاصي فالموت جبر له اي فالفقر الموجب
للموت جبر له اذ تقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن الم الاضطرار
وكذا في نفس الامر اي وكان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو
افضل في نفس الامر فورد اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين رواه الترمذي من حديث انس
وحسنه وابن ماجة والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد وفيه
مبالغة عظيمة في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم في
زمرتي وهو اما تواضع منه عليه السلام واما اراد بهم الا
نبيا والمرسلين لان اغلبهم كانوا فقرا ومساكين وفي رواية
للترمذي زيادة يوم القيامة فقالت عايشة لم يا رسول الله
قال لانهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا بلغ
عني خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة الفقرا من اصحابه
الكرام والمعنى اخبر عني قبلي الفقرا المرسلة لهم حيث ما جعلوا
اغنيا ان لمن صبر على الفقر واحتسب اي طلب من الله الاجر
منكم ومن امثالكم ثلاث خصال مختصة كلهم ليست للاغنيا واحدة
منها فضلا عن جميعها اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا اي قصورا
عالية ينظر اليها اهل الجنة كما تنظر اهل الارض الى نجوم السماء لا

يدخلها

يدخلها الا نبي فقيرا وشهيد فقيرا او مومن فقير وهو من لا يكون صاحب
نصاب والثانية تدخل الفقرا الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم
وهو خمسماية عام وهذه الجملة رواها الترمذي من حديث ابي هريرة
وصححه والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق
معها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها لمن جاء متعلق ببلغ
عني اي قال النبي عليه السلام لمن جا برسالة الفقرا فقالوا الفقرا
ان الاغنيا يجوز فتحها وكسرها يحجون ويعتمرون ويتصدقون
بفضول اموالهم ونحن عاجزون عن ذلك في تمام احوالهم وفي الاحيا
روي في الخبر ان الفقرا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبق الاغنيا بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات
في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما نال الاغنيا فعلم
الاغنيا بذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يوتيه
من يشاء قال مخرجه متفق عليه من حديث ابي هريرة ونحوه
انتهى وقال في الاحيا ايضا وقد استشهد ابن عطا بهذا ايضا
قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على
خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب
الغني وان فوزهم بذلك الثواب هو فضل الله يوتيه من
يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال بعث الفقرا رسولا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول

الفقرا اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند
قوم احبهم الله قال قالوا يا رسول الله ان الاغنيا ذهبوا بالجنة
يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا
بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال عليه السلام بلغ عني الفقرا
الحديث قال مخرجه هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى
ما رواه ابن ماجة من حديث ابن عمر اشتكى فقرا المهاجرين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم اغنياهم
فقال يا معشر الفقرا الا ابشركم ان فقرا المهاجرين لحبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم
وهو خمسماية عام ولان عطف على ورد فهو دليل ثان على ان
الفقرا افضل في نفس الامر وذلك لان الغنى سبب طول
الحساب وهو نوع من العذاب ولذا قال ابو الدردا ما احب ان
لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطيني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم
اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال
سوء الحساب ومن هنا قال شقيق اختار الفقرا ثلاثة اشيا
راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنيا
ثلاثة اشيا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب
والغرور اي وسبب طول الغرور في الامر الموجبة للحجاب
فقد قال بعض السلف مثل من تعبد وهو طلب الدنيا كمثل من
يطفي النار بالحلفا ومثل من يغسل يده من الغمر بالمسك وقال
ابو سليمان الداراني تنفس فقير في شهوة لا يقدر عليها افضل

من عبادة

من عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فراي
شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها
كلها في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر بن الحارث ادع
الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا
دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاك افضل من
دعاي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل
الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسنا وكانوا يكرهون
سماع علم المعرفة من الاغنياء فان عورض ما ذكر من ادلة
تفضيل الفقر على الغنا بان الغنا صفته تعالى والتخلق بالاخلاق
مندوب اليه كما ورد تخلقوا باخلاق الله وبان الغنا قادر على
العبادات المالية من الزكاة والحج والعمرة دون الفقير اي بخلافه
لم يعترض اي لم يقبل اعتراضه في الامرين فيهما لف ونشرهما مرتب
قوله لان الغنا بالاسباب والاعراض الواقعة من غير الاكساب
ليس من خلقه اي صفته تعالى كالتكبر عما دون استحقاق للغنى
والكبريا وذلك لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر
لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفاته اللايقة بذاته كما اوضحنا
فيما تقدم والعبادة اي ولان العبادة المالية انما توجب
الثواب في العقبى لترك الدنيا والاشتغال بخدمة المولى كالتوبة
في الدنيا توجب المثوبة في الاخرى لترك الذنب اي مخالفة
المولى فلو فضل الغنى على الفقير بهذا الاعتبار لفضل العاصي
على المتقي اي الطايع من الابرار وهو لا يصح عند اولي الاستبصار

وحقه اي حق الفقير الواجب عليه عشرون حقا ان لا يكرهه اي الفقر من حيث انه فعله تعالى شرعا وانكارها للفقير طبعا فالمحجوم يكون كارها للحجامة ولا يكره فعل الحجام الا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه سبحانه تقلد المحجوم اي لتقلده المنة من الحاجم ثم عدم الكراهة من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ويحبط ثواب الفقر وهذا معنى قوله والا يأثم اي وان لم يجبه من حيث انه فعله تعالى يأثم لعدم الرضا بالقضا وهو واجب على العباد شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من هذا المقام ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بفوايد الغني ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى وواثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه الرزق لا محالة عند المولى ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي كرم الله وجهه ان لله عقوبات للفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته ان يكون عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية والتسخط بالقضا وهذا اداب باطنه مع ربه ويستر اي وحق الفقير في اداب ظاهره ان يستر امره ويكتم فقره ويستر ايضا سره فقد قال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وروي من كنوز البر كتمان المصائب بالتجمل اي باظهار الجمال كانه صاحب مال كما قال صاحب هذا الحال • واذا تصبك خصاصة فتجمل وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند شدة الاحوال والتعفف

عن السوال

عن السوال واظهار الحال وقد وصف الله اصحاب الصفة من كمال الرجال بقوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي اظهار الغنى حال المحنة فورد ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال رواه ابن ماجة من حديث عمران بن الحصين ولا يتواضع اي وحق الفقير ان لا يتواضع لغني بالمال للغنا اي لاجل ما له من المال المستغني عن طلب الكمال من العلوم والاعمال فورد فيه اي في ذمه من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه رواه البيهقي وغيره وروى الديلمي من حديث ابي ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه انتهى وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان وجوارح وفي تعظيم الغني لا بد من استعمال اللسان والجوارح وفيه تنبيه نبيه على انه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه بل حق الفقير ان يترفع عليه اي على الغني استغناء بربه الغني المغني فورد انه اي التكبر على الغني المتكبر صدقة اي ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه في باب الفقر وفي رواية التيه مع التاهي فانه صدقة وعن علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء ورغب في مجالستهم فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت

عصمته واذا اسكن اليهم ضل سعيه وبحنته ولا يتوانى اي وحقه ان لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل في العبادة ولا يتكا بسبب فقره وقلة صبره ويتصدق بالفاضل اي وحقه ان لا يمنع ما يفضل منه من حاجته كطعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته ويدفع عنه حره وبرده وبيت يكنه ويستره فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غني فورد فيه اي في حقه ان درهما من الفقير افضل من مائة الف اي مائة الف درهم من الغني وفي رواية سبق درهم مائة الف درهم وعن ابي هريرة قال عليه السلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف قيل وكيف يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الف رواه النسائي ويستقرض اي وحقه ان يستقرض تحسينا للظن به تعالى اي بقضيته من خزاين كرمه وجوده لا تعويلا اي اعتمادا على السلطان الظالم واعوانه وجنوده فيقضي دينه بنفسه ان وجد حلالا بعده والا اي وان لم يجد حلالا فلا ياخذه فانه حينئذ يقضيه تعالى في الدنيا ويرضي الخصما في العقبى اما بفضله او بعدله بان يعطي الخصم منزلة يرضي بها عن حقه ويكشف الحال اي وان يظهره ولا يخفيه عن المقرض لئلا يدخل تحت وعيد من غشنا فليس منا ولا يخدع اي وان لا يخدع المقرض بالمواعيد الكاذبة ويجب القضا اي قضاء دين الفقير حيث صرفه في الطاعات من بيت المال الموضوع

لمهمات

لمهمات المسلمين من المهمات والصدقات اي الزكاة ولا يسال اي وحقه ان لا يسال من الناس اصلا فهو اي السوال من الخلق في الاصل اي اصل وضع الشرع حرام وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما الاصل فيه التحريم لثلاثة امور محرمة لتضمنه الشكاية منه تعالى اذ السوال اظهار للفقر وفقد للمال وذكر لقصور نعمة الله عنه في الحال وهو عين الشكوى من المولى وكما ان العبد المملوك اذا سال غير سيده كان سواله تشنيعا على مالكه فكذا سوال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا الضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة واذلال النفس اي ولتضمنه اهانة النفس اي ولتضمنه اهانة النفس المومنة لغيره سبحانه وقد قيل السوال ذل ولو اين الطريق وورد لا يحل للمومن ان يذل نفسه يعني لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه فقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين واما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة في احواله ففي السوال ذل السايل بالاضافة الى المسئول ومن دعا الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسالة غيرك وايذا المسئول اي ولتضمنه ايذاء غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فربما يعطي حياء من السائل او رياء اذا كان السوال في المحافل فهو حرام على الاخذ وان منع ربما استحيى وتاذى في نفسه بالمنع ويرى نفسه

بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلا ففي البذل نقصان ماله وفي المنع
نقصان جاهه وكلاهما موذيان وكلاهما من السايل هو السبب
في الايذا والايذا حرام الا لضرورة فورد في كون السوال في الاصل
حراما ما احل من الفواحش غير مسالة الناس ولفظ الاحيا مسالة
الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجد
له اصلا انتهى فورد من سال عن غنا فانما يستكثر من جمر جهنم
ومن سال وله ما يغنيه جا يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع
ليس عليه لحم رواه ابو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية
ولمسلم من حديث ابي هريرة من سال الناس اموالهم تكثرا فانما
يسال جمرا وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسال الناس
حتى ياتي يوم القيمة وليس في وجهه مزعة لحم ولاصحاب السنن
من حديث ابن مسعود من سال وله ما يغنيه كانت مسالته
خدوشا او كدوحا في وجهه ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعي
انه عليه السلام بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة
ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيا ولقد كان بعضهم يقع
السوط من يده فينزل عن فرسه ولا يقول لاحد ناولنيه ولابن
ابي الدنيا وغيره من حديث ابي سعيد الخدري من سالنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسالنا فهو احب الينا وللبزار
والطبراني من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص
السواك واسناده صحيح وفي رواية تغنيتموا ولو بحزم الحطب
فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السوال الا للفقير قال في الاحيا

وتقديره

وتقديره عسير اذ ليس الينا موضع التقدير بل يستدرك ذلك
بالتوقيف والتقرير وقد ورد في الحديث استغنوا بغنا الله
تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشا ليلة كذا في الاحيا
قال مخرجه هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه قال ما
يغديه او يعشيه ولاحمد من حديث علي باسناد حسن قالوا
وما ظهر غنا قال عشاء ليلته وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية
وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب
فقد سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ولعل هذه الاحاديث
محمولة على حالة احتياج السايل لغير الاكل من الثوب او البيت
ونحوهما من ضروريات معيشته وقيل يجوز للسايل ان يسال
معيشة سنته لاسيما اذا كان معيلا او لا يعطى العطا الا في وقت
واحد والله سبحانه اعلم الا اي وحقه ان لا يسال احدا الا لضرورة
تميت اي تقتله او تمرض اي تجعله مريضا او تجعله عريانا ونحوها
فالسوال حينئذ مرخص فيه لكن من عجز عن الكسب بحرفة ونحوها
او استغرق وقته في طلب العلم الشرعي من الامر الاصلي او الفرعي
او الفرعي لا من استغرق في طلب العبادة فان نفع هذا قاصر
ونفع ذاك متعد ولان زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم فريضة
او تعب اي او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة وقيد
اي في حصول التعب الترك للسوال اولى مع جواز السوال
في الجملة ورد ما يدل على الرخصة في السوال حيث قال عليه السلام
للسايل حق وان جاء على فرس رواه ابو داود من حديث الحسين

بن علي ولابي داود والترمذي وقال حسن صحيح ردوا السايل
ولو بظلف محرق وقد سال ثلاثة من الانبيا في موضع الضرورة
سليمان وموسى والخضر عليهم السلام وروي ان بعضهم راي
ابا الحسين النوري يمد يده ويسال الناس في بعض المواطن
قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته
فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم
انما يسالهم ليثيبهم في الاخرة فيوجرون من حيث لا يضره
ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن ماية درهم ثم قبض قبضة
والقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن
الشي ليعلم مقداره فكيف خالط به مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت
ان اساله فذهبت بالبصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن
ماية وقال ردها عليه وقال قل له انا لا اقبل منك انت شيا
واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل
حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن الماية لنفسه
طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت
ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه قال فردها الى الجنيد فبكى
وقال اخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت
قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتناجي القلوب
وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب
الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة ويحترز اي وحقه ان يحترس

عن الشكاية

تعنى

عن الشكاية من الله في سواله فيقول كانما لحاله اني مستغن بالقلب
عن السوال لثقتي بالله الملك المتعال لكن النفس تريد الشهوة فتنو
في السوال وعن الاذلال اي ويحترز من التذلل في السوال فيجتنب
اجنبيا لئيما ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه فكان
ابراهيم النخعي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه
غيرهم المائتين فلا ياخذه او كريما من ذوي الجمال من نعته انه
لا يمن على السائل بالعطا والنوال بل يقبل المنة لسايل عليه
في اخذ المال ولو بالسوال فقد قال بشر الحافي ما سالت احدا
قط شيا الا سري السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا
فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا
له على ما يحب وعن الايذا اي ويحترز عن ايذا المسول فلا يسال
في الجمع ولا ممن يستحي عن الرد والرد وان لم يكن في الجمع فيحرم حينئذ
ما اخذ ان اعطى المسول حيا منه اي من السائل او من حاضر
اخر كما لو اخذ عنفا اي غصبا اذ لا فضل بين الاخذ لضرب العصا
او لسوط الحيا بل ضرب الباطن اشد نكاية عند العقلا والعارف
بين عطايه لله او حيا من الخلق القراين الموجودة في تلك الحالة
وفتوى القلب الخالي عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن
الايذا ان يلقي الكلام تعريضا في الصحبة بحيث لا يقدم على البذل
الا متبرع بصدق الرغبة وان لا يعين شخصا للسوال لئلا
يتشوش له البال ويشكره اي وحق الفقير ان يشكر الله سبحانه
بعد القبض اي اخذ العطا بثلاثة من الاشيا بالاشتغال بالطاعة

قولا او فعلا مثل ان يقول الحمد لله او يصلي ركعتين لله والانفاق
فيها اي ويصرف العطا في طاعة المولى فهو اي الانفاق في الطاعة
الاحب اي الافضل من غيره المستفاد من قوله او في المباح فينفق مثل
فضول الحلال ومعرفة فضل الفقرا اي وبمعرفته المثمرة لترك التواضع
المفرط للمعطي وشكر المعطي اي وبثنايه لجزايه بكونه سببا في عطايه
فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله رواه احمد والترمذي وحسنه
وعن ابي سعيد وذلك لا ينافي روية النعمة من الله اما اذا غفل
عن الله في اخذ العطا واثنى على المخلوق وشكره بالثنا والدعا فلا
يكون شكره حينئذ شكرا لله ويدعو له اي وحقه ان يدعو بالخير
للمعطي فيقول طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل
الاخيار او يقول بارك الله لك فيما اعطيت وفيما ابقيت فورد
من اسدى الي قوم نعمة فلم يشكروها فدعا عليهم استجيب ولابن
عساكر عن علي من صنع الي احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها يوم القيمة
ولا يستصغر اي وحقه ان لا يستحقر العطا ولا يترك الدعا والثنا
لحديث من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر
وتركها كفر رواه عبد الله بن احمد في زوايد المسند عن عثمان بن
بشير ولا يجزع اي وان لا يجزع بالمنع فان العطا والمنع والضر
والنفع بيد الله سبحانه فورد لما اعطيت ولا معطي لما منعت
وفي الحكم لابن عطا ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك
وقال تعالى كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
محظورا وما منع عبده من باب الا وفتح له عن ابواب ويحترز اي

اي وصل اليكم معروفا اي
احسانا فكافئوه اي جازوه
بمثله لقوله تعالى هل جزا الاحسان
الا الاحسان فان لم تستطيعوا
على المكافاة في العطا

فادعوا له باظهار الثنا واسرار الدعا
فللترمذي والنسائي وابن حبان
عن اسامة من صنع اليه معروفا
فقال لفاعله جزاك الله خيرا
فقد ابلغ في الثنا وللشيرازي
عن ابن عباس من اشد ح

وحقه

وحقه ان يحترز عن التهمة اي تهمة ولها فورد في التنزيل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا اي من الشدايد الدنيوية والاخروية ويجعل
له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا ويرزقه من حيث لا
يحتسب رزقا حلالا طيبا من غير حساب ولا ياخذ اي وان لا يقبل
اكثر من قوت يوم وليلته ان كان من الاقويا فهو اي اخذ قوت
اليوم العزيمة التي ياخذ بها الانبيا والاوليا والرخصة للضعفا
ومن له العيال والنسا قوت سنة لتجدد سبب الدخل وهو ما يدخل
على الانسان من ضيعته وزراعته بعدها اي بعد تمام سنته وكان
عليه السلام لا ياخذ اي لا يدخر للعيال اكثر منه اي قوت سنة
بل يوثر شيا منه اي من قوت سنته للفقرا حتى ينتهي ان يفرغ
ما ادخره قبل مضي السنة وهو اي ادخار القوت السنة الوسط
اي الافضل المتوسط بين الحالات المرضي من الروايات فروي
اربعون يوما او خمسون يوما في مدة جواز الادخار وللشك
او التنويع ونصاب الزكاة وهو عشرون دينارا او اربعمائة
درهم وقيمة الضيعة اي المزرعة فيستغني بها طول عمره وفي
معناها قيمة البيوت والحوانيت المستغلة لفوايد الغلة او
البضاعة اي قدر راس مال التجارة المحصلة للغنا بسبب الربح
الكافي للمعيشة فيتجر بها ويستغني عن غيرها وفي الاحياء
في الادخار ثلاث درجات احداها ان لا يدخر الا ليومه وليلته
وهي درجة الصديقين وثانيها ان لا يدخر لاربعين يوما فانما
زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلما ذلك من ميعاد الله

لموسى عليه السلام فيفهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه
درجة المتقين وثانيتها ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة
الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم
خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف لطمانينة
قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص
الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي عليه السلام لنسائه على
مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول
ما يحصل وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة
منهن عايشة وحفصة وقد سكت عنه مخرجه ويستر اي وحقه
ان يستر السوال او اخذ النوال ويكتمه فيسال في الخلا دون
الملا تحاميا عن هتك المروة اي تحفظا عن خرق الفتوة والقوة
وكشف الحاجة اي وتحاميا عن اظهار الفرق والفاقة وقد تقدم
ان من كنوز البر كتمان الفقر والحسد اي وعن اظهار الحسد لا يخلو
من الحسد والغيبة بالطعن عليه في الغيبة وسو الظن به في كونه
غنيا او يظهر الفقر الذي يقتضي خلقا دنيا وهذا كله من
الكباير فصيانتهم عن هذه الجرايم اولى وذا انما يحصل بستر
السوال والاخذ كما لا يخفى وعن اعلان عبادة المعطي فان الاخفا
افضل في الصدقة لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وفي ستر السوال واخذ
النوال اعانة للمعطي على اسرار العمل واخفايه الذي هو الاكمل والاعانة
على اتمام المعروف معروف عند الكمل ومن اعلان مذلة النفس المومنة

فهو حرام

فهو حرام من غير الضرورة وشبهة الشركة اي وتحاميا عنهما فورد
من اهدي اليه هدية وعنده قوم او احد فهم شركاوه فيها والمراد
بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون
اموره لا كل من كان جالسا في ذلك الوقت عنده كذا في اصول
الترمذي والحديث رواه الطبراني من حديث الحسن بن علي بلفظ
فجلساوه شركاوه فيها وعلقه البخاري بصيغة تمريض قال
السيوطي واخرجه العقيلي من حديث عايشة انتهى واما
حديث الهدايا تشترك فلا اصل له وكذلك الهدية لمن حضر
الا من حيث المعنى من غير اعتبار المبنى ويعرف من ستر سواله
واخذه تحاميا عن هتك ستر المروة الى اخره بكراهة ظهور اخذ
غيره كاخذه اي ككراهة ظهور اخذ نفسه فورد لا يومن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه ويظهر
اي وحقه ان يظهر السوال واخذ النوال قصدا للاخلاص في
تصحيح الحال والمعنى انه من ترك السوال في الملا لئلا يعيب
الخلق عليه في الخلا فهذا نوع من الريا فيصح له ان يظهر اخذ
العطا ليتخلص من شايبة الريا واسقاط الجاه ولاسقاط
المنزلة عند ارباب الدنيا وهضم النفس اي ولرياضتها في طريقة
المولى النافعة له في العقبى وادا الشكوى اي ولادايه لنعمة
الفقر فورد في التنزيل لبيان مدح اظهاره واما بنعمة ربك
فحدث ولبيان ذم اسراره ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
وهذا انما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلا كما يتلذذ غيره بالسعة

والنحا بل يكون ممن يقتدي به الصلحا ويتفق علي فضله العلما فيظهر
الشكر علي الفقر ليعلم ان موجب فضله الفقر المقرون بالشكر ويعرف
من يظهر السؤال قصد الاداء الشكر في نعمة الفقر بارادة ظهور
عطا الساتر له اي المعطي كعطا المظهر له بل ربما يرد العطا علي
وجه الاسرار ويقبله علي طريق الاظهار عكس فعل بعض الابرار
واما ان يبلغ حدا يستوي فيه السر والعلانية في حقه فكبريت احمر
اي فهو كبريت احمر عزيز الوجود في دائرة الشهود بل كعنقا المغرب
يسمع له اسم ولا يري له جسم ويترك اي وحقه ان يترك ما اي
سوال ما واخذ ما يدخل فيه اي عطايه السمعة والريا وكذا المنة
والايذا تحاميا عن الاعانة علي الاثم ثم قال وتعاونوا علي البر والتقوي
ولا تعاونوا علي الاثم والعدوان وكان سفيان الثوري يرد ما يعطي
ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب
بعضهم في رد ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا
عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم بهم فتذهب
اموالهم وتحبط اجورهم وتفسد احوالهم والاولي ان لا ياخذ
الا لحاجة اليه فيما لا بد منه وهو مفسر في حديث رواه الترمذي
وصححه عن عثمان مرفوعا لا حق لابن ادم الا في ثلاث جلف الخبز
والما وثوب يواري عورته وبيت يسكنه ويكنه فما زاد فهو حساب
وورد ما المعطي من سعة في ماله باعظم اجرا من الاخذ اذا كان
الاخذ محتاجا اليه رواه الطبراني من حديث ابن عمر والتفريق
اي اولا ياخذ الا لاجل تفريقه علي الفقرا المحرومين من خيرات الاغنيا

فيجعل

فيجعل في التفريق ولا يهمل تحاميا عن الانس بالدنيا ولا يدخر فان
امساكه ولو ليلة فيه اختبار وفتنة فربما يحلو في قلبه فيمسكه
ولاحمد من حديث عايشة بسند حسن انه قال في مرضه الذي مات
فيه يا عايشة ما فعلت بالذهب فجات ما بين الخمسة الي الثمانية
الي التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد بربه لو لقي الله
وهذه عنده انفقيها وفي رواية سبعة او تسعة دنانير وله
من حديث ام سلمة باسناد صحيح دخل علي عليه السلام وهو
ساهم الوجه اي متغيره قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت
يا نبي الله ما لك ساهم الوجه فقال من اجل الدنانير السبعة
التي اتانا امس امسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية امسينا
ولم ننفقها او الاخذ اي ولا ياخذ الا لاجل اخذه في الملا والرد
في الخلا فهو اقرب الي السلامة من السمعة والريا ومن مجالة الاغنيا
وما يحصل لهم من الايذا او اما ان اخذه في الملا وفرقه في الخلا
فهو مقام الصديقين من الاوليا وهذا امر شاق علي النفس
لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة هذا ويجوز له ان
يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الي من هو احوج اليه منه او
ياخذ العطا ويوصله الي من هو احوج اليه من الفقرا فيفعل
كلاهما في السر او كلاهما في الملا ويحتاج التطوع اي وحقه ان يجعل
اخذ صدقة التطوع علي الواجب من الزكاة والفطرة ان شك
الفقير في شرايط الواجب اي في وجوه شرايط اخذ الزكاة الواجبة
هل هو مستحق للزكاة ام لا فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة

او علم الفقير انه اي الغني لا يتصدق بصدقة التطوع علي غيره
ان لم ياخذ الفقير لعينه او قصد الفقير التوسيع علي الفقرا بايثار
مال زكاة الاغنيا فانه يختار اخذه فانه يختار اخذه فانه محض
الخير ونفع الغير والواجب اي ويختار اخذ صدقة الواجب ان قصد
الاعانة علي ادايه اي ادا الواجب وقضايه او قصد موافقة الفقرا
ومرافقة الضعفا او هضم النفس اي رياضته في مقام الابتلا فامثاله
اي امثال ما ذكر يختلف باختلاف النية اي نيات الصلحا وجاءت
الي فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرده
علي الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها وكان الحسن
يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق
فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله
عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق وهذا يدل علي ان امر العالم
والواعظ اشد في قبول العطا وكان الحسن يقبل من اصحابه كذا في
الاحيا وقال مخرجه حديث عطا لم اجده مرسلا بكذا ولاحمد وابي
يعلي والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني من
بلغه من اخيه معروف من غير مسالة ولا اسراف نفس فليقبله ولا
يرده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه وجا خراساني بمال الي
الجنيد وساله ان ياخذه وياكله فقال افرقه علي الفقرا فقال ما اريد
هذا فقال ومتي اعيش حتي اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل
والبقل بل في الحلاوي والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد

بغداد

ببغداد امن علما اعلي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك
وقبل من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط قال العلما الجاف في الرد مع
الحاجة عقوبة من ابتلا لطمع او دخول في شبهة او غيره وفي الاحيا
قال بعض العلما المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق
في سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت
خفي ٭ جايع كما تري ٭ عريان كما تري ٭ فما تري فيما تري ٭ يا من يري
ولا يري ٭ فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي
لا اجد لدراهمي احسن من هذا المحل فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها
خمسة دراهم فقال اربعة ثمن ميزرين ودرهم انفقه ثلاثا ولا
حاجة لي الي الباقي فرده قال فرايته الليلة الثانية وعليه ميزران
جديدان فهجس في نفسي منه شي فالتفت الي واخذ بيدي فا
طافني
معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتخشخش
تحت اقدامنا الي الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر
ولم يظهر للناس فقال هذا كله اعطانيه ربي فزهدت فيه واخذ
من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة
ونعمة والمقصود ان الزيادة علي الحاجة انما تاتيك ابتلا وفتنة
لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك
فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلا قال تعالي انا جعلنا ما
علي الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وعن موسي عليه
السلام انه قال يارب جعلت رزقي هكذا علي ايدي بني اسرايل
يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحي الله تعالي اليه

هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي
ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر
ماجور وقال في تفسير قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله معناه ليبع احد ثوبيه
وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما اتاه الله وقال بعضهم لله
عباد ينفقون على قدر رضا بهم ولله عباد ينفقون على قدر
حسن ظنهم بربهم ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف
الاقويا والاسخيا والاغنيا فقيل من هولاء فقال اما الاقويا فهم
اهل التوكل على الله واما الاسخيا فهم اهل حسن الظن بالله واما
الاغنيا فهم اهل الانقطاع الى الله وكان بشر رحمه الله يقول الفقراء
ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لا ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس
وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين
وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان
كيف تركت الفقرا من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان
منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السوال اثنى عليهم غاية
الثنا فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق
فكيف الفقرا عندكم يا ابا اسحق فقال الفقرا عندنا ان منعوا شكروا
وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ ثم الزهد عزوف
القلب اي ميله وانصرافه عن الدنيا الى الاخرة طوعا اي اختيارا
وجعله طاعة فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما

هو

هو خير له منه ومنه قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا
فيه من الزاهدين اي باعوه طمعا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان
ذلك احب عندهم من يوسف فاذا كل من باع الدنيا بالاخرة فهو
زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد في الاخرة
لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد عمن يزهد في الدنيا كما
يختص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل واسم الحنيف بمن يميل الى
الحق وان كان كل بمعنى الميل في وضع اللسان فالذي يرغب عن كل
ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق والذي يرغب
عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة
بل طمع في الحور والقصور والانهار والاثمار فهو ايضا زاهد
لكن دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون
البعض كالذي يترك المال دون الجاه او بالعكس او يترك التوسع
في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا
ودرجته في الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصي في
التائبين وقد تقدم الخلاف في صحة التوبة لكن لا خلاف
في صحة الزهد عن البعض ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات
ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ويشترط في المرغوب عنه ان يكون
مقدورا عليه ولذا قيل لابن المبارك فقال الزاهد عمر بن عبد
العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة تركها اما انا ففيما زهدت
وقال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحايك لا نفتي
في مسالة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري

اهو ابن الحايك او ماهو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب
منها وهربت منا فطلبنا ها انتهى فمن عرف ان ما عند الله باق
وان الاخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة
على تحصيل مراتب الغنا والى هذا الشرط اشار بقوله طوعا ولا
بجبا بالتداي ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما
وقلة وكثرة اذ احصل الزهد فيهما لوجودها اي الدنيا جاها ومالا
لسليمان عليه السلام مع انه كان زاهدا في الدنيا وراغبا في
العقبى كساير الانبيا والاولياء وكون عيسى اي ولكونه عليه
السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم مع انه اي نبينا
افضل وزهده اتم واكمل على انه لا يبدع ان يوجد في المفضول بعض
ما لا يوجد في الافضل فتامل ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه
السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك اهل الرهب واما نبينا
عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا
يسع جميع امته ان يتبعوه ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحا
وليس في دينه من حرج ولكونه مظهر المرتبة الجمع بين الصفات
الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه اشبع يوما فاشكر واجوع
يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع ان الزهد عند المحققين هو
ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبى ثم كل مومن يعلم ان الاخرة
خير وابقى لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه
بالمال واما لاستيلا الشهوة عليه في الحال واما لاغتراره في
الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم

الى ان

الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف
خساسة الدنيا اشار قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف
نفاسة الاخرة قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن امن واما قول ابن مسعود ما عرفت ان فينا من يحب
الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الاخرة فرواه البيهقي في دلايل النبوة باسناد حسن لكن حمل على ان
منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبى ومنكم من يريد الاخرة
ويترك الدنيا بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه
السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وهو اي الزهد يثمر
خمسة اشيا المكاشفة لاحوال الاخرة كما سبق في حديث التجافي
وحارثة رضي الله عنه اما حديث التجافي فهو انه سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا
دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك
من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله واما حديث حارثة فهو انه لما قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مومن حقا قال وما حقيقة
ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها
وذهبها وكاني بالجنة عن يميني والنار عن يساري وكاني بعرش
ربي بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه
بالايمان رواه البزار من حديث انس والطبراني من حديث الحارث

بنما للتدو الفراغ اي وثمر الزهد فراغ خاطر ارباب الارادة للعبادة
التي هي سلوك سبيل السعادة فورد من احب اخرته اضر بدنياه
تمامه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى رواه
احمد والطبراني من حديث ابي موسى وتعظيم قدرها اي وثمر تعظيم
مقدار العبادة فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبد
الى اخر الدهر لم اجد له اصلا بهذا السياق وانما هو ابن مسعود
موقوفا وللشيرازي في الالقاب عن علي مرفوعا ركعة من عالم
بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله وللديلمي عن انس ركعتان
من رجل ورع افضل من الف ركعة من مخلط ولابن النجار عن محمد
بن علي مرسلا ركعتان من عالم افضل من سبعين ركعة من غير
عالم وقد صح لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ومحبته
تعالى اي ويثمرها الزهد ففي الخبر قد ورد ان اردت ان يحبك الله
فازهد في الدنيا رواه ابن ماجة من حديث سهل بن سعد
وقد تقدم حديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي
الناس يحبك الناس ومعرفته اي ويثمرها ففي الخبر قد ورد
اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا فاقربوا منه فانه يلقى
الحكمة رواه ابن ماجة من حديث ابي خالد وقد قال تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذا قيل من زهد في الدنيا
اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها
لسانه كذا في الاحياء وقد يوجد معناه من حديث من اخلص لله
اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه ابو

نعيم

نعيم من حديث ابي ايوب ومن المعلوم انه لا يكون العبد عابدا
مخلصا الا اذا كان زاهدا وفي الخبر ايضا من زهد في الدنيا ادخل
الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواها
واخرجه منها سالما الى دار السلام رواه ابن ابي الدنيا من حديث
صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدي من حديث ابي موسى من زهد
في الدنيا اربعين يوما واخلص فيها العبادة اجرى الله ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه فهما اي المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما
الزهد لا يحصلان الا بدوام الذكر اي ذكر المولى والفكر لزاد
العقبى الممتنعين مع التشغل بالدنيا وقال تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا اي على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير
وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا قيل معناه ايهم احسن عملا قيل زهد فيها وقال
تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال عز
وعلا لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وللطبراني من حديث ابن
مسعود بسند حسن من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها اي
ابتلي بثلاث شقا لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وامل لا يبلغ
منتهاه وللديلمي من رواية علي بن ابي طلحة مرسلا لا يستكمل
عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وله من حديث
انس من زهده في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقهه في الدنيا

وعن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ولابن
حبان من حديث علي من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن
خاف النار لها عن الشهوات ومن يرقب الموت ترك اللذات
ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات وجا في الاثار لا تزال
لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا بما نقص من
دنياهم وفي لفظ ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا
فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال تعالى كذبتم لستم بها صادقين
وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة
ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين
انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في
الدنيا منكم وقال عمر رضي الله تعالى عنه الزهادة في الدنيا
راحة القلب والجسد وقال ابن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى
زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان
ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لم توجد وقال يوسف
ابن اسباط اني لاشتهي من الله ثلاث خصال ان اموت حين
اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا يكون على عظمي
لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان بعض الخلفا ارسل الى الفقهاء
الجوايز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف درهم فلم
يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقها وانت ترد وانت على حالتك
هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت

لهم

لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها
وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان
تذبحوا فضيلا ثم الادنى من مراتب الزهد باعتبار نفسه اي
نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه وما منه وفيه كما سياتي
ان يجاهد فيه اي في تحصيل الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد
بالكسب والجهد ثم الاعلى منه ان ينفر طبعه عنها اي عن الدنيا
لعدم ميل نفسه اليها فهو زهد فالمتزهد في الدنيا يذيب اولا
نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب
نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر
لانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى
الاستراحة بها في قليلها او كثيرها ثم الاعلى منه عدم الميل اليها
وعدم النفور عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها
بالاضافة الى ما طمع فيه من غيرها ضرا منها ولكن هذا الزاهد يرى
لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده
ويظن بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما
هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان عند من له عرفان ويعرف
صاحب هذا المقام بتسوية سرقة حاله ومال غيره لعدم ميله
الى كل منهما ولقوله عليه السلام لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه بل ربما يهون عليه
سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره ثم الاعلى عدم الاعتبار
بزهده لغنائه في الله وبقائه به فقد انطوى في نظره وجود كل

بميل النفس الى الدنيا والتفاتها
اليها وكثيرا ما هدها ونكبها
عنها وهو تزهد وهو مبدا الزهد

فضلا عن زهده وهي المرتبة العليا بان يزهد في الدنيا طوعا ويزهد
في زهده ايضا فلا يرى زهده اصلا اذ لا يرى انه ترك شيئا
ما اذ عرف ان الدنيا لا شيء وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد
امن من خطر الالتفات الى الدنيا ومن هنا قال ابو يزيد لابي موسى
عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء فقال
في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم في شيء الدنيا لا
شيء اي شيء تزهد فيها فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا
التفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا
معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان
المعرفة وباعتبار ما منه اي والادنى في الزهد باعتبار ما منه
الزهد ان يكون زهده للنجاة من خوف النار وما فيها من انواع
العقاب ثم الاعلى ان يكون زهده من اجل الرجا الى الجنة وما
فيها من انواع الثواب وانما يكون اعلى مما قبله لا تقتضيه
المحبة اي زيادتها والمحبة اعلى المقامات كما سيأتي في خاتمة
الكتاب ثم الاعلى ان يكون زهده من رفع الالتفات لخواطره
الى ما سواه تعالى بل لا تكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ورضائه
ولا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها والى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو
الذي يصبح وهمه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب
غير الله ومن طلب غير الله فقد عبده سوا وجده او فقده وهذا
زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من

عرفه

عرفه ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجهه الكريم تبقى للذة
الحور والقصور وساير النعيم المقيم متسع في قلوبهم بل تلك
اللذة بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على
اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء
على عصفور واللعب به فالطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة
كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره
عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلا
والذ من الاستيلا بطريق الملك على كافة الخلق ومن هنا روي
اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولي الالباب وباعتبار ما فيه
اي ادنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد ان يكون زهده في بعض
الدنيا كالمال دون الجاه او عكسه وهو كالتوبة عن بعض الذنوب
وقد اختلف في صحتها لكن الصحيح اعتبارها في الجملة لما علم ما تقدم
بخلاف الزهد فانه لا خلاف في صحة بعضه ثم الاعلى ان يكون زهده
في كلها اي في جميع الدنيا مالها وجاهها ثم الاعلى وهي المرتبة
العليا ان يكون زهده فيما سواه تعالى حتى يزهد في نفسه ايضا
وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ثم اجمله في اية
اخرى ورده الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الى ان قال

وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم رده الي اثنين فقال
المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير
عند ربك ثوابا وخير املا وقال في موضع اخر انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو ثم رد الكل الي واحد في موضع اخر فقال ونهي النفس
عن الهوي فان الجنة هي الماوي فالهوي لفظ يجمع جميع حظوظ
النفس في الدنيا والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ
النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقا في
الدنيا واذا رغب عنها لم يردها ولذا لما كتب عليهم القتال
قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الي اجل قريب
فقال تعالي قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقي اي لستم
تريدون البقا الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح
المنافقون اما الزاهدون المحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله
كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدي الحسنيين وكانوا اذا
دعوا الي القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليها
مبادرة الظمان الي الماالبارد حرصا علي نصرة دين الله او نيل
رتبة الشهادة وكان من مات منهم علي فراشه يتحسر علي فوت
سعادة الشهادة حتي ان خالد بن الوليد رضي الله عنه لما
احتضر الموت علي فراشه كان يقول غررت بروحي وهجمت علي
الصفوف طمعا في الشهادة والان اموت موت العجايز فلما مات
عد علي جسده تسعماية ثقب من اثار الجراحات واما المنافقون
ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي

٣ بيان
الي الماالبارد

تفرون منه

تفرون منه فانه ملاقيكم الاية هذا واجمع ما قيل في احد الزهد
قول ابي سليمان الداراني قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد
عندنا ترك كل شي يشغلك عن الله عز وجل وقرا ابو سليمان قوله
تعالي الا من اتي الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله
وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للاخرة
وباعتبار الحكم اي والزهد الأدني باعتبار حكم الزهد الفرض اي
يجب علي السالك ان يزهد فيه وهو اي الزهد الفرض ان يكون
زهدا في الحرام وهو لا بد منه لكمال الاسلام وجمال الاحكام ثم
السنة اي الزهد الذي يسن للمريد ان يزهد فيه وهو اي الزهد
النفل ان يكون زاهدا في المباح وقال قوم الزهد في الحلال لا في
المشبهة والحرام فليس ذلك من درجاتهم في شي ثم راوا انه لم يبق
حلالا في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان ويؤيده قول
الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم
فيما حرم الله عليكم وفي خبر اخر كانوا بالبلا اشد فرحا منكم
بالرخا وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه ويقول
اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف علي
فساده والذين ترامت حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم
اذ قال ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا
غافلون وقال تعالي ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا وقال عز وعلا واعرض عمن تولي عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك

كله على الغفلة وعدم المعرفة فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقا ولا بقا الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت في الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم يكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه كذا في الاحيا وقد تبين لك المراد بالاشتغال بالمولى ان يكون بالقلب دون القالب فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الامور فقلبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا في الزراعة او التجارة كما يشير اليه قوله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية كما ان قلب اهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قالبهم في المسجد والطاعة والقراة ونحوها بل اهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو ارادوا ان يغفلوا قلبهم ساعة عجزوا اعما هنالك بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما اشار اليه العارف ابن الفارض بقوله • • •

• ولو خطرت لي في سواك ارادة • على خاطري سهوا حكمت بردتي • • •

فالحاضرون على الدوام هم الانبيا عليهم السلام والاوليا من اتباعهم الكرام والغافلون الكاملون هم الكافرون المشبهون بالانعام واما المخاطبون فهم في احوالهم مختلفون فتارة يحضرون واخرى يغفلون وهم الذين قال تعالى فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا

خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الاية ويخرج السالك عنه اي عن الزهد ويدخل في حب الدنيا خمسة اشيا القصد الى الكسب ان كان القصد للذة اي بشهوة النفس بالمكسوب دون العدة اي بخلاف ما اذا كان القصد من الكسب الاستعداد والاستعانة على العبادة التي هي المندوب والمطلوب وهذا محمل قول ابي سليمان الداراني من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا وذلك لانه نقل عنه ايضا انه قال كل ما شغلك عن الله من مال او ولد فهو عليك شوم والادخار يخرج السالك عن الزهد ايضا ان زاد الادخار على قوت السنة كما ثبتت الرخصة في السنة الا لمن لا يكسب اي لا يقدر على الكسب لعدم حرفة او لاشتغاله بتحصيل وجوه معرفة ولا ياخذ من الايدي مع هذه الحالة ايضا فانه لا يخرجه الادخار عن الزهد وان كان زائدا على قوت السنة كداود الطائي وهو ملك عشرين دينارا ورثها من ابيه فتمتع بها عشرين سنة ثم اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا في مقام الكمال هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف واخرون بالتكلف ومن الخواص قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشيا

داخلة عليهم وهم خارجون منها وان ما يأخذون بعلة غيرهم هذا
اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا
بالدين لم يجيبوا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب اخلاق نفوسهم
فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها احوالا لهم فهم تما تلوث
الى الدنيا متبعون الهوى فهذا كله كلام الخواص فاذا معرفة
الزهد مشكل حتى على الزاهد نفسه فينبغي ان لا يتعبد بلبس خاص
موافقا للسنة وان يتفوق في باطنه على ثلاث علامات الاولى
ان يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي لا تحزنوا حزن فزع ولا تفرحوا فرح
بطر والا فلا يخلو انا نرهما في النفس باعتبار اصل الطبع ثم الكمال
ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب وجود صحة الحال
والثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه بل ينبغي ان يفرح بذمه
ويحزن بمدحه والثالثة ان يكون انسه بالله ونسيانه عما سواه
ولذا قيل لبعضهم الى ما ذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله
واما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان كالماء والهوا في القدح
فالماء اذا دخل خرج الهوا وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق
الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن
الايمان سويدا القلب وباشره ابغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم
يعمل لها ولذا ورد في دعا ادم عليه السلام اللهم اني اسالك
ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل
عن الناس وهذا مقام العابدين ومن شغل بربه شغل عن

نفسه

نفسه وهذا مقام العارفين وقال سري لا يطيب عيش الزاهد
اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه
وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الاخرى وقال يحيى بن معاذ الزاهد يسعطك الخل والخردل
والعارف يشمك المسك والعنبر ثم لا يستدل بامساكه قليلا من
المال على فقد زهده في مقام الكمال كما لداود الطائي فان مدار
الزهد عدم محبتها وقد قال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه حب
الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها والتقذ
بالذال المعجمة اي الاكل من براية دقيق حنطة منخول يخرجه من الزهد
ايضا والمواظبة على الادام يخرجه ايضا منه وكذا اتخاذ ثوبين
كميصين واثاثين اي متاعين من امتعة البيت كصحنين وابر بيقين
احدهما ازيد عن استعماله وجنس رفيع اي مستحسن ولذيذ من الادام
والثوب والاثاث والاولى في المقام الاعلى عدم التقيد بالادنى
والاعلى كما كان طريق المصطفى وقد قال يحيى بن معاذ الرازي
الزاهد الصادق قوته ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه حيث
ادركه المسا الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار
فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد
قرينه والحزن شعاره والحيا دثاره والجوع ادامه والحكمة كلامه
والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر
معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته

والجنة مبلغه ان شا الله وحده ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور
الدنيوية ستة المطعم والملبس والمسكن والاثاث والمنكح وما يكون
وسيلة الى هذه الخمسة اما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال
يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما ورد في خبره واقل جنسه ما يقوته
ولو خبز نخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير
منخول واقل ادامه الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت والسمن
واللبن واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او مرتين ووقته
الاقل في ثلاثة ايام واوسطه في اليوم والليلة مرة واقصاه
في اليوم والليلة مرتين ويشير اليه قوله تعالى ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وكان عليه السلام بالاسودين اي التمر والما وما
شبع هو واهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية
عنه عليه السلام انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم
على المزابل مع الكلاب كثير وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني
اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم
وخبز البر وخبز الشعير واياكم فانكم لن تقوموا بشكره ولما اتي عليه
السلام اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح
في يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله واما
الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو
كسا يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه
ان يكون له مع ذلك منديل وسراويل واقل جنسه المسوح الخشنة
واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن قال ابو بردة اخرجت

بعيش صح

لنا عايشة

لنا عايشة كسا ملبدا وازارا غليظا وقالت قبض عليه السلام في
هذين رواه الشيخان ولابن ماجه من حديث ابي ذر باسناد جيد
ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه
وقد اشترى عليه السلام سروالا باربعة دراهم كما رواه ابو يعلى
من حديث ابي هريرة ولابي الشيخ من رواية عروة بن الزبير
مرسلا كان رداوه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان
ونصف وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة كان له ازار
من نسج عمان طوله اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر وعن
جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها
كسا من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي
مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل الله سبحانه ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقال عليه السلام لعايشة ان اردت اللحوق فاياك
ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه رواه الترمذي
والحاكم وصححه من حديث عايشة ولابي نعيم والحاكم والبيهقي
في شعبه ان من خيار امتي فيما انباني الملا الاعلى قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه مونتهم على
الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون
الرهبان اجسامهم في الارض وافيدتهم عند العرش وعد على قميص
عمر اثنى عشر رقعة بعضها من ادم واشترى علي كرم الله وجهه
ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو عمر في الخلافة وقطع كميه
من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال

بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق
ولاحمد من حديث معاذ ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين واما المسكن
فالاعلى ان يقنع بزاوية من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها
بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية اما بشراء وكراء وللطبراني
من رواية ابي العالية ان العباس بنى غرفة فقال له عليه السلام
اهدمها ولابي داود من حديث انس بسند جيد راى عليه السلام
قبة مشرفة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاء الرجل اعرض عنه
فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه
عليه السلام فاخبر بذلك فذهب فهدمها فمر عليه السلام بالموضع
فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير ولابن حبان
في الثقات وابي نعيم في الحلية عن الحسن مرسلا مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
وقال عبد الله بن عمرو مر علينا عليه السلام ونحن نعالج خصا فقال
ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك رواه
ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجة وقال الحسن دخلنا على
صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له
لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ولابي داود
من حديث انس بسند جيد كل بناء وبال على صاحبه الا ما لا يعني
ما لا بد منه وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف
بنائه وكان منهم اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا
رجع اعاده قال الحسن كنت اذا دخلت بيوته عليه السلام ضربت

بيدي

بيدي الى السقف وقال عليه السلام للرجل الذي شكا اليه ضيق
منزله اتسع في السماء يعني في الجنة رواه ابو داود في المراسيل ووصله
الطبراني وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون
الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير
ملتكم واما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام
اذا كان لا يصحب الا مشطا وكوزا فراى انسانا يمشط لحيته
باصابعه فرمى المشط وراى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز
ثم الظرف ينبغي ان يكون من الخزف ولو مكسور الطرف وكان السلف
يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء متعددة كالذي معه
قصعة ياكل فيها ويشرب فيها وقالت عائشة رضي الله عنها كان
ضجاعه اي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم
حشوها ليف رواه ابو داود وابن ماجة والترمذي وقال
حسن صحيح وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة ان فراشه
عليه السلام كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف
وراى عليه السلام على باب منزل عائشة سترا فهتكه وقال كلما
رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى فلان رواه الترمذي وحسنه و
النسائي في الكبرى من حديثهما وقال الحسن ادركت سبعين من
الخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض
ثوبا قط وكان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه
فوقه واما المنكح فقال قائلون لا زهد في اصل النكاح ولا في
كثرته والى هذا ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد

الزاهدين النسا فكيف نزهد فيمن ووافقه ابن عيينة وقال كان علي ازهد الصحابة وله اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من اهل او مال او ولد فهو عليك مشوم وهو مستفاد من قوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاوليك هم الخاسرون وقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال ابو سليمان الزهد في النسا ان يختار المراة الفقيرة الضعيفة على المراة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حاله الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرا لانه اجمع لهمه واما ما يكون الوسيلة الى هذه الخمسة فهو المال والجاه واما الجاه فانه قد يفتقر الى خادم له فينفعه وقد يحتاج الى دفع ظلم عن نفسه او غيره والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار واما المال فقدر الضرورة كاف في المعيشة فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي ان يتركه ويشتغل بامر مهمته وقد قال ابو سليمان لا ينبغي للرجل ان يرهق اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوه والا تركهم وفعل بنفسه ما شا وروي ان ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك

شيئا

سببا منها فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فتبين من هذا ان تحصيل قدر الحاجة من امر الدين والاولى المبالغة في التشديد اي التضييق على نفسك ان كنت من المريدين المجتهدين تحاميا اي تحافظا عن ستة اشيا عن الانس بالدنيا ونسيان العقبى والاشتغال بغير ذكر المولى وعن طول المكث للحساب المتضمن لعذاب الحجاب وعن الحبس والتوقف عن الجنة وما فيها من الثواب واللوم اي وعن الملامة في اكتساب السيئات والتعيير اي التوبيخ في تقصير الطاعات والحرمان من الدرجات العالية والمقامات الغالية وهو اي والمبالغة على النهج المذكور كله ورد فيه الماثور عن السلف الصالحين فعن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقيل له لو خففت لنلت الجنة ايضا فما هذه الشدة فقال كيف لا اشدد على نفسي وقد ورد ان جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فنودوا ان ارفعوا روسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها واما ما حكي ان داود الطائي كان له حب مكسور فيه ماوه وكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الما الحار ويقول من وجد لذة الما البارد شق عليه مفارقة الدنيا فلعله محمول على وقت رياضته وابتدا امحا النفس في شهوته والا فبعد من الزهد البارد لانه عليه السلام كان يستعذب الما ويقول في دعائه اللهم اجعل حبك احب الي من حب الدنيا الماء البارد وقد دخل بستانا فقال لصاحبه ان

لغنته

كان عندك ما بارد في شن والا كرعنا فاني به فشرب وكان بعض
العارفين يقول اذا شربت الما البارد احمد الله من صميم قلبي وايضا
انما خلق الله اللذات الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخروية
وقد قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما احل
الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اي المتجاوزين عن
الحد في امر الدين كالرهبانيين وورد في الحديث لو كانت الدنيا
تعدل اي تساوي وتماثل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ما رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن ماجة
بلفظ تزن بدل تعدل وقال قطرة ابدا بدل شربة ما رواه الحاكم
وصححه الدنيا ملعونة ملعو لان وفي نسخة وملعون ما فيها الا
ما كان لله وهو العبادة وما يعين عليها وفي رواية الطبراني من
حديث ابي الدردا الا ما يبتغي به وجه الله عز وجل واسناده
لا باس به ورواه الترمذي من حديث ابي هريرة وحسنه
ولفظه الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما ايعني وما يجري
مجراه فانه سبحانه خلق الاشيا كلها لعباده كما يشير اليه
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق عباده
لعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فشكر نعمته ان يصرفها في طاعته وكفرانها ان يصرفها في
معصيته او غفلته ثم الحالات التي قبل الموت خيرا وشرا
تسمى دنيا والتي بعده اي بعد الممات تكون اخرة فان

مات

مات فقد قامت قيامته وقد يقال لما بين الموت والبعث حال يقال
له البرزخ فانه الواسطة بين الدنيا والاخرى لكن العبادة ومالا
بد منه فيهما مما يعين عليها كالاكل والشرب واللباس والنوم
والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة معدودة من الاخرة بخروجها
عما جمع من امورها فيما ورد في التنزيل انما الحياة الدنيا لعب وهو
ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فايدة له وهو فعل الصبيان
والمجانين ولهو وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهو عن
العبادات وهو فعل الصبيان والمجانين ولهو وهو ما يشتغل
به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل اهل الغفلة من
الشباب وارباب المال والجاه كما يشير اليه قوله تعالى الهاكم
التكاثر حتى زرتم المقابر الاية اي وزينة وهي الغالب من
النسا ومن تشبه بهن من السفها وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامرا فهي
اي الاشيا التي جمعت في الاية السابقة الدنيا بجمعها اي بتمامها
وشاعها مبتدا خبره ما جمع من انواعها فيما ورد في التنزيل زين
للناس حب الشهوات اي اللذات الاية اي من النسا والبنين
اي دون البنات ولذا قيل في قوله تعالى المال والبنون زينة
الحياة الدنيا والباقيات الصالحات ان البنات داخلة في الباقيات
الصالحات والقناطير المقنطرة اي الحمول الكثيرة من الذهب
والفضة وقد ورد لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى
ثالثا ولن يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب

والخيل المسومة اي المعلمة او المرسلة والانعام من الابل والبقر والغنم والحرث للزراعة والاشجار والاثمار والازهار ذلك متاع الحياة الدنيا اي وما الحياة الا متاع الغرور والله عنده حسن المآب وجزيل الثواب وما عند الله خير للابرار واشغل بما حب حظوظها اي لذاتها وشهواتها باطنا وتحبب لها ظاهرا واما الانبيا والاصفيا فاختار الله لهم الدرجات العليا في العقبى والمحن والبلايا في الدنيا فعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبيا قبلي ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العبا وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتلهم القمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم رواه ابن ماجة باسناد صحيح وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ما مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال وعلاج حبها معرفة الرب فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولانه سبحانه يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها والنفس اي ومعرفته قدرها حتى لا يضيعها في طلبها الدنية ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية وشرف الاخرة ودرجاتها العالية الباقية ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيعة وخساسة الدنيا من خسة شركائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ويكفيك في ذمها ما ورد في حقها من ان الدنيا جيفة وطالبها كلابها فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي موقوفا

الدنيا

الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب واخرج الديلمي عن علي مرفوعا اوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا الدنيا سجن المومن وجنة الكافر ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن ثم الدنيا فتنة وبلية كما في صحيح مسلم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فتناظر كيف تعملون وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم

الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين

بسم الله الرحمن الرحيم المتفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وله يتقرب المتقون الموقنون ادنى رتبة التوحيد من مراتبه الاربع محض القول بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به او منكر له كتوحيد المنافق وهو اي قول النفاق وهو اي قوله النفاق والعياذ بالله منه اي من النفاق وما يترتب عليه من الجلاء والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد في الحال الا عصمة الدم والمال ان حفظ دم الموحد وماله كما ورد في الحديث الصحيح وصدره امرت ان اقاتل الناس

حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها اي كلمة التوحيد عصموا مني دماءهم واموالهم تمام الحديث الا بحقها وحسابهم على الله ثم التصديق معه وهو ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده كالعامي اي كما هو اعتقاد العوام والمتكلم وهو الخائض في علم الكلام فهو اي المتكلم لا يتميز عن العامي في هذا المقام الا بالحيلة اي بالصنعة الجدلية الدافعة لتشويش المبتدعة المانعة من انخرام قواعد اهل السنة والجماعة وتفيد التصديق الجناني مع الاقرار اللساني النجاة من الخلود في النار ولو كان صاحبه من الفساق والفجار ثم مشاهدة صدور الكل اي ظهور جميع ما يقع في الكون منه تعالى وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان يرى اشياء كثيرة ظاهرها الاغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار فيقول المشاهد حينئذ ليس في الدار غيره ديار ويفيد هذا التوحيد اعتماد القلب عليه في امور الدنيا والاخرى وانقطاعه عما سواه فلا يرى احدا يضر وينفع او يعطي ويمنع الا اياه وهو التوكل اي الاعتماد على الله وعدم الالتفات الى ما عداه وتوضيحه ان ينكشف لك انه لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وحلو ومر وخير وشر وغنى وفقر وحياة وممات الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم الوجود في دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم بالمشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين ويبتغي به ان يتطرق الى قلبك شائبة الشرك بشيئين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه والى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق امر التفريد ولذا قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه وكذا محركه وهكذا ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه ومنه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واما الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيا

فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك
رزقك باختياره فان شا اعطاك وان شا قطع عنك وهذا
الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شا عفا عنك فكيف
لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده فانت تشاهد ذلك ولا تشك
فيه وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين
الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر
ان جميع ما في السموات وما في الارض من الشمس والقمر والنجوم
والمطر والارض والبحر والمدر والشجر وكل حيوان وملك وبشر مسخرات
في قبضة القدرة الالهية الصمدانية والقوة السبحانية الربانية
ثم اعلم انه سبحانه قال وما تشاؤن الا ان يشا الله واجمع
السلف على ان ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن فلا يتحرك الانسان
ولا يسكن الا اذا شا الله شا العبد او لم يشا فليست المشية
اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت
القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة
ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية
والمشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتبط
بعضها الى بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا
انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية
للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبرا مختارا اجيب
بانه لو انكشف لك الغطا لعرفت انه في عين الاختيار مجبورا

لانه

لانه عبد مسخر مقهور ولذا قيل بعض العارفين لا تختر فان كنت
تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشا ويختار والله سبحانه
اعلم بحقايق الاسرار ثم رؤية عدم ما سواه اي مشاهدته بحسب
وجود مولاه فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين
الاحرار ويفيد هذا التوحيد الاستغراق به اي بشهوده والغيبة
عن الغير اي الغفلة عن وجود غيره وهو عند الصوفية الفنا
في التوحيد الحاصل من كمال الصفا وجلال الوفا من حيث انه لا يرى
الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا
بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن
رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤية فنائه ايضا ويسمى
الفنا عن الفنا ويبقى له البقا في مشاهدة الفنا فالاول موحد
بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان
والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح و
انفتاح لسانه والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا
واحدا والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظر شهوده غير الواحد
الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث
واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام
جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا تحجبه الكثرة عن الوحدة
ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل
مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والالتفات
الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطلق

فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد
السما والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف
يكون الكثير واحدا فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور
الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام لو تعلمون ما اعلم وقالوا
ايضا افشا سر الربوبية كفر لكن قد تمكن الاشارة الى كشف ما فيه
ستر بان يقال الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار و
يكون واحدا بنوع اخر من ملاحظة واستبصار وهذا كما ان الانسان
كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه
واحشائه واعضائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد
وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه
فهو في حال الاستغراق والا والاستهتار به مستغرق بواحد ليس
فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقه فكذا كل
ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات
اخر سواها كثير ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد
الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والدوام
نادر عزيز يغلب في المجاذيب والى هذا المقام اشار الحسين
بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما
ذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من
المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين
الفنا في التوحيد فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد

فطالبه

فطالبه بالمقام الرابع من التفريد فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد
والشرع اذ معنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات
الافعال للعباد فان كان العباد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا
وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين
فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم اذا كان
للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا
مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال
قتله الجلاد لكن الامير قتل بمعنى اخر والجلاد قتل بمعنى
اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون
الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه
المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة
بعد ان خلق فيه العلم ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب
الله سبحانه الافعال في القران مرة الى الملائكة واخرى الى العباد
ونسبها بعينها مرة الى نفسه فقال تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم وقال تع توفته رسلنا وقال الله يتوفى
الانفس حين موتها وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم و ما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات
ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا
اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فانهما لمعنيان
فالمعنى وما رميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث
خلق فيك قوة الرمي او خلق في مرمى الوصول الى عين العدو وخلق

وما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله قدر رميك ازلا وكذا ذكر الله تعالى في القران الادلة لاهل الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بتناقض بل طريق الاستدلال مختلف فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات كما قال بعضهم ما نظرت شيئا الا ورايت الله بعده وهذا طريق المريد السالك وكم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم ما نظرت شيئا الا ورايت الله قبله وهذا مسلك المريد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي فالحاصل ان الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعاني اذا فهمت حقايق المعاني ولذا قال عليه السلام للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك كما رواه ابن حبان والطبراني فاضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان به اليها وكذا لما قال ذلك التايب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز في مرامه المستعير في كلامه ومن هنا قال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل متفق عليه من حديث ابي هريرة والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار

نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قايم بذاته وكل ما سواه قايم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل مضمحل وزايل وكما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء وهو الان على ما عليه كان هذا واذا اثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة والالتفات الى الغير حينئذ لاحد الامرين اما لضعف اليقين وذلك لتطرق الشك وخطوره في امور يجب عدم الالتفات اليها وعدم الاستيلاء اي ولقلة غلبة اليقين واستعلايه على القلب ودخول اليقين في سويدايه واما للضعف الجبلي اي الخلقي الطبيعي وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان

في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة
ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله كالجبان مطيع الوهم لا يطيق
البيتوتة في بيت خال او فيه ميت فلو كلف ان يبيت مع
الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا كونه
ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن
ولا يحييه ولو احياه لعاد كما كان واحبه وانقاه وعانقه وارتضاه
كما ان سنته سبحانه مطردة بان القلم الذي في يده لا ينقلب حية
وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر قلبه
عن مضاجعة الميت في فراش بل الميت معه في بيت ولا ينفر
عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما
يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى
يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه
فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين
شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت
بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين هذا وقد
قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف
الشيطان ولذا قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه
الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلفين علي الطلب والكسب

غلب

غلب سوء ظنه وضعف قوة توكله وعنه عليه السلام ان الله عز
وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل
الهم والحزن في الشك والسخط وادنى رتبة التوكل علي الله ان يعتمد
عليه اعتماد الموكل من المخلوق علي الوكيل مثله للعلم اي لعلم الموكل
بشفقته تعالى وقدرته وعلمه كما قدمناه وهذه الدرجة الاولى
ثم التوكل الاعلى منه ان يعتمد عليه سبحانه اعتماد الطفل علي الام
فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها
ولا يفزع الى احد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق
في كل حال بذيلها ولم يتركها وان نابه امر في غيبتها كان اول
سابق الى لسانه يا اماه يا اماه واول خاطر يخطر علي قلبه امه
فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها
فمن كان تالهه الى الله ونظره الى مولاه واعتماده عليه في دنياه
واخراه كلف به كما تكلف الصبي بامه بل اقوى منه فانه سبحانه
ارحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما ان الطفل متوكل علي امه صدقا
وتفارق هذه الرتبة الثانية الدرجة الاولى بشيئين لعدم
الالتفات علي الاعتماد استغراقا بالام في باب الاستناد اذ
الصبي اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف ان التوكل ما هو فلا
يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين
الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت
قلبه الى التوكل وحقيقته بل علي المتوكل عليه فقط فلا مجال
في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب

والكسب وليس غائبا عن توكله حيث له الالتفات الى توكله
وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده
والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه
فقال ترك الاماني قيل فما وسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة
الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه
الا من بلغ اوسطه وترك التدبير اي وتفارق الثانية الاولى
بترك تدبير الامور اذا كان في مقام الحضور فتلك الرتبة
الاولى لا تنافيه اي اصل التدبير بالطريق الذي رسمه
اي بينه الوكيل به وعينه ان يفعله تصريحا او تلويحا ولكن
تنافي بعض التدبيرات التي ما رسمه بها ولا كلفه في تحصيلها و
ذلك كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من
جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله
او التدبير الذي عرف من عادته وسنته دون تصريح اشارته
فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول لست اذكر الا بحضورك
فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا
لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في
اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل ما رسمه
له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما
المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا
يحاج الخصم الا من استعجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه
ان يكون معولا على سنته وعادته ووفائه بمقتضاها وهو ان

يجعل

يجعل استعجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني
عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار الستعجل ونحوه
من الشهود في الامور ثم اعلى رتبة التوكل على الله تعالى ان يكون
المتوكل بين يدي الله سبحانه في حركاته وسكناته كالميت بين
يدي الغسال حال تغسيله وسائر تصرفاته لا يفارقه الا في انه
يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك اليد الغاسل
الميت وهو الذي قوي يقينه بانه سبحانه مجري الحركة والقدرة
والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون
غائبا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق هذه المنزلة الثالثة
الدرجة الثانية بترك السؤال مطلقا سواء كان السؤال من الله
او من غيره في جميع الاحوال كما روي عن الخليل انه قال له جبريل الك
حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال سل ربك فانك
في مقام البلاء المورث للولاء فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي
وحاصله ان صاحب هذا المقام يفارق الصبي فيما له من المرام
فان الصبي يفزع الى امه ويصيح وراءها ويتعلق بذيلها ويجد
وخلفها بل مثاله هذا مثال صبي مرضع انه يعلم امه وان لم يزعق
بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه
وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدي وترضعه وهذا المقام
في التوكل يتم بترك الدعا والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته
ورعايته وانه يعطي ابتدا افضل ما يسال فكم من نعمة ابتداها
قبل الدعا وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى وآتاكم من كل ما سا

لتموه

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتلك اي الرتبة الثانية انما تنافيه اي السوال من غيره تعالى فقط وهي الدرجة الثانية اذ دواخل وقوما داعزنفا م الثانية م الاولى كذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم فاذا رجع حال المتوكل الى الترك عن الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم وهذا هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه تدقق في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره في مهلكة محظورة ومزلقة قدم عظيمة هلك الهالكون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت نسبته ورفعت درجته وارتفعت همته وهو الذي يصدق معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه اسات بالذنب واعتذرت منه الى الرب مع ان اعتذاري عند قلبي اسوا من ذنبي لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل وهذه كلها مخصوصة بربي ولا بد منه اي من التوكل في امر الرزق وغيره لثمانية اشيا تورد في التنزيل وعلى الله اي لا على ما سواه فتوكلوا ان كنتم مومنين كاملين او اذا صرتم مومنين والامر للوجوب وفي اية اخرى وعلى الله فليتوكل المومنون وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم

يتوكلون ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه فيما تمناه وقال اليس الله بكاف عباده فمن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الاية وقال ان الله يحب المتوكلين وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى حماه وذمامه وبابه حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وثق بتدبيره وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت اي لا الى من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكي عن الخواص ولو توكلتم وفي رواية لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تمامه تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وهو مقتبس من قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وفي رواية زيادة ولمشيتم على البحور ولزالت بدعايكم الجبال وفي رواية للبيهقي لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعايكم الجبال وعن ابن مسعود مرفوعا اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملات السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهياتهم فقيل لي ارضيت فقلت نعم فقيل ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر وقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة رواه منيع

باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس وللحاكم
وغيره من حديث ابن عباس من سره ان يكون اغنى الناس فليكن
بما عند الله اوثق منه بما في يديه وللطبراني وغيره من رواية
الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع انه قال عليه السلام
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ويروى انه لما قال جبريل
لابراهيم الخليل الك حاجة فقال اما اليك فلا وفا حسبي الله
ونعم الوكيل انزل الله فيه وابراهيم الذي وفى وكذا وحى الله تعالى
الى داود عليه السلام ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي فتكيده
اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير
لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي
اليد التي لم تلدغ وقال بعض العلما لا يشغلك المضمون لك من
الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال
من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال هرم بن حيان لاويس القرني
اين تامرني ان اكون فاومى الى الشام فقال هرم كيف المعيشة
بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشكوك فما
تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت
الى كل خير سبيلا وقال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما
التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابي يقولون لو ان
السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك
فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون

واهل

واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما اخرجت من جملة
التوكل قال في الاحيا مما ذكره موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو
المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم
الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله
تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة
الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر
وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات
وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرط في المقام الاول من التوكل
فقد احترز الصديق في الغار اذ سد منافذ الا ان يقال فعل ذلك
برجله ولم يتغير بسببه باطن سره او يقال انما فعل ذلك شفقة
على رسوله لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره ولغيره
لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال لان امثال ذلك
واكثر منه لا ينافي احوال التوكل فان حركة السر من الحيات
هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف سلط الحيات اذ لا حول للحيات
ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله
وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير ويشير
الى هذا المقام قوله تعالى لموسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
وقال تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت
الاعلى لانك في المنظر الاعلى وايضا اي كما لا بد من التوكل الوجوبية
لا بد منه لما يحصل فيه التفرغ للعبادة عن الالتفات الى تحصيل
الاقوات كما المنع عن ارادة طريق السعادة فقد سئل ذو النون

المصرى عن التوكل فقال خلع الارباب و قطع الاسباب
فخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد و قطع الاسباب الى
الاعمال فى مقام التفريد فقيل له زدنا فقال القا النفس
فى العبودية واخراجها من الربوبية يعنى بالتبرى من الحول
والقوة وايضا لابد من التوكل فانه كما هو المعلوم لا يتغير المقدر
المقسوم قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا
الاية وقد سيل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك ذلك
عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى
ذلك فى عنقك وان كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير
ان تترك لها وفا فلا تياس من الله ان يقضيها عنك ويقرب منه
قول صاحب المنازل ما بيدك لم اعرف بسبب من وما يصيبك
لم اعرف بيد من وفى هذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة
وان فى المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة
فورد الرزق مقسوم مفروغ ليس له اصل بهذا المبنى ولكنه صحيح
من حديث المعنى فللبيهقى فى الشعب مرفوعا عن ام الدرداء ان
الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله ويشير اليه قوله سبحانه الله
الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم بل فيه تنبيه نبيه على ان ما
بلغه شى من رزقه لم يفات له طلب احاله وقد قال بعض العلما
لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه
وانه لو سال الله ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال
له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذا قال ابن عباس اختلف

الناس

الناس فى كل شى الا فى الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق ولا
مميت الا الله وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا
تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا
الى الانعام والوحوش كيف قيض الله لها الرزق وقال ابو يعقوب
السوسى المتوكلون تجرى ارزاقهم على ايدى العباد بلا تعب منهم
وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم
فى رزق الله لكن بعضهم ياكل بذل السوال وبعضهم بتعب
وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية
يعبدون فيشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون
الواسطة ويشير الى هذا المقام قوله تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون الى ان قال ولله خزاين
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون اربع فرغ منهن
للخلق بالفتح والخلق بالضم والاجل والرزق رواه الطبرانى
من حديث ابن مسعود ولفظه فرغ الى ابن ادم من اربع الخلق والخلق
والرزق والاجل ورواه احمد والطبرانى عن ابى الدردا بلفظ فرغ
الله عز وجل الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره اى عمله
ومضجعه اى محل موته وشقى وسعيد ولقد احسن من قال
من اهل الفتون

جرى قلم القضا بما يكون   فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق   ويرزق فى غشاوته الجنين

وايضا لا بد من التوكل اذ المطلوب من العبد هو العدة اى الاستعداد

على الطاعة لزاد المعاد وهو تعالى قادر على اعطايه لسبب حاصل
بالطلب ودون السبب اى وحاصل بغيره من انواع الكسب
فقد قال يحيى بن معاذ فى وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق
ماموذ بطلب العبد ويويده قوله عليه السلام للسايل بعد اعطايه
التمرة خذها ولو لم تاتها لاتتك وقد تقدم مبناه وما يويد من
معناه وسئل ابو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله
فى كل حال فقال السايل زدنى فقال ترك كل سبب موصل الى سبب
حتى يكون الحق المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاثة
المتقدمة والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو شان
توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك
فلا اذ كان سواله سبب يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له فتركه
ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك
وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه
غيره وهو حال عزيز فى نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز
والموت جوعا متقدم رايتنا كالموت شبعا فلا بد من التوكل سوا كان
شبعانا او جيعانا وقد قال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون
وسكون بلا اضطراب فالاول اشارة الى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه
بين يديه والثانى اشارة الى كمال توكله عليه فعن ابى على الدقاق
التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن
الى وعده والمسلم يكتفى بعلمه والمفوض يرضى بحكمه ثم اعلم ان الشخص
اذا كان بطالا فعليه ان يصير كاسبا وعاملا ولا معنى للتوكل فى حقه

الاما

الا ما يليق بمقامه وفى رواية فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين
يستعان به على التفرغ لله تعالى وهو خاصة للمجتهدين اما من العلما
الزاهدين واما من الصلحا العابدين فما للبطال والاتكال واذا كان
مشتغلا بالله وملازما المسجد او بيته ومواظبا على علمه وعبادته
بتحسين نيته وتزيين رعايته فالله سبحانه يقذف حبه فى قلوب
خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته كما روى الى الان من قديم الزمان عالم
او عابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وهو فى وسط الدنيا من
القرى والامصار فمات جوعا بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس
بحوله لقدر عليه من كان لله كان الله له لكن ينبغى ان يكون نظره
الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب نعم لا يطمع فى الحلوى والطير
السمان والثياب الرفيعة والبيوت المنيعة مع انه لو قدر له شى
من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك كما يشير اليه نحن قسمنا بينهم
معيشتهم وربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفى الخبر ابى الله ان يرزق عبده
المومن الا من حيث لا يحتسب فالاهتمام الكثير بامر الرزق قبيح
من ذوى الدين وهو اقبح من العلما المجتهدين ثم اكل من كسبه فذلك
له وجه لايق بالعالم الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن
له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فالسالك
فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه
اولى لانه تفرغ للمولى واعانة للمعطى على نيل الثواب فى العقبى
ومن نظر الى مجارى سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب

ولاعلى كد الاكتساب ولذا سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرزق غيرهم ولا تغتر بالاسباب الظاهرة لهم فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه فقالوا نسال الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل على الله تعالى وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله تعالى صبرا فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا ويسالنا القوي جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا وايضا لا بد من التوكل اذ الصلاح في الامور مستور لا من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وايضا لا بد من التوكل حيث انه اي الله سبحانه ضمن الرزق بلا تعليق اي من غير تقييد بشرط الكسب والطلب فورد في التنزيل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اي ولو لم تكسبه ولم تطلبه لا سيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه فعن ابراهيم بن ادهم سالت راهبا من اين تاكل فقال ليس هذا العلم

عندي

عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني فما اقبح من يثق اي يعتمد على سوقي مع ان الغالب عليه الكذب وخلف الوعد بعد الاقراض والضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى مع كمال صدقه وجمال وعده وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله رواه ابو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام بالمسجد لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعادها ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد خير لك يعني فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وايضا لا بد من التوكل اذ لا فائدة في الطلب حيث لا يزيد لطلبه ولا ينقص لتركه فلا منفعة في طلبه الا المذلة للمخلوق مثله ولا يحل لمؤمن ان يذل نفسه وضياع الوقت اي وتضييع العمر في غير عبادة هي المطلوب من العبد بحسب الامر وايضا لا بد من التوكل اذ الحياة في الاستقبال مشكوك والموت متيقن مسلوك والاستعداد للمتيقن اولى من الاستعداد للمشكوك بخلاف الثواب والعقاب فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب لكن لا بد للانسان ان يسعى في اكتساب ما يوجب الثواب في اجتناب ما يقتضي العقاب لورود الاوامر والنواهي في الكتاب ولتعليقهما على العمل حيث قال من يعمل من يعمل من الصالحات ومن عمل صالحا الايات وقال تعالى جزاء بما

كالذين يجهلون وان ليس للانسان الا ما سعى واما ما ورد في التنزيل
وابتغوا من فضل الله فقد يتوهم منه ان المعنى اطلبوا من رزق الله
وليس كذلك فالعلم والثواب هما المراد من فضل الله او هو
امر اباحة بعد الحاجة او امر بطلب الحلال دون الشبهة هذا
وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير
بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال
وحرام في الشرع فقد اثنى على المتوكلين ولا ينال بمحظور
مقام من مقامات الدين فرفعه بقوله ولا ينفيه اى التوكل اربعة
اشيا منها الكسب لانه اى التوكل عمل الباطن فيجتمع مع عمل الظاهر
بل هو اى عند ارباب السراير ثم في مراتب الكسب التفصيل باعتبار
السبب فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب بحيث لم يحصل
المسبب بدون السبب لسنته تعالى كمد اليد للطعام اى لاكله
والوقاع اي ذكا الجماع للولد اى لخلقه وبث البذر للحصاد بالفتح
والكسر اى لقطعه فالترك خطا بل جنون محض فورد في التنزيل
ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وتوضيحه
انه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج اليه
ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي
ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذا مضغه بالاسنان وابتلاعه
باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وجهل ظاهر
وليس من التوكل شي فانك ان انتظرت ان يخلق الله شبعا دون
اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله

الى معدتك

الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع
الارض وطمعت ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد الزوجة
من غير وقاع كما ولدت مريم فهذا وامثاله جنون وليس التوكل في
هذا المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى
خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه هو الذي يطعمك
ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو ان يكون سكون
قلبك واعتماده على الله تعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد
على صحة يدك وربما يجف في الحال وكيف تعول على قدرتك
وربما يطرا عليك ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف
تثق على حضورها الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك
عليه واذا كان هذا علمه وحاله فليمد اليد اليه فانه متوكل
على الله ومعتمد عليه وان كان السبب مظنونا اي مشكوك
فيه يعدم حصول المسبب دونه اي من غير السبب غالبا كحمل الزاد
للسفر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا فكذلك تركه
خطا وجنون وايقاع للنفس في التهلكة لانه اى حمل الزاد في السفر
سنة الاولين اى عادة الانبيا والمرسلين وطريقة السلف
الصالحين من الصحابة والتابعين لكنه اى ترك حمل الزاد يجوز
وكذا كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة الى العوام
ايقاع للنفس في التهلكة وهو حرام وانما يجوز ان ارتاضت
النفس في مقام المرام وصبرت عن الطعام اسبوعا اي سبعة
ايام او ما قرب منه اى من الاسبوع واقله ان يكون ثلاثة ايام ولياليها

وقد روي عن ابي تراب النخشبي رأى صوفيا مد يده الى قشر بطيخ
ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف اي لا تتصوف الا مع
التوكل ولا يصح التوكل الا ممن يصبر على الطعام اكثر من ثلاثة ايام
وعن ابي علي الروذباري قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه
السوق ومروه بالعمل والكسب دون الشغل عنه تعالى بان يعبده
من غير ضيق قلب وتشويش خاطر كما حكي ان رجلا قال دخل ابو تراب
النخشبي مكة طيب النفس فقلت اين اكلت ايها الاستاذ فقال اكلت
بالبصرة واكلت بالنباج واكلت ههنا كذا في الرسالة القشيرية
وقدرت اي وان قدرت وظاهر كلام الاحياء يتناول وقدرت
على الاقتيات بالحشيش فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالبا ما يخلو
عن البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه ادمي او ينتهي الى قرية او الى
حشيش يكون سبب لحياته وقد يكون له ثبات على الرضا بالهلاك
الى الموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي قد حمل الزاد
قد يوخذ زاده او يقتل بسببه فيموت جوعا فذلك ممكن مع
الزاد كما انه ممكن مع فقده واما لو انحاز الى شعب من الشعاب
حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو
اثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق
الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني
ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم ياته شيء فقال يا رب
ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني فاوحى الله
تعالى اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس

فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب
واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب
حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت ان ارزق عبدي بيد عبادي
احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب
بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة واما ما ورد
في التنزيل وتزودوا وهو امر بطلب الزاد واخذ الزاد فزاد الاخرة
هو المراد لقرينة ما بعده فان خير الزاد التقوى اي النافعة في المعاد
او هو اي تزودوا امر لقوم خاص من اهل اليمن وغيرهم يقصدون
الحج بلا زاد اتكالا على الناس اي اعتمادا على عطاياهم من ازوادهم
ويوذون الناس بالالحاح في السوال ومنهم جمع يدعون انهم
متوكلون والحال انهم متاكلون والا اي لم تتناول النفس ولم تصبر
عن الطعام فحرام عليه ترك السبب من الكسب والطلب لانه سعي
في الهلاك للبدن وانه لا يحب الفساد ورؤف بالعباد وان كانت
السبب موهوما كالاستقصاء في دقايق التدبير من امر الزراعة
والتجارة وساير انواع الصناعة ومنه الكي والرقية والطيرة
فهو اي الاستقصاء في هذا الباب ينافيه اي التوكل عند اولي
الالباب لانه غاية الحرص ونهاية الاتكال على الاسباب
وعن سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق
ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم تدبيرهم ويستغني الرب
قلبه اي دون المعيل فانه يتعين عليه طلب الحلال لاجل
العيال فانهم لا يكلفون بالتوكل قوما له من الحال فيختار

العزب الكسب بسبب ثلاثة اشيا بنية التصديق بما فضل
عن قوته على سائر الفقراء لا سيما ذوي القربى والاعانة على البر
والمساعدة على اهل المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى والتحامي اي المحافظة عن الشغل عنه اي عن
ذكره وفكره تعالى بالالتفات الى غيره سبحانه ولو من حوله
وقوته فاذا كان المكتسب مكتسبا لعياله او لتفريق ما له من ماله
فهو بيديه مكتسب ومتنفع وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله
في مقام كماله والترك اي ويختار العزب ترك الكسب لتشغل
الكسب عنه تعالى اي عن القيام بحقه كما هو حقه والانقطاع
اليه اي ولكمال انقطاع العبد الى حضوره وسببه عملا بقوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا والحاصل ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت
فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة ويعرف صاحب هذا
الحال بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه من الادخار
للاستقبال ومن النكاح واختيار العيال اختيارا وتركا فيختار
بنية التصدق والاعانة ويتركه لتشغله عن الحق والعبادة ٭
ويكتسب المعيل لاجل العيال كما روي عن الصديق رضي الله عنه
لما بويع للخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع
بيده ودخل السوق ينادي فكره المسلمون ذلك فقالوا كيف
تفعل هذا وقد قمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي
فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت

اهله

اهله من المسلمين فلما رضوا بذلك راي مساعدتهم وتطييب
قلوبهم واستغراق وقته لمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال
لم يكن ابو بكر في مقام التوكل فمن اولى بهذا منه فدل على انه ما كان
متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر
الاسباب وبشروط كان يراعيها من طريق الكسب من الاكتفاء بقدر
الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه
احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه
من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع
الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء
الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين
اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب
في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الا قيراطا
ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم
في التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر
عندي والحاصل ان التوكل مقام شريف ومرام لطيف ولذا قال
ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب
الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا من
كلامه مع علو قدره ومقامه ولعله اراد اقصى ادراكه وهو
مشاهدة ان لا فاعل الا الله ولا رزاق سواه وبان كل ما يقدره مولاه
على عبده من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه

وقال الخواص وقد سئل عن اعجب شيء راه في اسفاره فقال
رايت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة
ان تسكن اليه نفسي فيكون نقصا في توكلي ولا يكلف العيال
بالاتكال الا ان يساعده فيما له من الحال بالتوكل مع عدم المال
والا فيجب عليه الكسب بقدر نظام الكمال فعن سهل من طعن
على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب
فقد طعن على التوحيد فسبحان من اقام العباد فيما اراد ومع
هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال
فقد قال الحسن البصري وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة
بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السما نحاسا والارض
رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك بربي ولا الادخار
اي ولا ينفي التوكل وضع الذخيرة لما دون الاربعين يوما من الزب
والسنة من المعيل كما سياتي واختلف فيه اي في الادخار
هل يكون منافيا للتوكل ام لا فذهب سهل الى انه يخرج به عن
التوكل مطلقا وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن التوكل باربعين
يوما ويخرج بما زاد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج
عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا الاختلاف
لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار كما في الاحيا على ما سياتي بيانه
في الاثنا والتحقيق في مقام التوفيق ان الفضيلة في قلة الادخار
لقصر الامل المتعلق بمدة الدار وتوضيحه ان كل ثواب
موعود على مقام محمود فانه يتنوع على قدر رتبته فيه بما

يوافقه

يوافقه ويناسبه ثم لتلك الرتبة لها بداية ونهاية وتسمى اصحاب
النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين
اللاحقين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذلك السابقون
واعالي درجات اصحاب اليمين اللاحقين تلاصق اسافل درجات
السابقين كما قيل نهاية الاوليا بداية الانبيا فلا معنى للتقدير
في مثل هذا التقدير التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا
بقصر الامل وتجويز قرب الاجل واما عدم امل البقا فيبعد اشتراطه
ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده ثم الناس متفاوتون في
طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه
من الساعات واقصاه ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات
وبينهما درجات لا حصر لها في الاوقات فمن لم يامل اكثر من شهر
اقرب الى المقصود ممن يامل سنة في الوجود وميقات الكليم
اي ميعاد موسى عليه السلام حيث قال تعالى وَاِذْ وَاعَدْنَا
مُوسَى اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ليس للامل اي لجواز طول الامل بقدر اربعين
من الاجل فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان ما يرخص فيه
الامل بل لاستحقاق نيل المرام اي وصول موعود موسى عليه
السلام بعد اربعين يوما الى مقام الكلام على ما هو السنة الالهية
السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية في تدبير الامور •
الانسانية كما في صيرورة الجنين اي تصوير الطفل في بطن امه
من الاطوار الانسانية الايجادية المتضمنة للتربية التدريجية
الامدادية نطفة اربعين يوما وعلقة كذلك ومضغة

كذلك وورد خمرت طينة ادم بيدى اى بصفتي من نعوت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على وجه الكمال اربعين صباحا رواه الديلمي من حديث بن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف وذلك لان استحقاق تلك الطينة للتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر ومنه اى مما ذكر من الكتاب والسنة يوخذ في الرياضة على اختيار المشايخ للاربعين ويويده من حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت له ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد تقدم ومن حفظ على امتى اربعين حديثا حشر مع العلما وله طرق يقوي بعضها ببعض فتصير حسنا وللسنة اى ولا ينافي التوكل الادخار للسنة الكاملة من المعيل اى صاحب العيال من الاطفال والنسا تطييبا لقلوب الضعفا كما هو المروي في سنة سيد الانبيا ففي الصحيحين انه عليه السلام ادخر لعياله قوت سنة بخلاف ما فوقها فان ما ورا السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والكسب ويترك المضطرب اى المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر طريق المتوكل غير المضطرب بالادخار فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو اولى بالاختيار بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا برعايته فذلك اولى في مقام عنايته لان الغرض وهو مدار المقصود صلاح القلب في عبادة الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله عدمه لحصول شتات البال والمحذور ما يشغل العبد عن

الحضور

الحضور والا فجميع ما في الدنيا ليس في عينه محذورا ولا في وجودها وعدمها محظورا ولذا بعث الله رسوله الى اصناف الخلق ومنهم اهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المزارع بترك زراعته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لها بالاشتغال بها بل دعى الكل الى الله وطاعته وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال في عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد كما تقدم ونهى بلالا عن الادخار وقال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا رواه البزار من حديث ابن مسعود وابي هريرة وذلك حين دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر وللطبراني والحاكم من حديث ابي سعيد انه عليه السلام قال لبلال الق الله فقيرا واذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا وقد اخبر عليه السلام ان الله يحب ان يوتى رخصه كما يحب ان يوتى عزائمه كما رواه احمد وغيره من حديث عمر تطييبا لقلوب الضعفا حتى لا يادى بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور عليهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقويا فما ارسل سيد الانبيا الا رحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس

وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب
الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه
فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان رواه
احمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك
في حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضي امرين احدهما انه اراد
كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس
منه فهو نوع تلبيس وثانيهما ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون
المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين
في الوجه فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته
في العقبى اذ لا يوتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره في الاخرى
واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته
بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر ظ الحسين المغازي
من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل
اسمر خفيف العارضين فقام له بشر قال ما رايته قام الى احد
غيره قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا بها من اطيب
ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال
فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا
حاجتنا وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه
وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك
انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن فقال لذلك

اخونا

اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا
ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار والله سبحانه اعلم بحقائق
الاسرار ولا مباشرة اسباب اي ولا ينافي التوكل مباشرة اسباب
هي تدفع الضرر المتعرض للخوف في نفس او مال ان كان الضرر
مقطوعا به او مظنونا كالتحرز عن النوم في مكمن السباع اي في الارض
المسبعة وممر السيل او في مجرى السيل من الوادي لا سيما في الليل
فانه ادعى للويل وتحت الحائط اي الجدار المائل الى السقوط وكذا
السقف المنكسر الذي يخاف منه الهبوط لان التعرض للهلاك
منهي عنه فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك
بغير فائدة منه بخلاف الموهوم اي بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما
فان مباشرته تنفي التوكل فترك الموهوم منهما من شرط التوكل وهي التي
نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية
قد تقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول
المحذور لازالته ما وقع فقد ورد في وصف المتوكلين انهم لا يكتوون
ولا يسترقون على ما تقدم فما وصفهم عليه السلام الا بترك الكي
والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم
يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع الا في اذى الناس
استثناء من قوله ولا مباشرة اسباب تدفع الضرر اي الا ان يكون
الضرر فيما ناله من اذى الناس له ويكون مما لا اثر له في الخارج كالشتم
والملامة والتعيير والتوبيخ والمذمة فانه اذا امكنه الصبر والاحتمال
وامكنه الدفع والتشفي فالاولى به الصبر وترك اسباب تدفع الضرر

وفوق المص فالاولى والاحسن قول صاحب الاحيا فشرط التوكل الاحتمال
والصبر فقد ورد في التنزيل فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون لتمامه
واهجرهم هجرا جميلا ولنصبرن على ما اذيتمونا اخره وعلى الله فليتوكل
المتوكلون ودع اذاهم اي اترك مدافعته ومعاقبته في الحال
او مكافاته ومجازاته في الاستقبال وتوكل على الله قال من توكل
عليه كفاه بخلاف اذى السباع فانهم مجبولون على الاضرار
معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات
ليس من التوكل في الدرجات اذ لا فائدة فيه في حال من الحالات
فيباح للمتوكل السلاح فقد ورد في التنزيل وياخذوا اسلحتهم
في صلاة الخوف وهو امر ايجاب او استحباب وقد اختفى عليه السلام
عن اعين الاعدا في الغار خوفا من ضرر الكفار وقد قال تعالى لموسى
عليه السلام فاسر بعبادي ليلا فهذا وما قبله كله في حق النفس
واما في حق المال فاشار بقوله ويعقل البعير اي يربط رجله
بالعقال رفع رجله فقد ورد انه قال عليه السلام للاعرابي
لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل اي على الله رواه
الترمذي من حديث انس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبراني
من حديث عمرو بن امية الضمري باسناد جيد بلفظ قيدها
ويسد الباب اي يغلقه غير مستقص اي مبالغ في الحفظ كالتماسه
من الجيران حفظه مع وجود غلقه وجمعه اغلاقا كثيرة في محله
فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلا بشريط ويقول لولا
الكلاب ما شددته وفيه لطافة اذ الدنيا جيفة وطالبها

كلابها

كلابها كما ورد وقد تقدم ولا يحفظ متاعا حرصا عليه اي في اخذ
السارق ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث
معصيته او يكون امساكه موجب هيجان رغبته بل يقتصر على
ما لا بد منه ككوز يشرب منه وركوة يتطهر بها وجراب يمنع زاده
فيه وسلاح اذا كان من اهل الجهاد او سلاح كل احد بحسب مقامه
ومرامه كالكتب للعلما وعدة الحرف للفقرا والعصا سلاح
الضعفا وسنة الانبيا وكان بعض المتجردين لم يكن في خلوته شي
فاذا دخلها اغلقها واذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول انا امتاع
البيت ولما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها
قال لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها
فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن يشتغل قلبه بوسواس الشيطان
بسرقتها في اللاحق ولذا قال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية
هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها ويغتنم المتوكل ان سرق اي
جعل مسروقا لمعصية السارق وتعرضه للعقاب اللاحق لا يغتنم
لنقص المال بل يفرح به اي بنقص المال لما فيه صلاحه اي لما في نقص
المال من كمال صلاح الحال تحسينا للظن به تعالى فيما قدره وقضاه
من زوال الاموال ويشكره تعالى على جعله مظلوما لا ظالما ونقص دنياه
من ماله لا دينه الذي من كماله فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع
الطريق عليه واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار في المسلمين
من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي
ابن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فراه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال الم

اعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسلمين انه يسأل يوم القيمة
ولم تكن له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال انى مشغول
بالحزن عليه عن الدعا عليه ولا يبالغ في الطلب اى طلب المسروق او السارق
وسوء الظن بالمسلم اي وفي التهمة للجيران او غيرهم من اقاربه واصحابه
والاولى ان يعفو اولا ويحل ثانيا فهو اى ما ذكر من العفو والاحلال
صدقة ان كان السارق فقيرا والا اى وان لم يكن السارق فقيرا فاغناء
له عن المعصية التي هي السرقة وعمل بما ورد انصر اخاك ظالما او مظلوما
وتوضيحه ما في الاحياء فان قلت كيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ
متاعه الذى هو محتاج اليه ولا يأسف عليه وذلك لانه ان كان
لا يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقده
وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين
به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا
ان الخيرة له فيه ما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير
الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب
دينه ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان تكون خيرته
في ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه
في النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه
في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة
لي في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع
عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب
بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له وهو

كالمريض

كالمريض بين يدي الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله فان قدم اليه
الغذا فرح به وقال لولا انه عرف ان الغذا يضرني لما حال بيني وبينه
فكل من لا يعتقد في لطف الله ما يعتقد المريض في الوالد المشفق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله
وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري
اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فلذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل
بسرقة متاعه او ببقائه فانه لا يدري ايهما خير لي في الدنيا
ولا في الاخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان
وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت
فقيرا ويتمناه ان ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت فينبغي ان ينوي
عند خروجه منه الرضى بما يقضي الله تعالى فيه من تسليط سارق
عليه ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل او هو في سبيل الله ان
كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى ويكون له
نيتان لو اخذه غني او فقير احديهما ان يكون ماله مانعا له من
المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال
عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما
اخر فيكون ماله فداء لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال
نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح
للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما
على ما في الصحيحين وتمامه قيل كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم

فان ذلك تضرع وتضرع الظالم منعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له والتحقيق ان هذه النية لا تفترق بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي السابق ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامر ان يكون في هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله سبحانه اياه كما سبق في الكتاب فكم من بيت يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يغصب وكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او وديعة فتستردها ولا ادري انما رزقي في قبل خلقي وسبقت مشيتك في الازل انما رزق غيري وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضايك وتسخطا به على بلايك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه في الدنيا

الا ليزيد

الا ليزيد رزقه في العقبى فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما ياتيه بل قد يكون العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى قلبه واكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مبينة له في دينه من حيث انها اظهرت له نقصانه عن جميع المهمات وكذبته عن جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعواها ولا يتحمل غرورها فانها خداعة امارة السوء مدعية للخير في امورها وينويه اي العفو ابتداء ليثاب وان لم يسرق انتهاء كما في ترك العزل فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل الله يثاب به ولو لم يولد فورد فيه اي في ترك العزل ثواب ولد كبر وقتل في سبيله تعالى وفي الاحيا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الوقاع واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يتعدم فكذلك امر السرقة لكن يخرجه قال لم اجد له اصلا هذا واذا جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الاخرة فان اعيد عليه

فلا ياخذه اي فالاولى ان لا يقبله لو اتى به اي بالمال المسروق
وان جاز الاخذ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم لان النية
بمجردها لا تخرج الملك عن يد المالك لكن اخذه غير مستحسن عند
المتوكلين فقد ر وكان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها
حتى اعيى ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين
فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا وكذا
فلبس نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب
فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وكذا من اخذ رغيفا
مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له ان يرده الى البيت بعد اخراجه
منه فيعطيه فقيرا اخر وحكي عن رجل من العباد بمكة انه كان نائما
بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه
به فقال له كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد
ذلك اعلمه اصحابه بانهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو
واصحابه اليه فردوا الذهب اليه فابى عليهم وقال خذوه
حلالا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبله
فالحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصر صررا ويبعث بها الى الفقرا
حتى لم يبق منه شيء ثم اقل درجات المتوكل ان لا يدعو على السارق
الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على
كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وفي الخبر من دعا
على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي رواية ان العبد ليظلم المظلمة
فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدارا ما ظلمه ثم يبقى

للظالم

للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم
وحكي ان الربيع ابن خثيم سرق له فرس قيمته عشرون الفا وكان
قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولا انزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم
يعزونه فقال اما اني كنت قد رايته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره
قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة في مقام الاحسان وكمال
التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا
فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له
الا تدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه
قيل افرايت لو ردت عليك السرقة قال لا اخذها ولا انظر اليها
لاني كنت قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال
ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه
حتى ازيده شرا ولا ازالة الضرر اي ولا ينافي التوكل دفع الضرر المقطوع
به بالسبب المقطوع به كالشرب لدفع العطش وكذا الاكل لدفع
الجوع واللبس لدفع الحر والبرد والمظنون اي والضرر المظنون
فيه بالسبب المظنون وهو طرف الراجح من المشكوك كالحجامة
والفصد والاسهال اي شرب الدواء المسهل وسائر اسباب الطب
من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة بخلاف
الموهوم وهو الطرف المرجوح من المشكوك كالرقية والطيرة والكي
نعم وكان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم
يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا
واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني

وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد
ذلك وانابالى الله فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملائكة
وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الملائكة التي كان اكرمني الله بها
قد ردها الله علي بعد ان كان قد اخبر بفقدها والترك
لمباشرة السبب حرام في المقطوع به عند خوف الموت دون المظنون
فان تركه ليس بحرام واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ وصف
به النبي عليه السلام المتوكلين واقواها الكي ثم يليه الرقية
ولذا نهى عليه السلام عن الكي دون الرقية ففي البخاري وانهى
امتي عن الكي وفي الصحيحين من حديث عايشة انه عليه السلام
رخص في الرقية من كل ذي حمة ثم الطيرة اخر درجاتها فالاعتماد
عليها والاتكال اليها في هذا الباب غاية التعمق في ملاحظة
الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة
بالاسباب الظاهرة عند الاطبا ففعله ليس منافيا للتوكل
بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون
تركه افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص
ويدل على ان التداوي غير مناف للتوكل من فعله عليه السلام
وقوله وامره اما قوله فحديث ما من داء الا وله دواء عرفه
من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت رواه الطبراني
وغيره وحديث تداووا عباد الله رواه الترمذي وصححه وابن
ماجة من حديث اسامة بن شريك وسيل عليه السلام عن الدواء
والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله رواه الترمذي

وابن ماجة

وابن ماجة والحديث المشهور ما مررت بملاء من الملائكة
الا قالوا مر امتك بالحجامة رواه الترمذي من حديث ابن مسعود
وحديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ
الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم
خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج
العقرب من تحت الثياب واما امره عليه السلام فقد امر غير واحد
من اصحابه الكرام بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا
اي فصده كذا في الاحيا ورواه مسلم من حديث جابر قال رمي سعد
في اكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث وقد
كوى سعد بن زرارة رواه الطبراني ويوخذ منه ان سبب
الكي اذا كان موهوما فالاولى تركه وينافي التوكل فعله وقد
قال لعلي كرم الله وجهه وكان وجع العين لا تاكل من هذا
يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني السلق الذي طبخ بشعير
وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو وجع العين اتاكل التمر وانت
رمد فقال انما اكل بالجانب الاخر فتبسم عليه السلام واما فعله
صلى الله عليه وسلم فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل
كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة رواه ابن عدي من حديث
عايشة وقال انه منكر انتهى وحديث الاكتحال ثابت في الترمذي
كما لا يخفى وللطبراني باسناد حسن انه عليه السلام لدغته عقرب
تغشي عليه فرقاه الناس الحديث وله في الاوسط عن انس انه عليه
السلام كان اذا اشتكى نفث كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا

ولابي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي
عليه السلام احتجم بعد ما سم وللبزار وابن عدي في الكامل من حديث
ابي هريرة انه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه
فيغلفه بالحنا وللترمذي وابن ماجة من حديث سلمى كان اذا خرج
به قرحة جعل عليها حنا فكما ان التداوي مروي ومشهور فترك
الدوا ايضا ماثور عن السلف مسطور فروي عن الصديق انه قيل
له لو دعونا لك طبيبا فقال قد راني الطبيب وقال اني افعل ما اريد
وقيل لابي الدردا في مرضه تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة
ربي قالوا الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر
وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني مشغول عنهما قيل لو سالت
الله ان يعافيك فقال اساله فيما هو اهم علي منهما وكان قد اصاب
الربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت
عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطبا فهلك المداوي
والمداوى ولم يغن الدوا من الله شيا من الدا وكان احمد بن حنبل
يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ان يترك
التداوي من شرب الدوا وغيره وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل
قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت
اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى فوجه الجمع انه عليه
السلام وبعض اصحابه الكرام تداووا توسعة للانام ورخصة
في الاحكام وتركه بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة
المناسبة لما هم من المقام والا فالتداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدوا

نافعا دون خالق الدوا فلا ريب ان الدوا نافع بنفسه بل من حيث
انه جعله الله سببا لنفعه كما لا يري الماء مرويا ولا الخبز مشبعا وفي الاحيا
لا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وافعال التاركين من الاعلام
الا بحصر الصوارف عن التداوي في ذلك المقام فترك الدوا المذكور
والماثور انما هو لاحد اسباب سبعة لعرفان عدم النفع بالمكاشفة
وهو ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى اجله
وان التداوي لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برويا صادقة
وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق
التداوي من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال لعايشة
في امر الميراث انما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت
امراته حاملا فوضعت انثى فعلم انه قد كوشف بانها حامل بانثى
فلا يبعد ايضا ان يكون قد كوشف بانتها اجله والا فلا يظن به انكار
التداوي وقد شاهده عليه السلام تداوى وامر به كذا في الاحيا
وفرق بين انكار التداوي وعدم مباشرته كما لا يخفى ولكون المرض
مزمنا والعلاج موهوما في النفع كالكي والرقية ونحوهما وعليه
حمل الربيع او للتشغل عنه اي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه
مما يوافقه وينافيه بخوف العاقبة وعلمه تعالى بما وقع له في السابقة
فينسيه ذلك الم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوي
شغلا بحاله وتاملا في ماله وعليه يدل كلام ابي الدردا وابي ذر
في ترك الدوا فكان تالم قلبه خوفا من ذنبه اكثر من تالم بدنه من
حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخايف

الذي يحمل الى الملك من اجل سببا سنه اذا قيل له الا تاكل وانت
جائع فيقول اني مشغول عن الاكل وعن الم الجوع بما هو اهم منه
ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت
فقال هو الحي القيوم فقال انما سالناك عن القوام قال القوام هو
العلم قيل سالناك عن الغذا قال الغذا هو الذكر قيل سالناك عن
طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا
اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت
ردوها الى صانعها حتى يصلحها او لتقصد تطويله اي لارادة استبقا
المرض لينال الاجر بالصبر على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض
ما يكثر ذكره ومن ذلك ان الله تعالى يجرب عبده بالبلا كما يجرب
احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالابريز ومنهم من يخرج دون
ذلك ومنهم من يخرج اسود محترق رواه الطبراني من حديث ابي امامة
وقال ابن مسعود يجد المومن من اصح شي قلبا وامرضه جسما ويجد
المنافق من اصح شي جسما وامرضه قلبا ويشير اليه قوله تعالى واذا رايتهم
تعجبك اجسامهم فلما عظم الثنا على المرض والبلا احب قوم البلا
المرض واغتنموه وتركوا الدوا لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم
من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم
الله تعالى وما فيه من الحكمة ويعلم ان ذكر الحق اغلب على قلبه
من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان الصلاة
من قعود مثلا مع الصبر على قضائه سبحانه من العلة افضل
من الصلاة قائما مع العافية والصحة وكان سهل يقول ترك التداوي

وان ضعف عن الطاعات افضل من التداوي لاجل القوة على
العبادات وكانت به علة عظيمة ولم يتداوى لها وكان يداوي
الناس منها وسئل عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا
فانما هو توسعة من الله عز وجل لاهل الضعف ومن لم يدخل في شي
منه فهو افضل لانه ان اخذ شيا من الدوا وان كان هو الماء البارد
سئل عنه لم اخذت ذلك ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان
مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات
لعلمهم ان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل
من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب
الا اذا كان المه غالبا مدهشا وجعل سهل علل الاجسام رحمة وعلل
القلوب عقوبة او تكفير الذنب بان يرى طول المرض تكفير الخطايا له
فلابي يعلى وابن عدي من حديث ابي هريرة لا يزال الحمى والصداع
بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وللطبراني من
حديث ابي الدردا نحوه وله في الاوسط من حديث انس مثل المريض
اذا صح وبرا من مرضه كمثل البردة تقع من السما في صفائها ولونها
وللقضاعي من حديث ابن مسعود حمى يوم كفارة سنة وفي رواية
حمى ليلة ولاحمد وابي يعلى من حديث ابي سعيد الخدري باسناد
جيد ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله ارايت هذه الامراض
التي تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال ابي وان قلت قال
وان شوكة فما فوقها قال فدعا ابي ان لا يفارقه الوعك حتى يموت
الحديث والوعك الحمى وشدة المها وللطبراني في الاوسط من حديث

ابي بن كعب انه قال يا رسول يا جزا الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها
ما اختلج عليه قدم او ضرب عليه عرق فقال اللهم اني اسئلك
حمى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد
نبيك الحديث وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح
بدخول المصايب والامراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك
من كفارة خطاياه وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد
عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما به ارحمه اي به
اكفر ذنوبه وازيد في درجته او امتحان النفس اي تجربها
في القدرة على الصبر في المحنة بعدم الجزع والفزع والشكاية
فقد ورد نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل
يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه
البلا وان كان في ايمانه ضعف خفف عليه البلا رواه احمد
وابو يعلى والحاكم وصححه او طغيانا فيها اي تجاوز النفس عن حدها
في الصحة اي في ايام الصحة والعافية بتضييع الوقت
بالتنعم في الشهوات واللهوات وتاخير الخيرات اي وبتاخير
الطاعات والعبادات والمبرات لتطويل الامل وتبعيد الاجل
وتوضيحه ان يستشعر العبد في نفسه مبادي البطر والطغيان
بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض
فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول الامل وتسويف العمل
بتاخير الخيرات والمبرات فان الصحة عبارة عن فوق الصفات وبها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات واقلها ان تدعو

الى التنعم

الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للربح العظيم
في مخالفة النفس وملازمة الطاعات فاذا اراد الله بعبد خيرا
لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن
من علة او قلة او ذلة وروي ان الله تعالى يقول الفقر سجني
والمرض قيدي احبس به من اشا من خلقي وقال بعض العارفين
لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله
فانت في عافية فان كنت عصيته فاي داء ادوى من المعصية
ما عوفي من عصى وعن علي كرم الله وجهه انه لما راى زينة النبط بالعراق
في يوم عيدهم قال ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين
هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد وما
احسن من قال من ارباب الحال

• وليس العيد لمن لبس الجديد • انما العيد لمن امن من الوعيد •

وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي قيل
بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية
لانه لبث اربعماية سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب
عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن
الفضول الدنيوية فضلا عن دعوى الالوهية وروي ان عمار بن ياسر
تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وفي الخبر انه عليه السلام عرض
عليه امراة فذكر من صفتها ونعتها حتى اراد ان يتزوجها فقيل وانها
ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها رواه احمد من حديث انس باسناد
جيد وذكر عليه السلام الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل

ما الصداع ما اعرفه فقال عليه السلام علي اليك من اراد ان ينظر
الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا رواه ابو داود وذلك لما ورد
ان الحمى حظ كل مؤمن من النار رواه احمد من حديث ابي امامة ولابن
ماجة من حديث ابي هريرة انه عليه السلام عاد مريضا من وعك
كان به فقال ابشر ان الله عز وجل يقول هي ناري اسلطها على
عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في العقبى والاولى الاخفا
اي اخفاء مرضه وسوء حاله صبرا على بلائه تعالى ورضا بقضائه
سبحانه وتحاميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية وانما جاز
ذلك لثلاثة اغراض لقصد العلاج للطبيب اذا كان المريض
من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد بن حنبل لا يخبرها
المتطبب اذا ساله عنها وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول انما
اصف قدرة الله فيّ او لتعليم حسن الصبر او لتعليم المريدين
استحسان الصبر وجواز اظهاره بالشكاية على طريق الحكاية
بل لبيان الشكر في الرواية بان يظهر المريض بلية يصبر عليها
او نعمة يشكر لديها فيتحدث به كما يتحدث بالنعمة وقال الحسن
البصري اذا حمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن
ذلك شكوى ومثوى صاحب هذا المقام يكون من المقتدى به
في امر الرعاية او اظهار العجز والافتقار رغم الصبر اليه تعالى
وهو انما يستحسن من القوي في مقام الصبر كما عن علي كرم الله
وجهه انه قيل له في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم
الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله

فاحب

فاحب ان يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من
القوة والاقتدار فالنية اي تحسينهما واصلاحهما رخصة
لاظهار علله واسبابها والمعنى ان النية رخصة للتداوي وقوله
فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الاعمال
بالنيات واما من ترك التداوي توكلا فلا وجه له بلا اظهار
اصلا فان الاستراحة الى الدوا احسن من الاستراحة الى الافشا
وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل في معنى قوله فصبر جميل
لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب
بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه
تفرغت تشكوني الى عبيدي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن
طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه
وكانوا يكرهون انين المريض لان ظاهره معنى تقتضي الشكوى
حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام الا انينه
في مرضه فجعل الانين حظه منه ولعله محمول على انين كان يمكنه
ان لا يظهره عند عواده والا فقد سبق انه تسبيح ويثاب عليه
مع انه امر طبيعي لانه يدخل تحت اختيار المريض وفي الخبر اذا مرض
العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى
واثنى عليه بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما
كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية في المقام وخوف
الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه

احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب
ابن الورد وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول اشتهى المرض
بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد هذا ومما ينفع
في باب التوكل من حسن الظن بمجي الرزق ووفقا لرزق ان يسمع
الحكايات التي فيها عجايب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى
صاحب التوكل في ساير الاوقات كما روى عن حذيفة المرعشي
وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه
فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا
الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم بن ادهم وقال
يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي
بدواة وقرطاس فجيت بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم •
انت المقصود اليه بالله بكل حال والمشار اليه بكل معنى وقال •
انا حامد انا شاكر انا ذكر • انا جايع انا نايع انا عاري •
• هي ستة فانا الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري •
• مدحي لغيرك لهب نار خضتها • فاجر عبيدك من لهيب النار •
ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع
الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان على بغلة
فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل
صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة
فيها ستماية دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن راكب البغلة
فقال هذا رجل نصراني فجيت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال

لا تمسها

لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني
واكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع
البصري جعت بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني
نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيا يسكن ضعفي
فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها
وحشة وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك
شلجمة متغيرة فرجعت ودخلت المسجد وقعدت فاذا انا
برجل اعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال
هذه لك فقلت كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر
منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني
الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين
وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميد
مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة
من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية
مني لهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة
ايام وانت تطلبه في الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي
دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول
يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا
العطا فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيره وحكى عن
بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاتني
امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه

لا يرزقك قال ثم مضيت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم اكل فوجدت
خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما
يعطيني شيا ثم رمت الى شيا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت
بها الى قريب من مصر وحكي ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط
الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفير فتشتري ما
يوافقك فلما ورد النفير اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح
له وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا
عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى
بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفره معه
قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا فقال ان اكله فارزقه وان لم
ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي
القرص بعده ويقرب منه ما في حياة الحيوان ان دودة اكلها التراب
وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه وكذا الطير على ساحل
البحر يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء قال ابو سعيد الخراز
دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة فسررت
بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره سبحانه
فاليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل
حفيرة وواريت جسدي فيها فسمعوا صوتا في نصف الليل يا اهل
المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في الرمل فالحقوه فجا جماعة فاخرجوني
وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر
يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك

عن باب عمر فذهب الرجل ففقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل
بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عني فقال
اني قرات القران فاغناني عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت
فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي
في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر
بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين
فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث
ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس
البير رجلان فقال احدهما تعال حتى نسد راس هذا البير لئلا
يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا على راسه فهممت
ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت فبينما
انا بعد ساعة اذا انا بشي كشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول
تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني
فاذا هو سبع فمر وتركني فهتف بي هاتف فقال يا ابا حمزة اليس
هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

● اهابك ان ابدي اليك الذي اخفي ● وانت عليم ما يلاحظه طرفي ●
● نهاني هواي منك ان اكتم الحيا ● واغنيتني بالفهم منك عن الكشف ●
● تلطفت في امري فابديت شاهدي ● الى غائبي واللطف يدرك باللطف ●
● تراءيت لي بالغيب حتى كانما ● تبشرني بالغيب انك في الكف ●
● اراك وبي من هيبتي لك وحشة ● فتونسني باللطف منك وبالعطف ●
● وتحيي محبا انت في الحب حتفه ● وذا عجب كون الحياة مع الحتف ●

فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من
الموت وفي هذا المقام قال من قال ، دع نفسك وتعال ،
وبيان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك بالموت
ان لم يأته رزقه علما بان رزقه هو الموت والجوع وان كان نقصانا
في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى فيرى انه سبق لديه خير الرازقين
ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين والاصل
الذي عليه مدار امر الدين خصوصا فيه اي في التوكل هو اليقين
وقد قال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي عين اليقين
فانه عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين ولذا تفسيره
الموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين وقال عز وعلا هدى
للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الى ان قال وهم بالآخرة هم يوقنون وقول
علي كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه انما يزداد
وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا كما ان الذي يرى انسانا
في وقت الاسفار لا يزداد يقينا لانه انما يزداد وضوحا عينيا
بعد ما كان ظاهرا غيبيا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار
لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان في صورته
وهيأته بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته والحاصل
انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتياد
الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق
ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين ونظيره الى خبر الكعبة متواتر
عند كل سالك المناسك فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى

ان دينا هذا

ان دينا هذا البيت من بعيد فيشهد لم يعين اليقين مع تأييد
له اذا قبل الحجر الاسعد والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين في الحرم
المحترم والله اعلم وورد عنه صلى الله عليه وسلم من كان غريزته
العقل اي طبيعته وسجيته اليقين اي خلقته وطويته
لم تضره الذنوب اي ارتكابها لانهما يدعوان الى سرعة التوبة عن
اكتسابها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له في اجتنابها ومن اقل
ما اوتيتم اليقين في امر الدين وعزيمة الصبر في مقام المجتهدين
قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي عن
ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله
وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله
لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله
جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط وهو اي اليقين عدم الشك في امر الدين عند المتكلم
اي في علم الكلام والاستيلاء للامر على القلب باستعلاء الريب في علم
الآخرة المنتج للعمل الى مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند
المتصوفة والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال
والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا قيل لمن جزع وقت الموت ضعف
يقينه فلا عند الموت كان الاظهر ان يقال في الموت اي في حال وقوعه
مع عدم الشك لاحد من المسلم والكافر فيه اي في وجود الموت وثبوته
فهو يقين يشبه الشك وقوي في الرزق اي ويقال لمن ترك بالكلية

مباشرة الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب فقوى فلان
في امر الرزق مع الشك فيه اي في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بالموت
جوعا في مقامه ومجاريه اي محال اليقين ومجالبه كل ما جاء به الشرع
المبين والاصول لليقين اربعة التوحيد للحق وبلوغ الرزق للخلق
والجزاء على الاعمال واطلاعه تعالى على الاحوال سرا وعلانية فانه
يعلم السر واخفى ولجدوى اي فايدة اليقين اربعة ايضا
عدم الالتفات الى المسخرات من العلويات والسفليات والاجمال
في الطلب اي طلب الرزق ففي الحديث اجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر
لما كتب له منها رواه ابن ماجة وغيره من حديث ابي حميد الساعدي والمعنى
اكسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا يطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح
النيات في المقامات مع ترك التاسف على الفوات قال تعالى لكيلا
تاسوا على ما فاتكم اي من الدنيا وورد من اسف على دنيا فاتته
اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب
من الجنة مسيرة الف اخرجه الرازي في مشيخته عن ابي عمرو والاقدام
على الطاعات اي واكتساب العبادات مع الامتناع عن المعصية اي
مع الاجتناب عن جميع السيئات والمبالغة في اصلاح الظاهر
والباطن بتحصيل الاخلاق والشمايل وتحسين الاحوال والفضايل
الخاتمة في المحبة والسلوك اي وسلوك طريق المحبة
وسبيل المودة ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة
المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة وقال لا معنى لها الا المواظبة
على الطاعة ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق والمحو والصحو

والفنا

والفنا والبقا والقبض والبسط وساير لوازم المحبة وتوابع المودة
وساير مقامات اهل المعرفة وسيجي كشف الغطا عن هذه الحالة
ببيان الكتاب والسنة بسم الله الرحمن الرحيم يتجلى
الامور وتنشرح الصدور والامة مجمعة على ان الحب لله ورسوله
فرض فكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة
والطاعة تتبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك
يطيع من احب وقد ورد في التنزيل ما يقوي هذا البنا قل ان كنتم
تحبون الله اي تدعون محبته فاتبعوني قال ريس المحبين في سلوك
المودة يحببكم الله كما احبني وسماني حبيب الله وللاتباع حظ
من متبوعهم بقدر الاتباع ومما يدل على اثبات الحب لله قوله عز
وعلا يحبهم ويحبونه ثم في قوله سبحانه والذين امنوا اشد حبا لله
دليل على اثبات الحب ومنافته والتفاوت في مراتبه لا يؤمن احدكم
ايمانا كاملا او ايمانا تاما صالحا حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
من الولد والوالد وما عداهما والحديث رواه الشيخان من حديث
انس بلفظ لا يجد احد حلاوة الايمان حتى الحديث وعن ابي رزين
العقيلي قال قلت يا رسول الله ما الايمان قال الايمان ان يكون الله
ورسوله احب اليك مما سواهما وفي الصحيحين من حديث انس
ايضا لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وفي رواية لهما من نفسه وللبخاري من حديث عبد الله بن
هشام قال عمر يا رسول الله لانت احب الي من كل شي الا نفسي فقال لا
والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال عمر انت الان

والله احب الي من نفسي فقال الآن يا عمر يعني امنت وهو خبر ويحتمل
ان يكون استفهاما ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار والقصد به
الاثبات والاقرار ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه
وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله احبوا الله لما يغذوكم به من
نعمه واحبوني لحب الله اياي فاشار الى ان محبة الله اصالة ومحبته
عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية ويروى
ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك قال فاعد للفقر تجفافا
رواه الترمذي وحسنه وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام
نظر الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق
به فقال عليه السلام انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه
لقد رايته بين ابوين يغذيانه باطيب الطعام والشراب فدعاه
حب الله ورسوله الى ما ترون رواه ابو نعيم في الحلية باسناد
حسن وفي الصحيحين من حديث انس وابن مسعود وابي موسى قال
اعرابي يا رسول الله متى الساعة قال لها ما اعددت لها فقال ما اعددت
لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه السلام
المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام
فرحهم بذلك وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله شغله

ذلك

ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر اي من ارباب الدنيا
وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمومن
لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني
ان من خلق الله تعالى خلقا ما تشغلهم الجنان وما فيها
من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى عنه ان عيسى
عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم
فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال
حق على الله ان يومن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرين فاذا هم
اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغكم الى ما ارى فقالوا الشوق
الى الجنة فقالوا حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة
اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان وجوههم المرايا من النور فقال
ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون
انتم المقربون وقال هرم بن حيان اذا عرف المومن ربه احبه واذا
احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسده
في الدنيا ويروحه في الاخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق
الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه
وحبه يدهش العقل فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف
لطفه وقال يحيى بن معاذ ان مثقال خردلة من الحب احب الي من
عبادة سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك
مشغول بثنائك اخذتني اليك وسربلتني بعزك وامكنتني

من لطفك وتنقلني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا
وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني
في رياضك ملازما لامرك مشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري
فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ولي ما
بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني احبك وكل حبيب
بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف والمحبة اعظم المقامات
واهم المهمات فقيل المحبة محو المحب بصفاته واثبات المحبوب
بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب وقيل مشاهدة
الحبيب في المشهد والمغيب وقيل المحبة ان تغار على المحبوب ان تحبه
مثلك في مقام المطلوب وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب
يعجز القلوب عن ادراك معانيه وتمتنع الالسن عن عبارة معناه وقال
الجنيد رحمه الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض
فاذا زال العوض زالت المحبة وعن ذي النون قل لمن اظهر
حب الله احذر ان تركن الى غير الله وهي اي المحبة ميل النفس الى الموافق
اي الى ما يوافق هواها ولا ينافي مشتهاها وتوضيحه ان المدركات
تنقسم الى ما يوافق المدرك ويلذه ويلايمه والى ما ينافيه وينافره
ويولمه والى ما لا يوثر فيه بايلام ولا التيام فكلما في ادراكه لذة وراحة
فهو محبوب عند المدرك وما كان في ادراكه الم ومحنة فهو مبغوض
عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة والم ومشقة فلا يوصف
بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به
ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا

ان في الطبع

ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ
فان تاكد ذلك الميل وقوي يسمى عشقا وشوقا والبغض عبارة عن
نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا وبغضا وسحقا
ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محاله بحسب
انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة نوع من المدركات ولكل
واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة
ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين
في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة
ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروايح
الطيبة ولذة الذوق المستلذة ولذة اللمس في اللينة والنعومة
ثم لذات الحواس الخمس يشارك فيها البهايم الانسان فان كان مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل
بالخيال فلا يحب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما يتميز به عن
الحيوان من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل واما بالنور
او بالقلب او بما شيت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات
فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه
قوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
والقلب اشد ادراكا من العين ولذا قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب والا من اتى الله بقلب سليم وجمال المعاني
المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا
قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون

وان في ذلك لايات لقوم يعقلون فتكون لا محالة لذة القلوب
بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ادراكها الحواس
ابلغ واتم فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه
اقوى واتم ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ولا لذة
اعظم من محبته تعالى ومعرفته فلا ينكر اذا احب الله الا من
قعد به القصور عن درجة البهائم غفلا فلا تجاوز ادراكه
الحواس اصلا فالادنى من اللذات المطعم اى لذة الاكل والشرب
من المستلذات ثم المنكح من المشتهيات وذلك بالنسبة
الى المكلف والا فالصبي عنده بعد الاكل والمنام لذة اللهو واللعب
ثم الجاه الصوري ثم العلم بالامر الضروري ويعرف التوقي بين
الادنى واستحقاره عند وجدان الاعلى واستنفاره كما ان المرأة
الثيب اذا ارادت زوجا فتخيرت بين غني عنين وفقير رجل
فالغالب انها لا تختار زوجا من هذه الطايفة ولو كان غنيا
وفيا لشهوة قويا فنعلم ان لذة الجاه اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض
شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس في البلد عالم الا من
اراذل القوم المذكورين فالغالب انه لا يانفه ان يحضر في مجلس
هذا العالم يستفيد منه العلم فيعلم ان لذة العلم اعلى
من لذة الجاه وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين
استنشاق رايحة طيبة اذا اختار النظر الى الحسن الصورة علم بان
الصور الجميلة عنده الذ من الروايح الطيبة وكذا اذا احضر الطعام
واستمر اللاعب بالشطرنج علم ان لذة اللعب عنده اقوى من

لذة الاكل واستكراه البعض للعلم للنقص في كماله كاستكراه المريض
المطعم لعلة في حاله والصبي المنكح لعدم بلوغ مناله والا فلا يخفى ان
في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كما
الشطرنج ونحوه من الكيميا والسيميا وامثاله يفرح به والذي ينسب
الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار
تفاوت المعلوم والعلم به تعالى اشرف العلوم لشرفه اى العلم بشرف المعلوم
وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واكمل واعلا من خالق
الاشيا ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومربيها
فالذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله في مصنوعاته
وتدبيره في ارضه وسمواته ومن ثمة الفتوى بل الكتابة اشرف من
الخياطة ونحوها من الصياغة والصباغة والرؤية له سبحانه
الذ منه اي من العلم به لازدياد الكشف المفهوم وسببها اى موجب
المحبة وباعثها الكمال في الجمال فهو اي الكمال محبوب طبعا ولو في
زيادة المال والجاه ومن ثمة احب العالم لما له كمال في العلم والصالح لما له
كمال في العمل لا لصورتهما الظاهرة بل لسيرتهما الباطنة الباهرة
فان الطباع مجبولة على حب الانبيا والعلما والاصفيا ولو مع انهم
لم يشاهد وانهم شيا من الاشيا ومن حب ارباب المذاهب كابي حنيفة
ومالك والشافعي واحمد وغيرهم من المشايخ حتى ان الرجل يتجاوز به
حبه لصاحب مذهبه او مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على ان
ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر في روحه في قتال
من يطعن في امامه او شيخه فكم من دم اريق في نصرة المذاهب باختلاف

المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم او صالح فلم يحبه ولم يشاهد
قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهيأته فاستحسانه
الذي حمله على افراط حبه انما لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة
لا صورته الظاهرة والوجه الجميل انما له من صورة الجمال والكلام البليغ
انما له من سيرة اهل الكمال والاحسان فان الانسان اي جنسه عبيد
اي عبيد الاحسان وفي نسخ الاحيا عبد الاحسان وهو اظهر لحمله على الانسان
والمعنى انه قد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اسا عليها
كما ورد وقد ورد ايضا اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي كما رواه
الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من امد بالمال
والمعونة وساير الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من
جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته وهذا من عوارض صفاته بل اذا حكي
من سيرة بعض الملوك واصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان
غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائي
الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه فقط بل
المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي احسانه قط الى المحب لان كل
جمال وحسن فهو محبوب فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما
وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة
الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها
ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس
الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة
فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين

من يحب

من يحب نبيا من الانبيا لجمال صورته الباطنة ولا كمال في الجمال
والجلال الا لله تعالى شانه وهو الملك المتعال ولا احسان الا منه كما يشير
اليه قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله والاعلى ان يحب الى الله لذاته مع
قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من رجا الجنة ونعوته الجلالية
من خوف العقوبة وما توجبه صفات الافعال من الاكرام والاحسان والانعام
وهو اي الحب الذي لذاته من المواهب اللدنية والمراتب العندية
دون المكاسب العبدية كما ورد نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه بخلاف غيره اي غير الحب لذاته من انواع الحب الاتية المعبر عنها
بقوله ثم لذي كمال له للاحسان وهو اي الحب الذي للاحسان محبة
النفس اي نفس المحب في الحقيقة وان كان قد تطلق عليه محبة الله في
ظاهر الشريعة والطريقة فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل
واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب
ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال الحب مع بقا
ذاته ولو نقص نقص الحب وتتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب
زيادة الاحسان ونقصانه وفي الاحيا ان الانسان
لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور
ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفا
حتى يظنوا انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه
حظ الى المحب سوى ادراك ذاته فالحق ان ذلك متصور وموجود ولاهل
الجمال مدرك ومشهود وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل
مدرك للجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة

واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظن ان الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء
الشهوة فان قضاها لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك
نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك
والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء ولا تؤكل الخضرة او ينال
منها حظ سوى نفس الرؤية فقد كان عليه السلام يحب الخضرة والماء
الجاري كما روى ابو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس انه عليه
السلام كان يحب ان ينظر الى الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة من
العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار
والاطيار المليحة الالوان والاثار حتى ان الانسان لتفرج عنه
الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر اليها فاذا ثبت ان الله جميل
كان لا محالة محبوبا عند من تكشف له جماله وجلاله كما ورد ان الله
جميل يحب الجمال رواه مسلم من حديث ابن مسعود وهذا وقد تكون
الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد
الحب بينهما لا بسبب جمال او حظ ما بل بمجرد تناسب الارواح دون
تشاكل الاشباح كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة والتعارف
هو التناسب والتناكر هو التباين ثم اعلم ان المستحق للمحبة انما هو الله وحده
وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره
في معرفة ربه وانما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم احباء له
سبحانه ومحب المحبوب محبوب ولان اسباب المحبة المتقدمة
مجتمعة في حقه سبحانه بجملتها على وجه الدوام والكمال واما في حق

غيره

غيره تعالى فلا يوجد الا احادها على وجه النقصان والزوال
وانما حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض بل وهم
وتخيل صرف لا حقيقة لها في شهودهم كما في وجودهم فان العبد
لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله
عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا تفضل الله عليه
بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها
وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذا قال الحسن من عرف ربه احبه ومن
عرف النار ابعد منها ومن عرف الدنيا زهد فيها ثم الله سبحانه هو المنفرد
بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض بخلاف احسان
الانسان فمع ان احسانه ايضا من جملة احسان الملك المنان بل الاحسان على
وجه الكمال من غيره محال فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة
من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
وخالق اسباب الاحسان ثم العلم من اسباب المحبة فاين علم الاولين
والاخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم
الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسما ان يحيطوا بعلمه وحكمته
في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره كما قال تعالى
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فالقدر اليسير الذي علمه الخلائق
كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان ثم
لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست

قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه
والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى ملك
لاهلكته فليس للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث
لا حول ولا قوة الا بالله وكما قال في اعظم ملوك الله انا مكنا له في الارض
واتيناه من كل شي سببا والسموات مطويات بيمينه والارض ومن
عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته
ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق
امثالهم الف الف مرة لا يزيد في كماله سبحانه ذرة وليس كمال
لغير الله الا بقدر ما اعطاه واما كماله فكمال معرفة العارفين الاعتراف
بالعجز عن معرفته ومنتهى بلوغ الانبيا الاقرار بالقصور عن وصفه
ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك
ادراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز
عن معرفته فالواجب على العبيد ان يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته
لا للغرض ولا العوض مما يلايم قلب العبد من حالاته ولذا اوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام إنَّ اَوَدَّ الاَوِدَّاءِ اِلَيَّ مَنْ عَبَدَنِي لغير نوال ولكن ليعطي
الربوبية حقها وفي الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق
جنة ونارا لم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طايفة
من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال مخلوقًا
خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له
وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم

انى ستحى اعبد الله للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء اذا لم يخف
لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ثم المناسبة للمحبة بين الله
وعبده انه امران يتخلق باخلاقه في اكتسابه محامد الصفات التي هي
من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة
على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق فكل ذلك يقرب العبد
من الله سبحانه قرب الصفات ويشير الى تلك المناسبة قوله تعالى
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق اذ لم يستحق
داود خلافة الله الا بتلك المناسبة واليه يومي قوله عليه السلام
ان الله خلق ادم على صورته اي صفته الكمالية من النعوت الجمالية
والجلالية وقد ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبهوا
وجسموا وصوروا تصويرا كثيرا تعالى عن ذلك علوا كبيرا واليه
الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي مرضت فلم تعدني قال وكيف
ذلك قال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه
المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرايض
والتمام الشمايل كما قال تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به كما رواه مسلم من حديث ابي هريرة وهذا
موضع يجب قبض عنان العلم عنه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين
مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد
المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق
وضل النصارى في عيسى وقالوا هو الاله وقال اخرون تدرع

الناسوت باللاهوت وقال الاخرون اتحد به كما تقول الوجودية وهم
طايفة ابن عربي بالمعية واما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه
والتمثيل والاتحاد والحلول واتضح لهم في ذلك الحقيقة التنزيه فهم
الاقلون عددا والاكثرون عددا ولعل ابا الحسن الثوري كان ينظر من
هذا المقام اذ غلبه الوجد في قول القايل هذا الكلام شعر لازلت
انزل في ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله •
واثارها اي نتايج المحبة واثمارها خمسة الشوق وهو غلبة
المحبة في مقام الذوق فورد شوق الابرار الى لقايي قال ابو الدردا
لكعب اخبرني يعني باخص اية في التوراة فقال يقول الله تعالى طال
شوق الابرار الى لقايي واني الى لقايهم اشد شوقا وقال مكتوب في جانبها
من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحيا وسكت عنه مخرجه
ومن دعا نبينا عليه السلام كما اخرجه النسايي والحاكم اللهم اني اسئلك
الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقايك وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين قال فقلت
يوما يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل
لقايك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني
بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقايي وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء
حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني
ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني

شكر

شكر نعمايك واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم
المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم
لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه
ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي يا داود احوج ما
يكون عبدي الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر
عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وهو اي الشوق غلبة
التطلع الى الاشراف بغتة اذا ادبر عنه الكل من ورا حجب الغيب
الى جمال الحق وسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن
البصاير والابصار لشدة ظهوره ولذا قيل •

• لقد ظهرت فما تخفى على احد • الا على اكمه لا يبصر القمرا •
• لكن بطنت بما اظهرت محتجبا • فكيف يعرف من بالعزة استترا •

فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وانبعاث القلب الى الطلب
اي وقيام قلب العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره
ويقول شوقاه الى من يراني ولا اراه ويقال الشوق نار الله الموقدة
من نور بلايه لاهل ولايته اشعلها في قلوب اوليايه حتى يحرق بها ما في قلوبهم
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فيكونوا من خلاصة
اصفيايه ويرتفع بالموت شوق اللقا الى الملاقاة لحصوله حال
النزع والاشراف ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف وهي الروية المعبر
عنها بالزيادة في قوله تعالى لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ فللروية
مراتب لا يتناهى لعدم تناهي التجليات الالهية الصمدية الازلية
الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات الجمالية لاهل الجنة قال تعالى

لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد فتتزايد النعم ساعة فساعة
كما يشير اليه قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل اى صورة واتوا به متشابها اى سيرة لان الثاني
يزيد على الاول لذة وكذا من جهة عدم غاية التجليات الجلالية
لاهل النار قال تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فلا يدخل تحت الحصر
دركات اهل النار كما لا يدخل تحت الحصر درجات اهل الجنة
فكل عارف في جنة عرضها السموات والارض من غير ان تضيق على مثله
اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر درجاتهم في اتساع
نظرهم وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينبهك
على ان معرفة الله تعالى الذ الاشيا ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية
الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هي البذر
الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف
الله في الدنيا لا يراه في العقبى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على
درجات مختلفة ولذا قال عيسى عليه السلام ان الله يتجلى للناس
عامة ولابي بكر خاصة كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك
لانه افضل الناس بسر وقر في صدره فلا محالة يتجلى انفرد به
في سره وتوضيحه ان طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهيه
فمن لم يشته الا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتاذى به فاذا
نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات

هي

هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان
والله المستعان فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم لمناجاة الله لذات
لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوها بلذة
الجنة ثم الواصلون الى رتبة المعرفة ينقسمون الى الاقوياء المراد بين
المجذوبين فيكون اول معرفتهم لله تعالى بربهم ثم به يعرفون غيره والى
الضعفاء المريدين من المجتهدين فيكون اول معرفتهم بالافعال
ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نقل
بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي
لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم الاية وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وهذا الطريق هو الاسهل
على الاكثرين والاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القران العظيم
فالعارف لا يرى غير الله ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود
الا الله وافعاله اثر من اثار قدرته فلا ثابتة ولا وجود لها
بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها
ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل
ويذهل عن الفعل من حيث انه ارض وسماء وشجر وما بل ينظر فيه
من حيث ان له صانعا فلا يكون نظره يجاوزه الى غيره فكل العالم تصنيف
الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله
بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي نعلله بانه فني

في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا
فغيبنا عنا فبقينا نحن بلا نحن ولذا قال ابو سليمان الداراني ان لله
عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجا الجنة فكيف تشغلهم
الدنيا عن الله وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا
بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وقال ابو سليمان ايضا من كان
اليوم مشغولا بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول
بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا
من ناره ولا رجا الجنة فاكون كالاجير السوء عبدته حبا له وشوقا
اليه وقالت في معنى المحبة • •

• احبك حبين حب الهوى • وحبا لانك اهل لذاكا •
• فاما الذى هو حب الهوى • فشغلي بذكرك عمن سواكا •
• واما الذى انت اهل له • فكشفك للحجب حتى اراكا •
• فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي • ولكن لك الحمد في ذا وذاكا •

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها
بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهله الحب لجلاله وجماله الذي
انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواها وقد قيل لرابعة ما تقولين
في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات
الى الجنة بل الى رب الجنة ولذلك يشير قول اسية رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة هذا ومن عرف الله عرف ان اللذات المقترنة بالشهوات
المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال •

• كانت لقلبي اهواء مفرقة • فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي •

فصار

• فصار يحسدني من كنت احسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي •
• تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي •

وقال بعضهم • ولهجره اعظم من ناره • ووصله اطيب من جنته •
وهذا ارادوا به ايثار لذة القلب في معرفة الرب على لذة الاكل
والشرب والجماع ونحوها فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب
فلذته في لقا الله في مقام الانبساط والانس ايضا من اثار المحبة ومعنى
الانس غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة
اي مراقبته ومشاهدته ومن هنا قيل الاستيناس بالناس علامة
الافلاس ومن انس بالله توحش عن خلق الله وفي اخبار داود عليه
السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني
وجليس لمن جالسني وانيس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني
ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا
من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي
من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل
الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي
وانسوا بي اونسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبابي
من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي واني خلقت قلوب
المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وفي اخبار داود عليه السلام
ايضا ان الله اوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم
اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا
الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم

كما منى وما هزكم سخطة الخلق اذا التمستم رضاي وفي اخبار داود ايضا
ان الله اوحى اليه ان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي
وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص احبتي مخالصة وخالط اهل
الدنيا مخالطة ومن هنا قيل علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه
من معاشرة الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر ولذاذة الفكر
فان خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر
وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب في شهود ومخالط بالقالب
ومباين بالقلب ويفارق الانس الشوق بكونه اي الانس حالة
الاضافة الى الحاضر وذلك اي الشوق حالة الاضافة الى النائي
اي البعيد الغايب ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال
لا انما الشوق الى الغايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من اشتاق فهذا كلام
مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا
الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد
والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين
اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضي التوحش
من غير الله بل كلما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب
كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام
احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام
المحبوب وعذوبة ذكر المطلوب فتخرج عذوبة من سواه من القلوب
وقال بعض الحكما في دعايه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه
قال الله تعالى لداود كن بي مستانسا ومن سواي متوحشا وقيل لرابعة

ثم نلت

بم نلت هذه المرتبة قالت بتركي ما لا يعنيني والانس بمن لم
يزل وقيل من ذاق حلاوة الوحدة استوحش من نفسه الوحدة
وكانه يشير الى قول من قال • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب •
وعن علي كرم الله وجهه في وصف اهل الانس من خواص الانس
هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفهون وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اوليك
خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل •

• الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال •
• والانسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال •

ويجدي اي يثمر الانس الانبساط اي النشاط على حاشية البساط
بالاقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال كما ورد في التنزيل
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى وقال موسى رب ارني انظر
اليك الخ في الاول اي اجيب لابراهيم بقوله فخذ اربعة من الطير
الاية لوجود الشرط فيما طلب واعتذر في الثاني فيما طلبه اي جواب
موسى بقوله لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني لفقده اي لفقد الشرط وعدمه كما بينه قوله فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا ولولا الانس اي وجوده المقتضي للانبساط
لموسى عليه السلام لعوتب على ما صدر منه من السوال والكلام
كما احترق قوم الكليم عليه التسليم حيث قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه

من الجراءة وقلة المهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس كموسى
عليه السلام ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام
هلك به واشرف على الكفر بسببه كما في قوم موسى ومثاله مناجاة
برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى كليمه عليه السلام ان يساله
ان يستسقي لبني اسرايل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه
السلام يستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب
لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرايرهم خبيثة يدعونني على غير
يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له
يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه
فبينما موسى يمشي ذات يوم في طريق اذا العبد اسود قد استقبله
بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه
موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك فقال اسمي
برخ فقال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فقال في كلامه
ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت
عليك عيون مائك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك
ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق
الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع
ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح برخ حتى اخضلت
بنو اسرايل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف
رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى عليه السلام به فاوحى

الله اليه

الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت
اخصاص البصرة فبقي وسطها خص لم يحترق وابو موسى امير يومئذ
بالبصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال له
يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اقسمت على ربي عز وجل الا يحرقه
فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله
لابرهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء قال الحسن ايضا ووقع
حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له
امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي عز وجل
لا يحرقني بالنار فقال فاعزم عليها ان تطفا فعزم عليها فطفيت
وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش
فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره
فوقف ابو حفص فقال وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره
قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله
يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد
اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشيا
هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد
في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القايل
بقوله

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ۞ والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ۞ يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من
تشاء وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال
ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون والا على الترك الاحوال كما كان
له عليه السلام في تحويل القبلة حيث كان متأدبا في مقام الانس
والدلال فاكتفى بالحال عن السؤال تبعا للخليل حيث قال حسبي
من سؤالي علمه بحالي كما يشير اليه قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها اي تحبها وتهواها والقرب
ايضا من اثار المحبة كما يشير اليه حديث لا يزال العبد يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه وهوا اي القرب زوال كل معترض اي شاغل ومانع
عن ذكره تعالى وفكره والمراد بالمعترض انما هو النفس اي متابعة هواها
ومطاوعة مشتهاها قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وورد
ابغض اله عبد في الارض الهوا وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
والشيطان لانه يدعو حزبه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في
العقبى ولان نسبة الاضلال اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة
الجلال فانه من اسباب الضلالة كما ان النبي سبب الهداية فاضافة
الهداية الى النبي في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم مجاز وانك
لا تهدي من احببت حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فهو الله سبحانه هو الهادي والمضل
من يهد الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وهو يضل من
يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين كما هو اعلم بالمعتدين
والخلق لان مخالطتهم غالبا تدعو الى الغيبة والبعد عن قرب

الرب

الرب لا سيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار من
البساتين والمتنزهات من الديار في الدنيا وحتى النوح بطيب
اصوات الاطيار وروح نسيم الاشجار فيقربه الى خسيسه وقربه الى غير
الله يبعد عن انسه وقربه الى مولاه كما انه لا يتقرب الانسان من المشرق
الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدر الامكان وصل الى مقام جمع
الجمع بحيث لا تحجبه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة
والدنيا فان قطع علائقها ودفع عوائقها واخراج حب غير الله
من القلب هو الموجب للقرب الى الرب فان القلب مثل الاناء الذي
لا يتسع للخل او الماء ما لم يخل منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين وكمال الحب
المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية في القلب
مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله
ويبعد عن قرب ربه وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل او الماء
ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون وقوله ان الذين قالوا ربنا الله اي في مقام التوحيد
ثم استقاموا على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك
لا اله الا الله اي لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه وكماله
اي القرب الغيبة في رؤية فعله اي غيبة العبد في رؤية افعال ربه
حتى لا يرى نفسه ايضا فاعلة في الحقيقة كما ورد في التنزيل
وما رميت اي غيبة العبد خلقا او حقيقة اذ رميت كسبا او مجازا
وقد سبق تحقيقه وتدقيقه وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب
هو القريب من الله والقرب من الله هو البعد من صفات البهائم ونعوت

الشيطان والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي اخلاق الرحمن فهي قرب
بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير وربما يتوهم
منه ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار
قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال
بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه
في ازل الازال فكلما صار العبد اكمل صفة واتم معرفة واثبت
قوة في قهر النفس والشيطان صار اقرب الى الرحمن فمنتهى الكمال لله وقرب
كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله واقع له والاتصال
ايضا من اثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال
ولذا قال وهو اي الاتصال يراد به المكاشفة والمشاهدة
في مقام المراقبة والمشاهدة اقوى من المكاشفة اذ يتصور ويتوهم
الخلاف في المكاشفة بخلاف المشاهدة والحاصل ان المكاشفة
اول نتايج المجاهدة والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير اليه
قوله عليه السلام بعد ذكر الايمان والاسلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المحاضرة ابتداء
والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب وقد
يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء
الذكر والمكاشفة حضور بنعت البيان غير مفتقر الى تامل الدليل
وتطلب سبيل والمشاهدة هي وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة
فاذا اصحت سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة
من برج شرف الانوار كذا في ارشاد المريدين وهو تفسير علم اليقين

وعين

وعين اليقين ● وحق اليقين ●

عباراتنا شتى وحسنك واحد ● فكل الى ذاك الجمال يشير ●

كما في قول ابن عمر رضي الله عنهما كنا نتراءى الله تعالى في ذلك المكان
اي نتكلف في مشاهدته او نجتهد حتى نصل الى مرتبة رؤيته ومنزلة حضرته
في ذلك الحال الذي هو على الشان جلي البرهان وانما قال هذا الكلام حال كونه
معتذرا عن ترك رد السلام لبعض الصحابة الكرام في الطواف
اي في حال طواف بيت الله الحرام وحارثة اي وكما في قول حارثة للنبي
عليه السلام كما سبق في تحقيق المقام وما ورد اي وكما ثبت اعبد الله
وهذا نقل بالمعنى والصواب ان ينقل بالمبنى وهو ان تعبد الله
كانك تراه وهذا اعلى مقام للعبد واقصاه واما ادناه فكما يشير اليه
اخر الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك وقد بسطنا القول فيه في شرح
الاربعين وهو خير معين ومحبة الله تعالى لعبد للعبد ايضا
من اثار محبة العبد لله سبحانه وورد في التنزيل ما يدل على ثبوت
المحبة من الجانبين حيث قال يحبهم ويحبونه وفي تقديم يحبهم
ايماء الى ان الاصل هو المحبة الازلية العهدية الموجبة لمحبة
العبد المحبة الابدية وورد في الحديث اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه
بالمصايب على قدر ما له من المراتب فان اشد الناس بلاء الانبيا
الامثل فالامثل فان احبه الحب البالغ اقتناه واقتناء المال وغيره
اتخاذه قنية والمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه
وفي رواية قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا ولدا اي في
قلبه فعلامة الله ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه

قوله اعلموا ان الله يحول بينه وبين قلبه رواه الطبراني وفي رواية
اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر على بلائه اجتباه في مقام ولايته
وان رضي باعطائه اصطفاه لمقام لقائه وعن بعض العلماء اذا رايتك
تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك والحديث
الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده
وقد يتوهم من المتن انهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه
وورد ايضا اذا احب الله عبدا من عبيده جعل له واعظا من نفسه
اي يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق انسه وزاجرا من قلبه
يامره بالخير وينهاه عن الشر والحديث رواه ابو منصور
الديلمي في مسند الفردوس من حديث ام سلمة باسناد حسن
لكن بلفظ اذا اراد الله بعبد خيرا الحديث وله من حديث انس اذا اراد
الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه وورد من حديث انس كما رواه
الديلمي اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب
عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره
الكفر الماضي قبل الاسلام وقال عليه السلام ان الله تعالى يعطي
الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب رواه احمد
والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ولاحمد وابي يعلى من حديث
ابي سعيد من اكثر ذكر الله احبه الله وعن رابعة من احب شيئا اكثر
ذكره فذكر الله علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه وفي الصحيحين
من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب

العبد

العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك
ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر ومعناها اي معنى محبة الله للعبد
ان يبتليه اي من علامة حب العبد للمولى ان يبتليه بالبلاء المورث
لزيادة الولاء واما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شانه
ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المبشر عليه والمدبر لامره
والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه
والجاعل همومه هما واحدا من ذكر ربه والمبغض للدنيا في قلبه
والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلوته والكاشف
له عن الحجب بينه وبين معرفته فانظر في تحقيق هذا المبنى فما ايسر
الدعوى وما اعسر المعنى وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم
اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب
من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك وقد جاء عن بعض
المتبحرين من المفسرين في قوله سبحانه ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير
تحقيق تلك الحالة فلا يصلح العبد لغيره اي لغير مولاه فيما قدره
وقضاه كما ورد في التنزيل واصطنعتك اي اخترتك بالرسالة لنفسي
اي لمعرفة ذاتي وصفاتي وعلامتها اي امارات محبة العبد لله ثانية
كتمانها لانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه في المبنى
ويتنظم عليه العقوبة في العقبى ويتعجل عليه البلوى في الدنيا ويكون ذلك
من الافترا على الله من غير الامترا ومن اظلم ممن افترى على الله نعم قد يكون للمحب
سكر في حبه حتى يدهش عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه والا

صدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض الابرار •

• من اطلعوه على سر فنم به • لم يامنوه على الاسرار ما عاشا •

وحب الموت فانه سبب اللقا ولذا قال عليه السلام لن تروا ربكم حتى
تموتوا وقال حذيفة • حبيب جاء على فاقة • لا افلح اليوم من ندم • •
وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري
والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن
غايب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن
غايب ابغض اليك من الموت ولم يعجزه وكان الثوري وبشر الحافي
يقولان لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقا
الحبيب ثم من يكون في ابتدا مقام المحبة لعله يكره الموت بل يكره عجلته
قبل ان يستعد للقا ربه وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق
الهم في استعداد زاد المعاد وان يكون موثرا ما احبه الله على ما يحب
نفس العبد ويهواه فان من بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه
ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل اريد وصاله
ويريد هجري كما قال بن المبارك •

• تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في الفعال بديع •
• لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع •

وفي هذا المعنى من بديع المبنى • واترك ما اهوى لما قد هويته •
• وارضى بما يرضى وان هلكت نفسي • والتلذذ في العبادة بالمواظبة
على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة فقد حكي عن بعض المريدين
قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة فادمنت قراءة

القرآن

القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال
فسمعت قايلا يقول في منامي ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت
كلامي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي وشريف خطابي فانتبهت
وقد اشرب قلبي تلاوة القرآن فعاودت الحال وقال ابن مسعود
لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن
فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله وقال سهل
علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب
النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة
حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا
ان لا ياخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى ومن شرط ان المحب
لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب
من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء
حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال يحيى بن معاذ من احب
الله ابغض نفسه اي لاعنا مما سواه وقال ايضا من لم تكن فيه ٤٨١
ثلاث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله على كلام الخلق ولقا الله
على لقا الخلق والعبادة على خدمة الخلق ثم اعلم انه ليس في الوجود
غيره سبحانه في عين اهل الشهود من ذاته وصفاته ومصنوعاته
ولذا ذكر عن الشيخ ابي سعيد الميهني لما قرئ عليه يحبهم ويحبونه
قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في
الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه
فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته

فهو اذا لا يحب الا نفسه كما ان العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته
الا من حيث اثار قدرته وانوار ذاته واسرار صفاته وما ورد من
الالفاظ فى حبه عبارة فيؤول مبناه ويرجع معناه الى كشف
الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه والى تمكينه
اياه من قربه والى ارادته ذلك به فى الازل محبته لمن احبه ازلى مهما
اضيف الى الارادة الالهية الازلية التى اقتضت تمكين هذا
العبد من سلوك طريق القرب الى الرب واذا اضيفا الى فعله الذى
يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه
الذى يقتضيه كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى
احبه فيكون تقربه ولطفه به فهو معنى حبه وجملة الكلام فى هذا
المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ونتيجة حب
ربه الابدى فحب العبد مكتنف بين حبى الرب كما يشير اليه قوله سبحانه
يحبهم ويحبونه مع قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم
الله ويغفر لكم ثم لا يخفى ان مراتب الحب وما فيه من الدرجات انما يكون على
قدر الطاعة والعبادات ويدل على تفاوت المقامات ما روى ان ابا
حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته
قريش فى ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى فقال
والله لقد انكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم
من فعله قالوا فكيف وهى اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل
قلبه فلينظر الى سالم كذا فى الاحيا وقال مخرجه لم اره من حديث

حذيفة وروى ابو نعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر ان سالما
يحب الله حقا من قلبه وفى رواية ان سالما شديد الحب لله عز وجل
لو لم يخف الله عز وجل ما عصاه فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب
الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا فلا جرم ان يكون تنعمه
بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وعذابه بفراق الدنيا
عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها وقد قال بعض العارفين
اذا كان الايمان فى ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا واذا دخل
سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصى وقال الجنيد الناس
فى محبة الله عام وخاص فالعوام قالوا ذلك بمعرفتهم فى دوام
احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان احبوه
الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر نعمتهم قلت ويشير الى ذلك
قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع
وامنهم من خوف بل ايماء الى رجائهم الجنة وخوفهم النار فى دار القرار
ومن هنا قال الشبلى لما سمع قوله تعالى منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة اه فاين من يريد الله وقد اجبت عن هذا
فى بعض مؤلفاتى والمصيبة اى والتلذذ فى البلية لما يرى
فيها من فعل المبلى سوا يكون فى مقام الصبر والرضا او الشكر
والحرص فى الخلوة عن الخلق دون الجلوة لانها غالبا تمنع من مشاهدة
الحق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته
من دون الريا والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا
الذ عنده من العبادة واطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته

فعلامة الحب كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة
به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن
لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا
بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت
هذه اللذة الى بعضهم حتى كان في صلاته فوقع الحريق في داره ولم
يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة
ولم يشعر بها وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله
ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر والمناجاة اي والحرص
في الدعاء والنداء والثناء في جميع الحالات والمقامات فيواظب
على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت عن الخلايق بانقطاع
العلايق وانفصال العوايق وبغض الدنيا بان لا ياخذ منها
الا زاد العقبى من سلوك طريق المولى وفي اخبار داود عليه السلام
لا تستانس لاحد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجل
استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك
ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيرانا ثم مهما انس بغير الله
كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة
محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى
عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو الا ان فيه
عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه
ومن احبني لم يسكن الى غيري والوحشة من الخلق لان محبة الله
ومحبة غيره لا يجتمعان والخاذ الهم هم الدين لما ورد من جعل الهموم

همّا

همًّا واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة وقال بعض العارفين ان الله
تعالى عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على كل ما
فات فلم يشتغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما
شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره
لهم ثم حق المحب اذا رجع عن غفلته في لحظة ان يقبل على محبوبه
ويشتغل بالعتاب لنفسه ويساله ويقول يا رب باي ذنب
قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي
وبمتابعة الشيطان وطريقها اي طريق تحصيل المحبة السلوك
اي سير مسالك اهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل
السايرين ومراحل الطايرين وقد قيل ان الطرق الى الله بعدد انفاس
الخلايق وفيه تنبيه نبيه على ان كل مخلوق له سر مع خالقه
لا يطلع عليه الا من هو اقرب منه اليه وعن هذا قال تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم اقرب
الطرق الى الله تعالى هي المحبة وهي حاصلة بمتابعة الكتاب
والسنة ومخالفة الهوى والبدعة وتمامه باجتناب
السيئات من المحرمات والمكروهات واكتساب الطاعات
من الفرايض والنوافل من السنن الموكدات والمستحبات
فورد لا يزال العبد يتقرب الي اي بعد اداء الفرايض والواجبات
والسنن الرواتب بالنوافل من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثنا
والدعا وما استحسنه العلما حتى احبه حبا يليق بارباب المناقب
فاذا احببته حبا بليغا كنت له سمعا يسمع بي وبصرا يبصر بي وقلبا

يعقل بي ويدا يبطش بي ورجلا يمشي بي رواه البخاري وغيره
بالفاظ مختلفة فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب
ورقة فكر يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد
ذكر ربه وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه
لم يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع من القضا
وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويتذكر قوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولعله عليه السلام قال في هذا
المقام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين
مرة كما في الصحيحين وانما كان استغفاره من القدم الاول
فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لاهل التوفيق
على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق كما يروى
عنه عليه السلام مما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال في بعض
الكتب المنزلة ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا
عن طاعتي ان اسلبه لذة مناجاتي فسلب المريد بسبب شهوات
عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى
والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر
الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا الاقوى من ذوي الاقدام
الراسخة وقد سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو في سياحته
وكان على جبل لبنان •

• كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا • قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا •

فاضطرب

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه
احوال وغلبة ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا
فاسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب لا غاية لها في مقام
القرب فحق العبد ان يجتهد في كل نفس ما يفيد حالا حتى يزداد
فيه قربا ولذا قال عليه السلام من استوى يوماه فهو مغبون
ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون كذا في الاحياء
وقال مخرجه لا اعلم هذا الا في منام لعبد العزيز بن ابي رواد
قال رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت يا رسول الله اوصني
فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة
ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان
وقد قال الشيخ البستي • زيادة المرء في دنياه نقصان •
وربحه غير محض الخير خسران • وقال بعض العارفين من عبد الله
بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده
بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن
عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه
وعلمه فالمحب لا يخلو عن خايف خوف والخايف لا يخلو عن محبة
ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق
السير من الطائر المجذوبين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين

• قريب الوجد ذو مرمى بعيد • عن الاحرار منهم والعبيد •
• لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد •

غريباً لوصف ذو علم غريب   كان فؤاده زبر الحديد
نرى الاعياد في الاوقات تجرى   له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد   ولا تجد السرور له بعيد

وكان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره للغافلين وهي هذه

سررت باناس في الغيوب قلوبهم   فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصنا بقرب الله في ظل عرشه   تجول بها ارواحهم وتنقل
موارد هم فيها على العز والبها   فمصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد من صفاته   وما كنهه اولى لديه واعدل
ساكتم من علمي به ما يصونه   وابذل منه ما ارى الحق يبذل
فاعطى عباد الله منه حقوقهم   وامنع منه ما ارى المنع اعدل
على ان للرحمن سرا يصونه   الى اهله في السر والصون اجمل

فامثال هذه المعارف التي اشير اليها لا يجوز ان يشترك الناس فيها لخربت الدنيا ولم تبق على نظامها فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتمامها ولذا قيل الغفلة عن الله رحمة ولولا الحمقى لخربت الدنيا بل لو اكل الناس الحلال اربعين يوما لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها وبطلت الاسواق والمعايش منها لو اكل العلماء من الحلال لاشتغلوا بانفسهم لتحصيل الكمال ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الانام ولكن لله فيما هو شر ظاهر حكم واسرار على ما لا يخفى كما ان له في الخير اسرارا وحكما لا تخفى لا نهاية لحكمته ولا غاية لقدرته هذا وقد يظهر مثال السر على لسان العارف حال

السكر

السكر فهو معذور لانه مقهور اذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد ينقبض القلب به فلا يندفع فيضانه ولا ينطفي لهبانه فيقول القادر على كتمانه قالوا قريب قلت

ما انا صانع   بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
فما لي منه غير ذكر بخاطر   يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول

تخفى فيبدي الدمع اسراره   ويظهر الوجد عليه النفس
ويغيها بينها
ومن قلبه مع غيره كيف حاله   ومن سره في جفنه كيف يكتم

وكان صاحب البردة اخذ من هذه الزبدة في قوله

ايحسب الصب ان الحب منكتم   ما بين منسجم منه ومضطرم

وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به اى الى مقام قربه وقد دخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه اى من دعوى حبه وقد قال ابو تراب النخشبي في علامة الحب ابياتا

لا تخدعن فللمحب دلائل   ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه   وسروره في كل ما هو فاعله
فالمنع منه عطية مقبولة   والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه   طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما   والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلايل ان يرى متفهما   لكلام من يحظى لديه السايل
ومن الدلايل ان يرى متقشفا   متحفظا من كلما هو نايل

وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذه المعنى من المبسط

ومن الدلايل ان تراه مشمرا   في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلايل حزنه ونحيبه   جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا   نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلايل زهده فيما ترى   من دار ذل والنعيم الزايل
ومن الدلايل ان تراه باكيا   ان قد راه على قبيح فاعل
ومن الدلايل ان تراه مسلما   كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلايل ان تراه راضيا   بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلايل ضحكه بين الورى   والقلب محزون كقلب الثاكل

وهو اي السلوك وطريقه بلزوم عشرة اسباب تكون رفيقه بلزوم الوضوء اي الطهارة الظاهرة فهو اي الوضوء وما في معناه ينور القلب بسبب تاثير صفا الظاهر لصفا الباطن والخلوة اي ويلزمها عن الجلوة فهي اي الخلوة تنزع عن الشواغل المانعة من تحصيل الفضايل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة ثم القوم مختلفون في طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلق على خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان في مجمع الخلق كما يشير اليه قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال في حقهم انهم عزبيون فربيون وكابيون

بابيون

بابيون وعرشيون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تقويما للمبتدي وتسهيلا للمنتهي وكان المصنف منهم ولذا قال والاولى ان يكون السالك الذاكر في بيت مظلم ضيق ليس فيه متاع الا ما لا بد منه او يغطي راسه اذا كان في مسجد ونحوه ويغمض عينيه حال ذكره وفكره لا حين صلاته فانه مكروه على خلاف دابه عليه السلام وسنته وانما يختار البيت المظلم وتغطية الراس وتغميض العين لتركد الحواس اي تسكن وتستقر وفيه انما ذكر ما هو مسكن حاسة البصر ولعل ايراده بصيغة الجمع لتوارد النظر والسكوت ويلزمه من غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجا ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فهو اي السكوت المشتمل على الفكر يلقح العقل اي ينتج كماله ويقوي القوي من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان والجوع اي ويلزمه الصيام او الصبر على فقده والا فليس هو مطلوبا بنفسه ولذا ورد في دعايه عليه السلام واعوذ بك من الجوع فانه بيس الضجيع وانه اذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه والسهر في الذكر والفكر والعبادة والتلاوة والا فهو ايضا ليس بمطلوب في حد ذاته فهما اي الجوع والسهر ينوران القلب اذا كان مشتغلا بذكر الرب بتقليل دمه وذوبان شحمه فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله ووصوله فيختارهما على الاعتدال فيهما فان الافراط والمبالغة منهما شاغل عن العبادة

كالتفريط والتقصير عن قدر الحاجة لارباب الارادة واصحاب السعادة ونفى الخواطر اى وبلزوم نفيها ودفعها اذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض • ولو خطرت لى فى سواك ارادة • على خاطرى سهوا حكمت بردتى • اى بارتدادى عن مقام كمالى وحالى ووادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العوابر والا فلا عبرة لها واشار اليها بقوله فالتمييز بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى والنفسى شاغل للسالك عما هو بصدده من حصول ذكر ربه ووصول سيره فى مقام حبه والتسليم اى وبلزوم التسليم والتفويض له تعالى فى كل حال من جميع اموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع احواله الى ما دبره الحق فى ازله ونصب متفقدا اى وبلزوم تعيين خادم متفقد للوازمه يبلغ القوت الحلال اى يوصل اليه ماكوله ومشروبه من المال الحلال والا فشبهة اقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال العرفى اذ طيبات فهو اى الحلال الاصل فى محافظة الاعمال والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال وقد امر الله به المومنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين واللاحقين ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص والحرام يبطل ثواب عبادة فعلها وتوضيحه

شخص

شخص يتعب فى النهار بسبب كسب الحلال وكانت له وظيفة عبادة فى الليل من الاعمال ففاتت منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل فلا شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة ومن اكل الحرام او لبس الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وساير انواع العبادة لا يقبل منه كما ورد من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه منه شى رواه الامام احمد عن ابن عمر بل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين يعم اكل الحرام وساير المحرمات على الانام وترك غير الفرايض القطعية والظنية والرواتب اى وغير السنن الموكدة للصلوات الخمس وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدي حيث الافضل فى حقه مجرد الذكر واما بالنسبة الى المتوسط فالاكمل فى حقه التلاوة وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة والجوارح واختلاف الحالة كما فى عوارف المعارف وذكر الدايم اى ولزوم الذكر على سبيل الدوام مستقبلا لبيت الله الحرام مع الحضور اى حضور القلب فى مشاهدة الرب ولعل المراد بالحضور هنا مجرد نفى الغفلة واما الذكر فاما يكون باللسان اى بلسان البدن او بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو الاكمل وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى اذكر ربك فى نفسك وهو يحتمل انه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع الحق كما لا يخفى وكذا ما ورد خير الذكر الخفى وورد ان الذكر الذى لا تعلمه الحفظة افضل مما تعلمه

بسبعين ضعفا فلذا اختار النقشبندية للتسليك
المريدين فيأمرونهم بان يلصقوا السنتهم الى حنكهم ويقولون
بلسان قلوبهم لا اله الا الله ويشيرون في لا اله الى نفي ما سوى
الله وفي الا الله الى اثبات ذاته وصفاته ويريدون بالكلمة
معنى لا اله معبودا او موجودا او مشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت
مناقبهم واما اهل الذكر الجلي باللسان فيشيرون بالنفي الى جانب
اليمين وفي الاثبات الى جانب اليسار وهو القلب وهذه
كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم في مقام الاظهار
والاسرار والا فما ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة
ولا طريق مصافحة الا انها الثابتة بالتواتر الصحيحة ومتابعة
الكتاب والسنة اذا عرفت هذا فتبين افضل الذكر هو الله لانه
المقصود لا سواه الا انه لا يحصل التوحيد في مقام التفريد
اذ اثبات وجوده لا شك لاحد في شهوده ولذا قالت
رسلهم افي الله شك وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فلا بد من كلمة التوحيد لتتحقق صفة
التفريد وقد امر جميع الانبيا والرسل بذلك لاتباعهم واشياعهم
وورد عن نبينا صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله
تمامه وافضل الدعا الحمد لله كما رواه الترمذي والنسائي وابن
ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر مرفوعا وقيل لا اله الا هو الحي القيوم
وهو لا ينافي ما تقدم لما فيه من زيادة الحي القيوم ولانه من
القرآن دال على التوحيد مع زيادة البرهان فالحي الازلي الابدي

يشير

يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية لانه اما لا حياة له او حياته
حادثة والقيوم هو الذي يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته
من قدرته وارادته وحكمته في مصنوعاته وفي هذا تلويح الى
بطلان ما تقوله الوجودية من المعية في المراتب الشهودية حيث قال
ابن عربي سبحان من اوجد الاشيا وهو عينها وقد وقع التناقض
في عين كلامه المنافي لمرامه فانه سبحانه اذا اوجد الاشيا
واحد منها كيف يتصور ان يكون عينها فما للتراب ورب الارباب
فهو ابعد من قول من قال بالاتحاد في مقام الالحاد والله
رؤوف بالعباد ثم ورد في بعض الروايات تعيين لما تقدم الاسم
الاعظم ثابت في اية الكرسي اي في اولها وال عمران اي في صدر
سورتها وهما يشتركان فيه اي في وجود لفظ الله لا اله
الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من السور فانها خالية عنهما
والحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن ابي شيبة
عن اسما بنت يزيد مرفوعا بلفظ اسم الله الاعظم في هاتين الايتين
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم
الله لا اله الا هو الحي القيوم والظاهر انه في الايتين كلتيهما
معا على سبيل الاجتماع ويحتمل الانفراد وكذا الكلام فيما ورد من
حديث ابي امامة اسم الله الاعظم في ثلاث سور البقرة وال عمران
وطه قال القاسم التابعي فالتمسته فوجدته انه الحي القيوم لوجوده
فيها ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ان الاسم
الاعظم يا حي يا قيوم وهو المناسب لما تقدم والله اعلم •

واما ما اورده المصنف فما رايته فى حديث ثم فى المستدرك
للحاكم عن سعد بن ابى وقاص اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب
واذا سيل به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
وهى دعوة ذى النون يونس عليه السلام ويويده قوله سبحانه
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين وقيل هو
هو حيث صدر به وختم به فى قوله هو الله الذى لا اله الا هو
ويقال • اعدد ذكر نعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته •
يتضوع • ومن هنا قيل ان فى كلمة الجلالة انواعا من الجلالة
اذ لو حذف الفه يبقى لله ولله يسجد من فى السموات ومن فى
الارض واذا حذف لامه الاولى يبقى له وله ما فى السموات
وما فى الارض وله الحمد فى الاولى والاخرة وله الكبريا فى السموات
والارض واذا حذف لامه الثانية يبقى هو لا اله الا هو الله احد
الى اخره وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شى
عليم ليس كمثله شى وهو السميع البصير فسبحان من لا يعرف ما
هو الا هو وقد جا فى الاسم الاعظم روايات اخر كما بينته فى شرح
الحصن الحصين والجمهور على ان الاسم الاعظم هو الله وقد قال
القطب الربانى السيد عبد القادر الجيلانى ان الله هو الاسم
الاعظم لكن بشرط ان تقول الله وليس فى قلبك سوى الله
ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ ابو الحسن البكرى قدس الله
سره السرى فى اول حزبه استغفر الله مما سوى الله وتعقبه
بعض علما الظاهر حيث لم يوف الله ولا ما سواه وقد شرحته فى جوابه

وبينت القول بصوابه والاولى فيه اى فى المختار من الاذكار
الاستغفار من القلب فيختار ما يلهمه الرب ويواظبه ليلا
ونهارا وسرا وجهرا حتى تسقط حركة اللسان اى كلفته
ويجرى الذكر على اللسان دون اختيار اى من غير تكلف
تذكار واحضار ثم يرجع الذكر الى القلب ان ينتهى اليه ويستولى
عليه ثم تنمحق وتنمحى الحروف من المبنى وتنتفى المعنى ثم يرتفع
الحد من المباينة والالف ونحوها مما لا بد له من احضار المبنى
ويصير مداومة تصور الذكر حالة مستديمة دالة على رتبة
مستقيمة وحينئذ تحدث المحبة وتظهر المودة فلا ينسى
المذكور فى حال من احوال الذاكر كالاكل والشرب والخلطة والعزلة
والسكوت والكلام واليقظة والمنام فقد قال المحبة
دوام الذكر ويويده حديث من احب شيا اكثر ذكره وقال سفيان
المحبة اتباع صاحب النبوة ويويده اية قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى ولله در القايل •

• عجبت لمن يقول ذكرت ربى • وهل انسى فاذكر ما نسيت •
• اموت اذا ذكرتك ثم احيى • ولولا حسن ظنى ما حييت •
• فاحيى بالمنى واموت شوقا • فكم احيى عليك وكم اموت •
• فليت خياله نصب لعينى • فان قصرت فى نظرى عميت •
• شربت الحب كاسا بعد كاس • فما نفذ الشراب ولا رويت •

وقال ابن الجلا اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا
اطلعت على سر عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته

من جبي ولتوليته بحفظي ثم يغيب الذاكر عن مشاهدة جميع الاشيا
ظاهرا و باطنا في مكوناتها من ارضها وسماها وانها حتى عن النفس
اي وجودها واجزايها وصفاتها اي وعن شهود صفاتها الذميمة
والمحمودة وساير حالاتها ويغيب عن محاضراتها في المذكور وهو القرب
اي الماثور عن الجمهور فعن الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع
الصفات والحاجات ثم يغيب الذاكر عن الذاكر اي عن وجوده وشهوده
ايضا كما غاب عما عداه من المسطور في شهود المذكور اي حضوره
بطريق الفرح والسرور وهو الفنا في بحر النور ثم يحدث الاتصال
وهو كمال البقا في القرب الناشي من جمال الحب ويشاهد الذاكر
ما يشاهد من عالم الوصال لظهور النور من اشعة الجمال
ولمعة الجلال في مقام الكمال والغفلة اي وللغفلة والذهول
عن الشواغل والموانع من حصول الوصول الى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية
لها حبيبنا معنا ولكن شغل الدنيا عنه قطعنا وكانه ماخوذ
من قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله شغلتنا اموالنا واهلونا
وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق
يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكانه مقتبس من
قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وقال هرم بن حيان اقول
المومن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة
الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرى
بعين الرغبة ويبقى بجسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى

في المقام

في المقام الاعلى وما قال الشبلي اوحى الله الى داود عليه السلام
يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين
وانا خاصة للمحبين ويصير الذاكر حينيذ من ملوك الدين ومن
الايمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره
بتوفيق ربه وهو خير معين لتحقيق علم اليقين فكمال ايمانه واسلامه
واحسانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد وعمر التفريد وغاص
في عين العلم وغاب عن عين غيره في زين الحلم فلنذكر بعض احوال
المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست
محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكانه اشار الى انه مجذوب
ومطلوب وانه بسبب لذته في خدمة محبوبه غير متعوب ولما دخل
الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل
اخوانه فقالوا لو سالت الله عز وجل فيهم فسكت ثم قال لله
عباد في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض
ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم
لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باي شي بلغت هذه المنزلة
فقال كنت اكاتم الله حالي يعني اساله ان يكتم علي ويخفي امري وروي
انه راي الخضر فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت
زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق حتى
لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها
وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيايه انما اتخذ لخلتي
من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولم يوثر علي شيا

من خلفى وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد المانفس لم يبلغ الى داره غلبه الحب الى هذا الحد لمن ابن يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كل الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان والله المستعان ومما يويد هذا الشان من البرهان ما روى انه عليه السلام قال لابى بكر الصديق الله قد اعطاك مثل كل من آمن بى من امتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد ادم رواه الديلمى عن على وقد انتهى الكتاب الذى هو لب اللباب لكل فصل وباب عند ارباب الالباب متحليا بالمقطع المشير الى ان ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون بالدعا الماثور عن سيد الابرار وسند الاخيار اللهم انا نسئلك الهدى بالايمان والتقى عن العصيان والعفاف بالكفاف للانسان والغنا عن الخلوة فى جميع الاحيان والحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود بلفظ اللهم انى اسئلك الحديث فلعل ما ذكر رواية فى المبنى او نقل بالمعنى واختار صيغة الجمع لندخل معه ويدخل معنا كما فى قوله • ونعوذ بك من علم لا ينفع وملوحته لاحتمالين احدهما انه فى نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ما ورد ان من العلم جهلا وثانيهما انه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا عالم لا ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة •

يا من تباعد عن مكارم اخلاقه • ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة

من لم

• • من لم يهذب علمه اخلاقه • لم ينتفع بعلومه فى الاخرة •

وقلب لا يخشع بان اسود بالغفلة ولم توثر فيه النصيحة والموعظة واسباب المعرفة كما قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ونفس لا تشبع من الدنيا فيكون حريصا عليها ومقبلا بكليته اليها او كناية عن كثرة اكلها وعدم قناعتها لمقدار كفايتها ودعا لا يسمع اى لا يقبل فى حال دعوتنا والحديث رواه ابن ابى شيبة عن ابن عمرو والطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس وزاد اللهم انى اعوذ بك من هولا الاربع ورواه الحاكم وابن ابى شيبة عن ابن مسعود بلفظ اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعا لا يسمع ونفس لا تشبع وفى رواية لابن حبان وغيره عن انس اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفى رواية لابى داود عن ابى هريرة اللهم انى اعوذ بك من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعا لا يسمع ففى هذه الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع الصادر عن استقامة الطبع كما حكى انه قيل لصاحب المنازل اترك السجع فقال رجعت عما سجعت واخر دعوانا بتوفيق مولانا ان الحمد لله رب العالمين فيما اولانا فى اولانا واخرانا

وفيه ايما الى قوله سبحانه اخبارا عن اهل الجنة ان يقولوا فيها هذا
الكلام وهو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين وفيه تنبيه نبيه على ان اخر مقامات اهل الجنة
في درجات المعرفة والمحبة هو الرضا والشكر لمزيد النعمة وازالة
المحنة كما يومى اليه قوله سبحانه وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب اي تعب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال
وكسل وفسر الحزن بانواعه بحسب ما كان كل احد مبتلى
بقدر من اصنافه فقيل حزن الفقر وكذا البين او التحويل
منها او حزن الفراق وحجابه وهو لاهل الاشتياق الى مشاهدة
الله ورفع نقابه وهو اعلى مراتب ارباب الكمال واعلى مناصب
اصحاب الجمال المنزه ابدا المنزل في ساعة فساعة الى ازل الازال
والله سبحانه اعلم بحقايق الاحوال والسلام على عباده
الصالحين من الانبيا والمرسلين السابقين والصلاة على محمد
رسوله سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين وعلى اتقيا امته
من اهل بيته وصحابته واتباعهم واشياعهم اجمعين الى يوم الدين
امين يا رب العالمين • وكان الفراغ منه
على يد افقر العباد واحوجهم الى الله تعالى يوم التناد محمد
ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن مبارك بن منصور بن حسن

ينسب

ينسب الى سيدي مبارك بن سعدون الزواوي المالكي
بلدا المالكية مذهبا غفر الله لكاتبه ولمولفه
ولمن دعا لهما بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين
الاحياء منهم والميتين •
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
امين
تم

كمل يوم الاربعا المبارك سادس يوم من شهر
ربيع اول سنة الف ومايه خمسة واربعين

• كمل الكتاب تكاملت • نعم السرور لصاحبه •
• وعفى الاله بفضله • وبجوده عن كاتبه •

تم